UNIVERSAL LIBRARY

(فهرسة الجزء الثاني من كتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان)

(تمت)

(بقية فهرسة الشقائق النعمانية الموضوعة بهامش الجزء الثاني)

(تمت فهرسة الشقائق النعمانية ويليها فهرست العقد المنظوم)

(فهرسة العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم الموضوع بالهامش)

(تمت)

(الجزء الثاني)

من وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان
تأليف القاضي أحمد الشهير
بابن خلكان عليه رحمة الله
تعالى المنان
آمين

(ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبي رحمه الله)

(وبهامشه بقية الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)
(ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم المعروف بالموسوي)

صاحب ديوان الشعر ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال في ترجمته ابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل وهو اليوم أبدع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بادب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق وسيشهد بما أجريه شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح الذي يجمع الى السلاسة متانة والى السهولة رصانة ويشتمل على معاني يقرب جناها و يبعد مداها وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين ويحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الاعمال كلها الى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وأبوه حي ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة

عطفا أمير المؤمنين فاننا * في دوحة العلياء لا نتفرق * ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدا كلانا في المعالي معرق * الا الخلافة ميزتك فانني * انا عاطل منها وأنت مطوق

(ومن جيد شعره قوله أيضا)

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

(وله من جملة أبيات)

يا صاحبي قفا لي واقضيا وطرا * وحدثاني عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت * خميلة الطلح ذات البان والغار

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى جعفر البروسوي المشتهر بنهالي) قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار قاضيا ببعض البلاد ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير المرحوم مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار قاضيا بمدينة غلطة ثم مال الى العزلة والفراغة وعين له كل يوم ثلاث وثلاثون درهما بطريق التقاعد وتوفي على تلك الحال في حدود الخمسين وتسعمائة وكان عالما فاضلا لذيذ الصحبة حسن النادرة خفيف الروح ظريف الطبع وكان زين المجالس والمحافل واختار العزلة في أواخر عمره وترك الرياسة من التواضع وطرح التكلف المعتاد بين الناس وكانت له أشعار مقبولة باللسان التركي روح الله روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل

أم هل أبيت ودار دون كاظمة * داري وسمار ذاك الحي سماري
تضوع أرواح نجد من ثيابهم * عند القدوم لقرب العهد بالدار

وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات وهو كثير الوجود فلا حاجة الى الاكثار من شعره وذكر أبو الفتح بن جني المقدم ذكره في بعض مجاميعه أن الشريف الرضي المذكور أحضر الى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد معه يوما في حلقته فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم فقال له اذا قلنا رأيت عمر فما علامة النصب في عمر فقال له الرضي بغض علي فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره وذكر انه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة وصنف كتابا في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله دل على توسعه في علم النحو واللغة وصنف كتابا في مجازات القرآن فجاء نادرا في بابه وقد عني بجمع ديوان الشريف الرضي المذكور جماعة وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخبري ولقد أخبرني بعض الافاضل انه رأى في مجموع أن بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي المذكور بسر من رأى وهو لا يعرفها وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف الرضي المذكور

ولقد وقفت على ربوعهم * وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب * نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت * عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الابيات فقال له هل تعرف هذه الدار لمن هي فقال لا فقال هذه الدار لصاحب هذه الابيات الشريف الرضي فتعجبا من حسن الاتفاق * ولقد أذكرتني هذه الواقعة حكاية هي في معناها ذكرها الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وهي على ما رواه أن عبيد بن شرية الجرهمي عاش ثلثمائة سنة وأدرك الاسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثني بأعجب ما رأيت فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

يا قلب انك من أسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد * حتى جرت لك أطلاقا محاضير
فلست تدري وما تدري أعاجلها * أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

قال فقال لي رجل أتعرف من يقول هذا الشعر فقلت لا فقال ان قائله هو الذي دفناه الساعة وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست تعرفه وهذا الذي خرج من قبره أمس الناس رحما به وأسرهم بموته فقال له معاوية لقد رأيت عجبا فمن الميت قال هو عثير بن لبيد العذري * ومثل هاتين القصتين ما ذكره الخطيب أبو زكريا التبريزي في كتاب شرح الحماسة وذكره غيره أيضا أن عمرو بن شاس الاسدي الشاعر المشهور كانت له امرأة من قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار فكانت تعيره أباه وتؤذيه ويؤذيها فأنكر عمرو عليها اذاها له وقال

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان لقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

وهي عدة أبيات في الباب الاول من كتاب الحماسة والجون الاسود والعمم التام وكان عرار أحد فصحاء العقلاء وتوجه من عند المهلب بن أبي صفرة الى الحجاج بن يوسف الثقفي رسولا في بعض أمور فلما مثل بين يدي الحجاج لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه أبان وأعرب ما شاء وبلغ الغاية والمراد في كل ما سئل عنه فأنشد

المولى المشتهر بينهم بأتق قاسم)*
كان رحمه الله تعالى من بلدة أزنيق قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى عبد الكريم ثم صار مدرسا بمدرسة بلاطه ثم صار مدرسا بمدرسة توقات ثم صار مدرسا بالمدرسة الحجرية بادرنه ثم عين له كل يوم ثلاث وثلاثون درهما بطريق التقاعد وتوفي وهو على تلك الحال في سنة خمس وأربعين وتسعمائة بمدينة ادرنه كان رحمه الله تعالى ذكي الطبع مقبول الكلام لطيف المحاضرة حسن النادرة زين المجامع والمحافل وكان صاحب لطائف عجيبة لو جمعت لطائفه لحصلت منها دفاتر أعرضت عن ذكرها خوفا من التطويل وكان صالحا عابدا متورعا مشتغلا بنفسه متجردا عن الاهل والعيال وكان كثير الفكرة مشتغلا بذكر الله تعالى في الايام والليالي وكان له خشوع عظيم في صلاته وقد بلغ عمره الى قريب من مائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى فخر الدين ابن اسرافيل زاده)
قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل جعفر چلبي بن التاج الطغرائي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم

الحجاج متمثلا　　أرادت عرارا بالهوان ومن يرد ＊ عرار العمرى بالهوان لقد ظلم

فقال عرار أنا أيد الله الامير عرار فأعجب به وبذلك الاتفاق وشاس المكان الغليظ وعمرو المذكور من أسد ابن خزيمة وهو مخضرم أدرك الاسلام وهو شيخ كبير وعرار من قولهم عار الظليم بتشديد الراء يعار عرارا اذا صاح يقول أرادت امرأتى اهانة عرار ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشئ فى غير محله وهو ظالم واجتهد عمرو بن شاس ان يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه فطلقها فندم وقال فى ذلك شعرا تركته لعدم الحاجة وخشية الاطالة ورجعنا الى ذكر الشريف قال الخطيب فى تاريخ بغداد سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبى الحسين بن محفوظ وكان أوحد الرؤساء يقول سمعت جماعة من أهل العلم بالادب يقولون ان الرضى أشعر قريش فقال ابن محفوظ هذا صحيح وقد كان فى قريش من يجيد القول الا ان شعره قليل فأما مجيد مكثر فليس الا الشريف الرضى وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد وتوفى بكرة يوم الاحد سادس المحرم وقيل صفر سنة ست وأربعمائة ببغداد ودفن فى داره بخط مسجد الانباريين بالكرخ وقد خربت الدار ودرس القبر ومضى أخوه المرتضى أبو القاسم على الى مشهد موسى ابن جعفر لانه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه وصلى عليه الوزير فخر الملك فى الدار مع جماعة كثيرة رحمه الله تعالى وكانت ولادة والده الطاهر ذى المناقب ابى أحمد الحسين سنة سبع وثلثمائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة أربعمائة وقيل توفى سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ودفن فى مقابر قريش بمشهد باب التين ورثاه أيضا أبو العلاء المعرى بقصيدته التى أولها

أودى فليت الحادثات كفاف (١) ＊ مال المسيف وعنبر المستاف

وهى طويلة أجاد فيها كل الاجادة وقد تقدم ذكر أخيه الشريف المرتضى أبى القاسم على وعبيد بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وشرية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ٣ هاء ساكنة والجرهمى بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء وبعدها ميم هذه النسبة الى جرهم بن قحطان وهى قبيلة كبيرة مشهورة باليمن وعثير بكسر العين المهملة وسكون الثاء المثلثة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو فى الاصل اسم للغبار وبه سمى الرجل ولبيد اسم علم مشهور فلا حاجة الى ضبطه وقد تقدم الكلام على العذرى والله أعلم

＊(أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن هانى الازدى الاندلسى الشاعر المشهور قيل انه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الازدى وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم)＊

وقد تقدم ذكر يزيد وأخيه روح فى ترجمة روح فى حرف الراء وكان أبوه هانى من قرية من قرى المهدية بافريقية وكان شاعرا أديبا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد المذكور بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الادب وعمل الشعر ومهر فيه وكان حافظا لاشعار العرب وأخبارهم واتصل بصاحب اشبيلية وحظى عنده وكان كثير الانهماك فى الملاذ متهما بمذهب الفلاسفة ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل اشبيلية وساءت المقالة فى حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضا فأشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها خبره فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاما وحديثه طويل وخلاصته انه خرج الى عدوة المغرب ولقى جوهرا القائد مولى المنصور وقد تقدم ذكره وما جرى له عند توجهه الى مصر وفتحها للمعز فامتدحه ثم ارتحل الى جعفر ويحيى ابنى على وقد تقدم ذكر جعفر وكانا بالمسيلة وهى مدينة الزاب وكانا واليها فبالغا فى اكرامه والاحسان اليه فنمى خبره الى المعز أبى تميم معد بن المنصور العبيدى وسيأتى ذكره فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى فطلبه منهما فلما انتهى اليه بالغ فى الانعام عليه ثم توجه المعز الى الديار المصرية كما سيأتى فى خبره فشيعه ابن هانى المذكور ورجع الى المغرب لاخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما وصل الى برقة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياما فى مجلس الانس فيقال انهم عربدوا عليه فقتلوه وقيل خرج من

صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيدخان بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر هنالك ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ثم صار قاضيا ثانيا بدمشق

(١) كفاف اسم معدول مبنى على الكسر مثل قطام جعله اسما للكف الذى أى ليت الحادثات يكف بعضها بعضا ويقوم خيرها بشرها وأساف الرجل ذهب ماله والاستياف الشم والمعنى ان المرثى كان مال من ذهب ماله أى كان يعطى المسيف ويواسيه بالمال فكان هو للمسيف بمنزلة ماله فلما هلك كان كأنه قد أودى مال المسيف وجعل المرثى أيضا عنبر المستاف أى انه نفاخ نفاح بمنزلة العنبر فانه بطبيعته يرطب الدماغ وبعطريته وجوهره يقوى الروح النفسانى الذى فى الدماغ نزل المرثى منزلة مال المسيف وعنبر المستاف والتقدير أودى مال المسيف وعنبر المستاف فليت الحادثات كفاف اه ش

٣ قوله هاء ساكنة أى فى الوقف أما فى الوصل فهى تاء ورأيت فى الشهاب على الدرة ان شرية بوزن عطية فاله نصر

تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتا ولم يعرف سبب موته وقيل انه وجد في سانية من سواني برقة مخنوقا بتكة سراويله وكان ذلك في بكرة يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة اثنتين وستين وثلثمائة وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون رحمه الله تعالى هكذا قيده صاحب كتاب أخبار القيروان وأشار الى أنه كان في صحبة المعز وهو يخالف ما ذكرته أولا من تشييعه للمعز ورجوعه لاخذ عياله ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيرا وقال هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك وله في المعز المذكور غرر المدائح ونخب الشعر فمن ذلك قصيدته النونية ٣ التي أولها

هل من أعقة عالج يبرين * أم منهما بقر الحدوج العين
ولمن ليال ما ذممنا عهدها * مذ كن الا أنهن شجون
المشرقات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون
بيض وما ضحك الصباح وانها * بالمسك من طرر الحسان لجون
ادمى لها المرجان صفحة خده * وبكى عليها اللؤلؤ المكنون
أعدى الحمام تأوهي من بعدها * فكأنه فيما سجعن رنين
بانوا سراعا للهوادج زفرة * مما رأين وللمطي حنين
فكأنما صبغوا الضحى بقبابهم * أو عصفرت فيها الخدود جفون
ماذا على حلل الشقيق لو أنها * عن لابسيها في الخدود تبين
لاعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لي دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم اني اذن لخؤون
لا الجو جو مشرق ولو اكتسى * زهرا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذ العبير له ثرى * والبان دوح والشموس قطين
أيام فيه العبقري مفوف * والسابري مضاعف موضون
والزاعبية شرع والمشرفية لمع والمقربات صفون
والعهد من ظمياء اذ لا قومها * خزر ولا الحرب الزبون زبون
حزني لذاك الجو وهو أسنة * وكناس ذاك الخشف وهو عرين
هل يدنيني منه أجرد سابح * مرح وجائلة النسوع أمون
ومهند فيه الفرند كأنه * درّ له خلف الغرار كمين
عضب المضارب مقفر من أعين * لكنه من أنفس مسكون
قد كان رشح حديده أجلا وما * صاغت مضاربه الرقاق قيون
وكأنما يلقى الضريبة دونه * بأس المعز أو اسمه المخزون

ومنها في وصف الخيل

وصواهل لا الهضب يوم مغارها * هضب ولا البيد الحزون حزون
عرفت بساعة سبقها لا أنها * علقت بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها أنها * مرت بجانحتيه وهي ظنون
في الغيث شبه من نداك كأنما * مسحت على الانواء منك يمين

وهذه القصيدة من قصائده الطنانة ولولا طولها لاوردتها كلها وفي هذا الانموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته وديوانه كبير ولولا ما فيه من الغلو في المدح والافراط المفضي الى الكفر لكان من أحسن الدواوين وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الاطلاق وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين وان كان في المتنبي مع أبي تمام من الاختلاف ما فيه وما زلت أتطلب تاريخ وفاة ابن هانئ المذكور من التواريخ والمظان التي يطلب منها فلا أجده وسألت عنه خلقا كثيرا من مشايخ هذا الشأن فلم أجده حتى ظفرت به في كتاب لطيف لابي على الحسن بن رشيق القيرواني سماه قراضة الذهب فالثبته كما هو مذكور ههنا ونقلت مدة عمره من موضع آخر ورأيت بعض الافاضل قد اعتنى باحواله فجمعها وكتبها في أول ديوانه وذكر مدة العمر ولم يذكر تاريخ الوفاة لانه ما عثر عليه ويقال ان أبا العلاء المعري كان اذا سمع شعر ابن هانئ يقول ما أشبهه الا برحى تطحن قرونا لاجل القعقعة التي في ألفاظه ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ ولعمري ما أنصفه في هذا المقال وما حمله على هذا الا فرط تعصبه للمتنبي وبالجملة فما كان الا من المحسنين في النظم

(ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الاندلسي الشلبي الشاعر المشهور)

هو وابن زيدون القرطبي المذكور في حرف الهمزة فرسا رهان ورضيعا لبان في التصرف في فنون البيان

المحروسة ثم حج وعزل عن القضاء واعطى مدرسة السلطان مراد خان بمدينة بروسه وعين له كل يوم ثمانون درهما ثم اختل دماغه ومات وهو على تلك الحال سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى صاحب ذكاء وفطنة لطيف المحاورة طليق اللسان مقبول الكلام وكانت له مشاركة في العلوم وكان له اختصاص بالعلوم العقلية روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى شمس الدين أحمد بن عبد الله)

كان من عتقاء السيد ابراهيم الاماسي المقدم ذكره قرأ رحمه الله على مولاه المذكور ثم صار مدرسا بمدرسة أبي أيوب الانصاري عليه رحمة الله الملك الباري ثم صار مدرسا بنواحي اماسيه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بدمشق الشام وتوفي وهو قاض بها في سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما صالحا تقيا نقيا محبا للصلحاء وكان سليم الطبع حليم النفس وقورا صبورا

٣ عدة أبيات النونية المذكورة خمسة وثمانون بيتا منها
فارزق عبادك منك فضل شفاعة
واقرب بهم زلفى فأنت مكين

وهما كانا شاعري ذلك الزمان فكانت ملوك الاندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة احسانه لاسيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله بن عباد صاحب غرب الاندلس الآتي ذكره في هذا الحرف ان شاء الله تعالى وانهضه جليسا وسميرا وقدمه وزيرا ومشيرا ثم خلع عليه سمات الملك ووجهه أميرا وكان قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فتبعته المواكب والمضارب والنجائب والجنائب والكتائب والجنوب وضربت خلفه الطبول ونشرت على رأسه الرايات والبنود فملك مدينة تدمير وأصبح راقي منبر وسرير مع ما كان فيه من عدم السياسة وسوء التدبير ثم وثب على مالك رقه ومستوجب شكره ومستحقه فبادر الى عقوقه وبخس حقه فتحيل المعتمد عليه وسدد سهام المكايد اليه حتى حصل في قبضته قنيصا وأصبح لا يجد له محيصا الى ان قتله المعتمد في قصره ليلا بيده وأمر من أنزله في ملحده وذلك في سنة سبع وسبعين وأربعمائة بمدينة اشبيلية وكانت ولادته في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وقصته مشهورة ولما قتله المعتمد رثاه صاحبه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي المرسي بقوله من جملة قصيدة

عجبا له أبكيه ملء مدامعي * وأقول لا شلت يمين القاتل

وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان لقد رأيت عظمي ساقي ابن عمار قد أخرجا بعد سنين من حفر حفر بجانب القصر وأساودهما مستمسكة بهما ملتفة ولباتهما مشتفة ما انفرت أفواههما ولا انحل التواؤهما فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر يعني بالاساود القيود ومن مشاهير قصائد ابن عمار المذكور قوله

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى

والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا

ومن مديحها وهي في المعتمد بن عباد

ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا

أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ في الاجفان من سنة الكرى

قداح زند المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وهي طويلة فاقتصر من جيد شعره أيضا القصيدة الميمية وهي أيضا في المعتمد بن عباد وأولها

علي والا فابكاء الغمائم * وفي والا فانيح الحمائم

ومنها أيضا في وصف وطنه كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها حل الشباب تمائمي

ذكرت بها عهد الصبا فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم

ليالي لا ألوي على رشد لائم * عناني ولا أثنيه عن غي هائم

أنال سهادي من عيون نواعس * وأجني عذابي من غصون نواعم

وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم

تسر علينا ثم عنا كانها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم

بحيث اتخذنا الروض صار بزورنا * هداياه في أيدي الرياح النواسم

وبتنا ولا واش يحس كانما * حللنا مكان السر من صدر كاتم

ومن مديحها

ملوك مناخ العرف في عرصاتهم * ومثوى المعالي بين تلك المعالم

هم البيت ما غير الظبا لبنائه * بأس ولا غير القنا بدعائم

اذا قصر الروع الخطا نهضت بهم * طوال العوالي في طوال المعاصم

وأيد أبت من أن تؤوب ولم تفز * بحز النواصي أو بحز الغلاصم

نداي الوغى يجرون بالموت كاسها * اذا رجعت أسيافهم بالجماجم

هنالك القنا مجرورة من سحائب * وثم الظبا مهزوزة من عزائم

اذا ركبوا فانظره أول طاعن * وان نزلوا فارصده آخر طاعم

صاحب شيبة حسنة وكان حسن السمت صحيح العقيدة محمود الطريقة مرضي السيرة أديبا لبيبا كريما روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى حسام الدين حسن جلبي القراصوي)

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى عبد الكريم ابن المولى علاء الدين علي العربي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة اسكوب ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان في طراوزان ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمدينة أدرنه ثم صار قاضيا بقسطنطينية ثم صار مدرسا ثانيا باحدى المدارس الثمان وعين له كل يوم مائة درهم ومات وهو مدرس بها في سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى كريم الطبع سخي النفس حليما صبورا على الشدائد لذيذ الصحبة حسن المحاورة طارحا للتكلف منصفا في نفسه وكان لا يضمر سوأ لاحد وكانت له مشاركة في العلوم كلها وكان له طبع ذكي نافذ وكان صاحب تحقيق وتدقيق روح الله

وهي أيضا طويلة طنانة ومن جملة ذنوبه عند المعتمد بن عباد ما بلغه عنه من هجائه وهجاء أبيه المعتضد في بيتين هما كانا من أكبر أسباب قتله وهما

مما يقبح عندي ذكر اندلس * سماع معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

ومحاسن ابن عمار كثيرة والمهري بفتح الميم وسكون الهاء وبعدها راء هذه النسبة الى مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاعة وهي قبيلة كبيرة ينسب اليها خلق كثير والشلبي بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها باء موحدة هذه النسبة الى شلب وهي مدينة بالاندلس على ساحل البحر وتدمير بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الدال المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهي مدينة مرسية وكان المعتمد بن عباد قد سير اليها أبا بكر بن عمار المذكور نائبا عنه فعصى بها ولم يزل المعتمد يحتال عليه حتى وقع في قبضته وقتله بيده كما تقدم أولا وشهرة هذه الواقعة تغني عن الاطالة في تفصيلها وذكر عماد الدين الاصفهاني الكاتب في كتاب الخريدة في ترجمة ابن عمار المذكور وقتله المعتمد وكان أقوى الاسباب لقتله انه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرميكية وهي أبيات منها

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية لا تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع * لئيم النجارين عما وخالا

قلت وهذه الرميكية كانت سرية المعتمد اشتراها من رميك بن حجاج فنسبت اليه وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد فافرط في الميل اليها وغلبت عليه واسمها اعتماد فاختار لنفسه لقبا يناسب اسمها وهو المعتمد وتوفيت باغمات قبل المعتمد بايام ولم ترقأ له عبرة ولا فارقته حسرة حتى قضى نحبه أسفا وحزنا وهي التي أغرت المعتمد على قتل ابن عمار لكونه هجاها وقيل ان هذا الشعر ليس لابن عمار وانما نسبته اليه لكي توغر صدر المعتمد عليه والله أعلم

(أبو بكر محمد بن باجة التجيبي الاندلسي السرقسطي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف الشاعر المشهور)

ذكره أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان القيسي صاحب قلائد العقيان في كتابه ونسبه الى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة وقال في حقه في كتابه الذي سماه مطمح الانفس ما مثاله نظر في كتب التعاليم وفكر في اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وانكر ان يكون الى الله فيئة وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهي والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد ان الزمان دور وان الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محي الايمان من قلبه فماله فيه رسم ونسي الرحمن لسانه فما يمر عليه له اسم ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة والله أعلم بكنه حاله وأورد له مقاطيع من الشعر فمن ذلك قوله

أسكان نعمان الاراك تيقنوا * بانكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا باقوام اذا استؤمنوا خانوا
سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم * هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان
وهل جردت أسياف برق سماؤكم * فكانت لها الا جفوني أجفان

وكان قد أنشدني هذه الابيات بعض أشياخ المغاربة الفضلاء بمدينة حلب منسوبة الى ابن الصائغ المذكور ثم وجدتها بعد ذلك بعينها في ديوان أبي الفتيان محمد بن حيوس الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فبقيت شاكا فيما أنشدني ذلك الشيخ وقلت لعله وهم في نسبتها الى ابن الصائغ الى ان وجدتها في كتابه مطمح الانفس

تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى أمير حسن الرومي)

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة أمير الامراء بمدينة ادرنه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير ابراهيم باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة دار الحديث بادرنه ومات وهو مدرس بها كان رحمه الله تعالى كريم الطبع حليم النفس مشتغلا بالعلم وكانت له مشاركة في العلوم كلها وله حواش على شرح الفرائض للسيد الشريف وحواش على شرح الرسالة المصنفة في علم الادب لمسعود الرومي وغير ذلك روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محمد شاه ابن المولى شمس الدين اليكاني)

قرأ على علماء عصره ثم صار معيد الدرس للمولى الفاضل علاء الدين علي الجمالي المفتي ثم صار مدرسا بمدرسة مراد باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بالمدرسة القلندرية بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير علي

أيضا منسوبة الى ابن الصائغ المذكور والله تعالى أعلم لمن هي منهما وله أيضا

ضربوا القباب على أقاحة روضة * خطر النسيم بها ففاح عبيرا * وتركت قلبي سار بين حمولهم

دامي الكلوم يسوق تلك العيرا * هلا سألت أسيرهم هل عندهم * عان يفك ولو سألت غيورا

لا والذي جعل الغصون معاطفا * لهم وصاغ الاقحوان ثغورا

ما مر بي ريح الصبا من بعدهم * الا شهقت له فعاد سعيرا

ولما حضرته الوفاة كان ينشد

أقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى

قفي تحملي بعض الذي تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

وتوفي في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة خمس وعشرين وخمسمائة مسموما في باذنجان بمدينة فاس رحمه الله تعالى وباجة بالباء الموحدة وبعد الالف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهي الفضة بلغة الفرنج بالمغرب والتجيبي بضم التاء المثناة من فوقها وفتحها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة هذه النسبة الى تجيب وهي أم عدي وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون نسب ولدهما اليها وهي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج والسرقسطي بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين المهملة وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى سرقسطة وهي مدينة بالاندلس خرج منها جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

(أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الاندلسي الرصافي الشاعر المشهور)

له أشعار ظريفة ومقاصد في النظم لطيفة وشعره سائر في الآفاق ومن أشهر شعره أبياته التي نظمها في غلام صنعته النسج فأجاد فيها كل الاجادة وهي

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي * لو لم تهم بمذال القدر مبتذل

فقلت لو كان أمري في الصبابة لي * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي

أحببته حببي الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل

غزيل لم تزل في الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل

جذلان يلعب بالمحواك أنمله * على السدى لعب الايام بالدول

جذبا بكفيه أو فحصا بأخمصه * تخبط الظبي في أشراك محتبل

وله غير هذا المقطوع أشياء رائقة فمن ذلك قوله في غلام يبل عينيه بريقه ويظهر انه يبكي وليس بباك

عذيري من جذلان يبكي كآبة * وأضلعه مما يحاوله صفر

يبل مآقي زهر تيه بريقه * ويحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر

ويوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وله أيضا

ومهفهف كالغصن الا انه * تحير الالباب عند لقائه

أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وتوفي في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمدينة مالقة رحمه الله تعالى والرصافي بضم الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الالف فاء هذه النسبة الى الرصافة وهي بليدة صغيرة بالاندلس عند بلنسية وبالاندلس أيضا بلدة أخرى صغيرة اسمها الرصافة وهي عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموي أول ملوك الاندلس من بني أمية ويعرف بالداخل لانه دخل الى الاندلس من بلاد الشام خوفا من أبي جعفر المنصور العباسي وقصته مشهورة فلما دخلها ملكها وبويع له بقرطبة يوم عيد الاضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة وبنى هذه الرصافة وسماها برصافة جده هشام بن عبد الملك

باشا بالمدينة المزبورة ثم
صار مدرسا باحدى
المدرستين المتجاورتين
بادرنه ثم صار مدرسا باحدى
المدارس الثمان مات وهو
مدرس بها في سنة احدى
وأربعين وتسعمائة كان
رحمه الله تعالى كريم النفس
مستقيما مشتغلا بنفسه
وكان لا يذكر أحدا بسوء
وكانت له مشاركة في العلوم
كلها نور الله تعالى مرقده

*(ومنهم العالم الفاضل
الكامل المولى سليمان
الرومي)*

قرأ على علماء عصره ثم صار
مدرسا ببعض المدارس ثم
صار مدرسا بمدرسة تيره ثم
صار مدرسا بمدرسة توقات
ثم صار مدرسا بمدرسة
الوزير علي باشا بقسطنطينية
ثم صار مدرسا باحدى
المدرستين المتجاورتين
بادرنه وتوفي وهو مدرس
بها وكانت وفاته في مجلس
خاص بالعلماء عند حضور
سلطاننا الاعظم في وليمة
المباركة لختن أولاده الكرام
وقد سقط مغشيا عليه
فحمل عن المجلس الى خيمة
ومات هناك وذلك في
سنة سبع وثلاثين
وتسعمائة كان رحمه الله
تعالى مشتغلا بنفسه
معرضا عن التعرض لابناء
الزمان وكان لا يذكر أحدا
الا بخير وكان يدرس للطلبة
ويفيدهم روح الله تعالى
روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل

ابن مروان وهي بلدة مشهورة بالشام كذا قاله ياقوت الحموي الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في كتابه المسمى بالمشترك وضعا المختلف صقعا وذكر ان الرصافة اسم تسع مواضع وعددها ولولا خوف التطويل لذكرتها غير انه لم يذكر رصافة بلنسية وبهذه الرصافة تكون عشرة مواضع والله تعالى أعلم

(أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي الاشبيلي)

كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه المسمى المطرب من أشعار أهل المغرب وكان شيخنا أبو بكر يعني ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشدني من شعره

وموسدين على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم كيف تأخذ ثأرها * أني أملت اناءها فأمالني

ثم قال سألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة وبلغني وفاته في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن دحية قلت أنا وقد ألم ابن زهر المذكور في هذه الابيات بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله بن صاعد وهو

عاقرتهم مشمولة لو سالمت * شرابها ما سميت بعقار
ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب اليه أيضا في كتاب جالينوس الحكيم المسمى حيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها قوله

حيلة البرء صنفت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله
فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيله

ومن شعر ابن زهر أيضا يتشوق الى ولده وله صغير

ولي واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلف قلبي لديه
نأت عنه داري فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الي ومني اليه

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب

اني نظرت الى المرآة اذ جليت * فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شييخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة * ان الذي أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخي وقد * صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

والبيت الاخير من هذه الابيات ينظر الى قول الاخطل الشاعر المشهور

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخي فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وأوصى انه اذا مات يكتب على قبره هذه الابيات وفيها اشارة الى طبه ومعالجته للناس وهي

تأمل بحقك يا واقفا * ولاحظ مكانا دفعنا اليه
تراب الضريح على وجنتي * كأني لم أمش يوما عليه
أداوي الانام حذار المنون * وها أنا قد صرت رهنا لديه

الكامل المولى قطب الدين المرزيفوني)* قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل علاء الدين علي الجمالي المفتي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة ازنيق ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة طرابوزان ومات وهو مدرس بها في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى صاحب كرم وأخلاق حميدة ووفاء ومروءة وكانت له مشاركة في العلوم وكان له خصوصية بالعربية والفقه وله تعليقات على نبذ من شرح الوقاية لصدر الشريعة وعلى شرح المفتاح للسيد الشريف قدس الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى بير أحمد) قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى أحمد باشا المفتي ابن المولى الفاضل خضر بك ثم صار مدرسا بمدرسة رئيس القرائين بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة أتابك ببلدة قسطموني ثم صار مدرسا بمدرسة قلبه ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان مراد خان فيها ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم عزل عن ذلك

وهذه المقاطيع إنما أخذتها من أفواه العلماء منسوبة إلى ابن زهر المذكور والله أعلم بصحتها والعهدة عليهم في نقلها وقال ابن دحية أيضا في حقه والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه وصارت النهاية فيه نحوله وأتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق وأورد له موشحا حسنا وقال في حق جده أبي العلاء زهر إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي متحنا بعلة بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك إنه رحل إلى المشرق وبه طبب زمانا طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذ أهل زمانه ومات بمدينة دانية ثم قال في حق جد جده محمد بن مروان إنه كان عالما بالرأي حافظا للأدب فقيها حاذقا بالفتوى مقدما في الشورى متفننا في الفنون رسميا فاضلا يجمع الرواية والدراية وتوفي بطليرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من العلماء الأندلسيين ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الإيادي وعلى طليرة فلا حاجة إلى الإعادة وزهر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة لأبي الطيب بن الجزار في بعض بني زهر قوله

قل للوبا أنت وابن زهر * جاوزتما الحد في النكايه

ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكما كفايه

ثم وجدت هذين البيتين لأبي بكر بن أحمد بن محمد الأبيض وأنه توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكنيته أبو زيد ولم يذكر اسمه رحمه الله تعالى والله أعلم

(أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي ابن عثمان الغنوي الملقب بمصطفى الدولة الشاعر المشهور)

كان يدعى بالأمير لأن أباه كان من أمراء العرب وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين له ديوان شعر كبير لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم وكان منقطعا إلى بني مرداس أصحاب حلب ذكر الجوهري في الصحاح في فصل ودس المرداس حجر يرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا وبه سمي الرجل وله فيهم القصائد الأنيقة وقصته مشهورة مع الأمير جلال الدولة وصمصامها أبي المظفر نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فإنه كان قد مدح أباه محمود بن نصر فأجازه ألف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدته الرائية التي يهنيه ويعزيه عن أبيه وهي

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

ومنها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

ويذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الأمر بعده بقوله

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا * على أنه لولاك لم يكن الصبر

غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى * تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر

ومنها تباعدت عنكم حرفة لا زهادة * وسرت إليكم حين مسني الضر * فلاقيت ظل الأمن ما عنه حاجز

يصد وباب العز ما دونه ستر * وطال مقامي في إسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لي الأسر

وأنجز لي رب السموات وعده الكريم بأن العسر يتبعه اليسر * فجاد ابن نصر لي بألف تصرمت

وإني عليم أن سيخلفها نصر * لقد كنت مأمولا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا أمرك النهي والأمر

وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر

وإني

وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ومات وهو على تلك الحال في عشر الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى حليما جيد النفس كريم الطبع وقورا صبورا طالبا للخير لكل أحد وكان صحيح العقيدة صافي الخاطر لا يذكر أحدا إلا بخير وكانت له مشاركة في العلوم كلها وله تعليقات على بعض المباحث روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محمد ابن الشيخ محمود المغلوي الوفائي)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل إلى خدمة المولى سيدي القراماني وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة كوتاهية ثم صار مدرسا بالمدرسة الفرهادية بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير قاسم باشا بقرب من كوتاهية ثم مات في سنة أربعين وتسعمائة كان رحمه الله حليم النفس كريم الطبع سليم الخاطر صحيح العقيدة محبا للصوفية سيما الطريقة الوفائية وكان مشتغلا بالعلم الشريف غاية الاشتغال وكان محبا للعلم واطلع على كتب كثيرة وحفظ أكثر لطائفها ونوادرها وكان يحفظ التواريخ ومناقب العلماء والصلحاء وقد صنف من

وانى بآمالى اليك مخيم * وكم فى الورى ثاو وآماله سفر

وعندك مما أبتغى بقولى تصنعا * بايسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها قال الامير نصر والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة وكان قد اجتمع على باب الامير نصر المذكور جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الامير نصر الى دار بولص النصرانى وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجالس الانس عنده فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص وفيهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعرى الشاعر المعروف فكتبوا ورقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة المذكور وسيروا الورقة اليه والابيات المذكورة هى

على بابك المحروس منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس

وقد قنعت منك الجماعة كلها * بعشر الذى أعطيته لابن حيوس

وما بيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر أطلق لهم مائة دينار فقال والله لو قالوا بمثل الذى أعطيته لابن حيوس لأعطيتهم مثله وذكر العماد الكاتب فى الخريدة ان هذه الابيات لابى سالم عبد الله بن الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة وانه كان يعرف بالواقى والله أعلم * وكان الامير نصر سخيا واسع العطاء ملك حلب بعد وفاة أبيه محمود فى سنة سبع وستين وأربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه فى ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة وقد تقدم ذكر جد أبيه صالح بن مرداس فى حرف الصاد وقدم ابن حيوس حلب فى شوال سنة أربع وستين وأربعمائة وداره بها هى الدار المعروفة الآن بالامير علم الدين سليمان بن حيدر ومن محاسن شعر ابن حيوس القصيدة اللامية التى مدح بها أبا الفضائل سابق بن محمود وهو أخو الامير نصر المذكور ومن مديحها قوله

فما الملاقات للمسائل عنكم * واعتمادى هداية الضلال

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم فى مكارم أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وما أحسن هذا التقسيم الذى اتفق له وقد ألم فيه بقول أبى سعيد محمد بن محمد بن الحسين الرستمى الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد المقدم ذكره فى حرف الهمزة وهى من فاخر الشعر وذلك قوله

من النفر العالين فى السلم والوغى * وأهل المعالى والعوالى وآلها

اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم * وان نازلوا احمر القنا من نزالها

هذا والله الشعر الخالص الذى لا يشوبه شئ من الحشو وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى دارا بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره

دار بنيناها وعشنا بها * فى نعمة من آل مرداس

قوم نفوا بؤسى ولم يتركوا * على للايام من باس

قل لبنى الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

وقيل ان هذه الابيات للامير الجليل أبى الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار الحلبى المعروف بابن أبى حصينة وهو الصحيح ومن غرر قصائده السائرة قوله

هو ذاك ربع المالكية فاربع * واسأل مصيفا عافيا عن مربع

واستسق للدمن الخوالى بالحمى * غر السحائب واعتذر عن ادمعى

فلقد فنين امام دان هاجر * فى قربه ووراء ناء مزمع

لو يخبر الركبان عنى حدثوا * عن مقلة عبرى وقلب موجع

ردى لنا زمن الكثيب فانه * زمن متى يرجع وصالك يرجع

لو كنت عالمة بادنى لوعتى * لرددت أقصى نيلك المسترجع

بل لو قنعت من الغرام بمظهر * عن مضمر بين الحشى والاضلع

اعتبت ان تعتب ووصلت غب تجنب وبذلت بعد تمنع

ولو انى انصفت نفسى صنتها * عن ان أكون كطالب لم ينجع

الشروح والحواشى كتبا كثيرة منها تهذيب الكافية فى النحو وكتب له شرحا وله حاشية على شرح هداية الحكمة لمولانا زاده كتبها تذنيبا لحواشى المولى خواجه زاده على ذلك الشرح وكتب حواشى على حاشية شرح التجريد للسيد الشريف وكتب تفسير سورة والضحى وسماه بتنوير الضحى فى تفسير والضحى وله رسائل وتعليقات كثيرة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم المولى العالم الفاضل أحمد ابن المولى حمزة القاضى الشهير بعرب چلبى)

قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى موسى چلبى ابن المولى الفاضل أفضل زاده وهو مدرس باحدى المدارس الثمان ثم ارتحل الى مصر القاهرة فى أيام دولة السلطان بايزيد خان وقرأ أيضا هناك على علمائها الصحاح الستة من الاحاديث وأجازوا له اجازة تامة وقرأ هناك أيضا التفسير والفقه وأصول الفقه وقرأ الشرح المطول للتلخيص بتمامه وأقرأ هناك طلبة العلم الشرح المزبور والمفصل للزمخشرى واشتهرت فضائله بالقاهرة ورأيت له كتاب الاجازة من شيوخه وشهدوا له فيه بالفضيلة التامة والعفة وصلاح

ومنها اني دعوت ندى الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندى اجاب وما دعى
ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطيء عن ندى متسرع

ومن شعره أيضا قفوا في القلا حيث انتهيتم تذمما * ولا تقتفوا من جار لما تحكما
أرى كل معوج المودة يصطفى * لديكم و يلقى حتفه من تقوما
فان كنتم لم تعدلوا اذ حكمتم * فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما
حنى الناس من قبل القسى لتقتنى * وثقف مياد القنا ليقوما
وما ظلم الشيب المسلم بلمتي * وان زنى حظى من الظلم واللمى
ومحبوبة عزت وعز نظيرها * وان أشبهت في الحسن والعفة الدمى
أعنف فيها صبوة قطما ارعوت * واسأل عنها معلما ما تكلما
سلى عنه تخبرعن يقين دموعه * ولا تسألى عن قلبه أين كما
فقد كان لى عونا على الصبر برهة * وفارقنى أيام فارقتم الحمى
فراق قضى ان لا تأسى بعد أن * مضى منجدا صبرى وأوغلت متهما
وفجعة بين مثل صرعة مالك * و يقبح بى ان لا أكون متمما
خليلى ان لم تسعدانى على الاسى * فلا تهمانى ولا انا منكما
وحسبتما لى سلوة وتناسيا * ولم تذكرا كيف السبيل اليهما
سقى الله أيام الصبا كل هاطل * ملث اذا ما الغيث أحجم أقدما
وعيشا سرقناه برغم رقيبنا * وقد مل من طول السهاد فهوما

وهى طويلة (وحكى) الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم على بن ابراهيم العلوى من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال دخل الامير أبو الفتيان بن حيوس بيتى ونحن بحلب وقال أودعنى هذا البيت وهو فى شرف الدولة مسلم بن قريش أنت الذى نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم وهذا البيت فى غاية المدح وقد تقدم فى ترجمة أبى بكر بن الصائغ الاندلسى ذكر الابيات النونية وكونها منسوبة اليه وهى موجودة فى ديوان ابن حيوس المذكور والله أعلم بحقيقة الحال فيها وكان أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر المقدم ذكره قد وصل الى حلب فى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ أبو الفتيان المذكور فكتب اليه ابن الخياط المذكور قوله

لم يبق عندى ما يباع بدرهم * وكفاك منى منظرى عن مخبرى
الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشترى

فقال لو قال وأنت نعم المشترى لكان أحسن وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفى فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب وهو شيخ أبى عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الشاعر المشهور وقد تقدم ذكر ذلك فى ترجمته وحيوس بفتح الحاء المهملة والياء المشددة المثناة من تحتها المضمومة والواو الساكنة وبعدها سين مهملة وفى شعراء المغاربة ابن حيوس مثل الاول لكن بالباء الموحدة المخففة وانما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ورأيت خلقا كثيرا يتوهمون ان المغربى يقال له ابن حيوس أيضا وهو غلط والصواب ما ذكرته والله تعالى أعلم

(أبو المظفر محمد بن أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى العباس أحمد بن اسحق بن أبى العباس الامام محمد ابن اسحق وهو أبو الفتيان بن أبى الحسن بن مرفوعة بن منصور بن معاوية الاصغر ابن محمد ابن أبى العباس عثمان بن عنبسة الاصغر بن عنبسة بن الاشرف بن عثمان بن عنبسة ابن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى المعاوى الابيوردى الشاعر المشهور)

النفس وقرأ رحمه الله فى القاهرة من العلوم الهندسة والهيئة وغير ذلك من المعارف ثم أتى بلاد الروم وبنى له الوزير قاسم باشا مدرسة بقرب من مدرسة أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه فدرس هناك مدة عمره وكان رحمه الله عالما صالحا عابدا زاهدا كريما حليما سليم النفس صحيح العقيدة حسن السمت وقورا صبورا مريدا للخير لكل أحد وكان يدرس و يفيد وانتفع به كثير من الناس وكان أكثر اشتغاله بتفسير البيضاوى والفقه مات رحمه الله تعالى فى سنة خمسين وتسعمائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى شمس الدين أحمد الشهير بورق شمس الدين)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة قلندرخانه بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى وتوفى رحمه الله تعالى وهو مدرس بها فى حدود الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا سليم الطبع حليم النفس طيب الاخلاق وكان لا يذكر أحدا بسوء وكان مدرسا مفيدا استفاد منه كثير من الناس روح الله

كان من الادباء المشاهير راوية نسابة شاعرا ظريفا قسم ديوان شعره الى أقسام منها العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات وغير ذلك وكان من أخبر الناس بعلم الانساب نقل عنه الحفاظ الاثبات الثقات وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فى غير موضع من كتابه الذى وضعه فى الانساب وقال فى حقه فى ترجمة الابيوردى انه كان أوحد زمانه فى علوم عديدة وقد أوردنا عنه فى غير موضع من هذا الكتاب أشياء وكان يكتب فى نسبه المعاوى وأليق ما وصف به بيت أبى العلاء المعرى

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

انتهى كلام المقدسي بعد ان ذكر له أبياتا يفتخر بها الاحاجة بنا اليها وذكره أبو زكريا ابن منده فى تاريخ أصبهان فقال فخر الرؤساء أفضل الدولة حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرف فى فنون جمة من العلوم عارف بانساب العرب فصيح الكلام حاذق فى تصنيف الكتب وافر العقل كامل الفضل فريد دهره ووحيد عصره وكان فيه تيه وكبر وعزة نفس وكان اذا صلى يقول اللهم ملكنى مشارق الارض ومغاربها وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة المعاوى وفى كتاب الذيل وقال كان ينسب الى معاوية الاصغر المقدم ذكره فى عود نسبه وأخبر عنه انه كتب رقعة الى أمير المؤمنين المستظهر بالله وعلى رأسها الخادم المعاوى فكره الخليفة مكاتبته بذلك فكشط الميم من المعاوى ورد الرقعة اليه فصار الخادم العاوى

ومن محاسن شعره قوله

ملكنا أقاليم البلاد فاذعنت * لنا رغبة أو رهبة عظماؤها

فلما انتهت أيامنا علقت بنا * شدائد أيام قليل رخاؤها

وكان الينا فى السرور ابتسامها * فصار علينا فى الهموم بكاؤها

وصرنا نلاقى النائبات باوجه * رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها

اذا ما هممنا ان نبوح بما جنت * علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

وقوله أيضا

تنكر لى دهرى ولم يدر اننى * أعز وأحداث الزمان تهون

فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

ومن شعره أيضا

وهيفاء لا أصغى الى من يلومنى * عليها ويغرينى بها ان أعيبها

أميل باحدى مقلتى اذا بدت * اليها وبالاخرى أراعى رقيبها

وقد غفل الواشى ولم يدر اننى * أخذت لعينى من سليمى نصيبها

وله فى أبى النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المراغى وكان من افراد زمانه فضلا وكان يستعمل فى شعره لزوم ما لا يلزم وكانت اقامته بثغر بحيرة قوله

شعر المراغى وحوشيتم * كعقله أسلمه أسقمه * يلزم ما ليس له لازما * لكنه يترك ما يلزمه

وله أيضا

أأميم ان لم تسمحى بزيارة * فخلا فؤادى بالخيال الطارق

والله لا تسعو الوشاة ولا النوى * بمحبتك فى ضمير العاشق

ومن معنى البيت الاول أخذ سبط ابن التعاويذى الآتى ذكره قوله من جملة قصيدة

ان كنت ليلى بالسلام بخيلة * فرى الخيال عربى فيسلم

وعدى بوصالك فى المنام لعلها * تر جولقاءك مقلتى فتوهم

ومن نجدياته

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف

فبت أعانى الوجد والركب نوم * وقد أخذت منى السرى والتنائف

وأذكر خودا ان دعانى الى النوى * هواها اجابته الدموع الذوارف

لها فى مغانى ذلك الشعب منزل * لئن أنكرته العين فالقلب عارف

وقفت به والدمع أكثره دم * كأنى من جفنى بنعمان راعف

ومن معانيه البديعة قوله من جملة أبيات فى وصف الخمرة

تعالى روحه ونور ضريحه *(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيى الدين محمد بن عبد الاول التبريزى)* قرأ رحمه الله تعالى على والده وكان والده قاضى الحنفية بها وسمعت منه انه رأى المولى جلال الدين الدوانى وهو صغير وقد حكى منه غاية العظمة والجلالة والهيبة والوقار وحكى ان علماء تبريز جلسوا عنده على أدب تام مطرقين رؤسهم وأتى هو فى حياة والده بلاد الروم وعرضه المولى ابن المؤيد على السلطان بايزيد خان لمعرفة سابقة بينه وبين والده فاعطاه السلطان بايزيد خان مدرسته ثم اختار منصب القضاء ثم صار قاضيا ببعض بلاد من بلاد الروم ثم أعطاه سلطاننا الاعظم رحمه الله مدرسة الوزير مصطفى باشا بكبوزه ثم صار مدرسا بمدرسة مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم صار قاضيا بمدينة قسطنطينية ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد ومات على تلك الحال فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا عارفا بالعلوم العربية والشرعية وكانت له معرفة تامة بصناعة الانشاء وله

ولها من ذاتها طرب * فلهذا يرقص الحبب

وله من جملة قصيدة فسد الزمان فكل من صاحبته * راج ينافق أو مداج حاشي

وإذا اختبرتهم ظفرت بباطن * متجهم و بظاهر هشاش

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام الطائي من جملة قصيدة أجاد فيها كل الاجادة

ان شئت أن يسودّ ظنك كله * فأجله في هذا السواد الاعظم

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا * متبسما عن باطن متجهم

وقد خرجنا عن المقصود بالتطويل وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابيورد وكتاب المختلف والمؤتلف وطبقات كل فن وما اختلف وائتلف في أنساب العرب وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها وكان حسن السيرة جميل الاثر له معاملة صحيحة وكانت وفاة الابيوردي المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس لعشرين من ربيع الاول سنة سبع وخمسين وخمسمائة باصبهان مسموما وصلي عليه في الجامع العتيق بها رحمه الله تعالى والابيوردي بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى أبيورد ويقال لها أباورد و باورد وهي بليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وذكر السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الكوفني بضم الكاف وسكون الواو وفتح القاف وبعدها نون هذه النسبة الى كوفن وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان بناها عبد الله بن طاهر وخرج منها جماعة من المحدثين والفضلاء منهم الاديب أبو المظفر محمد بن أحمد الكوفني المعروف بالاديب الابيوردي والله أعلم

(ابو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر المعروف بابن أبي الصقر الواسطي)

كان فقيها شافعي المذهب تفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي رحمه الله تعالى لكنه غلب عليه الادب والشعر واشتهر به ورأيت له بدمشق ديوان شعر في الخزانة الاشرفية التي في الجامع المشهور في تربته شمال الكلاسة التي هي زيادة في الجامع الكبير والديوان مجلد واحد وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية وله في الشيخ أبي اسحق الشيرازي مراث وكان كاملا في البلاغة والفضل وحسن الخط وجودة الشعر وذكره أبو المعالي الحظيري المتقدم ذكره في كتاب زينة الدهر وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق

وأنا قائل وأستغفر الله مقال المجاز لا التحقيق

لست أرضى من فعل ابليس شيأ * غير ترك السجود للمخلوق

وذكر له أيضا أبياتا وهي سائرة

وحرمة الود مالي عنكم عوض * لانني ليس لي في غيركم غرض

أشتاقكم وبودي لو يواصلني * لكم خيال ولكن لست اغتمض

وقد شرطت على قوم صحبتهم * بان قلبي لكم من دونهم فرضوا

ومن حديثي بكم قالوا به مرض * فقلت لا زال عني ذلك المرض

وكان قد طعن في السن وضعف عن المشي فصار يتوكأ على عصا فقال في ذلك

كل أمر اذا تفكرت فيه * وتأملته رأيت ظريفا

كنت امشي على اثنتين قويا * صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

قلت ولي أبيات أشير فيها الى مثل هذا المعنى وهي

ياسائلي عن حالتي * شديد شرحها المختصا قد صرت بعد قوة * تنقص أصلاد الحصى

أمشي على ثلاثة * أجودها فيها العصا

منشآت في لسان العربية والفارسية والتركية وكان أكثر اهتمامه بالمحسنات اللفظية وكان يكتب أنواع الخطوط خطا حسنا وله تعليقات على بعض المواضع من الكتب وكان كريما لا يذكر كل أحد الا بخير وكان صاحب أدب ووقار نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد بن عبد القادر المشتهر بالمعلول)

قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى محيي الدين الفناري والمولى ابن كمال باشا والمولى حسام جلبي والمولى نور الدين ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم سلطاننا الاعظم ثم صار مدرسا بمدرسة قاسم باشا بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير محمود باشا فيها ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان وعين له كل يوم تسعون درهما ثم صار قاضيا بمصر المحروسة ثم صار قاضيا بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي ثم عجز عن اقامة الخدمة لاختلال وقع في رجله فعزل عن ذلك وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما بطريق التقاعد ومات على تلك الحالة في سنة ثلاث وستين

وله أيضا في اعتذاره عن ترك القيام لاصدقائه

علة سميت ثمانين عاما * منعتني للاصدقاء القياما
فاذا عمروا تمهد عذري * عندهم بالذي ذكرت وقاما

وله في كبره أيضا

ولما الى عشر تسعين صرت * ومالي اليها أب قبل صارا
تيقنت أني مستبدل * بداري دارا وبالجار جارا
فتبت الى الله مما مضى * ولن يدخل الله من تاب نارا

وله أيضا وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر فتغامز عليه الحاضرون كيف مات الصغير وبقي هذا الشيخ في هذا السن فقال

اذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضا على الله اذ * توفي الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف * وما بين ذلك هذا المصير

وله أيضا في ذلك

ابن أبي الصقر افتكر * وقال في حال الكبر
والله لولا بوله * تحرقني وقت السحر * لما ذكرت أن لي * ما بين فخذي ذكر

وله كل مقطوع مليح وكانت ولادته ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بواسط رحمه الله تعالى

(الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن الهبارية الملقب نظام الدين البغدادي الشاعر المشهور)

كان شاعرا مجيدا حسن المقاصد لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد وذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال نظام الملك غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف وسبك في قالب ابن الحجاج وسلك أسلوبه وفاقه في الخلاعة والنظيف من شعره في غاية الحسن انتهى كلام العماد الكاتب وكان ملازما لخدمة نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحق وزير السلطان ألب ارسلان وولده ملك شاه وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وله عليه الانعام التام والادرار المستمر وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء فقال أبو الغنائم لابن الهبارية ان هجوت نظام الملك فلك عندي كذا وأجزل له الوعد فقال كيف اهجو شخصا لا أرى في بيتي شيأ الا من نعمته فقال لا بد من هذا فعمل هذه الابيات

لا غرو ان ملك ابن اسحق وساعده القدر * وصفت له الدنيا وخص أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالدولاب ليس يدور الا بالبقر

فبلغت الابيات نظام الملك فقال هو يشير الى المثل السائر على ألسنة الناس وهو قولهم أهل طوس بقر وكان نظام الملك من طوس وأغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في افضاله عليه فكانت هذه معدودة من مكارم أخلاق نظام الملك وسعة حلمه وكان مع فرط احسان نظام الملك اليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شرا لما يعاملونه من بذاءة لسانه فلما اشتد عليه الحال منهم كتب الى نظام الملك

لنظام الحضرتين الرضى * اذا بنو الدهر تحاشوك * واجل به عن ناظريك القذى
اذا اللئام القوم اعشوك * واصبر على وحشة غلمانه * لا بد للورد من شوك

ذكر العماد الاصبهاني في الخريدة أنه أنفذ هذه الابيات مع ولده الى نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي نقيب نظام الحضرتين أبو الحسن ومن شعره أيضا

وجهي يرق عن السؤال * لو حالتي منه أرق * دقت معاني الفضل في * وحرفتي منه أدق

وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا محققا مدققا عالما بالعلوم الشرعية والعقلية وكان صاحب وقار وحشمة وكان ذا ثروة بنى دار التعليم في قرية قله وبنى دار القراء بمدينة قسطنطينية ودفن بها روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد الشهير بـ برجباجلي) قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى ركن الدين ابن المولى زيرك والمولى أمير جلبي ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم سلطاننا الاعظم ثم صار مدرسا بمدرسة جند بك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة قراحصار ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير علي باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم صار قاضيا بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمدينة أدرنه وتوفي وهو قاض بها في حدود الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا محققا مدققا صاحب ذكاء وفطنة وكان سليم الطبع حليم النفس محبا للخير محبا للفقراء روح الله روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل

ومن معانيه الغريبة قوله في الرد على من يقول ان السفر به يبلغ الوطر

قالوا أقمت وما رزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق * فأجبتهم ما كل سير نافعا
الحظ ينفع لا الرحيل المقلق * كم سفرة نفعت وأخرى مثلها * ضرت ويكتسب الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يمحق

وله أيضا تخذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت * فالرأى ان يتبيدق الفرزان

وله على سبيل الخلاعة والمجون يقول أبو سعيد اذ رآني * عفيفا منذ عام ما شربت
على يد أى شيخ تبت قل لى * فقلت على يد الافلاس تبت

وله في المعنى أيضا رأيت في النوم عرسي وهي ممسكة * اذني وفي كفها شئ من الادم
معوج الشكل مسود به نقط * لكن اسفله في هيئة القدم
حتى تنبهت مجمر القذال ولو * طال المنام على الشيخ الاديب عمى

وله أيضا المجلس التاجي دام جماله * وجلاله وكماله بستان
والعبد فيه حمامة تغريدها * فيه المديح وطوقها الاحسان

وله أيضا دعوه ما شاء فعل * سيان صد أو وصل فكم رأينا قبلها * أسود من ذا وانصل

ومحاسن شعره كثيرة وله كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة وقد سبق في ترجمة البارع الدباس في حرف الحاء ذكر الابيات الدالية وجوابها وما دار بينهما وسيأتي في ترجمة الوزير فخر الدولة محمد بن جهير واقعة لطيفة جرت له مع السابق الشاعر المعري ان شاء الله تعالى وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات ومن غرائب نظمه كتاب الصادح والباغم نظمه على أسلوب كليلة ودمنة وهو أراجيز وعدد بيوته ألفا بيت نظمها في عشر سنين ولقد أجاد فيه كل الاجادة وسير الكتاب على يد ولده الى الامير أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي صاحب الحلة المقدم ذكره في حرف الصاد وختمه بهذه الابيات وهي

هذا كتاب حسن * تحار فيه الفطن أنفقت فيه مده * عشر سنين عده
منذ سمعت باسمكا * وضعته برسمكا بيوته ألفان * جميعها معان
لو نظل كل شاعر * وناظم وناثر كعمر نوح التالد * في نظم بيت واحد
من مثله لما قدر * ما كل من قال شعر انفذته مع ولدى * بل مهجتي وكبدي
وأنت عند ظني * أهل لكل من وقد طوى اليكا * توكلا عليكا
مشقة شديده * وشقة بعيده ولو تركت جيت * سعيا وما ونيت
ان الفخار والعلا * ارثك من دون الملا

فاجزل عطيته وأسنى جائزته * وتوفي ابن الهبارية المذكور بكرمان سنة أربع وخمسمائة هكذا قال العماد الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة بعد ان أقام مدة باصبهان وخرج الى كرمان وأقام بها الى آخر عمره وقال ابن السمعاني توفي بعد سنة تسعين وأربعمائة والهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف راء هذه النسبة الى هبار وهو جد أبي يعلى المذكور لامه وكرمان بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الالف نون وهي ولاية كبيرة تشتمل على مدن كبار وصغار وخرج منها جماعة من الاعيان وهي متصلة باطراف أعمال خراسان ومن جانبها الآخر البحر والله أعلم

(ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي الخالدي الحلبي الملقب شرف الدين المعروف بابن القيسراني هكذا أملى على نسبه بعض الاخوان الشاعر المشهور)

وكان من الشعراء المجيدين والادباء المتفننين قرأ الادب على توفيق بن محمد وأبي عبد الله بن الخياط الشاعر

الكامل المولى محيي الدين بير محمد ابن المولى علاء الدين على الفناري)* قرأ على علماء عصره ثم ارتحل الى بلاد العجم وقرأ هناك على علماء سمرقند وبخارى ثم أتى بلاد الروم وأعطاه السلطان سليم خان مدرسة الوزير المرحوم مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم عزل عن ذلك ثم صار ثانيا مدرسا بها ثم اضرت عيناه وعجز عن اقامة التدريس وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد مات وهو على تلك الحال في سنة أربع أو خمس وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا عابدا زاهدا محبا للخيرات والصلاح وكان صاحب أخلاق حميدة وكان صحيح العقيدة حسن السمت وله حاشية على شرح هداية الحكمة لمولانا زاده روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى علاء الدين على ابن صالح)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل عبد الواسع وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة ايزيد باشا بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الفرهادية

المقدم ذكره وكان فاضلا في الأدب وعلم الهيئة سمع بحلب من الخطيب أبي طاهر هاشم بن أحمد الحلبي وغيره سمع منه الحافظان أبو القاسم بن عساكر وأبو سعيد سفيان بن السمعاني وذكراه في كتابيهما وكذلك أبو المعالي الحظيري وذكره في كتاب الملح أيضا وكان هو وابن منير المذكور في حرف الهمزة شاعري الشام في ذلك العصر وجرت بينهما وقائع وماجريات وملح ونوادر وكان ابن منير ينسب إلى التحامل على الصحابة رضي الله عنهم ويميل للتشيع فكتب إليه ابن القيسراني المذكور وقد بلغه أنه هجاه قوله

ابن منير هجوت مني * حبرا أفاد الورى صوابه

٣ ولم تضيق بذاك صدري * فإن لي أسوة الصحابه

ومن محاسن شعره قوله كم ليلة بت من كاسي وريقته * نشوان أمزج سلسالا بسلسال

وبات لا تحتمي عني مراشفه * كأنما ثغره ثغر بلا والي

وظفرت بديوانه وجميعه بخطه وأنا يومئذ بمدينة حلب ونقلت منه أشياء حسنة فمن ذلك قوله في مدح خطيب

شرح المنبر صدرا * لتلقيك رحيبا أترى ضم خطيبا * منك أم ضمخ طيبا

وهذا الجناس في غاية الحسن ثم وجدت هذين البيتين لأبي القاسم زيد بن أبي الفتح أحمد بن عبيد بن فضيل الموازيني الحلبي المعروف بأبي الطاهر وأن ابن القيسراني المذكور أنشدهما للخطيب بن هاشم لما تولى خطابة حلب فنسبا إليه ورأيت الأول على هذه الصورة وهو قد زها المنبر عجبا * إذ ترقيت خطيبا

وله في الغزل بالسفح من لبنان لي * قمر منازله القلوب

حملت تحيته الشمال * فردها عني الجنوب فرد الصفات غريبها * والحسن في الدنيا غريب

لم أنس ليلة قال لي * لما رأى جسدي يذوب ٣ بالله قل لي يا فتى * ما تشتكي قلت الطبيب

وله أيضا وقالوا لاح عارضه * وما ولت ولايته فقلت عذار من أهوى * امارته امارته

ومن معانيه البديعة قوله من جملة قصيدة رائقة

هذا الذي سلب العشاق نومهم * أما ترى عينه ملأى من الوسن

وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبي في مدح سيف الدولة بن حمدان

نهبت من الأعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

وكان كثير الإعجاب بقوله من جملة قصيدة

وأهوى الذي أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى في وجهه أثر الترب

وحضر مرة في سماع وكان المغني حسن الغناء فلما طربت الجماعة وتواجدوا قال

والله لو أنصف العشاق أنفسهم * فدوك منها بما عزوا وما هانوا

ما أنت حين تغني في مجالسهم * إلا نسيم الصبا والقوم أغصان

أنشدني صاحبنا الفخر إسحق بن المختص الإربلي لنفسه دوبيت وأخبرني أنه كان في مجلس وفيه جماعة من أرباب القلوب فلما طابت الجماعة كان هنالك فرش منضودة على كراسي فتساقطت قال فعملت في الحال

داعي النغمات حلقة الشوق طرق * وهنا فأجابه شجون وحرق

لو أسمع صخرة لخرت طربا * من نغمته فكيف قطن وخرق

وكانت ولادة ابن القيسراني المذكور سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعكا وتوفي ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بمدينة دمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس رحمه الله تعالى والخالدي بفتح الخاء المعجمة وبعد الألف لام ثم دال مهملة هذه النسبة إلى خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه هكذا يزعم أهل بيته وأكثر المؤرخين وعلماء الأنساب يقولون إن خالدا رضي الله عنه لم يتصل نسبه بل انقطع منذ زمان والله أعلم والقيسراني بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى قيسارية وهي بليدة بالشام على ساحل البحر

٣ قوله ولم تضيق هكذا بالأصل وهو غير مستقيم الوزن فلعله وإن تضيق أو ولا يضيق فليحرر

٣ وفي رواية بدل البيت الأخير بالله قل لي من أعلك يا فتى قلت الطبيب

بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة قبلوجه ثم صار مدرسا بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم صار مدرسا بإحدى المدرستين المتجاورتين فيها ثم صار مدرسا بإحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم صار قاضيا بها وتوفي قاضيا بها في سنة خمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا وكانت له مشاركة في العلوم وكانت له مهارة في الإنشاء كان يكتب الخط الحسن وترجم كتاباله ودمنه بالتركية بإنشاء لطيف في الغاية وكان صاحب أخلاق حسنة وأدب ووقار رقح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى صالح الشهير بصالح الأسود)

قرأ على علماء عصره ثم وصل إلى خدمة المولى محمد ابن علي الجمالي المفتي المشتهر بزنبيلي جلبي ثم وصل إلى خدمة المولى خير الدين معلم السلطان سلطاننا الأعظم

(ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ثابت بن ابراهيم بن فرج الكنانى المقرى الاديب الشافعى الخامى المصرى المعروف بابن الكيزانى الشاعر المشهور)

كان زاهدا ورعا وبمصر طائفة ينسبون اليه و يعتقدون مقالته وله ديوان شعر أكثره فى الزهد ولم أقف عليه وسمعت له بيتا واحدا أعجبنى وهو واذا لاق بالمحب غرام * فكذا الوصل بالحبيب يليق
وفى شعره أشياء حسنة وتوفى ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الاول وقيل بل توفى فى المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة بمصر ودفن بالقرب من قبة الامام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة الصغرى ثم نقل الى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بام مودود وقبره مشهور هنالك يزار وزرته مرارا رحمه الله تعالى والكيزانى بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاى و بعد الالف نون هذه النسبة الى عمل الكيزان وبيعها وكان بعض أجداده يصنع ذلك والله أعلم

(ابو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد المعروف بالابله البغدادى الشاعر المشهور)

احد المتأخرين المجيدين جمع فى شعره بين الصناعة والرقة وله ديوان شعر بأيدى الناس كثير الوجود وذكره العماد الكاتب الاصبهانى فى كتابه الذى سماه الخريدة فقال هو شاب ظريف يتزيا بزى الجند رقيق أسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ أرق من النسيم السحرى وأحسن من الوشى التسترى وكل ما ينظمه ولوانه يسير يسير والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوم على عذب المشرب ثم قال أنشدنى لنفسه من قصيدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ببغداد

زار من أحيا بزورته * والدجى فى لون طرته   قمر يثنى معاطفه * بانة فى طى بردته
بت أستجلى المدام على * غرة الواشى وغرته   يا لها من زورة قصرت * فأماتت طول جفوته
آه من تقصيره وعلى * وشفتيه من برد ريقته   بأبى فى الحسن من صنم * كلنا من جاهليته

ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

ومن رقيق شعره قوله فى الغزل من قصيدة

دعنى أكابد لوعتى وأعانى * أين الطليق من الاسير العانى * آليت لا أدع الملام يغرنى
من بعد ما أخذ الغرام عنانى * أولا تروض العاذلات وقد أرى * روضات حسن فى خدود حسان
والبدر يلتمس السلو ولم أزل * حى الصبابة ميت السلوان * يا برق ان تجف العقيق فطالما
أغنته عنك سحائب الاجفان * هيهات أن أنسى وربك وقفة * فيها أغير بها على الغيران
ومهفهف ساجى اللحاظ حففته * فأضاعنى وأطعته فعصانى * يعصى قلوب العاشقين بمقلة
طرف السنان وطرفها سيان * خنث الدلال بشعره وبثغره * يوم الوداع أضلنى وهدانى
ما قام معتدلا يهز قوامه * الا وبانت خجلة فى البان * يا أهل نعمان الى وجناتكم
تعزى الشقائق لا الى نعمان * ما يفعل المران من يد قلب * فى القلب فعل مرارة الهجران

وهى قصيدة طويلة ومديحها جيد وجميع شعره على هذا الاسلوب والنسق ومخالصه من الغزل الى المدح فى نهاية الحسن وقل من يلحقه فيها فمن ذلك قوله من قصيدة أولها

جنيت جنى الورد من ذلك الخد * وعانقت غصن البان من ذلك القد

فلما انتهى الى مخلصها قال

لئن وقرت يوما بسمعى ملامة * لهند فلا عفت الملامة فى هند * ولا وجدت عينى سبيلا الى البكا
ولا بت فى أسر الصبابة والوجد * وبعت بما ألقى ورحت مقابلا * سماحة مجد الدين بالكفر والجحد

وقوله

ثم صار مدرسا بمدرسة حكمه جيه ثم صار مدرسا بمدرسة قبلوجه ثم صار مدرسا بمدرسة ككوزه ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة ادرنة ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان وتوفى وهو مدرس بها فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا كاملا متعبدا متزهدا وكان سليم الطبع حليم النفس محبا للخير روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى أبو الليث)

قرأ على علماء عصره ثم صار معيدا لدرس المولى الشهير بقميرى ثم صار مدرسا بكوتاهيه ثم صار مدرسا بمدرسة المولى ابن الحاج حسن بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير محمود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بدمشق الشام وتوفى وهو قاض بها فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا متورعا كثير الخير حسن العقيدة أديبا وقورا روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

وقوله من قصيدة أخرى فلا وجد سوى وجدي بليلى * ولا مجد كمجد بن الدوامي

وقوله في قصيدة أخرى فاقسم اني في الصبابة واحد * وأن كمال الدين في الجود واحد

الى غير ذلك وكانت وفاته على ما قاله ابن الجوزي في تاريخه في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في باب ابرز محاذي الناحية رحمه الله تعالى والابله معروف فلا حاجة الى ضبطه وانما قيل له ابله لانه كان فيه شرف بله وقيل لانه كان في غاية الذكاء وهو من أسماء الاضداد كما قيل للاسود كافور وكان له ميل الى بعض أبناء البغاددة فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب قال العماد الكاتب وأنشدنيه دارك يا بدر الدجى جنة * بغيرها نفسي ما تلهو
وقد روي في خبر ان أكثر أهل الجنة البله ولابن التعاويذي المذكور بعده فيه هجاء أفحش فيه فأضربت عن ذكره مع انه أبيات جيدة والله أعلم

(ابو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور)

كان أبوه مولى لبني المظفر واسمه نشتكين فسماه ولده المذكور عبيد الله وهو سبط أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي وانما نسب الى جده المذكور لانه كفله صغيرا ونشأ في حجره فنسب اليه وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل فان ذلك يختلف بميل الطباع ولله در القائل
* وللناس فيما يعشقون مذاهب * وكان كاتبا بديوان المقاطعات ببغداد وعمي في آخر عمره سنة ٧٩ وله في عماه أشعار كثيرة يرثي بها عينيه ويندب زمان شبابه وتصرفه وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى وعمل له خطبة ظريفة ورتبه أربعة فصول وكل ما جدده بعد ذلك سماه الزيادات فلهذا يوجد ديوانه في بعض النسخ خاليا من الزيادات وفي بعضها مكملا بالزيادات ولما عمي كان باسمه راتب في الديوان فالتمس أن ينقل باسم أولاده فلما نقل كتب الى الامام الناصر لدين الله هذه الابيات يسأله أن يجدد له راتبا مدة حياته وهي

خليفة الله أنت بالدين والدنيا وأمر الاسلام مضطلع
أنت لما سنه الائمة أعـ * ـلام الهدى مقتف ومتبع
قد عدم العدل في زمانك والجـ * ـور معا والخلاف والبدع
فالناس في الشرع والسياسة والاحسان والعدل كلهم شرع
يا ملكا يردع الحوادث والايام عن ظلمها فترتدع
ومن له أنعم مكررة * لنا مصيف منها ومرتبع
أرضي قد أجدبت وليس لمن * أجدب يوما سواك منتجع * ولي عيال لا در درهم
قد أكلوا دهرهم وما شبعوا * لو وسموني وسم العبيد وبا * عوني بسوق الاعراب ما قنعوا
اذا رأوني ذا ثروة جلسوا * حولي ومالوا الي واجتمعوا
وطالما قطعوا حبالي اعـ * ـراضا اذا لم تكن معي قطع
يمشون حولي شتى كأنهم * عقارب كلما سعوا لسعوا
فمنهم الطفل والمراهق والرضيع يحبو والكهل واليفع
لا فارح منهم أؤمل أن * ينالني خيره ولا جذع * لهم حلوق تفضي الى معد
تعمل في الاكل فوق ما تسع * من كل رحب المعاء أجوفه * ناري الحشا لا يمسه الشبع
لا يحسن المضغ فهو يزلق في * فيه بلا كلفة ويبتلع * ولي حديث يلهو بجيب من
يوسع لي خلقه فيستمع * نقلت رسمي جهلا الى ولد * لست بهم ما حييت انتفع

(ومنهم العالم الفاضل المولى فخر الدين بن محمد بن يعقوب المار ذكره) قرأ على علماء عصره منهم المولى الوالد والمولى شجاع ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل سيدي جلبي وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة ازنيق ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين فيها ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها في سنة ست وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى فاضلا ذكي الطبع صاحب أخلاق جميلة وكان سليم الطبع حليم النفس أديبا لبيبا وقورا صبورا مات في عنفوان شبابه روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى مصلح الدين مصطفى الشهير بصدر) قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس حتى صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بمكة المشرفة ثم عزل عن ذلك ومات بموضع قريب من

نظرت في نفعهم وما أنا في اجتلاب نفع الاولاد مبتدع * وقلت هذا بعدي يكون لكم
فما أطاعوا أمري ولا سمعوا * واختلسوه مني فما تركوا * عيني عليه ولا يدي تقع
فبئس والله ما صنعت فاضررت بنفسي و بئس ما صنعوا
فان أردتم أمرا يزول به الخصام من بيننا و يرتفع
فاستأنفوا لي رسما أعود على * ضنك معاشي به فيتسع * وان زعمتم اني أتيت بها
خديعة فالكريم يخدع * حاشا لرسم الكريم يسمح من * تسعدوا و بينكم فينقطع
تو قعوا لي بما سألت فقد * اطمعت نفسي واستحكم الطمع * ولا تطيلوا معي فلست ولو
دفعتموني بالراح أندفع * وحلفوني أن لا اعود يدي * ترفع في نقله ولا تضع

فما ألطف ما توصل به الى بلوغ مقصوده بهذه الابيات التي لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته فانعم عليه أمير المؤمنين بالراتب فكان يصله بصلة من انشكار الردى * فكتب الى فخر الدين صاحب المخزن أبياتا يشكو من ذلك أولها

مولاي فخر الدين أنت الى الندى * عجل وغيرك نجمه متباطي

ومنها

حاشاك ترضى أن تكون جرايتي * كجراية البواب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها * ما بين طسوج الى قيراط
اخنت على الحادثات وأفرطت * في الرداءة اعا افراط * قد كدرت حسي المصفى وغيرت
طبعي السليم وعفنت اخلاطي * فتول تدبيري فقد أتممتها * أشكو من مرضي الى بقراط

وكان وزير الديوان العزيز شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن ابراهيم التميمي وزير الامام المستنجد بالله المعروف بابن البلدي وقد عزل أرباب الدواوين وحبسهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم فعمل سبط ابن التعاويذي المذكور في ذلك قوله

يا قاصدا بغداد حد عن بلدة * للجور فيها زخرة وعباب * ان كنت طالب حاجة فارجع فقد
سدت على الراجين بها الابواب * ليست وما بعد الزمان كعهدها * أيام يعمر ربعها الطلاب
وتحلها الرؤساء من ساداتها * والجلة الادباء والكتاب
والدهر في أولى حداثته ولأ يام فيها نضرة وشباب
والفضل في سوق الكرام يباع بالـ * غالي من الاثمان والآداب
بادت وأهلوها معافيبو تهم * ببقاء مولانا الوزير خراب
وارتهم الاحداث أحياءهم * لجنادل من فوقهم وتراب
فهم خلود في محابسهم يصب عليهم بعد العذاب عذاب
لا يرتجى منها اياب وهل * يرجى لسكان القبور اياب * والناس قد قامت قيامتهم فلا
أنساب بينهم ولا أسباب * والمرء يسلمه أبوه وعرسه * ويخونه القرباء والاحباب
لا شافع تغني شفاعته ولا * جان له مما جناه متاب * شهدوا معادهم فعاد مصدقا
من كان قبل بعثه يرتاب * حشر وميزان وعرض جرائد * وصحائف منشورة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى * وسلاسل ومقامع وعذاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به * في الحشر الا راحم وهاب

وله في الوزير المذكور

يا رب أشكو اليك ضرا * أنت على كشفه قدير * أليس سمرنا الحزمات * فيه أبو جعفر وزير

وذكر محب الدين المعروف بابن النجار في تاريخ بغداد ان الامام المستنجد بالله توفي يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسمائة وتولى بعده ولده المستضيء بأمر الله وجلس للمبايعة يوم الثلاثاء ثاني اليوم المذكور فخرج أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج المذكور عقيب هذا ومعه ابن السيتي فقال له ان

قسطنطينية كان رحمه الله تعالى صالحا عالما فاضلا حليم النفس صحيح العقيدة محبا للخير وقد انتسب في بعض أوقاته الى الطريقة الصوفية ووصل الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى السيد علي بن ميمون المغربي روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى شيخ محمد الشهير بشيخي جلبي)

قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى محيي الدين الفناري ثم وصل الى خدمة المولى الاسود ثم صار مدرسا بمدرسة المولى خسرو بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة أحمد باشا ابن ولي الدين بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مراد باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة طرابوزان ثم صار مدرسا بمدرسة أبي أيوب الانصاري عليه رحمة الملك الباري ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها في سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا محققا مدققا سليم الطبع كريم النفس محمود الطريقة مرضي السيرة وكان متواضعا متخشعا صحيح العقيدة محبا للخير وكان رحمه الله لا يذكر أحدا الا بخير روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

يا خليفة قد تقدم أن يستوفى القصاص من هذا وأشار الى الوزير فأخذ وسحب وقطع أنفه ويداه ورجلاه ثم ضربت رقبته وجمع فى ترس وألقى فى دجلة وكان هذا الوزير قد قطع أنف أم السبتى المذكور ويدى أخيه ورجليه فى أيام ولايته فاقتص منه فى هذا اليوم نعوذ بالله من سوء العاقبة وكتب سبط ابن التعاويذى الى ضياء الدين أبى الفرج محمد بن الناظر وهو من أبناء مواليه يطلب منه شعيرا لفرسه وهو الذى فعل بالوزير ابن يباذى تلك الفعلة المذكورة قبل هذا

مولاى يا من له أياد * ليس الى عدها سبيل ومن اذا قامت العطايا * بجوده وافر جزيل
اليمات جارت المبالى * تأوى وفى ظله تقيل ان كميتى العتيق سنا * له حديث معى يطول
كان شرائى له فضولا * فاعجب لما يجلب الفضول كلفته سلما لارحلى * تقاب تطوى به الخيل
ولم أخل للشقاء أنى * أثقل أعبائه حمول فان أكن عاليا عليه * فهو على كاهلى ثقيل
أزهد كاليوم ليس فيه * خير كثير ولا قليل ليس له غير حسيد * ولا له منظر جميل
وهو حرون وفيه بله * ولا جواد ولا ذلول لا كفل يجتليه * اذا رآه ولا تليل

مقصر ان مشى ولكن * ان حضر الأكل مستطيل
يجيبه التبن والشعير الـ * ـمغسول والقت والقصيل
اذا رأى عكرشا رأيت اللعاب من شدقه يسيل
وليس فيه من المعانى * شئ سوى أنه أكول * فهب له اليوم ما تشتى
وهب من بعض ما تنيل * ولا تقل ان ذا قليل * فالبعض منك جليل

وانما أوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستملحة وأما قصائده المشتملة على النسيب والمديح فانها فى غاية الحسن وصنف كتابا سماه الحجبة والحجاب يدخل فى مقدار خمس عشرة كراسة وأطال الكلام فيه وهو قليل الوجود وذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة أن ابن التعاويذى المذكور كان صاحبه لما كان بالعراق فلما انتقل العماد الى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب اليه ابن التعاويذى رسالة وقصيدة يطلب منه فروة وذكر الرسالة وهى وقد كلفه كارمه وان لم يكن للجود عليها كلفه وأتحفه بأوجه اليمن آماله وهو لعمر الله تحفه أهدى فروة دمشقية سرية تقيه بلين لمسها وزين لبسها ودباغتها لطيفة وخياطتها نظيفة طويلة كطوله سابغة كأنعمه سابغة تذكره جميله كفعله واسعة كصدره نقية كعرضه رفيعة كقدره موشية ككلامه ونثره ظاهرها كظاهره وباطنها كباطنه يتجمل بها اللابس ويتحلى بها المجالس وهى لخادمه سربال وله من الله تعالى جمال يشكره عليها من لم يلبسها ويثنى عليه بها من لم يتدرعها يذهب حيلها وبرها ويبقى حمدها وأثرها ويخلق اهابها وجلدها ويتجدد شكرها وحمدها وقد نظم أبياتا تركب فى نظمها الغرر وأهدى بها التمر الى هجر الا أنه قد عرض الطيب على عطاره ووضع الثوب فى يد بزازه وأرسل الثناء فى محله وجمع بين الفضل وأهله وهو فى حسنه وحقارته كرمه ثم ذكر القصيدة التى أولها بأبى من ذبت فى الحب له شوقا وصبوه وهى موجودة بأيدى الناس فى ديوانه وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروى أيضا وهما طويلتان وذكر العماد الكاتب قبل ذكر الرسالة والقصيدة فى حقه فقال هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروة وأبوة وفتوة جمعنى واياه صدق العقيدة فى عقد الصداقة وقد كملت به أسباب الظرف واللطف واللباقة ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها وهذه الرسالة لم أر مثلها فى بابها سوى ما سيأتى فى ترجمة بهاء الدين بن شداد فى حرف الباء ان شاء الله تعالى فان ابن خروف المغربى كتب اليه رسالة بديعة يستجديه فروة فيها * وكانت ولادة أعنى ابن التعاويذى المذكور فى العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفى فى ثانى شوال سنة أربع وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن فى باب أبرز رحمه الله تعالى وقال ابن النجار فى تاريخه مولده يوم الجمعة ومات يوم السبت ثامن عشر شوال والتعاويذى بفتح التاء المثناة من

(ومنهم العالم الفاضل المولى سنان الدين يوسف الشهير بكوبريلى زاده) قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى سيدى الاسود والمولى محمد الساميسونى ثم توطن بمدينة كفه وأفتى هنالك وانتفع به الناس ثم صار مدرسا بمدرسة ايلك بمدينة قسطمونى ثم صار مدرسا بمدارس أخر ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة اماسيه ثم صار مدرسا ومفتيا بمدينة اماسيه ثم عين له كل يوم سبعون درهما بطريق التقاعد ثم صار مفتيا ثانيا بالبلدة المزبورة ومات وهو مفت بها فى سنة اثنتين أو احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا محققا مدققا عالما بالعلوم العربية وماهرا فى العلوم الشرعية وكان سليم الطبع سليم النفس صاحب أدب ووقار وكان صحيح العقيدة محبا للخير وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن أحوال الدنيا محبا للفقراء روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى علاء الدين على ابن الشيخ العارف بالله تعالى عبد الرحيم المؤيد المشهور بعجم جلبى)

فوقها والعين المهملة وكسر الواو بعد ألف و بعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ذال معجمة هذه النسبة الى كتبة التعاويذ وهي الحروز واشتهر بها أبو محمد المبارك ابن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد المقدم ذكره في أول هذه الترجمة وكان صالحا ذكره ابن السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الانساب وقال لعل أباه كان يرقي ويكتب التعاويذ وسمع منه ابن السمعاني المذكور وقال سألته عن مولده فقال ولدت في سنة ست وتسعين وأربعمائة بالكرخ وتوفي في جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ودفن بمقابر الشونيزي رحمه الله تعالى وقال ابن السمعاني أنشدني أبو محمد المبارك المذكور لنفسه قوله

اجعل همومك واحدا * وتخل عن كل الهموم
فعساك أن تحظى بما * يغنيك عن كل العلوم

ثم قال ابن التعاويذي ما قلت من الشعر غير هذين البيتين ونشتكين بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف و بعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون وهو اسم أعجمي تسمى به المماليك وقد تقدم في أول الترجمة انه كان من مماليك أحد بني المظفر رئيس الرؤساء وله فيهم مدائح بديعة وأفرد مدائحهم في فصل من الفصول الاربعة المرتبة في ديوانه لكونهم مواليه وكانوا يحسنون اليه والله أعلم

(ابو الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطي الهرثي الملقب نجم الدين الشاعر المشهور)

وكان شاعرا رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع يكاد شعره يذوب من رقته وهو أحد من سار شعره وانتشر ذكره ونبه بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال في نظم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره وأكثر القول في الغزل والمدح وفنون المقاصد وكان سهل الالفاظ صحيح المعاني يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند أكثر الناس ومالوا اليه وحفظوه وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستحلاه السامعون سمعت من جماعة من مشايخ البطائح يقولون ما سبب لطافة شعر ابن المعلم الا انه كان اذا نظم قصيدة حفظها الفقراء المنتسبون الى الشيخ أحمد ابن الرفاعي المقدم ذكره في حرف الهمزة وغنوا بها في سماعهم وطابوا عليها فعادت عليه بركة أنفاسهم ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقادا لا شك عندهم فيه وبالجملة فشعره يشبه النوح ولا يسمعه من عنده أدنى هوى الا افتتن وهاج غرامه وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذي المذكور قبله تنافس وهجاه ابن التعاويذي بابيات جيمية لا حاجة الى ذكرها ولابن المعلم قصيدة طويلة أولها

ردوا على شوارد الاظعان * ما الدار ان لم تغن من أوطاني
ولكم بذاك الجزع من متمنع * هزأت معاطفه بغصن البان
أبدي تلونه بأول موعد * فمن الوفي لنا بوعد ثاني
فمتى اللقاء ودونه من قومه * أبناء معركة وأسد طعان
نقلوا الرماح وما أظن أكفهم * خلقت لغير ذوابل المران
وتقلدوا بيض السيوف فما ترى * في الحي غير مهند وسنان
ولئن صددت فمن مراقبة العدا * ما الصد عن ملل ولا سلوان
يا ساكني نعمان أين زماننا * بطويلع يا ساكني نعمان

وله من أخرى

كم قلت اياك العقيق فانه * ضربت بحا ذره بصيد أسوده
واردت صيدمها الحجاز فلم يسا * عدك القضاء فرحت بعض صيوده

وله من أخرى

احبوا انثاك الدموع التي جرت * رخاصا على أيدي النوى لغوالي
أقيموا على الوادي ولو عمر ساعة * كلوث ازار أو كحل عقال
فكم ثم لي من وقفة لو شريتها * بنفسي لم أغبن فكيف بمالي

وله من أخرى

فما باضمت عليه شفاههم * من قرقف في لؤلؤ مكنون

قرأ رحمه الله على علماء عصره واشتهرت فضائله بين الطلبة ثم صار مدرسا بمدرسة ديمه توقه ثم صار مدرسا بمدرسة المولى ابن الحاج حسن بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم صار مدرسا بمدرسة أبي أيوب الانصاري رحمه الله تعالى الملك الباري ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها في سنة أربع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا كاملا ذكيا سليم الطبع قوي الفطنة مشاركا في العلوم كلها وكان عالما بالعلوم العربية غاية المعرفة وكان ينظم القصائد العربية وله منشآت بالعربية وكان كريما حليما أديبا لبيبا حسن الصحبة مرضي السيرة صحيح العقيدة وله تعليقات على بعض الكتب لكنها لم تظهر لوفاته في سن الشباب روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد بن عبد الله الشهير بعبد بك)

كان من عبيد السلطان بايزيد خان فرغب في العلم والمعرفة وترك طريق الامارة وسلك طريق العلم وقرأ على علماء عصره منهم

ان شارف الحادي العذيب لاقضين * نحبي ومن لي أن تبر يميني
لولم يكن آثار ليلى والهوى * بتلاعه مارحت كالمجنون

كان سبب عمل هذه القصيدة ان ابن المعلم المذكور والابله وابن التعاويذي المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صردر المقدم ذكره في حرف العين التي أولها

أكذا يجازى ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين

هي من نخب القصائد أعجبتهم فعمل ابن المعلم من وزنها هذه القصيدة وعمل ابن التعاويذي من وزنها قصيدة أبدع منها وأرسلها الى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وهو بالشام يمدحه بها وأولها

ان كان دينك في الصبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين

وعمل الابله قصيدة أخرى وأحسن الكل قصيدة ابن التعاويذي وحكي عن ابن المعلم المذكور انه قال كنت ببغداد فاجتزت يوما بالموضع الذي يجلس فيه أبو الفرج بن الجوزي للوعظ فرأيت الخلق مزدحمين فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال هذا ابن الجوزي الواعظ جالس ولم أكن علمت بجلوسه فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهدا على بعض اشاراته ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول

يزداد في مسمعي تكرار ذكركم * طيبا ويحسن في عيني تكرره

فعجبت من اتفاق حضوري واستشهاده بهذا البيت من شعري ولم يعلم بحضوري لا هو ولا غيره من الحاضرين وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة وفي وقعة الجمل على البصرة قبل مباشرة الحرب أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما الى طلحة والزبير رضي الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع في القتال ثم قال له لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا أنفه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه ألين عريكة منه وقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا وعلي رضي الله عنه أول من نطق بهذه الكلمة فأخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال

منحوا بالجزع السلام وأعرضوا * بالغور عنه فما عدا مما بدا

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة ورسالة نقلها في كتاب نهج البلاغة ولابن المعلم في أثناء قصيدة أيضا

يوهي قوى جلدي من لا أبوح به * ويستبيح دمي من لا أسميه
قسما فما في لساني ما يعاتبه * ضعفا ولي في فؤادي ما يقاسيه

ولا حاجة الى الاطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس وكانت ولادته في ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة احدى وخمسمائة وتوفي رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالهرث رحمه الله تعالى والهرث بضم الهاء وسكون الراء وبعدها ثاء مثلثة وهي قرية من أعمال نهر جعفر بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ وكانت وطنه ومسكنه الى ان توفي بها رحمه الله تعالى

(أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الاربلي أصلا ومنشأ البحراني مولدا الشاعر المشهور)

كان اماما مقدما في علم العربية متفننا في أنواع الشعر ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي وأحذقهم بنقد الشعر وأعرفهم بجيده من رديئه وأدقهم نظرا في اختياره واشتغل بشيء من علوم الاوائل وحل كتاب اقليدس وبدأ بنظم الشعر وهو صبي صغير بالبحرين جريا على عادة العرب قبل أن ينظر في الادب وهو شيخ أبي البركات ابن المستوفي صاحب تاريخ اربل المقدم ذكره وعليه اشتغل بعلوم الشعر وبه تخرج وقد ذكره في تاريخه وعدد فضائله وقال كان شيخنا أبو الحرم مكي الماكسيني النحوي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى يراجعه كثيرا من المسائل المشكلة في النحو وكان يرجع اليه في أجوبة ما يورد عليه وكان قد رحل الى شهرزور وأقام بها مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقصيدة طويلة وله ديوان شعر

المولى شيخ مظفر الدين العجمي والمولى محيي الدين الفناري والمولى بير أحمد جلبي ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مراد باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة ادرنه ثم ظهر اختلال في دماغه وترك التدريس ولما برئ ركب البحر وسافر الى مصر المحروسة فأخذته النصارى وأسروا في أيديهم واسترده بعض أصدقائه منهم ولما أتى قسطنطينية أعطاه سلطاننا الاعظم سلطانية بروسه ثم صار مدرسا بمدينة السلطان بايزيد خان بمدينة أدرنه ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم عزل عن ذلك وأتى مدينة قسطنطينية واختل مزاجه غاية الاختلال وأعطي في أثناء ذلك المرض قضاء مصر فسافر في أيام الشتاء ومات في بلدة كوتاهيه في سنة خمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى أديبا لبيبا وقورا حليما كريما محبا للعلم وأهله ومحبا لطريقة الصوفية وكانت له مشاركة في العلوم وكان ماهرا في العلوم العقلية عارفا بالعلوم الرياضية وله تعليقات على بعض الكتب وقد ملك كتبا كثيرة طالع

جيد ورسائل حسنة وكان في الشعر في طبقة معاصريه ممن تقدم ذكرهم ومن شعره قصيدة يمدح بها زين الدين أبا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب اربل وقد تقدم ذكره في ترجمة أخيه مظفر الدين في حرف الكاف وأولها

ربّ دار بالفضا طال بلاها * عكف الركب عليها فبكاها
درست الا بقايا أسطر * سمح الدهر بها ثم محاها
كان لي فيها زمان وانقضى * فسقى الله زماني وسقاها
وقفت فيها الغوادي وقفة * ألصقت حرّ حشاها بثراها
وبكت أطلالها نائبة * عن جفوني أحسن الله جزاها
قل لجيران مواثيقهم * كلما أحكمتها رثت قواها
كنت مشغوفا بكم اذ كنتم * شجرا لا يبلغ الطير ذراها
لا تبيت الليل الا حولها * حرس ترشح بالموت ظباها
واذا مدت الى أغصانها * كف جان قطعت دون جناها
فتراخى الامر حتى أصبحت * هملا يطمع فيها من يراها
تتغصب الارض فلا أقربها * رائدا الا اذا عز حماها
لا ترانى الله أرعى روضة * سهلة الا كناف من شاء رعاها
واذا ما طمع أغرى بكم * عرض اليأس لنفسى فثناها
فصبابات الهوى أولها * طمع النفس وهذا منتهاها
لا تظنوا لى اليكم رجعة * كشف التجريب عن عيني عماها
ان زين الدين أولانى يدا * لم تدع لى رغبة فيما سواها

وهي طويلة أجاد في مدحها وكان أبوه من أهل اربل وصنعته التجارة وكان يتردد من اربل الى البحرين ويقيم بها مدة لتحصيل اللآلئ من المغاصات اسوة أمثاله من التجار فاتفق أن ولد له هنالك الموفق أبو عبد الله المذكور ثم انتقل الى اربل فنسب الى البحرين لهذا السبب وله معنى مليح في غلام اسمه السهم وقد التحى وهو

قالوا التحى السهم قلت حصن * حاشاك فالآن لا يطيش
فالسهم لا ينفذ الرمايا * الا اذا كان فيه ريش

وتوفي ليلة الاحد ثالث شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وخمسمائة باربل ودفن بمقبرة أهله قبلي البست م رحمه الله تعالى والبحراني بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء وبعد الالف نون هذه النسبة الى البحرين المقدم ذكرها وهي بليدة بالقرب من هجر قال الازهري وانما سميت البحرين لان في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الاخضر عشر فراسخ وقدر البحيرة ثلاثة اميال في مثلها ولا يغيض ماؤها وهو راكد زعاق وحدث أبو عبيد عن أبي محمد اليزيدي قال سألني المهدي وسأل الكسائي عن النسبة الى البحرين وعن الحصنين لم قالوا حصني وبحراني فقال الكسائي كرهوا أن يقولوا حصناني لاجتماع النونين قال وقلت انا كرهوا أن يقولوا بحري فتشبه النسبة الى البحر والبست بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها واد عريض في وسط اربل تجري فيه مياه السيول في الشتاء والربيع فيه شئ كثير من الحجارة الصغار والله اعلم

(أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان الملقب فخر الدين البغدادي الفرضي الحاسب الاديب)

هو من أهل بغداد وانتقل الى الموصل وصحب جمال الدين الاصبهاني الوزير بها ثم تحول الى خدمة السلطان صلاح الدين فولاه دواوين ميافارقين فلم تعش له بها حال مع واليها فدخل الى دمشق وأجرى له بها رزق ولم يكن كافيا وكان يزجي به الوقت ثم ارتحل الى مصر في سنة ست وثمانين وخمسمائة ثم عاد منها الى دمشق وجعلها دار اقامته وله أوضاع بالجداول وغيرها من الفرائض وصنف غريب الحديث في ستة عشر مجلدا طالعا ورمز فيه وفا يستدل بها على اماكن الكلمات المطلوبة منه وكان قلما بلغ من لسانه وجمع تاريخا وغير ذلك وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل وعده في زمرة الوافدين عليها وقال في حقه كان عالما فاضلا

متقنا

أكثرها روّح الله روحه ونور ضريحه
(ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى الشهير بجناستر لي جلبي)
قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل سيدي القراماني ثم صار مدرسا بمدرسة قصبة مناستر في ولاية روم ايلي ثم عزل عنها ثم صار مدرسا ثانيا بها ثم ترك التدريس واختار العزلة عن الناس واشتغل بالعلم والعبادة وأعطى المدرسة الحلبية بمدينة ادرنه ولم يقبلها وعين له كل يوم عشرون درهما ومات على تلك الحال في سنة خمس أو تسع وأربعين وتسعمائة كان عالما فاضلا صحيح الاعتقاد وكان صاحب صلاح وديانة وعبادة وكان بركة من بركات الله تعالى في الارض روّح الله تعالى روحه ونور ضريحه
(ومنهم العالم الفاضل المولى الشيخ ابراهيم الحلبي الحنفي خطيب جامع السلطان محمد خان بمدينة قسطنطينية)
كان رحمه الله تعالى من مدينة حلب وقرأ هناك على علماء عصره ثم ارتحل الى مصر المحروسة وقرأ

م قال المطرزي في كتاب المغرب البست كلمة فارسية وهو مفتح الماء في قسم النهر اه

متقنا وله شعر جيد وذكر الابيات التي مدح بها الشيخ تاج الدين أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي وقد ذكرتها في ترجمة الكندي وذكره أيضا العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وأورد له مقاطيع أحسن فيها فمن ذلك قوله في ابن الدهان المعروف بالناصح أبي محمد سعيد بن المبارك النحوي وقد سبق ذكره وكان مخلا باحدى عينيه

لا يبعد الدهان ان ابنه * ادهن منه بطريقين
من عجب الدهر تحدثه * بفرد عين وبوجهين

ومنه ما كتبه الى بعض الرؤساء وقد عوفي من مرضه

نذر الناس يوم برئك صوما * غير اني نذرت وحدي فطرا
عالما ان يوم برئك عيد * لا أرى صومه ولو كان نذرا

وله غير ذلك أناشيد حسان وكانت له اليد الطولى في النجوم وحل الازياج وتوفي في صفر سنة تسعين وخمسمائة بالحلة السيفية وكان سبب موته انه حج من دمشق وعاد على طريق العراق ولما وصل الى الحلة عثر جمله هنالك فاصاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته وكان شيخا دميم الخلقة مسود الوجه مسترسل اللحية خفيفها أبيض تعلوه صفرة رحمه الله تعالى وقيل انه كان يلقب برهان الدين والله أعلم أي ذلك كان وقد تقدم الكلام على الحلة فلا حاجة الى اعادته

(أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الانصاري الملقب شرف الدين الكوفي الاصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور)

كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل تفنن فيه وكان غزير المادة من الادب مطلعا على معظم أشعار العرب وبلغني انه كان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد في اللغة وكان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق سماها مقراض الاعراض وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس فلما خرج منها قال

فعلام أبعدتم أخا ثقة * لم يقترف ذنبا ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى المذكور في حرف الطاء وأقام بها مدة ثم رجع على طريق الحجاز الى الديار المصرية وعاد الى دمشق وكان يتردد منها الى البلاد ويعود اليها ولقد رأيته بعد بغداد بل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيأ وكان قد وصل اليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وأقام بها قليلا ثم سافر وكتب من بلاد الهند الى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين والثاني منهما لابي العلاء المعري استعمله مضمنا فكان أحق به وهما

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

فلله دره ما أحسن ما وقع له هذا التضمين وقد كرر هذا المعنى في مواضع من شعره فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة

ألا يا نسيم الريح من تل راهط * وروض الحمى كيف اهتديت الى الهند

وقوله من أبيات وهو في عدن اليمن

أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة * وهيهات أين الديلميات من عدن

الديلميات وتل راهط والحمى أسماء مواضع من ضواحي دمشق والبيت الذي للمعري قبله هو

حصل علماء الحديث والتفسير والاصول والفروع ثم أتى بلاد الروم وتوطن بقسطنطينية وصار اماما ببعض الجوامع ثم صار اماما وخطيبا بجامع السلطان محمد خان بقسطنطينية وصار مدرسا بدار القراء التي بناها المولى الفاضل سعدي جلبي المفتي ومات رحمه الله تعالى على تلك الحال في سنة ست وخمسين وتسعمائة وقد جاوز التسعين من عمره كان رحمه الله عالما بالعلوم العربية والتفسير والحديث وعلوم القراآت وكانت له يد طولى في الفقه والاصول وكانت مسائل الفروع نصب عينه وكان ورعا تقيا نقيا زاهدا متورعا عابدا ناسكا وكان يقرئ الطلبة وانتفع به كثيرون وكان ملازما لبيته مشتغلا بالعلم ولا يراه أحد الا في بيته أو في المسجد واذا مشى في الطريق يغض بصره عن الناس ولم يسمع منه أحد انه ذكر واحدا من الناس بسوء ولم يتلذذ بشيء من الدنيا الا بالعلم والعبادة والتصنيف والكتابة وله عدة مصنفات من الرسائل والكتب أشهرها كتاب في الفقه سماه ملتقى الابحر وله شرح على منية المصلي سماه غنية المتملي في شرح منية المصلي ما أبقى شيأ من مسائل الصلاة الا أوردها فيه مع ما فيها من الاختلافات على أحسن وجه وألطف

وسألت كربين العقيق الى الحمى * فعجبت من بعد المدى المتطاول

والمعرى أخذ هذا المعنى من دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المقدم ذكره فانه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هرون الرشيد فطلبه فهرب من العراق الى الديار المصرية وسكن في آخر بلادها وقال في ذلك

وان امرأ أضحت مطارح سهمه * بأسوان لم يترك من الحزم معلما

حللت محلا يقصر الطرف دونه * ويعجز عنا الطيف أن يتجشما

وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضا ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا في السفرة التي نفي فيها فسار متوجها الى دمشق وكتب الى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول اليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة وقد أحسن فيها كل الاحسان واستعطفه أبلغ استعطاف وأولها

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحوني بالكرى

ووصف في أثنائها دمشق وبساتينها وأنهارها ومواضع متنزهاتها ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيرا الى النفي منها

فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا * وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها

أشكو اليك نوى تمادى عمرها * حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى * يعفو ولا جفني يصافحه الكرى

أضحى عن الاحوى المريع محولا * وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم * كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

وهذه القصيدة من أحسن الشعر وعندي هي خير من قصيدة أبي بكر بن عمار الاندلسي التي أولها * أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته وهي على وزنها ورويها فلما وقف عليها الملك العادل أذن له في الدخول الى دمشق فلما دخلها قال

هجوت الاكابر في جلق * ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكنني * رجعت على رغم أنف الجميع

وكان له في حل الالغاز وحلها اليد الطولى فمن كتب اليه بشيء حله في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال نظما ولم يكن له غرض في جمع شعره فلذلك لم يدونه فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ماله من النظم ومع هذا ففيه أشياء ليست له وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق وهو

أشقق قلب الشرق حتى كأنني * أفتش في سودائه عن سنا الفجر

وبالجملة فمحاسن شعره كثيرة وكنت قد رأيته في المنام في بعض شهور سنة تسع وأربعين وستمائة وأنا يومئذ ذاك بالقاهرة المحروسة وفي يده ورقة حمراء وهي عريضة وفيها مقدار خمسة عشر بيتا تقريبا وهو يقول عملت هذه الابيات في الملك المظفر صاحب حماة وكان الملك المظفر في ذلك الوقت ميتا أيضا وكان في المجلس جماعة حاضرون فقرأ علينا الابيات فأعجبني منها بيت فرددته في النوم واستيقظت من المنام وقد علق بخاطري وهو

والبيت لا يحسن انشاده * الا اذا أحسن من شاده

وهذا البيت غير موجود في شعره وقد تقدم ذكره في ترجمة الامام فخر الدين الرازي وأبياته الغائية وكذلك في ترجمة سيف الاسلام وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم وفي مدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف وأقام في بيته ولم يباشر بعدها عملا

وكانت

قدس سره روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه وزاد في أعلى غرف الجنان فتوحه

* (ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد الحسيني الشهير بسيرك محيي الدين) *

كان رحمه الله تعالى من نواحي أنقره قرأ على علماء عصره منهم المولى سنان الدين يوسف الكرمياني والمولى سيدي محمد القوجوي والمولى مصلح الدين الشهير بابن البرسكي ثم صار معيدا لدرس المولى بالي الايديني ثم صار مدرسا بمدرسة أنقره ثم صار مدرسا بمدرسة مرزيفون ثم صار مدرسا بمدرسة توقات ثم صار معلما للسلطان محمد سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والغفران ثم توفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما عابدا فاضلا صالحا كاسليم الطبع متمسكا بالحق مجتنبا عن الباطل مراعيا لوظائف العبادات عالما بالعلوم العربية والاصول والفقه والكلام وكان مشتغلا بمطالعة التفسير وكان صحيح العقيدة محبا للفقراء والصلحاء والمساكين وكان محمود الطريقة متمسكا بالحق مجتنبا عن الباطل مراعيا لوظائف العبادات روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وتوفي عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضا ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة وهي بكسر الميم وتشديد الزاي قرية على باب دمشق رحمه الله تعالى قال ابن الدبيثي سمعته يقول ان أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار ونحن من الانصار قلت هكذا نقلته أولا ثم اني زرت قبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق فلما خرجت من تربته وجدت على باب قبرا كبيرا فقيل لي هذا قبر ابن عنين فوقفت وترحمت عليه وعنين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون والله أعلم

(أبو القاسم محمد ويدعى نزار بن المهدي أبي محمد عبيد الله القائم بالمغرب)

كان أبو القاسم المذكور يلقب بالقائم وقد تقدم ذكر والده المهدي في حرف العين وذكر ولده المنصور اسمعيل في حرف الهمزة وكان أبوه المهدي قد بايع له بولاية العهد في حياته بافريقية ومامعها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على رأسه ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جددت له البيعة وكان جهزه أبوه الى مصر ليأخذها مرتين المرة الاولى في الثامن عشر من ذي الحجة سنة احدى وثلثمائة فوصل الى الاسكندرية فملكها والفيوم وصار في يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها والمرة الثانية وصل الى الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة في عسكر عظيم فخرج عامل الامام المقتدر عنها ودخلها القائم المذكور ثم خرج الى الجيزة في خلق عظيم فخرج عامل الامام ووردت الاخبار بذلك الى بغداد فجهز المقتدر مؤنسا الخادم الى محاربته بالرجال والاموال فجد في السير فلما وصل الى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والاشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرت بين العسكرين حروب لا توصف ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والخيل فرجع الى افريقية وتبعه عسكر مصر الى أن تباعد عنهم وكان وصوله الى المهدية يوم الثلاثاء ثالث يوم من رجب من السنة المذكورة وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كنداد الخارجي وقد تقدم ذكره وماجرى له وكيف مات في الاسر في ترجمة المنصور والشرح في ذلك يطول وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية المذكورة في ترجمة والده المهدي في المحرم سنة ثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين وقيل سبع وسبعين ومائتين واستصحبه والده معه عند توجهه الى بلاد المغرب وتوفي يوم الاحد ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بالمهدية رحمه الله تعالى وأبو يزيد الخارجي محاصر له فقام بالامر ولده المنصور اسمعيل وكتم خبر موته خوفا من الخارجي أن يطلع عليه فيطمع فيه وكان بالقرب منه على مدينة سوسة فابقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولم يغير السكة والخطبة والبنود وبقي على ذلك الى أن فرغ من أمر أبي يزيد ثم أظهر وفاة أبيه وتسمى بالمنصور وأكثر من العطايا والصلات وكانت كتبه تنفذ من الامير اسمعيل ولي عهد المسلمين والله أعلم

(المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي اشبيلية ابن أبي الوليد اسمعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف ابن نعيم اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة)

كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة واشبيلية وما والاهما من جزيرة الاندلس وفيه وفي أبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بني المنذرين وهو انتساب * زاد في فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الاندلس أن نعيما وابنه عطافا أول من دخل اليها من بلاد المشرق وهما من أهل العريش القرية القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في أول الرمل من جهة الشام وأقاما بها مستوطنين بقرية يقرب تومين من اقليم طشانة من أرض اشبيلية وامتد لعطاف عمود النسب من الولد الى الظافر محمد بن اسمعيل القاضي فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم باشبيلية الى ان ولي القضاء

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد القوجوي الشهير بمحيي الدين الاسود)
قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة العالم الفاضل المولى حميد الدين بن أفضل الدين ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان مصطفى ابن سلطاننا الاعظم وتوفي رحمه الله تعالى وهو معلم له في قريب من سنة خمس وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما عاملا محبا للخير صدوقا بارا وكان مشتغلا بنفسه لا يذكر أحدا بسوء وكان صحيح العقيدة مستقيم الطريقة نور الله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل المولى خير الدين خضر)
كان رحمه الله تعالى أصله من بلدة مرزيفون وقرأ على علماء عصره واشتهر بالفضل بين أقرانه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان مصطفى ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان سلمه الله وأبقاه وتوفي وهو معلم له في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله حليم النفس كريم الطبع جيد القريحة مجتهدا في تحصيل العلوم ورأيت له تعليقات على بعض المواضع أجاد فيها وأحسن ورأيت له أيضا حواشي على قسم

بها فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم فرمقته القلوب وكان يحيى بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمستعلي صاحب قرطبة وكان مذموم السيرة فتوجه الى اشبيلية محاصرا لها فلما نزل عليها اجتمع رؤساء اشبيلية وأعيانها وأتوا القاضي محمدا المذكور وقالوا له أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس فقم بنا نخرج اليه ونملكك ونجعل الامر اليك ففعل وزحفوا الى يحيى فركب اليهم وهو سكران فقتل وتم له الامر ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد وقصته مشهورة ثم ظهر الذي زعم انه هشام بن الحكم آخر ملوك بني أمية بالاندلس الذي كان المنصور بن أبي عامر قد استولى عليه وحجبه عن الناس وكان يصدر الامور عن اشارته ولا يمكنه من التصرف وليس له سوى الاسم والخطبة على المنابر فانه كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعد تملكه واستيلائه على البلاد ان هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح فأرسل اليه من أحضره وفوض الامر اليه وجعل نفسه كالوزير بين يديه وفي هذه الواقعة يقول الحافظ أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب نقط العروس أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها فانه ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى انه هشام فبويع وخطب له على جميع منابر الاندلس في أوقات شتى وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش في أمره وأقام المدعي انه هشام نيفا وعشرين سنة والقاضي محمد بن اسمعيل في رتبة الوزير بين يديه والامر اليه ولم يزل الامر كذلك الى أن توفي المدعو هشاما فاستبد القاضي محمد بالامر بعده وكان من أهل العلم والادب والمعرفة التامة بتدبير الدول ولم يزل مالكا مستقلا الى أن توفي ليلة الاحد لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وقيل انه عاش قريب الخمسين وأربعمائة ودفن بقصر اشبيلية واختلفوا أيضا في مبدأ استيلائه فقيل سنة أربع عشرة وأربعمائة وهو الذي ذكره العماد الكاتب في الخريدة وقيل أربع وعشرين والله أعلم بالصواب في ذلك كله ولما مات محمد القاضي قام مقامه ولده المعتضد بالله أبو عمرو عباد قال أبو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة في حقه ثم أفضى الامر الى عباد سنة ثلاث وثلاثين وتسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة ناهيك من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم منه قريب ولا بعيد جبار أبرم الامر وهو متناقض وأسد فريس الطلا وهو رابض متهور تتحاماه الدهاة وجبان لا تأمنه الكماة متعسف اهتدى ومنبت قطع فما أبقى ظهرا والناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده وكان قد أوتي أيضا من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسباطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحدس ما فاق على نظرائه ونظر مع ذلك في الادب قبل ميل الهوى به الى طلب السلطان أدنى نظر بأزكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها ولا امعان النظر في غمارها ولا اكثار من مطالعتها ولا منافسة في اقتناء صحائفها أعطته نتيجته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة في معان أمدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الارادة واكتتبها الادباء للبراعة جمع هذه الخلال الظاهرة الى جود كف باري السحاب بها واخبار المعتضد في جميع أفعاله وضروب أنحائه غريبة بديعة وكان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن وتغالى في أجناسهن فانتهى في ذلك الى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ففشا نسله لتوسعه في النكاح وقوته عليه فذكر انه كان له من الولد نحو العشرين ذكورا ومن الاناث مثلهم وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما نجارها * فضخم وأما جسمها فدقيق

وقد تقدم في ترجمة أبي بكر محمد بن عمار الاندلسي ذكر شيء من قصيدتيه اللتين مدح المعتضد المذكور بهما احداهما رائية والاخرى ميمية ولولده المعتمد فيه من جملة أبيات

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * ويستقل عطاياه ويعتذر

النصف بقات من شرح الشمسية روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى هداية الله ابن مولانا بارعلي العجمي) قرأ على علماء عصره منهم المولى بير أحمد چلبي والمولى الوالد والمولى محيي الدين الفناري والمولى ابن كمال باشا ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بالمدرسة القلندرية بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر فيها ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمكة المشرفة ثم اختلت عيناه فترك القضاء وجاء الى مصر المحروسة وتوفي بها في سنة تسع أو ثمان وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما مشاركا في العلوم وله معرفة بالاصولين والفقه وكان أديبا لبيبا وقورا حليما متواضعا متخشعا كريم النفس مرضي السيرة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد بن حسام الدين) كان رحمه الله تعالى أبوه حسام الدين من أبناء الروم وكان من موالي الوزير محمد

له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

لم يزل في عز سلطانه واغتنام مساره حتى اصابته علة الذبحة فلم تطل مدتها ولما أحس بتداني حمامه استدعى
مغنيا يغنيه ليجعل أول ما يبدأ به فالا فأول ما غنى

نطوي الليالي علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

تطير من ذلك ولم يعش بعده سوى خمسة أيام وقيل انه ما غنى منها الا خمسة أبيات وتوفي يوم الاثنين غرة
جمادى الآخرة سنة احدى وستين وأربعمائة ودفن ثاني يوم بمدينة اشبيلية رحمه الله تعالى وقام بالمملكة
بعده ولده المعتمد على الله أبو القاسم محمد قال أبو الحسن علي بن القطاع السعدي المقدم ذكره في كتاب لمح
الملح في حق المعتمد المذكور انه أندى ملوك الاندلس راحة وأرحبهم ساحة وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا
ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب
أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه
وقال ابن بسام في الذخيرة كان للمعتمد ابن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل
الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمن ذلك قوله

أأكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من جملة أبيات

أسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام خال الخد فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وعزم المعتمد على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى
الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا من جملتها

سايرتهم والليل أغفل ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * مني يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن وله في وداعهن أيضا

ولما وقفنا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجري الدموع الحمر منها جراحات

وهذا ينظر الى قول القائل

بكيت دما حتى لقد قال عائدي * أهذا الفتى من جفن عينيه رعف

وسبق في شعر الابيوردي نظيره ومن شعره أيضا

لولا عيون من الواشين ترمقني * وما أحاذره من قول حراس
لزرتكم لا كافيكم بجفوتكم * مشيا على الوجه أو سعيا على الراس

وكتب الى ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم الى الاغتباق عنده

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شموسا نهارا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

وهذا من بديع المعاني العجيبة والزهراء بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة سراية
من عجائب أبنية الدنيا أنشاها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر أحد ملوك بني
أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا
ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف
وخمسمائة ذراع وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على

باشا من أبناء الروم أيضا
قتل السلطان محمد خان
ذلك الوزير لامر اقتضى
قتله وقرأ المولى حسام
الدين على علماء عصره حتى
صار قاضيا بعدة من البلاد
وخلف ولده محيي الدين
المذكور وقرأ على علماء
عصره منهم المولى الوالد
والمولى حسام الدين والمولى
ابن كمال باشا ثم صار مدرسا
بمدرسة عيسى بك بمدينة
بروسه ثم صار مدرسا
بالمدرسة الواحدية ثم صار
مدرسا ببلدة تيره ثم صار
مدرسا بقسطنطينية اماسيه
ثم صار مدرسا بمدرسة
جسور لي ثم صار مدرسا
بمدرسة مناستر بمدينة
بروسه ثم صار مدرسا
بسلطانية مغنيسا ثم صار
مدرسا باحدى المدارس
الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة
السلطان بايزيد خان بادرنه
ثم صار قاضيا بدمشق الشام
ثم صار قاضيا ببروسه ثم عزل
عن ذلك وصار مدرسا
بمدرسة السلطان مراد خان
فيها وعين له كل يوم ثمانون
درهما ثم صار مدرسا
بمدرسة أيا صوفيه ثم صار
مدرسا ثانيا باحدى
المدارس الثمان ثم أعيد
الى قضاء بروسه ثم صار
قاضيا بادرنه ثم صار قاضيا
بقسطنطينية وتوفي وهو
قاض بها في سنة خمس
وستين وتسعمائة كان
رحمه الله عالما فاضلا وكان
له اطلاع على علم الكلام

خمسة عشر بابا وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس يومئذ خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول بناء الاندلس وأجله خطرا وأعظمه شأنا انتهى كذلك كلام ابن بشكوال المتقدم ذكره في حرف الحاء في تاريخ الاندلس وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مائلا الى بني عباد منقطعا اليهم كان المعتمد الذي جرى بطبعه وله فيه المدائح الانيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمأمون والمؤتمن ومن جملتها قوله ولقد أجاد فيه كل الاجادة

يمثلك في محل يمينك في ردى * وروعك في درع وروقك في برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمعتضد شاد العلا ثم زادها * بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل جسم المجد والشرف العد

ومع هذه المكارم والاحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن وفيهم يقول أبو الحسن جعفر بن ابراهيم الحاج الورقي

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف في آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وكان الاذفونش قرهكند ملك الافرنج بالاندلس قد قوي أمره في ذلك الوقت وكانت ملوك الطوائف من المسلمين هنالك يصالحونه ويؤدون اليه ضريبة ثم انه أخذ طليطلة في يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعد حصار شديد وكانت للقادر بالله بن ذي النون وفي أخذها يقول أبو محمد عبد الله ابن فرج بن غزلون اليحصبي يعرف بابن العسال الطليطلي وهو مذكور في الصلة لابن بشكوال

حثوا رواحلكم يا أهل اندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سفط

وكان المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلادا وكان يؤدي الضريبة للاذفونش فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعا في أخذ بلاده وأرسل اليه يتهدده ويقول له تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه فبلغ الخبر الاذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع الى طليطلة لاخذ آلات الحصار فلما سمع مشايخ الاسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا هذه مدن الاسلام قد تغلب عليها الفرنج وملوكنا مشتغلون بقتال بعضهم بعضا ان استمر الحال ملك الفرنج جميع البلاد وجاؤا الى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فقال كل واحد منهم شيأ وآخر ما اجتمع رأيهم عليه أن يكتبوا الى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجدونه وسيأتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى فاجتمع القاضي بالمعتمد وأخبره بما جرى فوافقه على انه مصلحة وقال له تمضي اليه بنفسك فامتنع فألزمه بذلك فقال أستخير الله سبحانه وخرج من عنده وكتب للوقت كتابا الى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره اليه مع بعض عبيده فلما وصله خرج مسرعا الى مدينة سبتة وخرج القاضي ومعه جماعة الى سبتة لملاقاته واعلامه بحال المسلمين فأمر بعبور عسكره الى الجزيرة الخضراء وهي مدينة في بر الاندلس وأقام بسبتة وهي في بر مراكش مقابلة الجزيرة الخضراء وأرسل الى مراكش يستدعي من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور وعبر آخرهم وهو في عشرة آلاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضا عسكره وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الاذفونش الخبر وهو بطليطلة فخرج في أربعين ألف فارس غير ما انضم اليه وكتب الاذفونش الى الامير يوسف كتابا يتهدده وأطال الكتاب فكتب يوسف الجواب في ظهره الذي

ومهارة في علم الفقه وكانت له ممارسة في النظم واطلاع على علم التواريخ والمحاضرات روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم العامل الفاضل الكامل محيي الدين الايديني المشتهر باهلجه) قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى بير أحمد جلبي والمولى حسام جلبي والمولى محمد شاه ابن المولى الفاضل محمد بن الحاج حسن وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة القرائين بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ومكث هنالك مدة كبيرة مات وهو مدرس بها في سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا صالحا حليما الحميدة محبا للخير والصلاح وكان يجلس مجالس التذكير في بعض الاوقات وانتفع به كثير من الناس وكان مدرسا مفيدا منتسبا الى الطريقة الصوفية نور الله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد القادر الشهير بقاد عبدي) قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى الفاضل حسام جلبي ثم صار مدرسا بمدرسة المولى الفاضل خسرو بمدينة بروسه ثم صار مدرسا

يكون سترا ه وردّه اليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له الزلاقة من بلد بطليوس وتصافا وانتصر المسلمون وهرب الاذفونش بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعين وأربعمائة كذا قال بعضهم والصحيح ان هذه الواقعة كانت في منتصف رجب من السنة المذكورة وهذا العام يؤرخ في بلاد الاندلس كما يقال عام الزلاقة وهذه الواقعة من أشهر الوقائع وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ورجع ابن يوسف الى بلاده والمعتمد الى بلاده ثم ان الامير يوسف عاد الى الاندلس في العام الثاني وخرج اليه المعتمد وحاصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه فرحل عنه وعبر على غرناطة فخرج اليه صاحبها عبد الله ابن بلكين ثم دخل البلد لتخرج اليه التقادم فغدر به يوسف ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الاموال والذخائر ما لا يعد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر أصناف الاموال التي لا توجد في مراكش فانها بلاد بربر أجلاف العربان وجعل خواص الامير يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده فلما انتهى الى سبتة جهز اليه العساكر وقدم عليها سير بن أبي بكر الاندلسي فوصل الى اشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وتراميه على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الاسوار فلما كان يوم الاحد لعشر بقين من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة هجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيها الغارات ولم يتركوا لاحد شيئا وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم وقبض على المعتمد وأهله وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك أحدهما المأمون وكان ينوب عن والده في قرطبة فحصروه بها الى أن أخذوه وقتلوه والثاني الراضي كان أيضا نائبا عنه في رندة وهي من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضي ولابيهما المعتمد فيهما مراث عديدة وبعد ذلك جرى باشبيلية على المعتمد ما ذكرناه ولما أخذ المعتمد قيدوه من ساعته وجعل مع أهله في سفينة قال ابن خاقان في قلائد العقيان في هذا الموضع ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشدوا بضفتي الوادي يبكون بدموع كالغوادي فساروا والنوح يحدوهم والبوح بالوعة لا يعدوهم وفي ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى بن اسمعيل الداني المعروف بابن اللبانة

تبكي السماء بدمع رائح غادي * على البهاليل من أبناء عباد

من جملتها

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهي قصيدة طويلة لا حاجة الى ذكرها وفي هذه الحال وصفتها يقول أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر المشهور المقدم ذكره

ولما رحلتم بالندى في أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير

رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير

وهي أبيات كثيرة وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في أبي العباس أحمد بن محمد بن الفرات الوزير وقد مات رحمه الله تعالى

قد استوى الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال

هذا أبو العباس في نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

وقيل انه أنشدها لما مات الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب والله أعلم بالصواب ثم وجدت القول الثاني هو الصحيح والله أعلم وتألم المعتمد يوما من قيده وضيقه وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود

بالمدرسة القرهادية ثم صار مدرسا بمدرسة قراحصار ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر ببروسه ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان مراد خان بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمكة المشرفة ثم صار قاضيا بمصر المحروسة وتوفي وهو قاض بها في سنة أربع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا وقورا صبورا سليم الطبع صحيح العقيدة ثابتا على الحق لا يخاف في الله لومة لائم وكان في قضائه مرضي السيرة محمود الطريقة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى حسام الدين حسين جلبي أخو المولى حسن جلبي القراحصاري المار ذكره)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم سلطاننا الاعظم ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان وتوفي وهو مدرس بها في سنة سبع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما ذكيا وكانت له مشاركة في العلوم وله نسبة تامة بالعلوم العقلية وتوج

وكان حديدي سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد
وقد صار ذا الرونق أدهما * يعض بساق عض الاسود

ثم انهم حملوا الى الامير يوسف بن تاشفين فامر بارسال المعتمد الى مدينة أغمات واعتقله بها ولم يخرج منها الى الممات قال ابن خاقان ولما أجلي عن بلاده وأعري من طارفه وتلاده وحمل في السفين وأحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زوّاره ولا عواده بقي آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عرينا بدلا عن تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوّه من أقماره وخلوه من حراسه وسماره وفي اعتقاله يقول أبو بكر الداني المذكور قصيدته المشهورة التي أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات
والدهر في صبغة الحرباء منغمس * ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وربما قمرت بالبيدق الشاة

قلت هذا غلط فان الشاه بالهاء اللاتي بالعجمي واذا كان كذلك فلم تسلم له التقفية لانها على حرف التاء ثم قال

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي أغمات

وهي طويلة تقارب خمسين بيتا وله أيضا فيه قصيدة عملها باغمات سنة ست وثمانين وأربعمائة

تنشق رياحين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى وقد كنت منعما
أفكر في عصر مضى لك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
وأعجب من رفق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لقد عظمت فيك الرزية انها * وجدتك منها في المزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصدت * وسيف أطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل عباد ولا كمحمد * وأبنائه صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب لقوله * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا بهم نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي محلهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الأدم تمشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما
حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي أحكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق علي الارض حتى كأنما * خلقت واياها سوارا ومعصما
بكيتك حتى لم يخل لي الاسى * دموعا بها أبكي عليك ولا دما
واني على رسمي مقيم فان أمت * سأجعل للباكين رسمي موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو مأتما

ومنها

وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغاض أخوك البحر غيضا فما طما

ت
به
يود
بذلك
نضم

الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى كمال الدين الشهير بكمال جلبي)
قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى حسام جلبي وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة ازنيق ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة أورخان ببروسه ثم صار قاضيا بدار السلام بغداد وتوفي وهو قاض بها في سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا سليم الطبع حليم النفس وقورا صبورا طالبا للخير والصلاح وكان كريم الاخلاق صحيح العقيدة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى أمير حسن جلبي ابن السيد علي جلبي)
قرأ على علماء عصره منهم المولى الشهير بكديك حسام والمولى حسن جلبي الشهير بابن الطباخ والمولى الشهير بعمار زاده والمولى الوالد ثم وصل الى خدمة المولى الكامل عبد القادر الشهير بقادري جلبي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا

وما

وما حل بدر التم بعدك داره * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما

قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * أشم وأن أمطوك أشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فأشار لذلك بقوله منها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم أرحما

عجبت لأن لان الحديد وقد قسوا * لقد كان منهم بالسريرة أعلما

سينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

وله في البكاء على أيامهم وانتشار نظامهم عدة مقاطيع وقصائد مطولات يشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه في تأليف وهيئة تصنيف سماه تقسيم السلوك في وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداه وحكى انه لما عزم على الانفصال عنه بعث اليه المعتمد عشرين دينارا وشقة بغدادية وكتب معها

اليك النزر من كف الاسير * فان تقبل تكن عين الشكور

تقبل ما يكون له حياء * وان عذرته أحوال الفقير

وهي عدة أبيات قال أبو بكر المذكور فرددتها اليه لعلمي بحاله وانه لم يترك عنده شيأ وكتبت اليه جوابها وهو

سقطت من الوفاء على خبير * فذرني والذي لك في ضميري * تركت هواك وهو شقيق نفسي

لئن شقت برودي عن غدور * ولا كنت الطليق من الرزايا * لئن أصبحت أجحف بالاسير

جذيمة أنت والزباء خانت * وما أنا من يقصر عن قصير * أسير ولا أسير الى اغتنام

معاذ الله من سوء المصير * أنا أدرى بفضلك منك اني * لبست الظل منه في الحرور

ومنها أيضا قوله تصرف في الندى حيل المعالي * فتسمح من قليل بالكثير

واعجب منك انك في ظلام * وترفع للعفاة منار نور * رويدك سوف توسعني سرورا

اذا عاد ارتقاؤك للسرير * وسوف تحلني رتب المعالي * غداة تحل في تلك القصور

تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير * تأهب أن تعود الى طلوع

* فليس الخسف ملتزم البدور *

ودخل عليه يوما بناته السجن وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالاجرة في اغمات حتى ان احداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه فرآهن في اطمار رثة وحالة سيئة فصدعن قلبه وأنشد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الاطمار جائعة * يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

لا خد الا ويشكو الجدب ظاهره * وليس الا مع الانفاس ممطورا

قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليها التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممتزجا بدم بعدما عهد نفسه فوق منبر وسرير وفي وسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الانديه فلما رآه بكى وقال

قيدي أما تعلمني مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما * دمي شراب لك واللحم قد

أكلته لا تهشم الاعظما * يبصرني فيك أبو هاشم * فينثني والقلب قد هشما

ارحم طفيلا طائشا لبه * لم يخش أن يأتيك مسترحما * وارحم أخيات له مثله

جرعتهن السم والعلقما * منهن من يفهم شيأ فقد * خفنا عليه للبكاء العمى

بمدرسة الوزير داود باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بسلطانية قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة ايا صوفيه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثانيا وعين له كل يوم سبعون درهما ومات في سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان عالما ذكا صحيح العقيدة مهتما في مصالح اصدقائه وكان لذيذ الصحبة صاحب بشاشة وكان كريم النفس سخيا وكان أهل مروأة وفتوة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد ابن الوزير مصطفى باشا) قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا بمدرسة والده بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه وتوفي وهو مدرس بها بعد الاربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا أديبا لبيبا مهيبا وقورا حليما جيد القريحة مستقيم الطبع وكانت له مشاركة في العلوم وتوفي وهو شاب رحمه الله تعالى

*(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد ابن المولى الفاضل خير الدين معلم سلطاننا الاعظم

والغير لا يفهم شيأ فيا * يفتح الا لرضاع فما

وكان قد اجتمع عليه جماعة من الشعراء والحوا عليه في السؤال وهو على تلك الحال فانشد

سألوا اليسير من الاسير وانه * بسؤالهم لأحق منهم فاعجب

لولا الحياء وعزة لخمية * طي الحشا لحكاهم في المطلب

واشعار المعتمد واشعار الناس فيه كثيرة وقد جاوزنا الحد في تطويل ترجمته وسببه ان قصته غريبة لم يعهد مثلها ودخل فيها حديث أبيه وجده فطالت وكانت ولادته في شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجه من بلاد الاندلس وملك بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هنالك وخلع في التاريخ المقدم ذكره وتوفي في السجن باغمات لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى ومن النادر الغريب انه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شأنه فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح ويجزل لهم المنائح فرثوه بقصائد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر عبد الصمد شاعره المختص به رثاه بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

ملك الملوك أسامع فأنادي * ام قد عدتك عن السماع عوادي

لما نقلت عن القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد

أقبلت في هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فأبكى عليه كل من حضر ويحكى ان رجلا رأى في منامه اثر الكائنة عليه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد

رب ركب قد اناخوا عيسهم * في ذرى مجدهم حين بسق

سكت الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

ورأى أبو بكر الداني حفيد المعتمد وهو غلام وسيم قد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب في أيام دولتهم فخر الدولة وهو من الالقاب السلطانية عندهم فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من جملة قصيدة

شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم فيمن قدره عظما

طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليه وكم طوقتنا النعما

وعاد طوقك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى ارما

صرفت في آلة الصواغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما

يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا ان تكون فما

يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلي منتظما

للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * انى رأيتك فيه تنفخ الفحما

وددت اذ نظرت عيني عليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى

ما حطك الدهر لما حط من شرف * ولا تحيف من اخلاقك الكرما

لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما

والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما

أبكى حديثك حتى الدهر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

ولا حاجة الى الزيادة على ما أودعناه هذه الترجمة واللورقي بضم اللام وسكون الواو والراء وبعدها قاف هذه النسبة الى لورقة وهي مدينة بالاندلس وهذا الشاعر ذكره في الخريدة وقال عاش بعد المائة طويلا وأورد كثيرا من شعره وأغمات بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وبعد الالف تاء مثناة من فوقها وهي بليدة وراء مراكش بينهما مسافة يوم وخرج منها جماعة مشاهير وأما أبو بكر بن اللبانة المذكور

قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية وتوفي في سن الشباب حين كونه مدرسا بها سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله سليم الطبع كريم النفس محبا للخير وأهله وكان مشتغلا بنفسه لا يؤذي أحدا من الناس روح الله تعالى روحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى فروح خليفة القراماني)

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خير الدين معلم سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بالمدرسة القلندرية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة جورلي ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان مات وهو مدرس بها في سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى لطيف الطبع ظريف النفس لذيذ الصحبة حسن النادرة حسن المحاضرة نور الله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين أحمد اللازي من بلاد كرميان المعروف بشمس الاصغر)

فما رأيت تاريخ وفاته في شيء من الكتب ولا رأيت من يعلم ذلك لكن رأيت في كتاب الحماسة التي صنفها أبو الحجاج يوسف البياسي المذكور بعد هذا أن ابن اللبانة قدم ميورقة في آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات أولها

ملك يروعك في حلى ريعانه * راقت بروقته صفات زمانه

وكنت أظن انه مات قبل المعتمد لأني ما رأيت له فيه مرثية الى ان رأيت ما قاله البياسي والله تعالى أعلم

(أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح المنعوت بالمعتصم التجيبي صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الاندلس)

كان جده محمد بن أحمد بن صمادح صاحب مدينة وشقة وأعمالها وذلك في أيام المؤيد هشام بن الحكم الاموي المذكور في ترجمة المعتمد بن عباد فثار به ابن عمه منذر بن يحيى التجيبي فاستظهر عليه وعجز عن دفعه لكثرة رجاله وترك له مدينة وشقة وفر بنفسه ولم يبق له بالبلد علقة وكان صاحب رأي ودهاء ولسان وعارضة لم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في هذه الخلال في ذلك العصر وكان ولده معن والد المعتصم صاهر عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية فلما قتل زهير مولى أبيه وكان صاحب المرية وثب عبد العزيز على المرية فملكها وكانت لو لاهم فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامري الملكي أبا الجيش صاحب دانية فخرج قاصدا بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل في تركة زهير فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية مبادرا لاستصلاحه واستخلف بها صهره ووزيره معن بن صمادح والد المعتصم فخانه في الامانة وغدر به وطرده عن الامارة فلم يبق في ملوك الطوائف بالاندلس أحد الا ذمه على هذه الفعلة الا انه تم له الامر واستتب فلما مات انتقل الملك الى ولده المعتصم وتسمى باسماء الخلفاء وكان رحب الفناء جزيل العطاء حليما عن الدماء طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال وأعملت الى حضرته الرحال ولزمه جماعة من فحول الشعراء كأبي عبد الله بن الحداد وغيره وله أشعار حسنة فمن ذلك ما كتبه الى أبي بكر بن عمار الاندلسي المتقدم ذكره يعاتبه بقوله

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب

فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب

ولا صرت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فكتب اليه ابن عمار جوابها وهي أبيات كثيرة فلا حاجة الى ذكرها ومن شعره أيضا

يا من تجسمني لبعده سقم * ما منه غير الدنو يبريني

بين جفوني والنوم معترك * تصغر منه حروب صفين

ان كان صرف الزمان أبعدني * عنك فطيف الخيال يدنيني

ومن هنا أنشد بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المتقدم ذكره قوله من جملة قصيدة

بين جفوني والكرى * مذ غبت عني معترك

وله غير ذلك مقاطيع كثيرة ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن ابراهيم المعروف بالحداد القيسي من أهل المرية في مدحه قصائد بديعة فمن ذلك قصيدته التي أولها

لعلك بالوادي المقدس شاطئ * فكالعنبر الهندي ما أنا واطئ

واني من رياك واجد ريحهم * فروح الهوى بين الجوانح ناشئ

ولي في السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوافئ

لذلك ما حنت ركابي وحمحمت * عرابي وأوحى سيرها المتباطئ

فهل هاجها ما هاجني ولعلها * الى الوجد من نيران قلبي لواجئ

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خير الدين معلم السلطان سليمان خان ثم صار مدرسا بمدرسة جندبك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بقسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا فيها ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير محمود باشا فيها ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان سليم خان بمدينة قسطنطينية وهو أول مدرس بها وتوفي وهو مدرس بها في سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا محققا مدققا مشتغلا بالعلم والدرس وكانت له مشاركة في العلوم روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين أحمد البروسوي)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل علاء الدين علي الجمالي المفتي ثم صار مدرسا بمدرسة عيسى بك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة اينه كول وتوفي وهو مدرس بها بمدينة قسطنطينية في أوائل سلطنة سلطاننا الاعظم كان رحمه الله عالما مشتغلا بالعلم الشريف آناء الليل

رويدا فهذا وادي لبنى وانه * لورد لباناتي واني لظامئ
ويا حبذا من آل لبنى مواطن * ويا حبذا من أرض لبنى مواطئ
مبادين تهيامي ومسرح خاطري * فللشوق غايات بها ومبادئ
ولا تحسبوا غيدا حوتها مقاصر * فتلك قلوب ضمنتها جآجئ
وفي الكلة الزرقاء مكلوء عزة * تحف به زرق العوالي الكوالئ
تحامله السلوان مبعث حسنه * فكل الى دين الصبابة صابئ

ومنها أيضا

تمشى مدى قرطيه عقرب قوالع * ونهوي ضياء عينيه عين جوازئ
وفي ملعب الصدغين أبيض ناصع * تخاله للعين أحمر قانئ
أفاتكة الالحاظ ناسكة الهوى * ورعت ولكن لحظ عينك فاتكئ
بآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم * دموع هوام والجروح مآقئ
وكيف أعاني كلم طرفك في الحشا * ولكن لترياق المهند راقئ
ومن أين أرجو برء نفسي من الجوى * وما كل ذي سقم من السقم بارئ

ويخرج من هذا الى المدح وهذه القصيدة طنانة طويلة وقصده أيضا من شعراء الاندلس أبو القاسم الاسعد بن بليطة وهو من فحول شعرائهم ومدحه بقصيدته الطائية التي أولها

برامة ريم زارني بعدما شطا * فقنصته في الحلم بالشط فاشتطا
رعى من أناس في الحشا ثمر الهوى * ولم يرع النوار فيها ولا الخطا

ومنها

وقد ذاب كحل العين في دمع ثغره * الى ان تبدى الصبح كالمة الشمطا
كأن الدجى جيش من الزنج نافر * وقد أرسل الاصباح في اثره القبطا

ومنها في صفة الديك

كأن أنوشروان أعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاووس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومنها أيضا

توهم عطف الصدغ نونا فخدها * فبانت بمسك الخال تنقطه نقطا
فلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غالية خطا
غدت تتقي المسواك في برد ثغرها * وقد ضمخت مسكا غدا اثره المشطا
فقلت احاجيها بما هو جفنها * وما في الشفاه اللعس من حسنها المعطا
مفترة الالحاظ من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك في حمرة اللمى * وشاربك الخضر بالمسك قد خطا
* عسى قزح قبلته فانثنى * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

ومنها في المدح قوله

كأن ابا يحيى بن معن أجادها * فعلمها من كفه الوكف والبسطا
تألف من در وتبر نضاره * قلاءت به العليا على جيدها سمطا
اذا سار سار المجد تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا حطا
رفيع عماد النار في الليل للسرى * فما يخبط العشواء طارقه خبطا
أقول لركب يمموا مسقط الندى * وقد جاوز الركبان من دونك السقطا
أفي المجد تبغي لابن معن مناقضا * ومن يوقد المصباح في الشمس قد أخطا

وهي قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتا أحسن فيها ناظمها مع وعورة مسلك حرف رويها وكان المعتصم المذكور قد اختص بمؤانسة الامير يوسف بن تاشفين عند عبوره الى جزيرة الاندلس حسبما مر حنادى ترجمة المعتمد بن عباد المذكور وقبله وأقبل عليه أكثر من بقية ملوك الطوائف فلما تغيرت نية الامير يوسف ابن تاشفين على المعتمد وجاهره المعتمد بالعصيان شاركه في ذلك المعتصم ووافقه على الخروج عن طاعته

وأطراف النهار وكان اشتغاله بالعلم والمجاهدة فيه فوق ما يوصف وقد حل بقوته الفكرية كثيرا من غوامض العلوم وكانت له تعليقات كثيرة على الكتب الا أنها قد ضاعت بعد وفاته تغمده الله بغفرانه وأسبل عليه حلل رضوانه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الرحمن بن يونس الامام)

قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى الفاضل سيدي محيي الدين القوجوي ثم صار مدرسا ببعض المدارس وتوفي في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة كان عالما ذكيا قوي الفطنة جيد القريحة وكانت له نسبة خاصة بعلم الكلام وكان قد حل غوامضه وحقق مطالعته فلما رأيت في هذه العلوم من وصل الى تحقيقه وكان لذيذ الصحبة حسن المحاورة لطيف المحاضرة وقد قتل شهيدا نور الله تعالى مضجعه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الكريم الويزوي)

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا المفتي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة جورلي ثم صار مدرسا ومفتيا بسلطانية مغنيسا وتوفي وهو مدرس

وعدم الانقياد لامره فلما قصد الامير يوسف بلاد الاندلس عزم على خلعهما وقبضهما قال ابن بسام فى الذخيرة وكان م بينه وبين المعتصم وبين الله سريرة واسلفت له عند الحمام يدا مشكورة فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به الا ايام يسيرة فى سلطانه و بلده و بين أهله و ولده حدثنى من لا أرد خبره عن أروى بعض حظايا أبيه قالت انى لعنده وهو يوصى بشأنه وقد غلب على أكثر يده وسلطانه ومعسكر أمير المسلمين تعنى يوسف بن تاشفين يومئذ بحيث نعد خيامهم ونسمع اختلاط أصواتهم اذ سمع وجبة من وجباتهم فقال لا اله الا الله نغص علينا كل شئ حتى الموت فقالت أروى فدمعت عينى فلا أنسى طرفا الى يرفعه وانشاده لى بصوت لا كاد أسمعه

ترفق بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل

انتهى كلام ابن بسام وقال محمد بن أيوب الانصارى فى كتابه الذى صنفه للسلطان الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى فى سنة ثمان وستين وخمسمائة فى ترجمة المعتصم بن صمادح المذكور بعد ان ذكر طرفا من أخباره وشيأ من أشعاره وحكى صورة حصاره وقوله فى مرضه نغص علينا كل شئ حتى الموت ومات يعنى المعتصم فى اثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمرية رحمه الله ودفن فى تربة له عند باب الخوخة وصمادح بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الالف دال مكسورة ثم حاء مهملة وهو الشديد بلغة والد أبى القاسم الاسعد الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة ولا اعرف معناه وهو بلغة اعاجم الاندلس والتجيبى قد تقدم الكلام عليه وبجاية بفتح الباء الموحدة والجيم وبعد الالف ياء ثم هاء ساكنة وهى مدينة بالاندلس والمرية قد تقدم الكلام عليها والصمادحية منسوبة الى صمادح المذكور ووشقة بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء ساكنة بلدة بالاندلس ايضا والله أعلم

(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى الهرغى)

صاحب دعوة عبد المؤمن بن على بالمغرب وقد تقدم فى ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينتسب الى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ووجدت فى كتاب النسب الشريف العابد بخط بعض الادباء من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما والله أعلم وهو من جبل السوس فى أقصى بلاد المغرب ونشأ هناك ثم رحل الى المشرق فى شبيبته طالبا للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بأبى حامد الغزالى والكيا الهراسى والطرطوشى وغيرهم وحج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوى وأصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخلولقا كثير الاطراق بساما فى وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعا فصيحا فى لسان العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع فى أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحملا للاذى من الناس بسببه وناله بمكة شرفها الله تعالى شئ من المكروه من أجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ فى الانكار فزادوا فى أذاه وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط فى كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى فى منامه وهو فى بلاد الشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب فى السفينة شرع فى تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم باقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهدية احدى مدن افريقية وكان ملكها يومئذ الامير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وذلك فى سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته فى تاريخ القيروان وقد تقدم فى ترجمة الامير تميم والد يحيى المذكور أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز فى أيام ولايته بافريقية عند عوده من المشرق وكنت وجدته كذا أيضا والله أعلم

بها فى سنة احدى وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا قوى الطبع شديد الذكاء لطيف المحاورة حسن المحاضرة لذيذ الصحبة وكانت له مشاركة فى العلوم كلها نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين أحمد ولد رحمه الله تعالى فى بلدة بولى الشهير بالقاف)

قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى الفاضل المولى قدرى جلبى القاضى بالعسكر فى ولاية أناطولى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة اوزرداود باشا بقسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة اوزبر مصطفى باشا فيها ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ومات على تلك الحال فى سنة خمس وستين وتسعمائة كان رحمه الله طيب النفس كريم الاخلاق محبا للعلم وأهله وكان حسن السمت صحيح العقيدة روح الله تعالى روحه

*(ومنهم العالم الفاضل

بالصواب ولم يرحل الى المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين فان كان عوده فى سنة خمس كما ذكرناه فهى فى ولاية الامير يحيى لان أباه الامير تميما توفى فى سنة احدى وخمسمائة كما تقدم فى ترجمته وانما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه انه فاتنى ذلك وهو متناقض ورأيت فى تاريخ القاضى الاكرم ابن القفطى وزير حلب وهو مرتب على السنين ما صورته فى هذه السنة وكان آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة خرج محمد بن تومرت من مصر فى زى الفقهاء بعد الطلب بها وبغيرها ووصل الى بجاية والله أعلم بالصواب ولما وصل الى المهدية نزل فى مسجد معلق وهو على الطريق وجلس فى طاق شارع الى المحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكرا من آلة الملاهى أو أوانى الخمر الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به فى البلد فأتوا اليه وقرؤا عليه كتبا من أصول الدين فبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ولم يقم بعد ذلك بالمهدية الا أياما يسيرة ثم انتقل الى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله فى الانكار فأخرج منها الى بعض قراها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن على القيسى المقدم ذكره ورأيت فى كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب أن محمد بن تومرت كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ى ن م ل ورأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه وتعالى فى نفسه انه القائم بأول الامر وأن أوانه قد أزف فما كان محمد يمر بموضع الا ويسأل عنه ولا يرى أحدا الا أخذ اسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو فى الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التى معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزه ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت بغيتى ونظر فى حليته فوافقت ما عنده فقال له من أين أنت فقال من كومية قال أين مقصدك فقال المشرق فقال ما تبغى قال أطلب علما وشرفا قال وجدت علما وشرفا وذكرا اصحبنى تنله فوافقه على ذلك فألقى محمد اليه أمره وأودعه سره وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريسى ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان الونشريسى ممن تهذب وقرأ فقها وكان جميلا فصيحا فى لغة العرب وأهل المغرب فتحدثا يوما فى كيفية الوصول الى الامر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعرى عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فيصدق فيما تقوله ففعل عبد الله ذلك ثم ان محمدا استدنى أشخاصا من أهل الغرب جلادا فى القوى الجسمانية أغمارا وكان أميل الى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله الونشريسى ثم انه رحل الى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجهوا جميعا الى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده فى ترجمة المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الاندلسى وكان عالما صالحا فشرع محمد بن تومرت فى الانكار على جارى عادته حتى أنكر على ابنة الملك وله فى ذلك قصة يطول شرحها فبلغ خبره الملك وانه يتحدث فى تغيير الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب فى أمره فقال نخاف من فتح باب يعسر علينا سده والرأى أن تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد فأجاب الملك الى ذلك وكان محمد وأصحابه مقيمين فى مسجد خراب خارج البلد فطلبوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغى منا فانتدب له قاضى المرية واسمه محمد بن أسود فقال ما هذا الذى يذكر عنك من الاقوال فى حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه فقال له محمد بن تومرت أما ما نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه أقوال وأما قولك انه يؤثر

المولى سعد الدين چلبى الاقشهرى)*
قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة الفاضل محيى الدين الفنارى ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خير الدين معلم سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان ثم صار مدرسا بمدرسة دده قوچه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير ابراهيم باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة قليجه ثم صار معلما للسلطان محمد بن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان ولما توفى السلطان محمد خان صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا ومفتيا ببلدة اماسيه ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان مراد خان ببروسه وتوفى وهو مدرس بها فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما محققا صاحب عفة وصلاح وديانة وتقوى وكان عابدا زاهدا متشرعا متورعا صحيح العقيدة مستقيم الطريقة حسن الاخلاق سليم الطبع وكان له حظ وافر من طريقة الصوفية روّح الله روحه وزاد فى غرف الجنان فتوحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى خير الدين خضر الشهير بخير الدين الاصغر)
ولد ببلدة انقره وقرأ على علماء عصره ثم وصل الى

طاعة الله تعالى على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور وربما تقولون له وتضرونه به مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة فهل بلغك يا قاضي ان الخمر تباع جهارا وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وعدد من ذلك شيأ كثيرا فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع في المملكة لنفسه ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب وكان كثير الاجتراء على الملك أيها الملك ان عندي لنصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها وان تركتها لم تأمن غائلتها فقال الملك ما هي فقال اني خائف عليك من هذا الرجل وأرى انك تعتقله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكتفي شره وان لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على ذلك فقال له وزيره يقبح بمثلك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء (وحكى) صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب انه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى أن فارقه فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك اذ لم تول له ظهرك فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت انتهى كلامه فلما خرج محمد بن تومرت وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم عندنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه وان لنا بمدينة اغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من فقهاء المصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وان أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تينملل وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصده مع أصحابه فلما أتوه ورآهم أهله على تلك الصورة علموا انهم طلاب العلم فقاموا اليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له انهم سافروا فسره ذلك وقال تخلصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد بن تومرت اليهم وكان قد سار فيهم ذكره فجاؤه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه أعرض عنه وكان يستميل الأحداث وذوي الغرة وكان ذووا الحكم والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فكان لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف محمد بن تومرت من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه اليه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم بالاجابة فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج في كل سنة تصعد مماليكه الينا وينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويخلون بمن فيها من النساء فتأتي أولادنا على هذه الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال محمد والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالحربة فقالوا بالرغم لا بالرضا فقال أرأيتم لو أن ناصرا نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت قالوا من هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤكم فأجروهم على عادتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا سكروا فآذنوني بهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد وكان ليلا فأعلموه بذلك فأمر بقتلهم بأسرهم فلم يمض من الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والوقوع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق

خدمة المولى الفاضل سعدي بن التاجي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة المولى ابن الحاج حسن بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة اسكوب ثم صار مدرسا بمدرسة چورلي وتوفي وهو مدرس بها في سنة خمس وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا كاملا متواضعا متخشعا لذيذ الصحبة حسن المحاورة لطيف النادرة وكان خفيف الروح قادرا على النظم بالعربية والفارسية والتركية والنثر روح الله تعالى روحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الرحمن ابن الشيخ كال من ولاية بوي آباد المشهور بابن الشيخ) كان أبوه من خلفاء الشيخ تاج الدين من مشايخ الطريقة الزينية قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى الفاضل سيدي محمود القوجوي والمولى الفاضل محمد بن حسن السامسوني ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم اختار العزلة وعين له كل يوم خمسة عشر درهما بطريق التقاعد وعاشر المشايخ وانقطع الى الله تعالى وترك صحبة أهل الدنيا وتوفي رحمه الله في سنة سبع وخمسين وتسعمائة وكانت له مشاركة في العلوم كلها وكان ماهرا في العلوم

مراكش وأخبر الملك بما جرى فندم على فوات محمد بن تومرت من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب
فيما أشار به فجهز من وقته خيلا لا يعقد اوما يسع وادي تينمل فانه ضيق المسالك وعلم محمد بن تومرت انه لا بد من
عسكر يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على انقاب الوادي ومراصده واستنجد لهم بعض المجاورين فلما
وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من أول النهار الى آخره وحال
بينهم الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم فاعرض عنهم
وتحقق محمد بن تومرت ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور وقال
له هذا أوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بذلك قلوب من ليس يدخل في الطاعة
ثم اتفقا على انه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة في تلك المدة اني رأيت البارحة
في منامي انه قد نزل الي ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا فلما أصبح
فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه فانقاد له كل صعب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم فقال له
محمد بن تومرت فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء فقال له أما أنت فانك المهدي
القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال أعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل
النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف أمر محمد بن تومرت وأبقى من أطاعه وشرح ذلك يطول وكان
غرضه أن لا يبقى في الجبل مخالف لمحمد بن تومرت فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت ان في الباقين من له أهل
وأقارب قتلوا وانهم لا تطيب قلوبهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام أموالهم
فسرهم ذلك وسلاهم عن أهاليهم وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ولسنا بصدد ذلك وخلاصة الأمر
أن محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن
والونشريسي وأصحابه كلهم وأقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش وأقاموا عليها شهرا ثم كسروا
كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل الونشريسي وبلغ محمد بن تومرت
الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه اليه فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم
وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم والحرب
سجال وانكم ستقوون وتضعفون وتقلون وتكثرون وأنتم في مبدأ أمركم في آخره ومثل هذه الوصايا
وأشباهها وهي وصية طويلة ثم انه توفي الى رحمة الله تعالى في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ودفن في
الجبل وقبره هناك مشهور يزار وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس
وثمانين وأربعمائة وأول ظهوره ودعائه الى هذا الامر سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان رجلا ربعة
قطيطا أسمر عظيم الهامة حديد النظر وقال صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب في حقه

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا أغفل المرابطون
ربطه حتى دب دبيب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دويا لتشاده لو شاهدها أبو مسلم لكان لعزمه
فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفا بقليل سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا لما
كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فامر بضم ذلك جميعه وأحرقه
وقال من كان يتبعني للدنيا فماله عندي الا ما رأى ومن يتبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى وكان على خمول
زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر في
ذلك قوله

أخذت بأعضادهم اذ نأوا * وخلفك القوم اذ ودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنتهي * وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

وكان كثيرا ما ينشد

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت من الدنيا وأنت مجرد

العقلية والنقلية وكانت له يد طولى في تفسير البيضاوي وكان متصفا بالاخلاق الحميدة وكان سليم النفس كريم الطبع وكان لا يذكر أحدا بسوء وكان يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكان محمود الطريقة مرضي السيرة وكان زاهدا ورعا قانعا بالقليل تقيا نقيا ورعا زاهدا صالحا عابدا راضيا من العيش بالقليل روح الله تعالى روحه وأوفر في فراديس الجنان فتوحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى حسين القراماني من بلدة يلكشهري)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الحميدي ثم صار مدرسا بمدرسة من بروسه ثم صار قاضيا ببعض من البلاد ومنها بلدة غلطه وبلدة طرابلس وسلانيك ثم عمي وعين له كل يوم أربعون درهما بطريق التقاعد وتوفي بمدينة قسطنطينية في سنة تسع وخمسين وتسعمائة وكان رحمه الله عالما فاضلا عارفا بالتفسير والحديث والعربية والاصولين وكانت له مشاركة في سائر العلوم وكانت له يد طولى في الفقه وكان صاحب ثروة عظيمة وكان خيرا دينا وكان حسن السمت في تصانيفه وكان لا يذكر أحدا بالسوء رحمة الله تعالى عليه

وكان أيضا يتمثل بقول المتنبي
إذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم
وبقوله أيضا
ومن عرف الأيام معرفتي بها * وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به * ولا في الردى الجاري عليهم بآثم
وبقوله أيضا
وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ولم يفتح شيأ من البلاد وإنما قرر القواعد ومهدها ورتب الأحوال ووطدها وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته. والهرغي بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة إلى هرغة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنتسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما يقال إنها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وتومرت بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الميم وسكون الراء بعدها تاء مثناة من فوقها أيضا وهو اسم بربري. والونشريسي بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى ونشريس وهي بليدة بإفريقية من أعمال بجاية بين بجاية وقسطنطينية المغرب. وتينمل بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ثم ميم مفتوحة ولام مشددة. وقد تقدم الكلام على الظفر في ترجمة عبد المؤمن فليكشف من هناك والله أعلم

(أبو بكر محمد بن أبي محمد طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان الفرغاني الأصل)

صاحب سرير الذهب المنعوت بالإخشيد صاحب مصر والشام والحجاز أصله من أولاد ملوك فرغانة وكان المعتصم بالله بن هرون الرشيد قد جلبوا إليه من فرغانة جماعة كثيرة فوصفوا له جف وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فوجه المعتصم من أحضرهم فلما وصلوا إليه بالغ في إكرامهم وأقطعهم قطائع بسر من رأى وقطائع جف إلى الآن معروفة هناك ولم يزل مقيما بها وبها ولد أولاده وتوفي جف ببغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل وكانت ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخرج أولاده إلى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معايش فاتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون وهو إذ ذاك مقيم بديار مصر فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طغج إلى جملة أصحاب إسحق بن كنداج فلم يزل معه إلى أن مات أحمد بن طولون وجرى الصلح بين ولده أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون المقدم ذكره وبين إسحق بن كنداج ونظر أبو الجيش إلى طغج بن جف في جملة أصحاب إسحق فأعجبه وأخذه من إسحق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه إلى أن قتل أبو الجيش في تاريخه المقدم ذكره فرجع طغج إلى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وعرف له ذلك وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فسام طغج أن يجري في التذلل له مجرى غيره فكبرت نفس طغج عن ذلك فأغرى به الملك المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر محمد بن طغج المذكور فتوفي طغج في السجن وبقي ولده أبو بكر بعده محبوسا مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل يرصد العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى أخذ بثأر أبيه هو وأخوه عبيد الله في الوقت الذي قتله فيه الحسين بن حمدان ثم خرج أبو بكر وأخوه عبيد الله في سنة ست وتسعين ومائتين وهرب عبيد الله إلى ابن أبي الساج وهرب أبو بكر إلى الشام وأقام متغربا في البادية سنة ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري فكان من كبار أركانه ومما كبر به اسمه ما يتفق في البعث أي الجمع الذين تجمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم في سنة ست وثلثمائة وهو يومئذ يتقلد عمان وجبل الشراة من قبل تكين المذكور وظفر بهم ونجا وقد فرغ من أمرهم بأسر من أسره وقتل من قتله وشرد الباقين وكان قد حج في هذه السنة من دار المقتدر بالله امرأة تعرف بعجوز فحدثت المقتدر بالله بما شاهدت منه فأنفذ له الخلع وزاده في رزقه ولم يزل أبو بكر في صحبة تكين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك ولا حاجة بنا إلى التطويل بذكره وسار إلى الرملة فوردت كتب المقتدر إليه بولاية الرملة فأقام بها إلى سنة ثماني عشرة فوردت كتب

(ومنهم العالم الفاضل المولى الشهير بابن الحكيم محيي الدين)
قرأ رحمه الله على علماء عصره وكان مقبولا عندهم ومشهورا بالفضل بين أقرانه ثم صار قاضيا ببعض من البلاد وكان محمود السيرة في قضائه ثم صار قاضيا بالمدينة المنورة شرفها الله تعالى وصلى على ساكنها ومات وهو قاض بها في عشر الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا لطيف الطبع ذكيا حسن السمت طيب الأخلاق محبا للخير بنى مدرسة بمدينة قسطنطينية روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الحي بن عبد الكريم ابن علي بن المؤيد)
قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار مدرسا بأماسيه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار قاضيا ببعض من البلاد ثم رغب في التصوف واعتزل عن منصب القضاء وتقاعد مدة ثم أعيد إلى القضاء مجبرا وصار قاضيا ببلدة آمد ثم صار قاضيا بوطنه وهي بلدة أماسيه ثم ترك القضاء ولازم بيته ومات هناك كان رحمه الله كريم الطبع سخي النفس محبا للخير وأهله وكانت له معرفة تامة بالعربية والفقه

المقتدر اليه ولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثلثمائة ودعي له بها مدة اثنين وثلاثين يوما ولم يدخلها ثم ولي أبو العباس أحمد بن كيغلغ الولاية الثانية من قبل القاهر أيضا لتسع خلون من شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم أعيد اليها أبو بكر محمد ابن الاخشيد من جهة الخليفة الراضي بالله بن المقتدر بعد خلع عمه القاهر عن الخلافة وضم اليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمين وغير ذلك ودخل مصر يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقيل انه لم يزل على مصر فقط الى ان توفي الراضي بالله في سنة تسع وعشرين وثلثمائة وولي أخوه المتقي لامر الله فضم اليه الشام والحجاز وغير ذلك والله أعلم ثم ان الراضي لقبه بالاخشيد في شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلثمائة وانما لقبه بذلك لانه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم كما سبق ذكره في أول هذه الترجمة وتفسيره بالعربي ملك الملوك وكل من ملك تلك الناحية لقبوه بهذا اللقب كما لقبوا كل من ملك فارس كسرى وملك الترك خاقان وملك الروم قيصر وملك الشام هرقل وملك اليمن تبع وملك الحبشة النجاشي وغير ذلك وقيصر بلغة فرنجة تفسيرها بالعربي بقر عنه وسببه ان أمه ماتت في المخاض فشق بطنها وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك على غيره من الملوك لانه لم يخرج من الرحم وهو اغسطس وهو أول ملوك الروم وقد قيل انه في السنة الثالثة والاربعين من ملكه ولد المسيح عيسى عليه السلام وقيل في السنة السابعة عشر من ملكه تسمى ملوك الروم باسمه والله أعلم ودعي للاخشيد على المنابر بهذا اللقب واشتهر به وصار كالعلم عليه وكان ملكا حازما كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير مكرما للجند شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه عيون السير أن جيشه كان يحتوي على أربعمائة ألف رجل وانه كان جبانا وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كل ليلة ألفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم اذا سافر ثم لا يثق حتى يمضي الى خيم الفراشين فينام فيها ولم يزل على مملكته وسعادته الى ان توفي في الساعة الرابعة من يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وحمل تابوته الى بيت المقدس فدفن به وقال أبو الحسين الرازي توفي في سنة خمس وثلاثين والله أعلم وكانت ولادته يوم الاثنين منتصف شهر رجب من سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد بشارع باب الكوفة رحمه الله تعالى وهو استاذ كافور الاخشيدي وفاتك المجنون وقد تقدم ذكر كل واحد منهما في ترجمة مستقلة في هذا الكتاب ثم قام كافور المذكور بتربية ابني مخدومه أحسن قيام وهما أبو القاسم انوجور (١) وأبو الحسن علي كما تقدم شرحه في ترجمة كافور فاغنى عن اعادته ههنا وقد ذكرت هنالك تاريخ موت كل واحد منهما ومدة ولايته وتاريخ وفاته على سبيل الاختصار واستوفيت حديث كافور وما كان منه الى حين وفاته وأن الجند أقاموا بعده ابا الفوارس أحمد بن علي بن الاخشيد المذكور وأحلت بقية الكلام في ذلك على ذكره في هذه الترجمة وكان عمر أبي الفوارس أحمد يوم ذاك احدى عشرة سنة وجعلوا خليفته في تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف وهو ابن عم أبيه وكان صاحب الرملة من بلاد الشام وهو الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها

أنا لائمي ان كنت وقت اللوائم * علمت بما بي بين تلك المعالم

وقال في تخلصها

اذا صلت لم أترك مصالا لفاتك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم
والا فخانتني القوافي وعاقني * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وما أحسن قوله فيها

أرى دون ما بين الفرات وبرقة * ضرابا يمشي الخيل فوق الجماجم
وطعن غطاريف كأن أكفهم * عرفن الردينيات قبل المعاصم
حمته على الاعداء من كل جانب * سيوف بني طغج بن جف القماقم
هم المحسنون الكر في حومة الوغى * وأحسن منه كرهم في المكارم

(١) معناه بالعربي محمود اه مؤلفه

والحديث والتفسير وكان يكتب خطا حسنا وبالجملة كان حسن العقيدة مقبول الطريقة مرضي السيرة وكان أبوه عبد الكريم صاحب نادرة ومعرفة بالتواريخ والاخبار وكان كاتبا جيدا يكتب الخط الحسن المليح جدا روح الله تعالى روحهما وأوفر في الجنة فتوحهما

(ومنهم العالم العامل الفاضل الكامل المولى سنان الدين يوسف)

كان رحمه الله تعالى أصله من ولاية قرامان وقرأ رحمه الله على علماء عصره ثم رغب في التصوف وحصل طريقة الصوفية ثم شرع في الوعظ والتذكير في جامع ادرنة ثم في جامع السلطان محمد بن سلطاننا الاعظم سليمان خان بمدينة قسطنطينية كان عالما بالعربية وماهرا في التفسير والحديث وكان عابدا زاهدا صالحا مبارك النفس حليما وقورا صبورا صاحب شيبة عظيمة تتلألأ أنوار الصلاح من جبينه توفي رحمه الله تعالى بمدينة قسطنطينية في سنة خمس وستين وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى بدر الدين محمود الايديني)

قرأ رحمه الله على علماء عصره

وهم يحسنون العفو عن كل مذنب * ويحتملون الغرم عن كل غارم
حييون إلا أنهم في نزالهم * أقل حياء من شفار الصوارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

ومنها

كريم نفضت الناس لما بلغته * كأنهم ما جف من زاد قادم
وكاد سروري لا يفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم

وهي قصيدة طويلة من غرر القصائد ولما تقرر الأمر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله فاطمة ابنة عمه الإخشيذ ودعي له على المنابر بعد أبي الفوارس أحمد بن علي وهو بالشام واستمر الحال على ذلك إلى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ودخل إلى مصر رايات المغاربة الواصلين بصحبة القائد جوهر المغربي المقدم ذكره وانقرضت الدولة الإخشيذية وكانت مدتها أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وكان قد سار ابن عبيد الله من الشام منهزما من القرامطة ودخل على ابنة عمه التي تزوجها وحكم وتصرف وقبض على الوزير جعفر بن الفرات وصادره وعذبه ثم سار إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ولما سير القائد جوهر المغربي جعفر بن فلاح إلى الشام وملك البلاد حسبما شرحته في ترجمة أبي جعفر بن فلاح أسر الحسن بن عبيد الله وسيره إلى مصر مع جماعة من أمراء الشام إلى القائد جوهر ودخلوا مصر في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وكان ابن عبيد الله قد أساء إلى أهل مصر في مدة ولايته عليهم فلما وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفا مشهورين مقدار سبع ساعات والناس ينظرون إليهم ويشتفي بهم من في نفسه منهم شيء ثم أنزلوا في مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين وفي السابع عشر من جمادى الأولى أرسل القائد جوهر والي جعفرا إلى مولانا المعز ومعه هدايا عظيمة تجل عن الوصف وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام وفيهم ابن عبيد الله وحملوا في مركب بالنيل وجوهر واقف ينظر إليهم فانقلب المركب فصاح ابن عبيد الله على القائد جوهر يا أبا الحسن أتريد أن تغرقنا فاعتذر إليه وأظهر التوجع له ثم نقلوا إلى مركب آخر وكانوا مقيدين فلم أقف لهم بعدها على خبر والله أعلم ثم وجدت بعد هذا في تاريخ العتقي أن الحسن المذكور توفي ليلة الجمعة لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى وسبعين وثلثمائة وصلى عليه العزيز نزار بن المعز المذكور في القصر بالقاهرة وذكر الفرغاني في تاريخه أن ولادة الحسن المذكور في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة وأنه توفي في التاريخ المذكور وأن أبا الفوارس أحمد بن علي المذكور توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلثمائة والله أعلم والإخشيذ بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم ذال معجمة وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة وطغج بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم (٢) وجف بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشددة وبلتكين بفتح الباء المثناة من تحتها وسكون اللام وكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها كاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون وفوران بضم الفاء وفوري بضم الفاء وأما تكين المذكور فإنه ولي مصر ثلاث مرات وتوفي بها في المرة الثالثة يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وتولاها بعده أبو بكر الإخشيذ كما تقدم ذكره وأما أحمد بن كيغلغ فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة مستقلة وذكر ولايته مصر قال وجرت بينه وبين محمد بن تكين الخاصة حروب إلى أن خلص الأمر ثم قدم محمد بن طغج أميرا على مصر من قبل الراضي فسلم إليه مصر وكان أحمد أديبا شاعرا ومن شعره

لا يكن للكأس في كفك يوم الغيث لبث * أوما تعلم أن الغيث ساق مستحث

ومن شعره أيضا

واعطشا إلى فم * يمج خمرا من برد
إن قسم الناس فقسـ * ـمي بلثمي من كل أحد

قال ومات أخوه إبراهيم بن كيغلغ في مستهل ذي القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وابنه إسحق بن إبراهيم هو كان بطرابلس وعاتبها أبا الطيب المتنبي لما قدمها من الرملة يريد أنطاكية فلم يمدحه وهجاه بقصيدة

(٢) تفسير عبد الرحمن اهـ كذا ذكره أول الترجمة في بعض النسخ

ثم انقطع عن الناس واشتغل بالعلم الشريف والعبادة ثم نصب مدرسا بنقل التفسير والحديث وكان له باع واسع في العربية والتفسير والحديث وكان له حظ من الأصول والفروع وكان عالما نافعا وانتفع به كثير من الناس وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن أبناء الزمان محبا للخير وأهله وكان له ذهن رائق وطبع مستقيم وكان لا يخلو عن المطالعة والإفادة توفي وهو مدرس بمدرسة الوزير محمد باشا بمدينة قسطنطينية في سنة ست وخمسين وتسعمائة نور الله تعالى روحه ونور ضريحه

* (ومنهم العالم العامل المولى علاء الدين علي الأيديني) *

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم تقاعد ودرس بدرس عينت له لنقل التفسير والحديث فانقطع عن الناس واشتغل بالعلم والعبادة والتدريس والإفادة وانتفع به كثير من الأنام ومن الخواص والعوام توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وخمسين وتسعمائة نور الله تعالى مرقده وفي غرف جنانه أرقده

* (ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين محمد بن عمر من أمراء ابن الشيخ

أوّلها

لهوى القلوب سريرة لا تعلم * عرضا نظرت وخلت أني أسلم

ثم قام من عنده فبلغه موته بحلة فقال

قالوا الفلانات احترق فقلت لهم * هذا الدواء الذي يشفي من الحق

وهذه القصيدة والتي من قبلها موجودتان في ديوانه فلذلك تركت ذكرهما وله فيه أيضا غيرهما من الهجاء تجاوز الله عنهم أجمعين

(أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين طغرلبك أول ملوك السلجوقية)

كان هؤلاء القوم قبل استيلائهم على الممالك يسكنون فيما وراء النهر في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخا وهم أتراك وكانوا عددا جليلا عن الحصر والاحصاء وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان وإذا قصدهم جمع لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال ولا يصل اليهم أحد فلما عبر السلطان محمود بن سبكتكين الى ما وراء النهر وكان سلطان خراسان وغزنة وتلك النواحي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وجد زعيم بني سلجوق قوي الشوكة كثير العدة يتصرف في أمره على المخاتلة والمراوغة وينتقل من أرض الى غيرها ويغير في أشياعه على تلك البلاد فاستماله وجذبه ولم يزل يخدعه حتى أقدمه اليه فأمسكه وحمله الى بعض القلاع واعتقله وشرع في اعمال الحيلة في تدبير أمر أصحابه واستشار أعيان دولته في شأنهم فمنهم من أشار باغراقهم في نهر جيحون وأشار آخرون بقطع ابهام كل رجل منهم ليتعذر عليهم الرمي والعمل بالسلاح واختلف الآراء في ذلك وآخر ما وقع الاتفاق عليه أن يعبر بهم جيحون الى أرض خراسان ويفرقهم في النواحي ويضع عليهم الخراج ففعل ذلك فدخلوا في الطاعة واستقاموا وأقاموا على تلك الحالة مدة فطمع فيهم العمال وظلموهم وامتدت اليهم أيدي الناس وتهضموا جانبهم وأخذوا من أموالهم ومواشيهم فانفصل منهم ألفا بيت ومضوا الى بلاد كرمان وملكها يومئذ الأمير أبو الفوارس بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه فقابل عليهم وخلع على وجوههم وعزم على استخدامهم فلم يستتموا عشرة أيام حتى مات أبو الفوارس وخافوا من الديلم وهم أهل ذلك الاقليم فبادروا الى قصد اصبهان ونزلوا بظاهرها وصاحبها علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه فرغب في استخدامهم فكتب اليه السلطان محمود يأمره بالايقاع بهم فتواقعوا وقتل من الطائفتين جماعة وقصد الباقون أذربيجان وانحاز الذين بخراسان الى جبل قريب من خوارزم فجرد السلطان محمود جيشا وأرسله في طلبهم فتبعوهم في تلك المفاوز مقدار سنتين ثم قصدهم محمود بنفسه ولم يزل في أثرهم حتى شردهم وشتتهم ثم توفي محمود عقيب ذلك في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى وقام بالأمر بعده ولده مسعود فاحتاج الى الاستظهار بالجيوش فكتب الى الطائفة التي باذربيجان لتتوجه اليه فجاءه منهم ألف فارس فاستخدمهم ومضى بهم الى خراسان فسألوه في أمر الباقين الذين شتتهم والده محمود فقربهم وشرط عليهم لزوم الطاعة فأجابوا الى ذلك وأمنهم وحضروا اليه وقررهم على ما كان والده قررهم أولا ثم دخل مسعود بلاد الهند لاضطراب أحوالها عليه فخلت لهم البلاد وعادوا الى الفساد وبالجملة فان الشرح في هذا يطول وجرى هذا كله والسلطان طغرلبك المذكور وأخوه داود في اسارهم بل كانا في موضعهم من نواحي ما وراء النهر وجرت بينهما وبين ملكشاه صاحب بخارى وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من أصحابهما ودعتهما الحاجة الى اللحوق بأصحابهما الذين بخراسان فكاتبوا مسعودا وسألوه الأمان والاستخدام فقبض الرسل وجرد جيوشا لمواقعة من بخراسان منهم فكانت بينهم مقتلة عظيمة ثم انهم اعتذروا الى مسعود وبذلوا له الطاعة وضمنوا له أخذ خوارزم من صاحبها فطيب قلوبهم وأفرج عن الرسل الواصلين من جهة ما وراء النهر وسألوه أن يفرج عن زعيمهم الذي اعتقله أبوه محمود في أول الأمر فأجابهم الى سؤالهم وأنزله من تلك القلعة وحمل الى بلخ مقيدا فاستأذن مسعودا في مراسلة ابني أخيه طغرلبك وداود المقدم ذكرهما فأذن له وأرسلهما وحاصل الأمر انهما وصلا الى خراسان ومعهما أيضا جيش كبير فاجتمع الجميع وجرت لهم مع ولاة خراسان ونواب مسعود في البلاد أسباب يطول شرحها

وخلاصة

العارف بالله تعالى الشيخ ... شمس الدين قدس الله سره العزيز)*

قرأ على علماء عصره منهم المولى فخر الدين بن اسرافيل والمولى الوالد والمولى محيي الدين الفناري والمولى عبد القادر القاضي بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بالمدرسة الخيرية بمدينة بروسه ثم صار معلما للسلطان سليم خان ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان أيد الله سلطنته وأدام دولته ثم توفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وخمسين وتسعمائة كان عالما فاضلا ذكيا وكانت له مشاركة في العلوم وكانت له تعليقات على مواضع مشكلة وكان لطيف الطبع لذيذ الصحبة حسن السمت مقبول الطريقة محبا لأهل الخير والصلاح وتوفي رحمه الله تعالى في سن الشباب ولو عاش لظهرت منه آثار حسنة نور الله تعالى قبره وضاعف أجره

(ومنهم العالم الفاضل المولى خير الدين)

كان رحمه الله تعالى أصله من ولاية قسطموني قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى الفاضل عبد الرحمن وهو خال هذا الفقير جامع هذه المناقب والمولى الفاضل عبد اللطيف

وخلاصة الامر انهم استظهروا عليهم وظفروا بهم وأول شئ من البلاد ملكوه طوس وقيل الرى وكان
تملكهم فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم بعد ذلك بقليل ملكوا نيسابور واحدى قواعد خراسان فى شهر
رمضان من السنة المذكورة وكان السلطان طغرلبك المذكور كبيرهم واليه الامر وانتهى فى السلطنة
وأخذ أخوه داود المذكور مدينة بلخ وهو والد ألب أرسلان الآتى ذكره ان شاء الله تعالى واتسع لهم
الملك واقتسموا البلاد وانحاز مسعود الى غزنة وتلك النواحى وكانوا يخطبون له فى أول الامر وعظم
شأنهم الى أن راسلهم الامام القائم بأمر الله وكان الرسول الذى أرسله اليهم القاضى أبا الحسن على
بن محمد بن حبيب الماوردى مصنف الحاوى فى الفقه وقد تقدم ذكره ثم ملك بغداد والعراق فى
سادس عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وأربعمائة وأوصاهم بتقوى الله تعالى والعدل
بالرعية والرفق بهم وبث الاحسان الى الناس وكان طغرلبك حليما كريما محافظا على الصلوات
الخمس فى أوقاتها جماعة وكان يصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقات ويبنى المساجد ويقول استحيى
من الله سبحانه وتعالى ان أبنى لى دارا ولا أبنى الى جانبها مسجدا ومن محاسنه المشهورة انه سير الشريف
ناصر الدين بن اسمعيل رسولا الى ملكة الروم وكانت اذ ذاك امرأة كافرة فاستأذنها فى الصلوات
الخمس م بجامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة فأذنت له فى ذلك فصلى وخطب للامام القائم وكان رسول
المستنصر العبيدى صاحب مصر حاضرا فانكر ذلك وكان من أكبر الاسباب فى فساد الحال بين المصريين
والروم ولما تمهدت له البلاد وملك العراق وبغداد سير الى الامام القائم وخطب ابنته فشق على القائم ذلك
واستعفى منه وترددت الرسل بينهما كذلك فى الشفاعة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فلم يجد من ذلك بدا
فزوجه بها وعقد العقد بظاهر مدينة تبريز ثم توجه الى بغداد فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة ولما دخلها
سير يطلب الزفاف وحمل مائة ألف دينار برسم حمل القماش وتسلمه فزفت اليه ليلة الاثنين خامس عشر صفر
بدار المملكة وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل اليها السلطان فقبل الارض بين يديها ولم يكشف
البرقع عن وجهها فى ذلك الوقت وقدم لها تحفا يقصر الوصف عن ضبطها وقبل الارض وخدم وانصرف
وظهر عليه سرور عظيم وبالجملة فأخبار الدولة السلجوقية كثيرة وقد اعتنى بها جماعة من المؤرخين
وألفوا فيها تآليف اشتملت على تفاصيل أمرهم وما قصدت من الاتيان بهذه النبذة الا التنبيه على مبدأ
حالهم ليكشف حقيقة ذلك من يروم الوقوف عليه وتوفى طغرلبك المذكور يوم الجمعة ثامن شهر رمضان
سنة خمس وخمسين وأربعمائة بالرى وعمره سبعون سنة ونقل الى مرو ودفن عند قبر أخيه داود وسيأتى ذكره
فى ترجمة ولده ألب أرسلان ان شاء الله تعالى وقال ابن الهمذانى فى تاريخه انه دفن بالرى فى تربة هناك وكذا
قال السمعانى فى الذيل فى ترجمة السلطان سنجر المتقدم ذكره وحكى وزيره محمد بن منصور الكندرى المقدم
ذكره عنه انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأنى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيئا غير أنى
أشم رائحة طيبة واذا مناد ينادى أنت قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى
أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب لا تكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت لا تكفينى فقيل لك
سبعون سنة ذكر هذا شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ولما حضرته الوفاة قال انما مثلى مثل شاة تشد قوائمها لجز
الصوف فتظن انها تذبح فتضطرب حتى اذا أطلقت تفرح ثم تشد للذبح فتظن انه لجز الصوف فتسكن فتذبح
وهذا المرض الذى أنا فيه هو شد القوائم للذبح فمات منه رحمه الله تعالى ولم تقم بنت الامام القائم فى صحبته الا
مقدار ستة أشهر ولم يخلف ولدا ذكرا فانتقل ملكه الى ابن أخيه ألب أرسلان حسبما شرح فى ترجمته وماتت
زوجته بنت القائم فى سنة ست وتسعين وأربعمائة فى سادس المحرم وطغرلبك بضم الطاء المهملة وسكون
الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف وهو اسم علم تركى مركب من
طغرل وبك وهو اسم علم بلغة الترك لطائر معروف عندهم وبه سمى الرجل وبك معناه الامير وسلجوق
بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ودقاق بضم الدال المهملة وبين

والمولى الفاضل محمد شاه ابن
الحاج حسن والمولى
الفاضل والد هذا الفنرى
والمولى الفاضل سعد الدين
ابن عيسى المفتى ثم صار
مدرسا ببعض المدارس ثم
صار معلما لبعض أبناء
سلطاننا الاعظم ثم توفى فى سنة
ثلاث وخمسين وتسعمائة
كان رحمه الله تعالى محبا للعلم
وأهله وكان حسن السمت
مقبول الطريقة يحب
لاخيه ما يحب لنفسه وكان
كريم الاخلاق طاهر
اللسان روح الله تعالى
روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل
الكامل المولى بخشى)*

كان رحمه الله تعالى أصله
من كورة النحاس وقرأ
رحمه الله على علماء عصره
ثم وصل الى خدمة المولى
الفاضل شجاع الدين
البوى آبادى ثم صار مدرسا
ببعض المدارس ثم صار
معلما للسلطان سليم خان
ابن سلطاننا الاعظم
السلطان سليمان خان أيده
الله وأدام أيد شوكته توفى
رحمه الله تعالى فى سنة
احدى وخمسين وتسعمائة
كان رحمه الله عالما صالحا
مستقيم الطبع جيد
القريحة وكانت له مشاركة
فى العلوم وكان مشتغلا
بنفسه معرضا عن أحوال
الدنيا محبا لاهل الخير
والصلاح نور الله تعالى قبره

*(ومنهم العالم العامل
المولى جعفر المنتشوى)*

م: تأمل فى قوله بجامع القسطنطينية الخ مع كونه فى القرن الخامس قبل فتحها بقرون اه

القافين ألف وجيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون وهو النهر العظيم الفاصل ما بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وتلك البلاد وكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر والمراد بالنهر هو النهر المذكور وهو أحد أنهار الجنة التي جاء ذكرها في الحديث انه يخرج منها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران النيل والفرات والباطنان سيحون وجيحون وسيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء جيحون فيما يلي بلاد الترك وبينهما مسافة خمسة وعشرين يوما وهذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما يجمدان في زمن الشتاء وتعبر القوافل عليهما بدوابهم وأثقالهم ويقيمان كذلك مقدار ثلاثة أشهر وهذا وان كان خارجا عن مقصودنا لكنه متعلق بما نحن فيه فانتشر الكلام وما يخلو من فائدة يقف عليها من كان يتوقعها ممن بعدت بلاده ولا يعرف صورة الحال

(أبو شجاع محمد بن جعفر بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخي السلطان طغرلبك المتقدم ذكره)

وقد تقدم في ترجمة طغرلبك طرف من أخبار والده داود المذكور ولما مات السلطان طغرلبك في التاريخ المذكور في ترجمته نص على تولية الامر لسليمان بن داود أخي ألب أرسلان المذكور ولم ينص عليه الا لان أمه كانت عنده فتبع هواها في ولدها فقام سليمان بالامر وثار عليه أخوه ألب أرسلان وعمه شهاب الدولة قتلمش وجرت بينهم حروب فلم يتم لسليمان الامر وكانت النصرة لأخيه ألب أرسلان فاستولى على الممالك وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه وقصد بلاد الشام فانتهى الى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما فقال ألب أرسلان لابد له من وطء بساطي فخرج اليه محمود ليلا ومعه أمه فتلقاهما بالجميل وخلع عليهما وأعادهما الى البلد ورحل عنها وقال المأموني في تاريخه قيل انه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا حديثه في الاسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان فانه أول من عبره من ملوك الترك ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون فمد على جيحون المتقدم ذكره جسرا وأقام العسكر يعبر عليه شهرا وعبر هو بنفسه أيضا ومد السماط في بليدة يقال لها فربر ولتلك البلدة حصن على شاطئ جيحون في السادس من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة فأحضر اليه أصحابه مستحفظ الحصن ويقال له يوسف الخوارزمي وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن فحمل اليه مقيدا فلما قرب منه أمر أن تضرب أربعة أوتاد لتشد أطرافه الاربعة اليها ويعذبه ثم يقتله فقال له يوسف المذكور ومثلي يفعل به هذه المثلة فغضب ألب أرسلان وأخذ قوسه وجعل فيها سهما وأمر بحل قيده ورماه فأخطأه وكان مدلا برميه وكان جالسا على سرير فنزل عنه فعثر ووقع على وجهه فبادر يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فوثب عليه فراش أرمني فضربه في رأسه بمرزبة فقتله فانتقل ألب أرسلان الى خيمة أخرى مجروحا واحضر وزيره نظام الملك أبا علي الحسن المذكور في حرف الحاء وأوصى اليه وجعل ولده ملكشاه ولي عهده وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ثم توفي يوم السبت عاشر الشهر المذكور وكانت ولادته سنة أربع وعشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وأشهرا ونقل الى مرو ودفن عند قبر أبيه داود وعمه طغرلبك ولم يدخل بغداد ولا رآها مع انها كانت داخلة في مملكته وهو الذي بنى على قبر الامام أبي حنيفة مشهدا وبنى ببغداد مدرسة انفق عليها أموالا عظيمة وذكر في كتاب زبدة التواريخ أنه جرح يوم السبت سلخ شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وعاش بعد الجراحة ثلاثة أيام والله أعلم وقد تقدم ذكر أبيه وانه كان صاحب بلخ وتوفي بها في رجب سنة احدى وخمسين وقيل سنة خمسين وأربعمائة ونقل الى مرو ودفن بها وقيل انه توفي بمرو والله أعلم بالصواب وقيل توفي في صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ودفن بمدرسته بمرو رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر ولده تتش في حرف التاء وألب

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل عبد القادر القاضي بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان بايزيد ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان أعز الله أنصاره ثم توفي وهو ذاهب الى الحج في سنة أربع وستين وتسعمائة كان عالما مستقيم الطبع جيد القريحة سليم النفس صبورا وقورا محبا لاهل الخير والصلاح وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن التعرض لابناء جنسه نور الله قبره وضاعف أجره

(ومنهم العالم العامل والمولى الكامل درويش محمد كانت أمه بنت العالم الفاضل المولى سنان باشا)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة العالم الفاضل المولى ابن كمال باشا ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه مات وهو مدرس بها في سنة اثنتين وستين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا سليم النفس مستقيم الطبع محبا للخير وأهله ملازما لمطالعة الكتب وتحصيل العلوم روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل المولى مصلح الدين مصطفى

أرسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم معروفة فلا حاجة الى تفسيرها وهو
اسم تركي معناه شجاع أسد فألب شجاع وارسلان أسد وأما شهاب الدولة قتلمش بن ميكائيل بن سلجوق فانه
والد سليمان بن قتلمش جد الملوك أصحاب الروم الى الآن وكان له حصون وقلاع من جملتها كردكوه وغيرها
من عراق العجم وعصى على ابن أخيه ألب أرسلان المذكور فحاربه بالقرب من الري فلما انجلى الامر وجد
قتلمش ميتا لا يدرى كيف كان موته وذلك في المحرم سنة ست وخمسين وأربعمائة قيل انه مات من الخوف
وبكى الملك فشق ذلك على ألب أرسلان والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان المذكور قبله الملقب غياث الدين)

قد تقدم في ترجمة جده تتمة نسبه فلا حاجة الى الاعادة ولما توفي والده ملكشاه اقتسم مملكته أولاده الثلاثة
وهم بركياروق وسنجر وقد تقدم ذكرهما ومحمد المذكور ولم يكن لمحمد وسنجر وهما من أم واحدة مع وجود
بركياروق حديث لانه كان السلطان المشار اليه وهما كالاتباع له ثم اختلف محمد وبركياروق فدخل محمد
المذكور وأخوه سنجر الى بغداد وخلع عليهما الامام المستظهر بالله وكان محمد قد التمس من أمير المؤمنين
أن يجلس له ولاخيه سنجر فاجيب الى ذلك وجلس لهما في قبة التاج وحضر أرباب المناصب واتباعهم وجلس
أمير المؤمنين على سدته ووقف سيف الدولة صدقة بن مزيد صاحب الحلة عن يمين السدة وعلى كتفه بردة
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه العمامة وبين يديه القضيب وأفيض على محمد الخلع السبع التي جرت
عادة السلاطين بها وألبس الطوق والتاج والسوارين وعقد له الخليفة اللواء بيده وقلده سيفين وأعطاه
وستة أفراس عربا بمراكبها وخلع على أخيه سنجر خلعة أمثاله وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد وجاري
قدمتهم في ذلك الزمان وترك الخطبة لبركياروق لسبب اقتضى ذلك ولا حاجة الى شرحه لطوله قال محمد بن
عبد الملك الهمذاني في تاريخه وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقال صاحب تاريخ السلجوقية
أقيمت الخطبة ببغداد للسلطان محمد في سابع عشر ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ووافقه على
ذلك غيره ثم قال الهمذاني وكان من الاتفاقات العجيبات ان خطيب جامع القصر ببغداد لما بلغ الى الدعاء
للسلطان بركياروق وأراد أن يذكره سبق لسانه للسلطان محمد ودعا له فأتى أصحاب بركياروق وشنعوا بما جرى
في الديوان العزيز فعزل الخطيب بهذا السبب ورتبوا في موضعه فلم تتأخر خطبة السلطان محمد عن هذه
الواقعة الا أياما قلائل وكانت ذلك فألا للسلطان محمد وأما بركياروق فانه كان من اضداد أعدائه الى واسط ثم قوي
أمره واستظهر وجرى بينه وبين أخيه محمد المصاف على الري وانكسر محمد بالجملة فان شرح ذلك يطول
وكان السلطان محمد المذكور رجل الملوك السلجوقية وفحلهم وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة والمعدلة
الشاملة والبر للفقراء والايتام والحرب للطائفة الملحدة والنظر في أمور الرعية وذكر أبو البركات بن المستوفي
في تاريخ اربل وذكر أنه وصل اليها في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ورحل عنها
متوجها الى الموصل في ثاني عشر الشهر المذكور ثم قال ووجدت في كتاب ذكره الامام أبو حامد الغزالي
في مخاطبته السلطان محمد بن ملكشاه اعلم يا سلطان العالم ان بني آدم طائفتان طائفة غفلاء نظروا الى شاهد
حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتذكروا في النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير
نصب أعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذي
ينزل من الدنيا في قبورهم وما الذي يتركون لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله ثم ان السلطان
محمدا استقل بالملك بعد موت أخيه بركياروق في التاريخ المذكور في ترجمته ولم يبق له منازع وصفت له الدنيا
وأقام على ذلك مدة ثم مرض زمانا طويلا وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة احدى
عشرة وخمسمائة بمدينة اصبهان وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام وهو مدفون باصبهان في
مدرسة عظيمة وهي موقوفة على الطائفة الحنفية وليس باصبهان مدرسة مثلها ولما أيس من نفسه أحضر ولده
محمودا الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج ويجلس على تخت

ابن المولى سيدي
القشوي)*
قرأ رحمه الله تعالى على
علماء عصره ثم وصل الى
خدمة المولى العالم الفاضل
ابن كمال باشا ثم صار مدرسا
ببعض المدارس ثم صار
مدرسا باحدى المدرستين
المتجاورتين بأدرنه
مات وهو مدرس بها في سنة
أربع وستين وتسعمائة
كان رحمه الله جيد القريحة
مستقيم الطبع ملازما
لمطالعة الكتب والعلوم
وكانت له مشاركة في العلوم
نور الله تعالى قبره
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى سعد الله الشهير بابن
شيخ شاذي)*
قرأ رحمه الله على علماء
عصره ثم وصل الى خدمة
العالم الفاضل المولى الوالد
روح الله روحه وصار معيدا
لدرسه ثم صار مدرسا
ببعض المدارس ثم صار
مدرسا بمدرسة الحاج
حسن بمدينة قسطنطينية
وتوفي وهو مدرس بها في
سنة احدى وخمسين
وتسعمائة كان رحمه الله
عالما فاضلا جيد القريحة
سليم الطبع مستقيم
النظر وكان صالحا عابدا
وكان على الفطرة الاسلامية
صحيح العقيدة بعيدا عن
البدعة محبا لاهل الخير
والصلاح روح الله روحه
ونور ضريحه
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى عبد الكريم بن عبد

السلطنة وينظر في أمور الناس فقال لو الده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك بالسلطنة ففرح وجلس على التخت بالتاج والسوارين ولم يخلف أحد من الملوك السلجوقية ما خلفه من الذخائر وأصناف الاموال والدواب وغير ذلك مما يطول شرحه رحمه الله وسيأتي ذكر والده في هذا الحرف ان شاء الله تعالى وتزوج الامام المقتفي لامر الله فاطمة ابنة السلطان محمد المذكور وكان الوكيل في قبول النكاح الوزير شرف الدين أبا القاسم علي بن طراد الزينبي وذلك في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وحضر أخوها مسعود العقد ونقلت فاطمة ابنة السلطان المذكورة الى دار الخلافة للزفاف سنة أربع وثلاثين ويقال انها كانت تقرأ وتكتب ولها التدبير الصائب وسكنت في الموضع المعروف بدركاه خاتون وتوفيت في عصمته يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة رحمها الله تعالى والله أعلم بالصواب

(أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شادي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى)

وقد تقدم ذكر والده في حرف الهمزة وسيأتي ذكر أخيه صلاح الدين في حرف الياء ان شاء الله تعالى وكان الملك العادل قد وصل الى الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره وكان يقول لما عزمنا على المسير الى مصر احتجت الى جرمدان فطلبته من والدي فأعطاني وقال يا أبا بكر اذا ملكتم مصر أعطني ملأه ذهبا فلما جاء الى مصر قال يا أبا بكر أين الجرمدان فرحت وملأته من الدراهم السود وجعلت أعلاها شيئا من الذهب وأحضرته اليه فلما رآه اعتقده ذهبا فقلبه فظهرت الفضة السوداء فقال يا أبا بكر تعلمت زغل المصريين ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه في حال غيبته في الشام ويستدعي منه الاموال للانفاق في الجند وغيرهم ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن الحمول تأخرت مدة فتقدم السلطان الى العماد الاصبهاني أن يكتب الى أخيه الملك العادل يستحثه على انفاذها حتى قال يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فلما وصل الكتاب اليه ووقف على هذا الفصل شق عليه وكتب الى القاضي الفاضل يشكو من السلطان لاجل ذلك فكتب القاضي الفاضل جوابه وفي جملته وأما ما ذكره المولى من قوله يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فتلك لفظة ما المقصود بها من الملك النجعة وانما المقصود بها من الكاتب السجعة وكم من لفظة فظة وكلمة فيها غلظة جبرت عي الاقلام وسدت خلل الكلام وعلى المملوك الضمان في هذه النكتة وقد فات لسان القلم منها أي سكتة وكان المملوك حاضرا وقد جرت فوارع الاستحثاث وصرصر البازي وقويت نفس العماد فوقع نفس البغاث والسلام ولما ملك السلطان مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدم في ترجمة عماد الدين زنكي أعطاها لولده الملك الظاهر غازي ثم أخذها منه وأعطاها للملك العادل فانتقل اليها وصعد قلعتها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي ابن السلطان المقدم ذكره لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين وخرج منها في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل في الممالك في حياة السلطان وبعد وفاته وقضاياه مشهورة مع الملك الافضل والملك العزيز والملك الظاهر فلا حاجة الى الاطالة بشرحها وآخر الامر انه استقل بمملكة الديار المصرية وكان دخوله الى القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقرت له القواعد وقال أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل في ترجمة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الوزير الجزري ما مثاله وجدت بخطه خطب الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له بحلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتي عشرة وستمائة وسير اليها ولده الملك المسعود

الوهاب ابن المولى العالم الفاضل عبد الكريم)*

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل سعد الله بن عيسى القاضي بمدينة قسطنطينية أولا ثم المفتي بها كان رحمه الله عالما فاضلا وكان له اشتغال عظيم بالعلوم واهتمام تام بتحصيل المعارف وكانت له مشاركة في العلوم وكان ماهرا في العلوم الادبية والتفسير والعقلية وكان صالحا نشأ على العفة والصلاح وتوفي وهو شاب في سنة ست وأربعين وتسعمائة ولو عاش لكان له شأن عظيم في العلوم نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل المولى الشريف ميرعلي البخاري)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ببخارى وسمرقند وحصل طرفا صالحا من العلوم ثم أتى بلاد الروم في زمن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان وعين له كل يوم ثلاثين درهما من جوالي مصر وسكن هناك مدة ثم أتى مدينة قسطنطينية وتوفي رحمه الله تعالى بها في سنة خمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما عاملا فاضلا أديبا لبيبا وكان له حظ وافر من العلوم العربية والعقلية والشرعية وكان عالما بعلم التفسير والحديث وكان يكتب خطا حسنا

صلاح الدين أبا المظفر يوسف المعروف بأطسيس ابن الملك الكامل الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان ولده الملك الاوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه في ميافارقين وتلك النواحي فاستولى على مدينة خلاط وبلاد أرمينية واتسعت مملكته وذلك في سنة أربع وستمائة ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده فاعطى الملك الكامل الديار المصرية والملك المعظم البلاد الشامية والملك الاشرف البلاد الشرقية والاوحد في البلاد التي ذكرناها وكان ملكا عظيما ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما في الامور صالحا محافظا على الصلوات في أوقاتها متبعا لارباب السنة مائلا الى العلماء حتى صنف فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس وذكر اسمه في خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وبالجملة فانه كان رجلا مسعودا ومن سعادته انه خلف أولادا لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا خيار البلاد ولما مدح ابن عنين المقدم ذكره الملك العادل بقصيدته الرائية المذكور بعضها في ترجمته جاء منها في مدح أولاده المذكورين قوله

وله البنون بكل أرض منهم * ملك يقود الى الاعادي عسكرا
من كل وضاح الجبين تخاله * بدرا وان شهد الوغى فغضنفرا
متقدم حتى اذا النقع انجلى * بالبيض عن سبي الحريم تأخرا
قوم زكوا أصلا وطابوا محتدا * وتدفقوا جودا وراقوا منظرا
وتعاف خيلهم الورود بمنهل * ما لم يكن بدم الوقائع أحمرا
يعشو الى نار الوغى شغفا بها * ويجل أن يعشو الى نار القرى

وكم للشعراء فيهم من القصائد المختارة التي ذكرت هذه لكونها جامعة لجميعهم ومن جملة هذه القصيدة في مدح الملك العادل قوله ولقد أحسن فيه

العادل الملك الذي أسماؤه * في كل ناحية تشرف منبرا
وبكل أرض جنة من عدله الصافي أسال نداه فيها كوثرا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى * غرثان وهو يرى الغزال الاعفرا
ما في أبي بكر لمعتقد الهدى * شك مريب أنه خير الورى
سيف صقال المجد أخلص متنه * وأبان طيب الاصل منه الجوهرا
ما مدحه بالمستعار له ولا * آيات سؤدده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه * في الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة ما أتى * في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
ملك اذا خفت حلوم ذوي النهى * في الروع زاد رصانة وتوقرا
ثبت الجنان تراع من وثباته * وثباته يوم الوغى أسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما في غد * ببديهة أغنته أن يتفكرا
حلم تخف له الحلوم وراءه * رأي وعزم يحقر الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرما * ويصد عن قول الخنى متكبرا
لا تسمعن حديث ملك غيره * يروى فكل الصيد في جوف الفرا

وبالجملة فانها من القصائد المختارة ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم وينتقل اليهم من مملكة الى أخرى وكان في الغالب يصيف بالشام لاجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش في أرغد عيش وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال انه يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا وكان له في النكاح نصيب وافر وحاصل الامر انه كان ممتعا في دنياه وكانت ولادته بدمشق في المحرم سنة أربعين وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس

وله شرح لطيف على الفوائد الغياثية من علم البلاغة للعلامة عضد الدين رحمه الله تعالى

(ومنهم العالم الفاضل المولى حسام الدين حسين النقاش العجمي)

ولد رحمه الله تعالى بتبريز وقرأ على علماء عصره وسمعت منه انه رأى العلامة الدواني وغياث الدين منصور واجتمع مع العلامة الدواني في مجلس ملك تبريز واراد المولى غياث الدين أن يباحث مع المولى الدواني ليتشرف بذلك عند أقرانه وقال الملك للعلامة الدواني هذا مشيرا الى غياث الدين أراد أن يتكلم معك في بعض المباحث فقال العلامة الدواني يتكلم مع الاصحاب ونحن نتشرف باستماع كلامهم ولم يتنزل الى المباحثة معه ثم ان المولى حسين المزبور أتى بلاد الروم في زمن السلطان بايزيد خان وقرأ على الشيخ مظفر الدين الشرواني وعلى المولى يعقوب ابن سيدي على شارح الشرعة ثم سافر مع المولى ادريس الى الحجاز في آخر سلطنة السلطان بايزيد خان وجاور بمكة المشرفة الى سنة خمس وخمسين وتسعمائة ثم أتى مدينة قسطنطينية وعين له كل يوم خمسة عشر درهما ثم أعطى مدرسة هناك وعين له كل يوم

عشرة وستمائة بعالقين ونقل الى دمشق ودفن بالقلعة ثانى يوم وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به ودفن فى التربة التى بها وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هنالك رحمه الله تعالى وعالقين بفتح العين المهملة وبعد الالف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون وهى قرية بظاهر دمشق وكان ذلك عند وصول الفرنج الى ساحل الشام وقصدوا أولا لقاء الملك العادل فتوجه قدامهم الى جهة دمشق ليتجهز ويتأهب الى لقائهم فلما وصل الى الموضع المذكور توفى به فحينئذ أعرض جميع الفرنج عن الشام وقصدوا الديار المصرية فكانت وقعة دمياط المشهورة فى ذلك التاريخ وتاريخها مضبوط فى ترجمة يحيى بن منصور المعروف بابن جراح فى حرف الياء وأطسيس بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية وهى كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم ويقال انما سمى بذلك لان الملك الكامل ما كان يعيش له ولد فلما ولد له المسعود المذكور قال بعض الحاضرين فى مجلسه ان الاتراك فى بلادنا اذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس فسماه أطسيس والناس يقولون أقسيس بالقاف وصوابه بالطاء كذا قالوا والله أعلم ثم ظفرت بتاريخ تسلم حلب وهو أن عماد الدين بن زنكى نزل من قلعتها يوم الخميس الثانى والعشرين من صفر وصعد صلاح الدين اليها يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر المذكور والله أعلم

(أبو المعالى محمد بن الملك العادل المذكور الملقب بالملك الكامل ناصر الدين)

قد سبق فى ترجمة والده طرف من خبره ولما وصل الفرنج الى دمياط كما تقدم ذكره كان الملك الكامل فى مبادى استقلاله بالسلطنة وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الامراء وفيهم عماد الدين أحمد بن المشطوب المذكور فى حرف الهمزة فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين ابراهيم ابن الملك العادل وانضموا اليه وظهر للملك الكامل منهم أمور تدل على انهم عازمون على تفويض السلطنة اليه وخلع الملك الكامل واشتهر ذلك بين الناس وكان الملك الكامل يداريهم لكونه فى قبالة العدو ولا يمكنه المباشرة والمنافرة وطول روحه معهم ولم يزل على ذلك حتى وصل اليه أخوه الملك المعظم صاحب دمشق المذكور فى حرف العين يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فأطلعه الملك الكامل فى الباطن على صورة الحال وان رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاءه يوما على غفلة الى خيمته واستدعاه فخرج اليه فقال له أريد ان أتحدث معك سرا فى خلوة فركب فرسه وسار معه جريدة وقد جرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق اليهم وقال لهم اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شئ الى شئ حتى أبعد عن المخيم ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتهى أن تهبها لنا ثم أعطاه شيئا من النفقة وقال لاولئك المجردين تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه الا امتثال الامر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة فى تلك الحال ثم عاد المعظم الى أخيه الكامل وعرفه صورة ما جرى ثم جهز أخاه الملك الفائز المذكور الى الموصل لاحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فمات بسنجار وكان ذلك خديعة لاخراجه من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقى من الامراء الموافقين لهما ودخلوا فى طاعة الملك الكامل كرها لا طوعا وجرى فى قضية دمياط ما هو مشهور فلا حاجة الى الاطالة بذكره ولما ملك الفرنج دمياط وصارت فى قبضتهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر ونزلوا فى رأس الجزيرة التى دمياط فى برها وكان المسلمون قبالتهم فى القرية المعروفة بالمنصورة والبحر حائل بينهم وهو بحر أشموم ونصر الله سبحانه وتعالى بمنه وجميل لطفه المسلمين عليهم كما هو مشهور ورحل الفرنج عن منزلهم ليلة الجمعة سابع شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة وتم الصلح بينهم وبين المسلمين فى حادى عشر الشهر المذكور ورحل الفرنج عن البلاد فى شعبان من السنة المذكورة وكانت مدة اقامتهم فى بلاد الاسلام ما بين الشام والديار المصرية أربعين شهرا وأربعة عشر يوما وكفى الله شرهم والحمد لله على ذلك وقد فصلت ذلك فى ترجمة يحيى بن جراح فيكشف هنالك فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرغ للامراء الذين كانوا مخامرين عليه

بعشرين درهما ومات وهو مدرس بها فى سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا له حظ عظيم من العلوم سيما علم التفسير والحديث وكان شافعى المذهب وكان قد حفظ من الاحاديث والتواريخ ومناقب العلماء شيئا كثيرا وله شرح على قصيدة البردة أجاد فيه كل الاجادة وله رسالة فى الادب فى غاية الحسن واللطافة وله غير ذلك من الرسائل والفوائد روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى مهدى الشيرازى المشهور بفكارى)

قرأ رحمه الله تعالى ببلدة شيراز على المولى غياث الدين منصور ابن المولى الفاضل صدر الدين الحسينى وحصل هنالك علوم العربية بأسرها وقرأ علم الكلام والمنطق والحكمة وأتقنها وأحكمها ثم أتى بلاد الروم وقرأ رحمه الله على المولى محيى الدين محمد الفنارى ثم صار مدرسا بمدرسة خواجه خير الدين بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة كهنه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير پيرى باشا بقصبة سلورى ثم صار مدرسا بمدرسة قليه ومات وهو مدرس بها فى سنة سبع أو ست وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا أديبا لبيبا مشتغلا

فنفاهم عن البلاد وبدد شملهم وشردهم ودخل الى القاهرة وشرع فى عمارة البلاد واستخراج الاموال من جهاتها وكان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لارباب الفضائل حازما فى اموره لا يضع الشئ الا فى موضعه من غير اسراف ولا اقتار وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم فى مباحثاتهم ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن وهو معهم كواحد منهم وكان يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيرا وهما

ما كنت من قبل ملك قلبى * تصد عن مدنف حزين
وانما قد طمعت لما * حللت فى موضع حصين

وبنى بالقاهرة دار حديث ورتب لها وقفا جيدا وكان قد بنى على ضريح الامام الشافعى رضى الله عنه قبة عظيمة ودفن أمه عنده وأجرى اليها الماء من النيل ومدده بعيد وأنفق على ذلك مالا عظيما ولما مات أخوه الملك المعظم صاحب الشام فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصدا أخذ دمشق منه وجاء أخوه الملك الاشرف مظفر الدين موسى الآتى ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى فاجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول جرت يطول شرحها وملك دمشق فى أول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة وكان يوم الاثنين فلما ملكها دفعها الى أخيه الملك الاشرف وأخذ عوضها من بلاد الشرق حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وتوجه اليها بنفسه فى تاسع شهر رمضان المعظم من السنة واجتاز بحران فى شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم بها بعساكر الديار المصرية وجلال الدين خوارزم شاه يومئذ محاصر خلاط وكانت لاخيه الملك الاشرف ثم رجع الى الديار المصرية ثم تجهز فى جيش عظيم وقصد آمد فى سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا وتلك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود ابن الملك الصالح أبى الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود بن نور الدولة سقمان ويقال سكمان بن ارتق وقد تقدم ذكر جدهم ارتق أخبرنى بعض أهل آمد ممن عنده معرفة ان الملك تسلم أمرها وتسلمها الملك الكامل فى تاسع عشر ذى الحجة من السنة المذكورة وتسلمها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب فى العشرين من الشهر المذكور ودخلها الكامل فى مستهل المحرم سنة ثلاثين وستمائة ولما مات الملك الاشرف فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى ترجمته جعل ولى عهده أخاه الملك الصالح اسمعيل ابن الملك العادل فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق بعد مصالحة جرت بينهما وذلك فى التاسع من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وأبقى له بعلبك وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد ولما ملك البلاد الشرقية وآمد وتلك النواحى استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أبا المظفر أيوب واستخلف ولده الاصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية وقد تقدم فى ترجمة الملك العادل انه سير الملك المسعود الى اليمن وكان أكبر أولاد الملك الكامل وملك الملك المسعود مكة حرسها الله تعالى وبلاد الحجاز مضافة الى اليمن وكان رحيل الملك المسعود من الديار المصرية متوجها الى اليمن يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة احدى عشرة وستمائة ودخل مكة شرفها الله تعالى فى الثالث من ذى القعدة من السنة وخطب له بها وحج ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتى عشرة ثم ملك مكة شرفها الله تعالى فى ربيع الآخر من سنة عشرين وستمائة أخذها من الامير حسن بن قتادة الحسنى واتسعت المملكة للملك الكامل ولقد حكى لى من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة شرفها الله تعالى انه لما وصل الخطيب الى الدعاء للملك الكامل قال مالك مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين الملك الكامل أبو المعالى ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ولقد رأيته بدمشق فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد الشرق واستنقاذها اياها من يد علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان ابن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش

بالعلم غاية الاشتغال ليلا ونهارا وكانت له مهارة تامة فى علم البلاغة وله تعليقات على الكشاف وتفسير البيضاوى وشرح التلخيص وحاشية شرح التجريد وله مهارة تامة فى الانشاء بالعربية وكان فصيحا بليغا متينا فى كلامه وله نظم بالفارسية والعربية نظمها مقبولا عند أهله ورأيت له قصيدة بلغة العربية فى غاية الحسن والقبول وكان يكتب خطا حسنا وكان سريع الكتابة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى سعدى وقد اشتهر بهذا اللقب ولم نعرف اسمه)

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره وحصل طرفا صالحا من كل علم وتمهر فى العربية والفارسية والتفسير والحديث وكان ينظم الاشعار البليغة بالعربية والفارسية والتركية وينشئ الرسائل البليغة بالالسنة المذكورة وتوفى فى أوائل سلطنة سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان كان رحمه الله تعالى أديبا لبيبا حليما كريما اتصل بالسلطان سليمان خان معلما له مدة بدار السلطنة ولازم تعليمهم وتخرج بتربيته كثير منهم ولازم بيته وتربيته المذكورة بعفة وصلاح وديانة وكان لهذا العبد حسن النظر والطف المحاضرة

ابن اسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب الروم وهي وقعة مشهورة يطول شرحها وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكا منهم أخوه الملك الاشرف ولم يزل في علو شأنه وعظم سلطانه الى ان مرض بعد أخذه دمشق ولم يركب وكان ينشد في مرضه كثيرا

يا خليلي خبراني بصدق * كيف طعم الكرى فاني نسيت

ولم يزل كذلك الى ان توفي يوم الاربعاء بعد العصر ودفن في القلعة بدمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وكنت بدمشق يومئذ وحضرت الصلاة يوم السبت في جامع دمشق لانهم أخفوا موته الى وقت صلاة الجمعة فلما حضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذي بين يدي المنبر وترحم على الملك الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر وكنت حاضرا في ذلك الموضع فضج الناس ضجة واحدة وكانوا قد أحسوا بذلك لكنهم لم يتحققوه الا ذلك اليوم ورتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب مصر باتفاق الامراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق ثم بني له تربة مجاورة الجامع ولها شباك الى الجامع ونقل اليها وكانت ولادته في سنة ست وسبعين وخمسمائة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول كذا وجدته بخط من يعتني بالتاريخ والله أعلم وتوفي ولده الملك المسعود بمكة شرفها الله تعالى في ثالث جمادى الاولى سنة ست وعشرين وستمائة ومولده في سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان بمكة رجل من المجاورين يقال له الشيخ صديق بن بدر بن جناح من أكراد بلد اربل وكان من كبار الصالحين فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى انه اذا مات لا يجهز بشيء من ماله بل يسلم الى الشيخ صديق يجهزه من عنده بما يراه فلما مات تولى الشيخ صديق أمره وكفنه في ازار كان يحرم فيه بالحج والعمرة سنين عديدة وجهزه تجهيز الفقراء على حسب قدرته وكان أوصى انه لا يبنى عليه قبة بل يدفن في جانب المعلى جبانة مكة شرفها الله تعالى ويكتب على قبره هذا قبر الفقير الى رحمة الله تعالى اطسيس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ففعل به ذلك ثم ان عمته الصاحبة الصارم قاعاز المسعودي الذي تولى القاهرة بعد ذلك بنى عليه قبة فبلغ الملك الكامل ما فعله الشيخ صديق فكتب اليه وشكره فقال ما فعلت ما أستحق به الشكر فان هذا رجل مال الى القيام بأمره فساعدته ساعة على كل أحد القيام به من موارة الميت فقيل له تكتب جواب الملك الكامل فقال ليس لي اليه حاجة وكان قد سأله ان يسأله حوائجه كلها فما رد له جوابا اخبرني بذلك كله من كان حاضرا يعرف ما يقول والله أعلم وأما ولده الملك العادل فانه أقام في المملكة الى يوم الجمعة ثامن ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وستمائة فقبض عليه امراء دولته بظاهر بلبيس وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان الصالح قد صالح الملك الجواد على ان أعطاه دمشق وعوضه عنها سنجار وعانة وقدم الصالح دمشق وتملكها في مستهل جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ان عمه الملك الصالح عماد الدين اسمعيل صاحب بعلبك اتفق مع الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص على أخذ دمشق اغتيالا وكان الملك الصالح نجم الدين قد خرج منها قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه الملك العادل فلما استقر بنابلس وأقام بها مدة جرت هذه الكائنة في سنة سبع وثلاثين وستمائة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر فهجما دمشق بغتة كرها وأخذاها وهي قضية مشهورة فلما أخذا دمشق رجع العساكر التي كانت مع الصالح نجم الدين اليها وأدرك كل واحد منهم أهله وبنيه وتركوا الملك الصالح بنابلس وحيدا في نفر قليل من غلمانه وأتباعه فجاء الملك الناصر ابن الملك المعظم صاحب الكرك وقبض عليه ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وأرسله الى الكرك واعتقله بها ثم انه أفرج عنه في ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وشرح ذلك يطول واجتمع هو والملك الناصر على نابلس فلما قبض الملك العادل في التاريخ المذكور وطلب الامراء الملك الصالح نجم الدين أيوب جاءهم ومعه الملك الناصر صاحب الكرك ودخلا القاهرة في الساعة الثانية

وكان يحب الانجماع ماتحصب لنفسه روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى قاسم)

كان من عبيد السلطان محمد خان قرأ رحمه الله على علماء عصره وحصل العلوم كلها ثم لازم خدمة الشيخ العارف بالله ابن الوفاء قدس سره ثم ركز عند السلطان بايزيد خان ونصبه معلما لخدامه لعلمه وصلاحه وعفته وديانته ولازم تعليمهم وحصل بتربيته كثير منهم وكان ملازما لبيته ولتعليم المذكورين توفي رحمه الله تعالى في أوائل سلطنة سلطاننا الاعظم السلطان سليم خان وكان له خط حسن جدا وكان سريع الكتابة وكان يحب الانجماع ماتحصب لنفسه وكانت سرعة كتابته بحيث لو وصفت سرعته في الكتابة لم يصدق السامع وكان جميل الصورة طويل القامة جدا أديبا لبيبا صبورا وقورا حليما كريما وفيا متقيا روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى الشهير بابن المكحل)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار قاضيا ببعض البلاد ثم صار خطيبا بجامع السلطان محمد خان بمدينة قسطنطينية وتوفي وهو خطيب بها في أوائل سلطنة سلطاننا الاعظم كان رحمه

من يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وكنت إذ ذاك بالقاهرة وأدخل أخاه الملك العادل في محفة وحوله جماعة كثيرة من الأجناد يحفظونه وحمله من خارج البلد إلى القلعة واعتقله عنده في داخل الدار السلطانية وبسط العدل في الرعية وأحسن إلى الناس وأخرج الصدقات ورمّم ما تهدم من المساجد وسيرته طويلة ثم إنه أخذ دمشق من عمه الملك الصالح في يوم الاثنين ثامن جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وأبقى عليه بعلبك ومضى بعد ذلك إلى الشام في سنة ست وأربعين بعد أن كان عاد إلى مصر ودخل دمشق في أوائل شعبان من السنة وسير العساكر لحصار حمص وقد كان الملك الناصر صاحب حلب أخذها من صاحبها الأشرف ابن صاحب حمص ثم رجع في أوائل سنة سبع وأربعين وهو مريض وقصد الفرنج دمياط وهو مقيم بأشموم ينتظر وصولهم وكان وصولهم إليها يوم الجمعة العشرين من صفر سنة سبع وأربعين وستمائة وملكوا الجزيرة يوم السبت وملكوا دمياط يوم الأحد ثالثه أيام بسهولة لأن العساكر وجميع أهلها تركوها وهربوا وانتقل الملك الصالح من أشموم إلى المنصورة ونزل بها وهو في غاية المرض وأقام بها على تلك الحال إلى أن توفي هنالك ليلة الاثنين نصف شعبان من السنة المذكورة وحمل إلى القلعة الجديدة التي في الجزيرة وترك بها في مسجد هنالك وأخفي موته مقدار ثلاثة أشهر والخطبة باسمه إلى أن وصل ولده الملك توران شاه من حصن كيفا على البرية إلى المنصورة فعند ذلك أظهروا موته وخطبوا لولده المذكور ثم بعد ذلك بني له بالقاهرة إلى جنب مدارسه تربة ونقل إليها في رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت ولادته في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة هكذا وجدته بخط ابنه مكتوبا ورأيت في مكان آخر أنه ولد في ليلة الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وفي مكان آخر أنه ولد في الرابع من المحرم سنة أربع وستمائة والله تعالى أعلم وأشعار به مولده من أعلامها ورثى له رحمه الله تعالى وكانت ولادة الملك العادل في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة بالمنصورة والعدو في قبالة العدو على دمياط وتوفي في الاعتقال يوم الاثنين ثاني عشر شوال سنة خمس وأربعين وستمائة بقلعة القاهرة ودفن في تربة شمس الدولة خارج باب النصر رحمه الله تعالى هذه الفصول ذكرت خلاصتها ولو فصلتها لطال الشرح والمقصود الاختصار وطلب الإيجاز مع أني كنت حاضراً أكثر وقائعها وكان للملك العادل ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيما بالقلعة فلما وصل ابن عمه الملك المعظم توران شاه إلى المنصورة سيره من هنالك ونقله إلى قلعة الشوبك فلما جرت الكائنة على المعظم أحضر وتسلم قلعة الكرك الملك المغيث من الشوبك وسلم إليه الكرك والشوبك وتلك النواحي وهو الآن ملكها ولم يزل مالكها إلى سنة إحدى وستين وستمائة فنزل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المذكور في ترجمة القاضي مجلي صاحب كتاب الذخائر بالغور وراسله وبذل له من تسليم البلد بدلاً وحلف له وقال إنه ورّى في اليمين ولم يستثن فيها فنزل إليه إلى منزله بالطور من الغور فقبض عليه ساعته وسيره مجهزا إلى قلعة الجبل بمصر واعتقله بها وكان للمغيث ولد ينعت بالعزيز فخر الدين عثمان صغير السن فأمره الملك الظاهر ولم يزل في خدمته أميرا إلى أن فتح البلاد كيتغا في شهر رمضان سنة ست وستين وستمائة وتوجه من الشام بعد ذلك إلى مصر فلما دخل إليها قبض عليه واعتقله وهو الآن معتقل بقلعة الجبل المذكورة وهذه قلعة الكرك هي المذكورة في ترجمة القاضي مجلي أيضا وكان الملك الظاهر يخاف على أولاده فكان يبالغ في تحصين القلعة المذكورة وملأها بالذخائر والأموال ولما جرى لولده السعيد ما ذكرناه في ترجمة القاضي مجلي وتوجه إلى الكرك نفعته تلك الذخائر ووجدها عونا له على زمانه ولما توفي الملك السعيد ابن الملك الظاهر في الكرك كما ذكرناه في الترجمة المذكورة ملكها بعده أخوه الملك المسعود نجم الدين خضر ابن الملك الظاهر باتفاق من كان بها من مماليك أبيه ومن أمرائه وهو الآن مالكها مقيم بها ثم نزل منها بالأمان بعد حصار وقع بها في مدة الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري كان نائب المملكة ومقدم العساكر ونزل معه أخوه الملك العادل سلامش بعد أخيه الملك السعيد وتوجها إلى الديار المصرية إلى خدمة السلطان الملك

الله تعالى عالما بالعلوم العربية وعلوم القراءات وكان خطيبا بليغا فصيحا ينشئ الخطب البليغة وكان الخواص والعوام يعظمونه لعلمه وصلاحه وكان كريم النفس مرضي السيرة محمود الطريقة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين الشهير بابن العريجون)

كان رحمه الله تعالى والده عالما فاضلا عارفا بالقراءات منتسبا إلى طريقة الصوفية وقرأ هو في حياة والده العلوم العربية وحصل علوم القراءات وكان حسن الصوت طيب الألحان ونصب خطيبا بجامع السلطان بايزيد خان بمدينة قسطنطينية ثم صار خطيبا بجامع أياصوفيه وتوفي وهو خطيب بها في سنة ثمان وأربعين وتسعمائة كان سليم النفس محمود الأخلاق وكان جيد الخط وحسن المحاضرة فالهم مشتغلا بنفسه معرضا عن أحوال أبناء الزمان وكان مكرما عند الخواص والعوام رحمه الله تعالى

(ومنهم العالم الفاضل المولى مراد)

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره العلوم العربية وعلوم القراءات ومهر فيها وكان حسن التلاوة

المنصور سيف الدين قلاون الصالحي المذكور في ترجمة القاضي بجلي في أوائل هذا الحرف فأحسن السلطان إليهما وجعل الملك خضرا وأخاه سلامش أميرين وأقطعهما الاقطاعات الجيدة وأسكنهما بقلعة الجبل المنصورة واستمر الامر على ذلك وهما مختلطان به في جملة أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الاشرف صلاح الدين خليل (٢) ولم يزل الامر كذلك الى سنة ثمان وثمانين وستمائة فجرى من الامر ما اقتضى الحال معه القبض على الاميرين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل والملك الصالح ابن الملك المنصور المذكور وفاته كان ولي عهد أبيه وكان حازما شديد الرأي وتوفي في حياة والده في شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة ثم ان والده جعل ولاية العهد الى ولده الملك الاشرف المذكور وقلده الملك في شهر شوال السنة سبع وثمانين المذكورة وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة والسعادة والحزم وتوفي الملك المنصور قلاون في يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجد التبن ٣ وكان قد خرج على نية الغزاة الى عكا فعرض له مرض فقضى به نحبه وعادت العساكر الى مستقرها واستقر ولده السلطان الملك الاشرف بالمملكة ففتح المعاقل والبلاد ولم ير في الملوك أكثر سعادة منه ولا أعلى همة ولا أكرم نفسا ولا أكثر وفاء لخدمه ولاتباعه وفي أيام الملك المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثاء تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وكان نازلها بنفسه وعساكره وفتحها قهرا بالسيف واستولى القتل والاسر والنهب على أهلها وملك ما جاورها من قلعة جبيل والبترون وغير ذلك ثم ان الملك الاشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة يسيرة خرج بنفسه وجميع عساكره وتوجه الى عكا فنازلها في يوم وكان خروجه من مصر في يوم واجتمع على عكا جميع الناس الجند والمتطوعة وغيرهم وسائر البلاد ويسر الله فتحها في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة في مثل الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من المسلمين لان الشهر كان الاولى وأخذت من المسلمين في أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب في الآخرة سنة ثمان وخمسين وان السلطان الملك الاشرف صلاح الدين أخرج أهلها منها وقتلهم جميعا بالسيف وكذلك عمل الفرنج بالذي كان فيها من المسلمين لما ملكوها في أيام صلاح الدين فانظر الى هذا الاتفاق العجيب في أمور كثيرة كما أخذت من صلاح الدين ملكها صلاح الدين وقتل المسلمون بها مثل قتل الكفار ومنها وأخذت المسلمين ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ثم ملكها المسلمون ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى فسبحان مقدر الامور ثم أخذت عزائم الفرنج باخذ عكا فهرب من كان ببيروت وعثليث وصيدا حصنان عظيمان لا تطرق الاوهام اليهما وملكهما المسلمون بحول الله وقوته من غير منازع وملكوا أيضا بيروت وصيدا فلم يبق للفرنج من الساحل قلعة ولا بلد ولا قرية ولا جزيرة الا وملك المسلمون ذلك جميعه وتوفي المعظم توران شاه يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة والله تعالى أعلم

(أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات وزير المعتصم)

كان جده أبان رجلا من أهل جبل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه الى بغداد فسمي جده المذكور به وصنعته على ما يأتي ذكره وكان من أهل الادب الظاهر والفضل الباهر أديبا فاضلا بليغا عالما بالنحو واللغة ذكر ميمون بن هرون الكاتب ان أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب يعني ابن الزيات المذكور فاسألوه واعرفوا جوابه فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه وقد ذكره دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره في كتاب طبقات الشعراء وذكره أبو عبد الله هرون بن المنجم الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في كتاب البارع وأورد له من شعره عدة مقاطيع وكان في أول أمره من جملة الكتاب وكان أحمد بن عمار بن شاذي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلأ

فقال

ثم عاد الى بلدته ثم عاد وكان خطيبا بجامع السلطان بايزيد خان بمدينة قسطنطينية ومدرسا بدار القراء التي بناها المولى الفاضل الكوراني وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل الحكيم سنان الدين يوسف)

قرأ أول عمره على علماء عصره ثم رغب في الطب وقرأ على الحكيم محيي الدين ثم نصب طبيبا في مارستان أدرنه ومارستان قسطنطينية ثم جعل طبيبا للسلطان سليم خان وهو أمير على بلدة طرابوزان ولما جلس السلطان سليم خان على سرير السلطنة جعله طبيبا لدار السلطنة ثم جعله سلطان الاعظم رئيس الاطباء ودام على ذلك الى ان توفي في سنة احدى وخمسين وتسعمائة وسألته عن سنه قبيل موته بشهر أو شهرين

(٢) قوله ولم يزل الامر من هنا الى قوله وملك المسلمون ذلك جميعه ساقط من نسخ كثيرة وليس من كلام المؤلف بل هو من زيادة من بعض المؤرخين لان المؤلف مات سنة ٦٨١ قاله نصر الهوريني

٣ مسجد التبن كان بالقرب من المطرية اهـ

فقال له المعتصم ما الكلأ فقال لا أعلم وكان قليل المعرفة بالأدب فقال المعتصم خليفة أمي ووزير عامي وكان
المعتصم ضعيف الكتابة ثم قال أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد بن الزيات المذكور فأدخلوه
إليه فقال له ما الكلأ فقال الكلأ العشب على الإطلاق فإن كان رطباً فهو الخلا فإذا يبس فهو الحشيش
وشرع في تقسيم أنواع النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده وقد ذكرنا ما كان بينه
وبين القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي في ترجمته وحكى أبو عبد الله البيمارستاني أن أبا حفص الكرماني
كاتب عمرو بن مسعدة كتب إلى محمد بن عبد الملك المذكور أما بعد فإنك ممن إذا غرس سقى وإذا
أسس بنى ليستتم بناء أسه ويجتني ثمرة غرسه وبناؤك في ودي قد وهى وشارف الدروس وغرسك عندي قد عطش
وأشفى على اليبوس فتدارك بناء ما أسست وسق ما غرست فقال البيمارستاني فذاكرت بذلك عبد الرحمن
العطوي فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ثم وجدت الأبيات في
ديوان أبي نواس الذي جمعه الأصبهاني وهي

إن البرامكة الكرام تعلموا * فعل الجميل وعلموه الناسا * كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا
لا يهدمون لما بنوه أساسا * وإذا هم صنعوا الصنائع في الورى * جعلوا لها طيب الثناء لباسا
فعلام تسقيني وأنت سقيتني * كأس المودة من جفائك كاسا * آنستني متفضلاً أفلا ترى
* أن القطيعة توحش الإيناسا *

وقد تقدم في ترجمة عبد المحسن الصوري هذا المعنى أيضاً ولابن الزيات المذكور أشعار رائقة فمن ذلك قوله

سماعاً يا عباد الله مني * وكفوا عن ملاحظة الملاح * فإن الحب آخره المنايا
وأوله يهيج بالمزاح * وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلي والصباح

وله على ما نقلته من خط بعض الأفاضل

ظالم ما علمته * مستهلاً عدمته * مطمع في الوصال ممتنع حين رمته
قال إذ أقسم البكا * عن ما قد كتمته * لو بكى طول عمره * بدم ما رحمته
رب هم طويته * وغيظ كظمته * وحياة سئمتها * والهوى ما سئمته

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن ابن الزيات المذكور كان يعشق جارية من جواري القيان فبيعت من
رجل من أهل خراسان فأخرجها قال فذهل عقل ابن الزيات حتى خشي عليه ثم أنشأ يقول

يا طول ساعات ليل العاشق الدنف * وطول رعيته للنجم في السدف
ماذا تواري ثيابي من أخي حرق * كأنما الجسم منه دقة الألف
ما قال يا أسفا يعقوب من كمد * إلا لطول الذي لاقى من الأسف
من سره أن يرى ميت الهوى دنفاً * فليستدل على الزيات وليقف

ومن شعره ما ذكر في كتاب البارع مرثياً زوجته وقد خلفت له ابن ثمان سنين وكان يبكي عليها نائماً بسببه
وهو

ألا من رأى الطفل المفارق أمه * بعيد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه * يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً في الفراش تجيبه * بلابل قلب دائم الخفقان
فهبني أطلت الصبر عنها لأنني * جليد فمن بالصبر لابن ثمان
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جسمه * ولا يأتسي بالناس في الحدثان

وله ديوان رسائل جيد ومدحه البحتري بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خطه وبلاغته وقال في آخرها

وأرى الخلق مجمعين على فضـ * ـلك من بين سيد ومسود
عرف العالمون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهال بالتقليد

فأخبرت أن سنه مائة أو أكثر
بسنتين ومع ذلك لم يتغير
عقله إلا أنه ظهر في بدنه
رعشة فسألته عن ذلك
فقال إنها عن ضعف الدماغ
فتعجبت من إخباره عن
ضعف الدماغ مع ما له من
كمال الإدراك والفهم كان
رحمه الله عالماً صالحاً عابداً
سليم الطبع حليم النفس
صحيح العقيدة مشتغلاً
بنفسه معرضاً عن أحوال
أبناء الدنيا وكان لا يذكر
أحداً بسوء وكان رجلاً
طبيباً مباركاً وكان له احتياط
عظيم في معالجاته لقوة
صلاحه وديانته روح الله
تعالى روحه

*(ومنهم العالم الفاضل
الحكيم عيسى الطبيب)*
قرأ رحمه الله على علماء
عصره ثم رغب في الطب
وتمهر فيه واشتهر بالبركة
في المعالجات ثم نصب طبيباً
بمارستان أدرنة وقسطنطينية
ثم صار طبيباً بدار السلطنة
ثم توفي في سنة ٣
وتسعمائة وكان رحمه الله
رجلاً صالحاً صحيح العقيدة
متصفاً بصلاح النفس وكرم
الأخلاق محباً للخير
مرغباً إلى خدمة الفقراء
والصلحاء ومحباً للضعفاء
والمساكين رحمه الله تعالى

*(ومنهم العالم الفاضل
الكامل عثمان الطبيب)*
كان رحمه الله أصله من ولاية
العجم وأتى بلاد الروم في
زمن السلطان سليم خان

٣ هكذا بياض بالأصل

ولأبي تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره ولإبراهيم بن العباس الصولي فيه مقاطيع يعتب به فيها فمن ذلك قوله

أخ كنت آوي منه عند ادكاره * إلى ظل آباء من العز شامخ
سعت نوب الأيام بيني وبينه * فأقلعن منه عن ظلوم وصارخ
وإني وإعدادي لدهري محمدا * كملتمس إطفاء نار بنافخ

ومن ذلك قوله

دعوتك من بلوى ألمت ضرورة * فأوقدت من ضغن علي سعيرها
وإني إذا أدعوك عند ملمة * كداعية عند القبور نصيرها

وله أيضا فيه

أبا جعفر خف نبوة بعد دولة * وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
فإن يك هذا اليوم يوما حويته * فإن رجائي في غد كرجائكا

وله فيه أيضا

قلت لها حين أكثرت عذلي * ويحك أزرت بنا المروآت
قالت فأين السراة قلت لها * لا تسألي عنهم فقد ماتوا
قالت ، ولم ذاك قلت لها * هذا وزير الإمام زيات

وله أيضا فيه

لئن سدت بي زورة عن محمد * فنع لقد فارقته ومعي قدري
أليست يدا عندي لمثل محمد * صيانته عن مثل معروفه شكري

وله فيه أيضا

فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الإثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وله فيه أيضا

من يشتري مني إخاء محمد * أم من يريد إخاءه مجانا
أم من يخلص من إخاء محمد * وله مناه كائنا ما كانا

وله أشياء غير ذلك * وما زالت الأشراف تهجى وتمدح * وفيه يقول بعضهم ولا أستحضره الآن ثم ظفرت به بعد ذلك وهو القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المتقدم ذكره وكان ابن الزيات المذكور قد هجاه بتسعين بيتا فعمل القاضي أحمد فيه بيتين وهما

أحسن من تسعين بيتا سدى * جمعك معناهن في بيت
ما أحوج الملك إلى مطرة * تغسل عنه وضر الزيت

ونسب صاحب العقد هذين البيتين إلى علي بن الجهم والأول حكاه في الأغاني والله تعالى أعلم ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولده الواثق هرون أنشد ابن الزيات المذكور

قد قلت إذ غيبوك وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت * مثلك إلا بمثل هرون

وأقر الواثق على ما كان عليه في أيام المعتصم بعد أن كان متغضبا عليه في أيام أبيه وحلف عنه لينكبنه إذا صار الأمر إليه فلما ولي أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة فكتبوا فلم يرض بما كتبوه فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وأمر بتحرير المكاتبات عليها فكفر عن يمينه وقال عن المال والفدية عن اليمين عوض وليس عن الملك وابن الزيات عوض فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شيء كثير فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما فقبض عليه واستصفى أمواله وكان سبب نقمته عليه أنه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق وأشار القاضي أحمد بن أبي دواد المذكور بتولية المتوكل وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه الكلام وكان يتقرب بذلك إلى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلا أن يستر أمواله فيفوته فاستوزره وليطمئن وجعل القاضي أحمد يغريه ويجد النعت موقعا فلما قبض عليه ومات في التنور كما سيأتي ذكره لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك ولم يجد عنه عوضا وقال للقاضي أحمد أطمعتني في

(١) قوله ولمثل الخ كذا بالأصل ولعله ولم كان ذلك ليستقيم الوزن اه مصححه

باطل

وأصبح طبيبا بدار السلطنة وكان شديد الذكاء صالحا عفيفا كريم الأخلاق توفي رحمه الله سنة (٣) وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

* (ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محي الدين محمد بن أمين نور الدين طيب الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه المشهور بين الناس بأمين زاده) *

ولد رحمه الله تعالى بمدينة قسطنطينية وكان أبوه من أمراء الدولة العثمانية ونشأ هو في صباه في نواحي بروسه ثم طلب منصب الكمال واشتغل بالعلم وكان صاحب كمال وجمال قرأ على علماء عصره منهم المولى ابن المؤيد والمولى كمال باشا زاده حتى وصل إلى خدمة من تفوق علمه على علماء أقرانه وزهده على زهاد زمانه وهو المولى الفاضل مولانا علي جلبي ابن أحمد بن محمد الجمالي والمفتي بمدينة قسطنطينية فاشتغل هناك غاية الاشتغال ثم صار معيدا لدرسه في مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة قاسم باشا بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير إبراهيم باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة جورلي ثم صار مدرسا بمدرسة دار

(٣) هكذا بياض بالأصل

باطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضا وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنورا من حديد وأطراف مساميره المحدودة الى داخل وهي قائمة مثل رؤس المسال في أيام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجدون لذلك أشد الالم ولم يسبقه أحد الى هذه المعاقبة وكان اذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني فيقول له الرحمة خور في الطبيعة فلما اعتقله المتوكل أمر بادخاله في التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا أمير المؤمنين ارحمني فقال له الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا اليه فكتب

هي السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ما تريك العين في النوم
لا تجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

وسيرها الى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها الا في الغد فلما قرأها المتوكل أمر باخراجه فجاؤا اليه فوجدوه قد مات وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت مدة اقامته في التنور أربعين يوما وكان القبض عليه لثمان مضين من صفر من السنة المذكورة ولما مات وجد في التنور مكتوب بخطه قد خطه بالفحم على جانب التنور يقول

من له عهد بنوم * يرشد الصب اليه * رحم الله رحيما
دل عيني عليه * سهرت عيني ونامت * عين من هنت لديه

وقال أحمد الاحول لما قبض على ابن الزيات تلطفت الى ان وصلت اليه فرأيته في حديد ثقيل فقلت له يعز علي ما أرى فقال

سل ديار الحي من غيرها * وعفاها ومحا منظرها * وهي الدنيا اذا ما أقبلت
صيرت معروفها منكرها * انما الدنيا كظل زائل * نحمد الله الذي قدرها

ولما جعل في التنور قال له خادمه يا سيدي قد صرت الى ما صرت اليه وليس لك حامد فقال وما نفع البرامكة صنعهم فقال ذكرك لهم هذه الساعة فقال صدقت رحمه الله تعالى

* (أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد) *

والعميد لقب والده لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في اجرائهم مجرى التعظيم وكان فيه فضل وأدب وله ترسل وأما ولده أبو الفضل فانه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة وقد تقدم ذكرهما تولى وزارته عقيب موت وزيره أبي علي بن القمي وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم وأما الادب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه وكان يسمى الجاحظ الثاني وكان كامل الرياسة جليل القدر من بعض اتباعه الصاحب بن عباد المتقدم ذكره ولاجل صحبته قيل له الصاحب وكان له في الرسائل اليد البيضاء قال الثعالبي في كتاب اليتيمة كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد تقدم ذكر عبد الحميد وكان الصاحب بن عباد قد سافر الى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتها فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد وكان يقال له الاستاذ وكان سائسا مدبرا للملك قائما بحقوقه وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح فمنهم أبو الطيب المتنبي ورد عليه وهو بأرجان ومدحه بقصائد احداها التي أولها

باد هواك صبرت أم لم تصبرا * وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

ومنها عند تخلصها

أرجان أيتها الجياد فانه * عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا
لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله * ما شق كوكبك العجاج الاكدرا
أمي أبا الفضل المبر أليتي * لأيممن أجل بحر جوهرا
أفتى برؤيته الانام وحاش لي * من أن أكون مقصرا أو مقصرا
من مبلغ الاعراب اني بعدها * شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني * من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه * متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما * رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وهي من القصائد المختارة وقال ابن الهمذاني في كتاب عيون السير أعطاه ثلاثة آلاف دينار وقد استعمل

الحديث بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمرادية بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة أياصوفيه ثم صار مدرسا ثانيا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة بغداد ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ثم أعطاه سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم السلطان سليمان خان مدرسة دار الحديث التي بناها بمدينة قسطنطينية المحمية حماها الله تعالى من البلية وعين له كل يوم مائة درهم مات في سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما زاهدا عاملا صاحب أدب ووقار وما رأيت منه شيئا يخالف الادب وكان أبعد الناس من ذكر مساوي الناس وكان لا يذكر أحدا بسوء في مجلسه وكان يراعي آداب الشرائع في جميع أحواله وما رأيت أحدا يراعي أدبا مثله وكان صارفا أوقاته في العلم والعبادة ومجتنبا عن اللغو واللهو ولم يسمع منه مع طول صحبته اخواننا كلمة فيها رائحة الكذب أصلا ولا كلمة فحش وكان طاهرا ظاهرا وباطنا خاضعا خاشعا محبا للعلماء والصلحاء والفقراء والغرباء وكانت له معرفة تامة بالتفسير وأصول الفقه والعلوم الادبية بأنواعها

م الفذالك جمع فذلكة وهي مجموع الحساب اه

م ارجان بتخفيف الراء وهي مشددة على ما ذكره الجوهري في كتاب الصحاح والحازمي في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه وابن الجواليقي في كتاب المعرب وقد سبق ذكر هذه القصيدة في ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفرات وان المتنبي نظمها فيه وهو بمصر فلما لم يرضه لم ينشده اياها فلما توجه الى بلاد فارس صرفها الى ابن العميد وكان أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي المقدم ذكره قد ورد عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها

برح اشتياق وادكار * ولهيب أنفاس حرار
ومدامع عبراتها * ترفض عن نوم مطار
لله قلبي ما يجن من الهموم وما يواري
لقد انقضى سكر الشبا * ب وما انقضى وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصغا * ر وما سلوت عن الصغار
سقيا التغليسي الى * باب الرصافة وابتكاري
أيام أخطر في الصبا * نشوان مسحوب الازار
تجري الى حجر الصبا * وتقى مداتها عثاري
ومواطن اللذات أو * طان ودار اللهو داري
لم يبق لي عيش يلذ * سوى معاقرة العقار
حتى بأحلمه ابن أخلات القماري
واذا استهل ابن العميد تضاءلت ديم القطار
خرق صفت أخلاقه * صفو السبيك من النضار
فكأنما زفت مدا * هبها الى سواح البحار
وكأن نشر حديثه * نشر الخزامى والعرار
وكأنما انتشقت راحته في نثار
كالفجر يحفظ السرائر عند صدر وايل السرار
ان المكارم الامور * وتنال بالهمم الكبار
والى أبي الفضل انبعثت هواجس النفس السواري

فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقعته التي وردت عليها الى بابه فتوصل الى أن دخل عليه يوم الخميس وهو في مجلس حفل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال أيها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فاغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة أقاومهم ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم ويأس مسقم فان كان للنجاح علامة فأين هي وما هي الا أن الذين حسدتهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا أمثالك فزاحم بمنكبك أعظمهم شأنا وأنورهم شعاعا وأمدهم باعا وأشرفهم بقاعا فثار ابن العميد ولم يدر ما يقول فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة واذا تواهبنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامى عليه فقال ابن نباتة أيها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر والغني اذا مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولقد نافرت ابن العميد من دون ذا حتى دفعنا الى قراعم وبلاج قائم ولست ولي نعمتي فأحتملك ولا صنيعتي فأغضي عليك وان بعض ما قررته في مسامعي ينقض مرة الحلم ويبدد شمل الصبر هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي فقال ابن نباتة صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفتني تقريضك ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال فثار ابن العميد مغضبا وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول والله ان سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا له ومشتريه مماكسا فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه فكأنما غاص في سمع الارض وبصرها فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات ثم اني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين الى غير ابن نباتة وكشفت

م ارجان من كور الاهواز من خوزستان كما ذكره المؤلف في ترجمة أحمد الارجاني اه

فلما يقع التفاته الى العقلية مع مشاركته الناس فيها لا سيما في الحديث والقصائد العربية وكان له تحرير واضح وألفاظ فصيحة وكتب رسائل على بعض المواضع من تفسير البيضاوي وكتب رسائل على بعض المواضع من وقاية الدراية وكان له انشاء بالعربية والفارسية في غاية الحسن والقبول وكان صاحب محاضرة يعرف من التواريخ والمناقب كثيرا روح الله تعالى روحه وأوفر في الجنان فتوحه اللهم ارحمه وارحم والدي كما ربياني صغيرا واجمع بيني وبين والدي بلطفك انك مولى الاجابة في مستقر رحمتك يا رحمن يا رحيم بحرمة نبيك الكريم والحمد لله رب العالمين

(ومن مشايخ الطريقة في زمانه الشيخ العارف بالله تعالى عبد الكريم القادري الملقب بمفتي شيخ)

ولد رحمه الله تعالى في قصبة كرماستي وقرأ رحمه الله على علماء عصره وحفظ القرآن العظيم وكان يقرأ القرآن في زمان اشتغاله بالعلم في أيام الجمع بمحفل جامع السيد البخاري عليه رحمة الملك الباري بمدينة بروسه ثم وصل الى خدمة المولى بالي الاسود ثم سلك مسلك الصوفية فصحب

ديوان ابن نباتة فلم أر هذه القصيدة فيه والله أعلم بالصواب ثم وجدت في كتاب سلب الوزيرين تأليف أبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السباب البغدادي اللغوي المنطقي الشاعر وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بدوتة والله أعلم وكان أبو الفرج أحمد بن محمد الكاتب مكينا عند عضد وركن الدولة ابن بويه وله الرتبة العلية لديه وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الإكرام فعاتبه مرارا فلم يفد فكتب اليه

مالك موفور فما باله * أكسبك التيه على المعدم * ولم إذا جئت نهضنا وان
جئنا تطاولت ولم تتمم * وان خرجنا لم تقل مثل ما * نقول قدم طرفه قدم
ان كنت ذا علم فمن ذا الذي * مثل الذي تعلم لم يعلم * ولست في الغارب من دولة
ونحن من دونك في المنسم * وقد وليت وعزلنا كما * أنت فلم نصغر ولم تعظم
تكافأت أحوالنا كلها * فصل على الانصاف أو فاصرم

وللصاحب بن عباد فيه مدائح كثيرة وكان ابن العميد قد قدم مرة الى أصبهان والصاحب فيها فكتب اليه

قالوا ربيعك قد قدم * قلت البشارة ان سلم   أهو الربيع أخو الشتا * أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذي بنواله * أمن المقل من العدم   قلت الرئيس ابن العميد * اذاً فقالوا لي نعم

وكان ابن العميد كثير الاعجاب بقول بعضهم

وباعث الى ستر على الباب بيننا * تخاف وقد قامت عليها الولائد * لتسمع شعري وهو يقرع قلبها
بوحي تؤديه اليه القصائد * اذا سمعت مني لطيفا تنفست * له نفسا تنقد منه القلائد

ولابن العميد شعر وما أعجبني الذي وقفت عليه منه سوى أبيات ذكرها ابن الصابي في كتاب الوزراء وهو قوله

رأيت في الوجه طاقة بقيت * سوداء عيني تحب رؤيتها * فقلت للبيض اذ تروعها
بالله الا رحمت غربتها * فقل لبث السوداء في بلد * تكون فيه البيضاء ضرتها

وذكر الامير أبو الفضل الميكالي في كتاب المنتحل

آخ الرجال من الاباعد والاقارب لاتقارب * ان الاقارب كالعقا * رب بل أضر من العقارب

وتوفي ابن العميد المذكور في صفر وقيل في المحرم بالري وقيل ببغداد سنة ستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي في كتاب الوزراء انه توفي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى فسلمه هذه الى هذه وقال له سائل سأله أيهما أصعب عليك وأشق قال اذا عاودني النقرس فكأني بين فكي سبع يمضغني واذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه ويقال انه رأى أكارا في بستان يأكل خبزا ببصل ولبن وقد أمعن منه فقال وددت لو كنت كهذا الاكار آكل ما أشتهي قلت وهذه شبيهة بما نقل أن أصغر من الشوائب وكذا قال حمد ابراهيم الخطابي في كتاب التاريخ والله أعلم ورأيت في بعض المجاميع ان الصاحب بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته فلم ير هنالك أحدا بعد ان كان الدهليز يغص من زحام الناس فأنشد

أيها الربع لم علاك اكتئاب * أين ذاك الحجاب والحجاب * أين من كان يفزع الدهر منه
فهو اليوم في التراب تراب * قل بلا رقبة وغير احتشام * مات مولاي فاعتراني اكتئاب

ثم رأيت في كتاب اليميني للعتبي هذه الابيات وقد نسبها الى أبي العباس الضبي ثم قال انها لابي بكر ويقال الخوارزمي وقد اجتاز بباب الصاحب بن عباد ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمي لانه مات قبل الصاحب كما تقدم ذكره ومثل هذه الحكاية ما حكاه علي بن سليمان قال رأيت بالري دار قوم لم يبق منها الا رسم بابها وعليه مكتوب

اعجب لصرف الدهر معتبرا * فهذه الدار من عجائبها
عهدي بها والملوك زاهية * قد سطع النور من جوانبها
تبدلت وحشة بساكنها * ما أوحش الدار بعد صاحبها

الشيخ العارف بالله تعالى الشهير بامام زاده ثم قعد في زاوية أبا صوفية الصغير بمدينة قسطنطينية واشتغل بارشاد المتصوفة وتفقه وكان قوي الحفظ حفظ مسائل الفقه وتمهر فيه حتى ان سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان عين له كل يوم مائة درهم ونصبه مفتيا فأفتى الناس وأظهر مهارته في الفقه وكان يعظ الناس ويذكرهم وكان لكلامه تأثير عظيم في القلوب وقد صنف كتبا كثيرة يطالع فيها كل وقت ويحفظ مسائلها واذا قعد في الخلوة الاربعينية كان يرتاض رياضة قوية شديدة وكان يحفر في الارض حفرة كالقبر كان يقعد فيها ويصلي ولا يخرج الى الناس حتى حكي عنه انه كان تتعطل حواسه جملة من شدة رياضته وبعد تمام الاربعين يخرج الى الناس ويعظهم ويذكرهم الى وقت الخلوة في السنة القابلة وكان رحمه الله تعالى حلو المحاضرة كريم الاخلاق حافظا لنوادر الاخبار وعجائب المسائل كان متواضعا متخشعا يستوي عنده الصغير والكبير واشتكيت اليه من النسيان فدعا لي بزوال النسيان وقوة الحفظ وقد شاهدت بعد ذلك الوقت في

ولما مات رتب بعده مؤيد الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح عليا مكانه في دست الوزارة وكان جليلا نبيلا سريا ذا فضائل وفواضل وهو الذي كتب اليه المتنبي الابيات الحسنة الدالية الموجودة في ديوانه في أثناء مدائح والده ولا حاجة الى ذكرها وذكره الثعالبي في اليتيمة في ترجمة والده وقال كتب الى صديق له يستهديه شرابا مستورا عن والده قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك يا سيدي رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا فان لم تحفظ علينا هذا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام وذكر له مقاطيع من الشعر ولم يزل أبو الفتح المذكور في وزارة ركن الدولة الى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الحاء وقام بالامر ولده مؤيد الدولة فاستوزره أيضا وأقام على ذلك مدة يسيرة وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد منافرة ويقال انه أغرى قلب مؤيد الدولة عليه فظهر له منه التنكر والاعراض وقبض عليه في بعض شهور سنة ست وستين وثلثمائة وله في اعتقاله أبيات شرح فيها حاله وقال الثعالبي اجتاح ماله وقطع أنفه وجز لحيته وقال غيره وقطع يديه فلما أيس من نفسه وعلم انه لا خلاص له مما هو فيه ولو بذل جميع ما تحتوي عليه يده فتق جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن وألقاها في النار فلما علم انها قد احترقت قال للمتوكل به افعل ما أمرت به فوالله لا يصل الى صاحبك من أموالنا درهم واحد فما زال يعرضه على أنواع العذاب حتى تلف وكان القبض عليه يوم الاحد ثامن عشر ربيع الآخر سنة ست وستين وثلثمائة وكانت ولادته سنة سبع وثلثمائة ولما انصرف أهل خراسان في سنة خمس وخمسين وثلثمائة أيام الغزاة من الري بعد الحادثة التي جرت هناك وهي واقعة مشهورة ودفع الله شرها شرع الرئيس أبو الفضل بن العميد في بناء حائط عظيم حول دار مخدومه ركن الدولة فقال له عارض الجيش هذا كما يقال الشد بعض الضراط فقال ابن العميد هذا أيضا جيد لئلا تنفلت أخرى فاستحسن منه هذا الجواب وفيه يقول بعض أصحابه

آل العميد وآل برمك مالكم ＊ قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له ＊ ان الزمان هو الخؤون الغادر

وتولى موضعه الصاحب بن عباد وقد تقدم ذكره في ترجمته فلينظر هناك في حرف الهمزة وكان أبو الفتح المذكور قبل أن يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين

دخل الدنيا أناس قبلنا ＊ رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ＊ ونخليها لقوم بعدنا

ومن المنسوب الى أبي الفتح بن العميد

يقولون لي الواشون كيف تحبها ＊ فقلت لهم بين المقصر والغالي ＊ ولولا حذاري منهم لصدقتهم
فقلت هوى لم يهو قط أمثالي ＊ وكم من شفيق قال مالك واجما ＊ فقلت ترى مابي وتسأل عن حالي

وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي قد وضع كتابا سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل بن العميد المذكور والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل والافضال وبالغ في التعصب عليهما وما أنصفهما وهذا الكتاب من الكتب المحذورة ما ملكه أحد الا وانعكست أحواله ولقد جربت ذلك وجربه غيري على ما أخبرني من أثق به وكان أبو حيان المذكور فاضلا مصنفا له من الكتب المشهورة الامتاع والمؤانسة في مجلدين وكتاب البصائر والذخائر وكتاب الصديق والصداقة في مجلد واحد وكتاب المقابسات في مجلد أيضا ومثالب الوزيرين في مجلد أيضا وغير ذلك وكان موجودا في سنة اربعمائة ذكر ذلك في كتاب الصديق والصداقة والتوحيدي بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ولم أر أحدا ممن وضع كتب الانساب تعرض الى هذه النسبة لا السمعاني ولا غيره لكن يقال ان أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من التمر بالعراق وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله

نفسي تفاوتا كثيرا في القوة الحافظة ويحكى عنه كثير من الكرامات تركناها خوفا من الاطناب توفي رحمه الله في سنة خمسين وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

＊(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ محمد جلبي)＊

كان رحمه الله قريب المولى القريمي وكان مشتغلا بالعلم الشريف أولا ثم رغب في طريق التصوف وانتسب الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى السيد أحمد البخاري وحصل عنده طريق التصوف وأكملها وتزوج بنته ولما مات السيد أحمد البخاري أقامه مقامه وكان عالما عابدا أديبا لبيبا وقورا صاحب حياء وعفة وكنت لا أقدر على النظر الى وجهه الكريم لانعكاس حيائه الي وكنت أحضر مجلسه وكان يقرأ عنده كتاب المثنوي ويؤوله على طريقة الصوفية وقال لي يوما هل لك انكار على الصوفية قلت هل يكون أحد ينكرهم قال نعم قال حكى لي السيد البخاري أنه كان يقرأ البخاري على واحد من علماء عصره ثم تركه وذهب الى خدمة العارف بالله تعالى الشيخ الالهي وكان الشيخ الالهي أيضا قد قرأ على ذلك العالم قال وزار الشيخ الالهي مع السيد البخاري يوما

يترشفن من فمي رشفات * هن فيه أحلى من التوحيد   والله أعلم بالصواب

(أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور)

كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها وتنقلت أحواله الى أن استوزره الامام المقتدر بالله وخلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة وقبض عليه يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ثم نفاه الى بلاد فارس بعد أن صادره ثم استوزره الامام القاهر بالله فارسل اليه الى بلاد فارس رسولا يجيء به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة من فارس بكرة يوم الخميس عيد الاضحى من سنة عشرين وثلثمائة وخلع عليه ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاضدة علي بن بليق على القبض به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر في أول شعبان من سنة احدى وعشرين وثلثمائة ولما ولى الراضي بالله لست خلون من جمادى الاولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة استوزره أيضا لتسع خلون من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان المظفر بن ياقوت مستحوذا على أمور الراضي وكان بينه وبين أبي علي الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور مع الغلمان الحجرية انه اذا جاء الوزير أبو علي قبضوا عليه وان الخليفة لا يخالفهم في ذلك ورضي بما سره هذا الامر فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه وأرسلوا الى الراضي يعرفونه صورة الحال وعددوا له ذنوبا وأسبابا تقتضي ذلك فرد جوابهم وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه وذلك كان في يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثلثمائة واتفق رأيهم على تفويض الوزارة الى عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح فقلده الراضي الوزارة وسلم اليه أبا علي بن مقلة فضربه بالمقارع وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شيء كثير وأخذ خطه بالف ألف دينار ثم خلص وجلس بطالا في داره ثم ان أبا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة وخرج عن طاعتها فانفذ اليه الراضي واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله أمير الامراء وردّ اليه تدبير أعمال الخراج والضياع في جميع النواحي وأمر أن يخطب له على جميع المنابر فقوي أمره وعظم شأنه وتصرف على حسب اختياره واحتاط على أملاك ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين فخضر اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل لهما في معنى الافراج عن أملاكه فلم يحصل منهما الا على المواعيد فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب الى الراضي يشير عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلثمائة ألف ألف دينار وكانت مكاتبته على يد علي بن هرون المنجم النديم المقدم ذكره فاطمعه الراضي بالاجابة الى ما سأل وترددت الرسائل بينهما في ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على أن يحدر اليه سرا ويقيم عنده الى أن يتم التدبير فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لان القمر يكون تحت الشعاع وهو يصلح للامور المستورة فلما وصل الى دار الخلافة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله في حجرة ووجه الراضي من غد الى ابن رائق وأخبره بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله في أسره وترددت بينهما المراسلات في ذلك فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلثمائة أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده التي كتب بها تلك المطالعة فلما انتهى كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد الى محبسه ثم ندم الراضي على ذلك وأمر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتى برئ وكان ذلك نتيجة دعاء أبي الحسن محمد بن شنبوذ المقري عليه بقطع اليد وقد تقدم ذكر سبب ذلك في ترجمته وذلك من عجيب الاتفاق وقال أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته كنت اذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال ولده أبي الحسين فاعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص فأسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع فينشدني

ذلك العالم وقال ذلك العالم للسيد البخاري باي شيء تشتغل قال قلت تركت الاشتغال بالعلم واريم على قال قلت اشتغل بارشاد العباد قال قال ذلك العالم تشتغل بمثل ذلك الكتاب وان أعقل العقلاء هم الحكماء وقال صاحب ذلك الكتاب في حقهم ان الحكيم كافر محقق قال وغضب علي وطردني وطرد الشيخ من مجلسه فلما حكى الشيخ محمود جاي هذه الحكاية قلت المنكر مبتلى بانكاره واما المعترف الغير السالك الى طريقهم أفلا يكون حاله أقرب من حال المنكرين قال لا بل الاعتراف يجذبه أخيرا الى طريق الحق ثم قلت انا نجد في بعض كتب الصوفية شيئا يخالف ظاهر الشرع هل يجوز لنا الانكار عليه قال بل يجب عليكم الانكار عليه الى أن يحصل لكم تلك الحالة وبعد حصول تلك الحالة يظهر لكم موافقته الشرع هذا ما جرى بيني وبينه توفي رحمه الله تعالى في سنة ٣ وتسعمائة قدس الله روحه العزيز

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ يري خليفة الحميدي)

صاحب مع السيد البخاري

٣ هكذا بياض بالاصل

ويقول اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل للراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد ليس مما
يمنع الوزارة وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الى ابن
رائق أمر بقطع لسانه أيضا فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان
يستقي الماء لنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه أخرى وله أشعار في شرح حاله وما انتهى
أمره اليه ورثى يده وأكثر الشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله

ما سئمت الحياة لكن توثقت * بأيمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياي حتى * حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حطت ما استطعت بجهدي * حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش * يا حياتي بانت يميني فبيني

ومن المنسوب الى ابن مقلة أيضا لست ذا ذلة اذا عضني الدهر * ولا شامخا اذا واتاني

انا نار في مرتقى نفس الحا * سد ماء جار مع الاخوان

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم

وقالوا العزل للوزراء حيض * لحاه الله من أمر بغيض

ولكن الوزير أبا علي * من اللائي يئسن من المحيض

ومن شعره أيضا ما قاله الثعالبي في يتيمة الدهر

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * في شامخ من عزه المترفع

قالت لي النفس العروف بقدرها * ما كان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن في
مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى أهله وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة اثنتين
وسبعين ومائتين ببغداد رحمه الله تعالى وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ابن البواب الكاتب وانه أول من
نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين الى هذه الصورة وهو أو أخوه على الخلاف المذكور في ترجمة ابن
البواب وان ابن البواب تبع طريقته ونقحها ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله اذا
أحببت تهالكت واذا أبغضت أهلكت واذا رضيت آثرت واذا غضبت أثرت ومن كلامه أيضا يعجبني من
يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ويتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا وله كل معنى مليح في النظم والنثر وكان ابن
الرومي الشاعر المتقدم ذكره يمدحه فمن معانيه الغريبة فيه قوله

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لا شئ يعادله * ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة كاتبا أديبا بارعا والصحيح انه صاحب الخط المليح ومولده يوم
الاربعاء طلوع الفجر سلخ شهر رمضان سنة ثمان وستين ومائتين وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين
وثلثمائة رحمه الله تعالى وأما ابن رائق فان الحافظ ابن عساكر ذكر في تاريخ الامام المتقي بالله ولاه أمر
دمشق وأخرج منها بدر بن عبد الله الاخشيذي ثم توجه الى مصر وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الاخشيذي
المتقدم ذكره فهزمه الاخشيذي فرجع الى دمشق ثم توجه الى بغداد وقتل بالموصل سنة ثلاثين وثلثمائة
وقيل ان بني حمدان قتلوه بالموصل قتله ناصر الدولة الحسن المتقدم ذكره

*(الوزير أبو الطاهر محمد بن بقية بن علي الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بختيار بن
معز الدولة بن بويه المتقدم ذكره)*

كان من أجلاء الرؤساء وأكابر الوزراء وأعيان الكرماء وقد تقدم في ترجمة عز الدولة طرف من خبره في

تقدمة

وحصل عنده الطريقة
وأجازه للارشاد وسكن
بوطنه وكان عابدا زاهدا
منقطعا عن الناس بالكلية
متوجها الى الله تعالى
ظاهرا وباطنا يروى انه
كان دائم الاستغراق ومن
جملة مناقبه انه أتى اليه
رجل بجوز بطريق الهدية
فلم يقبلها ولما تكدر
الرجل من عدم قبوله لها
قال مظهرا اعتذاره اليه أليس
وهبت هذه الشجرة من
زوجتك بدلا من مهرها
فاعترف الرجل بذلك وتسلى
توفي رحمه الله تعالى في سنة
اثنتين وستين وتسعمائة
قدس الله سره العزيز

*(ومنهم العارف بالله
تعالى الشيخ حاجي خليفة
المنتشوي)*

كان رحمه الله تعالى من
طلبة العلم أولا ثم ترك
طريقة العلم وانتسب
الى خدمة الشيخ محمود
جلبي المذكور وحصل
عنده طريقة التصوف
وأكملها حتى وصل الى
مرتبة ارشاد الطالبين
وأجازه بالارشاد وكان
رجلا منقطعا عن الناس
مشتغلا بالعبادات وارشاد
الطالبين متواضعا متخشعا
أديبا لبيبا وقورا صبورا مبارك
النفس مرضي السيرة
وكان لا ينام الليلة بطولها
وكان يجلس مستقبل
القبلة مشتغلا بالله تعالى
الى الفجر وكانت له كلمات
مؤثرة في القلوب وكل من

تقضية الشمع وان الشماع لما سئل عن راتب عز الدولة في الشمع كم كان فقال كان راتب وزيره محمد بن بقية ألف من في كل شهر فاذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة اليه فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة اليه وكان من أهل وانا من عمل بغداد وكان في أول أمره قد توصل الى ان صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ثم انتقل الى غيرها من الخدم والمهمات لمعز الدولة وأفضى الامر الى عز الدولة فحسنت حاله عنده ورعى له خدمته لابيه وكان فيه تواصل وسعة صدر وتقدم الى ان استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة ثم انه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك يطول شرحه وحاصله انه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقيا على الاهواز وكسر عز الدولة فنسب ذلك الى رأيه ومشورته وفي ذلك يقول أبو غسان الطبيب بالبصرة

أقام على الاهواز خمسين ليلة * يدبر أمر الملك حتى تدمرا
فدبر أمرا كان أوله عمى * وأوسطه بلوى وآخره خرا

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وستين وثلثمائة بعد يتو اسط وسمل عينيه ولزم بيته وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة بن بويه عنه أمور يسوءه سماعها منها انه كان يسميه أبا بكر العذري تشبيها له برجل أشقر أزرق يسمى أبا بكر كان يبيع العذرة برسم البساتين ببغداد وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان الوزير يفعل ذلك تقربا الى قلب مخدومه عز الدولة لما كان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة من العداوة فلما قتل عز الدولة كما وصفناه في ترجمته وملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بقية المذكور وألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقال ابن الهمداني في كتاب عيون السير لما استوزر عز الدولة بختيار بن بويه ابن بقية المذكور بعد أن كان يتولى أمر المطبخ قال الناس من الغضارة الى الوزارة وستر كرمه عيوبه وخلع في عشرين يوما عشرين ألف خلعة قال أبو اسحق الصابي رأيته وهو يشرب في بعض الليالي وكلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مائتي خلعة فقالت له مغنية يا سيدي الوزير قد هذه الثياب تابعها تعتقت على جميلك فضحك وأمر لها بخمسة ثياب وهو أول وزير لقب بلقبين فان الامام المطيع لقبه بالناصح ولقبه والده الطائع نصير الدولة ولما حضرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسمله وحمله الى عضد الدولة فسمه ولا شهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ثم طرحه للفيلة فقتله ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانباري أحد العدول ببغداد بقوله

علو في الحياة وفي الممات * لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الارض عن أن * تضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعى * بحفاظ وحراس ثقات
وتشعل عندك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأس * تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات
اسأت الى النوائب فاستثارت * فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي * فعاد مطالبا لك بالترات
وصير دهرك الاحسان فيه * الينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما * مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي * يخفف بالدموع الجاريات
ولو أني قدرت على قيام * لفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نظم القوافي * ونحت بها خلاف النائحات

خالص محبته تشتعل قلبه بالخشية ولما أصبح في يوم من الايام ركب بغلته وعبر البحر وأراد السفر ولم يكن له زاد وراحلة وتبعه اثنان من الصوفية ولم يدر أحد الى أين يذهب هو ولم يخبر زوجته أيضا بسفره فسافر الى الحجاز وحج وزار النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أيام مرض ومات ودفن هناك قدس الله سره العزيز

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ بكر خليفة السماوي)

كان رحمه الله تعالى من طلبة العلم الشريف أولا ثم رغب في التصوف واتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى الحاج خليفة المذكور وحصل عنده ما حصل من الكرامات العلية حتى جلس مكان شيخه بعد وفاته للارشاد وكان رحمه الله مشتغلا بنفسه منقطعا عن الخلائق ومتوسلا الى الله تعالى وكان عالما عارفا لينا متواضعا متخشعا أديبا لبيبا وقورا صبورا حليما كريما محبا للفقراء وأهل معرضا عن أبناء الدنيا ومقبلا الى الآخرة توفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وستين وتسعمائة روح الله روحه وأوفر في الجنان مثويه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ سنان الدين يوسف الاردبيلي)

ولكنى أصبر عنك نفسى * مخافة أن اعد من الجناة * ومالك تربة فاقول تسقى
لانك نصب هطل الهاطلات * عليك تحية الرحمن تترى * برحمات غواد رائحات

ولم يزل ابن بقية مصلوبا الى ان توفى عضد الدولة فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف الفاء فانزل عن الخشبة ودفن فى موضعه فقال فيه أبو الحسن بن الانبارى صاحب المرثية المذكورة

لم يلحقوا بك عارا اذ صلبت بلى * باؤا باثمك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا انهم فى فعلهم غلطوا * وانهم نصبوا من سودد علما
فاسترجعوك وواروا منك طود علا * بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليت فلا يبلى نداك ولا * تنسى وكم هالك ينسى اذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما * مازال مالك بين الناس منقسما

وقال الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق لما صنع أبو الحسن المرثية التائية كتبها ورماها فى شوارع بغداد فتداولتها الادباء الى أن وصل الخبر الى عضد الدولة فلما انشدت بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب بدونه فقال على بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد وهو بالرى فكتب له الامان فلما سمع أبو الحسن بن الانبارى بذكر الامان قصد حضرته فقال له أنت القائل هذه الابيات قال نعم قال أنشدنيها من فيك فلما أنشد ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات
قام اليه الصاحب وعانقه وقبل فاه وأنفذه الى عضد الدولة فلما مثل بين يديه قال له ما الذى حملك على مرثية عدوى فقال الحقوق سلفت وأيادى مضت فجاش الحزن فى قلبى فرثيته فقال هل يحضرك شئ فى الشموع والشموع تزهر بين يديه فانشأ يقول

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار فى كل رأس سنانا
أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

فلما سمعها خلع عليه وأعطاه فرسا وبدرة انتهى كلام الحافظ قلت قوله فى الابيات

ركبت مطية من قبل زيد * علاها فى السنين الماضيات

أراد زيد هذا هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان قد ظهر فى أيام هشام بن عبد الملك فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ودعا الى نفسه فبعث اليه يوسف بن عمر الثقفى والى العراقين يومئذ جيشا مقدمه العباس المرى فرماه رجل منهم بسهم فاصابه فمات وصلب بكناسة الكوفة ونقل رأسه الى البلاد وقال ابن قانع كان ذلك فى صفر سنة احدى وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة فى صفر أيضا بالكوفة وله يومئذ من العمر اثنتان وأربعون سنة ويومئذ وقال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب ان زيد بن على رضى الله عنهما أصابه سهم فى جبهته فاحتمله أصحابه وكان ذلك عند المساء ثم دعوا الحجام فانتزع النشابة ومات من ساعته ودفن وذكر أبو عمر والكندى فى كتاب أمراء مصر أن أبا الحكم بن أبى الابيض التيمى قدم الى مصر برأس زيد بن على يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين ومائة واجتمع اليه الناس فى المسجد وهو صاحب المشهد الذى بين مصر وبركة قارون بالقرب من جامع ابن طولون يقال ان رأسه مدفون به والله أعلم بالصواب وقتل والده يحيى بن زيد سنة خمس وعشرين ومائة وقصته مشهورة بالجوزجان قتله سالم بن أحوز المازنى وقيل جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهذه القصيدة لم يعمل فى بابها مثلها باتفاق علماء الفن وقد ذكر أبو تمام أيضا المصلوبين فى قصيدته التى مدح بها المعتصم لما صلب الافشين حيدر بن كاوس مقدم قواده وبابك ومازيار فى سنة ست وعشرين ومائتين وقصتهم مشهورة فمنها قوله

ولقد شفى الاحشاء من برحائها * اذ صار بابك جار مازيار * ثانيه فى كبد السماء ولم يكن * كاثنين ثان اذ هما فى الغار
وكأنما انتبذا لكيما يطويا * عن ناطس خبرا من الاخبار

تحصل طريقة الصوفية عند الشيخ العارف بالله تعالى حاجى خليفة وكان عابدا زاهدا مشتغلا بارشاد الطالبين وقد زاد سنه على مائة وسكن بزاويته عند جامع أبا صوفيا الى أن توفى بها فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ رمضان)
تحصل رحمه الله طريقة الصوفية عند الشيخ قاسم جلبى المذكور سابقا وجلس مكانه بعد وفاته فى زاوية الوزير على باشا بمدينة قسطنطينية وكان عابدا زاهدا ناسكا عارفا بتعبير المنامات وكان منقطعا عن الناس مشتغلا بنفسه وانتفع به الكثيرون توفى فى سنة ...م وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ بالى خليفة الصوفى من خلفاء الشيخ قاسم جلبى المزبور)
كان رحمه الله تعالى عالما عاملا مرشدا للفقراء والمساكين قائما بالعبادات وتربية المريدين وكان حافظا لحدود الشريعة مراعيا للآداب الطريقة رحمه الله توفى ببلدة صوفية بعد الخمسين والتسعمائة طيب الله مضجعه ونور مهجعه
هكذا فى الاصل

سود اللباس كأنما نسجت لهم * أيدي السموم مدارعا من قار * بكروا وأسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجار * لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الاسفار
وقيل هذا في وصف الافشين خاصة * رمقوا العالي جذعه فكأنما * رمقوا الهلال عشية الافطار

وهي من القصائد الطنانة والافشين مشهور فلا حاجة الى ضبطه وهو بكسر الهمزة وفتحها واسمه خيذر بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء وانما قيدته لانه يتصحف على كثير من الناس بحيدر بالحاء المهملة ومن شعر أبي الحسن الانباري المذكور في الباقلاء الاخضر قوله

فصوص زمرد في غلف در * باقماع حكت تقليم ظفر
وقد خلع الربيع لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال انه من المقلين في الشعر رحمه الله تعالى

(ابو غالب محمد بن علي بن خلف الملقب فخر الملك وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه)

وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو وكان فخر الملك المذكور من أعظم وزراء آل بويه على الاطلاق بعد أبي الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد المقدم ذكرهما وكان أصله من واسط وأبوه صيرفيا وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والافضال جزيل العطايا والنوال قصده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه وقرضوه بنخب المدائح منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر المقدم ذكره له فيه قصائد مختارة منها قصيدته النونية التي من جملتها يقول

لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه واحكم عليه * بما أملته وأنا الضمين

أخبرني بعض علماء الادب أن بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيدة فاجازه اجازة لم يرضها فجاء الشاعر الى ابن نباتة وقال له أنت غررتني وأنا ما مدحته الا ثقة بضمانك فتعطيني ما يليق بقصيدي فأعطاه من عنده شيأ رضي به فبلغ ذلك فخر الملك فسير لابن نباتة جملة مستكثرة لهذا السبب ويقرب من معنى هذين البيتين في شدة الوثوق بالعطاء قول المتنبي

وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا * لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم

ويحكى في هذا المعنى أيضا أن بعض الشعراء مدح بعض الاكابر بقصيدة فلما صح كتب اليه

كم أماطلك بالرقاع الى أن * ماطلتني رقاع أهل الديون
فلو أني مدحت أمس شيطا * نا إذا أصبحوا يرفعوني

ومن جملة مداحه مهيار بن مرزويه الكاتب الشاعر المشهور وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وفيه يقول قصيدته الرائية التي منها   أرى كبدي وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور

أم الايام خافتني لأني * بفخر الملك منها أستجير

ومدائحه كثيرة ولاجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي كتاب الفخري في الجبر والمقابلة وكتاب الكافي في الحساب ورأيت في بعض المجاميع أن رجلا رفع الى فخر الملك المذكور رقعة سعى فيها بهلاك شخص فلما وقف فخر الملك عليها قلبها وكتب في ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أكثر من الربح ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور ولولا أنك في خفارة من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك ونردع به أمثالك فاكتم هذا العيب واتق من يعلم الغيب والسلام وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر للاشرف بن فخر الملك قوله

مربي الموكب لكنني * لم أر فيه قمر الموكب
قل لامير الجيش يا سيدي * ما للامير الحسن لم يركب

ومحاسن فخر الملك كثيرة ولم يزل في عزه وجاهه وحرمته الى ان نقم عليه مخدومه سلطان الدولة المذكور بسبب اقتضى ذلك فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الاهواز يوم السبت وقيل يوم الثلاثاء لثلاث بقين

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ مصلح الدين مصطفى الاده في الشهير بمركز خليفة)

كان رحمه الله تعالى من طلبة العلم اولا وكان يقرأ على المولى أحمد باشا ابن المولى خضر بك ثم مال الى الطريقة الصوفية واتصل الى خدمة العارف بالله الشيخ المعروف بسنبل سنان وحصل عنده الطريقة الصوفية وكان رحمه الله تعالى مقبول السمت مراعيا للشريعة حافظا للآداب المنسوبة الى الطريقة صارفا أوقاته للرياضة وكان طارحا للتكلف راضيا من العيش بالقليل وكان يعظ الناس ويذكرهم وكانت له معرفة بالتفسير سيما تفسير البيضاوي مات رحمه الله تعالى في سنة تسع وخمسين وتسعمائة وقد جاوز التسعين روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ سنان خليفة من خلفاء الشيخ سليمان خليفة)

قام مقامه بزاويته بمدينة قسطنطينية وكان رجلا اميا الا انه كان صاحب جذبات عظيمة وأحوال سنية وكان مشتغلا بنفسه ومنقطعا عن الناس وكان متواضعا متخشعا محبا للفقراء والمساكين توفي رحمه الله في سنة م

م هكذا بياض بالاصل

من شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعمائة ودفن هناك ولم يستقص فى دفنه فنبشت الكلاب قبره وأكلته ثم أعيد دفن رمته فشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه الى مشهد هناك فدفنت فيه فى سنة ثمان وأربعمائة وقال أبو عبد الله أحمد بن القادسى فى أخبار الوزراء وكان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعا وذلك ان بعض خواصه قتل رجلا ظلما فتصدت له زوجة المقتول تستغيث فلم يلتفت اليها فلقيته ليلة فى مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة فقالت له يا فخر الملك القصص التى أرفعها اليك ولا تلتفت اليها صرت أرفعها الى الله وأنا منتظرة خروج التوقيع من جهته فلما قبض عليه قال لا شك ان توقيعها قد خرج واستدعى الى مضرب سلطان الدولة ثم قبض عليه وعدل به الى حجرة وقد أحيط على أمواله وخزائنه وكراعه وولده وأصحابه وقتل فى التاريخ المذكور أعلاه وأخذ من ماله ستمائة ألف دينار ونيف وثلاثين ألف دينار وقيل انه وجد له ألف ألف ومائتا ألف دينار مقطعة ورثاه الشريف الرضى بأبيات ما اخترت منها شيأ حتى أثبته ههنا فسبحان اللطيف الخبير الفعال لما يريد ومولده بواسط يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد استوفى هلال بن الصابى أخباره فى تاريخه والله تعالى أعلم

(ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلى التغلبى)

كان ذا رأى وعقل وحزم وتدبير خرج من الموصل لامر يطول شرحه وصار ناظر الديوان بحلب ثم صرف عنه وانتقل الى آمد وأقام بها مدة بطالا ثم توصل الى أن وزر للامير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر وقد تقدم ذكر ذلك فى ترجمة نصر الدولة وكان نافذ الكلمة مطاع الامر ولم يزل على ذلك الى ان توفى نصر الدولة فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام بالامر ولده نظام الدين فأقبل عليه وزاد فى اكرامه فرتب أمور دولته وأجراها على الاوضاع التى كانت فى أيام أبيه ثم خطر له التوجه الى بغداد فعمل على ذلك وكان يكاتب الامام القائم بأمر الله ولم يزل يتوصل ويبذل الاموال حتى خرج اليه نقيب النقباء ابن طراد الزينبى فقرر معه ما أراد تقريره ثم خرج لوداعه وعم الى بغداد وأرسل ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه فلما بلغها تولى وزارة القائم بدلا من أبى الغنائم بن دارست فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودام فيها الى أن توفى القائم وتولى ولد ولده المقتدى بأمر الله فأقره على الوزارة مدة سنين ثم عزله عنها يوم عرفة الامير أبو الغنائم بن دارست باشارة الوزير نظام الملك وكان ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ينوب عنه فيها فلما عزل والده خرج هو الى نظام الملك أبى الحسن وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى المقدم ذكرهما واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد الى بغداد وتولى الوزارة مكان أبيه وخرج أبوه فخر الدولة فى سنة ست وسبعين الى جهة السلطان ملكشاه المذكور باستدعائه اياه فعقد له على ديار بكر وسار معه الامير ارتق بن اكسب صاحب حلوان المقدم ذكره فى جماعة من التركمان والاكراد والامراء فلما وصلوا الى ديار بكر فتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد بعد حصار شديد ثم فتح أبوه فخر الدولة ميافارقين بعد ثلاثة أشهر من فتح آمد وكان أخذهما من ناصر الدولة أبى المظفر منصور بن نظام الدين واستولى على أموال بنى مروان وذلك فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة ومن عجيب الاتفاق ان منجما حضر الى ابن مروان نصر الدولة وحكم له بأشياء ثم قال له ويخرج على دولتك رجل قد احسنت اليه فيأخذ الملك من أولادك فافتكر ساعة ثم رفع رأسه الى فخر الدولة وقال ان كان هذا القول صحيحا فهو الشيخ هذا ثم أقبل عليه وأوصاه على أولاده فكان الامر كما قال فانه وصل الى البلاد وكان فتحها على يديه كما ذكرناه والشرح فى ذلك يطول وكان رئيسا جليلا خرج من بيته جماعة من الوزراء والرؤساء ومدحهم أعيان الشعراء منهم أبو منصور على بن الحسن المعروف بصردر أنفذ الى فخر الدولة المذكور من واسط عند تقلده الوزارة قصيدة وهى من مشاهير القصائد وأولها

لجاجة قلب ما يفيق غرورها * وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها

وقفنا صفوفا فى الديار كأنها * صحائف ملقاة ونحن سطورها

يقول خليلى والظباء سوانح * أهذا الذى تهوى فقلت نظيرها

وتسعمائة وكان شيخا هرما قدس الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ مصلح الدين مصطفى الشهير بكوندر مصلح الدين)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم رغب فى التصوف واتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى تاج الدين من الطريقة الزينية ثم اتصل بعد وفاته بخدمة الشيخ العارف بالله محيى الدين القوجوى وأجازه للارشاد وجلس مكانه بمدينة قسطنطينية بعد وفاته وكان رحمه الله عالما عابدا زاهدا منقطعا عن الناس ولا يخرج من بيته الا ليصلى فى مسجده ولا يخرج من زاويته الا الى الجمعة وتوفى على العبادة والصلاح قدس الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ محيى الدين الازنيقى الامام بجامع السلطان سليمان)

حصل طريقة التصوف عند العارف بالله تعالى الشيخ محيى الدين الاسكليبى ووصل الى مناه وحصل ما يتمناه وكان حافظا للقرآن المجيد وكان مبارك النفس مقبول الطريقة مرضى السيرة وكان عابدا زاهدا ورعا متشرعا تقيا نقيا متبتلا الى الله تعالى ونقل كثير من الناس عنه

لئن شابهت أجيادها وعيونها * لقد خالفت أعجازها وصدورها
فيا عجبا منها يصيد أنيسها * ويدنو على ذعر إلينا نفورها
وما ذاك إلا أن غزلان عامر * تيقن أن الزائرين صقورها
ألم يكفها ما قد جنته شموسها * على القلب حتى ساعدتها بدورها
نكصنا على الأعقاب خوف إناثها * فما بالها تدعو نزال ذكورها
ووالله ما أدري غداة نظرتها * أتلك سهام أم كؤوس تديرها
فإن كن من نبل فأين حفيفها * وإن كن من خمر فأين سرورها
أيا صاحبي استأذنا لي خمارها * فقد أذنت لي في الوصول خدورها
هباها تجافت عن خليل يروعها * فهل أنا إلا كالخيال يزورها
وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة * أما هذه فوق الركائب حورها
فلا تحسبا قلبي طليقا فإنما * لها الصدر سجن وهو فيه أسيرها
يعز على الهيم الخوامس وردها * إذا كان ما بين الشفاه غديرها
أراك الحمى قل لي بأي وسيلة * توسلت حتى قبلتك ثغورها

ومن مديحها

أعدت إلى جسم الوزارة روحها * وما كان يرجى بعثها ونشورها
أقامت زمانا عند غيرك طامثا * وهذا زمان قرؤها وطهورها
من الحق أن تحبى بها مستحقها * وينتزعها مردودة مستعيرها
إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها * أشار عليه بالطلاق مشيرها

وأنشده أيضا لما عاد إلى الوزارة في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد العزل وكان المقتدي بالله قد أعاده إلى الوزارة بعد العزل وقبل الخروج إلى السلطان ملكشاه فعمل فيه صردر هذه القصيدة

قد رجع الحق إلى نصابه * وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلته يد * ثم أعادته إلى قرابه
هزته حتى أبصرته صارما * رونقه يغنيه عن ضرابه
أكرم بها وزارة ما سلمت * ما استودعت إلا إلى أصحابه
مشوقة إليك منذ فارقتها * شوق أخي الشيب إلى شبابه
مثلك محسود ولكن معجز * أن يدرك البارق في سحابه
ساولها قوم ومن هذا الذي * يخرج ليثا خادرا من غابه
يحمي أبو الأشبال من ورائه * في جيشه بظفره ونابه
وهل رأيت أو سمعت لابسا * ما خلع الأرقم من إهابه
تيقنوا لما رأوها صعبة * أن ليس للعش سوى عقابه
إن الهلال يرتجى طلوعه * بعد السرار ليلة احتجابه
والشمس لا يؤيس من طلوعها * وإن طواها الليل في جلبابه
ما أطيب الأوطان إلا أنها * للمرء أحلى إثر اغترابه
كم وقفة دللت على ما بها * والحاسد الإنسان في مآبه
لو قرب المرء على جانبه * ما قنع الغائص في طلابه
ولو أقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان في حسابه
ما اللؤلؤ البحر ولا من صانه * إلا وراء الهول من عبابه

وهي قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وقد سبق في ترجمة سابور بن أردشير ثلاثة أبيات كتبها إليه أبو إسحق الصابي لما عاد إلى الوزارة بعد العزل ولم يعمل في هذا الباب مثلها ومن مدحه أيضا القائد أبو الرضاء الفضل بن منصور الظريف الفارقي وفيه عمل الأبيات الحائية المشهورة وهي

يا قالة الشعر قد نصحت لكم * ولست أدهى إلا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي * ذاك أمور طويلة الشرح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف * وجوها في غاية القبح
وتطلبون السماح من رجل * قد طبعت نفسه على الشح

الكرامات العيانية قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ اسكندر دده بن عبد الله)

تربى هو أيضا عند الشيخ محيي الدين الاسكليبي وأكمل الطريقة وأجازه بالإرشاد وكان رجلا أميا أولا ثم تحصل ببركة التصوف على المعارف الذوقية بحيث تحير في معارفه العقول وكانت له قوة في تربية المريدين نقل عنه بعض أصحابه أنه لا تعلق بقوته للإرشاد وليس هذا المقام مقام ذكره

(ومنهم العارف بالله تعالى محيي الدين محمد)

اتصل بخدمة الشيخ العارف بالله المعروف ٣ وأجازه للإرشاد وتوطن ببلدة اشتيب في ولاية روم ايلي وكان رجلا عابدا صالحا متورعا منقطعا عن الناس إلى الله تعالى في زاويته مواظبا على الرياضات والمجاهدة ومشتغلا بتربية المريدين وتوفي بها بعد الأربعين وتسعمائة قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ ادريس)

كان من خلفاء الشيخ محيي الدين محمد الشهير بعلي خليفة وتوطن بمدينة دمشق وكان صاحب

٣ قوله المعروف كذا بالأصل فليحرر

من أجل ذا تحرمون كدكم * لأنكم تكذبون في المدح
صونوا القوافي فما أرى أحدا * يغتر فيها الرجاء بالنجح
فإن شككتم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح
سوى الوزير الذي رياسته * تعرك أذن الزمان بالملح

وكانت ولادة فخر الدولة المذكور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة بالموصل وتوفي بها في شهر رجب وقيل في المحرم سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ودفن في تل توبة وهو تل قبالة الموصل يفصل بينهما عرض الشط رحمه الله تعالى وكان قد عاد إلى ديار بكر متوليا من جهة ملكشاه أيضا في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأول ما ملك نصيبين في شهر رمضان من هذه السنة ثم ملك الموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة أجمع وخطب له على منابرها نيابة عن السلطان وأقام بالموصل إلى أن توفي وأما ولده عميد الدولة المذكور فقد ذكره محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه فقال انتشر عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأي وخدم ثلاثة من الخلفاء ووزر لاثنين منهم وكان عليه رسوم كثيرة وصلات جمة وكان نظام الملك يصفه دائما ويصف عقله ويشاهده بعين الكافي الشهم ويأخذ برأيه في أهم الأمور ويقدمه على الكفاة والصدور ولم يكن يعاب بأشد من الكبر الزائد فإن كلماته كانت تحفظ وتقع ضنا بها ومن كلمه بكلمة قامت عنده مقام بلوغ الأمل فمن جملة ذلك ما قاله لولد الشيخ الإمام أبي نصر ابن الصباغ اشتغل وتأدب وإلا كنت صباغا بغير أب انتهى كلام ابن الهمذاني وكان نظام الملك الوزير قد زوجه بست ابنته وكان قد عزل من الوزارة ثم أعيد إليها بسبب المصاهرة وفي ذلك يقول الشريف أبو يعلى ابن الهبارية المقدم ذكره

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وإن تعاظم واستولى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

ووجدت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أن السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري قال دخلت العراق فوجدت ابن الهبارية فقال لي في بعض الأيام امض بنا نخدم الوزير ابن جهير وكان قد عزل ثم استوزر قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير فدفع إليه رقعة صغيرة فلما قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر وخرجنا من مجلسه فقلت ما كان في الرقعة فقال غير الساعة تضرب رقبتي ورقبتك فأشفقت وقلقت وقلت أنا رجل غريب صحبتك هذه الأيام وسعيت في هلاكي فقال كان ما كان فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب فقال أمرت بمنعكما فقال السابق أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير وإنما القصد هذا فقال البواب لا تطول فما إلى خروجكما من سبيل فأيقنت بالهلاك فلما خف الناس من الدار خرج إلينا غلام معه قرطاس فيه خمسون دينارا وقال قد شكرنا فاشكرا فانصرفنا ودفع لي عشرة دنانير منها فقلت ما كان في الرقعة فأنشدني البيتين المذكورين فآليت أن لا أصحبه بعدها وله شعر ذكر في الخريدة لكنه غير مرضي وذكره ابن السمعاني في كتاب الذيل ومدحه خلق كثير من شعراء عصره وفيه يقول صردر المذكور قصيدته العينية التي أولها

قد بان عذرك والخليط مودع * وهوى النفوس مع الهوادج يرفع
لك حيثما سرت الركائب لفتة * أترى البدور بكل واد تطلع
في الظاعنين من الحي ظبي له الـ * أحشاء مرعى والمآقي مكرع
تفوح أطراف الجمال رقيبه * حذرا عليه من العيون البرقع
عهدي بالحبائل صائدات شبيهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع
* لم يدر حاسر به أني إذا * حرم الكلام له لسان الأصبع
وإذا الطيوف إلى المضاجع أرسلت * بتحية منه فعيني تسمع

وهذه القصيدة طويلة وهي من غرر الشعر وقوله فيها

عهدي بالحبائل صائدات شبيهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع

معرفة كثيرة وكان له زهد وتقوى وورع وكان متواضعا متخشعا عابدا زاهدا وكان الناس يحبونه محبة عظيمة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ داود خليفة)

كان من خلفاء الشيخ ادريس المذكور وكان من طلبة العلم أولا ثم مال إلى الطريقة الصوفية واتصل بخدمة الشيخ المزبور وكان عالما زاهدا عابدا إلا أنه كان يدعي أنه يصاحب المهدي وأن المهدي من جماعتهم ولم يصح ما ادعاه رحمه الله

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ بابا حيدر السمرقندي)

تسلم في صغره الشيخ العارف بالله تعالى خواجه عبيد الله السمرقندي ثم صحب أصحاب خواجه عبيد الله ثم دخل مكة وجاور بها مدة كثيرة ثم أتى بلاد الروم وأحبه أهلها واعتقدوه اعتقادا عظيما وبنى له سلطاننا الأعظم مسجدا في ظاهر مدينة قسطنطينية وتوطن بجوار مسجده وكان يواظب الأوقات الخمسة بالمسجد المزبور وتوفي هنالك في سنة م وتسعمائة كان رحمه الله تعالى مواظبا على الطاعات ومبتلا إلى الله تعالى وكان

م هكذا بياض بالأصل

نظير

نظيره قول ابن الحجارة الاندلسي عن النوم سل عيناه طال عهدها * وكان قليلا في ليال قلائل
اذا ظن وكرا مقلتي طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

ولا أدري أيهما أخذ من الآخر لاني لم أقف على تاريخ وفاة ابن الحجارة حتى أعرف عصره ويجوز أن يكون ذلك بطريق التوارد على هذا المعنى من غير ان يأخذ أحدهما من الآخر وعزل عميد الدولة المذكور عن الوزارة وحبس وقيد في شهر رمضان المعظم سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة وتوفي في شوال من السنة والله كتب أبو الكرم بن العلاف الشاعر قوله

ولولا مدا أخنالم تبن * فعال المسيء من المحسن
فهلا احتجبت عن الناظرين * فهلا احتجبت عن الالسن

وتوفيت زوجته بنت نظام الملك المذكور في شعبان سنة سبعين وأربعمائة وكان تزوجها في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوفي في سنة ثلاث وتسعين في حصن مقابل لتل بها ولصردر أيضا في زعيم الرؤساء ابي القاسم بن فخر الدولة قصيدته القافية التي أولها صحبها السمع وساها الارق * هل بين هذين بقاء للحدق وهي بديعة مختارة مشهورة فلا حاجة الى التطويل في الاتيان بها وتولى زعيم الرؤساء أبو القاسم بن فخر الدولة وزارة الامام المستظهر بالله في شعبان من سنة ست وتسعين وأربعمائة ولقبه نظام الدين وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وقال السمعاني بضم الجيم وهو غلط يقال رجل جهير بين الجهارة أي ذو منظر ويقال أيضا جهير الصوت بمعنى جهوري الصوت والله تعالى أعلم

* (ابو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الملقب ظهير الدين الروذراوري الاصل الاهوازي المولد) *

قرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي وقرأ الادب وولي الوزارة للامام المقتدي بامر الله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير المذكور قبله في ترجمة أبيه فخر الدولة وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة وعزل عنها يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأعيد عميد الدولة بن جهير ولما قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله أنشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وخرج بعد عزله ماشيا يوم الجمعة الى الجامع من داره وانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له وكان ذلك سببا لالزامه بالقعود في داره ثم خرج الى روذراور وهي موطنه قديما فأقام هناك مدة ثم خرج الى الحج في الموسم سنة سبع وثمانين وأربعمائة وخرجت العرب على الركب الذي هو فيه فسلم من بين الرفقة سواه وجاور بعد الحج بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم الى أن توفي في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ودفن بالبقيع عند القبة التي فيها قبر ابراهيم عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال العماد الكاتب في الخريدة في حقه وكان عصره أحسن العصور وزمانه أنضر الازمان ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله صعبا شديدا في أمور الشرع سهلا في أمور الدنيا لا يأخذه في الله لومة لائم ثم قال ذكره ابن الهمذاني في الذيل فقال كانت أيامه أوفق الايام سعادة للدولتين وأعظمها بركة على الرعية وأعمها أمنا وأشملها رخصا وأكملها صحة لم يغادرها بؤس ولم تشبها مخافة وقامت للخلافة في أيامه من الحشمة والاحترام ما أعادت سالف الايام وكان أحسن الناس خطا ولفظا وذكره الحافظ ابن السمعاني في الذيل فقال كان يرجع الى فضل كامل وعقل وافر ورأي صائب وكان له شعر رقيق مطبوع على أنه كسحرة الادب وصرف عن الوزارة وكلف لزوم البيت فانتقل من بغداد الى جوار النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بالمدينة يتحلى بما كنها أفضل الصلاة والسلام الى حين وفاته وزوت قبره عند قبر ابراهيم ابن نبينا صلى الله عليه وسلم بالبقيع ثم قال السمعاني بعد ذلك سمعت من أثق به يقول ان الوزير أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عند الحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله سبحانه وتعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد

لا يبالي باقوال الناس وحكى لي بعض من الصلحاء انه اعتكف معه في العشر الاخير من شهر رمضان في جامع أبي أيوب الانصاري عليه رحمة الملك الباري قال وكنت معه في تلك الايام ولم يفطر في تلك المدة الا باوقيتين فقط وكان رحمه الله متواضعا متخشعا يستوي عنده الصغير والكبير قدس سره

* (ومنهم العارف بالله تعالى صفي الدين المتوطن بلدة أماسية الملقب عندهم بشيخ السراجين) *

كان رحمه الله منتسبا الى طريقة الخلوتية وكان عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى وراغبا في الخلوة والعزلة وكان متأدبا متواضعا متخشعا وكان له قدم راسخ في تعبير المنامات قدس سره

* (ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ محيي الدين محمد المنسوب الى قرية قريبة من أماسية تسمى...) *

كان رحمه الله تعالى أولا من طلبة العلم الشريف ثم رغب في التصوف وتزوج بنت العالم الفاضل المولى محشي واختار الخلوة والعزلة في وطنه وصرف أوقاته في العلم والعمل وغلب عليه الورع حتى كان ما يأكل الامن زراعة نفسه وواظب على العبادات والمجاهدات ثم توفي بعد الخمسين وتسعمائة قدس

جئتك معترفا بذنوبي وحوبي أرجو شفاعتك وبكى ورجع وتوفي من يومه وله شعر حسن مجموع في ديوان فمن ذلك قوله

لأعذبن العين غير مفكر * فيما بكت بالدمع أو فاضت دما

ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما * هي أوقعتني في حبائل فتنة

لو لم تكن نظرت لكنت مسلما * سفكت دمي فلأسفكن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وله أيضا

وإني لأبدي في هواك تجلدا * وفي القلب مني لوعة وغليل

فلا تحسبن أني سلوت فربما * ترى صحة بالمرء وهو عليل

وله أيضا

أأذهب جل العمر بيني وبينكم * بغير لقاء ان ذا لشديد

فان يسمح الدهر الخؤون بوصلكم * على فاقتي اني اذا لسعيد

وعمل ذيلا على كتاب تجارب الامم تأليف أبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه وهو التاريخ المشهور بأيدي الناس وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه وظهر منه من التثبت في الدين واظهاره واعزاز أهله والرأفة بهم والاخذ على أيدي الظلمة ما ذكر به عدل العادلين وكان لا يخرج من بيته حتى يكتب شيأ من القرآن العظيم ويقرأ من القرآن في المصحف ما تيسر وكان يؤدي زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه وضياعه واقطاعه ويتصدق سرا وعرضت عليه رقعة فيها ان الدار الفلانية بدرب القيار فيها امرأة معها أربعة أيتام وهم عراة جياع فاستدعى صاحبا له وقال له اكسهم واشبعهم وخلع ثيابه وحلف لا لبستها ولا دفئت حتى تعود الي وتخبرني انك كسوتهم وأشبعتهم ولم يزل يرعد الى أن جاء صاحبه وأخبره بذلك وكانت له مبار كثيرة والروذراوري بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو بينهما ألف في آخرها راء أخرى هذه النسبة الى روذراور وهي بليدة بنواحي همذان والله تعالى أعلم

(أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري)

كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة واستوزره السلطان طغرلبك السلجوقي المقدم ذكره ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة ولم يكن لاحد من أصحابه معه كلام وهو أول وزير كان لهذه الدولة ولم تكن له منقبة الا صحبة امام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني الفقيه الشافعي صاحب نهاية المطلب على ما ذكره السمعاني في ترجمة أبي المعالي في كتاب الذيل فانه قال بعد الاطناب في وصف امام الحرمين وذكر تنقله في البلاد ثم قال وخرج الى بغداد وصحب العميد الكندري أبا نصر مدة يطوف معه ويلتقي في حضرته بالاكابر من العلماء ويناظرهم ويحتك بهم حتى تهذب في النظر وشاع ذكره وذكره شيخنا ابن الاثير في تاريخه في سنة ست وخمسين وأربعمائة وقال ان الوزير المذكور كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان الب أرسلان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيري وامام الحرمين الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة شرفها الله تعالى أربع سنين يدرس ويفتي فلهذا قيل له امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب عن الوقيعة في الشافعي فان صح فقد أفلح وكان ممدوحا مقصدا للشعراء مدحه جماعة من أكابر شعراء عصره منهم أبو الحسن عبد الملك علي بن الحسن الباخرزي المقدم ذكره والرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور بصردر المقدم ذكره أيضا وفيه يقول قصيدته النونية وهي

أكذا يجازى ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين * قصوا علي حديث من قتل الهوى

ان التأسي روح كل حزين * ولئن كتمتم مشفقين لقد درى * بمصارع العذري والمجنون

فوق الركاب ولا أطيل مشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون * هزأت قدودهم وقالت للصبا

هزؤا أعند البان مثل غصون * ووراء ذيالك القبيل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغفار)* كان أصله من ولاية مدرني وكان والده الشيخ العارف بالله تعالى محمد شاه ابن الشيخ أحمد منتسبا الى طريقة الزينية وتوفي والده وهو شاب ورغب هو في تحصيل العلم قرأ على علماء عصره منهم المولى عبد الرحيم بن علاء الدين العربي والمولى الفاضل سيدي محمد القوجوي والعالم الفاضل المولى سيدي محمد القراماني وكان في عصر شبابه تابعا لهوى نفسه ورأى ليلة في منامه بعد ما تقادونه ان والده قد ضربه ضربا شديدا ووبخه على ما فعله من الافعال القبيحة ولما أصبح ذهب الى الشيخ رمضان المتوطن عند مدينة ادرنه وأناب الى الله تعالى وتاب على يده وأدخله الخلوة وارتاض وجاهد مجاهدة عظيمة ونال ما نال من الكرامات العلية والمقامات السنية حتى أجاز له شيخه بالارشاد ثم رجع الى وطنه وأقام هنالك مدة عمره وشاهدت منه مجاهدة عظيمة بحيث لا يقدر عليه كثير من الناس وكان مواظبا على الطاعات والعبادات وكان يدرس ويعظ الناس ويذكرهم وكانت له مشاركة في العلوم كلها وكان يكتب الخط الحسن المليح وكانت له معرفة بالنظم

اما بيوت النحل بين شفاههم * منظومة أوطانه الزرجون * ترى بعينيك الفجاج مقلبا
ذات الشمال بها وذات يمين * لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت * من بارق سيما على جيرون
شكواك من ليل التمام وانما * أرق بليل ذوائب وقرون * ومعنّى فى الوجد قلت له اتئد
فالدمع دمعى والحنين حنينى * ما نافعى اذ كان ليس بنافع * جاه الصبا وشفاعة العشرين
لا تطرقن تخجلا او مة لائم * ما أنت أول حازم مفتون * أأسومهم وهم الاجانب طاعة
وهواى بين جوانحى يعصينى * دينى على قتيلهم ما يقتضى * فبأى حكم يقتضون ديونى
وخشيت من قلبى الفرار اليهم * حتى لقد طالبته بضمين * كل النكال أطيق الا أنه
ان العزيز عذابه بالهون * يا عين مثل قذى الرؤية معشر * عاروا على دنياهم بالدين
لم يشبهوا الانسان الا أنهم * متكونون من الحما المسنون * تعمى العيون فان رأتهم مقلتى
طهرتها فنزحت ماء عيون * أنا انهم حسبوا النضار دوينهم * وهم اذا عدوا الفضائل دونى
لا تشمت الحسادات مطامعى * عادت الى بصفقة المغبون * ما يستدير البدر الا بعدما
أبصرته كالضمر فى العرجون * هذا الطريق العميد زاجر ناقتى * واليم قاذف فلكى المشحون
فاذا عميد الملك حل ربعه * ظفرا بفال الطائر الميمون * ملك اذا ما العزل حث جياده
مرحت بأزهى شامخ العرنين * ما عزما أبصرت نور جبينه * الا اقتضانى بالسجود جبينى
يصلوا لنواظر فى نواحى دسته * والسرح بدر دجى وليث عرين * عمت فضائله البرية فالتقى
شكر الغنى ودعوة المسكين * قالوا وقد شنوا عليه غارة * أصلات سود أم قضاعة دون
لو كان فى الزمن القديم تظلمت * منه الكنوز الى بنى قارون * أما خزائن ماله فمباحة
فاستوهبوا من علمه المخزون * ما الرزق محتاجا بغير سعاية * طلب وليس الاجر بالممنون
أقسمت أن ألق المكارم عالما * انى برؤيته أبر يمينى * ساس الامور فليس يخلى رغبة
من رهبة وبسالة من لين * كالسيف رونق أثره فى متنه * ومضاؤه فى حده المسنون
شهدت علاه ان عنصر ذاته * مسك وعنصر غيره من طين

وكان انشاده اياه هذه القصيدة عند وصول عميد الملك الى العراق وهو فى دست وزارته وعلو منصبه وهذه القصيدة من الشعر المختار الفائق وقد أثبتها بكمالها ما خلا ثلاثة أبيات فانها لم تعجبنى فاهملتها وقد وازن هذه القصيدة جماعة من الشعراء منهم ابن التعاويذى المقدم ذكره وازنها بقصيدته التى أولها

ان كان دينك فى الصبابة دينى * فقف المطى برملتى يبرين

وهى من القصائد النادرة وأرسلها من العراق الى الشام عندما مدح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى رحمه الله تعالى ولولا خوف الاطالة لاثبتها وذكرتها فى ترجمة صلاح الدين يوسف فتطلب هناك ووازنها أيضا ابن المعلم المقدم ذكره بقصيدته التى أولها

ما وقفة الحادى على يبرين * وهو الخلى من الظباء العين

وهى أيضا قصيدة جيدة وقد ذكرت بعضها فى ترجمته وقد وازنها الابله أيضا بالجملة فما قاربها الا ابن التعاويذى وقد خرجنا عن المقصود وقد انتشر الكلام فلم يكن بد من استيفائه ولم يزل عميد الملك فى دولة طغرلبك عظيم الجاه والحرمة الى أن توفى طغرلبك فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام فى المملكة ابن أخيه ألب أرسلان المقدم ذكره فاقره على حاله وزاده اكراما ورتبة ثم انه سيره الى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف أعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر فخاف تغير قلب مخدومه عليه فعمد الى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل ان السلطان خصاه فلما عمل ذلك عمل أبو الحسن الباخرزى المذكور

قالوا محا السلطان عنهم بعدكم * سمة الفحول وكان قرما صائلا

والنثر بالعربية والفارسية والتركية وكانت له منشآت واشعار فى غاية الحسن وكان لذيذ الصحبة وكان وسيما بسيما حسنا وفيا وبالجملة كان من محاسن الايام توفى رحمه الله تعالى فى سنة أربع وثلاثين وتسعمائة قدس الله سره العزيز

(ومنهم العالم الفاضل المولى اسحق)

كان رحمه الله فى أول عمره طبيبا نصرانيا وكان يعرف علم الحكمة معرفة تامة وقرأ على المولى لطفى التوقاتى المنطق والعلوم الحكمية وباحث معه فيها ثم انجر كلامهم الى البحث فى العلوم الاسلامية وتقرر عنده ادلة حقية الاسلام حتى اعترف هو بها وأسلم ثم ترك الطب والحكمة واشتغل بتصانيف الامام الغزالى وبتصنيف الامام فخر الاسلام البزدوى وداوم على العمل بالكتاب والسنة وصنف شرحا على الفقه الاكبر المنسوب الى الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وغير ذلك من الرسائل الالهية أنكر طريقة التصوف لانه لم يصل الى أذواقهم وسمعت من بعض أصحابه انه رجع عن انكارهم فى آخر عمره رحمه الله تعالى

(ومنهم العالم الكامل الشيخ أحمد چلبى الانقروى)

قلت اسكتوا فالآن زاد فحوله * لما اغتدى من أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستأصلا

وهذا من المعاني الغريبة البديعة ثم ان ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه وفوض الوزارة الى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي المقدم ذكره وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان ثم نقله الى مرو الروذ وحبسه في دار فكان في حجرة تلك الدار عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي همّ بقتله مائة دينار نيسابورية وقال بحق عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم وقال للجلاد قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ورضي بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة فعمل في ذلك الباخرزي الشاعر المذكور مخاطبا السلطان ألب أرسلان قوله

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوّأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوّله الدنيا وخوّله العقبى

ومن العجائب انه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت سوأته بالتبن ونقلت الى كرمان وكان نظام الملك هنالك ودفنت ثم وفي ذلك عبرة لمن اعتبر رحمه الله تعالى بعد ان كان رئيس عصره والكندري بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء هذه النسبة الى كندر وهي قرية من قرى طريثيث بضم الطاء المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها أيضا وبعدها ثاء مثلثة وهي كورة من نواحي نيسابور وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الاصفهاني وزير صاحب الموصل)

كان جده أبو منصور فهادا للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فتأدب ولده وسمت همته فاشتهر أمره وتقدم في مناصب علية وماهر الأكابر فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ثم ترتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فظهرت كفايته وحمدت طريقته فلما تولى اتابك زنكي بن آق سنقر المقدم ذكره الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه الى ولاية نصيبين فظهرت كفايته واضاف اليه الرحبة فأبانت عن كفايته وعفته وكان من خواصه وأكبر ندمائه فجعله مشرفا بمملكته كلها وحكمه تحكيما لا مزيد عليه وكان الوزير يومئذ ضياء الدين أبو سعيد بهرام بن الخضر الكفرتوثي استوزره اتابك زنكي في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وتوفي خامس شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو على وزارته وتولى الوزارة بعده أبو الرضى بن صدقة وجمال الدين المذكور على وظائفه وكان جمال الدين دمث الاخلاق حسن المحاضرة مقبول المفاكهة تقف على اتابك زنكي المذكور وأعجبه حديثه ومحاورته وجعله من ندمائه وعول عليه في آخر مدته في أشراف ديوانه وزاد ماله ولم يظهر منه في أيام اتابك زنكي كرم ولا جود ولا تظاهر بجود فلما قتل اتابك على قلعة جعبر كما تقدم في ترجمته أراد بعض العسكر قتل الوزير المذكور ونهب ماله فتعرضوا له ورموا خيمته بالنشاب فحماه جماعة من الامراء وتوجه بالعسكر الى الموصل فأقره سيف الدين غازي بن اتابك زنكي المقدم ذكره على وزارته وفوض الامور وتدبير أحوال الدولة اليه والى زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب اربل وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ولده في حرف الكاف فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ولم يزل يعطي ويبذل الاموال ويبالغ

في

ثم كان رحمه الله تعالى مشتغلا بالعلم أولا ثم رغب في التصوف وانتسب الى الطريقة الخلوتية ثم تقاعد في وطنه واشتغل بالوعظ والتذكير وكان لوعظه تأثير عظيم في النفوس بحيث لم أر أحدا سمع كلامه ووعظه الا وقد انجذب اليه كل الانجذاب وأدخله في خلده حسن روحه وكان في شأنه يدور البلاد ويعظ الناس ويذكرهم ولما بلغ سن الشيخوخة أقام في بلده اقشهر الى ان توفي بعد الخمسين وتسعمائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الشريف عبد المطلب ابن السيد مرتضى)

أتى والده من بلاد العجم وكان رجلا شريفا صحيح النسب صاحب المعرفة كاتبا جيدا مشهورا بحسن الخط وكتب مصاحف شريفة ورغب السلاطين فيها لحسن كتابتها واتقانها وصار نقيب الاشراف في بلاد الروم ونشأ ولده المذكور وهو في سن الشباب ورغب في تحصيل العلم وكان يكتب الخط الحسن وكانت له معرفة بالعربية والفارسية وكان قادرا على الانشاء بالعربية والفارسية وكان ينظم الاشعار العربية والفارسية والتركية ثم رغب في التصوف وصحب الشيخ ابن الوفا مدة قدس الله سره

في الانفاق حتى عرف بالجواد وصار ذلك كالعلم عليه حتى لا يقال له الا جمال الدين الجواد ومدحه جماعة من الشعراء منهم محمد بن نصر القيسراني الشاعر المتقدم ذكره فانه قصده بقصيدته المشهورة التي أولها

سقى الله بالزوراء من جانب الغربي * مها وردت عين الحياة من القلب

وأثر آثاراً جميلة وأجرى الماء الى عرفات ايام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل الى أعلاه وبنى سور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان خرب من مسجده وكان يحمل في كل سنة الى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الاموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لاغير ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق له شيئاً وكان اقطاعه عشر مغل البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية فأخبر بعض وكلائه انه دخل عليه يوماً فناوله بقياره وقال له بع هذا واصرفه على المحاويج فقال له الوكيل انه لم يبق عندك سوى هذا البقيار والذي على رأسك واذا بعت هذا ربما تحتاج الى تغيير البقيار فلا تجد ما تلبسه فقال له ان هذا الوقت صعب كما ترى وربما لا أجد وقتاً أصنع فيه الخير كهذا الوقت وأما البقيار فاني أجد عوضه كثيراً فخرج الوكيل وباع البقيار وتصدق بثمنه وله من هذه النوادر أشياء كثيرة وأقام على هذه الحالة الى أن توفي مخدومه غازي في التاريخ المذكور في ترجمته وقام بالامر من بعده أخوه قطب الدين مودود وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى فاستولى عليه مدة ثم انه استكثر اقطاعه وثقل عليه أمره فقبض عليه في شهر رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وفي أخبار زين الدين صاحب اربل طرف من خبر قبضه وحبسه في قلعة الموصل ولم يزل مسجوناً بها الى ان توفي في العشر الاخير من شهر رمضان المعظم وقيل شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصلي عليه وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الضعفاء والارامل والايتام حول جنازته ودفن بالموصل الى بعض سنة ستين ثم نقل الى مكة حرسها الله تعالى وطيف به حول الكعبة وكان بعد ان صعدوا به ليلة الوقفة الى جبل عرفات وكانوا يطوفون به كل يوم مراراً مدة مقامهم بمكة شرفها الله تعالى وكان يوم دخوله مكة يوماً مشهوداً من اجتماع الخلق والبكاء عليه وقيل انه لم يعهد عندهم مثل ذلك اليوم وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويعدد مآثره اذا وصلوا به الى المزارات والمواضع المعظمة فلما أتوا به الى الكعبة وقف وأنشد

يا كعبة الاسلام هذا الذي * جاءك يسعى كعبة الجود

قصدت في العام وهذا الذي * لم يخل يوماً غير مقصود

ثم حمل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودفن فيها بالبقيع بعد ان دخل المدينة وطيف به حول حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مراراً وانشد الشخص الذي كان مرتباً معه فقال

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله

قلت وهذان البيتان من جملة القصيدة المذكورة في ترجمة المقلد بن نصر بن منقذ الشيزري وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى رحمه الله تعالى وكان ولده أبو الحسن علي الملقب جلال الدين من الادباء الفضلاء البلغاء الكرماء رأيت له ديوان رسائل أجاد فيه وجمعه مجد الدين أبو السعادات المبارك المعروف بابن الاثير الجزري صاحب جامع الاصول وقد تقدم ذكره وسماه كتاب الجواهر واللآلي من املاء المولى الوزير الجلالي وكان مجد الدين المذكور في أول أمره كاتباً بين يديه على رسائله وانشاءه عليه وهو كاتب يده وقد أشار مجد الدين الى ذلك في أول هذا الكتاب وبالغ في وصف جلال الدين المذكور وتقريضه وفضله على كل من تقدم من الفصحاء وذكر انه كان بينه وبين حيص بيص الشاعر المتقدم ذكره مكاتبات ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض رسائله وفي جملة ما ذكر ان حيص بيص كتب اليه على يد رجل عليه دين رسالة مختصرة فأثبتها لقصرها وهي الكرم نائر والذكر سائر والعون على المطلوب أكرم ناصر واغاثة الملهوف من أعظم المآثر

ولما توفي هو صحب الشيخ يحيى الطوزلوي ودخل عنده الخلوة وأجازه بالارشاد وزوجه بنته الا انه لم يباشر الارشاد واختار العزلة والخلوة وآثر الاختلاط مع الناس وكان لذيذ الصحبة حسن النادرة وكان يصدر عنه في اثناء الصحبة نوادر غريبة ومعارف وأشعار ما يميل اليه الطباع بالضرورة وتوفي رحمه الله تعالى بمدينة بروسه في سنة خمسين وتسعمائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ عبد المؤمن) من طريقة السيد علي بن ميمون المغربي صاحبه مدة ثم صحب بعض من خلفائه المشهور ببابا الصوفي ثم انقطع في مدينة بروسه واشتغل بالوعظ والتذكير فافترق الناس في حقه فرقتين منهم من كان يحبه ومنهم من يبغضه وشهد بعض من اتقياء العلماء بصحة طريقته وحسن سيرته فاعتقدته بالخير بشهادته وان المفترين عليه كذبوا عليه لغرض من الاغراض الدنيوية روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ شجاع الدين الياس من الطريقة الخلوتية) انتسب وهو صغير الى

والسلام وكان جلال الدين المذكور وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين وقد تقدم ذكره أيضا في حرف العين وتوفي جلال الدين المذكور سنة أربع وسبعين وخمسمائة بمدينة دنيسر وحمل الى الموصل ثم نقل الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن في تربة والده رحمهما الله تعالى ودنيسر بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين تطرقها التجار من جميع الجهات وهي مجمع الطرقات ولهذا قيل لها دنيسر وهي لفظ مركب عجمي وأصله دنياسر ومعناه رأس الدنيا وعادة العجم في الاسماء المضافة أن يؤخر والمضاف عن المضاف اليه وسر بالعجمي رأس والكفرتوثي الوزير المذكور بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة الى كفرتوثا وهي قرية من أعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين ودارا والله أعلم

(ابو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بأله الملقب عماد الدين الكاتب الاصبهاني المعروف بابن أخي العزيز)

وقد تقدم ذكر عمه العزيز في حرف الهمزة كان العماد المذكور فقيها شافعي المذهب تفقه بالمدرسة النظامية زمانا وأتقن الخلاف وفنون الادب وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الاطالة في شرحه وكان قد نشأ باصبهان وقدم بغداد في حداثته وتفقه على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز مدرس النظامية وسمع بها الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وأبي بكر أحمد بن علي بن الاشقر وغيرهم وأقام بها مدة ولما تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ولم يزل ماشي الحال مدة حياته فلما توفي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى تشتت شمل اتباعه والمنتسبين اليه ونال المكروه بعضهم وأقام العماد مدة في عيش منكد وجفن مسهد ثم انتقل الى مدينة دمشق فوصلها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن أتابك زنكي الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وحاكمها ومتولي أمورها وتدبير دولتها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري المتقدم ذكره فتعرف به وحضر مجالسه وذكر له مسئلة في الخلاف وعرفه الامير الكبير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت فأحسن اليه وأكرمه وميزه عن الاعيان والاماثل وعرفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ومدحه في ذلك الوقت بدمشق المحروسة وذكر العماد ذلك في كتابه البرق الشامي وأورد القصيدة التي مدحه بها يومئذ ثم ان القاضي كمال الدين تولى ذكره عند السلطان نور الدين وعدد عليه فضائله وأهله لكتابة الانشاء قال العماد فبقيت متحيرا في الدخول فيما ليس من شاني ولا وظيفتي ولا تقدمت لي به دراية ولقد كانت موادهذه الصناعة متيسرة عنده لكنه لم يكن قد مارسها فجبن عنها في الابتداء فلما باشرها هانت عليه وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب وكان ينشئ الرسائل باللغة العجمية أيضا وحصل بينه وبين صلاح الدين في تلك المدة مودة أكيدة وامتزاج تام وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره وسيره الى دار السلام بغداد رسولا في أيام الامام المستنجد ولما عاد فوض اليه تدريس المدرسة المعروفة به في دمشق أعني بالعماد وذلك في شهر رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ثم رتبه في اشراف الديوان في سنة ثمان وستين ولم يزل مستقيم الحال رخي البال الى أن توفي نور الدين في التاريخ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وقام ولده الملك الصالح اسمعيل مقامه وكان صغيرا فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد فضايقوه وأخافوه الى أن ترك جميع ما هو فيه وسافر قاصدا بغداد فوصل الى الموصل ومرض بها مرضا شديدا ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لاخذ دمشق فانثنى عزمه عن قصد العراق وعزم على العود الى الشام وخرج من الموصل رابع

الطريقة الخلوتية وشاهد مجاهدة عظيمة حتى انه انقطع عن الناس في موضع مبني وسط البحر تجاه قسطنطينية مقدار ثلاث سنين ولما مرض شيخه أمر المريدين بالتوجه الى الله تعالى ليحصل لهم الاشارة الى من يقوم مقام الشيخ فاشير الكل الى الشجاع المذكور فقام مقامه وكان رحمه الله رجلا أميا الا انه كان يعرف أحوال الطريقة وأحوال أسماء الله تعالى وأصولها وفروعها التي هي مبنى طريقته وكان تغلب عليه الجذبة في أكثر الاحوال ولذلك كانت تضطرب أقواله وأفعاله ولذلك لقبه الناس بالجنون وأشير الى موته قبل شهر من وفاته فودع أصحابه وأحبابه وأظهر اشتياقا الى لقاء الله تعالى الى ان توفي رحمه الله في سنة ست وخمسين وتسعمائة قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ أحمد ابن الشيخ كرشليفة)

نشأ رحمه الله على علماء عصره وعلى والده العربية والتفسير والحديث وفاق في العلم ثم رغب في التصوف وحصل طريقة الصوفية واشتغل بالوعظ والتذكير وانتفع به كثير من الناس وله رسائل صنفها في بعض المسائل توفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وستين

جمادى الاولى سنة سبعين وخمسمائة وسلك طريق البرية فوصل الى دمشق فى ثامن جمادى الآخرة وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حمص فى شعبان من السنة فمثل بين يديه وأنشده قصيدة أطال نفسه فيها ثم لزم الباب ينزل لنزول السلطان ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مديدة وهو يغشى مجالس السلطان وينشده فى كل وقت مدائح ويعرض بخدمته القديمة ولم يزل على ذلك حتى نظمه فى سلك جماعته واستكتبه واعتمد عليه وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين والاماثل المشهورين يضاهى الوزراء ويجرى فى مضمارهم وكان القاضى الفاضل فى أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد ملازم للباب بالشام وغيره وهو صاحب السر المكتوم وصنف التصانيف النافعة من ذلك كتاب خريدة القصر وجريدة العصر جعله ذيلا على زينة دمية الدهر تأليف أبى المعالى سعد بن على الوراق الحظيرى والحظيرى جعل كتابه ذيلا على دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزى والباخرزى جعل كتابه ذيلا على يتيمة الدهر للثعالبى وقد تقدم ذكر هؤلاء الثلاثة المؤلفين والثعالبى جعل كتابه ذيلا على كتاب البارع لهرون بن على المنجم وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد ذكر العماد فى خريدته الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك أحدا الا النادر الخامل وأحسن فى هذا الكتاب وهو فى عشر مجلدات وصنف كتاب البرق الشامى فى سبع مجلدات وهو مجموع تاريخ وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق الى الشام وما جرى له فى خدمة السلطان نور الدين محمود وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين وذكر شيأ من الفتوحات بالشام وهو من الكتب الممتعة وانما سماه البرق الشامى لانه شبه أوقاته فى تلك الايام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها وصنف كتاب الفتح القدسى فى الفتح القدسى فى مجلدين يتضمن كيفية فتح البيت المقدس وصنف كتاب السيل على الذيل جعله ذيلا على الذيل لابن السمعانى المتقدم ذكره الذى ذيل به تاريخ بغداد تأليف الخطيب الحافظ هكذا كنت قد سمعت ثم انى وقفت عليه فوجدته ذيلا على كتابه خريدة القصر المذكور وصنف كتاب نصرة الفترة وعصرة القطرة فى أخبار الدولة السلجوقية وله ديوان رسائل وديوان شعر فى أربع مجلدات ونفسه فى قصائده طويل وله ديوان صغير جميعه دو بيت وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف فمن ذلك ما يحكى عنه انه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له سر فلا كبا بك الفرس فقال له الفاضل دام علا العماد وهذا مما يقرأ مقلوبا وصحا سواء واجتمعا يوما فى موكب السلطان وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء فتعجبا من ذلك فانشد العماد فى الحال

أما الغبار فانه * مما أثارته السنابك

والجو منه مظلم * لكن أنارته السنابك

يا دهر لى عبد الرحيم * فلست أخشى مس نابك

وقد اتفق له الجناس فى الابيات الثلاثة وهو فى غاية الحسن وكان القاضى الفاضل قد حج من مصر فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة وركب البحر فى طريقه فكتب اليه العماد الكاتب طوبى للحجر والحجون من ذى الحجر والحجا ومنيل الجدا ومنير الدجا ولندى الكعبة من كعبة الندى وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى وللمقام الكريم من مقام الكريم ومن حاطم فقار الفقر للحطيم ومتى روى هرم فى الحرم وحاتم ماتح زمزم ومتى ركب البحر البحر وسلك البر البر لقد عاد قس الى عكاظه وعاد قيس لحفاظه ويا عجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضال ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والاقبال والسلام لقد أبدع فى هذه الرسالة وما أودعها من الصناعة لكن الظاهر انه غلط فى قوله قيس لحفاظه فان المشهور أنس للحفاظ وهم أربعة أخوة لكل واحد منهم لقب ولولا خوف الاطالة والانتقال عما نحن بصدده لذكرتهم ولما توفى الوزير عون الدين بن هبيرة اعتقل الديوان العزيز جماعة من أصحابه وكان العماد فى جملة من اعتقل لانه كان ينوب عنه فى واسط تلك المدة فكتب من الحبس الى عماد الدين بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان حينئذ أستاذ الدار المستنجدية وذلك فى شعبان سنة ستين وخمسمائة من قصيدة

وتسعمائة أكرمه الله تعالى برضوانه وأسكنه فى فراديس جنانه

(ومنهم العالم العامل المولى نور الدين حمزة الكرمانى من فقراء الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن بهاء الدين)

كان أولا من طلبة العلم الشريف ثم رغب فى التصوف واتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى سنان الدين الشهير بسنبل سنان ثم اتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن بهاء الدين ولازم خدمته مدة كثيرة ووقع عنده موقع القبول وكان رحمه الله تعالى خيرا دينا متواضعا قوالا بالحق مواظبا على آداب الشريعة ومراعيا لحقوق الاخوان توفى فى سنة خمس وستين وتسعمائة بمدينة قسطنطينية أحله الله تعالى محل رضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين ابراهيم الشهير بالشيخ الاصغر العريان)

كان رحمه الله عالما عارفا بالله تعالى وصفاته وكان صاحب المقامات العلية والكرامات السنية متبتلا الى الله تعالى منقطعا عن الناس وكان متوطنا بموضع قريب من بلدة مغنيسا معتزلا عن الناس مواظبا على الطاعات والعبادات

قل للامام علام حبس وليكم * أولوا جميلكم جميل ولائه
أوليس انحبس الغمام وليه * خلى أبوك سبيله بدعائه

فاس باطلاقه وهذا معنى مليح غريب وفيه اشارة الى قضية العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان الغيث قد انقطع فى زمن خلافته وأمحلت الارض فخرج للاستسقاء ومعه العباس والناس فلما وقف للدعاء قال اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك اليوم بعم نبينا فاسقنا فسقوا وأما الولى فهو المطر الذى يأتى بعد الوسمى وسمى وليا لانه يلى الوسمى والوسمى مطر الربيع الاول وسمى بذلك لانه يسم الارض بالنبات وهو منسوب الى الوسم وقد جمعهما المتنبى فى بيت واحد وهو

امنعمة بالعودة الظبية التى * بغير ولى كان نائلها الوسمى

يعنى انه لم تكن لزيارتها الاولى ثانية ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته الى أن توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله ولم يجد فى وجهه بابا مفتوحا فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف وقد ساق فى أوائل البرق الشامى طرفا من ذلك وتقدم فى ترجمة ابن التعاويذى ما دار بينهما فى طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابها وكانت ولادته يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة وقيل فى شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة باصبهان وتوفى يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية خارج باب النصر رحمه الله تعالى أخبرنى بعض الرؤساء ممن كان ملازما له فى مدة مرضه انه كان اذا دخل عليه يعوده أنشده

أنا ضيف بربعكم * أين أين المضيف أنكرتنى معارفى * مات من كنت أعرف

وأله بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء وهو اسم عجمى معناه بالعربى العقاب وهو الطائر المعروف وقد قيل ان العقاب لا يوجد فيها ذكر بل جميعها أنثى وان الذى يسافدها طائر آخر من غير جنسها وقيل ان الثعلب يسافدها وهذا من العجائب ولابن عنين الشاعر المقدم ذكره فى هجو شخص يقال له ابن سيده

ما أنت الا كالعقاب فأمه * معروفة وله أب مجهول

وهذا اشارة الى ما تعين فيه والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابى التركى الحكيم المشهور)

صاحب التصانيف فى المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم وهو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه والرئيس أبو على بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع فى تصانيفه وكان رجلا تركيا ولد فى بلده ونشأ بها وسيأتى الكلام عليها فى آخر الترجمة ان شاء الله تعالى ثم خرج من بلده وانتقلت به الاسفار الى ان وصل الى بغداد وهو يعرف اللسان التركى وعدة لغات غير العربى فتعلمه وأتقنه غاية الاتقان ثم اشتغل بعلوم الحكمة ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور وهو شيخ كبير وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق وله اذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع فى حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب ارسطاطاليس فى المنطق ويملى على تلامذته شرحه فكتب عنه فى شرحه سبعين سفرا ولم يكن فى ذلك الوقت أحد مثله فى فنه وكان حسن العبارة فى تآليفه لطيف الاشارة وكان يستعمل فى تصانيفه البسط والتذييل حتى قال بعض علماء هذا الفن ما أرى أبا نصر الفارابى أخذ طريق تفهيم المعانى الجزلة بالالفاظ السهلة الا من أبى بشر يعنى المذكور وكان أبو نصر يحضر حلقته فى غمار تلامذته فاقام أبو نصر كذلك برهة ثم ارتحل الى مدينة حران وفيها يوحنا بن خيلان الحكيم النصرانى فأخذ عنه طرفا من المنطق أيضا ثم انه قفل راجعا الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر فى استخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها ويقال انه وجد كتاب النفس لارسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبى نصر الفارابى انى قرأت هذا الكتاب مائة مرة ونقل عنه انه كان يقول قرأت السماع الطبيعى لارسطاطاليس الحكيم أربعين مرة وأرى انى محتاج الى معاودة قراءته ويروى عنه انه سئل من

ونقل عنه كرامات كثيرة لا يفى هذا المختصر بتفصيلها منها انه أعطى أصحابه وهو على السفر مشمشا طريا فى غير أوانه وهذا يروى عن بعض الثقات ومنها انه سرق من مسجده بساط ولم يلتفت الشيخ الى طلبه وألح أصحابه على طلبه فقال ان فى القرية الفلانية شجرة والبساط مدفون عندها فوجد وهنالك مدفونا تحت الشجر فأخذ بعض الاعوان صاحب الارض متهما له بالسرقة فقال الشيخ أطلقه انما أخذه بعض من النصارى فى القرية الفلانية فاحضر وقال انى دفنته هناك امتحانا للشيخ بانه يطلع على ذلك ام لا فاسلم عند الشيخ رحمه الله تعالى ومنها انه كان ينفق من الغيب وكان يخرج من تحت سجادته ما يحتاج اليه من الدراهم حتى ان بعض أصحابه ظنوا ان تحت سجادته دراهم فنظروا اليه فلم يجدوا شيأ ثم جاء هو وأخرج من تحتها قدر ما يحتاج من الدراهم وكان رحمه الله تعالى من العارف الذوقية والورع والتقوى على جانب عظيم توفى رحمه الله فى سنة اثنتين وستين وتسعمائة قدس الله سره العزيز

(ومنهم العالم العامل الفاضل الشيخ محيى الدين المعروف بامام قلندرخانه)

أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم ارسطاطاليس فقال لو أدركته لكنت أكبر تلامذته وذكره أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي في كتاب طبقات الحكماء فقال الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن خيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر فبذ جميع أهل الاسلام وأربى عليهم في التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبها على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تتصرف صورة القياس في كل مادة منها فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة ثم له بعد هذا كتاب شريف في احصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به انتهى كلام ابن صاعد وذكر بعد ذلك شيأ من تآليفه ومقاصده فيها ولم يزل أبو نصر ببغداد مكبا على الاشتغال بهذا العلم والتحصيل له الى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف بها معظم كتبه ثم سافر منها الى دمشق ولم يقم بها ثم توجه الى مصر وقد ذكر أبو نصر في كتابه الموسوم بالسياسة المدنية أنه ابتدأ تأليفه في بغداد وأكمله بمصر ثم عاد الى دمشق وأقام بها وسلطانها يومئذ سيف الدولة بن حمدان فأحسن اليه ورأيت في بعض المجاميع ان أبا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فادخل عليه وهو بزي الاتراك وكان ذلك زيه دائما فوقف فقال له سيف الدولة اقعد فقال حيث أنا أم حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل أن يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الادب واني سائله عن أشياء ان لم يوف بها فاخرقوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له أتحسن هذا اللسان فقال نعم أحسن أكثر من سبعين لسانا فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك في أن تأكل فقال لا فقال فهل تشرب فقال لا فقال فهل تسمع فقال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي فلم يحرك أحد منهم آلته الا وعابه أبو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصنعة شيأ فقال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضربا آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج (ويحكى) ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه وينتابه المشتغلون عليه وكان أكثر تصنيفه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس الا القليل فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق ويوجد بعضها ناقصا مبتورا وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولم يزل على ذلك الى أن توفي في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير رحمه الله تعالى وتوفي متى بن يونس ببغداد في خلافة الراضي هكذا حكاه ابن صاعد القرطبي في طبقات الاطباء وظفرت في مجموع بأبيات منسوبة الى الفارابي ولا أعلم صحتها وهي

أخي خل حيز ذي باطل * وكن للحقائق في حيز * فما الدار دار مقام لنا
وما المرء في الارض بالمعجز * ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز

قرأ رحمه الله على علماء عصره وحصل من العلوم جانبا عظيما ثم اشتغل بالتصوف وصحب الشيخ حبيبا القرماني والشيخ ابن الوفاء والسيد أحمد البخاري قدس الله تعالى أسرارهم ثم صار خطيبا واماما بجامع قلندرخانه وتوفي هنالك في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما عارفا بالعلوم العربية والتفسير والحديث والاصول والفروع وكان مشتغلا بالعلوم ومواظبا على العبادات منقطعا عن الناس متبتلا الى الله تعالى ملازما لبيته وكانت تتلألأ أنوار الصلاح في جبينه الكريم وصحبت معه مدة تدريسي بمدرسة قلندرخانه ورأيته شيخا مباركا صحيح العقيدة مراعيا للكتاب والسنة وحافظا للحدود الشريعة وكان شيخا هرما وسألته عن سنه فقال مائة أو أقل منها بسنتين وعاش بعد ذلك مقدار ثمان سنين روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ الصالح مصلح الدين مصطفى من خلفاء السيد أحمد البخاري) وكان متوطنا بمدينة قسطنطينية في زاويته المسماة بذات الاحجار وكان شيخا نورانيا عابدا زاهدا صالحا متخليا منقطعا الى الله تعالى مشتغلا باصلاح

وهل نحن الا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز * محيط السموات أولى بنا
* فماذا التنافس فى مركز *

ورأيت هذه الابيات فى الخريدة منسوبة الى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقى البغدادى الدار وقال العماد الكاتب مؤلف الخريدة انه اجتمع به يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة احدى وستين وخمسمائة وتوفى بسنيات بعد ذلك وطرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف نون وأوزلغ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاى واللام وبعدها غين معجمة وهما من أسماء الترك والفارابى بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعد الالف الثانية باء موحدة هذه النسبة الى فاراب وتسمى فى هذا الزمان اطرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الراءين ألف ساكنة وقد غلب عليها هذا الاسم وهى مدينة فوق الشاش قريبة من مدينة بلاساغون وجميع أهلها على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وهى قاعدة من قواعد مدن الترك ويقال لها فاراب الداخلة ولهم فاراب الخارجة وهى فى أطراف بلاد فارس وبلاساغون بفتح الباء الموحدة واللام ألف والسين المهملة وبعد الالف غين معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهى بلدة فى بعض ثغور الترك وراء نهر سيحون المقدم ذكره بالقرب من كاشغر وكاشغر بفتح الكاف وبعد الالف شين معجمة ساكنة ثم غين معجمة مفتوحة وفى آخرها راء وهى من المدن العظام فى تخوم الصين والله تعالى أعلم

(أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب المشهور)

ذكر ابن جلجل فى تاريخ الاطباء انه دبر مارستان الرى ثم مارستان بغداد فى أيام المكتفى ومن أخباره انه كان فى شبيبته يضرب بالعود ويغنى فلما التحى وجهه قال كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوامضها الغاية واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم وألف فى الطب كتبا كثيرة وقال غيره كان امام وقته فى علم الطب والمشار اليه فى ذلك العصر وكان متقنا لهذه الصناعة حاذقا بها عارفا بأوضاعها وقوانينها تشد اليه الرحال لاخذها عنه وصنف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوى وهو من الكتب الكبار يدخل فى مقدار ثلاثين مجلدا وهو عمدة الاطباء فى النقل منه والرجوع اليه عند الاختلاف ومنها كتاب الجامع وهو أيضا من الكتب الكبار النافعة وكتاب الاعصاب وهو أيضا كبير وله أيضا كتاب المنصورى المختصر المشهور وهو على صغر حجمه من الكتب المختارة جمع فيه بين العلم والعمل ويحتاج اليه كل أحد وكان قد صنفه لابى صالح منصور بن نوح بن نصر بن اسمعيل بن أحمد بن أسد بن سامان أحد الملوك السامانية فنسب الكتاب اليه وله غير ذلك تصانيف كثيرة وكلها يحتاج اليها ومن كلامه مهما قدرت أن تعالج بالاغذية فلا تعالج بالادوية ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ومن كلامه اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة ومن كلامه عالج فى أول العلة بما لا تسقط به القوة ولم يزل رئيس هذا الشان وكان اشتغاله به على كبر يقال انه لما شرع فيه كان قد جاوز أربعين سنة من العمر وطال عمره وعمى فى آخر مدته وتوفى سنة احدى عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبى الحسن على بن زين الطبرى صاحب التصانيف المشهورة ومنها فردوس الحكمة وغيره وكان مسيحيا ثم أسلم وقد تقدم الكلام على الرازى وأما الملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان وكانوا أحسن الملوك سيرة ومن ولى منهم كان يقال له سلطان السلاطين لا ينعت الا به وصار كالعلم لهم وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم ونبغ من بيتهم جماعة ولم تنقرض دولتهم الا بدولة السلطان محمود بن سبكتين الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وستين وستة أشهر وعشرة أيام وكانت وفاة أبى صالح منصور المذكور فى شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وكان قد صنف له الرازى المذكور الكتاب المذكور فى حال صغره ليشتغل به ثم رأيت نسخة كتاب المنصورى وعلى ظهره ان المنصور الذى وسم الرازى هذا

أصحابه توفى قريبا من الستين وتسعمائة تروح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم العارف بالله تعالى الشيخ على الكازرونى)

اتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى السيد على بن ميمون المغربى المذكور سابقا وسافر معه أياما فى نواحى حماة وكانت الاسد كثيرة فى تلك النواحى وتعرض لهم أسد فشكوا منه الى الشيخ فقال أذنوا فأذنوا له فلم يسمع قالوا للشيخ ان الاسد لم يذهب فقال أذنوا ثانيا فأذنوا له فلم يرجع فتقدم الشيخ الكازرونى الى السحاب الاسد عن أعينهم ولم يدر انه خسف به الارض أو ذاب فى مكانه فذكر ذلك للشيخ فغضب على الكازرونى غضبا شديدا وقال يا كازرونى يا ناقب يا ناقص أفسدت طريقتنا فشرع الكازرونى بالاعتذار عن خدمة الشيخ فقال الشيخ تقدم يا كازرونى تقدم قال الكازرونى بل أنت تقدم يا شيخ فعند ذلك غضب الشيخ غضبا شديدا فقال رح فى لعنة الله فرده ولم يقبله أبدا حتى مات ثم انه أراد أن يرجع الى خلفاء الشيخ الترو فلم يقبلوه حتى ذهب الى بلاد العرب وأتى بكتاب من الشيخ المغربى وقال فيه ان أحدا

الكتاب باسمه هو المنصور بن اسحق بن أحمد بن نوح من ولد بهرام جور صاحب كرمان وخراسان وكنيته أبو صالح والله أعلم بالصواب وحكى ابن جلجل المتقدم ذكره في تاريخه أيضا ان الرازى المذكور صنف للمنصور المذكور كتابا في اثبات صناعة الكيمياء وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب فأعجبه وشكره عليه وحباه بالف دينار وقال له أريد ان تخرج هذا الذى ذكرت في الكتاب الى الفعل فقال له الرازى ان ذلك مما يمون له المؤن ويحتاج الى آلات وعقاقير صحيحة والى احكام صنعة ذلك كله وكل ذلك كلفة فقال له منصور كل ما احتجت اليه من الآلات ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملا حتى تخرج ماضمنته كتابك الى العمل فلما حقق عليه ذلك كاع من مباشرة ذلك وعجز عن عمله فقال له المنصور ما اعتقدت ان حكيما يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها الى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة ثم قال له قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار اليك من الالف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب فجعل السوط على رأسه ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيربه الى بغداد فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء في عينيه ولم يسمح بقدحهما وقال قد رأيت الدنيا وكانت وفاة والده أبى محمد نوح بن نصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وكانت وفاة جده أبى الحسن نصر ابن اسمعيل في رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وكانت وفاة جد أبيه ابراهيم بن اسمعيل بن أحمد في صفر ليلة الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وتسعين ومائتين ببخارى ومولده سنة أربع وثلاثين ومائتين بفرغانة وكان يكتب الحديث ويكرم العلماء وكانت وفاة أحمد بن أسد بن سامان سنة خمسين ومائتين بفرغانة رحمهم الله تعالى وسامان بفتح السين المهملة والميم بينهما ألف وبعد الالف الثانية نون وهذا وان كان خارجا عن المقصود لكن مساق الكلام جره وفيه فائدة لا يستغنى عنها والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر)

أحد الاخوة الثلاثة الذين ينسب اليهم حيل بنى موسى وهم مشهورون بها واسم أخويه أحمد والحسن وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل وأتعبوا أنفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من أخرجها لهم وأحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد ومما اختصوا به في ملة الاسلام وأخرجوه من القوة الى الفعل وان كان أرباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه لكنه لم ينقل ان أحدا من أهل هذه الملة تصدى له وفعله الا هم وهو ان المأمون كان مغرى بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها ان دور كرة الارض أربعة وعشرون ألف ميل كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على أى نقطة كانت من الارض وأدرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الحبل فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل فاراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك فسأل بنى موسى المذكورين عنه فقالوا نعم هذا قطعى وقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذى ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا فسألوا عن الاراضى المتساوية في أى البلاد هى فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطاآت الكوفة فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون الى أقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاؤا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالى ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتدا وربطوا فيه حبلا طويلا ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان فلما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتدا آخر وربطوا فيه حبلا طويلا ومشوا الى جهة الشمال أيضا كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع

لا ودمن بابه الله تعالى والتمارده شغلته أذيته واصلاحه فقبله الشيخ علوان ورباه وحصل عنده الطريقة ونال المراتب السنية ثم أتى بلاد الروم ثم ذهب الى الحج وجاور بمكة المشرفة حتى مات ودفن بها كان رحمه الله تعالى صاحب جذبة وكان له اطلاع على الخواطر وأحوال القلوب وكانت له معرفة استفاد منه كثير من الناس قدس الله تعالى سره العزيز

(هذا آخر) ما تيسر لى بعون الله الملك العلام من تفصيل أحوال العلماء الاعلام والفضلاء الكرام وذكر مناقب المشايخ العظام وحين ان أوان الاختتام خطر ببال هذا العبد المستهام ان أتلى ذكرى ذكر هؤلاء الكرام الآن قصورشأنى منعنى ثانيا من انجاح هذا المرام فصرت مترددا بين اقدام واحجام وهكذا الى أن انبعث من ذات نفسى داعية الاقدام بناء على ماقيل لابدفى حضرة السادات من الخدام فشرعت فيه متوكلا على الله عز وجل والقلم يتزلق في مزالق الوجل والورق يلمع بريق الحياء والخجل (فاقول) وأنا العبد الضعيف العليل المحتاج الى رحمة ربه الجليل أحمد بن مصطفى بن خليل عفا الله عنهم بكرمه الجزيل

الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذى قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلا وثلثى ميل فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلثان ثم عادوا الى الموضع الذى ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه حبلا وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا فى جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التى استعملوها فى جهة الشمال ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك وهذا اذا وقف عليه من له يد فى علم الهيئة ظهر له حقيقة ذلك ومن المعلوم ان عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة لان الفلك مقسوم باثنى عشر برجا وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك فى ستة وستين ميلا أى التى هى حصة كل درجة فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل وهى ثمانية آلاف فرسخ وهذا محقق لاشك فيه فلما عاد بنو موسى الى المأمون وأخبروه بما صنعوا وكان موافقا لما رآه فى الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك فى موضع آخر فسيرهم الى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا فى سنجار فتوافق الحسابان فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء فى ذلك وهذا الفصل هو الذى أشرت اليه فى ترجمة أبى بكر محمد بن يحيى الصولى قلت ولولا التطويل لبينت ذلك وكانت لبنى موسى المذكورين أوضاع نادرة غريبة ولولا الاطالة لذكرت شيأ منها وتوفى محمد المذكور فى شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم بالصواب

(أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرانى الاصل البتانى الحاسب المنجم المشهور)

صاحب الزيج الصابى له الاعمال العجيبة والارصاد المتقنة وأول ما ابتدأ بالرصد فى سنة أربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلثمائة وأثبت الكواكب الثابتة فى زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين وكان أوحد عصره فى فنه وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه وتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة عند رجوعه من بغداد فى موضع يقال له قصر الحضر ولم أعلم انه أسلم لكن اسمه يدل على اسلامه وله من التصانيف الزيج وهو نسختان أولى وثانية والثانية أجود وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك ورسالة فى مقدار الاتصالات وكتاب شرح فيه أربعة أرباع الفلك ورسالة فى تحقيق أقدار الاتصالات وشرح أربع مقالات بطليموس وغير ذلك والبتانى بفتح الباء الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الاكفانى بكسرها وتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الالف نون هذه النسبة الى بتان وهى ناحية من أعمال حران والحضر بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وهى مدينة قديمة بالقرب من الموصل ومن تكريت بين دجلة والفرات فى البرية وكان صاحبها الساطرون فحاصره اردشير بن بابك أول ملوك الفرس وأخذ البلد وقتله وفى ذلك يقول أبو داود الايادى واسمه جارية بن حجاج وقيل حنظلة بن شرقى

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون
صرعته الايام من بعد ملك * ونعيم وجوهر مكنون

وذكره أيضا عدى بن زيد العبادى فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور

وبعد ذكره فى الشعر كثيرا وقيل ان الذى حصره سابور ذو الاكتاف وهو الذى ذكره ابن هشام فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول أصح والساطرون بفتح السين المهملة وبعد الالف طاء مهملة مكسورة ثم راء مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو لفظ سريانى ومعناه الملك واسمه ضيزن بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاى وبعدها نون ابن معاوية وضيزن اسم صنم كان فى الجاهلية وبه سمى الرجل وهذا قضاعى وكان من ملوك الطوائف واذا اجتمعوا لحرب غيرهم تقدم عليهم لعظمته عندهم فاقام اردشير على حصاره أربع سنين وهو لا يقدر عليه وكان للساطرون ابنة يقال لها نضيرة بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وفيها يقول الشاعر

ولطائفه الجزيل المشتهر بين الناس بطاشكبرى زاده جعل الله الهدى والتقوى زاده وأوفر كل يوم علمه وزاده (حكى) والدى رحمه الله انه لما أراد أن يسافر من مدينة بروسه الى بلدة أنقره قبيل ولادتى بشهر رأى فى المنام فى الليلة التى سافر فى صبحها شخصا جميل الصورة وقال له أبشر فانه سيولد لك ولد فسمه باسم أحمد فلما سافر رحمه الله قص هذه الواقعة على والدتى ثم انى ولدت فى الليلة الرابع عشرة من شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعمائة ولما بلغت سن التمييز انتقلنا الى بلدة انقره فشرعنا هنالك فى قراءة القرآن العظيم وعند ذلك لقبنى والدى بعصام الدين وكنانى بابى الخير وكان لى أخ أكبر منى بسنتين اسمه محمد ولقبه والدى بنظام الدين وكناه بابى سعيد ثم انه لما ختمنا القرآن انتقلنا الى مدينة بروسه فعلمنا والدى شيأ من اللغات العربية ثم انه رحمه الله سافر الى مدينة قسطنطينية وسلمنى الى العالم العامل علاء الدين الملقب باليتيم وقد أسلفنا ذكره فقرأت عليه من الصرف مختصرا مسمى بالمقصود ومختصر عز الدين الزنجانى ومختصر مراح الارواح وقرأت عليه أيضا من النحو مختصر المائة

أقفر الحضر من نضيرة فالمر * باع منها فجانب الثرثار

وكانت فى غاية الجمال وكانت عادتهم اذا حاضت المرأة أنزلوها الى الربض فحاضت نضيرة فأنزلت الى ربض الحضر فأشرفت ذات يوم فأبصرت اردشير وكان من أجمل الرجال فهويته فأرسلت اليه أن يتزوجها وتفتح له الحصن واشترطت ذلك عليه والتزم لها ما طلبته ثم اختلفوا فى السبب الذى دلته عليه حتى فتح الحصن والذى قاله الطبرى انها دلته على طلسم كان فى الحصن وكان فى علمهم انه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ففعل اردشير ذلك واستباح الحصن وخربه وأباد أهله وسار بنضيرة وتزوجها فبينما هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تتململ لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها اردشير أهذا الذى أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع قالت كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمنى المخ والزبد وشهد أبكار النحل ويسقينى الخمر الصافى قال فكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى بذلك أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها والحصن الى الآن آثاره باقية وفيه بقايا عمائر لكنه لم يسكن منذ ذلك الوقت وقد طال الكلام فيه وانما هى حكاية غريبة فأحببت اثباتها ورأيت فى تاريخ آخر انه دخل بغداد وخرج منها وتوفى فى الطريق بقصر الحضر فى التاريخ المذكور وقال ياقوت الحموى فى كتابه المشترك قصر الحضر بقرب سامرا من أبنية المعتصم والله تعالى أعلم

(أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن اسمعيل بن العباس البوزجانى الحاسب المشهور)

أحد الأئمة المشاهير فى علم الهندسة وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس تغمده الله برحمته وهو المقيم بهذا الفن يبالغ فى وصف كتبه ويعتمد عليها فى أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تآليفه عدة كتب وله فى استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع وكانت ولادته يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببوزجان وتوفى سنة ست وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وبوزجان بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاى وفتح الجيم وبعد الألف نون وهى بليدة بخراسان بين هراة ونيسابور وكان قد قدم العراق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة فى كتاب الفهرست تأليف أبى الفرج بن النديم ولم يذكر تاريخ وفاته فكتبت هذه الترجمة وذكرت تاريخ الولادة فأخليت بياضا لأجل تاريخ الوفاة لعلى أظفر به فان قصدى فى هذا التاريخ انما هو ذكر الوفاة كما ذكرته فى أول الكتاب ثم انى وجدت تاريخ الوفاة فى تاريخ شيخنا ابن الأثير وقد ذكرها فى هذه السنة المذكورة فألحقتها وكان بين شروعى فى هذا التاريخ وظفرى بالوفاة أكثر من عشرين سنة والله تعالى أعلم

(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى الامام الكبير فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان)

كان امام عصره من غير مدافع تشد اليه الرحال فى فنونه أخذ الأدب عن أبى منصور نصر وصنف التصانيف البديعة منها الكشاف فى تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله والمحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب فى العربية والفائق فى تفسير الحديث وأساس البلاغة فى اللغة وربيع الأبرار وفصوص الأخبار ومتشابه أسامى الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض فى علم الفرائض والمفصل فى النحو وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والأنموذج فى النحو والمفرد والمؤلف فى النحو ورؤس المسائل فى الفقه وشرح أبيات سيبويه والمستقصى فى أمثال العرب وصميم العربية وسوائر الأمثال وديوان التمثيل وشقائق النعمان فى حقائق النعمان وشافى العى من كلام الشافعى رضى الله عنه والقسطاس فى العروض ومعجم الحدود والمنهاج فى الأصول ومقدمة الأدب وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسالة الناصحة والأمالى

للشيخ الامام عبد القاهر الجرجانى وكتاب المصباح للامام المطرزى وكتاب الكافية للشيخ العلامة ابن الحاجب وحفظت كل ذلك بمشاركة أخى المرحوم ثم شرعنا فى قراءة كتاب الوافية فى شرح الكافية ولما بلغنا مباحث المرفوعات جاء عمى قوام الدين قاسم الى مدينة بروسه وصار مدرسا بمدرسة مولانا خسرو وهناك قرأنا عليه من مباحث المرفوعات الى مباحث المجرورات وعند ذلك مرض أخى مرضا مزمنا والتمس منى أن أتوقف الى أن يبرأ فتوقفت لأجله فقرأت فى تلك المدة على عمى كتاب الهارونية من الصرف والألفية لابن مالك من النحو ولما أتممت حفظها توفى أخى فى سنة أربع عشرة وتسعمائة رحمه الله تعالى فشرعت فى قراءة ضوء المصباح على عمى فقرأته من أوله الى آخره وكتبت ذلك الكتاب وصححته غاية التصحيح والاتقان ثم قرأت عليه من المنطق مختصر ايساغوجى مع شرحه لحسام الدين الكاتى وقرأت عليه أيضا بعضا من شرح الشمسية للعلامة الرازى وعند ذلك أتى والدى من مدينة قسطنطينية الى مدينة بروسه وصار مدرسا بمدرسة أماسيه ولما وصلنا

في كل فن وغير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ
منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار
يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وسمعت من بعض المشايخ ان احدى رجليه كانت ساقطة وانه
كان يمشي في جارن خشب وكان سبب سقوطها انه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد
شديد في الطريق فسقطت منه رجله وانه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك
خوفا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال انها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر في الاطراف في تلك
البلاد فتسقط خصوصا خوارزم فانها في غاية البرد ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا
السبب فلا يستبعده من لا يعرفه ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين ان الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع
بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك اني كنت في صباي أمسكت
عصفورا وربطته بخيط في رجله فافلت من يدي فادركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط
فتألمت والدتي لذلك وقالت قطع الله رجل الابعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت الى
بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي وعملت علي عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة
وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهرا به حتى نقل عنه انه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن
عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب وأول ما صنف كتاب الكشاف
كتب استفتاح الخطبة الحمد لله الذي خلق القرآن فيقال انه قيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس
ولا يرغب أحد فيه فغيره بقوله الحمد لله الذي جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق والبحث في ذلك يطول
ورأيت في كثير من النسخ الحمد لله الذي أنزل القرآن وهذا اصلاح الناس لا اصلاح المصنف وكان الحافظ
أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره رحمه الله تعالى قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور
بمكة حرسها الله تعالى يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفي الغليل فلما كان في العام الثاني
كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه الى
المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته في السنة الماضية فلم يجب بما يشفي الغليل وله في ذلك الاجر الجزيل
فكتب اليه الزمخشري جوابه ولولا خوف التطويل لكتبت الاستدعاء والجواب لكن نقتصر على بعض
الجواب وهو ما مثلي مع أعلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع
الغوادي الغامرة للقيعان والاكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب
بالعلامة الا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة
مزجاة ظلي فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ولا
الى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض ما يبل شفاها ثم كتب بعد هذا ولا يغرنكم قول فلان
فيّ ولا قول فلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولا حاجة
الى الاتيان بها ههنا فلما فرغ من ايرادها كتب فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه
ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وتبليغ الشفقة على المستفيدين وقطع المطامع عنهم
وافادة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والاقبال على خويصتي
والاعراض عما لا يعنيني فجلت في عيونهم وغلطوا فيّ ونسبوني الى ما لست منه في قبيل ولا دبير وما أنا فيما
أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم
ولست بخيركم ان المؤمن ليهضم نفسه وانما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي ومن لقيت
وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلي وأطلعته طلع أمري وأفضيت اليه بخبيئة سري وألقيت اليه عجري
وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبي رحمه
الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير في شر ورد ولم

المواقف قرأت عليه شرح
الشمسية من أول الكتاب
الى آخره مع حواشي السيد
الشريف عليه ثم قرأت
عليه شرح العقائد للعلامة
التفتازاني مع حواشي
المولى الخيالي عليه ثم قرأت
عليه شرح هداية الحكمة
لمولانا زاده مع حواشي
المولى خواجه زاده عليه ثم
قرأت عليه شرح آداب
البحث لمولانا مسعود الرومي
ثم قرأت عليه شرح الطوالع
للعلامة الاصفهاني من أوله
الى آخره مع حواشي السيد
الشريف عليه ثم قرأت
عليه بعض المباحث من
حاشية شرح المطالع للسيد
الشريف قراءة تحقيق
واتقان ثم قال لي رحمه الله
اني قضيت ما علي من حق
الابوة فالامر بعد ذلك
اليك وما قرأت بعد ذلك
شيئا ثم قرأت على خالي
حواشي شرح التجريد
للسيد الشريف من أول
الكتاب الى مباحث
الوجوب والامكان قراءة
تحقيق واتقان ثم قرأت
على العالم الفاضل المولى
محيي الدين الفناري شرح
المفتاح للسيد الشريف
من أول مباحث المسند الى
آخر مباحث الفصل
والوصل ثم قرأت على العالم
العامل والفاضل الكامل
المولى محيي الدين سيدي
محمد القوجوي شرح
المواقف للسيد الشريف
من أول الالهيات الى

يلمم بها وقت الميلاد شهر الله الاصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلي على محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها وما أعلم هل أجازه بعد ذلك أم لا وبيني وبينه في الرواية شخص واحد فانه أجاز زينب بنت الشعري ولي منها اجازة كما تقدم في ترجمتها في حرف الزاي ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعاني في الذيل قال أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري لنفسه بخوارزم وذكر الابيات وهي

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطّبينا النجل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس اذ غازلته قرب روضة * الى جنب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجئ به * فقلت له هيهات ما لي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له اني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر (١) منصورا المذكور أولا

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني

وهذا مثل قول القاضي أبي بكر الأرجاني المقدم ذكره ولا أعلم أيهما أخذ من الآخر لانهما كانا متعاصرين وهو

لم يبكني الا حديث فراقكم * لما أسر به الي مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي أجريته من مدمعي

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة بديعة ومن المنسوب الى القاضي الفاضل في هذا المعنى

لا تزدني نظرة ثانية * كفت الاولى ووقت غني * لاتقى فلي حديث مودع
لا جعدت الحسن ما أودعني * نحذه من جفني عقودا انه * بعض ما أودعته أذني

ومما أنشده لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فانه قال أنشدت لبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول

وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هذه الابيات بمدينة حلب وقال ان الزمخشري المذكور أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات ثم أنشدني الفاضل الرئيس بيتين وذكر ان صاحبهما أوصى أن يكتبا على قبره وهما

الهي قد أصبحت ضيفك في الثرى * وللضيف حق عند كل كريم
فهب لي ذنوبي في قراي فانها * عظيم ولا يقرى بغير عظيم

وأخبرني بعض الاصحاب انه رأى بجزيرة سواكن تربة ملكها عز الدولة ريحان وعلى قبره مكتوب

يا أيها الناس كان لي أمل * قصر بي عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل * أمكنه قبل موته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل

وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء وهي قرية كبيرة من قرى

مباحث النبوات قراءة تحقيق واتقان وقرأت عليه أيضا تفسير سورة النبا من الكشاف ثم قرأت على العالم الفاضل الكامل المولى بدر الدين محمود بن قاضي زاده الرومي الشهير بميرم جلبي كتاب الفتحية للمولى علي القوشجي من الهيئة وكنت اقرأ عليه وهو يكتب له شرحا واتحف ذلك الشرح للسلطان سليم خان حين كونه قاضيا بالعسكر المنصور في ولاية اناطولي ثم قرأت على المولى العالم العامل الشيخ محمد التونسي مولانا المغوشي شهرة بعضا من صحيح البخاري ونبذا من كتاب الشفاء للقاضي عياض وقرأت عليه أيضا علم الجدل وعلم الخلاف وباحثت معه في العلوم العقلية والعربية حتى أجاز لي اجازة ملفوظة مكتوبة أن أروي عنه التفسير والحديث وسائر العلوم وجميع ما يجوز له ويصح عنه رواية وهو يروي عن شيخه ولي الله شهاب الدين أحمد البكري المصري وهو يروي عن

(١) قوله أبا مضر في أكثر النسخ أبا نصر مع أن المذكور أولا أبو منصور نصر ولكن الموافق لما في المرثية على ما هنا وعلى ما رأيت في المعاهد أنه أبو مضر اهـ قاله نصر الهوريني

خوارزم وجرجانية بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم قال ياقوت الحموي في كتاب البلدان يقال لها بلغتهم كركانج وقد عربت فقيل لها الجرجانية وهي على شاطئ جيحون والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو طالب محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن أبي الرجا التميمي الاصبهاني المعروف بالقاضي)

صاحب الطريقة في الخلاف تفقه على الشهيد محمد بن يحيى المقدم ذكره وبرع في الخلاف وصنف فيه التعليقة التي شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه وجمع فيها بين الفقه والتحقيق وكان عمدة المدرسين في القاء الدروس عليها ومن لم يذكرها فانما كان لقصور فهمه عن ادراك دقائقها واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير وكان له في الوعظ اليد الطولى وكان متفننا في العلوم خطيبا باصبهان مدة طويلة وتوفي في شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى

(أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين الملقب أولا سيف الدولة)

ثم لقبه الامام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه يمين الدولة وأمين الملة واشتهر به وكان والده سبكتكين قد ورد مدينة بخارى في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المذكورين في ترجمة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب وكان وروده في صحبة أبي اسحق بن بلكتين وهو حاجبه وعليه مدار أموره فعرفه أركان تلك الدولة بالشهامة والصرامة وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع ولما خرج أبو اسحق المذكور الى غزنة واليا عليها وسادا لمسد أبيه انصرف الامير سبكتكين ناصرا في جانبه في زعامة رجاله ووجاهة ماوراء بابه فلم يلبث أبو اسحق بعد موافاتها أن انقضى نحبه ولم يبق من ذوي قرابته من يصلح لمكانته واحتاج الناس الى من يتولى أمورهم فاختلفوا فيمن يصلح لذلك ثم وقع اتفاقهم واجتمعت كلمتهم على تأمير الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع في الغزاة والاغارة على أطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة منها وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت أرض خزائنه وأشفقت النفوس من هيبته وكان من جملة فتوحاته ناحية بست وكان من جملة ما استفاده من صناياها أبو الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المقدم ذكره فانه كان كاتبا لملك الناحية المذكورة واسمه أبو نور فلما تعلق بخدمته اعتمد عليه في أموره وأسر اليه بأحواله وشرح ذلك يطول وآخر الامر أن الامير سبكتكين كان قد وصل الى مدينة بلخ من طوس فمرض بها واشتاق الى غزنة فخرج اليها في تلك الحال فمات في الطريق قبل وصوله وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنة ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم كاتبه أبو الفتح البستي المذكور بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والدو * لة حياه ربه بالكرامه

وتداعت جموعه بافتراق * هكذا هكذا تكون القيامه

واجتاز بعض الافاضل بداره بعد موته وقد تشعثت فانشد

عليك سلام الله من منزل قفر * فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري

عهدتك من شهر جديدا ولم أخل * صروف الردى تبلي مغانيك في شهر

وكان الامير المذكور قد جعل ولي عهده من بعده ولده اسمعيل واستخلفه على الاعمال وأوصى اليه بأمور أولاده وعياله وجمع وجوه أصحابه وقواده على طاعته ومتابعته وجلس على سرير السلطنة وتحكم واعتبر بيوت الاموال وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيما بمدينة بلخ واسمعيل بغزنة فلما بلغه نعي أبيه كتب الى أخيه اسمعيل ولاطفه في القول وقال له ان أبي لم يستخلفك دوني الا لكونك كنت عنده وأنا كنت بعيدا عنه ولو أوقف الامر على حضوري لفاتت مقاصده ومن المصلحة أن نتقاسم الاموال بالميراث فتكون أنت مكانك بغزنة وأنا بخراسان وندبر الامور ونتفق على المصالح فلا يطمع فينا عدو ومتى ما ظهر للناس اختلاف

شيخه حافظ المشرقين أمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ثم المصري وأيضا أجازلي بالتفسير والحديث والدي وهو يروي عن والده وهو يروي عن مولانا يكان وهو روى عن المولى الكساري وهو روى عن جمال الدين الاقسرائي وعن الشيخ أكمل الدين وأيضا يرويهما والدي عن المولى محمد واسحق وأداه عن المولى فخر الدين العجمي المفتي وهو يرويهما عن مولانا حيدر وهو يرويهما عن المولى سعد الدين التفتازاني وأيضا أجازلي بالتفسير والحديث المولى الفاضل سيدي محيي الدين القوجوي المذكور وهو يرويهما عن شيخه العالم العامل الفاضل الكامل المولى حسن چلبي الفناري وهو يرويهما عن تلامذة الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر ثم ان هذا العبد الفقير صار مدرسا أولا بمدرسة دمتوقه في أواخر شهر رجب المرجب لسنة احدى وثلاثين وتسعمائة ودرست هناك الشرح المطول للتلخيص من أول قسم البيان الى مباحث الاستعارة وحواشي شرح التجريد من أول الكتاب الى آخر مباحث أمور العامة ودرست هناك أيضا شرح الفرائض للسيد

طمعوا فيها فأبى اسمعيل من موافقته على ذلك وكان فيه لين ورخاوة فطمع فيه الجند وشغبوا عليه وطالبوه
بالاموال فاستنفد في مرضاتهم الخزائن ثم خرج محمود الى هراة وجدد مكاتبة أخيه وهو لا يزداد الا اعتياصا
فدعا محمود عمه بغراجق الى موافقته فاجابه وكان أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين أميرا بناحية بست
فنهض اليه وعرض عليه الانقياد لمتابعته فلم يتوقف عليه فلما قوي جاشه بعمه وأخيه قصد أخاه اسمعيل
بغزنة وهما معه فنازلها في جيش عظيم وجمع غفير وحاصرها واشتد القتال عليها ففتحها وانحاز اسمعيل الى
قلعتها متحصنا بها ثم تلطف في طلب الامان من أخيه محمود فأجابه الى سؤاله ونزل في حكم أمانه وتسلم منه
مفاتيح الخزائن ورتب في غزنة النواب والاكفاء وانحدر الى بلخ وكان السلطان محمود قد اجتمع بأخيه
اسمعيل في مجلس الانس بعد ظفره به فسأله عما كان في نفسه انه يعتمده في حقه لو ظفر به فحملته سلامة
صدره ونشوة السكر على ان قال كان في عزمي أن أسيرك الى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من
دار وغلمان وجوار ورزق على قدر الكفاية فعامله بجنس ما كان قد نواه له وسيره الى بعض الحصون
وأوصى عليه الوالي أن يمكنه من جميع ما يشتهي ولما انتظم الامر للسلطان محمود وكان في بعض بلاد خراسان
نواب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان فجرى بين السلطان محمود وبينهم حروب انتصر فيها عليهم
وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها وذلك في سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستقبله الملك
وسير له الامام القادر بالله خلعة السلطنة ولقبه بالالقاب المذكورة في أول ترجمته وتبوأ سرير المملكة
وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة وملتزمين حكم الهيبة واجلسهم بعد الاذن العام
على مجلس الانس وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته من الخلع والصلات
ونفائس الامتعة بما لم يسمع بمثله واتسعت الامور عن آخرها في كنف ايالته واستوسقت الاعمال في ضمن
كفايته وفرض على نفسه في كل عام غزو الهند ثم انه ملك سجستان في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بدخول
قوادها وولاة أمرها في طاعته من غير قتال ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه في الاسلام
راية ولم تتل به قط سورة ولا آية فرحض عنها أدناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع وتفصيل حاله يطول
شرحه ولما فتح بلاد الهند كتب الى الديوان العزيز ببغداد كتابا يذكر فيه ما فتح الله تعالى على يديه من بلاد
الهند وأنه كسر الصنم المعروف بسومنات وذكر في كتابه ان هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد وانه اذا شاء أبرأ من جميع العلل وربما كان يتفق لشقوتهم ابلال عليل يقصده
فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة فيزيدون به افتتانا ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالا وركبانا ومن لم
يصادفه منهم انتعاشا احتج بالذنب وقال انه لم يخلص له الطاعة ولم يستحق منه الاجابة ويزعمون ان الارواح
اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وأن مد البحر وجزره عبادة له
على قدر طاقته وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد ويأتون من كل فج عميق ويتحفونه بكل
مال نفيس ولم يبق في بلاد السند والهند على تباعد اقطارها وتفاوت اديانها ملك ولا سوقة الا تقرب الى هذا
الصنم بما عز عليه من أمواله وذخائره حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع وامتلأت
خزائنه من أصناف الاموال وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس
حجيجه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ويجري من مال
الاوقاف المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة
شهر في مفازة موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان محمود في
ثلاثين ألف فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير وانفق عليهم من الاموال ما لا يحصى فلما وصلوا الى القلعة
وجدوها حصنا منيعا ففتحوها في ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم وحوله من الاصنام الذهب المرصع باصناف
الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه ويزعمون انها الملائكة وأحرق المسلمون الصنم المذكور ووجدوا في اذنه
نيفا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا كل حلقة عبادة ألف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم

الشريفة ثم صرت مدرسا
بمدرسة المولى الحاج حسن
بمدينة قسطنطينية في أوائل
شهر رجب المرجب لسنة
ثلاث وثلاثين وتسعمائة
ودرست هناك شرح الوقاية
لصدر الشريعة من أول
الكتاب الى كتاب البيع
ودرست هناك أيضا شرح
المفتاح للسيد الشريف
من أول الكتاب الى مباحث
الايجاز والاطناب ودرست
هناك أيضا حواشي شرح
التجريد من مباحث أمور
العامة الى مباحث الوجوب
والامكان ونقلت هناك
كتاب المصابيح من الحديث
من أول الكتاب الى آخره
مرتين وبعد اتمامه توفي
المولى الوالد رحمه الله تعالى
بمدينة قسطنطينية وقت
الضحوة من اليوم الثاني
عشر من شهر شوال لسنة
خمس وثلاثين وتسعمائة
ثم صرت مدرسا بمدرسة
اسكوب في أوائل شهر ذي
الحجة لسنة ست وثلاثين
وتسعمائة وارتحلت اليها
ونقلت هناك أيضا كتاب
المصابيح من أوله الى آخره
وكتاب المشارق من أوله الى
آخره في شهر رمضان
ودرست هناك أيضا كتاب
التوضيح من أوله الى آخره
ودرست هناك أيضا شرح
الوقاية لصدر الشريعة من
أول كتاب البيع الى آخره
ودرست هناك أيضا شرح
الفرائض للسيد الشريف
ودرست هناك أيضا شرح

ويزعمون ان هذا الصنم يعبد أكثر من ثلاثين ألف سنة وكلما عبدوه ألف سنة علقوا في أذنه حلقة وبالجملة فان شرح ذلك يطول وذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه ان بعض الملوك بقلاع الهند أهدى له هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمري من خاصيته انه اذا احضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك ووضع على الجراحات الواسعة ألحمها ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وأربعمائة وقد جمع سيرته أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي الفاضل في كتاب سماه اليميني وهو مشهور وذكر السلطان المذكور وملك الشرق بجنبيه والصدر من العالم ويديه لانتظام الاقاليم الرابع بما يليه من الثالث والخامس في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وحيايته واستذراهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته واذعان ملوك الارض لعزته وارتياعهم بنائض هيبته واحتراسهم على تقاذف الديار وتعاسر الابعاد والاغوار من فاجئ ركضه واستخفاء الهند تحت جيوبها عند ذكره واقشعرارهم لهبوب الرياح من أرضه وقد كان من حين انتشائه المهد وجفاء الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى عن الاشارة بالافهام مشغول اللسان بالذكر والقرآن الكريم مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي الامور معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبس مع الاتراب بجد وجد مستكد بالمال لا يعلم حتى يقتله جبرا ويجزن لما يحزن حتى يملئه قسرا وقهرا وذكر امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني المتقدم ذكره في كتابه الذي سماه مغيث الخلق في اختيار الاحق ان السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان مولعا بعلم الحديث وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الاحاديث فوجد أكثرها موافقا لمذهب الشافعي رضي الله عنه فوقع في خلده حكة فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وعلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه لينظر فيه السلطان ويتفكر ويختار ما هو أحسنهما فصلى القفال المروزي وقد تقدم ذكره بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالاركان والهيآت والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتمام وقال هذه صلاة لا يجوز الامام الشافعي دونها رضي الله تعالى عنه ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه فلبس جلد كلب مدبوغا ثم لطخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع الذباب والبعوض وكان وضوءه منكسا منعكسا ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ آية بالفارسية دوبركك سبز ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد وضرط في آخره من غير نية السلام وقال أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك لان مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين فانكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال باحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين جميعا فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه انتهى كلام امام الحرمين وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة وسيرته من أحسن السير ومولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفي في شهر ربيع الآخر وقيل حادي عشر صفر سنة احدى وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بغزنة رحمه الله تعالى وقام بالامر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه واجتمعت عليه الكلمة وغمرهم بانفاق الاموال فيهم وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائبا فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد فراسله ومال الناس اليه لقوة نفسه وعظم هيبته وزعم ان الامام القادر بالله قلده خراسان ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه وسوره فقوي أمره لذلك وكان محمد هذا ساهي التدبير منهمكا في ملاذه فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه الى قلعة وكاوايه واستقر الملك للامير مسعود وجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها وله في ترجمة

المعتمد

المفتاح من أول فن البيان الى آخر الكتاب ثم ارتحلت الى مدينة قسطنطينية وصرت مدرسا بمدرسة قلندرخانه في اليوم السابع عشر من شهر شوال المكرم لسنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ونقلت هنالك كتاب المصابيح من أوله الى كتاب البيوع ودرست هنالك أيضا شرح المواقف من أول مباحث الوجوب والامكان الى مباحث الأعراض ودرست هنالك أيضا بعضا من شرح الوقاية لصدر الشريعة وشيئا من شرح المفتاح للسيد الشريف ثم انتقلت الى المدرسة الوزير مصطفى باشا بالمدينة المزبورة في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول لسنة أربع وأربعين وتسعمائة ونقلت هنالك كتاب المصابيح من كتاب البيوع الى آخر الكتاب وابتدأت بدراسة كتاب الهداية حتى وصلت الى كتاب الزكاة ودرست هنالك أيضا بعض المباحث من أول الالهيات من شرح المواقف ثم انتقلت الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه في اليوم الرابع من شهر ذي القعدة لسنة خمس وأربعين وتسعمائة وابتدأت هنالك برواية صحيح البخاري ونقلت منه مجلدة واحدة من المجلدات التسع ودرست هنالك كتاب الهداية من

المعتمد بن عباد حكاية في المنام فلينظر هنالك وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة واستولى على المملكة بنو سلجوق وقد تقدم في ترجمة السلطان طغرلبك السلجوقي طرف من الخبر وكيفية ما اعتمده السلطان محمود في حقهم وكيف تغلبوا على الامر وسبكتكين بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وتفسيره دوبركاش سبز وركتان خضراوات وهو معنى قوله تعالى في سورة الرحمن مدهامتان والله تعالى أعلم

(أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب مغيث الدين أحد الملوك السلجوقية المشاهير)

وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر جده وغيره منهم ان شاء الله تعالى وتقدم طرف من خبره في ترجمة العزيز أبي نصر أحمد بن حامد الاصبهاني عم العماد الكاتب تولى أبو القاسم المذكور السلطنة بعد وفاة والده وخطب له بمدينة بغداد على جاري عادة الملوك السلجوقية يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتي عشرة وخمسمائة في خلافة المستظهر بالله وهو يومئذ في سن الحلم وكان متوقد الذكاء قوي المعرفة بالعربية حافظا للاشعار والامثال عارفا بالتواريخ والسير شديد الميل الى أهل العلم والخير وكان حيص بيص الشاعر المتقدم ذكره قد قصده من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة التي أولها

ألق الحدائج ترعى الضمر القود * طال السرى وتشكت وخدك البيد
يا ساري الليل لا جدب ولا فرق * فالنبت أغيد والسلطان محمود
قيل تألفت الاضداد خشيته * فالمورد الضنك فيه الشاء والسيد

وهي طويلة من غرر القصائد وأجازه عليها جائزة سنية وقد كان تزوج بنتي عمه السلطان سنجر المقدم ذكره حسبما شرحناه في ترجمة العزيز الاصبهاني واحدة بعد الاخرى وكانت السلطنة في أواخر أيامه قد ضعفت وقلت أموالها حتى عجزوا عن اقامة وظيفة الفقاعي فدفعوا اليه يوما بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها في حاجته وكان في آخر مدته قد دخل بغداد ثم خرج منها فمرض في الطريق واشتد به المرض وتوفي يوم الخميس خامس شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وذكر ابن الازرق الفارقي في تاريخه انه مات خامس عشر شوال سنة أربع وعشرين بباب أصبهان ودفن بها وولي السلطنة أخوه طغرلبك ومات سنة سبع وعشرين وتولى أخوه مسعود وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وابنه محمد شاه بن محمود بن محمد هو الذي حاصر بغداد ومعه زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين صاحب اربل في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقال شيخنا ابن الاثير في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال ذلك في تاريخه الصغير المعروف بالاتابكي ومات محمد شاه المذكور في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة وتاريخ وفاة زين الدين المذكور مذكور في ترجمة ولده مظفر الدين صاحب اربل في حرف الكاف ومات محمد شاه بباب همذان ومولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

(أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب الملك العادل نور الدين)

قد تقدم ذكر أبيه في حرف الزاي ولما حاصر أبوه قلعة جعبر حسبما تقدم ذكره في ترجمته وكان ولده نور الدين المذكور في خدمته فلما قتل أبوه سار نور الدين وفي خدمته صلاح الدين محمد بن أيوب الغيساني وقصد الشام الى مدينة حلب فملكها في ذلك التاريخ وملك أخوه سيف الدين غازي المذكور في حرف الغين مدينة الموصل وما والاها من تلك النواحي ثم انه نزل على دمشق محاصرا لها وصاحبها يومئذ مجير الدين أبو سعيد أرتق بن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو أتابك الملك دقاق بن تتش المتقدم ذكره في ترجمة تتش في حرف التاء وكان نزوله عليها ثالث صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة وملكها يوم الاحد تاسع الشهر المذكور وعوض مجير الدين ارتق عوضا عن دمشق حمص ثم أخذها منه وعوضه عنها

أول كتاب الزكاة الى آخر كتاب الحج ودرست هنالك أيضا كتاب التلويح من أول الكتاب الى التقسيم الاول ثم انتقلت الى احدى المدارس الثمان في اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ست وأربعين وتسعمائة ونقلت هنالك صحيح البخاري واتممته في ستين ونقلت تفسير سورة البقرة من تفسير البيضاوي ودرست هنالك كتاب الهداية من أول كتاب النكاح الى كتاب البيوع ودرست كتاب التلويح من التقسيم الاول الى مباحث الاحكام ثم انتقلت الى مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة ادرنة في اليوم الحادي عشر من شهر شوال لسنة احدى وخمسين وتسعمائة ونقلت هنالك من صحيح البخاري مقدار ثلثه ودرست هنالك كتاب الهداية من كتاب البيوع الى كتاب الشفعة وكتاب التلويح من قسم الاحكام الى آخر الكتاب ودرست هنالك أيضا شرح المواقف ودرست هنالك أيضا شرح الفرائض للسيد الشريف الى ان وصلت مباحث التصحيح ثم صرت قاضيا بمدينة بروسه في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة اثنتين وخمسين وتسعمائة فباشرت الاعباء ثم صرت مدرسا باحدى

هذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظا ومعنى[*] وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم وله في مدائح معن ومراثيه كل معنى بديع وسيأتي شئ من ذلك في أخبار معن ان شاء الله تعالى وحكى ابن المعتز أيضا عن شراحيل بن معن بن زائدة انه قال عرضت في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي وهو في قبة وعديله القاضي أبو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج قال شراحيل فاني لاسير تحت القبة اذ عرض له رجل من بني أسد في شارة حسنة فانشده شعرا فقال له يحيى بن خالد في بيت منها ألم أنهك عن مثل هذا البيت أيها الرجل ثم قال يا أخا بني أسد اذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول وأنشده الابيات اللامية المتقدم ذكرها فقال له القاضي أبو يوسف وقد أعجبته الابيات جدا من قائل هذه الابيات يا أبا الفضل فقال يحيى يقولها مروان بن أبي حفصة يمدح بها أبا هذا الفتى الذي تحت القبة قال شراحيل فرمقني أبو يوسف بعينيه وأنا راكب على فرس لي عتيق وقال لي من أنت يا فتى حياك الله تعالى وقربك قلت أنا شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني قال شراحيل فوالله ما أتت علي ساعة قط كانت أقر لعيني من تلك الساعة ارتياحا وسرورا (ويحكى) أن ولد المروان بن أبي حفصة المذكور دخل على شراحيل المذكور فانشده

أيا شراحيل[*] بن معن بن زائدة * يا أكرم الناس من عجم ومن عرب

أعطى أبوك أبي مالا فعاش به * فاعطني مثل ما أعطى أبوك أبي

ما حل قط أبي أرضا أبوك بها * الا وأعطاه قنطارا من الذهب

فاعطاه شراحيل بن معن بن زائدة قنطارا من الذهب ومما يقارب هذه الحكاية ما يروى عن أبي مليكة جرول بن أوس المعروف بالحطيئة الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبذاءة لسانه وكثرة هجوه الناس كتب اليه من الاعتقال

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لاماء ولا شجر * ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فارحم عليك سلام الله يا عمر * أنت الامام الذي من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فاطلقه وشرط عليه أن يكف لسانه عن الناس فقال له يا أمير المؤمنين اكتب لي كتابا الى علقمة بن علاثة لاقصده به فقد منعتني التكسب بشعري وكان علقمة مقيما بحوران وهو من الاجواد المشهورين قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو علقمة بن علاثة بن عوف بن ربيعة يقال له الاحوص الاصغر عمه ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان عمر رضي الله عنه استعمله على حوران فامتنع عمر رضي الله عنه من ذلك فقيل يا أمير المؤمنين وما عليك من ذلك علقمة ليس من عمالك فتخشى من ذلك ان تأثم وانما هو رجل من المسلمين تشفع له اليه فكتب له بما أراد فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون من قبره وابنه حاضر فوقف عليه ثم أنشد

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقته الحبائل

فان تحي لا أملك حياتي وان تمت * فما في حياتي بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

فقال ابنه كم ظننت ان علقمة كان يعطيك لو وجدته حيا فقال مائة ناقة يتبعها مائة من أولادها فاعطاه ابنه اياها والبيتان الاخيران من هذه الثلاثة وجدتهما في ديوان النابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية بن جابر من جملة قصيدة يرثي بها النعمان بن أبي شمر الغساني وأخبار ابن أبي حفصة ونوادره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة الى الاطناب بذكرها وكانت ولادته سنة خمس ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد ودفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالى وحفيده مروان الاصغر وهو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بن مروان الاكبر المذكور وكان من شعراء عصره المشاهير المقدمين وذكر المبرد في كتاب الكامل طرفا من أخبار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري ثم قال ويروى ان عبد الرحمن

[*] قوله ابن معن يقرأ بكسر الباء وسكون النون للوزن

وعن العلماء العاملين والمشايخ الزاهدين والفقراء القانعين ورحم الله تعالى أسلافنا وأبقى منه أخلافنا انه الحنان المنان ذو المن والاحسان ورضي الله تعالى عن الاصحاب والاحباب الذين اجتهدوا في جمع هذا الكتاب وعن كافة المسلمين أجمعين بحرمة نبيه محمد الامين وآله وصحبه الاكرمين ولنختم الكلام ببعض من جوامع الادعية المروية عن سيد الانام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(تمت الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)

المذكور لغوزنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك قال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال أبوه قلت الشعر والله ثم قال بعد ذلك وأعرف قوما كانوا في الشعر الى حسان فانهم كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء في الوقت الى أبي حفصة فانهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويحيى بن أبي حفصة كنيته أبو جميل وأمه حيا بنت ميمون يقال انها من ولد النابغة الجعدي وأن الشعر أتى الى أبي حفصة بذلك السبب وكل واحد من هؤلاء كان يضرب بلسانه أرنبة أنفه وهو دليل على الفصاحة والبلاغة والله تعالى أعلم

(ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)

صاحب الصحيح أحد الأئمة الحفاظ واعلام المحدثين رحل الى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وآخر قدومه اليها في سنة تسع وخمسين ومائتين وروى عنه الترمذي وكان من الثقات وقال محمد الماسرجسي سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث وقال الخطيب البغدادي كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف اليه فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسئلة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف اليه حتى هجر وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فانه لم يتخلف عن زيارته فانهى الى محمد بن يحيى ان مسلم ابن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا وانه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه ألا من قال باللفظ فلا يحل أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ما كتب منه وبعث به على ظهر حمال الى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الاحد ودفن بنصراباذ ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومائتين بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة هكذا وجدته في بعض الكتب ولم أر أحدا من الحفاظ ضبط مولده ولا تقدير عمره وأجمعوا على انه ولد بعد المائتين وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده وغالب ظني انه قال سنة اثنتين ومائتين ثم كشفت ما قاله ابن صلاح الدين فاذا هو في سنة ست ومائتين نقل ذلك من كتاب علماء الامصار تصنيف الحاكم أبي عبد الله بن البيع النيسابوري الحافظ ووقفت على الكتاب الذي نقل منه وملكت النسخة التي نقل منها أيضا وكانت ملكه وبعث في تركته ووصلت الي وملكتها وصورة ما قاله بان مسلم بن الحجاج توفي بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة فتكون ولادته في سنة ست ومائتين والله أعلم رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على القشيري صاحب الرسالة فأغنى عن الاعادة وأما محمد بن يحيى المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري وكان أحد الحفاظ الأعيان روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والقزويني وكان ثقة مأمونا وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور شغب عليه محمد بن يحيى في مسئلة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يمكنه ترك الرواية عنه وروى عنه في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعا ولم يصرح باسمه فيقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلي بل يقول حدثنا محمد ولا يزيد عليه ويقول محمد بن عبد الله فينسبه الى جده وينسبه أيضا الى جد أبيه وتوفي محمد المذكور سنة اثنتين وقيل سبع وقيل ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم

(ابو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري الطريثيثي الفقيه الشافعي الملقب قطب الدين)

العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا من قدر الآجال وجعل لها أمدا ودبر الامور واحصى كل شيء عددا اصلي على محمد خير من نطق بالصواب وأوتي الحكمة وفصل الخطاب وختم به الرسالة والكتاب ومن تبعه باحسان من الآل والاصحاب *(وبعد)* فنحن نقص عليك أحسن القصص والأخبار من تواريخ العلماء الكبار والمشايخ الاخيار الذين درجوا في زماني وشاهدت نعامتهم في عصري وأواني من الذين تبركت بصحبتهم أو تشرفت بحضور رؤيتهم أسكنهم الله فراديس الجنان وأنزلهم بلطفه خير مستقر ومكان ويا عجبا من هذه العصور كيف وسعها أحداق القبور ومن هذه الجبال كيف واراها الآل حتى لم يبق منها الا التصور والخيال وقصدت في ذلك الى أحسن المسالك من أوفق العبارات وأرشق الاشارات ولعمري ان ذلك بعد عند الاكثرين من تضييع الاوقات لان المعارف عندهم خرافات فانا قد انتهيت الى زمان يرون الادب عيبا ويعدون

تفقه بنيسابور ومرو على أئمتهما وسمع الحديث من غير واحد ورأى الاستاذ أبا نصر القشيري ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور نيابة عن ابن الجويني وكان قد قرأ القرآن الكريم والادب على والده وقدم بغداد ووعظ بها وتكلم في المسائل فأحسن وقدم بدمشق سنة أربعين وخمسمائة ووعظ بها وحصل له قبول ودرس بالمدرسة المجاهدية بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ثم خرج الى حلب وتولى التدريس في المدرستين اللتين بناهما نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه ثم مضى الى همذان وتولى التدريس بها ثم رجع الى دمشق ودرس بالزاوية الغربية وحدث وتفرد برياسة أصحاب الشافعي رضي الله عنه وكان عالما صالحا صنف كتاب الهادي في الفقه وهو مختصر نافع لم يأت فيه الا بالقول الذي عليه الفتوى وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في أمر دينه وحفظها أولاده الصغار حتى ترسخ في أذهانهم من الصغر قال ابن شداد في سيرة السلطان ورأيته يعني السلطان وهو يأخذها عليهم وهم يقرؤنها بين يديه من حفظهم وكان متواضعا قليل التصنع مطرحا للتكلف وكانت ولادته سنة خمس وخمسمائة في الثالث عشر من شهر رجب الفرد وتوفي في آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق وصلى عليه يوم العيد وكان نهار الجمعة ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي دمشق وزرت قبره غير مرة رحمه الله تعالى وكان والده من طريثيث وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة عميد الملك الكندري فلا حاجة الى اعادته وهي من نواحي نيسابور وقال بعض أصحابه أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم

يقولون ان الحب كالنار في الحشا * الا كذبوا فالنار تذكو وتخمد

وما هي الا جذوة مس عودها * ندى فهي لا تخبو ولا تتوقد

والله تعالى أعلم بالصواب

(الشريف البياضي أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي الشاعر المشهور)

هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت في أول ديوانه انه أبو جعفر مسعود بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي والله أعلم بالصواب وهو من الشعراء المجيدين في المتأخرين وديوان شعره صغير وهو في غاية الحسن والرقة وليس فيه من المدائح الا اليسير فمن أحسن شعره قصيدته القافية التي أولها

ان غاض دمعك والركاب تساق * مع ما بقلبك فهو منك نفاق

لا تحبسن ماء الجفون فانه * لك يا لديغ هوى الحسان ترياق

واحذر مصاحبة العذول فانه * مغر وظاهر عذله اشفاق

لا يبعدن زمن مضت أيامه * وعلى متون غصونها أوراق

أيام نرجسنا العيون ووردنا * غض الخدود وخمرنا الارياق

ولنا وراء العراق مواسم * كانت تقام لطيبها أسواق

ومنها

فلئن بكت عيني دما شوقا الى * ذاك الزمان فمثله يشتاق

أين الاهلة الألى أولاهم * ما كان طعم هوى الملاح يذاق

وكأنما أرواحهم بأكفهم * أجسامهم ونصولها الاحداق

شنوا الاغارة في القلوب بأعين * لا يرتجى لأسيرها اطلاق

واستعذبوا ماء العيون فعذبوا الاسراء حتى دقت الاعناق

وفي الحديث بأنهم نذروا دمي * أولى دم يوم الفراق يراق

وله وهو مما يغنى به

كيف يذوي عشب أشوا * قي ولي طرف مطير

ان يكن في العشق حر * فأنا العبد الاسير أو على الحسن زكاة * فأنا ذاك الفقير

وله أيضا

يا ليلة بات فيها البدر معتنقي * الى الصباح بلا خوف ولا حذر

التطلع من الفنون دنيا والى الله الحنان المشتكى من هذا الزمان فقد سل سيف بغيه وعدوانه على من تحلى بالفضائل وتقدم على أقرانه وأوفق نبله لكل ذي نبل ظاهر وشرف باهر فالتبس الدر بالزجاج واشتبه العذب بالاجاج وضاع أرباب الالباب كاللباب في الضباب فصارت المعارف طيف خيال أوشيفا على شرف ارتحال وضعف أساس العلم وبنيانه وتضعضعت أركانه وخمدت ناره وكادت تمحى آثاره (شعر)

وكان من العلم صرحا مشيدا يناغي القباب السبع وهي عظام

متنازفيها لا الطار غرابه عسير مراميها لا يكاد يرام

يلوح سنى برق الهدى من بروجه

كبرق بدا بين السحاب يشام

فخرت عليها الراسيات ذوائبها

تخرت عروش منه ثم دعائم

محتها الذاريات السوم آيات

حسنه

فلم يبق منها آية ووسام

وتقطعت مواصل المساعده وانعدمت مواد الموادده وذهب الحب في الله كامس الدابر وماله من قوة ولا ناصر وخلت الخلة عن الصدق والوفاء فلا ترى الاخلاء الا خلا عن الصفاء (وقال) أبو فراس شاكيا عن أحوال الناس (شعر)

كلامه الدر يغني عن كواكبها * ووجهه عوض فيها عن القمر * فبينما أنا أرعى في محاسنه
سمعي وطرفي اذا أنذرت بالسحر * ولم يكن عيبها الا تقاصرها * وأي عيب لها أشنى من القصر
وددت لو أنها طالت علي ولو * أمددتها بسواد القلب والبصر

والبيت الاخير منها ينظر الى قول أبي العلاء بن سليمان المعري وهو

تود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

وشعره كله على هذا الاسلوب وقد تقدم له بيتان في ترجمة صردر الشاعر وتوفي البياضي المذكور يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز وانما قيل له البياضي لان أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سوادا ما عداه فانه كان قد لبس بياضا فقال الخليفة من ذلك البياضي فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به وذكر ابن الجوزي في كتاب الالقاب ان صاحب هذه الواقعة هو محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم أجمعين وهو الذي يقال له البياضي ورأيت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أن الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم

(أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب غياث الدين أحد ملوك السلجوقية المشاهير)

وقد تقدم ذكر والده وأخيه محمود وجماعة من أهل بيته كان مسعود المذكور قد سلمه والده في سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود صاحب الموصل ليربيه فلما قتل مودود في سنة سبع وخمسمائة وتولى الامير آق سنقر البرسقي المذكور في حرف الهمزة مكانه سلمه والده اليه أيضا ثم أرسله من بعده الى جوش بك صاحب الموصل أيضا فلما توفي والده وتولى موضعه ولده محمود المقدم ذكره أشار جوش بك على مسعود المذكور بالخروج على أخيه محمود وأطمعه في السلطنة ولم يزل على ذلك حتى جمع العساكر واستكثر منها وقصد أخاه والتقيا بالقرب من همذان في ربيع الاول سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان النصر لمحمود وقتل في هذه الواقعة الاستاذ أبو اسمعيل الطغرائي وقد سبق شئ من خبره في حرف الحاء ثم تنقلت الاحوال وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقصد بغداد واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشاني الذي كان وزير المسترشد وقد تقدم ذكره في ترجمة الحريري صاحب المقامات وكان سلطانا عادلا لين الجانب كبير النفس فرق مملكته على أصحابه ولم يكن له من السلطنة غير الاسم وكان مع لين جانبه ما ناواه أحد الا وظفر به وقتل من الامراء الاكابر خلقا كثيرا ومن جملة من قتل الخليفتان المسترشد بالله والراشد لانه كان قد وقع بينه وبين الخليفة المسترشد وحشة قبل استقلاله في السلطنة فلما استقل استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة في أملاكه فقويت الوحشة بينهما وتجهز المسترشد وخرج لمحاربته وكان السلطان مسعود بهمذان فجمع جيشا عظيما وخرج للقائه وتصافا بالقرب من همذان فكسر عسكر الخليفة وأسره وأرباب دولته وأخذه السلطان مسعود مأسورا وطاف به بلاد أذربيجان وقتل على باب المراغة حسبما شرحناه في ترجمة دبيس بن صدقة ثم أقبل مسعود على الاشتغال باللذات والانعكاف على مواصلة وجوه الراحات متكلا على السعادة تعمل له ما يؤثر الى أن حدث له علة القيء وغلبة الغثيان واستمر به ذلك الى ان توفي في حادي عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وقيل يوم الاربعاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور بهمذان ودفن في مدرسة بناها جمال الدين اقبال الخادم وقال ابن الازرق الفارقي في تاريخه ورأيت السلطان المذكور ببغداد في السنة المذكورة وسار الى همذان ومات بباب همذان وحمل الى أصبهان رحمه الله تعالى وقد تقدم شئ من خبره في ترجمة دبيس بن صدقة صاحب الحلة ومولده يوم الجمعة لثلاث خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسمائة ولما ولي السلطنة جرى بينه وبين عمه سنجر المقدم ذكره منازعة ثم خطب له بعد عمه المذكور

أقلب طرفي لا أرى غير صاحب
يميل مع النعماء حيث تميل
أكل خليل هكذا غير منصف
وكل زمان بالكرام بخيل

وان استندت الى ذي جاه وقدر من زيد وعمرو فأنت مرفوع الى الرأس ومحمول على الحدق وان سكنت أنسى من باقل وأحمق من هبنقة وان عريت عن الاستناد فأنت بمعزل عن الاعتداد وان كنت أفصح من سحبان وائل وأبلغ من قس اياد (شعر)

والناس قد نبذوا وراء ظهورهم
غير الوجوه وزمرة السعداء
والآخرون بقية من عرة
وأولو النهى منبوذة بعراء

وبالله من قولية العبيد على الاحرار وتقدم الصغار على الكبار وكساد سوق الفضائل والمعالي واستئثار الوضيع على الماجد العالي وفشو اللؤم والوقاحة وقلة الكرم والسماحة بحيث لم يبق من يلتجأ الى بابه ويرتجى من جنابه وما أصدق الاديب العاصمي حيث قال وأبان عن هذه الاحوال (شعر)

تسل فليس في الدنيا كريم
يلوذ به صغير أو كبير
تروح المجد ليس به أنيس
وعزب الفضل ليس بهم نصير
ولا أحد من الاحرار الا
كسير بالنوائب أو أسير

وما دخلت على أحد طالبا من رفده ونواله ومستدرا

ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة والله أعلم

(ابو الفتح وابو المظفر مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر أتابك صاحب الموصل الملقب عز الدين)

قد تقدم خبر جده وجد أبيه وخبر ولده نور الدين أرسلان شاه وغيرهم من أهل بيته وسيأتي ذكر أبيه في هذا الحرف ان شاء الله تعالى ولما توفي والده قام بالملك ولده سيف الدين غازي المقدم ذكره لانه كان أكبر الاخوة وكان قد خلف هذين الولدين وعماد الدين زنكي صاحب سنجار المذكور عقيب ترجمة جده عماد الدين زنكي وكان عز الدين المذكور مقدم الجيوش في أيام أخيه غازي ولما خرج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود المقدم ذكره وأخذ دمشق وتقدم الى حلب وحاصرها خاف غازي منه وعلم انه قد استفحل أمره وعظم شانه واستشعر أنه متى استحوذ على الشام تعدى الامر اليه فجهز جيشا عظيما وقدم أخاه عز الدين مسعود المذكور وسار يريد لقاء السلطان وضرب المصاف معه ليرده عن البلاد فلما بلغ السلطان خروجه رحل عن حلب وذلك في مستهل رجب الفرد سنة سبعين وخمسمائة وسار الى حمص وأخذ قلعتها وكان قد أخذ البلد في جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد خروجه من دمشق قاصدا حلب ووصل عز الدين مسعود الى حلب ليتجدا ابن عمه الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين صاحب حلب هذا ما كان في الصورة الظاهرة وفي الباطن كان غرضهم ما ذكرناه من خوفهم على بلادهم فانضم الى عز الدين مسعود عسكر حلب وخرج في جمع كثير ولما عرف السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد في ان يصالحوه فلم يفعلوا ورأوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود الاوفر والقضاء يجر الى أمور لا يشعرون بها فقام المصاف بين العسكرين وقضى الله تعالى أن انكسر جيش عز الدين وأسر السلطان جماعة من أمرائه ثم أطلقهم وذلك يوم الاحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وهذه الواقعة من الوقائع المشهورة ثم سار السلطان عقيب الكسرة الى حلب ونزل عليها وهي الدفعة الثانية فصالحه الملك الصالح اسمعيل على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ثم رحل عنها وشرح ذلك يطول وتتمة هذه القضية مذكورة في ترجمة أخيه سيف الدين غازي ولما توفي أخوه سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته استقل عز الدين المذكور بالملك من بعده ولم يزل الى ان حضرت الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الوفاة في التاريخ المذكور في ترجمة أبيه نور الدين فاوصى بمملكة حلب وما معها لابن عمه عز الدين مسعود المذكور واستحلف له الامراء والاجناد فلما توفي وبلغ الخبر عز الدين مسعود بادر متوجها اليها خوفا من صلاح الدين ان يسبقه فأخذها وكان وصوله اليها في العشرين من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصعد القلعة واستولى على ما بها من الخزائن والحواصل وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة وأقام بها الى سادس عشر شوال ثم علم انه لا يمكنه حفظ الشام والموصل وخاف من جانب صلاح الدين وألح عليه الامراء في طلب الزيادات وتبسطوا عليه في المطالب وضاق عنهم عطنه وكان المستولي على أمره مجاهد الدين قايماز الزيني المقدم ذكره في حرف القاف فرحل عن حلب وخلف بها مظفر الدين ولده ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل المذكور في حرف الكاف ولما وصل الى الرقة لقيهما أخوه عماد الدين زنكي صاحب سنجار فقرر معه مقايضة حلب بسنجار وتحالفا على ذلك وسير عماد الدين من يتسلم حلب وسير عز الدين من يتسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صعد عماد الدين الى قلعة حلب وكان قد تقرر الصلح بين عز الدين المذكور وابن عمه الملك الصالح وبين صلاح الدين على يد قليج أرسلان صاحب الروم وصعد السلطان صلاح الدين الى الديار المصرية واستناب بدمشق ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه بن أيوب فلما بلغه خبر وفاة الملك الصالح وهذه الامور المتجددة عاد الى الشام وكان وصوله الى دمشق في سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين وبلغه ان رسول عز الدين مسعود وصل الى الفرنج يحثهم على قتال السلطان ويبعثهم على قصده فعلم انه قد غدر به ونكث اليمين فعزم

من شائب نيله وافضاله الا وقد تذكرت في تلك الصفة ما قاله بعضه (شعر)
قوم أحاول نيلهم فكأنني حاولت نتف الشعر من آنافهم
ثم فاستشهابا الكبير وغني ذهب الذين يعاش في أكنافهم
الا ما شذ أو ندر فانه أعز من بيض الانوق والكبريت الاحمر وهذا هو الحق الصريح بلا امتراء وما كان سيدنا يفتري (لمؤلفه الفقير)
خبا مصباح كل فتى ذكي وفي مشكاتهم لم ألق نورا
وجل الناس في الاعراض عنهم قليل من يكون لهم ظهيرا
وهذه ما التجارب علمتني فان تك غافلا فاسئل خبيرا
الا أتكدر الانهار من تكدر العيون فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون استولى عليهم الشح والغرور وأعمى القلوب التي في الصدور وتتبع بعضهم بعضا وحاولوا ابراما ونقضا ولا شك أن الضرر اذا قاد الضرير وقعا معا في البير (شعر)
اذا التقى في حدب واحد سبعون أعمى بقاد بصير
وصيروا بعضهم قائدا فكلهم يسقط في البير
يا نفس قد أطلت الكلام فعودي الى المرام واقصري عن هذه الشكاية وارجعي لما أنت بصدده من الحكاية فان ذلك أدب الدهر وعادته

على قصد حلب والموصل وأخذ في التأهب للحرب فبلغ عماد الدين صاحب حلب ذلك فسير الى أخيه صاحب الموصل يعلمه ذلك ويستدعي منه العساكر فسار السلطان صلاح الدين من دمشق ونزل على حلب في ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأقام عليها ثلاثة أيام ثم رحل في الحادي والعشرين من الشهر ثم جاء مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وكان يومئذ في خدمة صاحب الموصل وهو صاحب حران وكان قد استوحش من عز الدين مسعود صاحب الموصل وخاف من مجاهد الدين قايماز الزيني المذكور في حرف القاف فالتجأ الى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات وعبر اليه وقوى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهل أمرها عليه فعبر السلطان صلاح الدين الفرات وأخذ الرها والرقة ونصيبين وسروج ثم شحن على بلاد الخابور وأقطعها وتوجه الى الموصل ونزل عليها يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لحاصرها فأقام أياما وعلم انه بلد عظيم لا يحصل منه شئ بالمحاصرة وان طريق أخذه أخذ قلاعه وبلاده واضعاف أهله على طول الزمان فرحل عنها ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان من السنة وأخذها في شهر رمضان المعظم وأعطاها لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر المقدم ذكره وشرح ذلك يطول وخلاصة الامر انه رجع الى الشام فكان وصوله الى حران في أول ذي القعدة ثم عاد الى منازلة الموصل وكان وصوله اليها في أول شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين ونزلت اليه والدة عز الدين ومعها جماعة من نساء بني أتابك وابنة نور الدين أرسلان شاه بن مسعود وقد سبق ذكره في حرف الهمزة وطلبت منه المصالحة فردها خائبة فلما سمع الى أن عز الدين أرسلها عجزا عن حفظ الموصل واعتذر باعذار تم عليها بعد ذلك وبذل أهل الموصل نفوسهم في القتال لكونه رد النساء والرسل خائبة فأقام عليها الى ان أتاه خبر وفاة شاه أرمن ناصر الدين محمد بن ابراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وقيام مملوكه بكتمر بالامر من بعده وطمع فيها من جاوره من الملوك وعزموا على قصده فسير الى السلطان وأطمعه في خلاط وقرر معه تسليمها اليه وان يعوضه عنها ما يرضيه وكانت وفاة شاه أرمن يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فرحل السلطان صلاح الدين عن الموصل لهذا السبب في العشرين من الشهر المذكور وتوجه نحو خلاط وفي مقدمته مظفر الدين صاحب اربل وهو يومئذ صاحب حران وناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وهو ابن عم صلاح الدين فنزلوا بالطوانة البليدة التي هي بالقرب من خلاط وسير الرسل الى بكتمر لتقرير القاعدة فوصلت الرسل اليه وشمس الدين بهلوان بن ايلدكز صاحب أذربيجان واران وعراق العجم قد قرب من خلاط ليحاصرها فبعث اليه بكتمر يعرفه انه ان لم يرجع عنه والا سلم البلاد الى السلطان صلاح الدين فصالحه وزوجه ابنته ورجع عنه وسير بكتمر الى السلطان صلاح الدين يعتذر عما قاله من تسليم خلاط وكان السلطان قد نزل على ميافارقين يحاصرها فقاتلها قتالا شديدا ثم أخذها بالصلح بالخديعة في التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان صاحبها قطب الدين غازي بن البي بن تمرتاش بن غازي بن أرتق قد مات وترك ها لولده حسام الدين يولق أرسلان وهو طفل صغير فطمع في أخذها منه والياه فأخذها ولما أيس السلطان من خلاط عاد الى الموصل وهي الدفعة الثالثة ونزل بعيدا عنها بموضع يقال له كفرزمار فأقام به مدة وكان الحر شديدا فمرض السلطان مرضا شديدا أشفى على الموت فرحل طالبا حران في مستهل شوال من السنة ولما علم عز الدين مسعود المذكور بمرض السلطان وانه رقيق القلب انتهز الفرصة وسير القاضي بهاء الدين بن شداد الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في حرف الياء ومعه بهاء الدين الربيب فوصلا الى حران في الرسالة والتماس الصلح فأجاب الى ذلك وحلف يوم عرفة من السنة وقد تماثل الصحة ولم يتغير عن تلك اليمين الى أن مات رحمه الله تعالى ثم رحل الى الشام فأمن حينئذ عز الدين مسعود وطابت نفسه ولم يزل على ذلك الى أن توفي في السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعلة الاسهال وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة ووقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية فدفن بهذه المدرسة في تربة هي داخلها رحمه الله تعالى ورأيت المدرسة والتربة وهي من أحسن المدارس والترب ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه في قبالتها وبينهما

فلا حزم شكا من كل زمان سادته (قال الامام الشافعي)

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد

ملك الاكابر فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد

(وغيره)

تطرق أهل الفضل دون الورى * مصائب الدنيا وآفاتها

كالطير لا يحبس من بينها * الا التي تطرب أصواتها

(وقال الجدوني)

ما ازددت من أدب حرفا سر به * الا تزيدت حرفا تحته شوم * كذا المقدم في حذق صنعته * أنى توجه فيها فهو محروم (نثر) وسميت هذه الجريدة بالعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم والمأمول ممن يطلع على كلماتي أن يغض الطرف عن عثراتي فان ذلك كلام من جرعه الدهر بالباس والبؤس وجرعه سلافة الغموم كأسا فكأسا وما أصدق ابن عبد الكريم حيث يقول (شعر)

ولا المرء يبدي بالهموم فضيلة * ولا الشمس تبدو اذ تحول غمام

(ومقدم هؤلاء السادة وواسطة هذه القلادة المولى عصام الدين أبو الخير أحمد بن المولى مصلح الدين المشهور بطاشكبري زاده) وكان المولى مصلح الدين المزبور من العلماء الاعيان توفي وهو مدرس باحدى

ساحة كبيرة ولما مات خلف ولده نور الدين المذكور وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ولما مات نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمته خلف ولدين أحدهما الملك القاهر عز الدين مسعود والآخر المنصور عماد الدين زنكي ولما حضرته الوفاة قسم البلاد بينهما فأعطى الملك القاهر وهو الأكبر الموصل وأعمالها وأعطى عماد الدين العمادية والعقر وتلك النواحي فأما الملك القاهر فكانت ولادته في سنة تسعين وخمسمائة بالموصل وتوفي بها فجأة يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وستمائة وكان قد بنى مدرسة أيضا فدفن بها وأما عماد الدين فانه أخذ بعد موت أخيه الملك القاهر قلعة العمادية ثم أخذت منه وهي من أحسن القلاع بجبل الهكارية من أعمال الموصل وكذلك عدة قلاع مما يجاورها وانتقل الى اربل وكان زوج ابنة مظفر الدين صاحب اربل فأقام بها زمانا وكان في جواره وكان من أحسن الناس صورة ثم قبض عليه مظفر الدين لأمر يطول شرحه وسيره الى سنجار الى الملك الأشرف ابن الملك العادل الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فأفرج عنه الملك الأشرف وعاد الى اربل وقايضه مظفر الدين عن العقر بشهرزور وأعمالها فانتقل اليها وأقام بها الى ان توفي في حدود سنة ثلاثين وستمائة وخلف ولدا أقام بعده قليلا ثم مات رحمهما الله تعالى ولما مات عز الدين مسعود بن أرسلان شاه خلف ولدين نور الدين أرسلان شاه وكان سمي على اسم جده أرسلان شاه فلما مات جده نور الدين سموه باسمه وناصر الدين محمود فتولى بعده نور الدين المذكور وكان تقدير عمره عشر سنين وبقي بعد أبيه قليلا وتوفي في بقية السنة وتولى أخوه بعده ناصر الدين محمود والمدبر لأمر المملكة بدر الدين لؤلؤ الذي ملك الموصل فيما بعد وتوفي بهلوان بن الذكر المذكور في سلخ ذي الحجة سنة احدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وتوفي والده شمس الدين الذكر الأتابك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بنقجوان ودفن بها رحمه الله تعالى وكان أتابك السلطان أرسلان شاه بن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه بن محمد السلجوقي وبعد الذكر بمدة أشهر توفي أرسلان شاه المذكور بهمذان رحمه الله تعالى وقتل قزل بن الذكر المذكور في أوائل شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة وكان ملكا كبيرا وهو ابن الذكر المذكور رحمهم الله تعالى أجمعين والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو أيوب مطرف بن مازن الكناني بالولاء وقيل القيسي بالولاء الصنعاني)

ولي القضاء بصنعاء اليمن وحدث عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وجماعة كثيرة وروى عنه الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وخلق كثير واختلفوا في روايته فنقل عن يحيى بن معين انه سئل عنه فقال كذاب وقال النسائي مطرف بن مازن ليس بثقة وقال السعدي مطرف بن مازن الصنعاني يتثبت في حديثه حتى على ما عنده وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مطرف بن مازن الكناني قاضي اليمن يروي عن معمر وابن جريج وروى عنه الشافعي وأهل العراق وكان يحدث بما لا يسمع ويروي ما لا يكتب عمن لم يره ولا تجوز الرواية عنه الا عند الخواص للاعتبار فقط قال حاجب بن سليمان كان مطرف بن مازن قاضي صنعاء وكان رجلا صالحا وذكر عنه حكاية في ابراره قسم من أقسم على أمر شيء يفعله به وذكر أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني أحاديث من رواية مطرف بن مازن وقال لمطرف غير ما ذكرت افرادات تفرد بها عمن يرويها عنه ولم أر فيما يرويه شيئا منكرا وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو سعيد قال حدثنا أبو العباس قال أخبرنا الربيع قال قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندي حسن وقال وأخبرني مطرف بن مازن باسناد لا أحفظه ان ابن الزبير أمر بان يحلف على المصحف قال الشافعي رضي الله عنه ورأيت مطرفا بصنعاء اليمن يحلف على المصحف وقال غيره قال الشافعي رضي الله عنه ورأيت ابن مازن وهو قاضي صنعاء يغلظ اليمين بالمصحف وتوفي مطرف المذكور بالرقة وقيل بمنبج وكانت وفاته في أواخر خلافة هرون الرشيد وتوفي هرون الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس وكانت ولايته يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين

السادس الثماني بعد ما كان قاضيا بحلب ولما خلص المرحوم من ربقة الصبا فانتظم في سلك أرباب الحجر والحجا وفرق الغث عن السمين وميز الكاسد عن الثمين قام على أقدام الاقدام وشمر عن ساق الجد والاهتمام في تحصيل المعارف والفضائل واتقان المقاصد والوسائل واشتغل على أبيه حتى أجازله برواية الحديث والتفسير راويا بالهما على المولى خواجه زاده عن المولى فخر الدين العجمي عن المولى حيدر عن المولى سعد الدين التفتازاني ثم قرأ على المولى سيدي محمد القوجوي وصار ملازما له ثم قرأ على المولى محمود بن محمد بن الشهير بميرم چلبي وكمل عنده العلوم الرياضية ولما جاء الشيخ محمد التونسي المغوشي الى قسطنطينية قرأ عليه واشتغل لديه حتى أجازله بان يروي عنه التفسير والحديث وجميع ما تجوز اجازته وصحح روايته راويا عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ودرس أولا في مدرسة داود باشا بقصبة دكوتوقه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة المولى محيي الدين ابن الحاج حسن بقسطنطينية بثلاثين ثم أعطاه السلطان بايزيد خان ... ثم المدرسة القلندرية بالوظيفة المزبورة في مدينة

ومائة رحمه الله تعالى وهذا مطرف ليس من المشاهير الذين يحتاج الى ذكرهم والذى حملنى على ذكره ان الشيخ أبا اسحق الشيرازى رحمه الله تعالى ذكره فى كتاب المهذب فى باب اليمين فى الدعاوى وفى فصل التغليظ فقال وان حلف بالمصحف وما فيه من القرآن فقد حكى الشافعى رضى الله تعالى عنه عن مطرف بن مازن أن ابن الزبير رضى الله عنهما كان يحلف على المصحف قال ورأيت مطرفا بصنعاء يستحلف على المصحف قال الشافعى رضى الله عنه وهو حسن انتهى كلام صاحب المهذب ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا يعرفه أحد حتى غلط فيه صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسمعيل بن أبى البركات هبة الله بن أبى الرضى بن باطيش الموصلى الفقيه الشافعى فى كتابه الذى وضعه على المهذب فى أسماء رجاله والكلام على غريبه فقال مطرف ابن عبد الله بن الشخير ثم قال وتوفى سنة سبع وثمانين يعنى للهجرة فيالله العجب شخص يموت فى هذا التاريخ كيف يمكن ان يراه الشافعى رضى الله عنه ومولد الشافعى سنة خمسين ومائة بعد موت ابن الشخير بثلاث وستين سنة وما أدرى كيف وقع هذا الغلط فلوانه ما حكى تاريخ وفاته كان يمكن ان يقال ظن انه أدركه الشافعى ولما انتهيت فى هذه الترجمة الى هذا الموضع رأيت فى تاريخ أبى الحسين عبد الباقى بن قانع الذى جعله على السنين ان مطرف بن مازن توفى سنة احدى وتسعين ومائة وهذا يوافق ما قاله الاول من أنه توفى فى أواخر خلافة هرون الرشيد والذى افادنى هذه الترجمة على الصورة المحكية فى الاول هو الشيخ الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى نفع الله به ومطرف بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المكسورة وبعدها فاء والباقى معروف فلا حاجة الى ضبطه وتقييده وأما مطرف الذى ذكر عماد الدين فهو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان الحريشى كان فقيها وكان لو الله عبد الله صحبة وكان مطرف من أعبد الناس وانسكهم فذكروا انه وقع بينه وبين رجل منازعة فرفع يديه وكان ذلك فى مسجد البصرة وقال اللهم انى أسألك ان لا يقوم من مجلسه حتى تكفينى اياه فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صرع الرجل فمات وأخذ مطرف وقدموه الى القاضى فقال القاضى لم يقتله وانما دعا عليه فأجاب الله دعاءه فكان بعد ذلك تتقى دعوته ومات فى سنة سبع وثمانين من الهجرة وقال ابن قانع سنة خمس وتسعين والله تعالى أعلم

(أبو منصور المظفر بن أبى الحسين بن اردشير بن أبى منصور العبادى الواعظ المروزى الملقب قطب الدين المعروف بالامير)

كان من أهل مرو وله اليد الطولى فى الوعظ والتذكير وحسن العبارة ومارس هذا الفن من صغره الى كبره ومهر فيه حتى صار ممن يضرب به المثل فى ذلك وصار عين ذلك العصر وشهد له الكل بالفضل وحيازة قصب السبق وقدم بغداد فأقام بها قريبا من ثلاث سنين يعقد له فيها مجالس الوعظ ولقى من الخلق قبولا تاما وحظى عند الامام المقتفى لامر الله ثم خرج منها رسولا الى جهة السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره فوصل الى خراسان ثم عاد الى بغداد وخرج منها الى خوزستان فى رسالة فمات بعسكر مكرم فى سلخ ربيع الآخر يوم الخميس وقيل الاثنين سنة سبع وأربعين وخمسمائة وحمل تابوته الى بغداد ودفن بها فى الشونيزية فى حظيرة الشيخ الجنيد بن محمد العبد الصالح رضى الله عنه ومولده فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير بنيسابور من أبى على نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامى وأبى عبد الله اسمعيل بن الحافظ عبد الغافر الفارسى وغيرهما وروى عنه الحافظ أبو سعيد السمعانى وقال عنه كان صحيح السماع ولم يكن موثوقا به فى دينه رأيت منه أشياء وطالعت بخطه رسالة جمعها فى اباحة شرب الخمر سامحه الله تعالى وعفا عنه وكان والده أبو الحسين يعرف بالامير أيضا وكان مليح الوعظ حسن السيرة توفى سنة نيف وتسعين وأربعمائة رحمهما الله تعالى والعبادى بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف دال مهملة هذه النسبة الى سنج عباد وهى قرية من قرى مرو وسنج بكسر السين المهملة وسكون النون

قسطنطينيه ثم فى مدرسة مصطفى باشا فى المدينة المزبورة بخمسين ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم عاد الى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيد خان فى ادرنه ثم قلد قضاء بروسه سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ثم عاد الى احدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء قسطنطينيه فاشتغل فى اجراء الاحكام الدينية الى ان عرضت له عارضة الرمد فاضرت عيناه وعميت كريمتاه فكان مصداق ما ورد فى الاثر اذا جاء القضاء عمى البصر فاستعفى عن المنصب واستتاب عن سوالفه واشتغل بتبييض بعض تواليفه بيناهو فى هذه الامور اذ ابتلى بمرض الباسور فنعى بقرب أجله وانصرام أمله ولما تيقن آثاره بعثوته تضرعوا ان جعلوهم فى حل من تقصيرهم فى خدمته فاحسن فى الجواب واستملى هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين وعلى المشايخ الزاهدين وعلى الفقراء الصابرين وعلى الاغنياء الشاكرين وسلم عليهم سلاما الى يوم الحشر والدين ثم انى أشهد الله وأشهد

وبعدها جيم وباء من أعمال مرو وأيضاً قرية كبيرة يقال لها سنج منها الفقيه أبو علي السنجي وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وتكلمنا على سنج هناك فلا يظن ظان أنهما موضع واحد بل هما قريتان وقد نبه على ذلك جماعة من أرباب هذا الفن وأما أزدشير فقد تقدم الكلام على ضبطه في ترجمة الوزير سابور فلا حاجة إلى إعادته والله تعالى أعلم

(أبو العز مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن شامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق الشاعر العيلاني الحنبلي المذهب الملقب موفق الدين الشاعر المشهور المصري)

كان أديباً عروضياً شاعراً مجيداً صنف في العروض مختصراً جيداً دل على حذقه فيه وله ديوان شعر رائق وكان ضريراً فمن شعره

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبياً كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنام * فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤاد * وأنت لم تنظره سهما
وبأي جارحة وصلت * لوصفه نثراً ونظما
فأجبت إني موسوي العشق إنصاتاً وفهما
أهوى بجارحة السماع * ولا أرى ذات المسمى

ولقد ذكرتني هذه الأبيات أبياتاً لرجل ضرير أيضاً والشيء بالشيء يذكر وهي هذه

وغادة قالت لأترابها * يا قوم ما أعجب هذا الضرير * أيعشق الإنسان ما لا يرى
فقلت والدمع بعيني غزير * إن لم تكن عيني رأت شخصها * فإنها قد مثلت في الضمير

ومثل هذا قول المهذب عمر بن محمد المعروف بابن الشيخ الموصلي الأديب الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة يمدح بها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب والبيت المقصود قوله

وإني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد المقدم ذكره

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وكان الوزير صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر قد عاد من الشام إلى مصر فخرج أصحابه للقائه إلى الخشبي المنزلة المجاورة للعباسة فكتب مظفر المذكور إليه هذه الأبيات يعتذر من تأخره عن الخروج إليه وهي

قالوا إلى الخشبي سرنا على عجل * نلقى الوزير جميعاً من ذوي الرتب
ولم تسر أنت بالأعمى فقلت لهم * لم أخش من تعب ألقى ولا نصب
وإنما النار في قلبي لوحشته * فخفت أجمع بين النار والخشب

وهذا المعنى مطروق لكنه استعمله حسناً وأخبرني أحد أصحابه أن شخصاً قال له رأيت في بعض تواليف أبي العلاء المعري ما صورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالي لكي نحدث عهداً بك يا زين الأخلاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل وسأله من أي الأبحر هذا وهل هو بيت واحد أم أكثر فإن كان أكثر فهل أبياته على روي واحد أم هي مختلفة الروي قال فأفكر فيه ثم أجابه بجواب حسن فلما قال لي الخبر ذلك قلت له اصبر علي حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله ثم أفكرت فيه فوجدته يخرج من بحر الرجز وهو المجزوء منه وتشتمل هذه الكلمات على أربع أبيات على روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة فإنه ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بد من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي

أصلحك الله وأبـ * ـقاك لقد كان من الـ   واجب أن تأتينا اليـ * ـوم إلى منزلنا الـ
خالي لكي نحدث عهـ * ـداً بك يا زين الأخـ   لاء فما مثلك من * غير عهداً أو غفل

وهذا الذي ذكره أهل هذا الشأن المعاياة لأنه من الأشعار المستعملة فلما استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال هكذا قال مظفر الأعمى وقال الشيخ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المحدث

ملاذ لك بأني عشت على ملة الإسلام وعفت عن البدعة في الدين وأرجو أن ألقاك بالإسلام في يوم الدين ثم إن أولادي وأقربائي التمسوا مني أن أجعلهم في حل عما صدر عنهم من الإساءة فيما يجب عليهم من رعاية حقي وإني جعلتهم في حل إن عملوا في رعاية حقي فيما بعد ذلك والسلام على سيد الأنام وصحبه الكرام فلما تم التحرير من لسان ذلك النحرير انقطع عن عالم الأنس واتصل بعالم القدس وقضى نحبه وألحق روحه بروح الله وروحه وزاد كل يوم فتوحه وذلك سنة ثمان وستين وتسعمائة وكان المولى المرحوم بحراً من المعارف والعلوم متسنماً من الفضائل سنامها وقارعاً ما اقتيد من المعاني شواردها وغرائبها وكان له اليد الطولى في تحرير المسائل وتصويرها وتدقيق المباحث وتنويرها تكل ألسنة الأقلام من أفواه المحابر أداؤها وتقريرها ويكفيك آثاره النفيسة وتصانيفه الشريفة فمن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وكان رحمه الله في جميع مباحثاته على النصفة والسداد راضياً بالحق عارياً عن المكابرة والعناد إذا أحس من أحد اللجاج والمنافسة أمسك عن التكلم والمباحثة وكان رحمه الله قليل الرغبة

المحدث المصري رحمه الله تعالى أخبرني الاديب موفق الدين مظفر الضرير الشاعر المصري انه دخل على القاضي السعيد بن سناء الملك قلت وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى واسمه هبة الله قال فقال لي يا أديب قد صنعت نصف بيت ولي أيام أفكر فيه ولا يأتي لي تمامه فقلت وما هو فانشدني

* بياض عذاري من سواد عذاره * قال المظفر فقلت قد حصل تمامه وأنشدت

* كما جل ناري فيه من جلناره * فاستحسنه وجعل يعمل عليه فقلت في نفسي أقوم والا يعمل المقطوع من كيس وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه بعضا وكانت ولادة مظفر المذكور لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر وتوفي بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى والعيلاني بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام ألف ونون هذه النسبة الى قيس عيلان وقيل قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فمن قال انه قيس عيلان فقد اختلفوا في عيلان ماذا فمنهم من قال اسم فرس كان له هو فأضيف اليه وقيل اسم كلب كان له وقيل اسم رجل كان قد حضنه وهو صغير وانما أضيف الى عيلان لأنه كان في عصره شخص يقال له قيس كبة بضم الكاف وتشديد الباء الموحدة وهو اسم فرس كان له أيضا فكان كل واحد منهما يضاف الى ماله ليمتاز عن الآخر والله أعلم وقد قيل ان قيس عيلان اسمه الناس بالنون وهو أخو الياس بالياء جد النبي صلى الله عليه وسلم

(ابو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوي الكوفي من موالي محمد بن كعب القرظي)

قرأ عليه الكسائي وروى عنه وحكيت عنه في القراآت حكايات كثيرة وصنف في النحو كثيرا ولم يظهر له شيء من التصانيف وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة وكان في عصره مشهورا بالعمر الطويل وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باق وحكى بعض كتابه قال حضرت معاذ بن مسلم وقد سأله رجل ذات يوم كم سنك فقال ثلاث وستون قال ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله كم سنك فقال ثلاث وستون فقلت أنا معك منذ احدى وعشرين سنة وكلما سألك أحد كم سنك تقول ثلاث وستون فقال لي لو كنت معي احدى وعشرين سنة أخرى ما قلت الا هذا وقال عثمان بن أبي شيبة رأيت معاذ بن مسلم الهراء وقد شد أسنانه بالذهب من الكبر وفيه يقول أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر المشهور

ان معاذ بن مسلم رجل * ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الأمد
يا بكر حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربا * وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد
مصححا كالظليم ترفل في * بردك مثل السعير تتقد
صاحبت نوحا ورضت بغلة ذي الـ*ـقرنين شيخا لولدك الولد
فارحل ودعنا لان غايتك الـ*ـموت وان شد ركنك الجلد

قوله تسحب ذيل الحياة يا لبد فهذا لبد آخر نسور لقمان بن عاد وكان لقمان قد سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز الى الحرم يستسقي لها فلما هلكت عاد خير لقمان بين أن يعيش [1] عمر سبع بعرات سمر أو عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ عند خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة وهكذا حتى هلك منها ستة وبقي السابع فسمى لبدا فلما كبر وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان انهض لبد فلما هلك لبد مات لقمان وقد ذكرت العرب لبدا في أشعارها كثيرا فمن ذلك قول النابغة الذبياني

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ورجعنا الى حديث معاذ فلما مات بنوه وحفدته قال

في دنياه كثير التحسر في تحصيل زلفاه صارفا لجميع أوقاته في تحصيل العلوم وعباداته وحكى بعض من أثق بكلامه انه أشار يوما بيده الى لسانه وقال ان هذا فعل ما فعل من التقصير والزلل وصدر عنه ما صدر من الحق والغلط غير انه ما تكلم في طلب المناصب الدنيوية قط وكان يكتب خطا مليحا يرغب فيه مع كمال السرعة وقد كتب الكتب بخطه الشريف وقال واحد من أعيان تلامذته حضرت طعامه ليلة من ليالي شهر رمضان وهو مدرس بالقلندرية وكان من عادته ان يدعو طلبته في كل ليلة من ليالي شهر رمضان فقال اني منذ توليت احقاقية اسكوب جعلت لنفسي عادة وهي ان أكتب في كل سنة نسخة من تفسير البيضاوي وأبيعها بثلاثة آلاف درهم وأنفق ذلك المبلغ على

[1] قوله عمر سبع بعرات جمع بعرة بالعين وفي النسخ بالقاف وعبارة القاموس خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر * من أظب عفر * في جبل وعر * لا يمسها القطر * أو بقاء سبعة أنسر الخ ولولا لفظة عمر لجعلت نسخة البعرات بالبقرات من النساخ فليتأمل قاله نصر الهوريني

ما يرتجي في العيش من قد طوى * من عمره الذاهب تسعينا * أفنى بنيه وبنيهم فقد
جرعه الدهر الامرينا * لابد أن يشرب من حوضهم * وان تراخى عمره حينا

وكان معاذ المذكور صديقا للكميت بن زيد الشاعر المشهور وقال محمد بن سهل راوية الكميت سار الطرماح الشاعر الى خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين وهو بواسط فامتدحه فأمر له بثلاثين ألف درهم وخلع عليه حلتي وشي لا قيمة لهما فبلغ ذلك الكميت فعزم على قصده فقال له معاذ الهراء لا تفعل فلست كالطرماح فانه ابن عمه وبينكما بون أنت مضري وخالد يمني متعصب على مضر وأنت شيعي وهو أموي وأنت عراقي وهو شامي فلم يقبل اشارته وأبى الا قصد خالد فقصده فقالت اليمانية لخالد قد جاء الكميت وقد هجانا بقصيدة نونية قد فخر فيها علينا فحبسه خالد وقال في حبسه صلاح لانه يهجو الناس ويتأكلهم فبلغ ذلك معاذا فغمه فقال

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذي لك فيه رشد * فغالت دون ما أملت غول
فعاد خلاف ما تهوى خلافا * له عرض من البلوى طويل

فبلغ الكميت قوله فكتب اليه أراك كمهدي الماء للبحر حاملا * الى الرمل من يبرين تمرا رملا
ثم كتب تحته قد جرى على القضاء فما الحيلة الآن فأشار عليه أن يحتال في الهرب وقال له ان خالدا قاتلك لا محالة فاحتال بامرأته وكانت تأتيه بالطعام وترجع فلبس ثيابها وخرج كأنه هي فلحق بمسلمة بن عبد الملك فاستجار به وقال خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل * الى على تلك الهزاهز ٢ والازل
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة رأي أشبهت سلة النصل

فكان ذلك سبب نجاته من خالد وسأل شخص معاذا عن مولده فقال ولدت في أيام يزيد بن عبد الملك أو في أيام عبد الملك وتوفي سنة تسعين ومائة وقيل في السنة التي نكب فيها البرامكة وهي سنة سبع وثمانين ومائة وهو الاصح وكان يزيد بن عبد الملك قد تولى بعد موت عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة احدى ومائة وتوفي في شعبان سنة خمس ومائة فهذه المدة هي أيامه وأما أبوه عبد الملك فانه تولى بعد أبيه مروان في شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين ومات سنة ست وثمانين فهذه مدته وتوفي معاذ سنة سبع وثمانين ومائة وهو الاصح رحمه الله تعالى وكان يكنى أبا مسلم فولد له ولد سماه عليا فصار يكنى به والهراء بفتح الهاء وتشديد الراء وبعدها ألف ٣ مقصورة وانما قيل له ذلك لانه كان يبيع الثياب الهروية فنسب اليها وأما أبو السري الشاعر صاحب الابيات الدالية المذكورة فانه نشأ بحسبان وادعى رضاع الجن وانه صار اليهم ووضع كتابا ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم وزعم انه بايعهم للامين بن هرون الرشيد بالعهد فقربه الرشيد وابنه الامين وزبيدة أم الامين وبلغ معهم وأفادهم وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالي وقال له الرشيد ان كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا وان كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا وأخباره كلها غريبة عجيبة والله تعالى أعلم

(القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني)

كان فقيها أديبا شاعرا عالما بكل فن ولي القضاء ببغداد بباب الطاق نيابة عن ابن صبر القاضي وروى عن جماعة من الائمة منهم أبو القاسم البغوي وأبو بكر بن داود ويحيى بن صاعد وأبو سعيد العدوي وأبو حامد محمد ابن هرون الحضرمي وغيرهم وأخذ الادب عن أبي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره وروى عنه جماعة من الائمة أيضا منهم أبو القاسم الازهري والقاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وأحمد بن علي التوزي وأحمد بن عمر بن روح وذكر أحمد بن عمر بن روح ان أبا الفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل الادب فقالوا له في أي نوع من العلوم نتذاكر فقال أبو الفرج لذلك الرئيس خزانتك قد جمعت أنواع العلوم وأصناف الادب فان رأيت أن تبعث غلاما اليها تأمره أن يفتح

بابها

وسمعت من الثقات انه قال اتصلت ببعض المشايخ الصوفية وحصل لي بسببه الحمد لله تعالى بعض ما اشتاقه من نفائس السلوك وقد اتفق لي انسلاخ كلي وفارقت بدني كل المفارقة فبينا انا على تلك الحالة اذ دخل وقت الظهر فقصدت التوضؤ للصلاة فلم أقدر على تحريك القالب واستعماله فيه حتى ذهب وقت الظهر ثم وقت العصر وانا على تلك الحالة ثم عدت على حالتي الاولى اللهم احشرنا في زمرة الصالحين السالكين ولا تجعلنا في مهاوي الغفلة هالكين (ذكر تواليفه) منها الكتاب المسمى بالعالم في علم الكلام وحاشية على حاشية التجريد للشريف الجرجاني من أول الكتاب الى مباحث الماهية جمع فيه مقالات المولى علي القوشجي والمولى جلال الدين الدواني والمولى مير صدر الدين والمولى ابن الخطيب وأداها بأخصر عبارة وألطف اشارة ثم ذكر ما خطر له من تحقيق المقام وتبيين المرام وشرح

٢ الازل بفتح الهمزة وسكون الزاي الضيق والشدة اه قاموس

٣ قوله مقصورة في القاموس ومعاذ الهراء لبيعه الثياب الهروية

بابها ويضرب بيده الى أى كتاب منها فيحمله ثم يفتحه وينظر فى أى العلوم هو فقلما يذكره ويتمارى فيه قال ابن نوح وهذا يدل على ان أبا الفرج كان له انسة بسائر العلوم وكان أبو محمد الباقى يقول اذا حضر القاضى أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها وقال لو أوصى رجل بثلث ماله لاعلم الناس لوجب ان يدفع الى أبى الفرج المعافى وكان ثقة مأمونا فى روايته وله شعر حسن من ذلك ما رواه عنه القاضى أبو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وهو

ألا قل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى فعله * لانك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنه بان زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وذكره الشيخ أبو اسحق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء وأثنى عليه ثم قال وأنشدنى قاضى بلدنا أبو على الداودى قال أنشدنى أبو الفرج لنفسه

أأقتبس الضياء من الضباب * وألتمس الشراب من السراب
أريد من الزمان النذل بذلا * وأريا من جنى سلع وصاب
ارجى أن ألاقى لاشتياقى * خيار الناس فى زمن الكلاب

ومن شعره أيضا

مالك العالمين ضامن رزقى * فلماذا أملك الخلق رقى
قد قضى لى بما على ومالى * خالقى جل ذكره قبل خلقى
صاحب البذل والندى فى يسارى * ورفيق فى عسرتى حسن رفقى
فكما لا يرد عجزى رزقى * فكذا لا يجر رزقى حذقى

وذكر انه عملها فى معنى قول على بن الجهم

لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم راحة الدعه

ومن غريب ما اتفق له ما حكاه أبو عبد الله الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين المقدم ذكره قال قرأت بخط أبى الفرج المعافى بن زكريا النهروانى حججت سنة وكنت فى أيام التشريق بمنى فسمعت مناديا ينادى يا أبا الفرج فقلت لعله يريدنى ثم قلت فى الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج ولعله ينادى غيرى فلم أجبه فلما رأى انه لا يجيبه أحد نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت ان أجيبه ثم قلت قد يتفق أن يكون آخر اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج فلم أجبه فرجع فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهروانى فقلت لم يبق شك فى مناداته اياى اذ ذكر اسمى وكنيتى واسم أبى وبلدى الذى أنسب اليه فقلت ها أنا ذا فما تريد قال لعلك من نهروان الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الاب وما أنتسب اليه وعلمت ان بالمغرب موضعا يسمى النهروان غير النهروان الذى بالعراق ولابى الفرج المذكور عدة تصانيف ممتعة فى الادب وغيره وكتاب الجليس والانيس تصنيفه أيضا وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب سنة ثلاث وقيل خمس وثلثمائة وتوفى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسعين وثلثمائة بالنهروان رحمه الله تعالى وطرار بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الالف راء ثانية مفتوحة ثم ألف مقصورة وبعضهم يكتبه بالهاء بدلا من الالف فيقول طرارة والله أعلم والجريرى بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة الى الامام محمد بن جرير الطبرى المقدم ذكره وانما نسب اليه لانه كان على مذهبه مقلدا له وقد تقدم فى ترجمته انه كان مجتهدا صاحب مذهب مستقل وكان له أتباع وأخذ عنه جماعة منهم أبو الفرج المذكور وقد سبق الكلام على النهروان فاغنى عن الاعادة والله تعالى أعلم

(أبو تميم معد الملقب المعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله)

قد تقدم ذكر والده وجده وجد أبيه وطرف من اخبارهم وكان المعز المذكور قد بويع بولاية العهد فى حياة أبيه المنصور اسمعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته فى التاريخ المذكور فى ترجمته ودبر الامور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها الى يوم الاحد سابع ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثلثمائة فجلس يومئذ على سرير ملكه ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة وسلموا عليه بالخلافة وتسمى بالمعز ولم يظهر على أبيه حزنا ثم خرج الى بلاد افريقية يطوف بها ليمهد قواعدها ويقرر أسبابها فانقاد له العصاة من أهل تلك البلاد ودخلوا

القسم الثالث من كتاب المفتاح وشرح الفوائد الغيائية وهو شرح حافل يتضمن الرد على بعض المواضع من شرح المفتاح وكتاب سماه (بالشقائق النعمانية فى الدولة العثمانية) وقد جمع فيه علماءها وهو أول من تصدى له وكتاب ذكر فيه أنواع العلوم وفروعها وموضوعاتها وما اشتهر من المصنفات فى كل فن مع نبذ من تواريخ مصنفيها فجاء كتابا عزيز الفائدة وصنف كتابا كبيرا فى التاريخ جمع فيه ما ذكره ابن خلكان واضاف اليه سير الصحابة والتابعين وغيرهم ثم اختصر منه مجلدا لطيفا وكتب حاشية من أول شرح المفتاح الشريف الجرجانى وادرج فيها كلمات أبيه المولى مصلح الدين ولم يتم وشرح العوامل من المختصرات وشرح ديباجة الهداية وديباجة الطوالع وله مختصر فى علم النحو على منوال مختصر البيضاوى وكتب رسائل وحقق فيها كثيرا من المسائل المشكلة والمباحث المعضلة وبقى أكثرها فى المسودة وما تيسر تبييضه تنيف على خمسة عشر منها مسودة الاخلاص فى سورة الاخلاص الرسالة الجامعة لوصف العلوم النافعة مسالك الخلاص فى مهالك

في طاعته وعقد لغلمانه واتباعه على الاعمال واستندب لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته وضم الى كل
واحد منهم جمعا كثيرا من الجند وأرباب السلاح ثم جهز أبا الحسن جوهرا القائد المذكور في حرف الجيم
وجمع معه جيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب فسار الى فاس ثم منها الى سجلماسة ففتحها
ثم توجه الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله الى المعز ثم رجع الى المعز ومعه صاحب
سجلماسة وصاحب فاس أسيرين في قفصي حديد والشرح في ذلك يطول وخلاصة الامر انه ما رجع القائد
جوهر الى مولاه المعز الا وقد وطد له البلاد وحكم على أهل الزيغ والعناد من باب افريقية الى البحر المحيط
في جهة المغرب وفي جهة المشرق من باب افريقية الى أعمال مصر ولم يبق بلد من هذه البلاد الا أقيمت فيه
دعوته وخطب له في جمعته وجماعته الا مدينة سبتة فانها بقيت لبني أمية أصحاب الاندلس ولما وصل الخبر الى
المعز المذكور بموت كافور الاخشيدي صاحب مصر حسبما شرحناه في ترجمته من هذا الكتاب تقدم
المعز الى القائد جوهر المذكور ليتجهز للخروج الى مصر فخرج أولا الى جهة المغرب لاصلاح أموره وكان
معه جيش عظيم وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم الى مصر وجبي القطائع التي كانت على البربر فكانت
خمسمائة ألف دينار وخرج المعز بنفسه في الشتاء الى المهدية فأخرج من قصور آبائه خمسمائة حمل دنانير وعاد
الى قصره ولما عاد جوهر بالرجال والاموال وكان قدومه على المعز يوم الاحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة أمره المعز بالخروج الى مصر فخرج ومعه أنواع القبائل وقد ذكرت في ترجمة جوهر
تاريخ خروجه وتاريخ وصوله الى مصر فأغنى عن الاعادة وأنفق المعز في العسكر المسير صحبته أموالا كثيرة
حتى أعطى من ألف دينار الى عشرين دينارا وغمر الناس بالعطاء وتصرفوا في القيروان وصبرة في شراء
جميع حوائجهم ورحلوا ومعه ألف حمل من المال والسلاح ومن الخيل والعدد ما لا يوصف وكانت بمصر في تلك
السنة غلاء عظيم ووباء حتى مات في مصر وأعمالها في تلك المدة ستمائة ألف انسان على ما قيل ولما كان
منتصف شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وصلت البشارة الى المعز بفتح الديار المصرية
ودخول عساكره اليها ثم وصلت النجب بعد ذلك تخبره بصورة الفتح وكانت كتب جوهر تتردد الى المعز
باستدعائه الى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ثم أرسل اليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز واقامة
الدعوة له بهذه المواضع فسر المعز بذلك سرورا عظيما ولما تقررت قواعد الديار المصرية استخلف على
افريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي المذكور في حرف الباء وخرج المعز متوجها بأموال جليلة
المقدار ورجال عظيمة الاخطار وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين لثمان بقين من
شوال سنة احدى وستين وثلثمائة وانتقل الى سردانية وأقام بها حتى اجتمع رجاله واتباعه ومن يستصحبه معه وفي
هذه المنزلة عقد العهد لبلكين على افريقية في التاريخ المذكور في ترجمته ورحل عنها يوم الخميس خامس
صفر سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولم يزل في طريقه يقيم بعض الاوقات في بعض البلاد أياما ويجد السير في
بعضها وكان اجتيازه على برقة ودخل الاسكندرية يوم السبت لست بقين من شعبان من السنة
المذكورة وركب فيها ودخل الحمام وقدم عليه بها قاضي مصر وهو أبو طاهر محمد بن أحمد وأعيان أهل
البلاد وسلموا عليه وجلس لهم عند المنارة وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه انه لم يرد دخول مصر لزيادة في
ملكه ولا لمال وانما أراد اقامة الحق والحج والجهاد وأن يختم عمره بالاعمال الصالحة وأن يعمل بما أمر
به جده صلى الله عليه وسلم ووعظهم وأطال حتى بكى بعض الحاضرين وخلع على القاضي وبعض الجماعة
وحملهم وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها في أواخر شعبان ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم على مينا
ساحل مصر بالجيزة فخرج اليه القائد جوهر وترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه وبالجيزة أيضا اجتمع
به الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور في حرف الجيم وأقام المعز هناك ثلاثة أيام وأخذ العسكر في
التعدية بأثقالهم الى ساحل مصر ولما كان يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المعظم من السنة عبر
المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وكانت قد زينت له وظنوا انه يدخلها وأهل القاهرة لم يستعدوا

للقائه

النواصب أجل المواهب
في معرفة وجوب الواجب
نزهة الالحاظ في عدم
وضع الالفاظ للالفاظ
رسالة التعريف والاعلام
في حل مشكلات الحديث
التام القواعد الجليات
في تحقيق مباحث الكليات
فتح الامر المغلق في مسألة
المجهول المطلق رسالة في
تفسير آية الوضوء ورسالة
في تفسير قوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وكان رحمه
الله ينظم الشعر العربي
وقد كتب الى بعض
أصدقائه بعد عماه (شعر)
سقيت بسيط الارض في كل
ساعة
بدمع جرى فاذكر تحسير
الاحبة
وصفرة تعلوني كالوشاح
المفصل
بقطر دموع بين قلبي محرقة
وعيني تفيض بياقوت مقلة
والسان عيني تشمر فوق
جرة
تعرضت من الاحباب ألف
نظرة
فواحسرتا ألم ألق قسطل
موقف
ولا تجزعي يا نفس من نازل
جرى
بتقدير خلاق الاله البرية
فان الرضا والصبر في كل محنة
من أخلاق أصحاب النفوس
الرضية
(نقل) ولما كتب المفتي أبو
السعود جزأ من تفسيره
وأرسله اليه كتب عليه

للقائد لانهم بنوا الامر على دخوله مصر أولا ولما دخل القاهرة ودخل القصر دخل مجلسا منه فخر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وانصرف الناس عنه وهذا المعز هو الذي تنسب اليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية لانه الذي بناها له القائد جوهر وفي يوم الجمعة الثالث عشر ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهرا عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في سائر أمورها وقد ذكرنا في ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز من السؤال عن نسبه وما أجابه به وما اعتمده بعد الدخول الى القصر وكان المعز عاقلا حازما سريا أديبا حسن النظر في النجامة وينسب اليه من الشعر قوله

لله ما صنعت بنا * تلك المحاجر في المعاجر أمضى وأقضى في النفوس * من الخناجر في الحناجر
ولقد تعبت ببينكم * تعب المهاجر في الهواجر

وينسب اليه أيضا أطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد في وجنتيك أطلا
وكأن الجمال خاف على الور * د جفافا فمد بالشعر ظلا

وهو معنى غريب بديع وقد مضى ذكر ولده تميم وشيء من شعره وسيأتي ذكر ولده العزيز نزار في حرف النون ان شاء الله تعالى وكانت ولادته بالمهدية يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وتوفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر وقيل الثالث عشر وقيل لسبع خلون منه سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى ومعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة والله تعالى أعلم

(أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله المذكور قبله)

وقد تقدم بقية النسب بويع بالامر بعد موت والده الظاهر وذلك يوم الاحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا من تأخر منها قضية الحرث أرسلان البساسيري المقدم ذكره في حرف الهمزة فانه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة الامام القائم وخطب للمستنصر المذكور وذلك في سنة خمسين وأربعمائة ودعي له على منابرها مدة سنة ومنها انه ثار في أيامه علي بن محمد الصليحي المقدم ذكره ببلاد اليمن كما شرحناه ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة وهو مشهور فلا حاجة الى الاطالة في شرحه ومنها أنه أقام في الامر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس ومنها انه ولي وهو ابن سبع سنين ومنها ان دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدي المقدم ذكره الى أيام المعز المذكور قبله ولما توجه المعز الى مصر واستخلف بلكين بن زيري حسبما شرحناه كانت الخطبة في تلك النواحي جارية على عادتها الى أن قطعها المعز بن باديس الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في أيام المستنصر المذكور وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وقال في تاريخ القيروان ان ذلك كان في سنة خمس وثلاثين والله تعالى أعلم بالصواب وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدي خليفة بغداد والشرح في ذلك يطول ومنها انه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل انه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلين ليس لهم دواب يركبونها وكانوا اذا مشوا يتساقطون في الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الامر توجهت أم المستنصر وبناته الى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا ولم يزل هذا الامر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي والد الافضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر حسبما شرحناه في ترجمة ولده الافضل شاهنشاه وجاء الى مصر وتولى تدبير الامور فانصلحت وشرح ذلك يطول وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة

هذه الابيات (شعر)

بنفسي جنابا حاز كل فضيلة
وصار لاظهار الحقائق ضامنا
وأيد روح القدس حسان طبعه
فحصل من الاسرار ما كان كامنا
وناضح عن عرض النبي تأدبا
ففي الحشر يلقاه من الخوف آمنا
بك الملة الزهراء أضحت منيرة
فتى الكوكب السيار قد صرت ثامنا

(غيره)

وحلت حمى نجد أبارح شمال
فنابك من ذكرى حبيب ومنزل
فوا أسفا رسم المدارس دارس
فهل عند رسم دارس من معول

(ومنهم العالم الفاضل المولى يحيى بن نور الدين الشهير بكوچك الامين)

كان أبوه من زمرة الامناء العثمانية وصار في عهد السلطان بايزيد خان متوليا على الاوقاف الخاصة السلطانية واختار المرحوم من جودة طبعه وصفائه مادة العلم على طريقة آبائه فسلك مسالك التحصيل وذهب مذهب التكميل فاشتغل على أفاضل زمانه وأماثل أقرانه وصاحب الاعالي والاهالي حتى صار

رحمه الله تعالى قلت وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير بخم بضم الخاء وتشديد الميم ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة وفيه غدير ماء ويقال انه غيضة هناك ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى عام حجة الوداع ووصل الى هذا المكان وآخى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علي مني كهرون من موسى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وللشيعة به تعلق كبير وقال الحازمي هو واد بين مكة والمدينة عند الجحفة غدير عنده خطب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقين كل واحد في موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم

(أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل الفيرزان وقيل علي الكرخي الصالح المشهور)

وهو من موالي علي بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى مؤدبهم وهو صبي وكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الواحد فيضربه المعلم على ذلك ضربا مبرحا فهرب منه وكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أي دين شاء فنوافقه عليه ثم انه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ورجع الى أبويه فدق الباب فقيل له من بالباب فقال معروف فقيل له على أي دين فقال على الاسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق مجرب وكان سري السقطي المقدم ذكره تلميذه وقال له يوما اذا كانت لك حاجة الى الله تعالى فأقسم عليه بي وقال سري السقطي رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلت قدرته يقول لملائكته من هذا وهم يقولون أنت أعلم يا ربنا فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق الا بلقائي وقال معروف قال لي بعض أصحاب داود الطائي اياك أن تترك العمل فان ذلك الذي يقربك الى رضا مولاك فقلت وما ذاك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن الحسين سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بل بقبولي موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت مارا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتا ما فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه الا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذا موعظة ان اتعظت وقد تقدم ذكر ابن السماك في المحمدين وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي فاني أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ومر معروف بسقاء وهو يقول رحم الله من يشرب فتقدم وشرب وكان صائما فقيل له ألم تك صائما فقال بلى ولكن رجوت دعاءه وأخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعد وتوفي سنة مائتين وقيل احدى ومائتين وقيل أربع ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يزار رحمه الله تعالى والكرخي بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة هذه النسبة الى الكرخ وهو اسم تسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه وأشهرها كرخ بغداد والصحيح ان معروفا الكرخي منه وقيل انه من كرخ جدان بضم الجيم وتشديد الدال المهملة وبعد الالف نون وهي بليدة بالعراق تفصل بين ولاية خانقين وشهرزور والله تعالى أعلم بالصواب

(المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي صاحب افريقية وما والاها من بلاد المغرب)

وقد سبق تمام نسبه عند ذكر والده الأمير تميم وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وسير له

تشريفا

معيد الدرس المنسوب لعلاء الدين الجمالي وتميز في خدمته حتى زوجه بابنته ثم درس في مدرسة قاسم باشا بمدينة بروسه المشتهرة بمدرسة الامير سلطان بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابراهيم باشا بقسطنطينية بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان في بروسه باربعين ثم مدرسة أحمد باشا بقصبة جورلي بخمسين ثم نقل الى مدرسة دار الحديث بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى المدرسة التي بناها السلطان سليمان بجوار جامع ابا صوفية ثم مدرسة السلطان مراد في مدينة بروسه ثم عاد الى احدى المدارس الثمان بستين ثم قلد قضاء بغداد ثم عزل عنه وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ولما بنى السلطان سليمان مدرسة بقسطنطينية وجعلها دار الاحاديث النبوية أعطاها المرحوم لاشتهاره بعلم الحديث وعين له كل يوم مائة درهم ثم اتفق انه اتهم ببيع الاعادة والملازمة وأخذ الرشا على اعطاء الجهات فبلغ ذلك الى السلطان فغضب عليه وعزله فاغتم له غما شديدا فلم يذهب كثير حتى توفي سنة ثمان وستين وتسعمائة وكان المرحوم من أفاضل الروم صاحب اليد الطولى في الحديث والتفسير وعلوم الوعظ

تشريفا وسجلا يتضمن اللقب المذكور وذلك في ذي الحجة سنة سبع وأربعمائة وكان ملكا جليلا عالي الهمة محبا لأهل العلم كثير العطاء وكان واسطة عقد بيته وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجد أبيه ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء وكانت حضرته محط بني الآمال وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه بإفريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن وقد تقدم في خبر المستنصر بالله العبيدي أن المعز المذكور قطع خطبته وخلع طاعته فلما فعل ذلك خطب للإمام القائم بأمر الله خليفة بغداد فكتب اليه المستنصر يتهدده ويقول له هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء في كلام طويل فأجابه المعز ان آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب في إفريقية بعد ذلك لأحد من المصريين الى اليوم وأخبار المعز كثيرة وسيرته مشهورة فلا حاجة الى الإطالة وله شعر قليل لم أقف منه على شئ وكان المعز يوما جالسا في مجلسه وعنده جماعة من الأدباء وبين يديه أترجة ذات أصابع فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئا فعمل أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الشاعر المقدم ذكره قوله

أترجة سبطة الأطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير منحوس
كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس

فاستحسن ذلك منه وفضله على من حضر من الجماعة الأدباء وكانت ولادته بالمنصورية ويقال لها صبرة من أعمال إفريقية يوم الخميس لخمس مضين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وولي بعد أبيه باديس في التاريخ المذكور في ترجمته وبويع بالمحمدية من أعمال إفريقية أيضا يوم السبت لثلاث مضين من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة وتوفي رابع شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان من مرض أصابه وهو ضعف الكبد ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته ورثاه أبو علي الحسن بن رشيق المقدم ذكره بأبيات على روي الكاف أضربت عن ذكرها خوف الإطالة وهذا المعز لا يعرف له اسم سوى المعز مع أني كشفت عنه كشفا تاما من الكتب وأفواه العلماء وأهل المغرب فلم يذكر أحد سوى المعز ولا عرفوا كنيته أيضا والظاهر أن هذه الصفات أهل بيته لم يكن فيهم من تلقب حتى يقال هذا لقب فأثبته على قدر ما وجدته والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء تيم قريش البصري النحوي العلامة)

قال الجاحظ في حقه لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها وكان مع معرفته لا يقيم البيت اذا أنشده حتى يكسره وكان يخطئ اذا قرأ القرآن الكريم نظرا وكان يبغض العرب وألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج وقال غيره ان هرون الرشيد أقدمه من البصرة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وقرأ عليه بها أشياء من كتبه وأسند الحديث الى هشام بن عروة وغيره وروى عنه علي بن المغيرة الأثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام المقدم ذكره وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم وقد تقدم ذكر هؤلاء جميعهم وقال أبو عبيدة أرسل الى الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه فقدمت عليه وكنت أخبر عن تجبره فأذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقى عليها الا بكرسي وهو جالس على الفرش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك الي واستدناني حتى جلست معه على فرشه ثم سألني وبسطني وتلطف بي وقال أنشدني فأنشدته من عيون الأشعار التي أحفظها جاهلية فقال لي قد عرفت أكثر هذا وأريد من ملح الشعر فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا ثم دخل رجل في زي الكتاب وله هيئة حسنة فأجلسه الى جانبي وقال له أتعرف هذا قال لا قال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا ثم التفت الي وقال

والتذكير وله باع واسع في فن المحاضرات والتواريخ والمحاورات وكان رحمه الله لين الصحبة حلو المحاورة خاليا عن الكبر والخيلاء مختلطا بالمساكين والفقراء وبالجملة كان رحمه الله رجلا كاملا وأتم الآن فيه خصلة سميه يحيى ابن أكثم الذي هو أول من صرح بالميل الى المرد الملاح ذوي الخدود الصباح وهو الذي قال وأبان عما في البال (شعر)

انما الدنيا طعام
ومدام وغلام
فاذا فاتك هذا
فعلى الدنيا السلام

عفا الله عن سيآتهما وضاعف حسناتهما

(ومنهم المولى محمود الأيديني المعروف بخواجه قاضي)

كان أبوه من كبار القضاة المتمكنين في القصبات وطلب العلم وكتب ودرس حتى صار ملازما للمولى بدر الدين الأصغر فاتفق له عطفة من الزمان حيث تزوج بأخته المولى خير الدين معلم السلطان فعلت به كلمته وارتفعت مرتبته فقلد مدرسة جندبك بمدينة بروسه بعشرين ثم مدرسة مرزي باشا بقصبة سلوري بخمسة وعشرين ثم المدرسة الافضلية بقسطنطينية بثلاثين ثم صار وظيفته فيها أربعين ثم درس بالمدرسة الحلبية بأدرنه ثم

كنت اليه مشتاقا وقد سألت عن مسألة أفتأذن لى ان أعرفك اياها فقلت هات فقال قال الله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت انما كلم الله العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وأزمعت منذ ذلك اليوم ان أضع كتابا فى القرآن لمثل هذا وأشباهه ولما يحتاج اليه من علمه ولما رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لى هو من كتاب الوزير وجلسائه وقال أبو عثمان المازنى سمعت أبا عبيدة يقول دخلت على هرون الرشيد فقال لى يا معمر بلغنى ان عندك كتابا حسنا فى صفة الخيل أحب ان أسمعه منك فقال الاصمعى وما تصنع بالكتب يحضر فرس فأحضر فقام الاصمعى فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول هذا كذا قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله فقال لى الرشيد ما تقول فيما قال فقلت أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض والذى أصاب فيه منى تعلمه والذى أخطأ فيه ما أدرى من أين أتى به وبلغ أبا عبيدة ان الاصمعى يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم فى كتاب الله تعالى برأيه فسأل عن مجلس الاصمعى فى أى يوم هو فركب حماره فى ذلك اليوم ومر بحلقته فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له أبا سعيد ما تقول فى الخبز أى شئ هو فقال الذى تخبزه وتأكله فقال أبو عبيدة قد فسرت كتاب الله تعالى برأيك فان الله تعالى قال وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا فقال الاصمعى هذا شئ بان لى فقلته ولم أفسره برأيى فقال أبو عبيدة والذى تعيبه علينا كله شئ بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا وقام وركب حماره وانصرف وزعم الباهلى صاحب كتاب المعانى ان طلبة العلم كانوا اذا أتوا مجلس الاصمعى اشتروا البعر فى سوق الدر واذا أتوا مجلس أبى عبيدة اشتروا الدر فى سوق البعر لان الاصمعى كان حسن الانشاد والزخرفة لردئ الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح وان الفائدة مع ذلك عنده قليلة وان أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر وقال المبرد كان أبو زيد الانصارى أعلم من الاصمعى وأبى عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان وكان أبو عبيدة أكمل القوم وكان على ابن المدينى يحسن ذكر أبى عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكى عن العرب الا الشئ الصحيح وحمل أبو عبيدة والاصمعى الى هرون الرشيد للمجالسة فاختار الاصمعى لانه كان أصلح للمنادمة وكان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه ويسب الاصمعى ويهجوه فقيل له ما تقول فى الاصمعى فقال بلبل فى قفص قيل له فما تقول فى خلف الاحمر فقال جمع علوم الناس وفهمها قيل فما تقول فى أبى عبيدة فقال ذاك أديم طوى على علم وقال اسحق بن ابراهيم النديم الموصلى يخاطب الفضل بن الربيع يمدح أبا عبيدة ويذم الاصمعى بقوله

عليك أبا عبيدة فاصطنعه * فان العلم عند أبى عبيده
وقدمه وآثره علينا * ودع عنك القريد بن القريده

وكان أبو عبيدة اذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه واذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ويقول النحو محدود ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتى مصنف منها كتاب مجاز القرآن الكريم وكتاب غريب القرآن وكتاب معانى القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وكتاب خراسان وكتاب خوارج البحرين واليمامة وكتاب الموالى وكتاب البله وكتاب الضيفان وكتاب مرج راهط وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب خبر البراض وكتاب القرائن وكتاب البازى وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب النواكح وكتاب النواشر وكتاب مضمار الخيل وكتاب الاعيان وكتاب بيان باهلة وكتاب أيادى الازد وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الانسان وكتاب الزرع وكتاب الرحل وكتاب الدلو وكتاب البكرة وكتاب السرج وكتاب اللجام وكتاب الفرس وكتاب السيف وكتاب الشوارد وكتاب الاحتلام وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب مقاتل الاشراف وكتاب الشعر والشعراء وكتاب فعل وأفعل

وكتاب

بالاحدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء حلب ثم عزل ثم قلد قضاء مكة ثم عزل ثم أعيد اليها ثم عزل فقبل وصوله الى منزله أدركته منيته وانقطعت أمنيته بقصبة اسكدار سنة ثمان وستين وتسعمائة وكان المرحوم خلوقا بشوشا حليم النفس لا يتأذى منه أحد رحمه الله الصمد

* (ومنهم المولى مصلح الدين) *

كان رحمه الله من قصبة نيكسار فخرج بعد بلوغه الى سن البلوغ طالبا العلم من هذه الديار فدار البلاد واشتغل واستفاد حتى انتظم فى سلك أرباب الاستعداد ووصل الى خدمة المولى محيى الدين الفنارى فاشتغل عليه مدة وحصل من العلوم عدة ثم وصل الى خدمة المولى محمد باشا فاجتهد فى التحصيل والاستفادة حتى اذا انتقل المولى المزبور الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه عينه لخدمة الاعادة ثم درس فى مدرسة صاروجه باشا بقصبة كليبولى بعشرين ثم مدرسة الامير أحمد الادرنوى بقصبة واردار بخمسة وعشرين ثم المدرسة الحجرية بادرنه بثلاثين ثم مدرسة برى باشا بأربعين ثم مدرسة أحمد باشا بقصبة جورلى بخمسين ثم نقل الى مدرسة مغنيسا فاشتغل بها وأفاد حتى

وكتاب المثالب وكتاب خلق الانسان وكتاب الخف وكتاب الفرق وكتاب مكة والحرم وكتاب الجمل وصفين وكتاب بيوتات العرب وكتاب اللغات وكتاب الغارات وكتاب المعاتبات وكتاب الملاومات وكتاب الاضداد وكتاب مآثر العرب وكتاب مآثر غطفان وكتاب ادعية العرب وكتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وكتاب أسماء الخيل وكتاب العفة وكتاب قضاة البصرة وكتاب فتوح الاهواز وكتاب فتوح ارمينية وكتاب لصوص العرب وكتاب اخبار الحجاج وكتاب قصة الكعبة وكتاب الحمس من قريش وكتاب فضائل الفرس وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب السواد وفتحه وكتاب من شكر من العمال وحمد وكتاب الجمع والتثنية وكتاب الاوس والخزرج وكتاب محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكتاب الايام الصغير خمسة وسبعون يوما وكتاب الايام الكبير ألف ومائتا يوم وكتاب أيام بني مازن واخبارهم وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الاطالة لذكرت جميعها وقال أبو عبيدة لما قدمت على الفضل بن الربيع قال لي من أشعر الناس فقلت الراعي قال وكيف فضلته على غيره فقلت لانه ورد على سعيد بن عبد الرحمن الاموي فوصله في يومه الذي لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه

وأنضاء تحن الى سعيد * طروقا ثم عجلن ابتكارا
حمدن مزاره وأصبن منه * عطاء لم يكن عدة ضمارا

فقال الفضل ما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ثم غدا الى هرون الرشيد فاخرج لي صلة وأمر لي بشيء من ماله وصرفني وكان أبو عبيدة معمر من موالي بني عبيد الله بن معمر التيمي وقال له بعض الاجلاء تقع في الناس فمن أبوك فقال أخبرني أبي عن أبيه انه كان يهوديا من أهل باجروان فضحك الرجل فتركه وكان أبو عبيدة مع هذا لم يكن بالبصرة أحد الا وهو يداجيه ويتقيه على عرضه وخرج الى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالي فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبي عبيدة فان كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقة فقال له موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب فقال أبو عبيدة لا عليك فان مرقك لا يؤذي أي ما فيه دهن ففطن لها موسى وسكت وكان الاصمعي اذا أراد الدخول الى المسجد قال انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفا من لسانه فلما مات لم يحضر جنازته أحد لانه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف ولا غيره وكان وسخا ألثغ مدخول النسب مدخول الدين يميل الى مذهب الخوارج قال أبو حاتم السجستاني كان أبو عبيدة يكرمني على أني من خوارج سجستان وقال التوزي دخلت المسجد على أبي عبيدة وهو ينكت الارض بالسواك وحده وقال لي من القائل

أقول لها وقد جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

فقلت له قطري بن الفجاءة فقال فض الله فاك هلا قلت هو لامير المؤمنين أبي نعامة ثم قال لي اجلس واكتم علي ما سمعت مني قال فما ذكرته حتى مات قلت انا وهذه الحكاية فيها نظر لان هذا البيت من جملة أبيات لعمرو بن الاطنابة الانصاري الخزرجي واطنابة أمه واسم أبيه زيد بن مناة لا يكاد يختلف فيه أحد من أهل الادب فانها أبيات مشهورة للشاعر المذكور وذكر المبرد في كتاب الكامل ان معاوية بن أبي سفيان الاموي قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر اسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني الا قول ابن الاطنابة الانصاري

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صحيح

(رجعنا الى حديث أبي عبيدة) وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لانه كان يتهم بالميل الى الغلمان قال الاصمعي دخلت انا وأبو عبيدة يوما المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من

ولي قضاء بغداد وفوض اليه الفتوى بهذه الديار وعين له من بيت المال كل سنة ألف وخمسمائة دينار وهو أول من تولى بقضاء بغداد من قبل سلاطين آل عثمان فشرع في اجراء الشرع المبين وأقام بها ست سنين فنال فيها ما نال من صنوف الامتعة والاموال ثم عزل وبقي في التعطل والهوان ثم أعطي مدرسة السلطان مراد خان بينا هو في تهيئة الاهبة اذ قلد قضاء حلب ولم يمكث شهرين في حلب المحروسة حتى جاءت له البشرى بقضاء بروسه ثم قلد قضاء ادرنه ثم قسطنطينية المحمية ثم عزل وعين له كل يوم مائة درهم وحسبت مدة قضائه فبلغت عشرين سنة ثم أعطي له دار الحديث التي بناها السلطان سليمان بقسطنطينية وزيد في وظيفته ثلاثون فدام على المدارسة والمذاكرة حتى توفي سنة تسع وستين وتسعمائة * ويحكى انه قصد أن يتوضأ لصلاة الصبح فبينا هو في أثنائه اذ أتاه ذلك الامر العظيم وألم به الخطب الجسيم وكان رحمه الله معروفا بالعلم والصلاح ويرى عليه آثار الفوز والفلاح متقشفا في اللباس محتشما في معاملة الناس وكان مهيب المنظر ولطيف المخبر حسن المناظرة طيب المعاشرة وكان رحمه

صلى الإله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا سبعة أذرع

فقال لي يا أصمعي أمح هذا فركبت على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال أثقلتني وقطعت ظهري فقلت له قد بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل إنه لما ركب ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا نفر وكان الذي كتب البيت أبو نواس الحسن بن هانئ المقدم ذكره وقيل وجدت رقاع في مجلس أبي عبيدة هذا البيت فيها وبعده

فأنت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت تسعينا

وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في باب الأسماء والكنى والألقاب سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل شاعر فقال كيسان أنا أعرف الناس به هو خداش أو خراش أو رياش أو شيء آخر فقال أبو عبيدة ما أحسن ما عرفته فقال إي والله وهو ترثي أيضا قال فما يدريك قال أما ترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب وأخبار أبي عبيدة كثيرة وكانت ولادته في شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي بها الحسن البصري رضي الله عنه وقد تقدم ذكره وقيل في سنة إحدى عشرة ومائة وقيل أربع عشرة وقيل ثمان وقيل تسع والأول أصح والذي يدل عليه أن الأمير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه سأله عن مولده فقال قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة المخزومي وقد قيل له متى ولدت فقال في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأي خير رفع وأي شر وضع وأنا ولدت في ليلة مات فيها الحسن البصري رضي الله عنه فلينظر هنالك وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة إحدى عشرة وقيل سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان سببه رحمه الله تعالى أن محمد بن القاسم بن سهل النوشجاني أطعمه موزا فمات منه ثم أتاه أبو العتاهية فقدم إليه الموز فقال له ما هذا يا أبا جعفر قتلت أبا عبيدة بالموز وتريد أن تقتلني به لقد استحليت قتل العلماء وأبو عبيدة بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره بخلاف القاسم بن سلام المتقدم ذكره فإنه أبو عبيد بغير هاء ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها وباجروان التي والده منها بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها واو مفتوحة وبعد الألف نون وهو اسم لقرية من بلاد البليخ من أعمال الرقة واسم لمدينة بنواحي أرمينية من أعمال شروان عندها كما قيل عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام وغالب ظني أن أبا عبيدة من هذه المدينة وقيل إن باجروان اسم القرية التي استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام والنوشجاني بضم النون وسكون الواو والشين المعجمة وفتح الجيم وبعد الألف نون هذه النسبة إلى نوشجان وهي بلدة من بلاد فارس والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام ابن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني وبقية النسب معروف)

وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل ابن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان كان جوادا شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا وقد سبق في ترجمة مروان بن أبي حفصة الشاعر طرف من أخباره وكان مروان مختصا به وأكثر مدائحه فيه وكان معن في أيام بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا إلى يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط ما هو مشهور وسيأتي في ترجمة يزيد المذكور طرف من هذه الواقعة إن شاء الله تعالى أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن من أبي

جعفر

أنه أشبه الشمعة بحسن النادرة ومن كلامه رحمه الله مثل الشمع حواشينا مثل الشمع الموقد بين أظهر قوم فإنهم مستضيئون به ومنتفعون بنوره والشمع منتقص في كل وقت وفان ومتداع إلى الخسرى والخسرات ولا يخفى أن كلامه هذا أشبه قول الإمام الغزالي فقهاؤنا كذبالة النبراس هي في الحريق وضوؤها للناس وقد أناف عمره على تسعين بعثه الله في زمرة الصالحين

(ومنهم العالم العامل والعارف الكامل المولى مصلح الدين بن شعبان أرقدهما الله تعالى في غرف الجنان)

ولد في قصبة كليبولي وكان أبوه من التجار وأصحاب اليسار حبب إليه العلم وأربابه ومعلما للصبيان فبدأ في تعليم ابنه الأحرف والمبادئ سليماني دار المرحوم على أفاضل عصره للاستفادة كالمولى القادري والمولى طاشكبري زاده فاحرز الفضائل والمعارف وجمع النوادر واللطائف وقال الشعر ومهر في فنونه وتلقب بالسروري واتسم كما هو دأب شعراء الروم والعجم وجعل تأوله كتب الأعاجم ومارس حتى أصبح فارسا في معرفة لسان فارس ثم وصل إلى خدمة محيي الدين الفناري فلما صار قاضيا بقسطنطينية

جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له مدة استتاره غرائب فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ان المنصور جد في طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لاقيم بها قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني أسود متقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي فقلت له وما بك فقال أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت ومن أنا حتى أطلب فقال أنت معن بن زائدة فقلت له يا هذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن فقال دع هذا فاني والله لأعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معي باضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا لسفك دمي قال هاته فأخرجته اليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسألك عن شيء فان صدقتني أطلقتك فقلت قل قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن أني قد فعلت هذا قال ما ذاك بعظيم أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت يا هذا والله قد فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فاني غني عنه فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ذكر غرس النعمة بن الصابي في كتاب الهفوات ما مثاله لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له من أنت ويحك فكشف لثامه فقال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور وأكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك في الايام فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله في هذه القصيدة

ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يا معن وقال له يوما يا معن ما أكثر وقوع الناس في قومك فقال يا أمير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين فقال وانك لجلد فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين فقال وفيك بقية قال هي لك يا أمير المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئا وأشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التي ذكرت بعضها في ترجمة مروان وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا ولولا خوف الاطالة لذكرتها وله فيه من قصيدة

قد آمن الله من خوف ومن عدم * من كان جاره من جور ذا الزمن
معن بن زائدة الموفي بذمته * والمشتري الحمد بالغالي من الثمن
والعطايا التي تبقى محامدها * غنما اذا عدها المعطي من الغبن

العثمانية فكان هو من طلبة المولى أولياء أخي فانهم من قبل كانوا يستخدمون الاجانب ثم درس في مدرسة صاروجه باشا بقصبة كليبولي بعشرين ثم بمدرسة بري باشا بقسطنطينية بخمسة وعشرين ثم صارت وظيفته فيها الاثنين ثم صارت أربعين ثم عزل ثم أعطي بخمسين مدرسة قاسم باشا المبنية بقصبة غلطة تجاه قسطنطينية المشهورة الآن باسم قاسم باشا بينا هو في بعض الاسحار يطالع نفائس الاسفار اذ نادى منادي الحسنات ان لله في أيام دهركم نفحات وقرع اسماع كل ساه ولاه ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فلما سمع هذا الخطاب غلب عليه الشوق والانجذاب وترك التدريس واختار الخمول والانزواء وأحب مراسم طريق أرباب الزهد والفناء وتاب على يد الشيخ محمود النقشبندي فلما توجه الى هذا الطريق وعلم انها صعب مضيق لا تسع الاثقال والاحمال ولا يسلكها الا الافراد من الرجال اختار مهماته وترك تعلقاته وبنى معبدا لله وتخلص لعبادة مولاه (شعر)

هنيئا لمن عاله بلغة
من العيش مذخورة عنده
يفر من الناس بفضالهم
ويأنس بالله وحده

بني لشيبان مجداً لا زوال له * حتى تزول ذوو الاركان من حضن

حضن بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة بينه وبين تهامة مرحلة يقال في المثل أنجد من رأى حضناً وله ذكر كثير في الاشعار والاخبار ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له اني لو أردت ان استشفع اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ولكني استشفعت اليك بقدرك واستغنيت بفضلك فان رأيت ان تضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل واني لم أكرم نفسي عن مسألتك فأكرم وجهي عن ردك ولمعن اشعار جيدة أكثرها في الشجاعة وقد ذكره أبو عبد الله بن المنجم في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله في خطاب ابن أخيه عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم * وصبرت عند الموت يا خطاب
تختال خوار العنان كأنه * تحت العجاج اذا استحث عقاب
وتركت عمك والرماح تنوشه * وكذاك من قعدت به الاحساب

وقال أبو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن اذا هو براكب يوضع فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبه لا تحجبه قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد

أصلحك الله قل ما بيدي * فما أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر رمى بكلكله * فأرسلوني اليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الاريحية لا جرم والله لأعجلن أوبتك ثم قال يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها اليه فدفعها اليه وهو لا يعرفه هكذا روى هذه الحكاية الخطيب في تاريخه وأخباره ومحاسنه كثيرة وكان قد ولي سجستان في أواخر أمره وانتقل اليها وله فيها آثار وماجريات وقصده الشعراء بها فلما كان سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومائة كان في داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ثم تبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة بست ولما قتل معن رثاه الشعراء بأحسن المراثي فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة شاعره المذكور وهي قصيدة من أنفس الشعر وأحسنه وأولها

مضى لسبيله معن وأبقى * مكارم لن تبيد ولن تنالا * كأن الشمس يوم أصيب معن
من الاظلام ملبسة جلالا * هو الجبل الذي كانت نزار * تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن * وقد يروى بها الاسل النهالا * وأظلمت العراق وأورثتها
مصيبته المجللة اختلالا * وظل الشام يرجف جانباه * لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل أرض * ومن نجد تزول غداة زالا * فان يعل البلاد له خشوع
فقد كانت تطول به اختيالا * أصاب الموت يوم أصاب معنا * من الاحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن * الى ان زار حفرته عيالا * ولم يك طالب المعروف ينوي
الى غير ابن زائدة ارتحالا * مضى من كان يحمل كل ثقل * ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معن * ولا حطوا بساحته الرحالا * ولا بلغت أكف ذوي العطايا
يمينا من يديه ولا شمالا * وما كانت تجف له حياض * من المعروف مترعة سجالا
لأبيض لا يعد المال حتى * يعم به بغاة الخير مالا * فليت الشامتين به فدوه
وليت العمر مد له فطالا * ولم يك كنزه ذهبا ولكن * سيوف الهند والحلق المذالا

وماذية من الخطي سمر * ترى فيهن لينا واعتدالا
وذخرا من محامد باقيات * وفضل تقى به التفضيل نالا

ومن القصيدة أيضا

مضى

فبعد مدة وضع له كتاب من قاسم باشا باني المدرسة المذكورة كرها بأني قد بنيت تلك المدرسة لأجلك وشرطت درسها لك ما دمت حيا فان لم تقبلها لأهدمنها من أساسها فاضطر المرحوم الى قبولها فأعطيت له ثانيا بخمسين فلما مضى عليه برهة من الزمان ابتلي بتعليم مصطفى خان بن السلطان سليمان خان فلما وصل اليه حل محلا رفيعا ومسندا منيعا وعلت كلمته وارتفعت مرتبته وكان لا يقطع أمرا الا بمشورته ولا يفعل شيأ الا بمباشرته ومعرفته وبقي في أوفر عيش وأرغد عيش حتى غضب أبوه وقصد دماره ثم قتله ومحا آثاره فلما قتل بغربة العذاب وتقطعت به الاسباب وقتل بعضهم السلطان وقهر فلا جرم تفرقوا من سطوته شذر مذر فلما رأى المرحوم من بدره أفوله ساق الجدار الحول حوله وتوجه ثانيا الى الانقطاع من الناس خوفا من حلول البأس فاستولى عليه من الفقر والفاقة ما لا يحتمله طاقة وكان يكتب في بعض أزمانه ويقتات بأثمانه وما أصدق من قال حيث أبان عن هذه الاحوال (شعر)

واني رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرني في أول الامر لم أزل * على حذر من غمه في عواقبه

ومع ذلك لم يظهر التحسر

مضى لسبيله من كنت ترجو * به عثرات دهرك أن تقالا
فلست بمالك عبرات عين * أبت بدموعها إلا انهمالا
وفي الأحشاء منك غليل حزن * كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمي ولوني * معا عن عهدها قلبا فحالا
أرى مروان عاد كذي نحول * من الهندي قد فقد الصقالا
رأت رجلا براه الحزن حتى * أضر به وأورثه خبالا
فقلت لها الذي أنكرت مني * لفجع مصيبة أنكى وغالا
وأيام المنون لها صروف * تقلب بالفتى حالا فحالا

ومن القصيدة أيضا

كأن الليل واصل بعد معن * ليالي قد قرن به فطالا
فلهف أبي عليك إذا العطايا * جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف أبي عليك إذا اليتامى * غدوا شعثا كأن بهم سلالا
ولهف أبي عليك إذا القوافي * لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا * لها تلقي حواملها السخالا
أقمنا باليمامة إذ يئسنا * مقاما لا نريد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا
وما شهد الوقائع منك أمضى * وأكرم مقدما وأشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قال * إذا هو في الأمور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتي * على أعدائه جعلت وبالا
ومعترك شهدت به حفاظا * وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك أخو أمية بالمراثي * مع المدح الذي قد كان قالا
أقام وكان نحوك كل عام * يطيل بواسط الرحل اعتقالا
وألقى رحله أسفا وآلى * يمينا لا يشد له حبالا

وهذه المرثية من أحسن المراثي وقال عبد الله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء دخل مروان بن أبي حفصة على جعفر البرمكي فقال له ويحك أنشدني من مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل أنشدك من مديحي فيك فقال جعفر أنشدني من مرثيتك في معن فأنشأ يقول

وكان الناس كلهم لمعن * إلى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه فلما فرغ قال له جعفر هل أثابك على هذه المرثية أحد من أولاده وأهله شيئا قال لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال أصلح الله الوزير أربعمائة دينار قال جعفر فأنا أظن أنه كان لا يرضى لك بذلك وقد أمرنا لك عن معن رحمه الله تعالى بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن ألفا وستمائة دينار قبل أن تنصرف إلى رحلك فقال مروان يذكر جعفرا وما سمح به عن معن

نفحت مكافئا عن قبر معن * لنا مما تجود به سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيى * لنادبه ولم ترد المطالا
فكافأ عن صدى معن جواد * بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناء في المكارم لن ينالا
كأن البرمكي بكل مال * تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني عن محمد اليزيدي النديم أنه دخل على هرون الرشيد فقال له أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة فأنشده بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه ثم قال إن مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فإنه كان إذا مدح خليفة أو من دونه قال له أنت قلت في مرثيتك

وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مديحا فقال له من

والأسف وسار سيرة السلف وستر الحزن والكآبة ولزم مسجده وفتح بابه وأظهر الاهتمام في أداء وظائف الخدام حتى حكم فرقة من الناس بأن هذه الحالات ليست إلا محض الكرامات وقصد إليه بالنذور والقرابين أرباب السفن وطائفة الملاحين وكان رحمه الله قد حفر قبره وهيأ لموته وانتظره وادخر ألف درهم للتجهيز والتكفين وأدى زكاته مدة عشر سنين ومات رحمه الله من مرض الهيضة سنة تسع وستين وتسعمائة وقبره رحمه الله تعالى عند مسجده في قصبة قاسم باشا يسر الله في عقباه ما شاء وحزن الناس بموته وتذكروا آثاره وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يمل إلى التوليد والاستيلاد وكان رحمه الله بهي المنظر لطيف المحاورة والمحاضرة حسن المباشرة موصوفا بالعفة والصلاح يلوح من جبينه آثار الفوز والفلاح وكان رحمه الله جوادا لا يلبث في ساحته واحد غير جوده وسماحته وكان رحمه الله مكبا على التأليف وحريصا على التحرير والتصنيف فكتب كل ما خطر بباله من غير تغيير مستقيم عن حاله ومع ذلك لم ينظر إلى موضع مرتين ولم يرجع إليه مرة ثانية فلم يتيسر له الإحسان والإجادة وخلت تصانيفه عن الإفادة ولا غرو

أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له المهدي ألست القائل * وقلنا أين نرحل بعد معن * وأنشده البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لا شئ لك عندنا جروا برجله قال فجروا برجله حتى أخرجوه فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي أولها * طرقتك زائرة فحي خيالها * وقد تقدم ذكر بعضها في ترجمة مروان قال فأنصت لها المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيأ فشيأ منها حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ثم قال له كم بيت هي فقال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكرناه في ترجمته لكنه يختلف باختلاف الروايات ويقال انها أول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الأيام أن أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد أنشده شعرا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له ألست القائل في معن كذا وأنشده البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فانه لا شئ له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته ومن المراثي النادرة أيضا أبيات الحسين بن مطير بن الأشيم الأسدي في معن بن زائدة أيضا وهي من أبيات الحماسة

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

ويا قبر معن أنت أول حفرة * من الأرض خطت للمكارم مضجعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقد سبق لمعن في ترجمة الصاحب بن عباد نادرة مستظرفة فلا حاجة الى اعادتها هنا ولولا الخوف من الاطالة لأتيت من محاسنه بكل نادرة بديعة والحوفزان بن شريك الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة أخو جده مطر بن شريك وانما قيل له الحوفزان لأن قيس بن عاصم المنقري حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ومعنى حفزه أي دفعه من خلفه واسم الحوفزان الحرث بن شريك وقيل ان الذي حفزه بسطام بن قيس الشيباني والأول أصح والله تعالى أعلم

(أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني المروزي)

أصله من بلخ وانتقل الى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبير وعطاء بن أبي رباح المقدم ذكره وأبي اسحق السبيعي وقد تقدم ذكرهما أيضا والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني المقدم ذكره وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الأجلاء حكي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام وروي ان أبا جعفر المنصور كان جالسا فسقط عليه الذباب فطيره فعاد اليه وألح عليه وجعل يقع على وجهه وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره فقال المنصور انظروا من بالباب فقيل له مقاتل بن سليمان فقال علي به فأذن له فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب قال نعم ليذل الله عز وجل به الجبابرة فسكت المنصور وقال ابراهيم الحربي قعد مقاتل بن سليمان فقال سلوني عما دون العرش فقال له رجل آدم صلى الله عليه وسلم حين حج من حلق رأسه قال مقاتل ليس هذا من علمكم ولكن الله تعالى أراد أن يبليني لما أعجبتني نفسي وقال سفيان بن عيينة قال مقاتل بن سليمان يوما سلوني عما دون العرش فقال له انسان يا أبا الحسن أرأيت الذرة والنملة معاها في مقدمها أم في مؤخرها قال فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له قال سفيان فظننت انها عقوبة عوقب بها وقد

ية فما كل هاتفة ورقاء
وما كل ناظرة زرقاء غير
انه ترك من شروح بعض
الكتب الفارسية آثارا
جميلة ومؤلفات لا نظير
لها في الاتقان جليلة
(تواليفه العربية) منها
الحواشي الكبرى على
تفسير البيضاوي وأولها
الحمد لله الذي جعلني
كشاف القرآن وصيرني
قاضيا بين الحق والبطلان
والحواشي الصغرى عليه
وشرح البخاري قريبا الى
النصف وحاشية على
التلويح وحاشية على أوائل
الهداية وشرح لبعض
المتون المختصرة (تصديقه)
شرح كتاب المثنوي المولوي
في مائة كراس كبيرة وكان
من عادته أن يعقد المجالس
في مسجده وينقل ذلك
الكتاب بأوفق تقرير
وأوضح بيان فيزدحم الناس
عليه من كل مكان وشرح
كتاب گلستان وكتاب بوستان
وشرح ديوان حافظ
الشيرازي وشرح كتاب
شبستان خيال وشرح عدة
رسائل في فن المعمى وقد
ترجم عدة كتب بالتركي
كالهوحر من الطب وروض
الرياحين من المحاضرات
وقد بلغ عمره الى اثنتين
وسبعين سنة كتب الله
له ألف حسنة
*(ومن علماء هذا الأوان
المولى محيي الدين الشهير
بقرجيات)*
نشأ رحمه الله في قصبة

اختلاف العلماء في أمره فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه الى الكذب قال بقية بن الوليد كنت كثيرا اسمع شعبة بن الحجاج وهو يسئل عن مقاتل فما سمعته قط ذكره الا بخير وسئل عبد الله بن المبارك عنه فقال رحمه الله لقد ذكر لنا عنه عبادة وروى عن عبد الله بن المبارك أيضا انه ترك حديثه وسئل ابراهيم الحربي عن مقاتل هل سمع من الضحاك بن مزاحم فقال لا مات الضحاك قبل ان يولد مقاتل باربع سنين وقال مقاتل اغلق علي وعلى الضحاك باب أربع سنين قال ابراهيم وأراد بقوله باب يعني باب المدينة وذلك في المقابر وقال ابراهيم أيضا ولم يسمع مقاتل عن مجاهد شيأ ولم يلقه وقال أحمد بن سيار مقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ وتحول الى مرو وخرج الى العراق وهو متهم متروك الحديث مهجور القول وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني مقاتل بن سليمان كان دجالا جسورا وقال أبو عبد الرحمن النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة والواقدي ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن سعيد يعرف بالمصلوب بالشام وذكر وكيع يوما مقاتل بن سليمان فقال كان كذابا وقال أبو بكر الآجري سألت أبا داود سليمان ابن الاشعث عن مقاتل بن سليمان فقال تركوا حديثه وقال عمرو بن علي الفلاس مقاتل بن سليمان كذاب متروك الحديث وقال البخاري مقاتل بن سليمان سكتوا عنه وقال في موضع آخر لا شيء البتة وقال يحيى بن معين مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء وقال أحمد بن حنبل مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني ان أروي عنه شيأ وقال أبو حاتم الرازي هو متروك الحديث وقال زكريا بن يحيى الساجي مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا كان كذابا متروك الحديث وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث وبالجملة فان الكلام في حقه كثير وقد خرجنا عن المقصود لكن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء في شأنه وتوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الازدي والمروزي فاغنى عن الاعادة والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي الملقب شبل الدولة)

كان من أولاد أمراء العرب فوقعت بينه وبين اخوته وحشة أوجبت رحلته عنهم ففارقهم ووصل الى بغداد ثم خرج الى خراسان وانتهى الى غزنة وعاد الى خراسان فاختص بالوزير نظام الملك وصاهره ولما قتل نظام الملك رثاه أبو الهيجاء المذكور ببيتين تقدم ذكرهما في ترجمته ثم عاد الى بغداد وأقام بها مدة وعزم على قصد كرمان مسترفدا وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء وكان من الاجواد المشاهير فكتب الى الامام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الانعام عليه بكتاب الى الوزير المذكور يتضمن الاحسان اليه فوقع المستظهر على رأس قصته يا أبا الهيجاء ابعدت النجعة أسرع الله بك الرجعة وفي ابن العلاء مقنع وطريقته في الخير مهيع وما يسديه اليك يستحلي ثمرة شكره ويستعذب مياه بره والسلام فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الاسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه الى كرمان فلما وصلها قصد حضرة الوزير واستأذن في الدخول فاذن له فدخل عليه وعرض على رأيه القصة فلما رآها قام وخرج عن دسته اجلالا لها وتعظيما لكاتبها وأطلق لابي الهيجاء ألف دينار في ساعته ثم عاد الى دسته فعرفه أبو الهيجاء ان معه قصيدة يمدحه بها فاستنشده فانشده

دع العيس تذرع عرض الفلا * الى ابن العلاء والا فلا

فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى ولما أكمل انشاده القصيدة أطلق له ألف دينار أخرى وخلع عليه وقاد اليه جوادا بمركبه وقال له دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع وقد دعا لك بسرعة الرجوع وجهزه بجميع ما يحتاج اليه فرجع الى بغداد وأقام بها قليلا ثم سافر الى ما وراء النهر وعاد الى خراسان ونزل الى مدينة هراة وهويها لما رأى أوأكثر من التشبيب فيها ثم رحل الى مرو واستوطنها ومرض في آخر عمره

ا في بازى وطلب العلم وخرج من هذه البلاد فاجتمع بافاضل عصره واستفاد منهم المولى مصلح الدين المشتهر بطاشكبري زاده والمولى محمد شاه الشهير بداية ثم صار ملازما للمولى خير الدين معلم السلطان ففاز بحظ الناهور من بين الاقران ثم درس بالمدرسة القرازية في بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة أمير سلطان بثلاثين ثم مدرسة قره كوز باشا بقصبة قليه بار بعين ثم مدرسة علي باشا بقسطنطينية بالوظيفة المذكورة ثم مدرسة كبرة بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد بجوار مرقد أبي أيوب الانصاري عليه رحمة العزيز الباري ثم الى احدى المدارس الثمان ثم ولي الافتاء والتدريس باماسيه وعين له كل يوم سبعون درهما ثم زيد عليها عشرة ثم عزل بكائنة خروج السلطان بايزيد ابن السلطان سليمان ثم عين له كل يوم سبعون درهما وتوفي سنة سبع وستين وتسعمائة وكان رحمه الله رجلا سليما ماسورة العيب مطارح التكلف كثير التواضع لا يضمر السوء لاحد * ومنهم العلامة الامير المذكور ابن بايزيد خان المزبور كان أمير اللواء في قصبة كوتاهية فقلده أبوه السلطان سليمان امارة اماسيه ونصب مكانه أخاه

وتسودن وحمل الى البيمارستان وتوفى به فى حدود سنة خمس وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان من جملة الادباء الظرفاء وله النظم البديع الرائق وبينه وبين العلامة أبى القاسم الزمخشرى المقدم ذكره مكاتبات ومداعبات وكتب اليه قبل الاجتماع به

هذا أديب كامل * مثل الدرارى دره * زمخشرى فاضل * أعجبه زمخشره

كالبحر ان لم أره * فقد أتانى خبره

فكتب اليه الزمخشرى

شعره أمطر شعرى شرفا * فاعتلى منه بباب الحسد

كيف لا يستأسد النبت اذا * بات مسقيا بنوء الاسد

وله كل مقطوع لطيف رحمه الله تعالى والوزير المذكور هو الذى تقدم ذكره فى ترجمة أبى اسحق ابراهيم الغزى الشاعر المشهور فانه قصده بكرمان وامتدحه بقصيدة بائية طنانة ذكرت منها فى ترجمة الغزى بيتين هما من الشعر العجيب وضمنهما المعنى الغريب وأول هذه القصيدة

ورود ركايا الدمع يكفى الركائبا * وشم تراب الربع يشفى الترائبا

اذا شمت من برق العقيق عقيقة * فلا تتجع دون الجفون السحائبا

ومنها عند الخروج الى المديح

وعيس لها برهان عيسى بن مريم * اذا أقبل الفج العميق المطالبا

ترقصهن الآل اما طوافيا * تراهن فى أودية أو رواسبا *

سوانح كالنينان تحسب أننى * مسحت المطايا اذ مسحت السباسبا

تنسمن من كرمان عرفا عرفنه * فهن بلا عين النشاط لواعبا *

يممن وراء الخافقين من المنى * مشارق لم يؤبه لها ومغاربا *

الى ماجد لم يقبل المجد وارثا * ولكن سعى حتى حوى المجد كاسبا

تبسم ثغر الدهر منه بصاحب * اذا حل لم يصحب سوى العزم صاحبا

ومنها أيضا

تصح له الاسماع ما دام قائلا * وتعنو له الابصار ما دام كاتبا

ولم أر ليثا خادرا قبل مكرم * ينافس فى العليا ويعطى الرغائبا

ولو لم يكن ينبوع الجود لم يكن * اذا صال بالاقلام صارت مخالبا

ومنها أيضا

اذا ان قوما بالمناقب واصف * ذكرت له فضلا يزين المناقبا

له الشيم الشم التى لو تجسمت * لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا * ثنى نحوه عطفا الوزارة طرفه

فصارت بأدنى لحظة منه كاعبا * تناول أولاها وما مد ساعدا * وأحرز أخراها وما قام واثبا

وهى من غرر القصائد وفى هذا الانموذج منها دلالة على الباقى والله أعلم

(أبو حسان المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنى عبد الرحمن ابن يزيد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلى الملقب حسام الدولة صاحب الموصل)

كان أخوه أبو الذواد محمد بن المسيب أول من تغلب على الموصل وملكها من أهل هذا البيت وذلك فى سنة ثمانين وثلثمائة وتزوج بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه الديلمى ابنته فلما مات أبو الذواد فى سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده وكان أعور وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ان ذلك فى سنة ست وثمانين وان أبا الذواد لما توفى طمع المقلد فى الملك فلم يساعده بنو عقيل وقدموا أخاه عليا لكبر سنه ثم توصل بالحيل حتى ملك وأطال القول فى ذلك فاختصرته وهذا حاصله وقال غير ابن الاثير انه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير فغلب على سقى الفرات واتسعت مملكته ولقبه الامام القادر بالله وكناه وانفذ اليه

الاكبر سلطاننا السلطان سليم خان المظفر فاستشعر بايزيد خان المزبور من الامير المذكور ميلا من أبيه الى جانب أخيه بسبب ان مكوثه قريبا الى قسطنطينية من اماسيه فامتلأت من ذلك نفسه حسدا وغيظا تاليا قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى فصمم فى الخروج عن طاعة أبيه السلطان والاغارة على أخيه سليم خان فاجتمع عليه أصحاب البغى والفساد من الذين طغوا فى البلاد من لصوص الاتراك وأشرار الاكراد وجند الجنود وحشد الحشود وعزم على القتال مغترا بمن عنده من أرباب البغى والضلال ولم يدر ان عاثر البغى لا نجيه ساقط لا محالة فيه فلما وصل هذا الخبر الى أبيه السلطان أرسل اليه ينصحه ويعاتبه على هذا البغى والعدوان ولم يزده النصح الا البغى والنفور والرعونة والغرور ولم ينحرف عن جادة خسرانه ولم يرتدع عن طريقة طغيانه وأبى عن قبول النصح واستكبر وكان باغيا فى أرضه فاستنفر فداس البلاد بمن التف عليه من أرباب الفساد وقصد الى قتال أخيه معلنا بالخروج عن طاعة أبيه فلما استيقنه السلطان أشار الى من عنده من الابطال والفرسان ليلحقوا الى ابنه سليم خان و يتفقوا على تدمير الفئة

بالرواع والخلع ولبسها بالانبار واستخدم من الديلم والاتراك ثلاثة آلاف رجل واطاعته خفاجة وكان فيه فضل ومحبة لاهل الادب وينظم الشعر حكى أبو الهيجاء عمران بن شاهين قال كنت مسايرا معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد المذكور ما بين سنجار ونصيبين فنزلنا ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل بقصر هنالك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلا على بساتين ومياه كثيرة فدخلت عليه فوجدته قائما يتأمل كتابة على الحائط فقرأتها فاذا هي

يا قصر عباس بن عمـ * رو كيف فارقك ابن عمرك * قد كنت تغتال الدهو

ر فكيف غالك ريب دهرك * واهاً لعزك بل لجو * دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحتها مكتوب وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي وقد تقدم ذكره قال الراوي وكان تحت ذلك مكتوب

يا قصر ضعضعك الزما * ن وحط من علياء قدرك * ومحا محاسن أسطر

شرفت بهن متون جدرك * واهاً لكاتبها الكريـ * ـم وقدره الموفي لقدرك

وتحت الابيات مكتوب وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه في سنة اثنتين وستين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ابن أخي سيف الدولة وقد سبق ذكر والده أيضا في حرف الحاء وتحت ذلك مكتوب

يا قصر ما فعل الألى * ضربت قبابهم بعقرك   أخنى الزمان عليهم * وطواهم تطويل نشرك

واهاً لقاصر عمر من * يختال فيك وطول عمرك

وتحته مكتوب وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة وتحت ذلك مكتوب

يا قصر ما صنع الكرا * م الساكنون قديم عصرك

عاصرتهم فبددتهم * وشأوتهم طراً بصبرك   ولقد أثار تفجعي * يا ابن المسيب رقم سطرك

وعلمت أني لاحق * بك دائباً أقفو أثرك

وتحته مكتوب وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة احدى وأربعمائة قال الراوي فعجبت من ذلك وقلت له الساعة كتبت هذا فقال نعم وقد هممت بهدم القصر فانه مشؤم قد دفن الجماعة فدعوت له بالسلامة وانصرفت ورحلت بعد ثلاثة أيام ولم يهدم القصر وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بني سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي وكان يتولى اليمامة والبحرين وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة فأول أمرهم قاتلوه وكسروه وأسروه ثم أطلقوه فرجع الى المعتضد ودخل بغداد ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين وقال أبو عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه توفي العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين وثلثمائة ومن العجائب انه توجه اليهم في عشرة آلاف فقتل الجميع وسلم وحده وعمرو بن الليث الصفار حارب اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان وهو في خمسين ألفا فأسره ونجا الباقون وكان بين ما كتبه سيف الدولة وبين ما كتبه قرواش سبعون سنة وقد سبق نظير هذه الحكاية في ترجمة عبد الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان فلينظر هنالك وبينما المقلد المذكور في مجلس أنسه وهو بالانبار اذ وثب عليه غلام تركي فقتله وذلك في صفر سنة احدى وتسعين وثلثمائة ويقال انه مدفون على الفرات بمكان يقال له شفيا بين الانبار وهيت ويحكى ان هذا التركي سمعه وهو يقول لرجل ودعه وهو يريد الحج اذا جئت ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقف عنده وقل له عني لولا صاحباك لزرتك ولما مات رثاه الشريف الرضي بقصيدتين ورثاه جماعة من الشعراء وكان ولده معتمد الدولة أبو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الامر من بعده وكان له عمان ينازعانه في الامر أحدهما أبو الحسن بن المسيب والآخر أبو مرح مصعب بن المسيب فتوفي أبو الحسن بن

الباغية واستئصال الفرقة الطاغية فأجابوه بالسمع والطاعة وتقلدوا بجرائر التباعة فلما وصل الفئة الباغية الى ظاهر قونية كالقضاء المبرم عارضهم السلطان سليم خان بجيش جرار عرمرم فلما اجتمع به الفئتان وتقابل الفريقان ودارت رحى الحرب وحمى الوطيس وتصادم الخميس بالخميس قامت معركة كلت عن وصفها ألسنة الاسنة وأجهضت بشدائدها في الارحام الاجنة وترامت الغلبة في اليوم الاول من جانب البغاة على زعمة المهشفين السراة فلما أصبحوا في اليوم الثاني وتعاطوا الحرب والنزال نادى منادي الحال ألا ان الحرب سجال ونصر الله جنوده ورفع أعلامه وبنوده فهزموهم باذن الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقصموا أصلابهم ثم قسموا أسلابهم وهبت الظفر من جانبهم والغدر عاجله العار وآجله الدخول في النار وما أصدق ابن دريد حيث يقول

(شعر)

من ملك الحرص القياد لم يزل
يكرع في ماء من الذل صرى
من لم يقف عند انتهاء قدره
تقاصرت عنه فسيحات الخطى
من ضيع الحزم جنى لنفسه
ندامة ألذع من سفع الذكا

المسيب سنة اثنتين وتسعين وتوفي أبو منيع سنة سبع وتسعين فتفرد قرواش بالملك واستراح خاطره منهما
وكانت له بلاد الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات وخطب في بلاده للحاكم صاحب مصر المقدم ذكره في
سنة احدى وأربعمائة ثم رجع عن ذلك ووصلت الغز الى الموصل ونهبوا دار قرواش وأخذوا منها ما يزيد على
مائة ألف دينار فاستنجد بنور الدولة أبي الأغر دبيس بن صدقة المقدم ذكره فأنجده واجتمعا على محاربة الغز
فنصروا عليهم وقتل الكثير منهم ومدحه أبو علي بن الشبل البغدادي الشاعر المشهور بقصيدة ذكر فيها
هذه الواقعة فمنها قوله

نزعت أرضاك عن قبور جسومهم * فغدت قبورهم بطون الانسر
من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا * من هذه الدنيا بكل مظفر
فتوارتاج السد عن يأجوجه * ولقوا بأسك سطوة الاسكندر

وكان قرواش المذكور أديبا شاعرا ظريفا له أشعار سائرة فمن ذلك ما أورده له أبو الحسن الباخرزي في أول
كتاب دمية القصر وهو قوله لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعنني * سيفا وأطلق طرقهن غرار وأورد له أيضا

من كان يحمد أو يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده * فأنا امرؤ لله أشكر وحده
شكرا كثيرا جالبا لمزيده * لي أشقر سلس العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج في تجريده * ومثقف لدن السنان كأنما
أم المنايا ركبت في عوده * وبذا حويت المال الا انني * سلطت جود يدي على تبديده

ما أحسن هذا الشعر وأمتنه ومن المنسوب اليه أيضا

وآلفة للطيب ليست تغبه * منعمة الاطراف لينة اللمس
اذا ما دخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وذكر الباخرزي المذكور في دمية القصر أيضا لابي حويه ابن عم الامير قرواش المذكور

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا * لا يعدلون برفدهم عن سائل
عدل الزمان عليهم أو جارا * واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا زنادا لحرب أخمد نارها * قدحوا بأطراف الاسنة نارا

ومن جملة شعراء دمية القصر أيضا الطاهر الجزري وقد مدح قرواشا المذكور بقوله وهو في نهاية الحسن
في باب الاستطراد وليل كوجه البرقعيدي ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه * على أولق فيه التفات كأنه
أبو جابر في طيشه وجنونه * الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

ولشرف الدين بن عنين الشاعر المقدم ذكره على هذا الاسلوب في فقيهين كانا بدمشق ينبز أحدهما بالبغل
والآخر بالجاموس البغل والجاموس في جدليهما * قد أصبحا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحثا * هذا بقرنيه وذا بالحافر * ما أتقنا غير الصياح كأنما
لقنا جدال المرتضى بن عساكر * لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر
اثنان ما لهما وحقك ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر

ولقد حكى بعض الاصحاب انه سأل ابن عنين عن أبيات الطاهر الجزري فاستحسن بناءه عليها فغلب انه
ما كان سمعها والله أعلم ومدلويه المذكور لقب كان ينبز به الرشيد عبد الرحمن بن محمد بن بدر بن الحسن
ابن الفرج بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسي وكان مقيما بدمشق ولابن عنين فيه عدة مقاطيع هجو
وتوفي في منتصف صفر سنة تسع عشرة وستمائة بدمشق المحروسة ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى وذكر
في كتاب الدمية أيضا للطاهر الجزري المذكور أبياتا لطيفة أحببت ذكرها وهي

ويقال ان عدد من قتل في المعركة من الفريقين تزيد على عشرة آلاف سوى من هلك في الطرق والاطراف ولما تفرق عسكر السلطان بايزيد المزبور كر راجعا وردالى اماسيه هاربا نادما على فعله القبيح ومعترفا بخطئه وطيشه الصريح فاحضر الشيخ خير الدين الاعبادي والمولى حريجات وتاب على يد الشيخ المزبور عما صدر عنه من البغي والعدوان وأشهدهما على الرجوع والارتداع وأرسلهما الى السلطان للشهادة بذلك والاستشفاع وقبل وصولهما الى السلطان تحول عن رأيه وعاد الى غيه وأخذ أولاده الثلاثة الكبار وتوجه الى بلاد العجم ثم لحق عند من الاشرار فقبل وصولهما الى عتبة السلطان ظهر خلاف ما رآه من خير ترك العصيان فكره السلطان مجيئهما وتغير عليهما في بيت في قسطنطينية حتى ظهر حقيقة الامر من انهما لم يقصدا النفاق ولم يتفقا على الاختلاف وأطلقهما وعزل المولى المزبور عن منصب القضاء وعين له سبعين درهما على ما ذكرنا وآخر أمر الامير بايزيد انه سافر وجد في سيره ولم يقدر أحد من الامراء العثمانية على منعه وضبطه وان تابع الامير به اليهم

انظر الى شطأ ابن شبل فى الهوى * اذ لا يزال لكل قلب شائقا * شغل النساء عن الرجال وطالما
شغل الرجال عن النساء مراهقا * عشقوه أمرد فالتحى فعشقته * الله أكبر ليس يعدم عاشقا

ثم وجدت فى كتاب الخريدة فى ترجمة أبى نصر ابن النحاس الحلبى البيتين الاخيرين من هذه الابيات الثلاثة وقال أورده أبو الصلت فى الخريدة له يعنى لابن النحاس والله أعلم (رجعنا الى حديث الامير قرواش) وكان كريما وهابا نهابا سائرا على سنن العرب نقل انه جمع بين أختين فى النكاح فلامته العرب على ذلك فقال خبرونى ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة وكان يقول ما فى رقبتى غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم فاما الحاضرة فما يعبأ الله بهم ودامت امارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين أخيه بركة بن المقلد وكان خارج البلد فقبض بركة عليه فى سنة احدى وأربعين وأربعمائة وقيده وحبسه فى الجراحية احدى قلاع الموصل وتولى مكانه ولقب بركة بزعيم الدولة وأقام فى الامارة سنتين وتوفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالى قريش بن أبى الفضل بدران بن المقلد وكان بدران المذكور صاحب نصيبين وتوفى فى رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة فاول ما فعل قريش انه قتل عمه قرواشا المذكور فى محبسه فى مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن بتل توبة شرقى الموصل وكان فصيحا شاعرا كريما شجاعا وقرواش بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الالف شين معجمة وهو فعوال من القرش وهو فى اللغة الكسب والجمع وبه سميت قريش أيضا لانها كانت تعانى التجارة واجتمع قريش مع أرسلان البساسيرى المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم ان الامام القائم بأمر الله جرى على بجيته فى الحلم وكتب الى السلطان طغرلبك المقدم ذكره فى المحمدين ليرضى عنه وورد الخبر بعد ذلك بوفاته أعنى قريش ابن بدران فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فى أوائلها بالطاعون بمدينة نصيبين وكان عمره احدى وخمسين سنة وولى بعده امارة بنى عقيل ولده أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة وكان قد طمع فى الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقى المتقدم ذكره ثم رجع عن ذلك واستولى على ديار ربيعة ومضر وملك حلب وأخذ الاتاوة من بلاد الروم وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها فبلغه ان حران عصى عليه أهلها فرحل اليهم وحاربوه ففتحها وقتل خلقا كثيرا من أهلها وذلك فى سنة ست وسبعين وأربعمائة واتسعت له المملكة ولم يكن فى أهل بيته من يماثله وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها وكانت الطرقات فى بلاده آمنة ومن جملة ما نقل عنه ان ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره مات عنده وخلف أكثر من عشرة آلاف دينار فحمل ذلك الى خزانته فرده وقال لا يتحدث عنى أحد أنى أعطيت شاعرا مالا ثم شرهت نفسى فأخذته وانه دخل خزانتى مال جمع من أوساخ الناس وكان يصرف الجزية فى جميع بلاده الى الطالبيين لا يأخذ منها شيأ وهو الذى عمر سور الموصل وكان ابتداء عمارته يوم الاحد ثالث شوال سنة أربع وسبعين فرغ من عمارته فى ستة أشهر وأخباره كثيرة وجرى بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب الروم مصاف فقتل على باب انطاكية فى خامس عشر صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة يوم الجمعة وعمره خمس وأربعون سنة وشهور هكذا قاله محمد بن عبد الملك الهمدانى فى كتابه الذى سماه المعارف المتأخرة وذكر أيضا ابن الصابى فى تاريخه ان مولد مسلم بن قريش يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة والله أعلم وذكر الموفق فى تاريخه انه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه فى الحمام وذكر له واقعة فى ذلك وذلك فى سنة أربع وسبعين والله أعلم بالصواب ورتب السلطان ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره ولده أبا عبد الله محمدا فى الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور وزوجه أخته زليخا بنت السلطان ألب ارسلان وكان والده مسلم بن قريش اعتقل أخاه أبا سالم ابراهيم بن قريش بقلعة سنجار مدة أربع عشرة سنة فلما هلك مسلم وتقدم ولده محمد فى الامارة اجتمع أهله على ابراهيم المذكور فأخرجوه وقدموه عليهم ثم اعتقله ملكشاه وولى ابن أخيه محمدا المذكور فلما مات ملكشاه أطلق وجمع ابراهيم العرب وحارب تاج الدولة تتش السلجوقى المذكور فى حرف التاء مكان يعرف بالمضيع فقتله تاج الدولة تتش صبرا فى سنة ست

من جانب السلطان حتى وصل الى بلاد العجم فى قليل من الزمان فاستقبله رئيس الملحدين وعمدة المتمردين شاه طهماسب فانقر بسبب من أصحابه يمكن استئصاله من معظم خلاصة أحزابه فعرض على بايزيد خان بعض من أمرائه الشجعان أن يأخذوا طهماسب ويقتلوا أصحابه ويستأصلوا أحزابه فغلب عليه الجبن والخوف فلم يكن به راضيا وأخطأ فى رأيه ثانيا فكان فى الامر مصداق ما قاله الشاعر

اذا المرء لم يعرف مصالح نفسه
ولا عنوان قال الاحباب يصنع
فلا ترج منه الخير واتركه انه
بأيدى صروف الحادثات مضيع

ولما اجتمعا أظهر طهماسب فى وجه بايزيد تودداعظيما ووعده جميلا وأتى به مع أصحابه الى بلده ثم فرق أصحابه بأنواع الخدع والحيل حتى غدر به نفسه مع أولاده فكان يضرب به المثل وقتل أكثر أصحابه وخلص بعضهم نفسه بالدخول فى مذهبهم الباطل واحتال بعضهم حتى وصل الى ديار الاسلام ونجا من ذلك الخطب الهائل اللهم سلط عليهم من يأخذ ثارهم ويخرب

وثمانين وأربعمائة ومن أمراء بني عقيل أيضا أبو الحرث مهارش بن المجلي بن عليث بن قبان بن شعيب بن المقلد الأكبر بن جعفر بن عمرو بن المهنا المذكور في أول هذه الترجمة ومهارش المذكور هو صاحب الحديثة وهو الذي نزل عليه الإمام القائم في قصة البساسيري لما خرج من بغداد وبالغ في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه فأقام عنده سنة وهي واقعة مشهورة فلا حاجة إلى شرحها وكان مهارش المذكور كثير الصدقة والصلوات ملازم الجمع والجماعات وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وعمره ثمانون سنة والله تعالى أعلم

(أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الأمير سديد الدولة أبي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره)

كان رجلا نبيل القدر سائر الذكر رزق السعادة في بنيه وحفدته وقد تقدم في ترجمة ولده المذكور طرف من بدء أمرهم وكيف ملكوا القلعة المذكورة وكان والده مقلد المذكور في جماعة كثيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم وكانوا يترددون إلى حماة وحلب وتلك النواحي ولهم بها الدور النفيسة والأملاك المثمنة وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر وكان ملوك الشام يكرمونهم ويجلون أقدارهم وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم وكان فيهم جماعة أعيان رؤساء كرماء علماء وقد سبق ذكر أسامة بن منقذ وهو من أحفاده ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته إلى أن توفي في ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة بحلب وحمل إلى كفر طاب ورأيت في ديوان ابن سنان الخفاجي الشاعر عقيب أشعاره في المذكور يقول ما صورته وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة والله أعلم بالصواب رحمه الله تعالى ورثاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين بهذه القصيدة وهي من فائق الشعر وأنشدها ولده أبي الحسن علي المذكور وسأذكرها كلها إن شاء الله تعالى وإن كانت طويلة لكنها غريبة قليلة الوجود بأيدي الناس وما رأيت أحدا يحفظ منها إلا أبياتا يسيرة فأحببت ذكرها لذلك وهي هذه القصيدة

ألا كل حي مقصدات مقاتله * وآجل ما يخشى من الدهر عاجله
وهل يفرح الناجي السليم وعنده * حبيل الردى قدامه وحبائله
لعمر الفتى أن السلامة تسلم * إلى الحين والمغرور بالعيش آمله
فيسلب أثواب الحياة معارها * ويقضي غريم الدين من هو ماطله
متى قيصر لم تغن عنه قصوره * وجدله كسرى ما حمته حباله
وما صد هلكا عن سليمان ملكه * ولا منعت منه أباه سرابله
ولم يبق إلا من يروح ويغتدي * على سفر ينأى عن الأهل قافله
وما نفس الإنسان إلا خزامة * بأيدي المنايا والليالي مراحله
فهل غال بدأ مخلص الدولة الردى * وهل تنزوي عن سواه غوائله
ولكن حوض الحمام فقارط * إليه وتال مسرعات رواحله
لقد دفن الأقوام أروع لم تكن * بمدفونة طول الزمان فضائله
سقى جدثا حالت عليه ترابه * أكفهم طل الغمام ووابله
ففيه سحاب يرتع المحل هديه * وبحر ندى يستغرق البر ساحله
كأن ابن نصر سائرا في سريره * سناء من الوسمي أقشع هاطله
عبر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
أناعيه إن النفوس منوطة * بقولك فانظر ما الذي أنت قائله

ديارهم وتمحوا آثارهم واضرب بهم في نحورهم ونج المسلمين من شرورهم واجعل من خبائث وجودهم الأرض طاهرة واجعلهم عبرة للعالمين في الأولى والآخرة ولما وصل الخبر إلى السلطان أرسل إلى طهماسب عدة من أمرائه مع هدايا سنية وتحف سنية وطلب منه أولاده المأسورين فسلمهم المقتولين فلما قبضوا أجسادهم دفنوهم في بلدة سيواس رياضهم وأرواحهم بحرمة سيد الناس وكان بايزيدخان المزبور معروفا بالشجاعة والشهامة والفروسية والسخاء والاستقامة وكان محبا للعلم والعلماء ومترددا إلى مجالس المشايخ والصلحاء وكان صاحب فهم وفراسة إلا أنه أعماه حب السلطنة والرياسة حتى صنع ما صنع ووقع فيما وقع وكان له الحظ الوافر من المعارف والمفاخر وكان ينظم الشعر بالتركي والفارسي وله بالفارسية (شعر)

آن سر كه بانيازبرين آستانه نيست
هركزداش زنيل سعادت نشانه نيست
آن قصه از خسرو وشيرين ميكند
او حسب حال ماست فسون وفسانه نيست
وشمازندو سيداوي ومروزون فانتي

هر گز نواز سر قدم ملب ... انه
نيست ٣
٣ آنرا كه با جنسين غزل
عاشقانه نيست
ومن غرائب الاتفاق انه
كان تهمي في شعره بشاهي
وقد ذهب في آخر عمره الى
شاه طهماسب والتجأ اليه
وآل أمره الى ما أوقفناك
عليه
(ومنهم العالم الفاضل
وواسطة عقد الافاضل
صاحب الجد والافادة
المولى محمد بن محمد الشهير
بعرب زاده)*
نشأ رحمه الله طالبا للتحصيل
وراغبا في التكميل
فاشتغل على موالي عصره
وأفاضل دهره وتتبع
الكتب والرسائل وضبط
القواعد والمسائل وبرز
في الفنون وفاق وصار
بصيته الآفاق وصار
ملازما للمولى خير الدين
معلم السلطان سليمان ثم
قلد المدرسة التي بناها عبد
السلام بقصبة ... بخمس وعشرين ثم صارت
وظيفته فيها الاثنين ثم ولي
باربعين المدرسة التي بناها
السلطان مراد الغازي
بمدينة بروسه المشهورة
بقبلوجه ثم نقل عنها الى
مدرسة محمود باشا
بقسطنطينية بخمسين وقبل
ان يدرس فيها أعطى مدرسة

٣ آنرا كه با جنسين غزل
عاشقانه نيست
مصرع أولى ساقط هنا

بخيل الثرى لم تدر من حل بالثرى * جهلت وقد يستصغر المرء جاهله
هو السيد المهتز للستر بدره * والعود عطفاه وللطعن عامله
أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
فيا عجبا من معي لا تشمي بسائل * على ما جد لم يعرف الشح سائله
متى سألوا المال تبدو بنانه * وان سألوا الضيم تبدو عواطله
وكم عاد عنه بالخسار ممتنع * وكم نال منه قانع ما يحاوله
له الغلب القاضي على كل باسل * يجالده أو كل خصم يجادله
يجالس في روضة طلها الندى * ولكنه في الجمعات مساجله
فيا عمر وأنى قصرت ولم تطل * منازله بل ... حمائله
جرت تحته العلياء مسل عروجها * الى غاية طالت على من يطاوله
فما مات حتى نال أقصى مراده * كما يستتم البدر تمت منازله
فتى طالما يعتاده الجيش عافيا * فيسنزله أو عاديا فينازله
صفوح عن الجاني وصفحة سيفه * اذا هي لم تقتله فالصفح قاتله
وادى عسيب الطرف بعدك هلبه * وعادته أن يقذف الدم كاهله
فيا طرفه ما كان عزك حاملا * اذا صار لو أنك ظهرك حامله
لقد كثر البوس بعد صرع * جرت بيان المشكلات شواكله
اذا ظن لا يخطى كأن ظنونه * على ما يظن الناس عنه دلائله
فلا رحلت عنه نوازل رحمة * ضمائرها وصوله واصائله
وروى ثراه منهل العفو غسله * فقد روت العافين أمس مناهله
قضى الله أن يردى الامير وهذه * سوابقه موقوفة ومناصله
وكل فتى كالبرق ابريق غمده * اذا شامه أو كالذبالة ذابله
فليت ظباء صلت اليوم خلفه * فقلت أعلى غير الصيام صواهله
بني منقذ صبرا فان مصابكم * يصاب به باقي الانام وناعله
اقد جل حتى كل واجد لوعة * اذا لج فيها اليأس يوجد عاذله
اذا صوحت أيدى الرجال فانتم * بني منقذ روض الندى وجداوله
وان فر من وزر الزمان مفرح * فانكم أوزاره ومعاقله
وصاحب على الصبر عنه فأغوى * مصاحب صبر عن حبيب يزايله
وما نام حتى قام منك وراءه * أخو يقظات وافر العزم كامله
كأنكما توأمان في فلك العلا * فطال العهد هنا وذاك آفله
وما كنت أول الامر الا لعلمهم * قيامك بالامر الذي أنت كافله
سعيت الى نيل المكارم سعيه * ولو كنت لا تسعى كفتك فواضله
ولم ترأن ترقى عما كان فاعلا * اجل انما المرفوع بالفعل فاعله
لعمرك اني في الذي عن كله * شريك عنان ناصح الود باذله
وكيف خلو القلب من ذلك الهوى * وقد خالطت بين الشغاف دواخله

نجزت القصيدة بتمامها وكمالها وقد تقدم في ترجمة الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر ثم رثاه بها الفقيه عمارة اليمني وهي على وزن هذه المرثية ورويها ولم أذكر منها هنالك سوى أبيات قلائل لكثرة وجود ديوان عمارة بايدي الناس وهذه لا تكاد توجد بكمالها فلهذا أثبتها ههنا وقد تقدم منها ذكر بيتين في ترجمة الوزير

جمال الدين أبي جعفر محمد المعروف بالجواد الاصبهاني وزير الموصل وتوفي أخوه أبو المغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ورثاه الشيخ الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين ابن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور صاحب ديوان الشعر بقوله وهو من شعره القديم زمن الصبا

غربت خلائقه الحسان غريبة * وورى الزمان دنوها ببعاد
ذهبت كما ذهب الربيع وخلفت * فيض الدموع حرارة الاكباد

والخفاجي المذكور رثى مخلص الدولة المذكور أيضا بقصيدة طويلة رائية ورثى ولده بأخرى حائية أجاد فيها والله تعالى أعلم

* (أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرى) *

أصله من قيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف في علم القرآن محسنا لذلك مجودا للقراآت السبع عالما بمعانيها وولد بالقيروان عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة قال أبو عمرو المقرى الداني انه ولد سنة أربع وخمسين ونشأ بالقيروان وترعرع وسافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع الى القيروان وكان اكماله لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة أربع وسبعين وثلثمائة ثم عاد الى مصر ثانية بعد استكماله القراآت بالقيروان وحج في سنة سبع وسبعين ثم ابتدأ بالقراآت على أبي الطيب عبد المنعم ابن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرى نزيل مصر في أول سنة ثمان وسبعين فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقي عليه بعض القراآت ثم عاد الى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد الى القيروان في سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرأ الى سنة سبع وثمانين ثم خرج الى مكة وأقام بها الى آخر سنة تسعين وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة في سنة احدى وتسعين فوصل الى مصر ثم رحل منها الى القيروان في سنة اثنتين وتسعين ثم ارتحل الى الاندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره ونزل عند قدومه قرطبة في مسجد النخيلة الذي بالرواقين عند باب العطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الى جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدي الى المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى أن قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس بن عبد الله وكان ضعيفا عنها على أدبه وفهمه وأقام في الخطابة الى أن مات رحمه الله تعالى وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا باجابة الدعاء وله في ذلك أخبار فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفي المقرى قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبي محمد تسلط وكان يدنو منه اذا خطب فيغمزه ويحصي عليه سقطاته وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر الى الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا على دعائي ثم رفع يديه وقال اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه فأمنا قال فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم وله تصانيف كثيرة نافعة منها الهداية الى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزأ ومنتخب الحجة لابي علي الفارسي ثلاثون جزأ وكتاب التبصرة في القراآت في خمسة أجزاء وهو من أشهر تآليفه والموجز في القراآت جزآن وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء وكتاب الرعاية لتجويد القرآن أربعة أجزاء وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء وكتاب الكشف عن وجوه القراآت وعللها عشرون جزأ وكتاب الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء وكتاب الايجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه جزء وكتاب الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الاعراب أربعة أجزاء وكتاب التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن وكتاب الانتصاف

بلغ السلطان سليمان ولم يذهب كثير حتى نقل الى احدى المدارس الثمان قد اخله نوع من الغرور الذي يعمي القلوب التي في الصدور وتنسى قوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور تحرك على خلاف العادة وعين واحدا من طلبة المولى أبي السعود للاعادة فلما سمع تركه الادب قام المفتي على ساق الغضب وتهيأ للخصام وتأهب للانتقام فاضرم ناره وطلب ثاره وقصد الى أن يمحو آثاره فكتب الحكاية وعرضها على السلطان وأظهر الشكاية فلما سمع السلطان اساءته الادب استولى عليه ثائرة الغضب فأمر أن يكتبوا صورة فتوى مضمونها من حقر شيخ الاسلام ومفتي الانام فما جزاؤه عند الائمة العظام فأجاب المفتي المزبور بثلاث كلمات العزل الأبد والضرب الاشد والنفي عن البلد فعزله السلطان وعزم على تحقيره فأمر بتأديبه وتعزيره فأحضر الى الديوان كواحد من الاوغاد وضرب على رؤس الاشهاد فلما جاوز الضرب الحد أمر بنفيه عن البلد فارتحل وراية عزه منكوسه الى دار الملك بروسه ورجع بخفي حنين وأقام بها مدة سنتين لا أنيس له الا البعد والفراق وأيامه في الظلمة كليالي المحاق (شعر)

فيما رده على أبي بكر الأدفوي وزعم أنه غلط فيه في كتاب الإمالة ثلاثة أجزاء وكتاب الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء وكتاب الإبانة عن معاني القراءة جزء وكتاب الوقف على كلا وبلى في القرآن جزآن وكتاب الاختلاف في عدد الأعشار جزء وكتاب الإدغام الكبير في المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف في الذبيح من هو جزء وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم جزء وكتاب الياآت المشددة في القرآن والكلام جزء وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح جزء وكتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب الإمام مالك واحتجه في ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء وكتاب بيان العمل في الحج من أول الإحرام إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء وكتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء وكتاب تسمية الأحزاب وكتاب منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع جزآن وكتاب الحروف المدغمة جزآن وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء وكتاب مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزءا وكتاب هجاء المصاحف جزآن وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء وكتاب المنتقى في الأخبار أربعة أجزاء وله في القراآت واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلى عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالى وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة وقد تقدم الكلام على القيسي والقيرواني وقرطبة فأغنى عن الإعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرى المصري المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال وكان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه وإعرابه متقنا في سائر علوم الأدب أنشدت له قصيدة منها قوله

عليك بإقلال الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب المذكور في رجب سنة تسع وثلثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى

(أبو الحزم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي الدار المقرى النحوي الضرير الملقب صائن الدين)

كان والده يصنع الأنطاع بماكسين ومات فقيرا لم يخلف شيئا وترك ولده أبا الحزم المذكور وأمه فلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القراآت والأدب ثم رحل إلى بغداد واجتمع بأئمة الأدب وقرأ على أبي محمد بن الخشاب وابن العصار وابن الأنباري وأبي محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد إلى الموصل وتصدر بها للإفادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل فقال هو جامع فنون الأدب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله والمتفق على علمه وفضله رحل إلى بغداد ولقي بها أشياخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للإقراء عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الأدب ثم قال وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل أخي ابن المستوفي المذكور

سئمت من الحياة فلم أردها * تسالمني وتصحبني بريق

عدوي لا يقصر في أذاتي * ويفعل مثل ذلك بي صديقي

وقد أضحت لي الحدباء دارا * وأهلي موطني بلوى العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا

إذا احتاج النوال إلى شفيع * فلا تقبله تضح قرير عين

الدهر ذو لا بد ود
فيه السرور ومع الشرود
بينا الفتى فوق السما
وإذا به تحت الصعود

ثم رضي عنه السلطان فأعطاه ثانيا إحدى المدارس الثمان ثم نقل إلى إحدى المدارس السلطانية المعروفة عند الناس بالسليمانية ثم نقل من تلك العامرة إلى قضاء القاهرة فلما عزم على السفر رأى مؤنة البر أكثر فقصد البحر في غير أوانه في زمن عتوه وطغيانه كسلا وقد أدبر الربيع وأقبل الشتاء والقيظ وشاة الثلوج والأمطار رودة بين الأرض والسماء ولبس السحاب فروة السحاب وعرض أقطان الثلج قوس السحاب على الخلج وكم ناصح بذل مجهوده واستفرغ في نصحه مجهوده ورب لازم نصيح عرض عليه الرأي الصحيح إلا أن سبق الكتاب أغفله عن طريق الصواب
(شعر)
إذا انعكس الزمان على لبيب
يحسن رأيه ما كان قبحا
يعاني كل أمر ليس يعني
ويقصد ما رآه الناس صلحا

فلم يلتفت إلى كلام وملام قائلا لا أنكر تواتر أنات الشتاء فإنما هو برد وسلام فركب البحر وأصحابه ينعون تاليا قوله تعالى إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فلما انفصل من جزيرة رودس

إذا عيب السؤال لفرد من * فأولى أن يعاف لمثنين

وله أيضا

على الباب عبد يسأل الإذن طالبا * له أدبا لا أن يعاب التحجب

فإن كان إذن فهو كالخير داخل * عليك وإلا فهو كالشر يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم

على الباب عبد من عبيدك واقف * بنعماك مغمور بشكرك معترف

أيدخل كالإقبال لا زلت مقبلا * مدى الدهر أم مثل الحوادث ينصرف

ثم قال ابن المستوفي وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبدا يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والأدب فسلك مسلكه في النظم انتهى كلام ابن المستوفي قلت وحكى لي بعض من أثق به أنه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيكا تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه إلى وطنه فعاد إليه فسامع به من بقي ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات تلك الليلة فلما كان السحر خرج إلى الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول لأخرى ما تدرين من جاء فقالت لا فقالت مكيكي بن فلانة فقال والله لا أقمت في بلد أدعى فيها مكيكا وسافر من غير ريث بعد أن كان قد نوى الإقامة بها مدة وعاد إلى الموصل ثم خرج إلى الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى إليه وقضى منه وطره ورجع إلى الموصل من حلب وكان دخوله إلى الموصل في شهر رمضان وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة ثلاث وستمائة بالموصل وخلف له ولدا صغيرا ودفن بظهر باب الميدان في مقبرة المعافى بن عمران جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي رحمهم الله تعالى ويقال إنه مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضى ذلك والله أعلم وريان بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون وشبة بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة والماكسيني بفتح الميم وبعد الألف كاف مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى ماكسين وهي بلدة من أعمال الجزيرة على نهر الخابور وهي على صغرها تشابه المدن في حسن بنائها ومنازلها

(أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي من سبي كابل)

قال ابن عائشة كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لا يفصح وقال الواقدي كان مولى لامرأة من هذيل وقيل هو مولى سعيد بن العاص وقيل مولى لبني ليث قال الخطيب كان جده شاذل من أهل هراة فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهي حامل فانصرفت إلى أهلها فولدت شهراب فلم يزل في أخواله بكابل حتى ولد له مكحول فلما ترعرع سبي ثم وقع إلى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته وكان معلم الأوزاعي المتقدم ذكره في حرف الهمزة وسعيد بن عبد العزيز قال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا وكان لا يفتي حتى يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذا رأي والرأي يخطئ ويصيب وسمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأبا هند الداري وغيرهم وكان مقامه بدمشق وكان في لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف بغيره قال نوح بن قيس سأله بعض الأمراء عن القدر فقال أساهر أنا يريد أساحر أنا وكان يقول بالقدر ورجع عنه وقال معقل بن عبد الأعلى القرشي سمعته يقول لرجل ما فعلت تلك الهاجة يريد الحاجة وهذه العجمة غالبة على أهل السند حكي عن أبي عطاء السندي الشاعر المشهور واسمه مرزوق وهو من موالي أسد بن خزيمة أنه كان في لسانه هذه العجمة فاجتمع حماد الراوية وحماد عجرد الشاعر المقدم ذكرهما وحماد بن الزبرقان النحوي وبكر بن مصعب المزني في بعض الليالي يتذاكرون فقالوا ما بقي شيء إلا وقد تهيأ لنا في مجلسنا هذا فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندي ليحضر عندنا ويتكمل به المجلس فأرسلوا إليه فقال حماد بن الزبرقان أيكم يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان وإنما اختار له هذه الألفاظ

هبت الرياح العاصفة وأومضت البروق الخاطفة وأظلمت السماء وطغت كرة الماء واضطرب البحر وماج وارتفعت الأمواج وتواتر تواتر الكتائب وهجمت هجوم العداة على المراكب وظهر في ظهر البحر أودية وجبال وأنجاد شاهقة وتلال فلما شاهدوا هذه الأحوال غابت الشمس في الحال وعزمت على الغروب والتحصن بالبروج واصفرت وجنة القمر من خوف الهلاك وتشبث بذيل الأفلاك وأقبل عليهم الليل وأنذرهم بالشدة والويل والسفينة بين الصعود والهبوط وأهلها غارقون في بحر اليأس والقنوط وإذا موج عظيم كالجبل يدب نحوهم دبيب الأجل إلى الأمل فلما شاهدوا الويل سالت عبراتهم كالسيل وأخذوا في الاستغفار والاستحلال وشرعوا في التضرع والابتهال وطلبوا من الله الخلاص واجتهدوا في طريق المناص إلا أن إرادة الجبار ساقت المركب نحو التيار فلم يكن لذلك الفوج إلا الدخول في الموج

(بيت)

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فلما انصب الماء عليهم وانقضى نحبا قوله تعالى

لانه كان يبدل من الجيم زايا ومن الشين سينا فقال حماد الراوية أنا أحتال له في ذلك فلم يلبثوا أن جاءهم
أبو عطاء فقال لهم هياكم الله يريد حياكم الله فقالوا له مرهبا مرهبا يريدون مرحبا مرحبا على لغته فقالوا
له ألا تتعشى فقال قد تعشيت فهل عندكم نبيذ فقالوا نعم فأتي بالنبيذ فشرب حتى استرخى فقال له حماد
الراوية يا أبا عطاء كيف معرفتك بالغز فقال هسن يريد حسن فقال له ما لغز في جرادة

فما صفراء تكنى أم عوف * كأن سويقتيها منجلان

فقال زرادة فقال صدقت ثم قال ما لغز في زج

فما اسم حديدة في الرمح ترسى * دوين الصدر ليست بالسنان

فقال أبو عطاء زج فقال حماد أصبت ثم قال ما لغز في مسجد بجوار بني شيطان وهو بالبصرة

أتعرف مسجدا لبني تميم * فويق الميل دون بني أبان

فقال هو في بني سيطان فقال أحسنت ثم تنادموا وتفاكهوا الى مضى أرغد عيش وهذا أبو عطاء من
الشعراء المجيدين وكان عبدا أعرب والاخرب الشدق الاذن وله في كتاب الحماسة مقاطيع نادرة ولولا
خشية الاطالة والخروج عن المقصود لذكرت جملة من شعره وتوفي مكحول المذكور سنة ثمان عشرة وقيل
ثلاث عشرة وقيل ست عشرة وقيل اثنتي عشرة وقيل أربع عشرة ومائة رضي الله عنه وكابل بفتح الكاف
و بعد الالف باء موحدة مضمومة ثم لام وهي ناحية معروفة ببلاد الهند

*(أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق
ابن دقاق الملقب جلال الدولة)*

وقد تقدم ذكر أبيه وجماعة من أهل بيته ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان ملكشاه في
صحبته ولم يصحبه قبلها في سفر غير هذه المرة فولي الامر من بعده وحلف له الامراء والاجناد على
طاعته ودبر دولته الوزير نظام الملك أبو علي الحسن المقدم ذكره في حرف الحاء على تفرقة البلاد بين أولاده
ويكون مرجعهم الى ملكشاه المذكور ففعل ذلك وعبر بهم نهر جيحون راجعا الى البلاد وقد شرحت
الواقعة في ترجمة أبيه فلا حاجة الى الاعادة فلما وصل الى البلاد وجد بعض أعمامه قد خرج عليه فعاجله
وتلاقيا بالقرب من همذان فنصره الله عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند ملكشاه فأسروه وحملوه الى
ملكشاه فسأل التوبة ورضي بالاعتقال وأن لا يقتل فلم يجبه ملكشاه الى ذلك فأنفذه الى بلده وأخذ من كتب
أمرائه وأنهم حملوه على الخروج عن طاعته وحسنوا له ذلك فدعا السلطان الوزير نظام الملك فأعطاه
الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها فلم يفتحها وكان هناك كانون نار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب
فسكنت قلوب العساكر وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة لان
أكثرهم كان قد كاتبه وكان سبب ثبات قدم ملكشاه في السلطنة وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام
الملك ثم ان ملكشاه أمر بقتل عمه فخنق بوتر قوسه واستقرت القواعد للسلطان وفتح البلاد واتسعت عليه
المملكة وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الاسلام بعد الخلفاء المتقدمين فانه ملك من كاشغر وهي مدينة في
أقصى بلاد الترك الى بيت المقدس طولا ومن القسطنطينية الى بلاد الخزر عرضا وكان تدخر لمماليكه مال
الدنيا وكان أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصورا في الحروب ومغرما بالعمائر
فحفر كثيرا من الانهار وعمر على كثير من البلدان الاسوار وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر وهو الذي عمر
جامع السلطان ببغداد في سنة خمس وثمانين وأربعمائة وزاد في دار السلطنة بها وصنع بطريق مكة مصانع
وغرم عليها أموالا كثيرة خارجة عن الحصر وأبطل المكوس والخفارات في جميع البلدان وكان لهجا
بالصيد حتى قيل انه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار بعد أن نسي كثيرا
منه وقال اني خائف من الله سبحانه وتعالى في ازهاق الارواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك كلما قتل صيدا
تصدق بدينار وخرج من الكوفة لتوديع الحاج فجاوز العذيب وشيعهم بالقرب من الواقصة وصاد في

ظلمات بعضها فوق بعض
ولما ارتفعت تلك الظلمة
وفتح أعينهم الخاصة
والعامة تفقد كل امرئ
صاحبه ورفيقه ومصاحبه
فاذا المرحوم ورفقته من
وفقدوا أرباب صحبته فقعدوا
ولم ير لهم أثر ولم يسمع
عنهم خبر (بيت)
كأن لم يكن بين الحجون الى
الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ويحكى انه كان رحمه الله
قاعدا في كوثل السفينة
مع سبعة عشر نفرا من
أصحابه وخلاصة اخوانه فلما
غشيهم من اليم ما غشيهم
وأحاطهم ذلك الموج
الكبير رمى بالكوثل الى
البحر مع من به من الكبير
والصغير وكان المرحوم
يقرأ القرآن ويسأله
الفرج من الله الرحمن فما
غرق الا والمصحف على
صدره أغرقهم الله في بحار
رحمته وجمع بينهم في
حدائق جنته وكان أول
الباس به سنة اثنتين وتسع
وستين وتسعمائة وقد
مضى من عمره خمسون سنة
وكان رحمه الله من فحول
عصره وأكابر دهره
صاحب تحقيق وتدقيق
وتوفيق وتلفيق قوي
الجنان نافذ الكلام يلوح
من جبينه آثار الفوز
والسعادة يصرف أكثر
أوقاته في مطالعة الكتب
والعبادة وكان في طريق
الحق من الصوفية

طريقه وحشا كثيرا فبنى هناك منارة من حوافر الحمر الوحشية وقرون الظباء التي صادها في ذلك الطريق
والمنارة باقية الى الآن وتعرف بمنارة القرون وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة وكانت السبل في أيامه ساكنة
والمخاوف آمنة تسير القوافل بما وراء النهر الى أقصى الشام وليس معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من
غير خوف ولا رهب وحكى محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه ان السلطان ملكشاه المذكور توجه لحرب
أخيه تتش فاجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما بطوس ودخل مع نظام الملك الوزير وصليا فيه
وأطالا الدعاء ثم قال لنظام الملك بأي شيء دعوت قال دعوت الله تعالى أن ينصرك ويظفرك بأخيك فقال أما
أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية ثم قال الهمداني أيضا عقيب هذا وحكى
ان واعظا دخل عليه ووعظه فكان في جملة ما حكى له ان بعض الأكاسرة اجتاز منفردا من عسكره على باب
بستان فتقدم الى الباب وطلب ماء يشربه فأخرجت له صبية اناء فيه ماء السكر والثلج فشربه واستطابه فقال
لها هذا كيف يعمل فقالت ان قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بايدينا فيخرج منه هذا الماء فقال
ارجعي واحضري منه شيئا آخر وكانت الصبية غير عارفة به فلما مضت قال في نفسه الصواب ان أعوضهم عن
هذا المكان وأصطفيه لنفسي فما كان بأسرع من خروجها باكية وقالت ان نية سلطاننا قد تغيرت فقال
ومن أين علمت ذلك قالت كنت آخذ من هذا ما أريد من غير تعسف والآن فقد اجتهدت في عصر القصب
فلم يسمح ببعض ما كان يأتي فعلم صدقها فرجع عن تلك النية ثم قال لها ارجعي الآن فانك تبلغين الغرض
وعقد على نفسه أن لا يفعل ما نوى فخرجت الصبية ومعها ما شاءت من قصب السكر وهي مستبشرة فقال
للواعظ فلم لا تذكر للرعية ان كسرى اجتاز على بستان فقال للناطور ناولني عنقودا من الحصرم فقال له
ما يمكنني ذلك فان السلطان لم يأخذ حقه ولا يجوز لي خيانته فعجب الحاضرون من مقابلته الحكاية بمثلها
ومعارضته بما أوجب الحق له ما أوجب الحق عليه وحكى الهمداني أيضا ان سواديا لقيه وهو يبكي فسأله
السلطان عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة أغلمة أتراك فأخذوه
مني وهو رأس مالي فقال له امسك واستدعى فراشا وكان عنده باكورة البطيخ وقال له ان نفسي اشتاقت الى
البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شيء منه فاحضره فعاد ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الأمير
فلان فاحضره فقال له من أين لك هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية
السلطان فيهم فهربهم وعاد فقال لم أجدهم فالتفت الى السوادي وقال هذا مملوكي وقد وهبته لك حيث لم يحضر
القوم الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لأضربن رقبتك فأخذ السوادي بيده وأخرجه من بين يدي
السلطان فاشترى الأمير منه نفسه بثلثمائة دينار وعاد السوادي وقال يا سلطان قد بعت المملوك بثلثمائة
دينار فقال أوقد رضيت قال نعم قال امض مصاحبا وكانت البركة واليمن مقرونين بناصيته فكان اذا دخل
أصبهان أو بغداد أو أي بلد كان دخل معه عدد لا يحصى كثرة فيرخص السعر وتنحط أثمان الأشياء مما كانت
عليه ويكتسب المتعيشون مع عسكره المكسب الكثير وحكى الهمداني أيضا انه أحضرت اليه مغنية وهو
بالري فاعجب بها فاستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان اني أغار على هذا الوجه الجميل ان يعذب بالنار فان
الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي فتزوجها منه وابتنى بها وتوفي عنها
ومحاسنه أكثر من أن تحصى وحكى الهمداني أيضا ان نظام الملك الوزير وقع للملاحين الذين عبروا
بالسلطان والعسكر جيحون على العامل بأنطاكية وذلك لسعة المملكة وكانت أجرة المعابر أحد عشر
ألف دينار وتزوج الامام المقتدي بالله أمير المؤمنين ابنة السلطان وكان السفير في الخطبة الشيخ أبو اسحق
الشيرازي صاحب المهذب والتنبيه رحمه الله تعالى وأنفذه الخليفة الى نيسابور لهذا السبب فان السلطان كان
هناك فلما وصل اليه أدى الرسالة ونجز الشغل قال الهمداني أيضا وعاد الشيخ أبو اسحق الى بغداد في أقل من
أربعة أشهر وناظر امام الحرمين هناك فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج امام الحرمين للوداع وأخذ
بركابه حتى ركب أبو اسحق فظهر له في خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته

ويتبركون

السواء ولا يخاف في الله
لومة لائم وكان ينظم الشعر
الحكم المشتمل على تضمن
الحكم وقد ظفرت بهذه
الأبيات اللائقة بالاثبات وقد
قالها قبيل موته بأيام على
ما نقله بعض الاعلام
(شعر)
أيا طالبا للأمر تزعم مالكا
فمالك تعدو للعوارى عاليكا
ثم واشتغل كسب الكمال
فانه
كذلك عند الله ليس كمالكا
ونافع بذكر الله انك باسمه
لناج من الاحزان في كل
مالكا
الهي ومولاي علامك
ضمنا
جميلا فما لي بزوج مالكا
وجسد نظرة وارفع حجاب
هو بيني
ولا تحرمني نفحة من وصالكا
أتيتك من كل الوسائل
عاريا
ولم أك في هذا اختيارها لكا
نهاية آمالي لقاؤك مسرعا
فيا موصل المشتاق بلغ
هنالكا
وعلق حواشي على تفسير
البيضاوي وعلى الهداية
والعناية وفتح القدير
وصدر الشريعة وعلى
شرح المفتاح للشريف
وعلى المطول الا ان أكثرها
في حواشي الكتب ولم
يتيسر له الجمع والترتيب
متع الله المؤلف انه قريب
مجيب
*(ومن المالك في مسالك
هؤلاء السادة المولى نعمة

ويتبركون به وكان زفاف ابنة السلطان الى الخليفة فى سنة ثمانين وأربعمائة وتوفيت بعد دخولها عليه
أحضر الخليفة المقتدى عسكر السلطان على سماط صنعه لهم كان فيه أربعون ألف من سكر وفى بقية
هذه السنة رزق الخليفة ولدا من ابنة السلطان سماه أبا الفضل جعفرا وزينت بغداد لاجله وكان السلطان
قد دخل الى بغداد دفعتين وهى من جملة بلاده التى تحتوى عليها مملكته وليس للخليفة سوى الاسم فلما عاد
اليها فى الدفعة الثالثة دخلها فى أوائل شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وخرج من فوره الى ناحية دجيل
لاجل الصيد فاصطاد وحشا وأكل من لحمه فابتدأت به العلة وافتصد فلم يكثر من اخراج الدم فعاد الى بغداد
مريضا ولم يصل اليه أحد من خاصته فلما دخلها توفى ثانى يوم دخوله وهو السادس عشر من شوال سنة خمس
وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى وكانت ولادته فى التاسع من جمادى الاولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة
ولما مات لم يشهد له أحد جنازة ولا صلى عليه أحد فى الصورة الظاهرة ولا جلس للعزاء ولا ذبح عليه
فرس كعادة أمثاله بل كأنه اختلس من العالم وحمل تابوته الى أصبهان ودفن بها فى مدرسة عظيمة موقوفة
على طائفة الشافعية والحنفية ومن عجيب الاتفاق انه لما دخل بغداد فى هذه المرة وكان للخليفة ولدان
أحدهما المستظهر بالله والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان وقد تقدم ذكر ولادته وكان الخليفة
قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر فألزم السلطان الخليفة أن يخلعه ويجعل
ابن ابنته جعفرا ولى عهده وأن يسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة فشق ذلك على الخليفة وبالغ فى
استنزال السلطان عن هذا الرأى فلم يفعل وطلب المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله فقيل ان الخليفة فى تلك
الايام يصوم ويطوى واذا أفطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان
فمرض السلطان فى تلك الايام ومات وكفى الخليفة أمره وتوفى الامام المستظهر بالله [illegible]
فى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وقد تقدم ذكر أولاده الثلاثة الملوك وهم بركيارق ومحمد وسنجر وخص كل واحد له ترجمة
رحمهم الله تعالى أجمعين وكاشغر بفتح الكاف وبعد الالف شين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة
وبعدها راء وقد ذكرت أين هى فلا حاجة الى اعادته والواقصة بفتح الواو وبعد الالف قاف مكسورة وبعدها
صاد مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهى منزلة معروفة بطريق مكة يقال لها واقصة الحزون والباقى معروف
فلا حاجة الى تفسيره

(أبو الحسن منصور بن اسمعيل بن عمر التميمى المصرى الفقيه الشافعى الضرير)

أصله من رأس عين البلد المشهور بالجزيرة وأخذ الفقه عن أصحاب الشافعى رضى الله عنه وعن أصحاب أصحابه وله
مصنفات فى المذهب مليحة منها الواجب والمستعمل والمسافر والهداية وغير ذلك من الكتب وله شعر جيد
سائر وذكره الشيخ أبو اسحق الشيرازى رحمه الله تعالى فى طبقات الفقهاء وأنشد له

عاب التفقه قوم لا عقول لهم * وما عليه اذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ومن هنا أخذ أبو العلاء المعرى قوله من قصيدته المشهورة

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

ومن شعره أيضا لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله
وله أيضا الكلب أحسن عشرة * وهو النهاية فى الخساسة ممن ينازع فى الريا * سة قبل أوقات الرياسة
ويحكى انه أصابته مسغبة فى سنة شديدة القحط فرقى سطح داره ونادى بأعلى صوته فى الليل

الغياث الغياث يا أحرار * نحن خلانكم وأنتم تجار
انما تحسن المواساة فى الشدة لا حين ترخص الاسعار

فسمعه جيرانه فأصبح على بابه مائة حمل بر وحكاياته وأخباره مشهورة وتوفى فى جمادى الاولى سنة ست
وثلثمائة بمصر وقال الشيخ أبو اسحق فى الطبقات انه مات قبل العشرين والثلثمائة رحمه الله تعالى وذكره

انه الشهير بروشن زائى * كان أبوه من رؤساء القضاة الملكيين فى بعض القصبات فلما مات ترك ابنه أمرا لا حيلة له فتاه فى مستلذات نفسه فى أزمنة قليلة وطلب العلم وحضر المجالس والجامع حتى صار ملازما للجامع الرابع ثم درس بمدرسة بالزنجيلية بمدينة بروسه بعشرين ثم مدرسة قاسم باشا فى المدينة المزبورة بخمسة وعشرين ثم فيها بمدرسة أحمد باشا ابن ولى الدين بثلاثين ثم فيها أيضا بمدرسة ادرنه خان باربعين ثم مدرسة ازنيق بخمسين ثم مدرسة السلطان فى بروسه بوظيفة المزبورة ثم صار قاضيا به ثم باسنين ودليل تفتيش أوقاف بروسه ثم قضاء بغداد ثم نقل الى قضاء حلب ثم عزل وولى مدرسة السلطان مراد فى بروسه فى كل يوم بثمانين درهما ثم عزل وعين له وظيفة المتقاعد ثم قلد قضاء المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام وحدثت سيرته فيها وتوفى وهو قاض فيها سنة تسع وستين وتسعمائة وكان رحمه الله لطيف الروح غير [illegible] الطبع لذيذ المحبة صاحب النكات وفوائد واستعداد فى العلوم ويقال ان له يدا فى علم الكلام وكان فى لسانه بذاءة يستنفر الناس من شره عفا الله تعالى عنه

القاضي أبو عبد الله في كتاب خطط مصر فقال أصله من رأس عين والرملة وقدم إلى مصر وسكنها وتوفي سنة ست وثلثمائة وكان فقيها جليل القدر متصرفا في كل علم شاعرا مجيدا لم يكن في زمانه مثله بمصر وكان من أكرم الناس على أبي عبيد القاضي حتى كان منه ما كان بسبب المسألة وكان لأبي عبيد في كل عشية مجلس يذاكر فيه رجال من أهل العلم ويخلو به خلا عشية الجمعة فإنه كان يخلو بنفسه فيها فكان من العشايا عشية يخلو فيها بمنصور وعشية يخلو فيها بأبي جعفر الطحاوي وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزي وعشية يخلو فيها بعفان بن سليمان وعشية يخلو فيها بالسجستاني وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء وربما حدث فجرى بينه وبين منصور في بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة ثلاثا ووجوب نفقتها فقال أبو عبيد زعم قوم أن لا نفقة لها في الثلاث وإن نفقتها في الطلاق غير الثلاث فأنكر ذلك منصور وقال قائل هذا ليس من أهل القبلة ثم انصرف منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوي فحكاه أبو جعفر لأبي عبيد فأنكره وبلغ ذلك منصورا فقال أنا أكذبه واجتمع الناس عند القاضي وتواعدوا الحضور لذلك فلما حضروا لم يتكلم أحد فابتدأ أبو عبيد وقال ما أريد أحدا يدخل علي ما أريد منصورا ولا أنصارا ولا منتصرا لقوم عميت قلوبهم كما عميت أبصارهم يحكون عنا ما لم نقله فقال له منصور قد علم الله الكاذب ونهض فلم يأذن لأحد بعده غير أبي بكر ابن الحداد فإنه أخذ بيده وخرج معه حتى ركب وزاد الأمر فيما بينهما وتعصب الأمير ذكا وجماعة من الجند وغيرهم لمنصور وتعصب للقاضي جماعة وشهد على منصور محمد بن الربيع الجيزي بكلام سمعه منه يقال إن منصورا أسكته عن الكلام فقال القاضي إن شهد علينا آخر بمثل ما شهد به عليه محمد بن الربيع ضربت عنقه فخاف على نفسه ومات في جمادى الأولى من السنة المذكورة وخاف أبو عبيد أن يصلي عليه لأجل الجند الذين تعصبوا لمنصور فتأخر عن جنازته لهذا السبب وحضرها الأمير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج وأوجه الناس ولم يتخلف أحد وذكر أبو عبيد أن منصورا قال عند موته

تمنيت بعدي قبر قوم * حتى بهم غفلة وقوم كأن أبوي على سقم * وليس للشامتين يوم

فأطرق أبو عبيد ساعة ثم قال

تموت قبلي ولو بيوم * ونحن قوم النشور قوم فقد فرحنا وقد شمتنا * وليس للشامتين لوم

(أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله ابن العزيز بن المعز بن المنصور بن القاسم ابن المهدي صاحب مصر)

وقد تقدم ذكر أجداده وجماعة من أحفاده وسيأتي ذكر أبيه في حرف النون إن شاء الله تعالى وكلهم كانوا يتسمون بالخلفاء وتولى الحاكم المذكور عهد أبيه في حياته وذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ثم استقل بالأمر يوم وفاة والده على ما سيأتي في تاريخه إن شاء الله تعالى وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل أهل دولته وغيرهم صبرا وكانت سيرته من أعجب السير يخترع كل وقت أحكاما يحمل الناس على العمل بها منها أنه أمر الناس في سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضوان الله عليهم في حيطان المساجد والقياسر والشوارع وكتب إلى سائر عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله سنة سبع وتسعين ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهر ومنها أنه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلثمائة فلم ير كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قتل ومنها أنه نهى عن بيع الفقاع والملوخيا والترمس والجرجير والسمكة التي لا قشر لها وأمر بالتشديد في ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه وظهر على جماعة أنهم باعوا أشياء منه فضربهم بالسياط وطيف بهم ثم ضربت أعناقهم ومنها أنه في سنة اثنتين وأربعمائة نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف أنواعه ونهى التجار عن حمله إلى مصر ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة وأحرق جميعها ويقال إن مقدار النفقة التي غرموها على إحراقه كانت خمسمائة دينار وفي هذه السنة منع من بيع العنب وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا كثيرا من كرومها ورموها في الأرض وداسوها بالبقر وجمع

(وقد حكى عنه) بعض الثقات غريبة ظهرت في أيام قضائه في بغداد وهي أنه قال طلب أهل محلة من بغداد توسيع بعض الجوامع فعرضت ذلك على السلطان فورد الأمر بالتوسيع فلما باشرناه وجدنا بجوار الجامع بعضا من القبور العتيقة منها قبر الشريف المرتضى علي بن طاهر فقصدنا نقل تلك القبور فلما فتحنا قبر الشريف رأيناه ملففا كأنه وضع في أمس ذلك اليوم فرفع بعض من حضره طرف الكفن عن وجهه فإذا بشيخ جميل الصورة صاحب شيبة عظيمة لم يتطرق إليه شيء من آثار التفرق كأنه حي نائم فتعجبنا منه وغلب علينا دهشة وهيبة فلم نقدم على نقله وإخراجه من قبره فتركناه وسطحنا قبره فبقي داخل المسجد والشريف هذا من أولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان إماما في علم الكلام والأدب والشعر وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين وله ديوان شعر وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي رضي الله عنه هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي وله الكتاب الذي سماه الغرر والدرر يشتمل على فنون من الأدب تكلم فيها على

ما كان في مخازنهم من جرار العسل فكانت خمسة آلاف جرة وحملت الى شاطئ النيل وكسرت وقلبت في
بحر النيل وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود الا الخيابرة بلبس العمائم السود وان تحمل النصارى في
أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة أرطال وان تحمل اليهود في أعناقهم قرامي الخشب على
وزن صلبان النصارى ولا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من الخشب ولا يستخدموا
أحدا من المسلمين ولا يركبوا حمار المكاري مسلم ولا سفينة نوتيها مسلم وأن يكون في أعناق النصارى اذا دخلوا
الحمام الصلبان وفي أعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين ثم أفرد حمامات اليهود والنصارى من
حمامات المسلمين وحط على حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود صور القرامي وذلك في سنة
ثمان وأربعمائة وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب
جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الارباع والاحباس لجماعة من المسلمين وتتابع اسلام جماعة
من النصارى وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الارض له وعن الدعاء والصلاة عليه في الخطب وان يجعل
عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين وفي سنة أربع وأربعمائة أمر ان لا ينجم أحد ولا يتكلم في صناعة
النجوم وان ينفى المنجمون من البلاد فحضر جميعهم الى القاضي مالك بن سعيد الحاكم بمصر وعقد عليهم
توبة وأعفوا من النفي وكذلك أصحاب الغناء وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج الى الطرقات
ليلا ونهارا ومنع الاساكفة من عمل الخفاف للنساء وعفيت صورهن من الحمامات ولم تزل النساء ممنوعات
عن الخروج الى أيام ولده الظاهر المقدم ذكره وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر وفي شعبان سنة
احدى عشرة وأربعمائة تنصر جماعة ممن كان أسلم من النصارى وأمر ببناء ما كان قد هدم من كنائسهم
ورد ما كان قد أخذ من احباسها وبالجملة فهذه نبذة من أحواله وان كان شرحها يطول وكان أبو الحسن
علي المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له الزيج المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير مبسوط ونقلت من خط
الحافظ أبي طاهر بن أحمد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى ان الحاكم المذكور كان جالسا في مجلسه العام
وهو محفل بأعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والقارئ في أثناء ذلك يشير الى الحاكم فلما فرغ
من القراءة قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر وكان رجلا صالحا يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فلما انهى قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر
المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيئا ثم ان بعض أصحاب ابن المشجر قال له أنت تعرف خلق الحاكم
وكثرة استحالاته وما نأمن أن يحقد عليك وانه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى منه
ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب في البحر فغرق فرآه صاحبه في النوم فسأله
عن حاله فقال ما قصر الربان معنا أرسى بنا على باب الجنة رحمه الله تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده
والحاكم المذكور هو الذي بنى الجامع الكبير بالقاهرة بعد ان كان قد شرع فيه والده العزيز نزار الذي
سيأتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى وأكمله ولده وبنى جامع راشدة بظاهر مصر وكان شروعه في عمارته
يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكان متولي بنائه الحافظ أبا محمد
عبد الغني بن سعيد والمنجم لمحرابه أبا الحسن علي بن يونس المنجم وقد تقدم ذكرهما وأنشأ عدة مساجد
بالقاهرة وغيرها وحمل الى الجوامع من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ما له قيمة
طائلة وكان يفعل الشيء وينقضه وكانت ولادته بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع
الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وكان يحب الانفراد والركوب على بهيمة وحده فاتفق انه خرج ليلة
الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة الى ظاهر مصر وطاف ليلته كلها وأصبح
عند قبر الفقاعي ثم توجه الى شرقي حلوان ومعه ركابيان فأعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ثم

النحو واللغة وغير ذلك ولد
رحمه الله سنة خمس وخمسين
وثلثمائة ومات ببغداد سنة
ثلاث وثلاثين وأربعمائة
كذا ذكره ابن خلكان
*(ومن العلماء العاملين
والصلحاء الكاملين شاه
علي جلبي ابن المرحوم
قاسم بك)*
وهو من الغلمان الذين
يخدمون في دار السعادة
العامرة في عهد السلطان
محمد خان ولما خرج منها
صار متوليا لبعض العمائر
منها عمارة [illegible] وكان رجلا
من أرباب الفلاح وأصحاب
الزهد والصلاح ونشأ ابنه
المرحوم في حجر أبيه المرقوم
فلما فرق الشمال من
اليمين وميز الغث من
السمين وعلم ان شرف
الانسان على ما نطق به نص
القرآن بالفضل والتقى
والعلم والنقا وان الدهر
فرص وأكثره غصص
والوقت سيف قاطع والعمر
برق لامع سار نحو تحصيل
العلوم الظاهرة وترتيب
أسباب السعادة في الاولى
والآخرة وقرأ على العالم
الاوحد عبد الرحمن بن علي
المؤيد فلما حصل منها طرفا
صالحا ترك كل ما يعيبه
ويهواه وتمحض لعبادة
مولاه وكان شابا ناشئا
في عبادة الله وصاحب ارباب
الحقيقة ورجال الطريقة
منهم الشيخ محمود النقشبندي
والشيخ جمال الدين
الخلوتي وثبت في مجاهدة

أعاد الركابي الآخر وذكر هذا الركابي أنه خلفه عند القبر والمقصبة وبقي الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب الى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ثم خرج يوم الاحد ثاني ذي القعدة مظفر صاحب المظلة وحطلبا الصقلبي ونسيم متولي الستر وابن نشتكين التركي صاحب الرمح وجماعة من الاولياء الكتاميين والاتراك فبلغوا دير القصير والموضع المعروف بحلوان ثم أمعنوا في الدخول في الجبل فبينما هم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب الذي كان راكبا عليه المدعو بالقمر وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فتتبعوا أثر الحمار في الارض وأثر راجل خلفه وراجل قدامه فلم يزالوا يقصون هذا الاثر حتى انتهوا الى البركة التي في شرقي حلوان فنزل اليها بعض الرجالة فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب ووجدت مزررة لم تحل ازرارها وفيها آثار السكاكين فأخذت وحملت الى القصر بالقاهرة ولم يشك في قتله مع ان جماعة من الغالين في حبه السخيفي العقول يظنون حياته وانه لا بد أن يظهر ويحلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات هذيانية ويقال ان أخته دست عليه من يقتله لامر يطول شرحه والله أعلم وابن المشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء وحلوان بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الالف نون وهي قرية مليحة كثيرة النزه فوق مصر بمقدار خمسة أميال وكان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي لما كان والي مصر نيابة عن أخيه عبد الملك أيام خلافته وبها ولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

(أبو علي المنصور الملقب الآمر بأحكام الله بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي المذكور قبله)

وقد تقدم بقية نسبه وسبق ذكر والده في الاحمدين في حرف الهمزة وبويع الآمر بالولاية يوم مات أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته وأقام بتدبير دولته الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش المذكور في حرف الشين وكان وزير والده وقد ذكرنا في ترجمته طرفا من أخبار الامير المذكور ولما اشتد الآمر وفطن لنفسه قتل الافضل حسبما تقدم شرحه واستوزر المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبحت سيرته ولما كثر ذلك منه قبض عليه الآمر أيضا ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة واستصفى جميع أمواله ثم قتله في رجب سنة احدى وعشرين وصلبه بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من اخوته أحدهم يقال له المؤتمن وكان متكبرا متجبرا جاءت عنه طرق وله أخبار مشهورة وكان الآمر سيئ الرأي جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا طرابلس الشام بالسيف يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة وكان أخذهم لها بالسيف ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب دار علمها وما كان في خزائن أربابها ما لا يحد ولا يحصى وعوقب من بقي من أهلها واستصفيت أموالهم ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات الامر فيها وفي هذه السنة ملكوا عرقة وكان نزولهم عليها أول شعبان من السنة المذكورة وفيها ملكوا بانياس وفيها تسلموا جبيل بالامان وتسلموا قلعة تبنين يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكان الوالي بها من جهة الاتابك ظهير الدين طغتكين المذكور في حرف التاء في ترجمة تتش بن ألب أرسلان وكان يومئذ صاحب دمشق وما والاها ولما ملكوا صور ضربوا السكة باسم الآمر المذكور مدة ثلاث سنين ثم قطعوا ذلك وأخذوا بيروت يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسمائة بالسيف وأخذوا صيدا لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسمائة وفي أيام الآمر أيضا سنة أربع وخمسمائة وقيل سنة احدى عشرة والله أعلم قصد بردويل الفرنجي الديار المصرية ليأخذها وانتهى الى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله الى العريش

السلوك وتخلص عن شواغله الشكوك ثم وزع أوقاته بين العبادة والافادة حتى وصل عمره الى خمس وستين فقصر وقته في العبادة وتمكن ملازما في كل ساعة وصلاة الصف الاول وتكبير الافتتاح في جامع ايا صوفيه أكثر من أربعين سنة ضاعف الله أجره وأحسنه ولما تمكن نفسه من نوع الرياضة استغال ترك قبل تدريس مدرسة ولا مشيخة زاوية وكلما طلب الاعيان صحبته واحتوا رؤيته أظهر لهم الانقباض وأرى الاعراض الخالص من جوهره عن الاعراض وخلو قلبه عن الاغراض (شعر)

ان لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا
انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الاعمال فيها سفنا

(ومنهم ... رزق التمييز والاشتهار في أنواع الفضل ... ولكن عاق ... المشهور بخطابته وطبعه المعروف بشمس الدين أحمد ابن أبي السعود عامله الله بألطافه في دار الخلود)* ... رحمه الله وآثار السيادة من ناصيته ظاهرة وأنوار السعادة في جبينه باهرة يتلى من بياض غرته وصفحة خده آيات نجابة أبيه وعزة جده وهو يروي من سلسلة هذا الفضل الذي صحت الولد سر أبيه قولا وفعلا

فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هنالك فهي ترجم إلى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل التي في وسط الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور والحجارة ملقاة هنالك والناس يقولون هذا قبر بردويل وإنما هي هذه الحشوة وكان بردويل صاحب بيت المقدس وعكا ويافا وعدة بلاد من ساحل الشام وهو الذي أخذ هذه البلاد المذكورة من المسلمين وفي هذه السنة أيضا خرج المهدي محمد بن تومرت المقدم ذكره من مصر وصاحبها الآمر المذكور إلى بلاد المغرب في زي الفقهاء وجرى له هنالك ما سبق شرحه في ترجمته وكانت ولادة الآمر يوم الثلاثاء ثالث عشر محرم سنة تسعين وأربعمائة بالقاهرة وتولى وعمره خمس سنين ولما انقضت أيامه خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونزل إلى مصر وعدى على الجسر إلى الجزيرة التي قبالة مصر فكمن له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمر فيها إلى فرن هنالك فلما مر بهم وثبوا عليه فلعبوا عليه بأسيافهم وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته فحمل في النيل في زورق ولم يمت وأدخل القاهرة وهو جريح وجيء به إلى القصر فمات من ليلته ولم يعقب وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله القائم بسجلماسة المقدم ذكره وانتقل الأمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد المقدم ذكره رحمهم الله تعالى وكان قبيح السيرة ظلم الناس وأخذ أموالهم وسفك دماءهم وارتكب المحظورات واستحسن القبائح فابتهج الناس بقتله وكان ربعة شديد الأدمة جاحظ العينين حسن الخط والمعرفة والعقل وأما المأمون بن البطائحي الوزير المذكور فهو الذي بنى الجامع الأقمر بالقاهرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان الأفضل ابن أمير الجيوش قد شرع في عمارة جامع الفيلة بظاهر مصر عند الرصد المطل على بركة الحبش في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يكمله فأكمله المأمون بعده في مدة وزارته والله أعلم

(قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر المعروف بالأعرج صاحب الموصل)

وقد تقدم ذكر طرف من خبره في ترجمة أخيه نور الدين محمود صاحب الشام وذكر أولاده الثلاثة وهم سيف الدين غازي الذي تولى السلطنة بعده وعز الدين مسعود وعماد الدين زنكي صاحب سنجار واستوعبت في ترجمة غازي ما جرى من نور الدين عقيب موت قطب الدين وأنه قصد الموصل ثم قرر أمر غازي المذكور فيها ورتب أحوال أولاد أخيه كلهم وفي تلك السفرة بنى نور الدين الجامع النوري داخل الموصل وهو مشهور هنالك يقام فيه الجمعة وكان سبب عمارته ما حكاه العماد الأصبهاني في البرق الشامي عند ذكر وصول نور الدين إلى الموصل أنه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة وقد أشاعوا عنها أنه ما شرع في عمارتها إلا من ذهب عمره ولم يتم على مراده أمره فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدولة عمر الملا وكان من كبار الصالحين بابتياع الخربة وبنى بها جامعا وأنفق فيها أموالا جزيلة ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل وكان قطب الدين قد تولى السلطنة بالموصل وتلك البلاد عقيب موت أخيه سيف الدين غازي الأكبر المقدم ذكره أيضا وكان حسن السيرة عادلا في حكمه وفي دولته عظيم الشأن جمال الدين محمد الوزير الأصبهاني المعروف بالجواد المقدم ذكره وهو الذي قبض عليه حسبما سبق شرحه وكان مدبر دولته وصاحب رأيه الأمير زين الدين علي كجك والد مظفر الدين صاحب إربل وكان نعم المدبر والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة وقد تقدم أيضا ذكره في ترجمة ولده مظفر الدين في حرف الكاف ولم يزل قطب الدين المذكور على سلطنته ونفاذ كلمته إلى أن توفي في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وقيل في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وذكر أسامة بن منقذ في كتابه صغير ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلدان قطب الدين المذكور توفي سلخ شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وليس بصحيح فإن أخاه نور الدين كان بالموصل في شهر ربيع الآخر وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل في الشهر المذكور ولم يتوجه نور الدين إليها إلا بعد وفاة أخيه قطب الدين وكانت وفاته بالموصل ومدة عمره أكثر من أربعين سنة بقليل وخلف عدة أولاد وأكثرهم ملكوا البلاد وقد تقدم

أوان التحصيل وإبان التكميل اجتهد في إحراز الفضائل والمعارف وإتقان النوادر واللطائف واستضاء هلاله من شمس أبيه فصار بدرا واستفاد منه سره من سورة كتب سره فاتسع بحرا ووصل المعارف الجليلة في الأزمنة القليلة ووصل إلى فنون عدة في أدنى مدة وبالجملة لما كانت مرآة طبعه مجلوة أضحت صور فضائل أبيه فيها منجلية واشتغل أيضا على المولى طاشكبري زاده ثم صار معيد الدرس لأبيه وأتى بكل ما يحمد ويعنيه وصار في الاشتهار كالشمس في وسط النهار ولما وصل صيته إلى سمع الوزير الكبير رستم باشا أحضره ثم استدناه فلما اجتمع به أعجبه حسن كلامه فأحسن إليه من نفائس الكتب ثم أعطاه مدرسته التي بناها في قسطنطينية بخمسين ومنذ ذاك سبعة عشر ثم شرع في إلقاء الدروس وأظهر أمورا حار فيها حسن طوق البشر ثم نقل إلى إحدى المدارس الثمان ثم إلى مدرسة السلطان محمد ابن السلطان سليمان وتوفي رحمه الله وهو مدرس بها في شهر جمادى الأولى من سنة سبعين وتسعمائة وما بلغ عمره ثلاثين سنة وكان سبب موته أنه خالط بعض الأراذل ورغب في أكل بعض المعاجين فاستعماله

ذكر أبيه وجده وجماعة من أهل بيته رحمهم الله تعالى

(أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحرث بن ثور بن سعد بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة السدوسي النحوي البصري)

أخذ العربية عن الخليل بن أحمد وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما وكان يقول قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربية وانما كانت معرفتي قريحتي وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الانصاري بالبصرة ودخل الاخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهلب فقال له محمد من أين جئت فقال الاخفش من عند القاضي يحيى بن أكثم قال فما جرى عنده قال سألني عن الثقة المأمون المتقدم من أصحاب الخليل بن أحمد من هو ومن الذي كان يوثق بعلمه فقلت النضر بن شميل وسيبويه ومؤرج السدوسي وكان الغالب على مؤرج المذكور اللغة والشعر وله تصانيف منها كتاب الانواء وهو كتاب حسن وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغير ذلك واختصر نسب قريش في مجلد لطيف سماه حذف نسب قريش وكان قد رحل مع المأمون من العراق الى خراسان وسكن مدينة مرو وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها وكان له شعر فمن ذلك ما أنشده هرون بن علي بن يحيى المنجم في كتابه المسمى بالبارع وهو قوله

روعت بالبين حتى ما أراع له * وبالمصائب من أهلي وجيراني
لم يترك الدهر لي علقا أضن به * الا اصطفاه بنأي أو بهجران

ثم قال ابن المنجم المذكور وهذان البيتان من أصح ما قيل في معناهما ومثلهما في معناهما لبعض المحدثين وهو قوله

وفارقت حتى ما أراع من النوى * وان غاب جيران علي كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي * وعيني على فقد الحبيب تنام

ومن ههنا أخذ ابن التعاويذي المتقدم ذكره قوله

وها أنا لا قلبي يراع لفائت * فآسى ولا يلهيه حظ فيفرح

وهذا البيت من جملة قصيدة ذكر فيها أنه جمعها بعد ذهاب بصره فمنها قوله مشيرا الى ذلك

وما كيف لم تثكل فقد اولادي * بحيرة الادنين نأي مطوح * ومضت يد الايام في ليث غابها
بهادم خطب والحوادث تقدح * رأيت جلال الصبر يجمل بالفتى * على مثله يوما ولا الحزن يقبح
فلا غرو ان تبكي المعالم كاسف * لها كان يسعى في البلاد ويكدح * عسى وعليها ان تراني جاهدا
ومالي في الارض البسيطة مسرح * وان لا أرى ذا العيس تنفخ في البرى * وجرد المذاكي في الاعنة تمرح
أظل حبيسا في قراري مسترق * رهين أسى أمسي عليه وأصبح * مقامي مقيم مثلما الجسو قائم
ومسعاي منشوه وهو مصبحان أفسح * أقاد به قود الجنيبة مصحبا * وما كنت لولا غدرة الدهر أسمح
كأني ميت لا ضريح لجنبه * وما كل ميت لا أبا لك يضرح * وها أنا لا قلبي يراع لفائت
فآسى ولا يلهيه حظ فيفرح * فلله نصل فل مني غراره * وعود شباب عاد وهو مصوح
وستي الايام ركبت بها الهوى * جموحا ومثلي في هوى الغي يجمح * وماضي صبا قضيت منه لباتي
خلاسا وعين الدهر زرقاء تلمح * ليالي لي عند الغواني مكانة * فألحاظها ترنو الي وتطمح
وليلي بها اسعاف ما بي من الهوى * أعرض بالشكوى لها فتصرح

وهي طويلة طنانة مدح بها الامام الناصر لدين الله خليفة بغداد وقال المرزباني وجدت بخط محمد بن العباس اليزيدي ما مثاله أهدى أبو فيد مؤرج السدوسي الى جدي محمد بن أبي محمد كساء فقال جدي فيه يمدحه

سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج * وأمنحه حسن الثناء مع الود
أغر سدوسي نماه الى العلا * أب كان صبا بالمكارم والمجد
أتينا أبا فيد نؤمل سيبه * فنقدح زندا غير كاب ولا صلد
فأصدرنا بالري والبذل والغنى * ومازال محمود المصادر والورد

ثوبا أسحق فوق من قال
(شعر)
لعمرك ما الايام الا معارة
فما استطعت من معروفها
فتزود
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فلما أدام أكله تغير مزاجه
فركدت انهاره الجارية
وأصبحت حدائقه من
النضارة عارية ومالت أزهاره
الى الذبول وطوالعه الى
الغروب والافول وبأخرة
طارت عنادله وانطفت
قناديله وقامت قائلته الى
السبيل ونادى منادي الحي
الرحيل ولاحظه الزمان
بعين القهر فأي نعيم
لا يكدره الدهر وأي نعيم لم
يعقب بالليل وأي سرور لم
يقترن بالويل فأين الملك
مالك شداد وعاد المقتدرة
العمالقة وعاد ونمرود
فصرت في تخريب البلاد
وأبناء البعاد كتيمور
وبختنصر وكسرى كسرى
وهدمت قصر قيصر وتبعه
تبع اليمان واجتمع نسل
خوارزم الخان والخاقان
أليس غاية قصور الفتور
وآخر سكان القبور
(شعر)
هب ان مقاليد الامور ملكتها
ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة
وفزت بعالم تستطيعه أنام
ومتعت باللذات دهرا بغبطة
أليس حتم بعد ذاك حمام
فبين البرايا والخلود تباين
وبين المنايا والنفوس لزام

سكنافي

كساني ولم أستكسه متبرعا * وذلك أهنى ما يكون من الرفد
كسانيه فضفاضا اذا ما لبسته * تروضت حتى لاوجرت عن القصد
كساء جمال ان أردت جمالة * وثوب شتاء ان خشيت من البرد
ترى حبكا فيه كأن اطرادها * فرند حديد صقله سل من غمد
سأشكر ما عشت السدوسي بره * وأوصي بشكر السدوسي من بعدي

وأخباره ونوادره كثيرة وقال ابن النديم وجدت بخط عبد الله بن المعتز مؤرج السدوسي كان من أصحاب الخليل بن أحمد وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة في اليوم الذي توفي فيه أبو نواس وهذا انما يستقيم على قول من ذهب الى ان أبا نواس توفي سنة خمس وتسعين ومائة وقد سبق الخلاف فيه وأما مؤرج فلا اختلاف انه مات في هذه السنة وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وغيره وأبو فيد بفتح الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو في الأصل ورد الزعفران وقيل هو الزعفران بعينه ومؤرج بضم الميم وفتح الواو والهمزة وكسر الراء المشددة وبعدها جيم وهو اسم فاعل من قولهم أرجت بين القوم اذا أغريت بينهم وقد تقدم الكلام على السدوسي في ترجمة قتادة في حرف القاف وقيل ان اسمه مرثد ومؤرج لقب له ومرثد بفتح الميم والثاء المثلثة واسكان الراء بينهما وفي الآخر دال مهملة قال الجوهري في كتاب الصحاح يقال رثدت المتاع نضدته ووضعت بعضه على بعض أو الى جنب ثم قال بعد ذلك تركت بني فلان مرتثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم قال ابن السكيت ومنه اشتق مرثد وهو اسم رجل والمرثد من أسماء الأسد وكان مؤرج المذكور يقول اسمي وكنيتي غريبان اسمي مؤرج والعرب تقول أرجت بين القوم وأرشت وأنا أبو فيد والفيد ورد الزعفران ويقال فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات

(أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين)

قال الخطيب في تاريخ بغداد كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده روي انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة في أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة فجعل يرددها حتى أصبح وكان سخيا كريما وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها ألف دينار وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد وحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا وقال علي بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جنبه وقال يا أبا الحسن اني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني أن تخرج علي أو على أحد من أولادي فقال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله الى المدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا وهو في الطريق خوف العوائق وأقام بالمدينة الى أيام هرون الرشيد فقدم هرون من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة فحمل موسى معه الى بغداد وحبسه بها الى أن توفي في محبسه * وذكر أيضا ان هرون الرشيد حج فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائرا وحوله قريش وأفناء القبائل ومعه موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فقال موسى السلام عليك يا أبت فتغير وجه هرون الرشيد وقال هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا انتهى كلام الخطيب وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هرون الرشيد ان عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هرون الرشيد وشرطته فقال أتاني رسول الرشيد وقتا ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرنا الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي في

وكان رحمه الله أعجوبة الزمان ونادرة الأوان في الحفظ والفراسة والشمول والاحاطة صاحب اذعان صحيح ولسان طلق فصيح وكان رحمه الله غاية في براعة الجنان وسعة التقرير والبيان واتفق انه سافر متنزها وهو مدرس بمدرسة ابن السلطان الى بروسه فجمع من كان فيها من المدرسين والاعيان وعقد مجلسا في الجامع الكبير فنقل من كتاب البخاري وأظهر اليد البيضاء في الاتقان وتحرير المسألة كان رحمه الله بحيث لو عاش وامتد له مدة الانتعاش لبلغ مبلغ الكمل من الرجال وبعد الصيت في الاقطار والرحال وما ظفرت على شيء من نتائج طبعه الكريم سوى ما كتبه من تفسير تسويد على حاشية القصيدة التي أنشأها أبوه المفتي أبو السعود التي أولها (بيت)
لمن الديار تضعضعت أركانها * وانقض شرف عروشها جدرانها
فرى لها فحوى الشرح والبيان فلا علينا من أن نثبت في هذا المكان وهذه صورته أفاد أولا أدام الله عزه أن اقبال دولة الدنيا على صاحبها بحيث ذللت رقاب الآمال لبلوغها وأدركها الحسن والجمال ومباشرتها أسباب العز والاجلال وأزره الحسد والكمال والناس عطاش الأكباد لزلال ألفاظها الرائقة

للدخول عليه فوجدته قاعدا على فرشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ثم قال يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال ان خليت عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك في هذه الساعة بهذه الحربة فاذهب فخل عنه قال فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له ان أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وان أحببت المضي الى المدينة فالاذن في ذلك اليك قال فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآني موسى وثب الي قائما وظن اني قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف فقد أمرني باطلاقك وان أدفع لك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان أحببت المقام قبلنا فلك ذلك كل ما تحب وان أحببت الانصراف الى المدينة فالامر في ذلك مطلق لك وأعطيته ثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فاني أخبرك بينما أنا نائم اذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمي ما أقول قال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عني فكان ما ترى وله اخبار ونوادر كثيرة وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين بالمدينة وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل سنة ست وثمانين ببغداد وقيل انه توفي مسموما وقال الخطيب توفي في الحبس ودفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد وهو في الجانب الغربي وقد سبق ذكر أبيه وأجداده وجماعة من أحفاده رضي الله عنهم وأرضاهم وكان الموكل به مدة حبسه السندي بن شاهك جد كشاجم الشاعر المشهور

(أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي)

تفقه بالموصل على والده ثم توجه الى بغداد سنة احدى وسبعين وخمسمائة وأقام بالمدرسة النظامية يشتغل على المعيد بها السديد السلماسي المقدم ذكره وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضي الشيرازي أبا الخير أحمد ابن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني فقرأ الخلاف والاصول وبحث الادب على الكمال أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري المقدم ذكره وكان قد قرأ أولا على الشيخ أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فتميز ومهر ثم أصعد الى الموصل وعكف على الاشتغال ودرس بعد وفاة والده في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى في موضعه بالمسجد المعروف بالامير زين الدين صاحب اربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة وتعرف بالمدرسة الكمالية لانه نسب الى كمال الدين المذكور لطول اقامته به ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء وتبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضة ولقد رأيته بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وترددت اليه دفعات عديدة لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الاكيدة ولم يتفق لي الاخذ عنه لعدم الاقامة وسرعة الحركة الى الشام وكان الفقهاء يقولون انه يدري أربعة وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك المذهب فكان فيه أوحد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ما هي عليه من الاشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف العراقي والبخاري وأصول الفقه وأصول الدين ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم أحد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الارشاد للعميدي لما وقف عليه حله في ليلة واحدة وأقرأها على ما قالوه وكان يدري في الحكمة والمنطق والطبيعي والالهي وكذلك الطب ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب المفتوح منه

والجبر

وملاسما لعماراتها الفائقة حتى صارت بحيث يشار اليها بالبنان وترمقها عيون الاعيان أثار الحسن في وجوهها طالعة وغصون البهجة في بساتين جمالها يانعة وارتفعت مكانتها الى حيث يناغي السماء برجيس ويعادل عرش بلقيس ثم لما أعرض عنها الزمان ودهاها الحدثان وصب على حوائم ازهار حسنها مياه المصائب وتتابعت عليها الرزايا والنوائب وجر على عروشها اذيال البلى وخرجوا الى قصورها بأنواع المحنة والبلى وجرت على هذا الاسلوب الازمان والدهور والاحقاب والعصور وتفرق ما كنوا بابها المنيع وجاوزوا مسكنها الرفيع وقد اقتفاهم من أوجدهم أن يفنوا وخلت عنهم الديار كأن لم يغنوا آل أمرها الى حال تغيرت عليها الشؤون والاحوال فسبحان من لا يعتري ملكه التبدل والانتقال ولا يجري في سلطانه تفرق وانفصال وبعد ذلك أشار الى ما لا يخطر ببال أحد من الفرائد وبدائع الفوائد ليكون على المطلوب حجة نيرة واضحة المكنون وآية لقوم يعقلون

(ومن الخادم الاعيان المولى قورد احمد جلبي بن خير الدين معلم السلطان سليمان)

الجبر والمقابلة والارثماطيقي وطريق الخطايين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج في علم الاوفاق طرقا لم يهتد اليها أحد وكان يبحث في العربية والتصريف بحثا تاما مستوفيا حتى انه كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابي علي الفارسي والمفصل للزمخشري وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به وأسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيأ كثيرا وكان أهل الذمة يقرؤن عليه التوراة والانجيل وشرح لهما هذين الكتابين شرحا يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه انه قد جمعه ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين المفضل أبو عمر بن المفضل الابهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل الى اربل في سنة خمس وعشرين وستمائة ونزل بدار الحديث وكنت أشتغل عليه بشئ من الخلاف فبينما أنا يوما عنده اذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا في الحديث زمانا وجرى ذكر الشيخ كمال الدين في أثناء الحديث فقال له الاثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك فقال نعم فقال كيف كان اقبال الديوان العزيز فقال له ذلك الفقيه ما أنصفوه على قدر استحقاقه فقال الاثير ما هذا الا عجب والله ما دخل بغداد مثل الشيخ فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له يا سيدنا كيف تقول كذا فقال يا ولدي ما دخل بغداد مثل أبي حامد الغزالي والله ما بينه وبين الشيخ نسبة وكان الاثير على جلالة قدره في العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه والناس يومئذ يشتغلون في تصانيف الاثير ولقد شاهدت هذا بعيني وهو يقرأ عليه كتاب المجسطي ولقد حكى لي بعض الفقهاء انه سأل الشيخ كمال الدين عن الاثير ومنزلته في العلوم فقال ما أعلم فقال وكيف هذا يا مولانا وهو في خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك فقال لانني مهما قلت له تلقاه بالقبول وقال نعم يا مولانا وما جادلني في مسئلة قط حتى أعلم حقيقة فضله ولا شك انه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تأدبا وكان معيدا عنده بالمدرسة البدرية وكان يقول ما تركت بلادي وقصدت الموصل الا للاشتغال على الشيخ ومن يقف على هذه الترجمة فلا ينسبني الى المغالاة في حق الشيخ ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان عليه الشيخ يعلم أني ما عرفته وصفناه ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل ولقد ذكره أبو البركات المبارك بن المستوفي المقدم ذكره في تاريخ اربل فقال هو عالم مقدم ضرب في كل علم وهو في علم الاوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار اليه حل اقليدس والمجسطي على الشيخ شرف الدين المظفر ابن محمد بن المظفر الطوسي الفارابي يعني صاحب الاسطرلاب الخطي المعروف بالعصا ثم قال ابن المستوفي وردت عليه مسائل من بغداد في مشكلات هذا العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد ان احتقرها وهو في الفقه والعلوم الاسلامية نسيج وحده ودرس في عدة مدارس بالموصل وتخرج عليه خلق كثير في كل فن ثم قال أنشدني لنفسه وانفذها الى صاحب الموصل يشفع عنده

لئن شرفت أرض بمالك رقها * فمملكة الدنيا بكم تتشرف

بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف

ومكنت في حفظ البسيطة مثلما * تمكن في أمصار فرعون يوسف

قلت أنا ولقد أنشدني هذه الابيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وبها رجل فاضل في علوم الرياضة فأشكل عليه مواضع في مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها في درج وسيرها الى الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يعجز الانسان عن وصفه ثم كتب في آخر الجواب فليمهد العذر في التقصير في الاجوبة فان القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه بحيث صرنا كأنا ما عرفناه وقال لي صاحب المسائل المذكور ما سمعت

نشأ رحمه الله بكنف العز والعلا وقرأ بجد والسنا طالبا للمعارف ومستفيدا من كل عارف واشتغل على المولى عبد الباقي والمولى صالح بن جلال والمولى بستان وغيرهم من أرباب الفضل والكمال ثم صار ملازما من المولى محمد الشهير بجوي زاده وهو مفت بطريق الاعادة ثم صار بذلك الطريق مدرسا بسليمانية ازنيق فبعد قليل من الزمان نقل الى احدى المدارس الثمان فلما مضى عليه سنتين عادت وظيفته باسمين ثم ظهر له العواطف السلطانية فنقل الى احدى المدارس السليمانية ثم على الزمان الدمشقي الشام فبعد سنتين ساعده الظنون وحل به ريب المنون وذلك سنة ست وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم مشاركا في بعض العلوم حلو المحاضرة حسن المشاركة عذب المشرب سهل المطلب ذا وجه صبيح ولسان فصيح روح الله روحه

(ومنهم العالم البارع الاوحد الشيخ عرس الدين أحمد)

نشأ رحمه الله في مبادي تحصيله ورغب في العلوم وتشبث بكل سبب وقرأ المختصرات على الشيخ حسن السموني وحصل طرفا صالحا من فنون الادب ثم قصد الى التحصيل التام فارتحل

هذا الكلام الا للاوائل المتقنين لهذه العلوم ما هذا من كلام أبناء زماننا وقد أطلت الشرح في نشر علومه ولعمري لقد اختصرت ولما توفي أخوه الشيخ عماد الدين محمد المقدم ذكره تولى الشيخ المدرسة العلائية موضع أخيه ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة وكان مواظبا على القاء الدروس والافادة وحضرت في بعض الايام درسه وجماعة من المدرسين أرباب الطيالس وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماخوخ بن يوسف الصنهاجي اللزني النحوي البجائي حاضرا فأنشد على البديهة قوله

كمال كمال الدين للعلم والعلى * فهيهات ساع في مساعيك يطمع
اذا اجتمع النظار في كل موطن * فغاية كل أن تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا * ولكن حياء واعترافا تقنعوا

وللعماد المذكور فيه أيضا

تجر الموصل الاذيال فخرا * على كل المنازل والرسوم
بدجلة والكمال هما شفاء * لهيم أو لذي فهم سقيم
فذا بحر تدفق وهو عذب * وذا بحر ولكن من علوم

وكان الشيخ سامحه الله تعالى يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وكانت تعتريه غفلة في بعض الاحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد المذكور

أجدك ان قد جاد بعد التعبس * غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها * كرقة شعري أو كدين ابن يونس

وقد خرجنا عن المقصود لكن الحاجة دعتنا اليه وكانت ولادته يوم الخميس خامس صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفي بها رابع عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة ودفن في تربتهم المعروفة بهم عند تربة غسان خارج باب العراق وقد سبق ذكر ولده شرف الدين أحمد في حرف الهمزة وأخيه عماد الدين في حرف الميم وسيأتي ذكر والده في حرف الياء ان شاء الله تعالى رحمهم الله أجمعين وتوفي الشيخ رضي الدين القزويني مدرس المدرسة النظامية المذكور في أول هذه الترجمة في الثالث والعشرين من المحرم سنة تسعين وخمسمائة وكانت ولادته في شهور رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بقزوين وموته بها أيضا ولولا خوف الاطالة لذكرت من مناقب الشيخ كمال الدين ما يستغرق الوصف وقد تقدم الكلام على الصنهاجي وأما اللزني فهو بفتح اللام وسكون الزاي وبعدها نون هذه النسبة الى لزنة وهي قبيلة من البربر تسكن بالقرب من بجاية من عمل افريقية وتوفي العماد بن يوسف المذكور يوم الاحد ثالث عشر رجب من سنة تسع وأربعين وستمائة بدمشق ودفن بالباب الشرقي ثم نقل الى باب الصغير ومولده في سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرق صعيد مصر رحمه الله تعالى والله أعلم

(أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب فتح الاندلس)

كان من التابعين رضي الله عنهم وروى عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى رضي الله عنه لم يهزم له جيش قط وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده مكينة ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني ان أشكرك بكفر من هو أولى بشكري فقال ومن هو قال الله عز وجل فقال وكيف لا أم لك قال وكيف لا أعلمك هذا فأغض وأمض قال فأطرق معاوية مليا ثم قال أستغفر الله ورضي عنه وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له أرسل موسى بن نصير الى افريقية وذلك في سنة تسع وثمانين للهجرة وقال الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ان موسى بن نصير تولى افريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فأرسله اليها فلما قدمها ومعه جماعة من الجند بلغه ان باطراف البلاد جماعة خارجين عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة ألف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان الى جهة أخرى

ماشيا الى دمشق الشام وأخذ فيها الطب من مقدم الالباء ورئيس الاطباء العالم الذكي المشتهر بابن السكري ثم انتقل من تلك العام ماشيا الى القاهرة واشتغل فيها على العالم الجليل المقدار الشيخ المشتهر بابن عبد الغفار وأخذ منه الحكميات وعلوم الرياضيات وسائر العلوم العقلية قاطبة بالدروس الراتبة وأخذ الحديث وسائر علوم الدين من القاضي زكريا الشيخ المفسر بن ناصح وهو ناصية العلوم آخذ وحكمه في عامة الفنون نافذ وتقلبت به الاحوال وتأخرت عنه الامثال وفاق على الاقران وسار بذكره الركبان ولما كانت فضائله ظاهرة عند سلطان القاهرة أحب رؤيته واستدعاه ورفع منزلته وأكرم مثواه ثم جعله معلما لابنه ومصاحبا لنفسه ولما وقع بين مخدومه وبين سلطان الروم من المنافسة حضر الوقعة المعروفة من جانب الجراكسة ولما التقى الجمعان وتراءت الفئتان وتقدم الابطال وتجهم الرجال وهجم ليوث الارواح واسود الآجام على ثعالب الاعادي وثعالب البوادي وكتبوا باقلام النصر أحاديث الجرح والسقام وأوصلوا اليهم أخبار الموت برسل السهام وأرسلوا عليهم شواظا من نار واحلوا

فأتاه بثمانية آلاف فارس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين ألف رأس وقال أبو شبيب الصدفي لم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن إفريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين وخرج بهم إلى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل منهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى إلى السوس الأدنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال إنه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر بالأسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم وترك موسى عندهم خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الإسلام ورجع إلى إفريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القواعد كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الأندلس في جيش من البربر ليس فيهم من العرب إلا قدر يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس وصعد إلى جبل يعرف اليوم بجبل طارق لأنه نسب إليه لما حصل عليه وكان صعوده إليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة في اثني عشر ألف فارس من البربر خلا اثني عشر رجلا وذكر عن طارق أنه كان نائما في المركب وقت التعدية وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم ذكره في حرف الحاء في تاريخ الأندلس وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الأندلس ملك يقال له لذريق ولما نزل طارق بالجبل المذكور كتب إلى موسى بن نصير إني فعلت ما أمرتني به وسهل الله سبحانه وتعالى بالدخول فلما وصل كتابه إلى موسى ندم على تأخره وعلم أنه إن فتح نسب الفتح إليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم يدركه إلا بعد الفتح وكان لذريق المذكور قد قصد عدوا له واستخلف في المملكة شخصا يقال له تدمير وإلى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالأندلس فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير إلى لذريق إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الأرض فلما بلغ ذلك لذريق رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ومعه العجل تحمل الأموال والمتاع وهو على سرير بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص مباع ٣ فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعام واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة

٣ قوله مباع هكذا بالأصل والصواب مبيع لأنه من باع الثلاثي اه مصححه

أكثرهم دار البوار وأخذ الصواعق والبروق في اللمعات والشروق وأمطار عليهم السماء الحديد والحجارة وضيق عليهم هذه الدارة وسالت بدمائهم الأباطح وشبعت من لحومهم الجوارح لم يثبت الجراكسة إلا ساعة من النهار ثم بدلوا الفرار من القرار وجعلوا أمام عسكر الروم يتواثبون وهم من ورائهم بهذا القول يتخاطبون (بيت)

جعلنا ظهور القوم في الحرب أوجها
وقفنا بها ثغرا وعينا وحاجبا

وقتل الغوري في المعركة ولم يعرف له قاتل وأسر ابنه والمولى المرحوم ولما جيء بهما إلى السلطان سليم خان عفا عنهما وقابلهما بالإحسان ثم لما عاد إلى ديار الروم بعد فراغه من أمر مصر استصحب ابن الغوري والمولى المرحوم فاستوطن قسطنطينية وشرع في إشاعة المعارف وإذاعة النوادر واللطائف واشتغل عليه كثير من السادة وفازوا منه بالاستفادة وقد تشرفت برؤيته وتبركت بصحبته توفي رحمه الله سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم رأسا في جميع العلوم مستجمعا للشروط والفضائل وجامعا للعلوم الأواخر والأوائل وله في الرياضات أوفر [illegible]

ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا انى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر في قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ لذريق وكان قد نزل بمتسع من الارض فلما تراءى الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تلببوا وعبوا كتائبهم وحمل لذريق على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظلله وهو مقبل في غاية من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة بالسلاح وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد من فوق رؤسهم العمائم البيض وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق قال أما والله ان هذه الصور التي رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب ولنتكلم هنا على بيت الحكمة ما هو ثم نتكلم على حديث الوقعة وأصل خبر بيت الحكمة ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة كانوا يسكنون بلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الملك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا في آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يومئذ ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولا كانت عامرة وكان أول من عمرها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت صورة المعمور منها عندهم شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه فكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى أخس الطائر وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما ترى فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التي كان أمرها عندهم أهم الامور فلذلك انحازوا بين يدي الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها أقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الكروم والجنات وشيدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبناء فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها ان الطائر الذي صورت العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله في ذنبه فاغتبطوا بها ثم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة منها مدينة طليطلة لانها أوسط البلاد وكان أهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا ليس ثم من يحسدهم على أرغد العيش الا أرباب الشظف والشقاء وهم يومئذ طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا ان يتخذوا لدفع هذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك أرصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم سوى تعدية البحر ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع فازدادوا منهم نفورا وكثر تحذيرهم من مخالطتهم في نسل أو مجاورة حتى ثبت ذلك في طباعهم وصار بغضهم مركبا في غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد أندلسيا الا مبغضا بربريا ولا بربريا الا مبغضا اندلسيا الا ان البربر أحوج الى أهل الاندلس من أهل الاندلس الى البربر لكثرة وجود الاشياء بالاندلس وعدمها بالبربر وكان بنواحي غرب جزيرة الاندلس ملك يوناني بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة في غاية الحسن والجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت جزيرة الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك تنافسا منهم في ذلك فخطبها كل واحد منهم وكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم واسخاط الباقين فتحير في أمره وأحضر ابنته المذكورة وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذلك قيل ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الارض على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين وألسنة العرب فلما حضرت بين يديه قال لها يا بنية انى قد أصبحت في حيرة من أمري قالت وما حيرتك قال قد خطبك جميع ملوك الاندلس ومتى

ارضيت

في الطب أبقراط وجالينوس وكان صاحب فنون غريبة قادرا على أفاعيل عجيبة ماهرا في وضع الآلات النجومية والهندسية كالربع والاسطرلاب وسائر الاسباب وكان رحمه الله مفلتة عن الكلف وعلم الزايرجة بلا خلاف وكان رحمه الله مشهورا بالحلف في التعليم والافادة لارباب الطلب والاستفادة ولم يقبل مدة عمره وظيفة السلاطين وقطع حبال الاماني من أرباب العز والامكان وكان يكتسب بطباخته ويقتات بهدايا تلامذته وكان يلبس لباسا خشنا وعمامة صغيرة ويتنحى من الشبهات بالعزم الكامل والامور اليسيرة وكان رحمه الله ينظم الابيات أعذب من ماء الفرات وقال في قافية الطاء مطالبا بعض الفضلاء وأظنه المولى صالح ابن جلال عند كونه قاضيا بحلب ومنها (قصيدة)

دعاني فلا عصيت عذرا ولا شطا
وشكري لكم دوم فما كان يحطا
وانى جميلا ثم اهدى تحية
أطايب شذاها يطلب العود والقسط
نسائم مسك فاح يعطرها
وفي وجنة الورد منها أتى قسطا
الى حضرة أسمى الانام بعاها
وبانيهم الحكم الشريعة والشرط
فلا مطالب الاذراها نسيم ولا

أرضيت واحداً أسخطت الباقين فقالت اجعل الامر الى تتخلص من اللوم قال وما تصنعين قالت اقترح لنفسي أمراً من فعله كنت زوجته ومن عجز عنه لم يحسن به السخط قال وما الذي تقترحين قالت اقترح أن يكون ملكاً حكيماً قال نعم ما اخترت لنفسك وكتب في أجوبة الملوك الخطاب انى جعلت الامر اليها فاختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الاجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيماً وكان في الملوك رجلان حكيمان فكتب كل واحد منهما اليه أنا الرجل الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا ابنتي بقي الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمراً يأتي به فأيهما سبق الى الفراغ مما ألتمسه تزوجت به قال وما الذي تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ونحن محتاجون الى رحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر طلسماً يحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف أبوها اقتراحها وكتب الى الملكين بما قالته ابنته فأجابا الى ذلك وتقاسما على ما اختاراه وشرع كل واحد في عمل ما ندب اليه من ذلك فأما صاحب الرحى فانه عمد الى خرز عمله من الحجارة ونضد بعضها في بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الاندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفروج التي بين الحجارة بما اقتضته حكمته وأوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثارها باقية الى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة والجزيرة الخضراء وأهل الاندلس يزعمون ان ذلك أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أى ذلك أصح فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب اليها الماء العذب من موضع عال في الجبل بالبر الكبير وسلطه على ساقية محكمة البناء وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عليه بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير انه عمل أمره وأحكمه وابتنى بنياناً مربعاً من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختاره صور من النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى له لحية وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائم في رأسه لجعودها متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بأرطب تصوير وأحكمه في رجليه نعل وهو قائم في رأس البناء على مستحق بمقدار رجليه فقط وهو شاهق في الهواء طوله نيف عن ستين ذراعاً أو سبعين وهو محدد الاعلى الى أن ينتهي الى ما سعته قدر الذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضاً عليه مشيراً الى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه انه لم يرقط ساكناً ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرية حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان الطلسم والرحى يتسابقان الى التمام من عملهما اذ كان بالسبق يستحق التزويج وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفى أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل عمل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم اليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وأدار الرحى واشتهر ذلك واتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهباً فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتاً وحصل صاحب الرحى على الرحى والمرأة والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الاندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا الطلسمات في أوقات اختاروا ارصادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتاً من الرخام وتركوه في بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت باباً وأقفلوه وتقدموا الى كل من ملك منهم بعد صاحبه أن يلقى على ذلك الباب قفلاً تأكيداً لحفظ ذلك البيت فاستمر أمرهم على ذلك ولما جاء وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى جزيرة الاندلس وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكاً من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة وكان الملك لذريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم فلما جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأى من دولته قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلاً شئ وأريد أن أفتحه لأنظر

رحال الذى عزم الى غيرها
تخطو
لقد حسد أقوام وضاهوا
بمثلها
فسدون أمانيها القتادة
والخرط
فكم من كبير قد بحيرت
لحاله
وفكيت مأسوراً أضر به
الربط
وكم من اياد قد أتاحت
لكاهل
وما كادت الاقدام من حملها
تخطو
سبقت الى الفضل السراة
فنالهم
من الجهد الادون عزمك
قد حطوا
علوت الى ان جئت بالشهب
منطقا
فسارت به الامثال والعرب
والنبط
جمعت لانواع العلوم فلا ترى
لمثلك فرداً في الفنون له
ضبط
لعمرى من أيام أرى فيه
العدا
كودا وقد ساروا وقد ساءهم
سخط
جواد له جود نوام على الرضا
والاتنى ان فارسه سقط
فذلك أمانيهم وأحلام كاذب
فهل ثم عقبان يروعها البط
سلوا علماء الخافقين وقتية
بسمر القنا فى الجانبين لهم
شرط
فهل كانت الانعام تأوى
لمقعة
أقام بها الليث وفيها له سبط
فيا حبذا اليوم وفيه تظلهم

ما فيه فانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت لم يعمل عبثا ولا أقفل سدى بل المصلحة أن تلقي عليه قفلا كما فعل من تقدمك من الملوك وكان آباؤك وأجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر بسيرهم فقال ان نفسي تنازعني الى فتحه فلا بد لي منه فقالوا ان كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من أموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حدثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهابا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير في البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ورأى في البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفي جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدون بالسيوف المحلاة معتقلون بالرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لزريق ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الاندلس انتهى الكلام على بيت الحكمة (ونعود الآن الى تتمة حديث لزريق وجيش طارق بن زياد) فلما رأى طارق لزريق قال لاصحابه هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدي لزريق فخلص اليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور أولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك جزيرة الاندلس فاستبحه هنيأ مريأ فقال طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته الى البحر المحيط وأخوض فيه بفرسي يعني البحر الشمالي الذي تحت بنات نعش فلم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ جليقية وهي على ساحل البحر المحيط ثم رجع قال الحميدي في جذوة المقتبس ان موسى بن نصير نقم على طارق اذ غزا بغير اذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام وكان خروج موسى من الاندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه على يديه وما معه من الاموال في سنة أربع وتسعين للهجرة وكان معه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام التي وجدت في طليطلة على ما حكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث انها حملت على بغل قوي فما سار قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين ألف رأس من الرقيق ويقال ان الوليد كان قد نقم عليه أمرا فلما وصل اليه وهو بدمشق أقامه في الشمس يوما كاملا في يوم صائف حتى خر مغشيا عليه وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه مع أني تركت الاكثر وأتيت بالمقصود * ولما وصل موسى الى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين فحج معه موسى بن نصير ومات في الطريق بوادي القرى وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة تسع عشرة للهجرة رحمه الله تعالى

(ابو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن أيوب الملقب الملك الاشرف مظفر الدين)

أول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها سيره اليها والده من الديار المصرية في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ثم أضيفت اليه حران وكان محبوبا الى الناس مسعودا مؤيدا في الحروب من يومه لقي نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل المذكور في حرف الهمزة وكان يومئذ من الملوك المشاهير الكبار وتواقعا في مصاف

سيوف لكم بيض تسلي روسهم رقطا
ترود حياض الموت فيه نفوسهم
ونيران تقع من زفيرها الغطا
وتهدي المنايا للنفوس بأسهم
وأقلام سمر من أسود بها نشط
فديتكم روحي لقد جئت بالخطا
فسلم بدا منكم فشأني بسطو
فأين صوابي والخطا كان جبلتي
وأقدام ما أبغي عليه لقد سطوا
فسامح لمن أخطا وصنه تكرما
فابكار فكري للخطائين قد خطوا
جزاك اله العرش عني عطية
وياتيك أفراح ويعقبها الغبط
(نثر) ولما وصل اليه القصيدة الميمية التي أنشأها المفتي أبو السعود عليه رحمة الرب الودود وهي التي أولها
(بيت)
أبعد سليمى مطلب ومرام
وغير هواها لوعة وغرام
صنع خطبة سنية وصنع عدة أبيات سنية وأرسلها الى المولى المزبور واستبدى باسم السلام الى السدة السنية وأستهدى من سناء سيدنا وسندنا بنسمة من نسماته المسيحية سالكا سبيل التسليم متمسكا بالصراط المستقيم أسمع الشهرفي سالك الاستقامة قسمي

وكسره

فكسروه وذلك فى سنة ستمائة وهى وقعة مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها ولما توفى أخوه الملك الاوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحى أخذ الملك الاشرف مملكته مضافة الى ما لكه وذلك فى سنة تسع وستمائة وكان الملك الاوحد قد ملك خلاط فى سنة أربع وستمائة فاتسعت حينئذ مملكته وبسط العدل على الناس وأحسن اليهم احسانا لم يعهدوه ممن كان قبله وعظم وقعه فى قلوب الناس وبعد صيته وكان قد ملك نصيبين الشرق فى سنة ست وستمائة وأخذ سنجار سنة سبع وكذلك الخابور وملك معظم بلاد الجزيرة وكان يتنقل فيها وأكثر اقامته بالرقة لكونها على الفرات ولما مات ابن عمه الملك الظاهر صاحب حلب فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف العين عزم عز الدين كيكاوس صاحب الروم على حلب فسير أرباب الامر بحلب الى الملك الاشرف وسألوه الوصول اليهم لحفظ البلد فاجابهم الى سؤالهم وتوجه اليهم وأقام بالباروقية بظاهر حلب مدة ثلاث سنين وجرت له مع صاحب الروم وابن عمه الملك الافضل صاحب سميساط وقائع مشهورة لا حاجة الى الاطالة فى شرحها ولما أخذت الفرنج دمياط فى سنة ست عشرة وستمائة حسبما شرحناه فى ترجمة الملك الكامل توجهت جماعة من ملوك الشام الى الديار المصرية لانجاد الملك الكامل وتأخر عنه الملك الاشرف للمنافرة كانت بينهما فجاءه أخوه الملك المعظم المقدم ذكره فى حرف العين بنفسه وأرضاه ولم يزل يلاطفه حتى استصحبه معه فصادف عقيب وصوله اليها انتصار المسلمين على الفرنج وانتزاع دمياط من أيديهم وكانوا يرون ذلك بسبب من غرته ٣ ولما مات الملك المعظم فى التاريخ المذكور فى ترجمته قام بالامر من بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود فقصده عمه الملك الكامل من الديار المصرية ليأخذ دمشق منه فاستنجد بعمه الملك الاشرف وكان يومئذ ببلاد الشرق فوصل اليه واجتمع به بدمشق ثم خرج منها متوجها الى أخيه الملك الكامل واجتمع به وجرى الاتفاق بينهما على أخذ دمشق من الملك الناصر وتسلمها الى الملك الاشرف ويبقى للملك الناصر الكرك والشوبك ونابلس وبيسان وتلك النواحى وينزل الملك الاشرف عن حران والرها وسروج والرقة ورأس عين ويسلمها الى الملك الكامل فاستتب الحال على ذلك وتسلم الملك الاشرف دمشق لاستقبال رجب سنة ست وعشرين وستمائة وانتقل الملك الكامل الى بلاده التى تسلمها بالشرق ليكشف أحوالها ويرتب أمورها واجتزت فى التاريخ المذكور بحران وهو بها وانتقل الاشرف الى دمشق واتخذها دار اقامة وأعرض عن بقية البلاد ونزل جلال الدين خوارزم شاه على خلاط وحاصرها وضايقها أشد مضايقة وأخذها فى سنة ست وعشرين من نواب الملك الاشرف وهو مقيم بدمشق ولم يمكنه فى ذلك الوقت قصدها للدفع عنها لاعذار كانت له ثم عقيب ذلك توصل الى بلاد الروم بالاتفاق مع سلطانها علاء الدين كيقباذ أخى عز الدين كيكاوس المذكور وتظافروا على قصد خوارزم شاه وضرب المصاف معه فان صاحب الروم أيضا كان يخاف على بلاده منه لكونه مجاوره فتوجها نحوه فى جيش عظيم من جهة الشام والشرق فى خدمة الملك الاشرف وعسكر صاحب الروم والتقوا بين خلاط وارزنكان بموضع يقال له ياسى جارة فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وانكسر خوارزم شاه وهى وقعة مشهورة وعادت خلاط الى الملك الاشرف وقد خربت ثم رجع الى الشام وتوجه الى الديار المصرية وأقام عند أخيه الملك الكامل مدة ثم خرج فى خدمته قاصدين آمد ونزلوا عليها وفتحوها فى مدة يسيرة وذلك فى سنة تسع وعشرين وستمائة وأضافها الملك الكامل الى مملكته ببلاد الشرق ورتب فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور فى ترجمته والموفق خدمته الطواشى شمس الدين صواب الخادم العادلى ثم عاد كل واحد الى بلاده ثم كانت واقعة ببلاد الروم وهى مشهورة وقد جمع الكامل والاشرف ومن معهما من الملوك بغير حصول مقصود ولما رجعا خرج عسكر صاحب الروم على بلاد الكامل بالشرق فأخذها وأخربها ثم عاد الكامل والاشرف وأتباعهما ومن معهما من الملوك الى بلاد الشرق واستنقذوها من نواب صاحب الروم ثم رجعوا الى دمشق فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بدمشق فى تلك السفرة ورأيت الكامل والاشرف وكانا يركبان معا ويلعبان بالكرة بالميدان الاخضر الكبير كل يوم وكان شهر رمضان وكانا يقصدان بذلك تعبير النهار لاجل الصوم ولقد

النفوس واستدعى لسلمى فاسرعت اليه كالعروس ثم سلاعنها بسلوان من التسليم وسلب أساطيرها عن سويدائه بسر سليم فسألت السعفاء من سحاب سماحته فاسعفنى بها واسترقنى من ساعته فسمعت منها ما فى سلسال سلسبيلها مسارعا لسلالتها فسال سيلها وأنشدت (شعر)

سطورلها حسن عن الشمس اسفرت
سبانى من باسم وسلام
فسهل لها سفك النفوس وقد سعى
يساعدها سائف وسهام
فسرعان ماسلت سيوف نواعس
فسيرا فسيرا فالسيوف سطام
سلبى فما أسلو فسفكا أو اسعدى
فاسلوى أرسم ووسام
فيا حسرتا ما للسهاد مساعدى
وما سر الاحسرة وسقام
سقانى السعد اسما وسار سنية
سحائب تسليم سعدن سجام
سخيت بنفسى ان سمحت بنفسها
بانس وتسليم عليك سلام

وقد أظهر البراعة فيمن أرسل ساعة (شعر)

يا منفرد العصر قد بادرت بالطاعه
يا من حوى الجود والاوقات فى ساعه
نوعا من الخير قد لاحظتموه لنسبا

٣ قوله بسبب من غرته هكذا بالاصل ولعله بسبب من غيرته اهـ مصححه

كنت أرى من تأدب كل واحد منهما مع الآخر شيأ كثيراً ثم وقعت بينهما وحشة وخرج الأشرف عن طاعة الكامل ووافقه الملوك بأسرها وتعاهدهو وصاحب الروم وصاحب حلب وصاحب حماة وصاحب حمص وأصحاب الشرق على الخروج على الملك الكامل ولم يبق مع الملك الكامل سوى ابن أخيه الملك الناصر صاحب الكرك فانه توجه الى خدمته بالديار المصرية فلما تحالفوا وتحزبوا واتفقوا على الخروج على الملك الكامل مرض الملك الأشرف مرضاً شديداً وتوفي يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بقلعتها ثم نقل الى التربة التي أنشئت له بالكلاسة في الجانب الشمالي من جامع دمشق وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالديار المصرية بالقاهرة وقيل بقلعة الكرك رحمه الله تعالى هذه خلاصة أحواله وكان سلطاناً كريماً حليماً واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطاء لا يوجد في خزائنه شيء من المال مع اتساع مملكته ولا تزال عليه الديون للتجار وغيرهم واقدر أي يوماً في دواة كاتبه وشاعره الكمال أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن النبيه المصري قلماً واحداً فأنكر عليه ذلك فأنشده في الحال دو بيت

قال الملك الأشرف قولاً رشدا * اقلامك يا كمال قلت عددا
جاوبت لعظم كتب ما تطلقه * تحفى فتقط فهي تفنى أبدا

وطرب ليلة في مجلس أنسه على بعض الملاهي فقال لصاحب الملهى تمن علي فقال تمنيت مدينة خلاط فأعطاها له وكان نائبه بها الأمير حسام الدين المعروف بالحاجب علي بن حماد الموصل فتوجه ذلك الشخص اليه ليتسلمها منه فعوضه الحاجب عنها بجملة كثيرة من المال وصالحه عنها وكان له في ذلك غرائب وكان يميل الى أهل الخير والصلاح ويحسن الاعتقاد فيهم وبنى بدمشق دار حديث وفوض تدريسها الى الشيخ تقي الدين عثمان المعروف بابن الصلاح المقدم ذكره وكان بالعقيبة ظاهر دمشق خان يعرف بابن الزنجاري قد جمع أنواع أسباب الملاذ ويجري فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف فقيل له ان مثل هذا لا يليق أن يكون في بلاد المسلمين فهدمه وعمره مسجداً جامعاً غرم عليه جملة مستكثرة وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب الى الله تعالى وأناب عما كان فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة أحببت ذكرها وهي انه كان بمدرسة ست الشام التي خارج البلد امام يعرف بالجمال السبتي أعرفه شيخاً حسناً ويقال كان في صباه يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدوداً في الأخيار فلما احتاج الجامع المذكور الى خطيب ذكر للملك الأشرف جماعة وشكر الجمال المذكور فتولى خطابته فلما توفي تولى موضعه العماد الواسطي الواعظ وكان يتهم باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك العادل بن أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن زويتينة الرحبي أبياتاً وهي

يا مليكاً أوضح الحق لدينا وأبانه	جامع التوبة قد قلدني منه أمانه
قال قل للملك الصا * لح أعلى الله شانه	يا عماد الدين يا من * حمد الناس زمانه
كم الى كم أنا في ضر وبؤس واهانه	لي خطيب واسطي * يعشق الشرب ديانه
والذي قد كان من قبـ * ـل يغني بجغانه	فكما نحن فما زلـ * ـنا ولا أبرح حانه

ردني للنمط الأول واستبق ضمانه

وهذه الأبيات في بابها في غاية الظرف وكان الرحبي المذكور قد وصل الى الديار المصرية في رسالة من عند صاحب حمص وأنشدني هذه الأبيات وحكى السبب الحامل عليها وذلك في بعض شهور سنة سبع وأربعين وستمائة ومدح الملك الأشرف أعيان شعراء عصره وخلدوا مدائحه في دواوينهم فمنهم شرف الدين محمد بن عنين وقد سبق ذكره والبهاء أسعد السنجاري وقد سبق ذكره أيضاً والشرف راجح الحلي وقد ذكرته في ترجمة الملك الظاهر والكمال بن النبيه المذكور وكانت وفاته سنة تسع عشرة وستمائة بمدينة نصيبين الشرق وعمره تقديراً مقدار ستين سنة كذا أخبرني صهره بالقاهرة والمهذب محمد بن أبي الحسين بن يمن بن علي بن أحمد بن محمد بن

فكنت عبداً لكم في الوقت والساعه

(ذكر تصانيفه) التذكرة في علم الحساب ومتن وشرح في علم الفرائض وحاشية على فلكيات شرح المواقف وحاشية على شرح الجامي للكافية الى آخر المرفوعات وحاشية على شرح النفيسي للموجز من الطب وشرح تفسير البيضاوي حزبين من القرآن الكريم وكتاب في علم الزايرجه وقد شرح القصيدة الميمية للمفتي أبي السعود وأتى به الى المولى المزبور فاستقبله وعانقه وأكرمه غاية الاكرام فلما نظر الى ما كتبه استحسنه وأعطاه بعضاً من الاقمشة والعمائم وغيرها روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل والنحرير الكامل المولى عبد الباقي ابن المولى علاء الدين العربي الحلبي) انتقل أبوه وهو صغير ونشأ في حجر أخيه الكبير عبد الرحمن الشهير بالجلبي فلما انتبه من رقدة الصغر وتفكر في هذه العالم واقتكر على ان تفاوت الرتب بالفضل والادب فترك لذاته في تكميل ذاته فصاحب الروس والاهالي حتى وصل الى مجلس المفتي علاء الدين الجمالي فلما صار ملازماً منه تقلد مدرسة قره كوز باشا بقصبة كوتاهيه بخمسة وعشرين ثم مدرسة

عثمان بن عبد الحميد الانصاري المعروف بابن الاردخل الموصلي الشاعر المشهور ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالموصل وتوفي في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة بميافارقين رحمه الله تعالى

(ابو عمران موسى بن عبد الملك الاصبهاني صاحب ديوان الخراج)

كان من جملة الرؤساء وفضلاء الكتاب وأعيانهم تنقل في الخدم في أيام جماعة من الخلفاء وكان اليه ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل وكان مترسلا وله ديوان رسائل وقد سبق طرف من خبره مع أبي العيناء في ترجمته وما دار بينهما من المحاورة في قضية نجاح بن سلمة وله شعر رقيق حسن فمن ذلك قوله

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق * وشممت من أرض الحجاز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولمن أحب بجمع شمل واتفاق * وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق لي الا تجشم هذه السبع البواقي * حتى يطول حديثنا لصفات ما كنا نلاقي

ولهذه الابيات حكاية مستظرفة أحببت ذكرها ههنا وقد سردها الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس وغيره من أرباب تواريخ المغاربة وهو ان أبا علي الحسن بن الاشكري المصري قال كنت من جلاس الامير تميم أبي تميم وممن يخف عليه جدا وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور في حرف التاء قال فارسلني الى بغداد فابتعت له جارية رائعة فائقة الغناء فلما وصلت اليه دعا جلساءه قال وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه * يبدو كحاشية الرداء ودونه
صعب الذرا متمنع أركانه * فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

وهذه الابيات ذكرها صاحب الاغاني للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسني قال ابن الاشكري فأحسنت الجارية ما شاءت فطرب الامير تميم ومن حضر ثم غنت

سيسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

قال فطرب الامير تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

أستودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

وهذا البيت لمحمد بن زريق الكاتب البغدادي من جملة قصيدة طويلة قال الراوي فاشتد طرب الامير تميم وأفرط جدا ثم قال لها تمني ما شئت فقالت أتمنى عافية الامير وسلامته فقال والله لابد أن تتمني فقالت على الوفاء أيها الامير بما أتمنى قال نعم فقالت أتمنى أن أغني بهذه النوبة ببغداد قال فانتقع لون الامير تميم وتغير وجهه وتكدر المجلس وقام وقمنا قال ابن الاشكري فلقيني بعض خدمه وقال لي ارجع فالامير يدعوك فوجدته جالسا ينتظرني فسلمت وقمت بين يديه فقال لي ويحك أرأيت ما امتحنا به فقلت نعم أيها الامير فقال لابد من الوفاء لها ولا أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها الى بغداد فاذا غنت هنالك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة قال ثم قمت فتأهبت وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية له سوداء تعادلها وتخدمها وأمر بناقة ومحمل فادخلت فيه وجعلتها معي وصرت الى مكة مع القافلة وقضينا حجنا ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا فلما وردنا القادسية أتتني السوداء وقالت لي تقول لك سيدتي أين نحن فقلت لها نزول بالقادسية فانصرفت اليها وأخبرتها فلم ألبث أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء وغنت الابيات المذكورة فتصايح الناس من أقطار القافلة أعيدي بالله قال فما سمع لها كلمة قال ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون للدخول لبغداد فلما كان وقت الصباح واذا بالسوداء قد أتتني مذعورة فقلت مالك قالت ان سيدتي ليست حاضرة فقلت وبلك وأين هي قالت والله ما أدري قال فلم

اسحق باشا بقصبة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة قبلوجه محمد بتقرو سه بأربعين ونقل عنها الى مدرسة محمود باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم عاد الى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء مكة شرفها الله تعالى ثم عزل ثم قلد قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء القاهرة ثم عزل ثم قلد قضاء مكة ثانيا وقد تيسر له الحج وهو قاض بها وذلك سنة تسع وستين وتسعمائة ثم عزل بهذه السنة فلما عاد الى وطنه مات من الطاعون سنة احدى وسبعين وتسعمائة وقد بلغ عمره الى ست وسبعين سنة ولم يعقب ولدا ولا آثارا شديدا فأوصى بثلث ماله لوجوه الخيرات فبنوا به بعض الحجرات يسكنها فقراء الملازمين وكان رحمه الله من أعلام العلماء وأكابر الفضلاء صاحب أيدي العلوم من أفاضل الروم وكان في زمن تدريسه كثير العناية بالدرس وجمع الأماثل فلذلك اشتغل عليه كثير من الافاضل وكان رحمه الله نافذ الكلام صاحب اشتهار تام كثير الافادة مقبول الشهادة وكان يقال انه لم يبلغ أحد من درس

أحس لها أثرا بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجي منها وانصرفت الى الامير تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتم له غما شديدا ثم ما زال بعد ذلك ذاكرا لها واجما عليها والقادسية بفتح القاف وبعد الالف دال مهملة مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وهي قرية فوق الكوفة وعندها كانت الوقعة المشهورة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والياسرية بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة مكسورة وراء مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وقد ذكرنا أين هي فلا حاجة الى الاعادة وحكى اسحق بن ابراهيم أخو زيد بن ابراهيم أنه كان يتقلد السير وان نيابة عن موسى بن عبد الملك المذكور فاجتاز به ابراهيم بن العباس الصولي الشاعر المقدم ذكره وهو يريد خراسان والمأمون يومئذ بها وقد بايع بالعهد علي بن موسى الرضا وهي قضية مشهورة وقد امتدحه ابراهيم المذكور بقصيدة ذكر فيها فضل آل علي وانهم أحق بالخلافة من غيرهم قال اسحق بن ابراهيم المذكور فاستحسنت القصيدة وسألت ابراهيم بن العباس أن ينسخها ففعل ووهبته ألف درهم وحملته على دابة وتوجه الى خراسان ثم تراخت الايام الى زمن المتوكل فتولى ابراهيم المذكور موضع موسى بن عبد الملك المذكور وكان يجب أن يكشف أسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحتكم الى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعني في خلال ذلك غليظ الكلام الى ان أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فلفت فقال ليست عين السلطان عندك عين الا الرافضي فقلت له تأذن لي في الدنو منك فأذن لي فقلت له ليس لي مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر وهذا المتوكل ان كتبت اليه بما سمعته منك لم آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس وان ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذاك قلت أنت وخطك عندي به فأخبرته بالشعر الذي عمله في المأمون وذكر فيه علي بن موسى فوالله ما هو الا أن قلت له ذلك حتى سقط في يده ثم قال لي أحضر الدفتر الذي بخطي فقلت له هيهات لا والله أو توثق لي بما أسكن اليه أنك لا تطالبني بشيء مما جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في حساب فحلف لي على ذلك بما سكنت اليه وخرق العمل المعمول وأحضرت له الدفتر فوضعه في كمه وانصرفت وقد زالت عني المطالبة ولموسى المذكور أخبار كثيرة أضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وتوفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والسيروان بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء والواو وبعد الالف نون وهي كورة ماسبذان بفتح الميم وبعد الالف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة والجميع مفتوح وبعد الالف نون وهي قرية كان يسكنها المهدي بن المنصور وأبي جعفر والد هرون الرشيد بها توفي وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة الشاعر المقدم ذكره

وأكرم قبر بعد قبر محمد * نبي الهدى قبر بماسبذان
عجبت لايد هالت الترب فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان

والسيروان اسم لاربعة مواضع هذا أحدها وبلاد الجبل عبارة عن عراق العجم الفاصل بين عراق العرب وخراسان وبلاده المشهورة أصبهان وهمذان والري وزنجان والله أعلم

(ابو منصور موهوب بن أبي طاهر احمد بن الخضر الجواليقي البغدادي الاديب اللغوي)

كان اماما في فنون الادب وهو من مفاخر بغداد قرأ الادب على الخطيب أبي زكريا التبريزي الآتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى ولازمه وتتلمذ له حتى برع في فنه وهو متدين ثقة غزير الفضل وافر العقل مليح الخط كثير الضبط صنف التصانيف المفيدة وانتشرت عنه مثل شرح أدب الكاتب والمعرب ولم يعمل في جنسه أكثر منه وتتمة درة الغواص تأليف الحريري صاحب المقامات سماه التكملة فيما يلحن فيه العامة الى غير ذلك وكان يختار في مسائل النحو مذاهب غريبة وكان في اللغة أمثل منه في النحو وخطه مرغوب فيه يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة فيه وكان اماما للامام المقتفي بالله يصلي به الصلوات الخمس وألف له كتابا

لطيفا

بالمدارس الثمان مبالغة في الاشتهار والظهور من بين الاقران وكان يلقي مدة اقامته بالثمانية سبعة دروس أو ثمانية وهو بهذا التعيين والاشتهار لم يكن صاحب الاحاطة والاستحضار وكان رقيق الحاشية لين الجانب تطيب النفس بصحبته وكان رحمه الله في غاية ميل الرياسة والجاه وقد بذل في تحصيل قضاء العسكر أموالا عظيمة وقد بقي في زمن قضائه بعد يسير وسبعة على ما عارضه اما عاليا من غرائب الدنيا يحصل منه مال عظيم في كل سنة ووهبه الوزير الكبير رستم باشا ويذكره الناس بالقليسة وحكى بعض الثقات اني رأيته يوما في باب الوزير المزبور وعليه أثر غم شديد فسألته عنه فتأوه ثم قال قد بذلت لهذا الوزير ثلاثين ألف دينار وقد دخلت عليه اليوم وما نظر الي نظر القبول والاختيار والحق ان ذلك الوزير راسخ في الاقدام ولم يقصر في السعي والاهتمام الا انه لم يساعده التقدير فلم تنتج جلالة الظهور ولم تثمر هذه الجسارة الا النقص وذاق المرحوم مذاق الحريص المحروم ولعمري قد أجاد من قال وأتى بأحسن المقال (شعر)

اذا لم يعنك الله فيما تريده
فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم ينصرك لم تلق ناصرا
وان عز أنصار وجل قبيل

لطيفا في علم العروض وجرت له مع الطبيب هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصراني الآتي ذكره ان شاء الله تعالى واقعة عنده وهي انه لما حضر اليه للصلاة به ودخل عليه أول دخلة فما زاده على أن قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى فقال له ابن التلميذ وكان حاضرا قائما بين يدي المقتفي وله ادلال الخدمة والصحبة ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ فلم يلتفت ابن الجواليقي اليه وقال للمقتفي يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى له خبرا في صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف ان نصرانيا أو يهوديا لم يصل الى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث لان الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله الا الايمان فقال له صدقت وأحسنت فيما فعلت وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه وسمع ابن الجواليقي من شيوخ زمانه وأكثر وأخذ الناس عنه علما جما وينسب اليه من الشعر شيء قليل فمن ذلك ما رأيته منسوبا اليه في بعض المجاميع ولم أتحققه له وهو

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت خلف الورد وقفة حائم
حيران أطلب غفلة من وارد * والورد لا يزداد غير تزاحم

ثم وجدت هذين البيتين لابن الخشاب من جملة أبيات وحكى ولده أبو محمد اسمعيل وكان أنجب أولاده قال كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤن عليه فوقف عليه شاب وقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما فقال قل فأنشده

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال اسمعيل فلما سمعهما والدي قال يا بني هذا شيء من معرفة علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الأدب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيا والدي من أن يسئل عن شيء ليس عنده منه علم وقام وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيت المسؤل عنه أن الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر والله أعلم ولبعض شعراء عصره فيه وفي المغربي مفسر المقامات وذكرها في الخريدة لحيص بيص هكذا وجدتها في مختصر الخريدة للحافظ

كل الذنوب ببلدتي مغفورة * الا اللذين تعاظما أن يغفرا
كون الجواليقي فيها ملقيا * أدبا وكون المغربي معبرا
فأسير لكنته كل فصاحة * وغفول فطنته تعبر عن كرى

ونوادره كثيرة وكانت ولادته سنة ست وستين وأربعمائة وتوفي يوم الأحد منتصف المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى بعد أن صلى عليه قاضي القضاة الزينبي بجامع القصر والجواليقي نسبة الى عمل الجوالق وبيعها وهي نسبة شاذة لان الجموع لا ينسب اليها بل ينسب الى آحادها الا ما جاء شاذا مسموعا في كلمات محفوظة مثل قولهم رجل أنصاري في النسبة الى الأنصار والجوالق في جمع جوالق شاذ أيضا لان الباء لم تكن موجودة في مفرده والمسموع فيه جوالق بضم الجيم وجمعه جوالق بفتحها وهو باب مطرد قالوا رجل حلاحل اذا كان وقورا والجمع حلاحل وبحر عدامل اذا كان قديما وجمعه عدامل ورجل عراعر وهو السيد وجمعه عراعر ورجل علاكد اذا كان شديدا وجمعه علاكد وله نظائر كثيرة وهو اسم أعجمي معرب والجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة عربية البتة

(ابو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الاصل النيسابوري الدار المحدث)

كان أعلى المتأخرين اسنادا لقي جماعة من الأعيان وأخذ عنهم وسمع صحيح مسلم من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي المقدم ذكره وهو آخر من بقي من أصحابه وسمع صحيح البخاري من أبي بكر وجيه بن

وان هو لم يرشدك في كل مسالك
ضلالات ولو أن السماك دليل

(ومن انخرط في سلك هؤلاء السادة وسلك مسالك أصحاب الفوز والسعادة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ جمال الدين الشهير بشيخ زاده)

ولد رحمه الله في قصبة مرزيفون وحصل وهو شاب في زمرة أرباب الاستعداد فاجتمع مع أفاضل عصره واستفاد حتى وصل الى خدمة المولى حافظ العجمي وهو في احدى المدارس الثمان ولما صار المولى محمد الشيرواني مدرسا بمدرسة السلطان أورخان بقصبة ازنيق جعله معيدا لدرسه فلما توفي المولى المزبور ترك المرحوم طريقة العلماء واتصل بالمولى الشهير بعرب جلبي وهو مدرس بمدرسة قاسم باشا بقصبة أبي أيوب الانصاري فقام على أقدام الاقدام واهتم في تحصيل المعارف غاية الاهتمام فمهر في العلوم العربية والفنون الادبية وتمهر في الحديث والتفسير وعلوم الوعظ والتذكير ثم ولي مدرسة دار الحديث التي بناها محمود المقري بقصبة أبي أيوب الانصاري وعين خطيبا بجامع قاسم باشا يسر الله تعالى له في عقباه ما يشاء وكان حسن النغم

طاهر بن محمد الشحامي وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخي وسمع الموطأ رواية أبي مصعب الاماسنتي منه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي المعروف بالسيدي وسمع تفسير القرآن الكريم تصنيف أبي اسحق الثعلبي من أبي العباس محمد بن محمد الطوسي المعروف بعباسة وسمع أيضا من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجواري وأم الخير فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن زعبل وحدث بالكثير ورحل اليه من الاقطار ولنا منه اجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وستمائة وانقاذ كرته لشهرته وتفرده في آخر عصره وكانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسمائة تظنا وتوفي ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة بنيسابور ودفن من الغد رحمه الله تعالى ثم بعد اثبات هذه الترجمة على هذه الصورة بسنين رأيت بخط الشيخ المؤيد المذكور في اجازة وقد رفع نسبه فقال كتبه المؤيد محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن أبي صالح الطوسي رحمه الله تعالى

(ابو سعيد المؤيد بن محمد بن علي بن محمد الالوسي الشاعر المشهور)

كان من أعيان شعراء عصره كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق وله ديوان شعر وكان منقطعا الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة ذكره محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد فقال هو عطاف بن محمد بن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ولد بالوس قرية بقرب الحديثة ونشأ بدجيل ودخل بغداد وصار جاويشا في أيام المسترشد بالله وهجاه ابن الفضل الشاعر بابيات وكان قد لجأ الى خدمة السلطان مسعود بن محمد ملكشاه وقد تقدم ذكره قال وتفسح في ذكر الامام المقتفي وأصحابه بما لا ينبغي فقبض عليه وسجن وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة فقال ترفع قدره وأثرى حاله ونفق شعره وكان له قبول حسن واقتنى املاكا وعقارا وكثر ريا شه وحسن معاشه ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه وبقي في حبس الامام المقتفي أكثر من عشر سنين الى أن خرج في أول خلافة الامام المستنجد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولقيته حينئذ وقد غشي بصره من ظلمة المطمورة التي كان فيها محبوسا وكان زيه زي الاجناد وسافر الى الموصل وله غزل حسن وأسلوب مطرب بنظم معجب وقد يقع له من المعاني المبتكرة ما يندر فمن ذلك قوله في صفة القلم

ومثقف يغني ويفني دائما * في طوري الميعاد والايعاد

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الاغماد

وهبت له الآجام حين نشا بها * كرم السيول وهيبة الآساد

قلت انا ولقد رأيت هذه الابيات منسوبة الى غيره والله أعلم ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى ولبعضهم في القلم أيضا وهو من هذا المعنى

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف * يشتت شمل الخطب وهو جميع

تدين له الآفاق شرقا ومغربا * وتعنو له أقلامها وتطيع

حمى الملك مفطوما كما كان يحتمي * به الاسد في الاجام وهو رضيع

ولبعضهم في المعنى أيضا عود له نوعان من لذة المنى * فبورك جان يجتنيه وغارس

تغنت عليه وهو رطب حمامة * وغنت عليه قينة وهو يابس

ومعنى البيت الثالث [1] مأخوذ من قول بعضهم في وصف طنبور

وطنبور مليح الشكل يحكي * بنغمته الفصيحة عندليبا

روى لما ذوى نغما فصاحا * حواها في تقلبه قضيبا

كذا من عاشر العلماء طفلا * يكون اذا نشا شيخا أديبا

وهذا معنى مطروق أكثر الشعراء استعماله فمن ذلك قول بعضهم

جاءت بعود يناغيها ويسعدها * انظر بدائع ما يأتي به الشجر

[1] قوله البيت الثالث يعني قوله * وهبت له الآجام الخ اه

غنت

طلب الالحان من جملة من يتغنى بالقرآن وكان يرتل الخطب بصوت أحلى من الرطب ثم عين له وظائف الوعظ والتذكير في عدة من الجوامع فاعتنى بنقل الاحاديث والتفاسير وقد بلغت وظيفته كل يوم الى سبعين وتميز من أقرانه المفسرين وتوفي سنة احدى وسبعين وتسعمائة كان رحمه الله من أجلة العلماء وأكابر الفضلاء وقد حضرت مجالس تفسيره وتحفل وعظه وتذكيره فوجدته في تحقيق المقام وتدقيق المرام واصلا الى الغاية وبالغا الى النهاية وكان لا يكتفي بالايماء والترشيح بل يبالغ في التصريح والتوضيح بحيث يلحق ثواني المعقولات باوائل المحسوسات ولا يحترز عن التكرار والاعادة حرصا على التعليم والافادة وبالجملة كان وحيدا في طريقته وفريدا في شيعته ويكفيه يوما حسناته ومفاخره ما كتبه أبو السعود في صورة اجازته هذه صورة الاجازة كتبتها بالتمام لغاية حسنها ونضارتها اللهم رب الارباب مالك الرقاب منزل الكتاب بالحق الحق وملهم الصواب صل وسلم على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله الاوتاد وصحبه الاقطاب (وبعد) فلما توسمت في رافع هاتيك

غنت عليه ضروب الطير ساجعة * حينا فلا ذوى غصن به النضر

فلا يزل عليه الدهر مصطحبا * يجمع الاغصان الطير والوتر

ولولا خوف التطويل والخروج عما نحن بصدده لذكرت عدة مقاطيع في هذا المعنى ولبهاء الدين زهير المقدم ذكره من قصيدة يمدح بها الفائز ابن الملك الكامل

وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهي أغصان

ثم قال العماد في بقية الترجمة وكان ولده محمد كاله شعر حسن هاجر الى الملك العادل نور الدين بالشام سنة أربع وستين وكان يومئذ بصرخد فمرض فانفذه الى دمشق فمات في الطريق بقرية يقال لها رشيدة انتهى كلام العماد ومن شعر المؤيد المذكور من جملة قصيدة له رحمه الله تعالى

فيا بردها من نفحة حاجرية * على حر صدر ليس تخبو سمائمه * ويا حسنه طيفا أتى نور وجهه

بطيفي فغطاني من الشعر فاحمه * يجول وشاحاه على غصن بانة * سقاها الحيا فاخضر واهتز ناعمه

فلما رمى في شملنا الصبح بالنوى * ولم يبق منا غير معنى ألازمه * وقفت بحزوى وهي منها معالم

قواء وجسمي قد تعفت معالمه * وقوف بناني في ثنيي ولم أقف * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ولم يبق لي رسم بحزوى عهدتها * فيشجى بدمعي كالهلال طاسمه * ولا مقلة ابتت فتعرم نظرة

ثانية والتلف الشيء غارمه * فلله وجدي في الركاب كأنه * شموع وقد حنت بليل روازمه

وقلع من كف الثريا هلالها * فقبلته حتى تهاوت مناظمه

وهي قصيدة طويلة اخذت منها وقد وازن بها قصيدة المتنبي في سيف الدولة بن حمدان التي أولها

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وقد استعمل في قصيدته انصاف أبيات من قصيدة المتنبي على وجه التضمين وأكثر شعره جيد وله أبيات من جملة أبيات قوله رحلوا فلا قنيت الدموع لبعدهم * من بعدهم وعجبت اذ أنا باق

وعلمت ان العود يتعبر ماؤه * عند الوقود لفرقة الاوراق * وأبيت ما أسووا وفرحة ذكركم

عندي تعادل فرحة الاطلاق * لا تنكروا البلوى سواد مفارقي * فالحرق يحكم صنعة الحراق

وكانت ولادته سنة أربع وتسعين وأربعمائة بالوس ونشأ بها وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وكان قد حبس ببغداد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولما ذكرت تاريخ ولاية المستنجد ذكرت نكتة غريبة أحببت ذكرها وهو ما أخبرني به بعض مشايخ العراق الفضلاء ان المستنجد رأى في منامه في حياة والده المقتفي كأن ملكا نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات فلما استيقظ طلب معبرا للرؤيا فقص عليه ما رآه فقال له تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الامر كذلك وكان ذلك قبل وفاته والسعيدة والآلوسي بضم الهمزة واللام وبعدها واو وسين مهملة هذه النسبة الى ألوس وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات هكذا ذكره عز الدين بن الاثير المقدم ذكره فيما استدركه على الحافظ ابن السمعاني لانه قال ألوس موضع بالشام في الساحل عند طرسوس وهو بغدادي الدار والمنشا لانه دخل بغداد في صباه وقيدها ابن النجار الالوسي بمد الهمزة وضم اللام والله أعلم

(ابو سعيد المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الازد ويقال الاسد بالسين الساكنة ابن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد الازدي العتكي البصري)

قال الواقدي كان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة فتوجه اليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل المخزومي رضي الله عنه فقاتلهم وهزمهم واثخن فيهم القتل وتحصن كلهم في حصن لهم وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان فقتل مائة من اشرافهم وسبى ذراريهم وبعثهم الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ فاعتقهم

الارقام من العلماء الاعلام الالمعي الفطن اللبيب والوذعي المتقن الاريب ذي الطبع السليم الوقاد والذهن القوي النقاد العاطف لاعنة عزائمه ابتغاء مرضاة الله من غير عاطف بانيه والصارف لازمة مراغمه نحو تحصيل زلفاه بلا صارف يلويه الساعي في تكميل النفس بالكمالات العلية بحسب قوتيها النظرية والعملية سليل المشايخ الاخيار نجل العلماء الابرار مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن قدوة العارفين الشيخ جمال الملة والدين وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه وأتاح له في أولاه وأخراه ما هو له أولاه وأحراه دلائل نبل ظاهرة في الفنون ومخايل فضل باهرة في معرفة الكتاب المكنون أحوجته في مطالعة الكتب الفاخرة واقتناص العلوم الزاخرة التي ألفها اساطين أئمة التفسير من كل وجيز وبسيط وصنفها سلاطين أسرة التقرير والتحرير من كل شامل ومحيط واستخراج ما في مطاويها من الفوائد البارعة واستنباط ما في تضاعيفها من الفرائد الرائعة وسوغت له افادتها للمقتبسين من أنوارها الرائقة تفسيرا وتقريرا وللمجتنين من مغانم آثارها عظة وتذكيرا على ما نظمه بنان البيان في سمط

أبو بكر رضي الله عنه وقال اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف هذا الحديث باطل أخطأ فيه الواقدي لان ابا صفرة لم يكن في هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط وانما وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو شيخ أبيض الرأس واللحية فأمره ان يخضب فخضب فكيف يكون غلاما في زمن أبي بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر بنيه قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة وأكثر وكان المهلب المذكور من أشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز استقصى أبو العباس المبرد في كتابه الكامل أكثرها فهي تسمى بصرة المهلب لذلك ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت طرفا منها وكان سيدا جليلا نبيلا روى انه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحي وهو يومئذ بمكة فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا قال اما تعرفه قال لا قال هذا سيد أهل العراق قال فهو المهلب بن أبي صفرة قال نعم فقال المهلب من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا سيد قريش قال فهو عبد الله بن صفوان قال نعم قال ابن قتيبة في المعارف ولم يكن يعاب بشيء الا بالكذب ثم قال ابن قتيبة بعد هذا وأنا أقول كان المهلب أتقى الناس لله عز وجل وأشرف وأنبل من أن يكذب ولكنه كان بحربا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيورى بها عن غيرها يرهبهم الخوارج وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون راح يكذب وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا ورى بغيرها وقال أبو العباس المبرد في الكامل في شرح أبيات رمى فيها المهلب بالكذب ما صورته وقوله الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به أمر المسلمين ويضعف به أمر الخوارج وكان حي من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب يكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

وذكر المبرد في كتاب الكامل في أواخره في فصل قتال الخوارج وما جرى بين المهلب والازارقة وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع فاذا أراد الضرب والطعن لم يكن له معين أو معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد فهو أول من أمر بطبعها وأخبار المهلب كثيرة وتقلبت به الاحوال وآخر ما ولي خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره فانه كان أمير العراقين وضم اليه عبد الملك بن مروان خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان المهلب المذكور وعلى سجستان عبد الله بن أبي بكرة فورد المهلب خراسان واليا عليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد أصيب بعينه على سمرقند لما افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فانه كان معه في تلك الغزوة وقلعت أيضا عين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات المشهور بالكرم والجود وفي ذلك يقول المهلب

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي * وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي

اذا جاء أمر الله اعيا حيولنا * ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس

وقيل ان المهلب قلعت عينه على الطالقان ولم يزل المهلب واليا بخراسان حتى أدركته الوفاة هنالك ولما حضره أجله عهد الى ولده يزيد الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وأوصاه بقضايا وأسباب ومن جملة ما قال له يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب فان حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه ثم توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة بقرية يقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان رحمه الله تعالى وله كلمات لطيفة واشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل فمن ذلك قوله الحياة خير من

السخاء وورقه وراعة البراعة في طي ورقها المنشور منها أجازني شيخي ووالدي المرحوم بحر المعارف ولجة العلوم صاحب النفس المطمئنة القدسية حرز المكارم الانسية المنسلخ عن النعوت الناسوتية الفاني في أحكام الشؤن اللاهوتية العارف باطوار خطرات النفس الواقف على أسرار الحضرات الخمس مالك زمام الهداية والارشاد حجة الحق على كافة العباد محيي الشريعة والحقيقة والدين محمد بن مصطفى العماد المجاز له من قبل مشايخه الكبار لاسيما أستاذه الجليل المقدار الجليل الآثار البحر الساهي والبحر الطامي الصمدي الفريد والنحرير الجيد الحميد عم والدي علاء الملة والدين المولى الشهير بعلي قوشجي صاحب الشرح الجديد للتجريد وأستاذي العلامة العظيم الشأن والفهامة الجلي العنوان الامام الهمام السميدع القمقام نسيج وحده ووحيد عهده عبقري لا يوجد له مثال أوحدي يضرب بعنانه الامثال المولى البارع الاوحد أبو المعالي عبد الرحمن بن علي المؤيد المجاز له من قبل أستاذه المشهور جلالة قدره فيما بين الجمهور المعروف فضائله لدى القاصي والداني جلال الملة

الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت مالم يعطه أحد لاحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غدا اذا مت وقد قيل ان هذا الكلام لولده يزيد والله أعلم وكان المهلب يقول لبنيه يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم وقد أشار الى هذا أبو تمام الطائي فيما كتب به الى من يطلب منه كسوة

أنت العليم الطب أي وصية * بها كان أوصى في الثياب المهلب

وقد ذكر الطبري في تاريخه أنه توفي سنة اثنتين وثمانين والله أعلم والكلام على وفاته مذكور في ترجمة ابنه يزيد فلينظر هنالك فانه مستوفى ولما حضره الموت دعا بسهام فحزمت ثم قال أترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال أفترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم مات ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا وفي ذلك يقول نهار بن توسعة الشاعر المشهور

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ لا يبرحانها * وقد فقدا من كل شرق ومغرب

وخلف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء اجوادا أمجادا وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف ويقال انه وقع الى الارض من صلب المهلب ثلثمائة ولد وقد تقدم في حرف الراء ذكر حفيده روح بن يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة ابن المهلب وسيأتي ذكر يزيد في حرف الياء ان شاء الله تعالى ومن سراة أولاده المغيرة وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج وكان له معهم وقائع مأثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجدته وشهامته وصرامته وتوجه صحبة أبيه الى خراسان واستنابه عنه بمرو الشاهجان وتوفي بها في حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين ورثاه أبو أمامة زياد الاعجم وهو زياد بن سليمان ويقال ابن جابر وهو من عبد القيس الشاعر المشهور بقصيدته الحائية السائرة التي أولها

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا * للباكرين وللمجد الرائح * ان السماحة والمروءة ضمنا
قبرا بمرو على الطريق الواضح * فاذا مررت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخا دم وذبائح * واظهر ببزته وعقد لوائه
واهتف بدعوة مصلتين شرائح * آب الجنود معقبا أو قافلا * وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيل بنعشه * زالت بفضل فواضل ومدائح * رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت
منا القلوب لذاك غير صحائح * الآن لما كنت أكرم من مشى * وافتر نابك عن شباة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها * أعقبت ذلك بالفعال الصالح * وكفى لنا حزنا ببيت حله
أحوى المنون فليس عنه بنازح * فعفت منابره وحط سروجه * عن كل طاحة وطرف طامح
واذا يناح على امرئ فليعلمن * ان المغيرة فوق نوح النائح * تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا
والباكيات برنة وتصايح * مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح
واذا الامور على الرجال تشابهت * وتورعت بمغالق ومفاتح * فتل السحيل بمبرم ذي مرة
دون الرجال بفضل عقل راجح * وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت * تبكي على طلق اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى * وخبت لوامع كل برق لائح * كان المهلب بالمغيرة كالذي
ألقى الدلاء الى قليب المائح * فاصاب جمة ما استقى فسقى له * في حوضه بنوازع وموائح
أيام لو يحتل وسط مفازة * فاضت معاطشها بشرب سائح * ان المهلب لن يزال لها فتى
يمري قوادم كل حرب لاقح * بالمقربات لواحقا آطالها * يجتاب سهل سباسب وصحاصح
متلثما يهفو الكتائب حوله * لمع المتون من الصفيح الواضح * ملث أغر متوج يسمو له
طرف الصديق بغض طرف الكاشح * رفاع ألوية الحروب الى العدا * بسعود طير سوانح وبوارح

وهذه القصيدة من غرر القصائد ونخبها ولولا خوف الاطالة لاثبتها كلها وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا وقد ذكرها أبو علي القالي المقدم ذكره في حرف الهمزة في كتابه الذي جعله ذيلا على اماليه وتكلم على

والدين محمد بن أسعد الدواني المجاز له من قبل أساتذته العظام الذين من زمرتهم والده العلي القدر سعد الملة والدين أسعد الصديقي المجاز من قبل مشايخه العظام لا سيما أستاذه علامة العالم مسلم الفضل فيما بين جماهير الامم الغني عن التعريف على الاطلاق المشتهر بلقبه الشريف في أكناف الآفاق زين الملة والدين علي المحقق الجرجاني وأستاذي الماجد الخطير والنقاب المحدث النحرير ذو التصدر الاتم والفخر الاشم أبو الفضائل سيدي محمد بن محمد المجاز له من قبل أستاذه الفاضل وشيخه الكامل ذي النسب والفضل المولى المشتهر بحسن چلبي محشي شرح المواقف المجاز له من جهة شيخه الاجل وأستاذه الشامخ المحل وحيد عصره وأوانه وفريد دهره وزمانه علاء المجد والدين المشهور بالمولى الطوسي صاحب كتاب الذخر والله سبحانه أسأل ممكنا على وجه التذلل والمهانة ساجدا على جباه الضراعة والاستكانة أن يفيض عليهم سجال غفرانه وشآبيب رحمته ورضوانه ويهدينا سبيل الهدى ومناهج الرشاد ويقينا مصارع السوء يوم التناد انه رؤف بالعباد كتبه الفقير الى الله سبحانه

بعض أبياتها وقال انها قد تنسب الى الصلتان العبدى الشاعر المشهور ولكن الاصح انها لزياد الاعجم والبيت الثانى منها استشهد به النحاة فى كتبهم على جواز تذكير المؤنث اذا لم يكن له فرج حقيقى وهو أشهر بيت فى هذه القصيدة لكثرة استعمالهم له وقد أخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث والرابع فقال

احملانى ان لم يكن لكما عقـ * ـر الى جنب قبره فاعقرانى

وانضحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نداه لو تعلمان

وصاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن على بن أبى الضوء العلوى الحسينى نقيب مشهد باب التبن ببغداد وهما من جملة قصيدة رثى بها النقيب الطاهر والد عبد الله ذكر ذلك العماد الكاتب فى كتاب الخريدة وقال أيضا ان الشريف أبا محمد المذكور توفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى ثم بعد وقوفى على ما ذكره العماد فى الخريدة وجدت هذين البيتين فى كتاب معجم الشعراء تأليف المرزبانى لاحمد بن محمد الخثعمى وكنيته أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال انه الحسين وكان يتشيع ويهاجى البحترى وكان المغيرة بن المهلب قد سرق ديباجا كان على زياد الاعجم فقال زياد فى ذلك

لعمرك ما الديباج خرقت وحده * ولكنما خرقت عرض المهلب

فبلغ ذلك المهلب فارضاه واستعطفه وذكر أبو الحسين على بن أحمد السلامى فى كتاب تاريخ ولاة خراسان ان رجلا سمع من زياد الاعجم هذه القصيدة قبل أن يسمعها المهلب فانشده اياها فاعطاه مائة ألف درهم ثم أتاه زياد الاعجم فانشده اياها فقال له قد أنشدنيها رجل قبلك فقال انما سمعها منى فاعطاه مائة ألف درهم وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان فى الزمن المحل

فما زال بى معروفهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى

والوزير أبو محمد المهلبى المتقدم ذكره فى حرف الحاء من نسله أيضا رحمهم الله أجمعين وفى أوائل هذه الترجمة أسماء تحتاج الى الضبط والكلام عليها فاما العتيك والازد فقد تقدم الكلام عليهما وأما مزيقياء فهو بضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وفتح الياء الثانية وبعدها همزة ممدودة وهو لقب عمرو المذكور وكان من ملوك اليمن وانما لقب بذلك لانه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا أمسى مزقهما وخلعهما وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره وهو الذى انتقل من اليمن الى الشام لقصة يطول شرحها والانصار من ولده وهم الاوس والخزرج وحكى أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب فى كتابه الذى سماه القصد الامم فى أنساب العرب والعجم وهو كتاب لطيف الحجم أن الاكراد من نسل عمرو مزيقياء المذكور وانهم وقعوا الى أرض العجم فتناسلوا بها وكثر ولدهم فسموا الكرد وقال بعض الشعراء فى ذلك وهو يعضد ما قاله عمر بن عبد البر

لعمرك ما الاكراد أبناء فارس * ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

وأما أبو عامر فانما لقب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث وأما المنذر بن ماء السماء اللخمى أحد ملوك الحيرة فان أباه امرؤ القيس عمرو بن عدى وماء السماء أمه وهى بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط وانما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها وأما دبا بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم موضع بين عمان والبحرين أضيفت جماعة من الازد اليها لنزولهم وكان للازد عند تفرقهم حسبما ذكرناه فى أول هذه الترجمة أضيفت كل طائفة الى شئ يميزها عن غيرها فقيل أزد دبا وأزد شنوأة وأزد عمان وأزد السراة ومرجع الكل الى الازد المذكور فلا يظن ظان أن الازد مختلف باختلاف المضافين اليه وقد قال الشاعر وهو النجاشى واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حرب بن الحرث بن كعب بن الحرث الحارثى

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان

فاما التى صحت فازد شنوأة * وأما التى شلت فازد عمان

الراجح من حقائق عقسوه وغفر انه أبو السعود الحقير عفى عنه

(ومن محاسن الدهر الدود المولى محمد ابن المفتى أبى السعود)

ولد رحمه الله وعفا به يبرق عن مجد أصيل وصباحه يسفر عن شرف أثيل وكان فى المهد عن طيب تجره كاللؤلؤ يخبر عن كرم بحره فلما رأى أبوه رشاقة قصده عطف عليه سواكب منه نعما قليل صدق الناس فى استدلالهم بطيب الاصل على طيب الثمر وحقق تفرسهم ما تفرسوا فى الهلال ابن القمر ثم اتصل الى المولى محيى الدين الفنارى واشتغل لديه حتى شهد بفضله وأثنى عليه فاعطاه السلطان بتربيته مدرسة قاسم باشا بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد فى جوار أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان سليم خان ثم قلد قضاء دمشق الشام من أعظم بلاد الاسلام فلما وصل اليها باشر القضاء بما يليق به من الصرامه والشهامة وكمال الاستقامه وتواتر الاخبار بشكر أهل هذه الديار ثم عزل عنه بلا سبب ثم قلد قضاء حلب فمكث مدة سنة ساعتبه الظنون وحل به

ولما هزم المهلب قطرى بن الفجاءة المقدم ذكره بعث الى مالك بن بشير فقال انى موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك وبعث اليه بجائزة فردها وقال انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة ثم قال كيف تركت المهلب قال أدرك ما أمل وأمن ما خاف قال فكيف هو بجنده قال والد رؤف قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال كيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا قال فما حال قطرى ابن الفجاءة قال كادنا بمثل ما كدناه به قال فما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه قال فاخبرني عن ولد المهلب قال رعاة البيات حتى يأمنوه وحماة السرح حتى يردوه قال أيهم أفضل قال ذلك الى أبيهم قال لتقولن قال هم كحلقة مفرغة لا يعلم طرفاها قال أقسمت عليك هل رويت في هذا الكلام قال ما أطلع الله أحدا على غيبه فقال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قلت كان حق هذا الفصل ان يكون متقدما لكنه كذا وقع

(ابو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور)

كان مجوسيا فاسلم ويقال ان اسلامه كان على يد الشريف الرضى أبي الحسن محمد الموسوى المقدم ذكره وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر وقد وازن كثيرا من قصائده وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد واثنى عليه وقال كنت أراه يحضر جامع المنصور في أيام الجمعات يعني ببغداد ويقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لي أن أسمع منه شيأ وذكره أبو الحسن الباخرزى المقدم ذكره في كتاب دمية القصر فقال في حقه هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر وكاتب تحت كل كلمة من كلماته كاعب وما في قصيدة من قصائده بيت يتحكم عليه بلو وليت وهي مصبوبة في قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب ثم عقب هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره وأبيات من جملة قصائده وذكره أبو الحسن على بن بسام في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبالغ في الثناء عليه وذكر شيأ من شعره ومن نظمه المشهور قصيدته التي أولها

سقى دارها بالرقمتين وحياها * ملث يحيل الترب في الدار أمواها
وكيف يوصل الحبل من أم مالك * وبين بلاد يناز رود وليناها
يراها بعين الشوق قلبي على النوى * فيحظى ولكن من لعيني برؤياها
فلله ما أصفى وأكدر حبها * وأبعدها مني الغداة وأدناها
اذا استوحشت عيني أنست بان أرى * نظائر تصبيني اليها واشباهها
واعتنق الغصن الرطيب لقدها * وأرشف ثغر الكاس أحسبه فاها
ويوم الكثيب استشرفت لى ظبية * مولهة قد ضل بالقاع خشفاها
يذله خوف الثكل حبة قلبها * فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها
فما ارتاب طرفى فيك يا أم مالك * على صحة التشبيه الا ثناياها
فان لم تكونى خدها وجبينها * فانك أنت الجيد أو أنت عيناها
ألوامة في حب دار عزيزة * يشق على رجم المطامع مرماها
دعوه وجدا انما شان قلبه * فلو ان نجدا باغية ماتعداها
وهبكم منعتم أن أراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها
وليل بذات الأثل قصر طوله * سرى طيفها آها لذكرته آها
تخطت اليه الهول مشيا على الهوى * واخطاره لا يبعد الله ممشاها
وقد كاد أسداف الدجى أن يضلها * فما دلها الا وميض ثناياها

ثم توفي المرحوم في الثالث عشر من شهر ذى الحجة الحرام سنة احدى وسبعين وثلثمائة وما ناف عمره على أربعين سنة كان المرحوم من محاسن العصر ونوادر الدهر في شدة ذكائه وصفاء ذهنه ورزانته يتلألأ من جبينه آثار النجابة ويلوح من وجناته أنوار السيادة وكان رحمه الله عالما أديبا ومحدثا ولبيبا له اطلاع على المعارف والتواريخ وكان له معرفة تامة بأحوال الخط وقد جمع الكثير من خطوط السلف ويبذل فيه أموالا عظيمة وكان يكتب خطا مليحا في الغاية وكان له اطلاع عظيم على قواعد اللسان الفارسي حتى بلغ الى أنه نظم الشعر الفارسي على أبلغ النظام بحيث يعجز عن سبره الاعجام
(شعر)
با آنين وقاب ستى سيارا
ياخيال ستأين
حسن نازل شمالى كر توان
بستن خيال ست أين
زبالاى توحيران قى شكر
سرو كلستان هم
عجب شيرين شمايل قامت
بااعتدال ست اين
شهان شد آفتاب وماه تو
خورشيد مى آيد
زروبت آن جمل وزابرويت
دارنعما لست اين
مكن عيبم اكرمى نالم از نارغم
هجران
غم هجران مكو مهر كونه
اندوه وملال ست اين

ومن شعره أيضا ان التي علقت قلبك حبها * راحت بقلب منك غير علوق
عقدت ضمان وفائها من خصرها * فهي كلا العقدين غير وثيق

ومن سائر شعره أيضا قوله رحمه الله تعالى
بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما * وبجرعاء الحمى قلبي فعج
بالحمى واقرأ على قلبي السلاما * وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما * نصل العام ولا ننساكمو
وقصارى الوجد أن نسلخ عاما * حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وخزاما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما

وهي قصيدة طويلة نقتصر من أطايبها على هذا القدر طلبا للاختصار ومن شعره قصيدته التي منها
أرقت فهل لها جعة يسلع * على الأرقين أفئدة ترق * نشدتك بالمودة يا ابن ودي
فانك من ابن أبي أحق * أسل بالجزع دمعك ان عيني * اذا استبرزتها دمعا تعق
وان شق البكاء على المعافى * فلم أسألك الا ما يشق

وله في القناعة وقد أحسن رحمه الله تعالى
يجني على البخل الشحيح عياله * أفلا تكون عياه وجهك أجملا * أكرم يديك عن السؤال فانما
قدر الحياة أقل من أن تسألا * ولقد أضم الى فضل قناعتي * وأبيت مشتملا بها متزملا
وأرى العدو على الخصاصة شارة * تصف الغنى فيخالني متمولا
واذا امرؤ أفنى الليالي حسرة * وأمانيا أفنيتهن توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة
واذا أولك تفرقت أرواحهم * فكأنما عرفتك قبل الأعين
واذا أردت بأن تفضل كتيبة * لاقيتها فتقسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهي
اذا ضيع الاشفاق لي كيف أنتم * وكيف اذا ما عن ذكرى صبرتم
تنفست عن عتب فؤادي مفصح * به ولساني للحفاظ مجمجم
وفيّ ماء من بقايا ودادكم * كثير به من ماء وجهي أرقتم
أرقت فما أضنى عليه وبينه * وبين انسكاب ربما أتكلم

وديوانه مشهور فلا حاجة الى الاطالة في اثبات محاسنه ويعجبني كثيرا قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو
منا أنتم من ظاعنين وخلفوا * قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم

وتوفي ليلة الاحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وفي تلك السنة توفي الرئيس أبو علي بن سينا الحكيم المشهور حسبما تقدم ذكره في ترجمته رحمه الله تعالى ورأيت في بعض التواريخ انه توفي سنة ست وعشرين والاول أصح وذكر الباخرزي المذكور في كتابه الدمية أيضا ولده الحسين بن مهيار ونسب اليه القصيدة الحائية التي من جملتها يا نسيم الريح من كاظمة * شد ما هجت البكا والبرحا وهي قصيدة طويلة وهي من مشاهير قصائد مهيار ولا أعلم من أين وقع له هذا الغلط ومهيار بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة وهما اسمان فارسيان لا أعرف معناهما والله تعالى أعلم

حرف النون

(ابو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم)

زمال ميسلي بي صبر دل
هر كز نبو سيدى
نيامد هيچ ازو يادش مي
دانم چه حالست اين
(وله أيضا)
تراي نوش لب كام دل وجان
مي توان كفتن
نهان غنچه لبت را آب
حيوان ميتوان كفتن
قدت مانند سرو از نازچون
قامت برافرازي
چو بخرامي ترا سرو خرامان
ميتوان كفتن
يكو بت كار بت جهند
بر رديد رو بته
سركوي ترا رشك كلستان
ميتوان كفتن
مريزي بي كنه هر لحظه
خون صد مسلمانرا
تراي ترك بدخو
نامسلمان مي توان كفتن
سمن باتو داود سيلي مي
نلغمان حرفي
ولي حرفي كه پنهان
بار قيبان مي توان كفتن
(ومن العلماء الجليل القدر المولى مصلح الدين ابن المولى محيي الدين المشتهر بابن المعمار)
توفي أبوه قاضيا بحلب فوجه المرحوم والدة الطالب نحو تحصيل العلم والادب فعطف على طلب الفضائل ساهرا فقطف من رياض العلوم ثمارا وزاهرا وقرأ على المولى محيي الدين الشهير بالمعلول ثم على المولى الشيخ محمد الشهير بجوي زاده ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان

كان ديلميا وأصابه مولاه عبد الله بن عمر فى غزاته وهو من كبار التابعين سمع مولاه وأبا سعيد الخدرى روى عنه الزهرى وأيوب السختيانى ومالك بن أنس رضى الله عنهم وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالى ان لا أسمعه من أحد غيره وأهل الحديث يقولون رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وحكى الشيخ أبو اسحق الشيرازى رحمه الله تعالى فى كتاب المهذب فى باب الوليمة والنثر عن نافع قال كنت أسير مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع حتى قلت لا فأخرج أصبعيه عن أذنيه ثم رجع الى الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا الاثر اشكال تسأل عنه الفقهاء وهو ان ابن عمر كيف سد أذنيه عن استماع صوت الزمارة ولم يأمر مولاه نافعا بفعل ذلك بل مكنه منه وكان يسأله كل وقت هل انقطع الصوت أم لا وقد أجابوا عن الاشكال بان نافعا حينئذ كان صبيا فلم يكن مكلفا حتى يمنعه عن الاستماع وورد على هذا الجواب سؤال آخر وهو ان الصحيح ان اخبار الصبى غير مقبول فكيف ركن ابن عمر الى اخباره فى انقطاع الصوت وهذا الاثر يعضد حجة من قال ان رواية الصبى مقبولة وفى ذلك خلاف مشهور وليس هذا موضع الكلام عليه واخبار نافع كثيرة توفى سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومائة رضى الله عنه

(أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم مولى جعونة بن شعوب الشجعى المقرى المدنى أحد القراء)

كان امام أهل المدينة والذى صاروا الى قراءته ورجعوا الى اختياره وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم وكان محتسبا فيه دعابة وكان أسود شديد السواد قال ابن أبى أويس قال لى مالك رضى الله عنه قرأت على نافع وقال الاصمعى قال لى نافع أصلى من أصبهان هكذا قاله الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وكان قرأ على أبى ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له راويان ورش وقالون وقد سبق ذكرهما فى حرف العين وتوفى نافع المذكور سنة تسع وستين ومائة وقيل سنة تسع وخمسين وقيل غير ذلك بالمدينة والاول أصح وقيل ان كنيته أبو الحسن وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو نعيم والله أعلم بالصواب وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو والنون وبعدها هاء ساكنة وهو فى الاصل الرجل القصير ثم سمى به الرجل وان لم يكن قصيرا وجعل عليه علما وكان جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب وقيل حليف العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما وقيل حليف بنى هاشم وشعوب بفتح الشين المعجمة وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها باء موحدة وهو فى الاصل اسم المنية والشجعى بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم وبعدها عين مهملة هذه النسبة الى بنى شجع وهم من بنى عامر بن ليث ولم يتعرض ابن السمعانى الى ذكر هذه النسبة

(أبو الفتح ناصر بن أبى المكارم عبد السيد بن على المطرزى الفقيه الحنفى النحوى الاديب الخوارزمى)

كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الادب قرأ ببلده على أبيه وعلى أبى المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكى خطيب خوارزم وغيرهما وسمع الحديث من أبى عبد الله محمد بن على بن أبى سعيد التاجر وغيره وكان تام المعرفة بفنه رأسا فى الاعتزال داعيا اليه ينتحل مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى الفروع فصيحا وكان فى الفقه فاضلا وله عدة تصانيف نافعة منها شرح المقامات للحريرى وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود وله كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغريب وهو للحنفية بمثابة كتاب الازهرى للشافعية وما قصر فيه فانه أتى جامعا للمقاصد وله غير ذلك وانتفع الناس به وبكتبه ودخل بغداد حاجا سنة احدى وستمائة وكان معتزلى الاعتقاد وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء وأخذ أهل الادب عنه وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت وله شعر فمن ذلك قوله

ثم درس فى مدرسة الامير جلبية بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة أحمد باشا ابن ولى الدين بالمدينة المزبورة بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان فى البلدة المذكورة بأربعين ثم مدرسة أم السلطان سليم خان بقصبة طرابوزن بخمسين ثم ساعده عنها بعض الرؤساء حتى نقل الى مدرسة زوجة السلطان سليمان بقسطنطينية ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم لما ابتنى السلطان سليمان المدرستين الواقعتين بشرق الجامع الذى بناه بقسطنطينية أعطى احداهما المرحوم والاخرى المولى شمس الدين أحمد المشتهر بقاضى زاده فى كل يوم بستين درهما ثم قلد قضاء بروسه ثم عزل عنه لبعض زلاته الواقعة فى صكوكه وسجلاته وبعد سنة ولى قضاء ادرنه ثم نقل الى قسطنطينية ودام عليه حتى وقع بينه وبين الوزير الكبير رستم باشا ما وقع فعزله وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد ثم لما مات الوزير المزبور وانتصب مكانه على باشا الظهر له المرحوم رغبته فى قضاء مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فقلد ذلك وبعد سنة عزل عنه فلما عاد وبلغ الى مصر أدركته المنية

صناعة قوله

وزند ندى فواضله ورى * وزند ربا فضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وله

وانى لاستحيى من المجد أن أرى * حليف غوان أو أليف أغانى

وله

تعامى زمانى عن حقوقى وانه * قبيح على الزرقاء تبدى تعاميا
فان تنكروا فضلى فان رغاءه * كفى لذوى الاسماع منكم مناديا

وله أشعار كثيرة يستعمل فيها التجانس وكانت ولادته فى رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم وهو كما قال خليفة الزمخشرى فانه توفى فى تلك السنة بتلك البلدة كما سبق فى ترجمته وتوفى المطرزى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة عشر وستمائة بخوارزم أيضا رحمه الله تعالى ورثى بأكثر من ثلثمائة قصيدة والمطرزى بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها زاى هذه النسبة الى من يطرز الثياب ويرقمها ولا أعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه أم كان فى آبائه من يتعاطى ذلك فنسب اليه والله أعلم

(أبو منصور نزار الملقب العزيز بالله بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى صاحب مصر وبلاد المغرب)

قد تقدم ذكر والده وأجداده وولده وأحفاده وولى العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة واستقل بالامر يوم وفاة أبيه وكان يوم الجمعة حادى عشر الشهر المذكور وفيه الخلاف المذكور فى ترجمة وسيرة أبيه وسلم عليه بالخلافة وكان كريما شجاعا حسن العفو عند القدرة وقصته مع افتكين التركى غلام معز الدولة مشهورة وعفا عنه لما ظفر به وكان قد غرم فى محاربته مالا جزيلا ولم يؤاخذه بما صدر منه وقد سبق فى ترجمة عضد الدولة بن بويه المتقدم ذكره فى حرف الفاء طرف من خبره فلا حاجة الى اعادته وهى قضية تدل على حلمه وحسن عفوه وذكر الامير المختار المعروف بالمسبحى انه الذى اختط أساس الجامع بالقاهرة مما يلى باب الفتوح وحفره وبدأ بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة فى شهر رمضان ثم قال المسبحى أيضا وفى أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذى لم يبن مثله فى شرق ولا غرب وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس وكان أسمر أصهب الشعر أعين أشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء يصيد بالخيل والجارح من الطير محبا للصيد مغرى به ويصيد السباع ويعرف الجوهر والبز وكان أديبا فاضلا ذكره أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر وأورد له شعرا قاله فى بعض الاعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المأتم وهو

نحن بنو المصطفى ذوو محن * يجرعها فى الحياة كاظمنا * عجيبة فى الانام محنتنا
أولنا مبتلى وخاتمنا * يفرح هذا الورى بعيدهم * طرا وأعيادنا مآتمنا

ثم قال بعد فصل طويل وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكى ان المروانى صاحب الاندلس كتب اليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه أما بعد فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب وذكر أبو الحسن الروحى فى كتاب تحفة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء هذه الواقعة لكن بين الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو المروانى صاحب الاندلس وبين العزيز المذكور وان المستنصر كتب الى العزيز يسبه ويهجوه فكتب اليه العزيز بهذه الكلمات والله أعلم بالصواب وقد تقدم فى ترجمة جده المهدى عبيد الله طرف من اخبار نسبهم والطعن فيه وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه وقد تقدم فى ترجمة الشريف أبى محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز فى أمر النسب وما أجاب به المعز وصار هذا كالمستفيض بين الناس وفى مبادى ولاية العزيز المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هنالك ورقة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع * ان كنت فيما تدعى صادقا
فاذكر أبا بعد الاب الرابع * وان ترد تحقيق ما قلته * فانسب لنا نفسك كالطائع

وفاته الامنية وذلك فى شهر شوال سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وسمعت من بعض العظام ان السبب فى اختياره عند عوده طريق مصر على طريق الشام انه فى بعض الليالى نام فسمع قائلا يقول فى المنام القضاء فى المصر فانتبه وغاص فى بحر الفكر ثم حكم بان هذه الرؤيا من الآيات الظاهرة بانه سيكون قاضيا بالقاهرة ولم يدر انها قاضية بانه سيحصل فيها بالعيشة الراضية وكان المولى المرحوم بارعا فى كثير من العلوم معروفا بذكاء القريحة وجودة البديهة ومع ذلك ليس فيه رائحة كبر وتيه وكان كثير الانشراح محبا للمفاكهة والمزاح محبا لمعاشرة الاخوان ومكبا على مصاحبة الخلان أسكنه الله فى غرف الجنان وقد علق رحمه الله حواشى على حاشية المولى حسن جلبى على التلويح وبقى فى هامش الكتاب وهذه النسخة الآن موجودة فى الكتب وقفها الوزير الكبير على باشا فى مدرسته الجديدة وعلق أيضا حواشى على الدرر والغرر ولم تتم وقد عثرت له على كلمات كتبها فى هامش كتاب الجامى على الموضع يتساءل عنه الطلاب من قوله فى بحث العدد (ولا يجوز اضافة العدد الى جمع المذكر السالم فلا يقال ثلاثة

أولا دع الانساب مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع * فان انساب بني هاشم

* يقصر عنها طمع الطامع *

وانما قال فان انساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع لان هذه القصيدة جرت في خلافة الطائع لله خليفة بغداد وصعد العزيز يوما آخر المنبر فرأى فيه ورقة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه

ان كنت أعطيت علم غيب * فقل لنا كاتب البطاقه

وانما كتب هذا لانهم كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة وقد تقدم لابي الرقعمق أحمد بن محمد الانطاكي المقدم ذكره قصيدة رائية يمدح بها العزيز المذكور وأجود ما أتى فيه وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص وحماة وشيزر وحلب وخطب له المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن ولم يزل في سلطانه وعظم شأنه الى أن خرج الى بلبيس متوجها الى الشام فابتدأت به العلة في العشر الاخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب يوم الاحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة الى الحمام بمدينة بلبيس وخرج منها الى منزل الاستاذ أبي الفتوح برجوان المتقدم ذكره وكان صاحب خزانته بالقصر فأقام عنده وأصبح يوم الاثنين فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب أمين الدولة وهو أول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها وخاطبهما بما أراد في أمر ولده الملقب الحاكم المقدم ذكره ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك ولم يزل العزيز في الحمام والامر يشتد به الى بين الصلاتين في ذلك اليوم وهو نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فتوفي في مسلخ الحمام هكذا قال المسبحي وقال صاحب تاريخ القيروان ان الطبيب وصف له دواء يشرب به في حوض الحمام وغلط فيه فشرب منه فمات من ساعته ولم ينكتم موته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده الحاكم أبو علي المنصور المقدم ذكره وبلغ الخبر أهل القاهرة فخرج الناس غداة الاربعاء لتلقي الحاكم فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها ريدان الصقلبي المذكور في ترجمة برجوان فدخل القصر بالقاهرة عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه في عمارية وقد خرجت قدماه منها وأدخلت العمارية القصر وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان ودفن عند أبيه المعز في حجرة من القصر وكان دفنه عند العشاء الآخرة وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والاحوال مستقيمة وقد نودي في البلدان لا مؤنة ولا كلفة وقد أمنكم الله تعالى على أموالكم وأرواحكم فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل ماله ودمه وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة بالمهدية من أرض افريقية وقال المختار المسبحي صاحب التاريخ المشهور قال لي الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز يا مختار استدعاني والدي قبل موته وهو عاري الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدناني وقبلني وضمني اليه وقال واغمي عليك يا حبيب قلبي ودمعت عيناه ثم قال امض يا سيدي والعب فأنا في عافية قال فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب الى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز اليه قال فبادر الي برجوان وأنا في أعلى جميزة كانت في الدار فقال انزل ويحك الله الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامة بالجوهر على رأسي وقبل لي الارض وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته قال وأخرجني حينئذ الى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لي الارض وسلموا علي بالخلافة وأخباره كثيرة والاختصار أولى

(أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري المعروف بالخبزأرزي الشاعر المشهور)

كان أميا لا يتهجى ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة في دكان وكان ينشد أشعاره المقصورة على

مسلمين فلم يسبق الاشكال لكنهم كرهوا أن يلي التمييز المجموع بالالف والتاء بعد ما تعوّد المجيء بعد ما هو في صورة المجموع بالواو والنون أعني عشرين الى تسعين) انتهى هذه قوله التمييز بالرفع فاعل يلي والمجموع بالنصب مفعوله والمراد من التمييز اسم المعدود الذي هو مميز العدد مثل رجل ودرهم لانه التمييز حقيقة وبعد الاول معمول يلي وما بعد بعد مصدرية صلتها تعوّد والمجيء بالنصب مفعول لتعود وفاعله كناية التمييز والثاني ظرف المجيء وما بعده موصولة بما بعده (والمعنى) ان العرب كرهوا أن يجيء التمييز الذي هو اسم المعدود بعد العدد المجموع جمع المؤنث اللازم على تقدير جمع المائة بالالف والتاء وأن يقال ثلثمائات رجل بعد كون العادة أن يجيء بعد العدد الذي هو في صورة الجمع المذكر مثل عشرين رجلا الى تسعين ويدل على كون ما قلنا شرح قوله تصير عكسه في شرح قوله وجمعه وانما لم يقل وجمعهما لان استعمال جمع مائة مع تمييزها مرفوض في الاعداد لا يقال وثلثمائات رجل تدبر وقيل (أراد به المولى شمس الدين المشتهر بقاضي زاده حل هذا المقام على وجه يزيل

الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطارفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم يتتابع وكأنه ليسمع شعره واعتنى به وجمع له ديوانا وكان نصر المذكور قد وصل الى بغداد وأقام بها دهرا طويلا وذكره الخطيب في تاريخه وقال قرأ عليه ديوانه وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريري وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري وعدة جماعة ورووا عنه وذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * بأكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطورا على تقبيل نرجس ناظر * وطورا على تعضيض تفاحة الخد

وأورد له أيضا

ألم يكفنى ما نالنى من هواكم * الى أن طفقتم بين لاه وضاحك
شماتتكم بي فوق ما قد أصابنى * وما بي دخول النار في طرمالك

وله أيضا

كم أناس وفوا لنا حين غابوا * وأناس جفوا وهم حضار
عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا * ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا
لا تلمهم على التجنى فلو لم * يتجنوا لم يحسن الاعتذار

ومن شعره أيضا

وكان الصديق يزور الصديق * لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق * لبث الهموم وشكوى الزمان

وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري أنشدنا أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزي لنفسه

بات الحبيب منادمى * والسكر يصبغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا * صبغ الخمار بمقلتيه
وهبته عينى الكرى * وتعوضت نظرا اليه
شكر الاحسان الزما * ن كما ساعدنى عليه

ومن شعره أيضا

كم أناسى لديك قالا وقيلا * وعدات ترى ومطلا طويلا
جمعة تنقضى وشهر يولى * وأمانيك بكرة وأصيلا
ان يفتنى منك الجميل من الفعـ * ـل تعاطيت عنك صبرا جميلا
والهوى يستزيد حالا فحالا * وكذا ينسلى قليلا قليلا
ويك لا تأمن صروف الليالى * انها تترك العزيز ذليلا
فكأنى بحسن وجهك قد صا * ر حديثا للعين الا قليلا
فتبدلت حين بدلت بالنو * ر ظلاما وساء ذاك بديلا
فكأن لم تكن قضيبا رطيبا * وكأن لم تكن كثيبا مهيلا
عندها يشمت الذى لم تصله * ويكون الذى وصلت خليلا

وله أيضا

رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما * هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد فى الوجنتين * وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر

وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ما مثاله حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الاكفانى البصرى قال خرجت مع عمى أبى عبد الله الاكفانى الشاعر وأبى الحسين بن لنكك وأبى عبد الله المفجع وأبى الحسن السماك فى بطالة عيد وأنا يومئذ صبى أصحبهم فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبزأرزى وهو جالس يخبز على طابقه فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد فى الوقود فدخنهم فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان فقال نصر بن أحمد لابى الحسين بن لنكك متى أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين اذا اتسخت ثيابى وكانت ثيابه يومئذ جددا على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها فى العيد فمشينا فى سكة بنى سمرة حتى انتهينا الى دار أبى أحمد بن المثنى فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال يا أصحابنا ان نصرا لا يخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شىء يقوله فيه ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا واستدعى دواة وكتب

لنصر فى فؤادى فرط حب * أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادرا وظننت نصرا * أراد بذاك طردى أو ذهابى

فقال

(الايهام) هو ان النحاة كرهوا أن يلى الثلاث وأخواته التمييز الذى جمع بالالف والتاء بعد صيرورته جمعا التمييز المفرد بعد العدد الذى هو فى صورة الاسم المجموع بالواو والنون عادة له مثلا لا يقال عشرون مئات فكذا لا يقال ثلثمائآت فالعامل فى بعد الاول أن يلى وما بعده مصدرية والعامل فى بعد الثانى المجىء وما بعده موصوفة أو موصولة يرد عليه انهم كما لا يقولون عشرون مئات لا يقولون كذلك اه وهو فاسد بأحد الوجوه لفساد أصول الاعداد وهو الهادى الى سبيل الرشاد اه كلامه

(ومن الذين جلسوا فى مجالس الارشاد وهرع اليه الناس من كل حاضر وباد التصوير بعين عناية البارى الشيخ عبد اللطيف النقشبندى البخارى)

كان رحمه الله من أولاد موسى باشا من وزراء الديوان فى دولة السلطان محمد خان وكان فى أول أمره من طلبة العلم الشريف وخدمة كل فاضل عريف ثم ساقته العنايات السبحانية والجذبات الرحمانية الى طريق التصوف وترك التكلف وتاب على يد الشيخ محمود الاماسى خليفة الشيخ العارف أحمد البخارى

فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الابيات الى نصر فأملى جوابها فقرأناه فاذا هو قد أجاب

أتحت أبا الحسين صميم ودي * فداعبني بالفاظ عذاب * أتى وثيابه كقتير شيب
فعدن له كريعان الشباب * ظننت جلوسه عندي لعرس * فجدت له بتغسيل الثياب
فقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبني اذا اتسخت ثيابي
فان كان التزيد فيه خير * فلم يكنى الوصي أبا تراب

واعلم انه الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب الهدايا والتحف ان الخبزأرزي أهدى الى ابن يزداد والي البصرة فصا وكتب معه أهديت مالو أن أضعافه * مطرح عندك ما بانا كمثل بلقيس التي لم يبن
اهداؤها عند سليمانا * هذا امتحان لك ان ترضه * بان لنا أنك ترضانا

والشيء بالشيء يذكر وجدت في هذا الكتاب نادرة ظريفة فاستحسنت ذكرها وهي أنه كان باصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سمالك بن النعمان وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومعنى تعرف بام عمرو فلا فراط حبه اياها وصبابته بها وهبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتبا وحمل الكتب اليها على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به واستعظموه وكان باصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكا انما أهدى الى أم عمرو جلودا بيضا لا كتابة فيها وان هذا من الهدايا التي تستحسن و يجل موقعها عند من تهدى اليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سمالك وانفذها الى التي يحب فلما وصلت الجلود اليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه وكتبت اليه رقعة تشتمه وتحلف انها لا تكلمه أبدا وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتا في هذا المعنى لتودعها الرقعة ففعل وكانت الابيات

لا عاد طوعك من عصاكا * وحرمت من وصلي مناكا
فلقد فضحت العاشقين * بقبح ما فعلت يداكا * أرأيت من يهدي الجلو
د الى عشيقته سواكا * وأظن انك رمت أن * تحكي بفعلك ذا سماكا
ذاك الذي أهدى الضيا * ع لام عمرو والصكاكا * فبعثت منتنة كأنـ * ـك قد سلخت بها قفاكا
من لي بشربك يا رقيـ * ـع ولست أهوى ان أراكا * لكن لعلي ان أقطـ * ـع ما بعثت على قفاكا

ونقلت من هذا الكتاب أيضا ان البادي الشاعر خرج من بعض مدن اذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع وكانت السنة مجدبة فصحبه الطريق وغلاما حدثا على حمار له قال فاذا به قرأته أديبا راوية للشعر خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة فسر نا بقية يومنا فامسينا الى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيأ نأكله فامتنع أن يكون عنده شيء قرفقت به الى أن جاءني برغيفين فاخذت واحدا ودفعت الى ذلك الغلام الآخر وكان غمي على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمي على نفسي فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال ما أقدر منه على حبة واحدة فقلت فاطلب لي وجعلت له جعلا على ذلك فمضى وجاءني بعد طويل وقال قد وجدت سكوكين عند رجل حلف بالطلاق انه لا ينقصهما عن مائة درهم فقلت ما بعد يمين الطلاق كلام فدفعت اليه خمسين درهما فجاءني بمكوك فعلقته على دابتي وجلست أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف فأطرق مليا ثم قال تسمع أيدك الله أبياتا حضرت الساعة فقلت هاتها فانشد

يا سيدي شعري نفاية شعركا * فلذاك نظمي ما يقوم بنثركا * وقد انبسطت اليك في انشادما
هو في الحقيقة قطرة من بحركا * انستني وسررتني وبررتني * وجعلت أمري من مقدم أمركا
وأريد اذكر حاجتي تقضها * أتعبد مدحك ما حييت وشكركا * انا في ضيافتك العشية ههنا
* فاجعل حماري في ضيافة مهركا *

فضحكت واعتذرت اليه من اغفالي أمر حماره وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهما ودفعته اليه بالجملة

وشهر بتلمذه حتى زوجه بابنته ولما انتقل شيخه الى رب العباد اجلس المزبور مكانه للارشاد في زاويته المعروفة المبنية بقسطنطينية المحمية وخدم ذلك المقام الشريف والمنزل المنيف الى أن حج سنة سبعين وتسعمائة وجاور بمكة المشرفة الى أن بقي أسبوع الى وصول الحاج من العام القابل ثم انتقل الى احسان ربه الشامل كان رحمه الله عالما عاقلا صالحا معتقدا آية في الحلم والتؤدة والوقار أسكنه الله تعالى في جنات تجري من تحتها الانهار

(ومن أرباب الفضل والكمال المولى صالح بن جلال)

كان أبوه من كبار زمرة القضاة الحاكمين في القصبات ونشأ رحمه الله مشتغلا بالعلم وأربابه ومحبا بالفضل وأصحابه فاهتم في التحصيل ورغب في التكميل وقد تشرف بمجالس السادات وكان متبعا كان حتى صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس في المدرسة السراجية بادرنة بخمسة وعشرين ثم مدرسة مراد باشا بقسطنطينية بثلاثين ثم مدرسة محمود باشا بهذه المدينة بأربعين ثم صارت وظيفته فيها خمسين ثم ساعده الدهر واعانه الزمان حيث وصل منها الى

نقد خرجنا عن المقصود واخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة وتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وتاريخ وفاته فيه نظر لان الخطيب ذكر فى تاريخه ان أحمد بن منصور النوشرى المذكور سمع منه سنة خمس وعشرين وثلثمائة والخبز أرزى بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاى و بعدها همزة ثم راء ثم زاى وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاى وتخفيفها فى الارز يختلف باختلاف اللغات فى هذه الكلمة وفيها ست لغات الواحدة بضم الهمزة والراء وتشديد الزاى والاخرى بفتح الهمزة والباقى مثل الاولى والثالثة أرز بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاى والرابعة مثل الثالثة لكن الراء مضمومة والخامسة رز بضم الراء وتشديد الزاى والسادسة رنز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاى وانما نسب نصر المذكور هذه النسبة لانه كان يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره فى أول هذه الترجمة وابن لنكك بفتح اللام وسكون النون وكافين مفتوحتين الاولى منهما وهو لفظ أعجمى معناه بالعربى أعيرج تصغير أعرج لان لنك معناها أعرج وعادة العجم اذا صغروا الاسماء ألحقوا فى آخره كافا والمربد بالبصرة بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة و بعدها دال مهملة وهو اسم موضع بالبصرة مشهور وهو فى الاصل اسم لكل مكان تحبس فيه الابل وغيرها ثم صار علما على الموضع المذكور

*(أبو المرهف نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن أثال بن وردبن عطاف بن بشر بن جندله
ابن عبيد الراعى بن الحصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحرث بن نمير
ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن
قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان النميرى الضرير الشاعر المشهور)*

قدم بغداد فى صباه وسكنها الى حين وفاته وحفظ القرآن المجيد وتفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسمع الحديث من القاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى الانصارى وأبى البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطى وأبى الفضل محمد بن ناصر وغيرهم وقرأ الادب على أبى منصور بن الجواليقى وقال الشعر ومدح الخلفاء والوزراء والاكابر وحدث وكان زاهدا ورعا حسن المقاصد فى الشعر له ديوان شعر وذكره العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة وذكر شيأ من شعره وأورد نسبه على هذه الصورة وقال هو الذى أملاه على وعبيد الراعى المذكور فى عمود نسبه هو الشاعر المشهور وصاحب الديوان الشعر وكان بينه وبين جرير مهاجاة وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدرى وعمره أربع عشرة سنة وذكر له العماد فى الخريدة هذا المقطوع من شعره وهو

ترى يتألف الشمل الصديع * وآمن من زمانى ما يروع * وتأنس بعد وحشتنا بجمع
منازلنا القديمة والربوع * ذكرت بابن العليين عصرا * مضى والشمل ملتئم جميع
فسلم أملك الدمع ونعرب * وعند الشوق تعصيك الدموع * ينازعنى الى خنساء قلبى
ودون لقائها بلد شسوع * وأخوف ما أخاف على فؤادى * اذا ما أنجد البرق اللموع
لقد حملت من طول التنائى * عن الاحباب مالا أستطيع

وشعره فيه رقة وجزالة وكان ببغداد كثير الانقطاع الى الوزير عون الدين بن هبيرة الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وله فيه مدائح وكانت ولادته يوم الثلاثاء بعد العصر ثالث عشر جمادى الآخرة سنة احدى وخمسمائة بالرقة وتوفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى والنميرى بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها و بعدها راء هذه النسبة الى نمير بن عامر المذكور فى عمود النسب فى أول الترجمة والباقى معروف

*(ابو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد القوى بن قلاقس اللخمى
الازهرى الاسكندرى الملقب القاضى الاعز الشاعر المشهور)*

وكان

احدى المدارس الثمان ثم صار أمينا باشا الوزير الكبير بل بتقدير العزيز القدير ثم صار مأمورا من قبل السلطان سليمان بترجمة بعض الكتب الفارسية بالتركى فاتمها فى قليل من الزمان فاعطاه مدرسة السلطان بايزيد خان ثم قلد قضاء حلب وقال فى تاريخه الشيخ غرس الدين صاحب الفضل والادب (شعر)
بشرا لكم يا شهباء قد نلت الارب
وأتى الهنا فى صالح نعم الطالب
زال العنا قد أتاك صالح
قالشكر لله عليك قد وجب
بالعلم والحلم غدت أوصافه
أعلى السماء ابن التقى عالى النسب
فاق فى الجود حاتم قد روى
أيضا البديع عنهم روى الادب
باليمن قد طاعت لنا أوقاته
ياسائلى تاريخه قاضى حلب * ثم عزل عنه وفوض اليه تفتيش أحوال القاهرة فاصبحت بكمال استقامته عامرة فوجه اليه ثانيا قضاء حلب فلم يقبله ولم يرغب فاعيد الى مدرسة الاولى بثمانين ودام على الدرس بها سنين ثم قلد قضاء دمشق الشام ثم نقل الى قضاء مصر ذات الاهرام ثم عزل وبقى فى الحزن والهم ثم وجه اليه مدرسة أبى أيوب الانصارى بمائة درهم فمضى قليلى

وكان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره وانتفع بصحبته وله فيه غرر المدائح وقد تضمنها ديوانه وكان الحافظ المذكور كثيراً ما يثني عليه ويتقاضاه مديحه وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة موسومة أحسن فيها كل الاحسان وأولها

ماضر ذاك الريم أن لا يريم * لو كان يرثي لسليم سليم * وما على من وصله جنة
الا أرى من صده في جحيم * أعيد ما همت به روضة * أعل جسمي لا كون النسيم
رقيم خد نام عن ساهر * ما أجدر النوم بأهل الرقيم * وكيف لا يصرم ظبيي وقد
سمعت في النسبة ظبي الصريم * وعاذل دام ودام الجوى * بجبهة نادمتها في لجيم
يعنفني وهو على رسله * والرعي في غيظ سواه كظيم * قلت له لما عدا طوره
والقلب مني في العذاب الأليم * أعذر فؤادي انه شاعر * من حبه في كل واد يهيم
يارب خمر قمت كاسيها * لم أقتنع من شربها بالشميم * أتبعتها شفعاً فلا عندها
وقلت هذا زمزم والحطيم * فافترا ماعن أقاح الربا * يضحك أو در العقود النظيم
أو كان قد قبل مستحسنا * ما قبل الفاضل عبد الرحيم

وكان كثير الحركات والاسفار وفي ذلك يقول

والناس كثر ولكن لا يقدر لي * الا مرافقة الملاح والحادي

وفي آخر وقته دخل بلاد اليمن وامتدح بعدن أبا الفرج ياسر بن أبي الندى بلال بن جرير المحمدي وزير محمد وأبي السعود ولدي عمران بن محمد الزريعي سبا بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي صاحب بلاد اليمن فأحسن اليه وأجزل صلته وفارقه وقد أثرى من جهته فركب البحر فانكسر المركب به وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة فعاد اليه وهو عريان فلما دخل عليه أنشده قصيدته التي أولها

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا * فعدنا الى مغناك والعود أحمد

وهذه القصيدة من القصائد المختارة ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ثم أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه وأولها سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا * والماء يكسب ما جرى
طيبا ويخبث ما استقرا * وبنقلة الدرر النفيـ * ـسة بدلت بالبحر نحرا
يا راويا عن ياسر * خبرا ولم يعرفه خبرا * اقرأ بغرة وجهه
صحف المنى ان كنت تقرا * والثم بنان يمينه * وقل السلام عليك بحرا
وغلطت في تشبيهه * بالبحر فاللهم غفرا * أو ليس نلت بذا غنى
جما ونلت بذاك فقرا * وعهدت هذا لم يزل * مدا وذاك يعود جزرا

وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان ومعنى البيت الثاني منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات المقدم ذكره في حرف الهمزة في أول رسالة قد ذكرتها في ترجمته وهي الماء اذا طال مكثه ظهر خبثه والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضا مأخوذ من قول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهو

فاقتل ركابك في الفلا * ودع الغواني للخدور * فمحالفو أوطانهم
أمثال سكان القبور * لولا التنقل ما ارتقت * درر البحور الى النحور

وله في جارية سوداء وهو معنى غريب

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

ومحاسن ابن قلاقس نادرة وكانت ولادته بثغر الاسكندرية يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتوفي ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب رحمه الله تعالى ودخل صقلية

ثم صار [illegible] بوظيفة المرزوقة بالمدينة المنورة فلما وصل عمر هذا العزيز الى حدود الثمانين اباده الزمان وأبلاه الدهر الخوان وذلك سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة * وكان المولى المرحوم مشاركا في العلوم يحاكي السادة الكبار في السكينة والوقار وكان المرحوم ذا نفس زكية وراحة سخية يراعي الحقوق القديمة كما هو عادة الطباع السليمة حسن الأخلاق منفقا على جيرانه وقد كتب رحمه الله حواشي على شرح المواقف وعلى شرح الوقاية لصدر الشريعة وعلى شرح المفتاح للشريف الجرجاني وجمع بعض لطائف علماء الروم ونوادرهم وله ديوان شعر بالتركي وديوان منشآت بتلك اللسان أسكنه الله تعالى في غرف الجنان

(ومن العلماء العظام المولى محيي الدين الشهير بابن الامام)

كان أبوه اماما في جامع محمود باشا ونشأ رحمه الله طالبا لاكتساب المعالي وراغبا في مصاحبة كل ماجد عالي ومارس الفنون الشريفة وتتبع المصنفات اللطيفة وقرأ على المولى الاعظم ابن كمال وغيره من أرباب الفضل والكمال وصار ملازما من المولى

في شعبان سنة ثلاث وستين وكان وصوله الى اليمن سنة خمس وستين وكان بصقلية بعض القواد يقال له القائد أبو القاسم بن الحجر فاتصل به وأحسن اليه وصنف له كتابا سماه الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم وأجاد فيه ولما فارق صقلية راجعا الى الديار المصرية وكان في زمن الشتاء ردته الريح الى صقلية فكتب الى أبي القاسم المذكور قوله

منع الشتاء من الوصو * ل مع الرسول الى دياري * فأعادني وعلى اختيا
ري جاء من غير اختياري * ولربما وقع الجما * ر وكان من غرض المكاري

وقلاقس بقافين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفي آخره سين مهملة وهو جمع قلقاس وهو معروف واللخمي تقدم الكلام عليه وكذلك الازهري وعيذاب بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد الالف باء موحدة وهي بليدة على شاطئ بحر جدة يعدي منها الركب المصري المتوجه الى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في أغلب الاوقات فيصل الى جدة ومنها الى مكة حرسها الله تعالى مسافة يوم وبجدة قبر أم البشر حواء رضي الله عنها على ما يقال وقبرها هناك ظاهر يزار وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره عند دخول اليمن

(أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب ضياء الدين)

كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وانتقل مع والده الى الموصل وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الاحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الاشعار حتى قال في أول كتابه الذي سماه الوشي المرقوم ما مثاله وكنت حفظت من الاشعار القديمة والحديثة ما لا أحصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس يعني أبا تمام وأبي عبادة البحتري وشعر أبي الطيب المتنبي فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الادمان لي خلقا وطبعا وانما ذكرت هذا الفصل في معرض ان المنشئ ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حل المنظوم ويعتمد عليه في هذه الصناعة ولما كملت لضياء الدين المذكور الادوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته في شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة وأقام عنده الى شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الافضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الاقامة في خدمته والانتقال الى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى اليه وكان يومئذ شابا فاستوزره ولده الملك الافضل نور الدين علي المقدم ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حاله عنده ولما توفي السلطان صلاح الدين واستقل ولده الملك الافضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور الناس اليه وصار الاعتماد في جميع الاحوال عليه ولما أخذت دمشق من الملك الافضل وانتقل الى صرخد حسبما شرحناه في ترجمته وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها فهموا بقتله فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا في صندوق مقفل عليه ثم صار اليه وصحبه الى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك المنصور وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الافضل فأغنى عن الاعادة ولما قصد الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه كما ذكرناه هنالك وتعوض الملك الافضل البلاد الشرقية وخرج من مصر لم يخرج ضياء الدين في خدمته لانه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه فخرج منها مستترا وله في كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة شرح فيها حاله وهي موجودة في ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الافضل مديدة ولما استقر الافضل في سميساط عاد الى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب المقدم ذكره فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغاضبا وعاد الى الموصل فلم يستقم حاله فورد اربل فلم يستقم حاله فسافر الى سنجار ثم عاد الى الموصل واتخذها دار اقامته واستقر وكتب الانشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره

القادري ثم درس في مدرسة واجد باشا بكوتاهية بعشرين ثم صارت وظيفته خمسة وعشرين ثم درس في مدرسة اسحق باشا بقصبة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة بادرم خان بمدينة بروسه بأربعين ثم مدرسة كيكبز بخمسين ثم نقل من هذه الامكنة الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه فلما قضى منها الاوطار أعطى مدرسة اسكداو وهو أول مدرس بها وراقع انتظامها ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم مدرسة السلطان بايزيد خان ثم قلد قضاء حلب بلا رغبة منه وطلب فباشر القضاء فيها قدر سنتين ولم يتكلم بلفظ حكمت مرة فضلا عن مرتين ثم عزل عنه وعين له الثمانون بحسب العادة والثمانون ثم صارت وظيفته مائة ونصب متقاعدا ما سبق قبل الحركة والمسافرة اتفق له سفر الآخرة وكان من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين يحقق كلام القدماء ويدقق النظر في مقالات الفضلاء وقد علق على أكثر الكتب المتداولة حواشي الا انه لم يتيسر له الجمع والترتيب والتبييض والتهذيب وكان رحمه الله معتزلا عن الناس غير متكلف في اللباس وكان يصدر عنه لعدم اكتراثه بامور الدنيا وقلة مبالاته

في حرف الهمزة وأنبأني يومئذ الامير بدر الدين أبو الفضائل النوري وذلك في سنة ثماني عشر وستمائة ولقد ترددت الى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيأ ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الاكيدة فلم يتفق ذلك ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة وسيأتي تاريخه في أواخر الترجمة ان شاء الله تعالى ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وهو في مجلدين جمع فأوعى ولم يترك شيأ يتعلق بفن الكتابة الا ذكره ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل الى بغداد منه نسخة فانتدب له الفقيه الاديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني وتصدى لمؤاخذته والرد عليه وعنته وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالي أحمد ويدعى القاسم أيضا فكتب الى أخيه المذكور قوله

المثل السائر يا سيدي * صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر * تصير فيه المثل السائرا

وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمدائن يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفي ببغداد سنة خمس وخمسين وستمائة وتوفي أخوه موفق الدين المذكور ببغداد في سنة ست وخمسين وستمائة بعد أن أخذها التتر بقليل وكانا فقيهين أديبين فاضلين لهما أشعار ملحة ومولد الموفق المذكور في جمادى الآخرة وقيل في شهر ربيع الاول سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة وله كتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء وهو أيضا نهاية في بابه وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد وقال أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل نقلت من خطه في آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله

تمتع به علقا نفيسا فانه * اختيار بصير بالامور حكيم
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى * الى الشعر من نهج اليه قويم

وله أيضا ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد ومن جملة رسائله ما كتبه الى مخدومه وقد سافر في زمن الشتاء والبرد الشديد ويخبر انه سار عن الخدمة وقد ضرب الدجن فيه مضاربه وأسبل عليه ذوائبه وجعل كل قرارة غديرا وكل ربوة غديرا وخط كل أرض خطارا غادر كل جانب شللا كأنه يوازي يد مولانا في نعمة كرمها والتثاث سحب ديمها والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل العاري عن قانون التحصيل وفرق بين ما ملأ الوادي بمائه ومن ملأ النادي بنعمائه وليس ما ينبت زهرا يذهب مع المصيف أوقاتا كمن يبقي ثروة تفوت الاعطاف ويأكل المرتبع والمصطاف ثم استمر على مسيره تارة في الارض ووحلها والسماء ووبلها ولقد جاد حتى أكثر وواصل حتى أضجر وأسرف حتى اتصل بالعقوق وما ألف المملوك لمع البوارق كما ألف لمع البروق ولم يزل من مواقع قطره في حرب ومن شدة برده في كرب والسلام ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام المعروف بالحاجري الاربلي المقدم ذكره هذا المعنى وهو قوله ومن شدة برده في كرب أعجبه ونظم أبياتا ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى وهو

ويلاه من برد رضاب له * أشكو الى العذال منه الحريق

ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق الى الوقوف على بقية الابيات وهي قليلة فلا بأس بذكرها وهي

بين لوى الجزع ووادي العقيق * من لا الى السلوان عنه طريق
جاني جنى الخالة من ريقه * حلو التثني والثنايا رشيق
لولم تكن وجنته جنة * ما أنبتت ذا العذار الانيق
ويلاه من برد رضاب له * اشكو الى العذال منه الحريق
واعجبا يفعل بي في الهوى * ما تفعل الاعداء وهو الصديق
روحي فدى الظبي الذي قده * يفعل فعل السمهري الدقيق

وقد سبق في ترجمة النفيس القطرسي في حرف الهمزة بيت من جملة أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى وهو قوله

قصور في مداراة الناس ومعاملاته ولذلك كانوا فيه يطعنون والى كل حدب ينسلون (بيت)

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

توفي رحمه الله في أول الربيعين سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة

(ومنهم العالم العامل والسري الكامل شيخنا واستاذنا تاج الدين ابراهيم ابن عبد الله سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه)

ولد رحمه الله على رأس تسعمائة في ولاية حميد تخرج منها في طلب العلم ودار البلاد واشتغل واستفاد وأفنى عنفوان شبابه في تحصيل العلم واكتسابه وصاحب أعيان الناس وشيد بنيان العلم باشد أساس وتلقى من الافاضل الدروس حتى شهد بفضله الرؤس واتصل بالمولى نور الدين الشهير بصاري كرز وصار منه ملازما ثم درس في مدرسة ابراهيم الرواس بقسطنطينية بعشرين ثم بالمدرسة الواقعة بقصبة ياورته الشهير بانها بجمال أوغلي بخمسة وعشرين ثم بمدرسة القاضي الاسود بقصبة تيره ثم مدرسة اغراس ثم مدرسة سليمان باشا بازنيق فاشتغل فيها وكتب حاشية على صدر

أحرقت يا ثغر الحبيب * حشاي لما ذقت بردك

وأصل هذا المعنى لابن التعاويذي المقدم ذكره في بيت من جملة قصيدته النونية المشهورة وهو

يذكي الجوى بارد من ثغره شبم * ويوقظ الوجد طرف منه وسنان

ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه الى الديوان العزيز من جملة رسالة وهي ودولته هي الضاحكة وان كان نسبها الى العباس فهي خير دولة أخرجت للزمن كما ان رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم وأنها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخطه الاقلام في صحفها ولا ابتلته الخواطر في افكارها أقول لعمري ما أنصف ضياء الدين في دعواه الاختراع لهذا المعنى وقد سبقه اليه ابن التعاويذي أيضا في قصيدته السينية التي مدح بها الامام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس في دست الخلافة وهو يوم الاحد مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة وأول القصيدة

طاف يسعى بها على الجلاس * كقضيب الاراكة المياس

ومنها عند المخلص وهو المقصود بالذكر هنا

يا نهار المشيب من لي وهيها * ت بليل الشبيبة الدعاس * خال بيني وبين لهوي واطرا
بي دهر أحال صبغة رأسي * ورأى الغانيات شيبي فاعرضـ * ـن وقلن السواد خير لباس
كيف لا يفضل السواد وقد أضـ * ـحى شعارا على بني العباس

ولا شك ان ضياء الدين زاد على هذا المعنى لكن ابن التعاويذي هو الذي فتح الباب وأوضح السبيل فسهل على ضياء الدين سلوكه وله من جملة رسالة في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب وهذا المتسند اضعف شيء ولقوس ظهري وتر وان كان القاؤها قامتقات حملها دليل على السفر وله في وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو فسلبوا وعاد شيم السلاح عن اللباس فهم في صورة عار وزيهم في ذي كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها الحمر غير انه لم يجب عليهم ولم يزر وما ليس وحتى ألبس الاسلام شعار النصر الباقي على الدهر وهو شعار نسجته السنان الخارق لا الصنع الحاذق ولم يغسل عن لابسه الا ريثما غابت البيض في الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحتري

سلبوا واشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته وهو معنى بديع غريب لم أقف لغيره على أسلوبه وهو قوله وعذب رضابه فضاهى جنى النحل واحمر صفحه فعلمت أنه قد قتل المحل وهذا المعنى نهاية في الحسن ثم اني وجدت هذا المعنى لبعض العرب وقد أخذ ضياء الدين منه وهو قوله

لله قلب ما تزال يروعه * برق الغمامة منجدا أو مغورا
ما احمر في الليل البهيم صفيحة * متحيرا الا وقد قتل الكرى

ولقد أحسن في أخذه وتلطف في نقله الى هذا المعنى ومثله قول عبد الله بن المعتز المقدم ذكره في غلام أرمد

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل مسها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت * والدم في النصل شاهد عجب

وله كل معنى مليح في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله فاذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها وكانت بينهما مكاتبات ومحاورات ولم يكن له في النظم شيء حسن وسأذكر منه أنموذجا وهو

ثلاثة تعطي الفرح * كأس وكوب وقدح ما ذبح الزق لها * الا وللهم ذبح

وكان كثيرا ما ينشد قلب كفاه من الصبابة انه * لبي دعاء الظاعنين وما دعي
ومن الظنون الفاسدات توهمي * بعد اليقين بقاءه في أضلعي

وهذان البيتان من جملة أبيات للفقيه عمارة اليمني المقدم ذكره ومحاسنه كثيرة وقد طال الشرح وذكره

الشريعة وردهما على المولى ابن كمال باشا رحمه الله في مواضع كثيرة فلما انفصل عنها كتب رسالة وجمع فيها من مواضع رده عليه ستة عشر موضعا وأغلظ على المولى المزبور في مواضع عديدة من تلك الرسالة وقال في أوائل ديباجتها فاعلموا معاشر طلاب اليقين سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ان المختصر الذي سوده الحبر الفاضل والبحر الكامل الشهير بابن كمال باشا نعمه الله في روضة جنته بما يعلمو ما يتلوه سماه بالاصلاح والايضاح مع خروجه عن سنن الصلاح والفلاح باشتماله على تصرفات فاسدة واعتراضات غير واردة من السهو والزلل والخبط والخلل لا تكاد يعبا لا يليق وتعرفه بما ينبغي مشتمل على كثير من المسائل المخالفة للشرع بحيث لا يخفى بعد التنبيه للاصل والفرع ولا ينبغي الاعتقاد بحقيقتها للمبتدى ولا العمل بها للمنتهي لوجود خلافها مسطورا في الكتب المعتبرات من المطولات والمختصرات ومن شك فيما ذكر بعد النظر فيما سيذكر أوشك أن يشك في ضوء المصباح ووجود الصباح عند طلوع الاصباح ثم كتب نسختين ودفع احداهما الى الوزير محمد الصوفي وكان ينتسب اليه

أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل وبالغ في الثناء عليه وقال ورد اربل في شهر ربيع الأول سنة احدى
عشرة وستمائة وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
وتوفي في احدى الجمادين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل
وصلى عليه من الغد بجامع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله
عنهما قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر
ربيع الآخر من السنة وهو أصح لانه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم وقد تقدم ذكر أخويه مجد
الدين أبي السعادات المبارك وأبي الحسن علي الملقب عز الدين وكان الاخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء
لكل واحد منهم تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن
وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ورأيت له مجموعا جمعه للملك الاشرف ابن الملك العادل بن أيوب
وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين
وخمسمائة وتوفي بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى سنة اثنتين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف
رحمه الله تعالى

*(أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السكب الشاعر بن عروة
ابن حليمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي المازني النحوي البصري)*

كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث
وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ذكره أبو عبيدة في كتاب مثالب أهل البصرة فقال ضاقت المعيشة على النضر
ابن شميل البصري بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم
الا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو اخباري فلما صار بالمربد جلس وقال يا أهل البصرة يعز علي
فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلي ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى
وصل خراسان فأفاد بها مالا عظيما وكانت اقامته بمرو وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي
نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد وسمع من هشام بن عروة واسمعيل بن أبي خالد وحميد الطويل وعبد
الله بن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين وروى عنه يحيى بن معين وعلي بن المديني وكل من
أدركه من أئمة عصره ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زمانا وسمع منه أهلها وله مع المأمون بن هرون الرشيد
لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر لانه كان يجالسه فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب درة الغواص في
أوهام الخواص في قوله ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون في فتح السين والصواب أن يقال بالكسر
وقد جاء في أخبار النحويين ان النضر بن شميل المازني استفاد بافادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم وساق
خبره وذكر اسنادا انتهى فيه الى محمد بن ناصح الاهوازي قال حدثني النضر بن شميل قال كنت أدخل
على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير
المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا
ولكنك متقشف ثم أجرينا الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه
سداد من عوز فأورده بفتح السين قال فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن
الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة
لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت
سداد قلت لان السداد ههنا لحن قال أو تلحنني قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال
فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا
فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي يقول

والثانية الى الوزير الكبير
رستم باشا فلما أعطاها اياها
طالب الوزير المزبور قراءتها
فلما وصل الى تشنيعه على
المولى المزبور تغير الوزير
غاية التغير بسبب انه كان
قد قرأ على المولى المزبور
فأخذ منه الرسالة وقال
لا بد من ارسالها الى المفتي
وهو يومئذ المولى أبو
السعود فان كنت صادقا
في دعواك نعطيك ما تسأله
وان كذبت فستجزى بك
باساءتك الادب فخرج
المرحوم من عنده مغموما
ثم أمر الوزير المزبور
لبعض العلماء أن يصور له
بعضا من تلك الصور
بحيث يفهمه وكان أول
موضع منها قوله قال الفاضل
الشهير بابن كمال باشا
(وكره مسبل الثوب الى
قوله الوطء والغسل فوق
المسجد والبول فوقه
وفوق بيت فيه مسجد)
أي مكان أعد للصلاة
ويجعل له محراب وأشار الى
هذا بتعريف الأول
وتنكير الثاني (أقول) عد
البول فوق المسجد من
جملة المكروهات يخالف
ما في القنية ما هو المصرح به
في الكتب المعتبرات
والحال انه لم يرد بكلامه
نقل وما هو الا سهو أو
سبق قلم منه فلما سمع الوزير
تلك المسألة قال قد أساء
الادب فيه أيضا حيث جوز
البول فوق مسجد وما هو
الا رجل سفيه انظر الى هذا

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لي بمرو أتصابها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت اني الى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا أمرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل القرطاس قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه فأخبرته ولم أكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني والبيت الذي استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي العرجي الشاعر المشهور وهو من جملة أبيات له وهي هذه الابيات

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر * وصبر عند معترك المنايا
وقد شرعت أسنتها لنحري * أجرر في الجوامع كل يوم * فيا لله مظلمتي وقسري
كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو * عسى الملك المجيب لمن دعاه
سيحيني فيعلم كيف شكري * فأجزي بالكرامة أهل ودي * وأجزي بالضغائن أهل وتري

وكان سبب عمله هذه الابيات ان محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لانه كان يشبب بامه جيداء وهي من بني الحرث بن كعب ولم يكن ذلك لمحبته اياها بل ليفضح ولدها المذكور وأقام في حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط وشهره بالاسواق فعمل هذه الابيات في السجن وقد خرجنا عن المقصود ونرجع الآن الى تتمة أخبار النضر فمن ذلك ما حكاه الحريري في درة الغواص أيضا في أوائل الكتاب في قوله ويقولون للمريض مسح الله ما بك بالسين والصواب فيه مصح بالصاد ويحكى ان النضر بن شميل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح بالصاد أي أذهبه وفرقه أما سمعت قول الاعشى

واذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وسقر وصقر فقال له النضر فاذا أنت أبو صالح وتشبه هذه النادرة ما حكي أيضا ان بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن سلح من آبائهم أم من صلح فخجل الرجل وانقطع انتهى كلام الحريري قلت أنا والذي ذكره أرباب اللغة في جواز ابدال الصاد من السين ان كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف فيجوز ابدال السين بالصاد فتقول في السراط الصراط وفي سخر لكم صخر وفي مسغبة مصغبة وفي سقيل صقيل وقس على هذا كله ولم أر في كتب اللغة من ذكر هذا وحكى فيه خلافا سوى الجوهري في كتاب الصحاح في لفظة صدغ فانه قال وربما قالوا السدغ بالسين قال محمد بن المستنير ان قوما من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء اذا كن بعد السين ولا يبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة ان يكن بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل وسرقت وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب انتهى كلامه في هذا الفصل وأخبار النضر كثيرة والاختصار أولى وله تصانيف كثيرة فمن ذلك كتاب في الاجناس على مثال الغريب وسماه كتاب الصفات قال علي بن الكوفي الجزء الاول منه يحتوي على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء والجزء الثاني يحتوي على الاخبية والبيوت وصفات الجبال والشعاب والجزء الثالث يحتوي على الابل فقط والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير والشمس والقمر

والليل

الجهل وسوء الفهم ثم لما سمع مسألة تجويز بيع العبد في نفقته وجته مرة بعد أخرى غضب غضبا شديدا وقال انه تعريض لي فعزم أن لا يوجد اليه منصبا قطعا ونسي ذلك المغرور ألا الى الله تصير الامور فبقي المرحوم برهة من الزمان في مهامه الذل والهوان واستولى عليه القنوط واليأس وقطع أمنيته عن الناس فتوجه الى جناب مولاه الى أن قرع سمعه نداء لا تيأسوا من روح الله وذلك انه اتفق فتح سلطانية بروسه وورد الامر من السلطان بأن يوجه الى أحد من المعزولين ولم يوجد منهم الا المرحوم وشخص آخر يبغضه الوزير المزبور أكثر من بغضه المرحوم فخاف أن يعطيها السلطان ذلك الشخص فسارع في عرض المرحوم فقبله السلطان ثم ندم على ما فعله ولم ينفعه الندم بعد ما زلت القدم وما أصدق من قال (بيت)

اذا أتى وقت القضاء الغالب
بادرت الحاجة كف الطالب

فذهب المرحوم الى مدرسته فشرع في الافادة وبيض فيها ما كتبه على صدر الشريعة من أول كتاب الحج الى آخر الكتاب فلما مضى عليه سبع سنين اعطي احدى المدارس الثمان وقدر أن علمه فيها

والليل والنهار والالبان والكمأة والآبار والحياض والارشية والدلاء وصفة الخمر والجزء الخامس يحتوى على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والاشجار والرياح والسحاب والامطار وله كتاب السلاح وكتاب خلق الفرس وكتاب الانواء وكتاب المعانى وكتاب غريب الحديث وكتاب المصادر وكتاب المدخل الى كتاب العين للخليل بن أحمد وغير ذلك من التصانيف وتوفى فى سلخ ذى الحجة سنة أربع ومائتين وقيل فى أولها وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد خراسان وبها ولد ونشأ بالبصرة فلذلك نسب اليها رحمه الله تعالى والنضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وشميل بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وخرشة بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة وكلثوم بضم الكاف والثاء المثلثة وبينهما لام ساكنة وعبدة بفتح العين والدال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة والسكب بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة وانما قيل له سكب لقوله

* يرقى يضيء خلال البيت أسكوب *

وحليمة بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وقال ابن الجوزى فى كتاب الالقاب فى ترجمة السكب هو زهير بن عروة بن جلهمة والله أعلم بالصواب وجلهمة بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة وهو فى الاصل اسم لجنب الوادى يقال له جلهمة وجلهة بفتح الجيم والهاء بغير ميم وبه سمى الرجل وحجر بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء وخزاعى بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وبعد الالف عين مهملة مكسورة ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب والباقى معروف فلا حاجة الى ضبطه

(الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه ابن زوطى بن ماه الامام الفقيه الكوفى مولى تيم الله بن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات)

كان خزازا يبيع الخز وجده زوطى من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من أهل الانبار وقيل من أهل نسا وقيل من أهل ترمذ وهو الذى مسه الرق فاعتق وولد ثابت على الاسلام وقال اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة أنا اسمعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس من الاحرار والله ما وقع علينا رق قط ولد جدى سنة ثمانين وذهب ثابت الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلى فينا والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذى أهدى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه الفالوذج فى يوم مهرجان فقال مهرجونا كل يوم هكذا قال الخطيب فى تاريخه والله تعالى أعلم وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدى بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه وأصحابه يقولون لقى جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضى الله عنه وأخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان وسمع عطاء بن أبى رباح وأبا اسحق السبيعى ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصراف ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى عنه عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع الى الله تعالى ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد فأراده على أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل وقال انى لا أصلح للقضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة أيمانى فأمر به الى الحبس فى الوقت والعوام يدعون انه تولى عد اللبن أياما ليكفر بذلك عن يمينه ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الربيع رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة فى أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترع فى أمانتك الا من يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتنى أن تغرقنى فى الفرات أو تلى الحكم لاخترت أن أغرق ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك

تبدأ من كتاب الهداية ثم نقل الى مدرسة أيا صوفية ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان ثم فوض اليه الفتوى بأماسية فى كل يوم بثمانين درهما فلما مضى عليه خمس سنين انحرف مزاجه وانكسر زجاجه وهجمت عليه الامراض فانفصل عنه وهو راض وعين له الثمانون حسب ما هو العادة والقانون وتوفى رحمه الله فى أول الربيعين من شهور سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم بحر المعارف ولجة العلوم واصلا الى التحقيق ومالكا لازمة التدقيق مشاركا فى العلوم العقلية وبارعا فى الفنون النقلية خصوصا فى الفقه وبابه فانه من أكابر أربابه وكان رحمه الله خليقا بالمراتب العلية والمناصب السنية الا انه خانه دهره ولم يساعده عصره عوضه الله تعالى عن المراتب الدنيوية بالدرجات الاخروية وكان رحمه الله ذا خصائل رضية وشمائل مرضية متخلقا بأخلاق الله قانعا باليسير من دنياه شيخا مباركا مثمرا فاق كثيرا من تلامذته وفاق على أقرانه وقد صدر عنه بعض الحالات الشبيهة بالكرامات منها ان وزير زمانه ابراهيم باشا أمر أن يعطى مدرسته معلم غلمانه فلم يقدر قاضى العسكر على مخالفته وعصيانه لشدة بأسه وقوة

ثم قال له كذبت أنت تصلح فقال له قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك وهو كذاب وحكى الخطيب أيضا في بعض الروايات ان المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة أرسل الى أبي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال أو تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان وأربعة دوانق ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له علي شيء فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول فقال استحلفه لي فقال أبو حنيفة للرجل قل والله الذي لا اله الا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على أن يقول قطع عليه وضرب بيده الى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك فنظر الصفار اليهما وقال نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه اذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن وقال اسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة مررت مع أبي بالكناسة فبكى فقلت له يا أبت ما يبكيك فقال يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل والكناسة بضم الكاف موضع بالكوفة وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من الرجال وقيل كان طوالا تعلوه سمرة أحسن الناس منطقا وأحلاهم نغمة وذكر الخطيب في تاريخه ان أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علما لم يسبقه اليه أحد قبله قال الشافعي رضي الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة فقال نعم رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان هكذا نقله الخطيب في تاريخه وقال يحيى بن معين القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس وقال جعفر بن ربيع أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتا منه فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويا وجهارة في الكلام وكان اماما في القياس وقال علي بن عاصم دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض فقال الحجام ولا تزد فقال ولم قال لانه يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام وقال عبد الله بن رجاء كان لابي حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره أجمع حتى اذا جنه الليل رجع الى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى اذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من الغد وركب بغلته واستأذن على الامير فقال الامير ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط بغلته ففعل ولم يزل الامير يوسع له في مجلسه وقال ما حاجتك فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ليال يأمر الامير بتخليته فقال نعم وكل من أخذ في تلك الليلة الى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة والاسكاف يمشي وراءه فلما نزل أبو حنيفة مضى اليه وقال يا فتى أضعناك فقال لا بل حفظت

ورعيت

وعرض عليه المرحوم وقال له لا بد من قبول هذا الحكم فليس لك الا الرضا بالقضاء فاضطرب المرحوم وأظهر النفرة عنه وعدم الرضا فلم يجد لنفسه ناصرا ومعينا فقام عنه كئيبا حزينا وترك الاسباب وأغلق الباب وتوجه الى جناب ربه وبات فاذا المعلم في تلك الليلة مات هكذا يخرج ويظفر بالآمال من أخلص التوجه الى جناب حضرة المتعال ومن توكل على الله كفاه ومن التجأ الى غير بابه صفرت كفاه وما أحسن قول من قال أعذب من ماء الزلال (نظم)

وكم لله من لطف خفي
يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر
ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحا
وتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الاحوال يوما
فثق بالواحد الفرد العلي

وقد كتب رحمه الله حاشية على بعض المواضع من شرح المفتاح للشريف تعرض فيها على المولى ابن كمال باشا في المواضع التي يدعي التفرد بها وله عدة رسائل على مواضع من حاشية التجريد للشريف وله شرح لمتن المراح من علم التصريف

* (ومنهم المعروف ببدده خليفة) *

كان رحمه الله من نواحي [illegible] من بعض

ورعيت حق الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد الى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وقد شوي لهم فصيل سمين فاشتهوا ان يأكلوه بخل فلم يجدوا شيأ يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا تحسن كل شيء فقال عليكم بالشكر فان هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم وقال ابن المبارك أيضا قلت لسفيان الثوري يا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط فقال هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها وقال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع صاحب المنصور وكان يعادي أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يقول اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم انه ليس لك في رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تسيط بدمي قال لا ولكنك أردت أن تسيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم أقتل أبا حنيفة فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة ان أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل فقال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه ان هذا أراد أن يوثقني فربطته وقال يزيد بن الكميت كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الاخيرة سورة اذا زلزلت وأبو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت الى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت أقوم لا يشتغل قلبه بي فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه الا زيت قليل فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرا ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك قال فأذنت واذا القنديل يزهر وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة فقال اكتم على ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عليه انه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف ختمة وقال اسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل فلما غسله قال يرحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء ومناقبه وفضائله كثيرة وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيأ كثيرا ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق تركه والاضراب عنه فمثل هذا الامام لا يشك في دينه ولا في ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي ان أبا عمرو بن العلاء المقري النحوي المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود أم لا فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للامام الشافعي رضي الله عنه فقال له أبو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول ان الكلمات الست المعربة بالحروف وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال اعرابها يكون في الاحوال الثلاث بالالف وأنشدوا في ذلك

ان أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة فهي لغته والله أعلم وهذا وان كان خروجا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة احدى

الاثر الذي كان في أول الامر من أصحاب الصنائع مشتغلا ببعض الصنائع وتابع صنعة الدباغة سنين حتى أناف عمره على عشرين وما قرأ حرفا من العلوم وما اجتمع بواحد من أرباب الفهوم ثم من الله تعالى عليه بأكبر آلائه فصار من أعيان عصره وعلمائه كان رحمه الله مشتغلا بعمل الدباغة في بلدة اماسيه فاتفق انه جاء بها مفت من علماء ذلك العصر فاجتمع فرقة من أعيان البلدة المزبورة لضيافة المفتي المزبور فذهبوا به الى بعض الحدائق وذهب المولى المزبور متطفلا لبعض أرباب المجلس فلما باشروا أمر الطعام طلبوا من يجمع لهم الحطب والمرحوم قائم على زي الدباغين الجهلة فقال المفتي المزبور مشيرا الى المرحوم ليذهب الى هذا الجاهل ففهم منه المرحوم ازدراءه لشأنه وعلم انه ليس ذلك الا من شائبة الجهل وذهب الى جمع الحطب وفي نفسه تأثر عظيم من ازدرائه وتحقيره فلما بعد عنهم نزل على ماء هنالك وتوضأ منه وصلى ركعتين ثم ضرب وجهه على الارض وتوجه بكمال التضرع والابتهال الى جناب حضرة المتعال وطلب منه الخلاص من ربقة الجهل والنقصان والتوفيق بمعاشر الفضلا

وستين والاول أصح وتوفى فى رجب وقيل فى شعبان سنة خمسين ومائة وقيل ثلاث وخمسين والاول أصح وكانت وفاته ببغداد فى السجن ليلى القضاء فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل انه لم يمت فى السجن وقيل توفى فى اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعى رضى الله عنهما ودفن فى مقبرة الخيزران وقبره هناك مشهور يزار وزوطى بضم الزاى وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم نبطى وكابل بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الالف وبعدها لام وهى ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم وأما بابل والانبار فهما معروفان فلا حاجة الى الكلام عليهما وبنى شرف الملك أبو سعد محمد ابن منصور الخوارزمى مستوفى مملكة السلطان ملك شاه السلجوقى على قبر الامام أبى حنيفة مشهدا وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ولما فرغ من عمارة ذلك ركب اليها فى جماعة من الاعيان ليشاهدوها فبيناهم هناك اذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضى الشاعر المتقدم ذكره وأنشده

ألم تر ان العلم كان مبددا * فجمعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فأنشرها فعل العميد أبى سعد

فأجازه أبو سعد جائزة سنية ولهذا أبى سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات فى المفاوز وكان كثير الخير وعمل المعروف وانقطع آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه فى الامور وتوفى فى المحرم سنة أربع وتسعين وأربعمائة باصبهان رحمه الله تعالى وكان بناء المشهد والقبة فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد تقدم فى ترجمة ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه انه بنى مشهدا على قبر الامام أبى حنيفة وكذلك وجدته فى بعض التواريخ وقد غاب عنى الآن من أين نقلته ثم وجدت بعد ذلك ان الذى بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور والظاهر ان أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فنسبت العمارة اليه بهذا الطريق ويدل على ذلك ان تاريخ العمارة فى أيام ألب أرسلان وأبو سعد كان مستوفيا فى أيامه ثم استمر على وظيفته فى أيام ولده ملك شاه وهذا القدر ذكرته الجمع بين النقلين والله أعلم

(أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الائمة الفضلاء المشار اليهم)

ذكره الامير المختار المسبحى فى تاريخه فقال كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره انتهى كلام المسبحى فى هذا الموضع وكان مالكى المذهب ثم انتقل الى مذهب الامامية وصنف كتاب ابتداء الدعوة للعبيديين وكتاب الاخبار فى الفقه وكتاب الاقتصار فى الفقه أيضا وقال ابن زولاق فى كتاب أخبار قضاة مصر فى ترجمة أبى الحسن على بن النعمان المذكور ما مثاله وكان أبوه النعمان بن محمد القاضى فى غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بايام الناس مع عقل وانصاف وألف لاهل البيت من الكتب آلاف أوراق باحسن تأليف وأملح سجع وعمل فى المناقب والمثالب كتابا حسنا وله ردود على المخالفين له رد على أبى حنيفة وعلى مالك والشافعى وعلى ابن سريج وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لاهل البيت رضى الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة وكان أبو حنيفة المذكور ملازما صحبة المعز أبى تميم معد بن المنصور المتقدم ذكره ولما وصل من افريقية الى الديار المصرية كان معه ولم تطل مدته ومات فى مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانى فى سيرة القائد جوهر انه توفى فى ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة وصلى عليه المعز وذكر ابن زولاق فى تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعى ولما وصل الى مصر وجد جوهرا قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلى البغدادى فأقره انتهى كلام ابن زولاق وكان والده أبو عبد الله محمد قد عمر ويحكى أخبارا كثيرة نفيسة حفظها وعمره مائة وأربع سنين وتوفى فى رجب سنة احدى وخمسين وثلثمائة وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ودفن فى

والعرفات متكلا على قوله تعالى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ثم قام وأخذ من الجلب ما يحمله وجاء الى المجلس وفى وجهه جراحات تدمى من شدة مسح وجهه بالتراب فتضاحك القوم منه وظنوا ان ذلك من مصادمة الاشجار عند الاحتطاب فلما تم المجلس قام المرحوم وقبل يد المفتى وقال أريد ترك الصناعة والدخول فى طلب العلم فقال المفتى أبعد هذا تطلب العلم وهو لا يحصل الا بجهد جهيد وجهد مديد وعزم صادق وحزم فائق ولا بد من خدمة الاستاذ أكثر من المعتاد وأنت لا تحتمل بهذه المشاق ولا تحتمل ذلك الوثاق فتضرع المرحوم وأبرم عليه فى القبول الى أن قبله المفتى لخدمته ورضى بتعليمه فلما أصبح باع ما فى حانوته واشترى مصحفا وذهب الى باب المفتى وبدأ فى القراءة وقام فى الخدمة الى أن حصل مبانى العلوم ودخل فى سلك أرباب الاستعداد وتحرك على الوجه المعتاد حتى صار معيدا لدرس المولى سنان الدين المشتهر بالق فى مدرسة السلطان مراد بمدينة بروسه ثم تولى مدرسة بايزيد باشا فى البلدة المزبورة بعشرين ثم مدرسة آغا الكبير باماسيه بخمسة وعشرين ثم [illegible]

باب سلم وهو أحد أبواب القيروان وكان عمره مائة وأربع سنين وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سراة فمنهم أبو
الحسن علي بن النعمان أشركه العزيز المذكور بينه وبين أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن
صالح بن أسامة الذهلي قاضي مصر في الحكم ولم يزالا مشتركين فيه الى أن توفي العزيز وأقام بالامر ولده العزيز
نزار وقد تقدم ذكره أيضا فرد الى القاضي أبي الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب وهما على
الاشتراك في الحكم واستمر على ذلك الى أن لحقت القاضي أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته
من الحركة والسعي الاشتغال فركب العزيز المذكور الى الجزيرة التي بين مصر والجيزة في مستهل صفر سنة
ست وستين وثلثمائة فحمل أبو طاهر اليه فلقيه والشهود معه عند باب الصناعة فرآه عليلا وسأله استخلاف
ولده أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف فحكي عن العزيز انه قال ما بقي الا أن تقلدوه ثم قلد العزيز بالله
هذا اليوم القاضي أبا الحسن علي بن النعمان المذكور القضاء مستقلا فركب الى جامع القاهرة وقرأ سجله ثم
عاد الى الجامع العتيق بمصر وقرأ سجله وكان القارئ أخاه أبا عبد الله محمد بن النعمان وكان في سجله القضاء
بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والامامة والعيار في الذهب والفضة
والموازين والمكاييل ثم انصرف الى داره في جمع عظيم ولم يتأخر عنه أحد وأقام القاضي أبو طاهر المذكور
منقطعا في بيته عليلا وأصحاب الحديث يترددون اليه ويسمعون عليه الى أن توفي سلخ ذي القعدة سنة سبع
وستين وثلثمائة ومولده سنة ثمان وثمانين ومائتين وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوما وأذن له العزيز أيضا أن
ينظر في الاحكام في هذه المدة فلم يكن فيه فضل وكان قد حكم في الجانب الغربي ببغداد أيضا ثم انتقل الى مصر
ثم ان القاضي أبا الحسن استخلف في الحكم أخاه أبا عبد الله محمدا وفوض اليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما
والجفار تخرج اليها واستخلف بها ثم عاد ثم سافر العزيز الى الشام في سنة سبع وستين وسافر معه القاضي
أبو الحسن المذكور وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين الناس وكان القاضي أبو الحسن المذكور متفننا في
عدة فنون منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة وعلم الفقه والعربية والادب والشعر وأيام الناس وكان
شاعرا مجيدا في الطبقة العليا ومن شعره ما رواه أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وهو قوله

ولي صديق ما مسني عدم * مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى وما يكلفني * تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمري لما قعدت به * ونمت عن حاجتي ولم ينم

وأورد له الثعالبي أيضا في المعنى

صديق لي له أدب * صداقة مثله نسب
رعى لي فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

وأورد له أبو الحسن الباخرزي المقدم ذكره في كتابه دمية القصر وأوردها أيضا أبو محمد بن زولاق في كتاب
أخبار قضاة مصر في ترجمة أبي الحسن المذكور أبياتا أحسن فيها كل الاحسان وهي

رب خود عرفت في عرفات * سلبتني بحسنها حسناتي
حرمت حين أحرمت نوم عيني * واستباحت حماي باللحظات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت * من جفوني سوابق العبرات
ولقد أضرمت على القلب جمرا * محرقا اذ مشت الى الجمرات
لم أنل من منى منى النفس حتى * خفت بالخيف أن تكون وفاتي

ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمرا على أحكامه وافر الحرمة عند العزيز حتى أصابته الحمى وهو بالجامع
ينظر في الاحكام فقام من وقته ومضى الى داره وأقام عليلا أربعة عشر يوما وتوفي في يوم الاثنين لست خلون
من رجب سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأخرج تابوته من الغد الى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند
الموضع المعروف الآن بالبركة فوضع التابوت في المسجد المعروف بالبئر والجميزة وسار العزيز اليه من خيمه
حتى صلى عليه في المسجد وردت الجنازة الى داره بالحمراء فدفن فيها والحمراء محلة بمصر وهي ثلاث حمراوات
وانما قيل لها الحمراء لنزول الروم بها وأرسل العزيز الى أخيه أبي عبد الله محمد المذكور في هذه الترجمة وكان

الشافعي بقرية سلانيك ثم مدرسة السلطان محمد بجورز بغون باو بعسين ثم مدرسة أمير الامراء خسرو بمدينة آمد بخمسين ثم مدرسة خسرو باشا بمدينة حلب وهو أول مدرس بها وفوض اليه الفتوى بهذه الديار ثم نقل الى مدرسة سليمان باشا بقصبة ازنيق ثم نصب مفتيا بديار كعبة ٢ وعين له كل يوم سبعون درهما ثم تقاعد عن المنصب وعين له كل يوم ستون درهما وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا مجتهدا في اقتناء العلوم وجمع المعارف آية في الحفظ والاحاطة له اليد الطولى في الفقه والتفسير وكتب رحمه الله تعالى حاشية على شرح التفتازاني في الصرف وبسط الكلام وبالغ في جمع الفوائد والمهمات وله منظومة في علم الفقه وعدة رسائل من فنون عديدة رحمه الله

(هذا آخر ما وقع) من وفياتهم في دولة المرحوم السلطان سليمان بن سليم خان عاشر سلاطين آل عثمان فاتح ديار فارس بغداد قالع قلاع انكروس وبغدان بلغراد قامع آثار

٢ قوله بديار كعبة هكذا بالاصل ولعله ربيعة فليحرر اهـ مصححه

ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا فقال له ان القضاء لك من بعد أخيك ولا نخرجه عن هذا البيت وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام وكانت ولادته بالمغرب في شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوما لان أبا عبد الله كان مريضا ثم خف عنه المرض فركب في وقته الى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب ثم عاد من عنده الى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفا فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه من العلة فسار الى داره ونزل ولده وجماعة من أهل بيته الى الجامع العتيق بمصر وقرئ سجله بعد صلاة الجمعة وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالاسكندرية بأمر العزيز وخلع عليه العزيز وفي يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى سنة خمس وسبعين عقد القاضي محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي الحسن جوهر المقدم ذكره في حرف الجيم وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره الا خواصه وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار والكتاب ثوبا مصمتا وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب الى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة وأن يجلس مع الصائغ أحد ثقاته فاجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمدا فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة الى المعز فقال له من اجلست معه فقال ولدي محمدا فقال هو قاضي مصر فكان كما قال لان المعز كانت تحدثه نفسه أبدا باخذ مصر فلهذا تلفظ بهذا الكلام ووافقته السعادة مع المقادير وقال القاضي محمد المذكور كان المعز اذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز هذا قاضيك وكان محمد حسن المعرفة بالاحكام متفننا في علوم كثيرة حسن الادب والدراية بالاخبار والشعر وأيام الناس وله شعر فمن ذلك قوله

أيا مشبه البدر بدر السماء * لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كامل الحسن في نعته * شغلت فؤادي وأسهرت عيني
فهل لي من مطمع أرتجيه * والا انصرفت بخفي حنين
ويشمت بي شامت في هواك * ويفضح لي ظلت صفر اليدين
فاما منت واما قتلت * فأنت القدير على الحالتين

وكتب اليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي

تعادلت القضاة على أنا * أبو عبد الاله فلا عديل
وحيد في فضائله غريب * خطير في مفاخره جليل
تألق حده ومضى اعتزاما * كما يتألق السيف الصقيل
فيقضي والسداد له حليف * ويعطي والغمام له رسيل
أو اختبرت قضاياه لقالوا * يؤيده عليها جبرئيل
اذا رقي المنابر فهو قس * وان حضر المشاهد فالخليل

فكتب اليه القاضي محمد المذكور

قرأنا من قريضك ما يروق * بدائعها كما طبعي رقيق
كأن سطورها روض أنيق * تفتق بينها مسك فتيق
اذا ما أنشدت أرجت وطابت * منازلها بها حتى الطريق
وانا تائقون اليك فاعلم * وأنت الى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها في كل يوم * فانت بكل مكرمة حقيق

وقال ابن زولاق في أخبار قضاة مصر ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ واقامة الحق والهيبة وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاحكام بالقاهرة ومصر على الدوام بعد أن كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير فصار يسمع البينات ويحكم ويسجل وكان يخلفه أولا ولد أخيه وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فصرفه لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وسبعين واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه الى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ولما توفي

الكفرة والملحدين مغفر جباه عتاة المشركين صاحب الوقائع المشهورة والمناقب المذكورة وتملأ ملأ الآفاق بسطوته وتطاطا سراة العالمين عند سرادقات عزته هو الذي هرب ملك الشرق من بين يديه دربا قدربا ودانت لهيبته الملوك شرقا وغربا فياله من ملك مجاهد تناول الكواكب وهو قاعد أصبح الحجر من صارمه الصمصام في اضطراب وتحصن المريخ من سهمه في بروج السبع القباب لو قصد الى كيوان في صعدة لانزل ولو حمل بقناته على السماك الرامح لتركه رجلا أعزل وكان رحمه الله ملكا محمود مساعيه ومحمودا مقداما مظفرا مسعودا وقع منه عصاة الدين في العذاب الاليم وبلغ ملكه الى السبع الاقاليم وقد مات رحمه الله وهو محاصر لقلعة سكتوار التي لم ير مثلها في حصانتها عين الفلك الدوار تباهي في رفعة سورها السماء وتناطح بروجها الحمل وتصافح الجوزاء وبالجملة كانت همته العلية السلطانية سببا لالتحاقها بالممالك العثمانية وقال بعض من اعتنى بتواريخ أيامه وضبط آثاره وأحكامه انه فتح في أيامه ثلثمائة وستون حصنا ما بين صغير وكبير ولا ينبئك مثل خبير وقد انتقل رحمه الله في

العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالامر من بعده ولده الحاكم المقدم ذكره فاقر القاضي محمدا على أشغاله وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده ولما حصلت له المنزلة عنده والمكانة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان أكثر أوقاته عليلا والاستاذ أبو الفتوح برجوان المقدم ذكره في جلالته وعظم شأنه يعوده كل وقت ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وركب الحاكم الى داره بالقاهرة وصلى عليه ووقف على دفنه ثم انصرف الى قصره وكانت ولادته يوم الاحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب ووهب الحاكم داره لبعض أصحابه فنقل القاضي محمد المذكور الى داره التي بمصر يوم الاربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من السنة ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور الى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة رحمهم الله تعالى ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستمر في الحكم الى يوم الخميس سادس عشر رمضان سنة أربع وتسعين فصرف بابن عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد المقدم ذكره ثم ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الاحد سادس المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته وأحرقت جثته وذلك بأمر الحاكم لقصة يطول شرحها واستقل أبو القاسم في الاحكام وضم اليه الحاكم النظر في المظالم ولم يجتمع ذلك لاحد من أهله وعلت رتبته عند الحاكم وأصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد فاتحة القرآن وكذلك في عيد النحر وتصلب في الاحكام وتشدد على من عانده من رؤساء الدولة وهجم على جماعة ممن وجب عليه حق فاستخرج منه ولم يزل قاضيا في جميع ما فوض اليه الحاكم الى ان صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفوض القضاء الى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي واخرجه عن أهل بيت النعمان ثم ان الحاكم أمر الاتراك بقتل القاضي أبي القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي اسمعيل أخي القائد فضل بن صالح فقتلوهم ضربا بالسيوف في ساعة واحدة لامر يطول شرحه وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة أربع وخمسين وثلثمائة وأما القاضي أبو طاهر المذكور فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه انه كان كثير الرواية حسن المجالسة شيخا مع الشيوخ كهلا مع الكهول شابا مع الشباب وتوفي ليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة رحمهم الله تعالى

(السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين)

دخلت مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وان قبره بمصر لكنه غير مشهور وانه كان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شئ له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي فاخرجه من محبسه ورد عليه كل شئ ذهب له ولم يزل معه فلما حج المهدي كان في جملته فلما انتهى الى الحاجر مات هنالك وذلك في سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن المهدي والحاجر على خمسة اميال من المدينة وقيل انه توفي ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران والصحيح انه مات بالحاجر هكذا قاله الخطيب في تاريخه والله أعلم وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ويروى ان الامام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر اليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو الى الآن باق كما كان ولما توفي الامام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته اليها وصلت

اليوم الثاني والعشرين من صفر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ولما أتي بجنازته الى قسطنطينية استقبلها جميع من في البلد بكمال الهموم والاحزان وصلوا عليه عند جامعه المعروف ودعوا له بالمغفرة والرضوان ودفنوه قبالة الجامع المزبور فسبحان الدائم الباقي على مر الاعصار والدهور وكان محبا للعلم معظما لاهله غاية الاعظام ومهتما في اجراء الشرع المبين بمزيد الاهتمام وقد تيسر له من الخيرات العظام والمبرات الجسام ما لو تفرد باحداها ملك من الملوك لكفته يوم مفخره منها الجامع الذي بناه بقسطنطينية وهو الذي لم تر مثله عين الزمان ولم يبن مثله الى هذا الآن لا يدانيه الخورنق ولا الحصن الابلق وبنى بجوانبه عدة مدارس يدارس بها أنواع العلوم وأرباب الحجا والفهوم مما يتبجح به أولو النهى والبرهان من علوم الاديان والابدان وبنى بها عمارة ملئت بنفائس القرى للواردين من الامصار والقرى سوى ما يصرف لستمائة نفس من طلبة العلم الشريف وسائر المحاويج من القوي والضعيف وبنى بها أيضا مارستانا لمداواة المرضى وتربية المجانين بأنواع

عليه في دارها وكانت في موضع مشهدها اليوم ولم تزل به الى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق على حملها الى المدينة ليدفنها هنالك فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد وهذا الموضع يعرف يوم ذاك بدرب السباع فخرب الدرب ولم يبق هنالك سوى المشهد وقبرها معروف باجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضي الله عنها

حرف الواو

(أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم)

كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا قال أبو العباس المبرد في حقه في كتاب الكامل كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة وهو أبو الطروق الضبي يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا في تصرفه * وخالف الراء حتى احتال الشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال أما لهذا الأعمى المكتني بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسيا ولا عقيليا فقال هذا الأعمى ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لأن بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بني سدوس لأنه كان نازلا فيهم وذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة المعتزلي [3] أن واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون وقد أحلت في ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع في تبيين الاعتزال ولأي معنى سموا بهذا الاسم وقد ذكرت في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي أنه الذي سماهم بذلك فكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل في اسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك في أشعارهم كثيرا فمنه قول أبي محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم اسمعيل بن عباد المقدم ذكره وهو

نعم تجنب لا يوم العطاء كما * تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وقال آخر في محبوب له ألثغ

أعد لثغة لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء واصل

وقال آخر

أجعلت وصلي الراء لم تنطق به * وقطعتني حتى كأنك واصل

لله دره ما أحسن قوله * وقطعتني حتى كأنك واصل *

وقال آخر

فلا تجعلني مثل همزة واصل * فتلحقني حذفا ولا راء واصل

وقال أبو عمر يوسف بن هرون الكندي الأندلسي القرطبي الرمادي الشاعر المشهور الا أنه لم يتعرض الى ذكر واصل وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء

[3] قوله في ترجمة المعتزلي هكذا بالأصل ولعله سقط من قلم الناسخ من اسم المترجم له اهـ مصححه

فاذا

الأشربة والأطعمة والعاجين ومنها الجسر العظيم الذي بناه على مرحلة من قسطنطينية وذلك احدى غرائب الدنيا في الطول والعرض وقوة البناء ومنها النهر العظيم أتى به الى قسطنطينية وقسم على محلاتها أقساما تنيف على مائة واستخدم فيه خلقا عظيما وبذل مالا جسيما وبنى له في طريقه أبنية عجيبة وطاقات غريبة التي ألف في بعض أوصافها وبيان تاريخها المفتي أبو السعود وقد تقرب الى رب العظمة والجلال بانشاء الصنع البديع المثال الرفيع الدعائم الشامخ العماد والنبع المتواتر الراسخ الأوتاد الذي ساقاته كالمجرة في المنوال وطاقاته كقوس قزح مثال واجرى فيه من العذب الفرات الذي لم تره العيون ولم يروه الرواة مروي العطاش ويحيي الموات كأنه جدول تشعب من ماء الحياة على أهل دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية وعلى من يردها من أقطار البلاد من كل حاضر وباد السلطان الأسعد الأعظم والخاقان الأمجد الأفخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر مسخر الأقاليم بحرا وبرا مسخر الممالك

فاذا انخلاوت كتبتها فى راحتى * وقعدت منتحبا أنا والراء

وهذا الباب متسع فلا حاجة الى الاطالة فيه ويكفى منه هذا الانموذج وقد عمل الشعراء فى اللثغة التى هى ابدال الشاعر من السين شعرا كثيرا فمن ذلك ما يعزى لابى نواس ولم أجدها فى ديوانه والله أعلم الا أن تكون فى رواية على بن حمزة الاصبهانى فانها أكثر الروايات ولم أكشف هذه الابيات منها وهى أبيات حلوة ظريفة

وشادن سألته عن اسمه * فقال لى بالثغ عباث

فصرت من لثغته ألثغا * فقلت أين الطاث والكاث

ولو شرعت فى ذكر ما قيل على هذا النمط لطال الشرح ولم أجد فى لثغة الراء الا قليلا فمن ذلك قول بعضهم

اماو بياض الثغر ممن أحبه * ونقطة خال الخد فى عطفة الصدغ

لقد فتنتنى لثغة موصلية * رمتنى فى تيار بحر هوى اللثغ

ومستعجم الالفاظ عذب صدقه * مسلطة دون الانام على لدغى

يكاد أصم الصم عند حديثه * الى اللثغة الغناء من لفظه يصغى

يقول وقد قبلت واضح ثغره * وكان الذى أهوى ونلت الذى أبغى

وقد نفضت كاس الحياء واظهرت * على خده من لونها أحسن الصبغ

تغفق فشعب الخمغ من كغم غيقتى * تزيدك عند الشغب شكغا على شكغ

ولقد أجاد هذا الشاعر و جمع فى البيت الاخير راآت كثيرة وابدلها بالغين وللغيرأرزى الشاعر المقدم ذكره فى غلام يلثغ الراء أيضا لكنه لم يستعمل اللثغة الا فى آخر البيت الاخير من الاربعة أبيات

وشادن بالكرخ ذى لثغة * واغماشرطى فى اللثغ * ما اشبه الزنبور فى خصره

حتى حكى العقرب فى الصدغ * فى قدر يات لدغ اذا * أحرق قلبى شدة اللدغ

ان قلت فى ضمى له أين هو * تفديك روحى قال لا أدغى

وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من أخبار واصل بن عطاء وكان طويل العنق جدا بحيث كان يعاتب به وفيه يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المتقدم ذكره

مالى اشايع غزالا له عنق * كعنق الدوان ولى وان مثلا

عنق الزرافة ما بالى وبالكم * تكفرون رجالا كفروا رجلا

وكانت بينهما منافسات وأحقاد وقد تقدم كلام واصل فى حق بشار وقال المبرد فى كتاب الكامل لم يكن واصل بن عطاء غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن ثم قال وكان طويل العنق و يروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يصلح هذا ما دامت له هذه العنق وله من التصانيف كتاب أصناف المرجئة وكتاب فى التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التى أخرج منها الراء وكتاب معانى القرآن وكتاب الخطب فى التوحيد والعدل وكتاب ما جرى بينه و بين عمرو بن عبيد وكتاب السبيل الى معرفة الحق وكتاب فى الدعوة وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك واخباره كثيرة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة

(أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسى الفسوى)

وكان قد خرج من بلده الى البصرة ثم سافر الى مصر وارتحل منها الى الاندلس تاجرا وكان يتجر فى الوشى وصنف كتابا فى اخبار الردة وذكر فيه القبائل التى ارتدت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم والسرايا التى سيرها اليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين فى ذلك ومن عاد منهم الى الاسلام وقتال مانعى الزكاة وما جرى لخالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه مع مالك بن نويرة

احسانا وبرا فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب السلطان ابن السلطان السلطان سليمان بن سليم خان وقد اتفق الاتمام فى غرة ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة * وكان رحمه الله ذا حظ من المعارف والنوادر وله معرفة تامة بالتواريخ من الاوائل والاواخر وكان ينظم الشعر بالتركى والفارسى وله ديوان شعر بالتركى مشهور وله ديوان شعر بالفارسية أكثره جيد يستعذبه الطبع السليم والذهن المستقيم وله بالفارسية (شعر)

طراوت چمنت در تبسم آيم يابم
حلاوت دهنت در شكرخى يابم
مرا وحسن مه وتو تراى بهر ودفا
تزا كتيست كه آن در شكر نمى يابم
شبى حكايت زلفت شنيدو بخود شد
هنوز از دل مسكين خبر نمى يابم
مكو كه صبر كن از كريه چون مرا بينى
چه جاى صبر كه از خود اثر نمى يابم
بلا وفتنه بسى ديدم از بتان چو مه
ولى چو چشم تو بلا وفتنه كرى يابم (شعر)

اليربوعي أخي متمم بن نويرة الشاعر المشهور صاحب المراثي المشهورة في أخيه مالك وصورة قتله وما قاله متمم من الشعر في ذلك وما قاله غيره وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد الواقدي انه صنف في الردة كتابا أيضا أجاد فيه ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا الكتاب وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد بن الفرضي صاحب تاريخ الاندلس في كتابه وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس وأبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر وأبو سعيد السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الوشاء فقال كان يتجر في الوشي وهو نوع من الثياب المعمولة من الابريسم فعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور ثم ان وثيمة عاد من الاندلس الى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى وقال أبو سعيد بن يونس المصري في تاريخه كان لوثيمة ولد يقال له أبو رفاعة عمارة بن وثيمة حدث عن أبي صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما وصنف تاريخا على السنين وحدث به ومولده بمصر وتوفي ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين ووثيمة بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة والوثيمة في الاصل الجماعة من الحشيش والطعام والوثيمة الصخرة وبها سمي الرجل والله أعلم بالصواب والوثيمة أيضا الحجر الذي يقدح النار تقول العرب في أيمانها والذي أخرج العرق من الجريمة والنار من الوثيمة العذق بفتح العين المهملة النخلة والجريمة النواة وأما الفارسي والفسوي فقد تقدم الكلام عليهما في ترجمة الشيخ أبي علي الفارسي النحوي وأرسلان البساسيري فاغنى عن الاعادة * واذ ذكرنا متمم بن نويرة وأخاه مالكا فلا بد من ذكر طرف من أخبارهما فانها مستملحة كان مالك بن نويرة المذكور رجلا سريا نبيلا يردف الملوك وللردافة موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الانس والموضع الثاني أنبل وهو أن يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده وهو الذي يضرب به المثل فيقال مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك وكان فارسا شاعرا مطاعا في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة وكان يقال له الجفول وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من العرب فأسلم فولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقة قومه ولما ارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الزكاة كان مالك المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد في معناها فقال مالك اني آتي بالصلاة دون الزكاة فقال خالد أما علمت ان الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى فقال مالك قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان أضرب عنقك ثم تجاولا بالكلام طويلا فقال له خالد اني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك والله لاقتلنك وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأبو قتادة الانصاري رضي الله عنه حاضرين فكلما خالدا في أمره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا الى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا فقال خالد لا أقالني الله ان لم أقتلك وتقدم الى ضرار بن الازور الاسدي بضرب عنقه فالتفت مالك الى زوجته أم متمم وقال لخالد هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال له خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعرا كما تقدم ذكره فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار الى شواه من كثرة شعره قال ابن الكلبي في جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح وجاء أخوه متمم فكان يرثيه وقبض خالد امرأته فقيل انه اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل انها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها الى نفسه فاجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة رضي الله عنهما يحضران النكاح فابيا وقال له ابن عمر رضي الله عنه تكتب الى أبي بكر رضي الله عنه وتذكر له أمرها فابى وتزوجها فقال في ذلك أبو زهير السعدي

الا قل لحي أوطؤا بالسنابك * تطاول هذا الليل من بعد مالك

(مهد به اسير يعب باريه)
در سلسله جنون نكارند
ارباب خرد بزرع دل
مهر تخم محبت نكارند
بخرام بناز سوى بستان
عشاق حزين در انتظارند
از مقامات وفاحو ميد ٢
خوش آنكه پرى وشان مهروى
مقصود دل ترابرآرند
(شعر)
أي از انتظاره توخجل آفتاب
صبح
لعلت بخنده نمكين بوده
آب صبح
تابان زجيب پيرهنت سينه
چو سيم
چون نور وشنى ورسيده
ازنقاب صبح
دلرا فراغ ميدهد وديده را
فروغ
ديدار آفتاب وشان وشراب
صبح
بستان مى صبوح غنيمت
بفال سعد
اين دم كه آفتاب كشايد
نقاب صبح
(ولما) انتقل الى رحمة الله
رثاه شعراء زمانه بالتركي
والفارسي ورثاه علماء أوانه
بالقصائد العربية منها
ما قال المفتي أبو السعود
وهي قصيدة طويلة في
غاية اللطافة وقد ذكرت
نبذا منها (قصيدة)
أصوت صاعقة أم نفخة
الصور
فالارض قد ذهبت من نقر
ناقور
٢ مصرع اخيراز سيمتنان
ساقط شده اه

قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك * الى غير شيء هالكا في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده * ومن للرجال المعدمين الصعالك
أصيبت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو سحب الحوالك

ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه ان خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت لأرجمه فانه تأول فأخطأ قال انه قتل مسلما فاقتله به قال ما كنت لأقتله به فانه تأول فأخطأ قال فاعزله قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم أبدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما والعهدة عليهما وكان أخوه متمم بن نويرة وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور كثير الانقطاع في بيته قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك وكان أعور دميما فلما بلغه مقتل أخيه حضر الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق فلما فرغ من صلاته وانفتل في محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر رضي الله عنه فقال والله ما دعوته ولا غدرته ثم أنشد

ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لوددت أنك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيته وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر رضي الله عنه يقول اني لأهش للصبا لأنها تأتيني من ناحية أخي زيد ويروى عن عمر رضي الله عنه انه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى ان متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر رضي الله عنه لم ترث زيدا كما رثيت مالكا فقال انه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد وقال له عمر رضي الله عنه يوما انك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة ذات الأزيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم والأزيز بفتح الهمزة وزايين الأولى منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها صوت الرعد والصراد بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الألف دال مهملة غيم رقيق لا ماء فيه والثفال بفتح الثاء المثلثة والفاء وهو الجمل البطيء في سيره ولا يكاد ينبعث من ثقله والجرور بفتح الجيم على وزن فعول الفرس الذي يمنع القياد والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها والمزادة الراوية وهي معروفة وقال له عمر رضي الله عنه يوما أخبرنا عن أخيك قال يا أمير المؤمنين لقد أسرت مرة في حي من أحياء العرب فأخبر أخي فأقبل فلما طلع على الحاضرين ما كان أحد قاعدا الا قام على رجليه وما بقيت امرأة الا وتطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى أتوني برمتي فحلني هو فقال عمر رضي الله عنه ان هذا لهو الشرف والرمة بضم الراء المهملة الحبل البالي ومنه قولهم دفع اليه الشيء برمته وأصله ان رجلا دفع الى رجل بعيرا بحبل في عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته وقال متمم أيضا لعمر رضي الله عنه أغار حي من أحياء العرب على حي أخي مالك وهو غائب فجاءه الصريخ فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون فما هو الا ان رأوه فارسلوا ما في أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا فأدركهم أخي فاستسلموا جميعا حتى كتفهم وصدر بهم الى بلاده مكتوفين فقال عمر رضي الله عنه قد كان أعلم

أصابت منها الورى دهياء داهية
وذاق منها السرايا صعقة الطور
تصدعت قلل الاطواد وارتعدت
كأنها قلب مرعوب ومذعور
واغبرت ناصية الخضراء وانكدرت
وكاد تبلع الغبراء بالمور
ما جاء من عسكر الاسلام من نبا
قد صير الناس جمهور الجماهير
فمن كئيب وملهوف ومن دنف
عان بسلسلة الاحزان مأسور
قالوا من حديث موحش نكر
يعافه السمع مكروه ومنفور
تاهت عقول الورى من هول وحشته
فاصبحوا مثل مجنون ومسحور
دموعهم وقد انهلت منابعها
كأنها عين طوفان وتنور
احداقهم سفن مشحونة بدم
تجري ببحر من العبرات مسجور
أني يوحشنا اولا ضياء له
كأنه نار شبت بديجور
أم ذا النبي سليمان الزمان ومن
مضت أوامره في كل مأمور
مدار سلطنة الدنيا ومركزها
خليفة الله في الآفاق مذكور
معلي معالم دين الله مظهرها

سخاءه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره وله فيه المراثي النادرة فمن ذلك أبياته الكافية وهي في كتاب الحماسة في باب المراثي

لقد لامني عند القبور على البكا * رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا * فدعني فهذا كله قبر مالك

وله فيه قصيدته العينية وهي طويلة بديعة ومن جملتها قوله

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب الى الوقوف على شئ من أخبار جذيمة المذكور ونديميه وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن الأزد الأزدي صاحب الحيرة وما والاها وهو الأبرش والوضاح وانما قيل له ذلك لانه كان أبرص فكانت العرب تهابه أن تنسبه الى البرص فعرفته بأحد هذين الوصفين وهو من ملوك الطوائف وكان بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان من تيهه لا ينادم الا الفرقدين وكان له ابن أخت يقال له عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث بن مالك اللخمي ويقال له عم لانه أول من اعتم كارة من نجم وبقية النسب معروف واسم الاخت المذكورة رقاش وكان جذيمة شديد المحبة له فاستهوته الجن وأقام زمانا يتطلبه فلم يجده فاقبل رجلان من بني القين يقال لاحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارج فصادفا عمرا في البرية وهو أشعث الرأس طويل الاظفار سيء الحال فعرفاه وجلباه الى خاله جذيمة بعد أن أماطا شعثه وأصلحا حاله فقال لهما جذيمة من فرط سروره به احتكما علي فقالا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما نديما الذات يضرب بهما المثل ويقال انهما نادماه أربعين سنة لم يعيدا عليه حديثا حدثاه واياهما عنى أبو خراش الهذلي بقوله في مرثية أخيه عروة

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل * فلا تحسبي أني تناسيت عهده
ولكن صبري يا أميم جميل * ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * نديما صفاء مالك وعقيل

هذه خلاصة حديثهم وان كان فيه طول وانما قصدت الايجاز وذكر أبو علي القالي في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه ان متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان به معجبا فقال يا متمم ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولدا فانكم أهل بيت قد درجتم فتزوج امرأة من أهل المدينة فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها فطلقها ثم قال

أقول لهند حين لم أرض عقلها * أهذا دلال العشق أم أنت فارك
أم الصرم تهوين فكل مفارق * علي يسير بعد ما مات مالك

فقال له عمر رضي الله عنه ما تنفك تذكر مالكا على كل حال فلم يمض على هذا الامر الا قليل حتى طعن عمر رضي الله عنه ومتمم بالمدينة فرثى عمر رضي الله عنه وبالجملة فانه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه بكى على ميت ما بكى متمم على أخيه مالك حكى الواقدي في كتاب الردة أن عمر رضي الله عنه قال لمتمم ما بلغ من حزنك على أخيك فقال له لقد مكثت سنة لا أنام بليل حتى أصبح ولا رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت نفسي ستخرج أذكر بها نار أخي كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريبا منه فمتى يرى النار يأوي الى الرحل وهو بالضيف يأتي يجتهد أسر من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد فقال عمر رضي الله عنه أكرم به (وحكى الواقدي) أيضا أنه قال له ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء فقال كانت عيني هذه قد ذهبت وأشار اليها فبكيت بالصحيحة وأكثرت البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع فقال عمر رضي الله عنه ان هذا لحزن شديد ما حزن هكذا أحد على هالكه وقد ضربت الشعراء

في العالمين بسعي منه مشكور
بالهدي الى الاعداء منعطف
ومشرق على الكفار مشهور
له وقائع في الاكناف شائعة
اخبارها زبرت في كل طامور
ياعين لا تبرحي تبكين بعد ولا
تفارقي الدهر من دمع وساهور
وأهرقيه على الخدين هامعة
من الجفون الهوامي مثل عمور
لا تبارقي طرفة نحو الدنا أبدا
لا تنظري نظرة تلقاء منظور
يا نفس مالك في الدنيا مخلفة
من بعد رحلته من هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة
أليس جثمانه فيها بمقبور
أتحسبين حلالا بعد ذلك ان
تستأخري ساعة في عالم الزور
دار البوار ودار الشر معدنه
ألا فموري على آثاره موري
حق على كل نفس ان تموت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فالمنايا مواقيت مقدرة
تأتي على قدر في اللوح مسطور
(ومنها) في مدح أبيه السلطان سليم خان
سميدع ماجد زانت مهابته
تخت الخلافة في عز وتوقير
جدا الجديدان في أيام دولته
صارا كأنهما مسك بكافور
بدا بطلعته والناس في كرب
وسوء حال من الاهوال منكور

الامثال بمالك وأخيه متمم في أشعارهم فمن ذلك قول ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره من جملة قصيدة

وفجعة بين مثل صرعة مالك * ويقبح بي أن لا أكون متمما

ومنه قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة في قصيدته التي رثى بها المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد وهو قوله

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي أحكي عليك متمما

ومن ذلك أيضا قول بعضهم وأظنه ابن منير المذكور في حرف الهمزة وهو أيضا من جملة أبيات ثم تحققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين بن محمد عرف بابن المجاور الدمشقي

أيا مالكي في القلب منك ثويرة * وإنسان عيني في هواك متمم

ومنه قول أبي الغنائم بن المعلم الشاعر المقدم ذكره من جملة أبيات يصف فيها منزلا ويدعو له بالسقيا فقال

سقاه الحيا قبلي وجئت متمما * فاوما لك فيه دعيت متمما

ومنه قول القاضي السعيد بن سناء الملك بكيت بكا تا مقلتي كأنني * اتمم ما قد فات عيني متمما

وهذا باب يطول شرحه وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدده ومتمم بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميمان الاولى منهما مشددة مكسورة وصدا في قولهم ماء ولا كصدا فيه ثلاث لغات صدا بضم الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة وألف مقصورة وصداء مثل الاول لكن الصاد مفتوحة والالف ممدودة فمن ضم قصر ومن فتح مد واللغة الثالثة صداء بتخفيف الدال وهمزتين متواليتين والصاد مفتوحة وهي بئر معروفة مشهورة ماؤها عذب غزير والله تعالى أعلم

(أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحرث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن جلهمة وهو طي بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور)

ولد بمنبج وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها ونشأ وتخرج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد الى الشام وله أشعار كثيرة فيها ذكر حلب ونواحيها وكان يتغزل بها وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد ابن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي وغيرهم قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجي رأيت البحتري ههنا عندنا قبل أن يخرج الى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب وأومأ الى جنبتي المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان في علوة التي شبب بها في كثير من أشعاره وهي بنت زريقة الحلبية وزريقة أمها (وحكى أبو بكر) الصولي في كتابه الذي وضعه في أخبار أبي تمام الطائي أن البحتري كان يقول أول أمري في الشعر ونباهتي فيه أني صرت الى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان يجلس ولا يبقى شاعر الا قصده وعرض عليه شعره فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق وشفع لي اليهم وقال لي امتدحهم فصرت اليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وقال أبو عبادة المذكور أول ما رأيت أبا تمام وما كنت رأيته قبلها أني دخلت الى أبي سعيد محمد بن يوسف فامتدحته بقصيدتي التي أولها أأفاق صب من هوى فأفيقا * أم خان عهدا أم أطاع شفيقا

فأنشدته اياها فلما أتممتها سر بها وقال لي أحسن الله اليك يا فتى فقال له رجل في المجلس هذا أعزك الله شعري علقه هذا الفتى فسبقني به اليك فتغير أبو سعيد وقال لي يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به الينا ولا تعمل نفسك على هذا فقلت هذا شعري أعزك الله فقال الرجل سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثم

كأنما هو بدر كان منحجبا
ثم انجلى وبدا من تحت ناهور
فأصبحت صفحات الارض مشرقة
وعاد أكنافها نورا على نور
سبحان من مالك جلت مفاخره
عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها وبراع الواصفين لها
بحر مقيس الى منقار عصفور
(وقال) المولى على الشهير بأم الولد زاده رحمه الله
(شعر)
مضى مالك الدنيا ولم يبق مشرق
ولا مغرب الا له فيه فاتح
ولم يغن عنه ماله ورجاله
من الموت شيئا والخيول السوابح
وما أنا من رزء وان جل فازع
ولا بسرور بعد موتك فارح
وقل للمنايا قد ظفرت بمطلعا
براحه المشرقين مفاتح
وقل للعطايا بعد ذلك تعطلي
فان ولي الجود والطول طائح
امام الهدى بحر الندى قامع العدا
سليمان من بالفضل للناس سامح
لقد دفن المجد الرفيع بدفنه
وعز منيع والظلال الصوالح
وحد لرايات السيادة ناصب
وحد لآيات السعادة واضح
وقد بكت الاقلام اذ فاض بالاسى
عليه كما رنت عليه الصفائح
ذر الموت يغني من أراد فانه
ثوى اليوم من يخشى عليه الفوادح

ابتدأ فانشد من القصيدة أبياتا فقال لي أبو سعيد نحن نبلغك ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيرا لا أدري ما أقول ونويت أن أسأل عن الرجل من هو فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي جنيت عليك فاحتمل أتدري من هذا فقلت لا قال هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام فقم اليه فقمت اليه فعانقته ثم أقبل على يقرظني ويصف شعري وقال انما مزحت معك فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه وروى الصولي أيضا في كتابه المذكور ان أبا تمام راسل أم البحتري في التزوج بها فأجابته وقالت له اجمع الناس للاملاك فقال الله أجل من أن يذكر بيننا ولكن نتصافح ونتسامح وقيل للبحتري أيما أشعر أنت أم أبو تمام فقال جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه وكان يقال لشعر البحتري سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا ويقال انه قيل لابي العلاء المعري أي الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحتري أم المتنبي فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري ولعمري ما أنصفه ابن الرومي في قوله

والفتى البحتري يسرق ما قا * ل ابن أوس في المدح والتشبيب

كل بيت له يجوّد معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب

وقال البحتري أنشدت أبا تمام شيأ من شعري فانشدني بيت أوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

وقال نعيت الى نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا فقال ان عمري ليس بطويل وقد نشأ لطي مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه وهو يتكلم فقال يا بني نعى نفسي الى احسانك في كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب الا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من هذا وقال البحتري أنشدت أبا تمام شعرا لي في بعض بني حميد وصلت به الى مال له خطر فقال لي أحسنت أنت أمير الشعراء بعدي فكان قوله هذا أحب الي من جميع ما حويته وقال ميمون بن هرون رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى ابن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من قال مثل قول البحتري في المتوكل

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لمشى اليك المنبر

فرجعت الى داري وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري في المتوكل فقال هاته فانشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الي سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك على الجراية الكفاية ما دمت حيا وللمتنبي في هذا المعنى

لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية اليك الاغصنا

وسبقهما أبو تمام بقوله لو سمعت بقعة لاعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الجديب

والبيت الذي للبحتري من جملة قصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان يمدح بها أبا الفضل جعفر المتوكل على الله ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر وأولها

أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر * وألام من كمد عليك وأعذر

والابيات التي يرتبط بها البيت المقدم ذكره هي

بالبر صمت وأنت أفضل صائم * وبسنة الله الرضية تفطر * فانعم بيوم الفطر عينا انه

يوم أغر من الزمان مشهر * أظهرت عز الملك فيه بجحفل * لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت * عددا يسير بها العديد الاكثر * فالخيل تصهل والفوارس تدعي

والبيض تلمع والاسنة تزهر * والارض خاشعة تميد بثقلها * والجو معتكر الجوانب أغبر

والشمس طالعة توقد في الضحى * طورا ويطفيها العجاج الاكدر

سنى

خلا الله ذنبانا وخطت صروفها
فلم يرمن اهوالها قط ناجح
اذا أعملت سهما من العيش ناعبا
ففي خلفه سهم من البؤس قادح
سلاف قصاراها رعافه ومركب
شهي اذا استلذذته فهو جامح
ولا بد ما قد قيل في وصف حظها
وما هو وصف ان تدبرت صالح
رويدك يا من غره طيف عزها
فعما قليل عنك ذلك نازح
وما هو الا كالشهاب وضوئه
يزول بآن بعد ما هو لائح
وأودى ولكن طيب ذكراه خالد
الى الحشر يبقى وهو كالمسك فائح
الا أيها الملك السعيد المكرم
عليك سلام الله ما حن صادح
(وقال المخدوم محمد بن المولى بستان في قصيدة طويلة)
نسيم الصبا رقت بأحسان فرقة
حمامة ذات السدر جنت من النحر
أماتي حمى الاسلام أودى وهل له
نعيت الدين أنت مالك من عذر
أزالت من الدنيا مراسم بهجة
وآلت مسرات الزمان الى القبر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى * ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير * فافتنّ فيك الناظرون فأصبع
يومى اليك بها وعين تنظر * يجدون رؤيتك التي فازوا بها * من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا * لما طلعت من الصفوف وكبروا * حتى انتهيت الى المصلى لابسا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر * ومشيت مشية خاشع متواضع * لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لمشى اليك المنبر * أبديت من فصل الخطاب بحكمة
تنبي عن الحق المبين وتخبر * ووقفت في برد النبي مذكرا * بالله تنذر تارة وتبشر

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع فلله دره ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه وأحسن سبكه وألطف مقاصده وليس فيه من الحشو شيء بل جميعه نخب وديوانه موجود وشعره سائر فلا حاجة الى الاكثار منه ههنا لكن نذكر من وقائعه ما يستظرف فمن ذلك أنه كان له غلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه أبو الفضل الحسن بن وهب الكاتب وقد سبق ذكر أخيه سليمان في حرف السين ثم ان البحتري ندم على بيعه وتبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر ويذكر أنه خدع وأن بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله

انسيم هل للدهر وعد صادق * فيما يؤمله المحب الوامق
مالي فقدتك في المنام ولم تزل * عون المشوق اذا جفاه الشائق * أمنعت أنت من الزيارة رقبة
منهم فهل منع الخيال الطارق * اليوم جاوزني الهوى مقداره * في أهله وعلمت أني عاشق
فليهنأ الحسن بن وهب أنه * يلقى أحبته ونحن نفارق

وله فيه أشعار كثيرة ومن أخباره أنه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله فقصده البحتري من العراق فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد في بيته لديون ركبته فاغتم البحتري لذلك غما شديدا وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له بع داري فقال له أتبيع دارك وتبقى على رؤس الناس فقال لابد من بيعها فباعها بثلثمائة دينار فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار وأنفذها الى البحتري وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الأبيات

لو يكون الحباء حسب الذي أنـ * ـت لدينا به محل وأهل * لحثيت اللجين والدر واليا
قوت حثوا وكان ذاك يقل * والأديب الأريب يسمح بالعذ * ر اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحتري رد الدنانير وكتب اليه

٣ بأبي أنت والله للبر أهل * والمساعي بعد وسعيك قبل * والنوال القليل يكثر ان شا
ء مرجيك والكثير يقل * غير أني رددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعرا بشعر * قضى الحق والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين دينارا أخرى وحلف انه لا يردها عليه وسيرها فلما وصلت الى البحتري أنشأ يقول شكرتك ان الشكر للعبد نعمة * ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكل زمان واحد يقتدى به * وهذا زمان أنت لا شك واحده

وكان البحتري كثيرا ما ينشد هذا الشعر ويجيبه وهو

حمام الأراك ألا فاخبرينا * لمن تندبين ومن تعولينا * فقد شقت بالنوح منا القلوب
وأبكيت بالندب منا العيونا * تعالي نقم مأتما للهموم * ونعول اخواننا الظاعنينا
ونسعدكن وتسعدننا * فان الحزين يواسي الحزينا

ثم اني وجدت هذه الأبيات لنهان الفقعسي من لعرب وكان البحتري قد اجتاز بالموصل وقيل برأس عين ومرض بها مرضا شديدا وكان الطبيب يختلف اليه ويداويه فوصف له يوما مزورة ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه فقال للغلام اصنع هذه المزورة وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا وقد جاء يعوده فقال ذلك الرئيس هذا الغلام ما يحسن طبخها وعندي طباخ من نعته وصنعته وبالغ في حسن صنعته

دموعي تجودي في رزيه عادل
عديل ابن خطاب مثيل
أبي بكر
لقد ذاق من كاس الحمام
امامنا
امام الهدى بحر الندى
طيب النشر
أنام أنام العهد في مهد عدله
فراح الى دوح على سندس
خضر
تفضلت الأيام بالجمع بيننا
ففرق من أجله القصور
عن الشكر
كذلك دهر الدهر بؤس
ونعمة
وناهيك تلك الحال في
الوعظ والذكر
فواحسرتا أن أنزل الدهر
مثله
من القصر في قعر الجنادل
والصخر
فما انحضر بالمروي بعدك
عوده
وما غردت ورقاء في الروض
ذي النور
وما قلبت أيدي الفوارس
بعده
وما طالدي الهيجاء ذي السكر
والفر
سقى الله قبرا من سحائب نعمة
تضمن بحرا في الندى صافي البحر
الأمير الملك الشهيد المجاهد
حليما كريما قد مضى
طيب الذكر
عليك من الرحمن فضل ورحمة
وروح وريحان مدى
الدهر والعصر
كما أنت في الأولى بعز ونعمة
كذلك في الأخرى وفي
الحشر والنشر

فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس وقعد البحتري ينتظرها واشتغل الرئيس عنها ونسي أمرها فلما أبطأت عنه وفات وقت وصولها اليه فكتب الى الرئيس

وجدت وعدك زورا في مزورة * حلفت مجتهدا احكام طاهيها
فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها * ولا علت كف ملق كف موفيها
فاحبس رسولك عنى ان يجيء بها * فقد حبست رسولى عن تقاضيها

وأخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة الى الاطالة ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى ورتبه على الحروف وجمعه أيضا على بن حمزة الاصبهانى ولم يرتبه على الحروف بل على الانواع كما صنع بشعر أبي تمام وللبحتري أيضا كتاب حماسة على مثال حماسة أبي تمام وله كتاب معاني الشعر وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين والاول أصح والله أعلم وقال ابن الجوزي في كتاب أعمار الاعيان توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة والله أعلم بالصواب وكان موته بمنبج وقيل بحلب والاول أصح وقال الخطيب في تاريخ بغداد انه كان يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فاشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة فانها أشهر ففعل وأهل الادب كثيرا ما يسألون عن قول أبي العلاء المعري وقال الوليد النبع ليس بمثمر * وأخطأ سرب الوحش من ثمر النبع
فيقولون من هو الوليد المذكور وأين من قال النبع ليس بمثمر ولقد سألني عنه جماعة كثيرة والمراد بالوليد هو البحتري المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها

وعيرتني سجال العدم جاهلة * والنبع عريان ما في فرعه ثمر

وهذا البيت هو المشار اليه في بيت المعري وانما ذكرت هذا لانه فائدة تستفاد وعبيد الله وأخوه أبو عبادة ابنا يحيى بن الوليد البحتري اللذان مدحهما المتنبي في قصائده هما حفيدا البحتري الشاعر المذكور وكانا رئيسين في زمانهما والبحتري بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها راء هذه النسبة الى بحتر وهو أحد أجداده كما تقدم ذكره في عمود نسبه وزودنة بفتح الزاي وسكون الراي وفتح الدال المهملة وسكون الفاء وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهي قرية من قرى منبج بالقرب منها ومنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم وهي بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه فعربت فقيل منبج ولكونها وطن البحتري كان يذكرها في شعره كثيرا فمن ذلك قوله في آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو أبو جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي

لاانسين زمنا لديك مهذبا * وظلال عيش كان عندك سجسج
في نعمة أوطنتها وأقمت في * أفيائها فكأنني في منبج

وكان البحتري مقيما بالعراق في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وله الحرمة التامة فلما قتلا كما هو مشهور في أمرهما رجع الى منبج وكان يحتاج للتردد الى الوالي بسبب مصالح املاكه ويخاطبه بالامير لحاجته اليه ولا تطاوعه نفسه الى ذلك فقال قصيدة منها

مضى جعفر والفتح بين مرمل * وبين صبيغ بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما في الترب أوس وخزرج
أولئك ساداتي الذين بفضلهم * حلبت أفاويق الربيع المثجج
مضوا أمما قصدا وخلفت بعدهم * أخاطب بالتأمير والى منبج

وذكر المسعودي في مروج الذهب ان هرون الرشيد اجتاز بلاد منبج ومعه عبد الملك بن صالح وكان أفصح ولد العباس في عصره فنظر الى قصر مشيد وبستان معتمر بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا فقال هو لك ولى بك يا أمير المؤمنين قال وكيف بناء هذا القصر قال دون منازل أهلي وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال فكيف ليلها قال سحر كله انتهى كلام

(ذكر ماوقع من وفياتهم في عهد السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان)
(ومن مشايخ الطريقة ورجال الحقيقة الشيخ محيي الدين المشتهر بحكيم جلبي)
ولد رحمه الله بقصبة ازنكميد ونشأ طالبا للفضائل ومجتنبا عن الرذائل يخاض الغمار واقتحم الاخطار وقضى من العلوم الاوطار وبينا هو يسبح في عالم فسيح عاريا عن الرباق وساعيا في عالم الاطلاق اذ هبت الرياح من رياض الحقيقة وأومضت البروق من أراضي الطريقة وتنفس النسيم من ربيع الحبيب فاشعل نيران المحبة فهاج كل قلب كئيب وقال كل يعقوب متلهف اني لاجد ريح يوسف وأخذ الصبا في الهبوب وذكر صباحة المحبوب وشرع في وصف ليلي بما هو ألذ واحلى فلا الآفاق صياح العشاق فلما قرع هذا الهديل سمعه أشرق عليه من نور المحبة لمعه وهجم عليه الشوق والغرام وغلب الوجد والهيام واستولى عليه سلطان الهوى وأغار جنود العشق والجوى فقام بالقلب العليل الى طلب المرشد والدليل فساقته عناية الباري الى خدمة الشيخ أحمد البخاري فوجد النجم الهادي في الغيهب المتمادي والطريق

المسعودي وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكانت منبج اقطاعا له وكان مقيما بها وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة بالرقة رحمه الله تعالى وله بلاغة وفصاحة أضربت عن ذكرها خوف الاطالة وذكر ياقوت الحموي في كتابه المشترك باب السقيا خمسة مواضع ثم قال في آخر هذا الباب والخامس قرية على باب منبج ذات بساتين وهي وقف على ولد البحتري الشاعر وقد ذكرها أبو فراس بن حمدان في شعره

(الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن مالك الشيباني الشاري)

هكذا ذكره أبو سعيد السمعاني في كتاب الانساب في موضعين أحدهما في ترجمة الاراقم والآخر في ترجمة السيحان بكسر السين المهملة الشاري أحد الشجعان الطغاة الابطال كان رأس الخوارج وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هرون الرشيد وحشد جموعا كثيرة فأرسل اليه هرون جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وسيأتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا انه يراعيه لاجل الرحم والا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه اليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين فلقي الوليد فظهر عليه فقتله وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية أول خميس في شهر رمضان وهي واقعة مشهورة تضمنتها التواريخ وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لاخيها صخر فرثت الفارعة أخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها وهي قليلة الوجود ولم أجد في مجاميع كتب الادب الا بعضها حتى ان أبا علي القالي لم يذكر منها في اماليه سوى أربعة أبيات فاتفق أني ظفرت بها كاملة فأثبتها لغرابتها مع حسنها وهي هذه

بتل نباثا رسم قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا * وسورة مقدام ورأي حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بانوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بالوف
وما زال حتى ازهق الموت نفسه * شجا لعدو أو نجا لضعيف
ألا يا لقومي للحمام وللبلى * وللارض همت بعده برجوف
ألا يا لقومي للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى * وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
الا قاتل الله الحشى حيث أضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فانني * أرى الموت وقاعا بكل شريف

ولها فيه مراث كثيرة فمن ذلك قولها فيه أيضا

الاصول في ابتداء تحصيل فتبسل بدنه وتشبث بذيله وأخذ في الاجتهاد يومه وليله ودخل بحسن الارادة في ربقة التسليم والعبادة وتبتل الى الله في سره واعلانه وجد واجتهد وتميز عن أقرانه بيناهو في السعي والمجاهدة اذ ابتلي بالامراض الهائلة فحصل من علم الطب الطرف العظيم حتى اشتهر باسم الحكيم وانتفع الناس بطبابته كما انتفعوا في طريق الحق بحذاقته (وتوفي رحمه الله سنة أربع وسبعين وسبعمائة) ودفن بحظيرة الشيخ ابن الوفاء بقرب الشيخ علي السابق ذكره * كان المرحوم من أجلة مشايخ الروم صاحب الكرامات العلية والمقامات السنية كثير النفع للمسلمين رفعه الله تعالى في أعلى عليين

(ومنهم المولى علاء الدين الموغادي)

نشأ رحمه الله في حجر خاله وتربى بغيث نواله وهو معلم الوزير الكبير اياس المشتهر بأبي الليث بين الناس ودار على موالي عصره للاستفادة حتى صار ملازما من المولى الشهير بكمال باشازاده ثم تقلد بعضا من المدارس وجعل يزاول العلوم والمدارس ثم ولي مدرسة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة

ذكرت الوليد وأيامه * اذا الارض من شخصه بلقع * فاقبلت أطلبه في السماء

كما يبتغي أنفه الاجدع * أضاعك قومك فليطلبوا * افادة مثل الذي ضيعوا

لوان السيوف التي حدها * يصيبك تعلم ماتصنع * نبت عنك اذ جعلت هيبة * وخوفا لصولك لاتقطع

وكان الوليد يوم المصاف ينشد

أنا الوليد بن طريف الشاري * قسورة لايصطلى بناري * جوركم أخرجني من داري

ويقال انه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وأخذ رأسه ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال اغربي غرب الله عينك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء وتل نهاكى بليدة في بلد نصيبين وهو موضع الواقعة المذكورة والخابور نهر معروف أوله من رأس عين وآخره عند قرقيسيا يصب في الفرات وعلى هذا النهر مدن صغار تشبه السكار في عمارة بلادها وأسواقها وكثرة خيراتها وهو مشهور فلا حاجة الى ضبطه والشاري بفتح الشين المعجمة وبعد الالف راء وهو واحد الشراة وهم الخوارج وانما سموا بذلك لقولهم انا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة حين فارقنا الائمة الجائرة والخنساء اسمها تماضر بضم التاء المثناة من فوقها وفتح الميم وبعد الالف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء وهي ابنة عمرو بن الشريد السلمي والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع الارنبة ولذلك قيل لها الخنساء لانها كانت على هذه الصفة وأخبارها مع أخيها مشهورة في مراثيها وغيرها وقد سبق طرف من أخبار أخيها صخر في ترجمة أبي أحمد العسكري في حرف الحاء وقد اختلف في موضع قبره فقيل انه مدفون عند عسيب وهو جبل مشهور ببلاد الروم وان القبر الذي هنالك ينسب الى امرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر المشهور ليس لامرئ القيس وانما هو لصخر المذكور وقيل ان كل واحد من امرئ القيس وصخر مدفون هنالك وقال الحافظ أبو بكر الحازمي المقدم ذكره في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه ان عسيبا جبل حجازي ودفن عنده صخر أخو الخنساء فعلى هذا يكون عسيب اسما لجبلين أحدهما بالروم وهو الاشهر والآخر بالحجاز وكان من لوازم ياقوت الحموي انه يذكره في كتابه الذي وضعه في البلاد المشتركة الاسماء ولم أجده ذكره فيه والله تعالى أعلم

(ابو عبد الله وهب بن منبه اليماني صاحب الاخبار والقصص)

وكانت له معرفة بأخبار الاوائل وقيام الدنيا وأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف انه كان يقول قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة وكان له اخوة منهم همام بن منبه كان أكبر من وهب وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو معدود من جملة الابناء ومعنى قولهم فلان من الابناء ان أباه سيف بن ذي يزن الحميري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه الى كسرى أنوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم وقصته في ذلك مشهورة وتفسيره طويل وخلاصة الامر انه سير معه سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز هكذا قاله ابن قتيبة وقال محمد بن اسحق لم يسير معه سوى ثمانمائة فارس فغرق منهم في البحر مائتان وسلم ستمائة قال أبو القاسم السهيلي والقول الاول أشبه بالصواب اذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة فارس فلما وصل الجيش الى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة فاستظهرت الفرس عليهم وأخرجوهم من البلاد وملك سيف بن ذي يزن ووهرز وأقاموا اربع سنين وكان سيف بن ذي يزن قد اتخذ من اولئك الحبشة خدما فخلوا به يوما وهو في متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا في رؤس الجبال وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعا وانتشر الامر باليمن ولم يملكوا عليهم أحدا غير أن أهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلا من حمير فكانوا كملوك الطوائف حتى أتى الله بالاسلام ويقال انها بقيت في أيدي الفرس ونواب كسرى فيها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

داود باشا بقسطنطينية باربعين ثم مدرسة طهرابوزن بخمسين ثم عزل فوقع في الحزن والاسى حتى أعطي مدرسة مغنيسا ثم عزل وبقي في التعطل والهوان حتى أعطي احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة أياصوفيه فاشتغل فيها وأفاد الى أن تقلد قضاء بغداد ثم عزل وعين له كل يوم ثمانون ودام عليه حتى ألم بساحته المنون وذلك سنة أربع وسبعين وتسعمائة * كان رحمه الله معروفا بالكمال ومعدودا من الرجال جريء الجنان طليق اللسان حلو المحاورة لطيف النادرة مهتما بجمع الامائل والاغباني مصاحبة الافاضل روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم المولى شمس الدين أحمد ابن أخي القراماني المشهور بمعلم الوزير الاعظم أحمد باشا)

كان رحمه الله من بلدة قونيه وخرج منها لطلب العلوم فاجتمع مع الكثير من الاماجد القروم حتى وصل الى خدمة المولى سعد الله محشي تفسير البيضاوي فعكف على تحصيل المعارف واكتساب اللطائف حتى صار ملازما فتقلد مدرسة المولى خسرو في مدينة بروسه بعشرين ثم صارت وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم المدرسة

وباليمن من قوادابرويز عاملان أحدهما فيروز الديلمي والآخر زاذويه واسلما وهما اللذان دخلا على الاسود العنسي مع قيس بن المكشوح لما ادعى الاسود النبوة باليمن وقتلوه والقصة في ذلك مشهورة فلا حاجة الى ذكرها والمقصود من هذا كله ان جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ورزقوا الاولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الابناء لانهم من ابناء اولئك الفرس وكان طاوس العالم المقدم ذكره منهم أيضا وقد أومأت الى ذلك في ترجمته ولم اشرحه كما فعلت ههنا واخبار وهب شهيرة فلا حاجة الى ذكر شئ منها ويكفي في هذا الموضع ذكر هذه الفائدة وتوفي وهب المذكور في المحرم سنة عشر وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن وعمره تسعون سنة رضي الله عنه وقد تقدم الكلام على صنعاء في ترجمة عبد الرزاق الصنعاني في هذه الترجمة أسماء أعجمية لو قيدتها لطال الشرح وهي مشهورة فتركتها

(ابو البختري وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الاسدي المدني)

حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم وروى عنه رجاء ابن سهل الصاغاني وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب وغيرهما وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه انتقل من المدينة الى بغداد في خلافة هرون الرشيد فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد وقد تقدم الكلام على هذا الموضع في ترجمة الواقدي في حرف الميم ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيري وجعل اليه ولاية حربها مع القضاء ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها الى ان توفي وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة القاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الحنفي انه كان قاضي القضاة في بغداد فلما مات ولى الرشيد مكانه أبا البختري وهب بن وهب القرشي وكان فقيها اخباريا نسابا جوادا سريا سخيا يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل وكان اذا اعطى قليلا أو كثيرا أتبعه عذرا الى صاحبه وكان يتهلل عند طلب الحاجة اليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذي قضيت حاجته وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر المتقدم ذكره قد تزوج بأمه بالمدينة فله عنه روايات واسانيد واسم أمه عبدة بنت علي بن يزيد بن ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت عقيل بن أبي طالب وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وبالغ في تقريظه والثناء عليه وقال دخل عليه شاعر فانشده

اذا قيل من للجود والمجد والندى * ...

اذا اقتر وهب خلته برق عارض * تبعق في الارضين أسعده السكب

وما ضر وهبا ذم من خالف الملا * كما لا يضر البدر ينبحه الكلب

لكل اناس من أبيهم ذخيرة * وذخر بني فهر عقيد الندى وهب

قال فاستهل أبو البختري ضاحكا وسر سرورا شديدا ثم دعا وناله فأسر اليه شيأ فأتاه بصرة فيها خمسمائة دينار فدفعها اليه (وحكى) أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني في ترجمة أبي دلف العجلي قال أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال فقال المبرد لابن أبي البختري أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يسبق اليها فقال وما هي قال دعي رجل من أهل الادب الى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم

نبيذان في مجلس واحد * لايثار مثر على مقتر

فلو كان فعلك ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر

ولو كنت تطلب شأو الكرام * صنعت صنيع أبي البختري

تتبع اخوانه في البلاد * فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الابيات أبا البختري فبعث اليه بثلثمائة دينار قال ابن عمار فقلت له قد فعل جد هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه ان رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته افترض في الجند فقال

اليك عني فقد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف

الحرية بادرنه بثلاثين ثم مدرسة داود باشا بقسطنطينية باربعين ثم صارت وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة بنت السلطان بقصبة اسكدار ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة أياصوفيه بستين ثم الى مدرسة السلطان سليم خان بالوظيفة المزبورة ثم قلد قضاء المدينة المنورة ثم عزل فقبل وصوله عيد العزل توفي بها في أوائل سنة أربع وسبعين وتسعمائة * كان المرحوم مشاركا في بعض العلوم وله حظ من المعارف واللطائف بشوشا حسن السمت ساعيا في أمر من يلوذ به وكان له أخ أصغر منه اسمه محمد توفي قبله باشهر وهو مدرس باحدى المدارس السليمانية

(ومنهم المولى يعقوب الشهير بجالق)

* كان رحمه الله من قصبة انقره فلما قارب أوان التحصيل خرج منها راغبا في التكميل فاجتمع بالافاضل السادة وجد في الاستفادة حتى صار ملازما من المولى شيخ محمد المشتهر بجوى زاده ثم درس بمدرسة خاص كوي بعشرين ثم صارت وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم درس بها ثانيا بثلاثين ثم درس بمدرسة قره كوز باشا بقصبة فلما بعث ثم

أمن رجال المنايا خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا الى التلف
تمشي المنايا الى غيري فأكرهها * فكيف أمشي اليها بارز الكتف
حسبت أن نزال القرن من خلقي * أو ان قلبي في جنبي أبي دلف

فاحضره أبو دلف ثم قال كم أملت امرأتك ان يكون رزقك قال مائة دينار وقال وكم أملت ان تعيش قال عشرين سنة قال فكذلك ما أملت به امرأتك في مالنا ودون مال السلطان وأمر باعطائه اياه قال فرأيت وجه ولد أبي دلف يتهلل وانكسر ابن ابي البختري انكسارا شديدا انتهى كلام صاحب الاغاني في هذا الفصل وقد سبق في ترجمة أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ذكر هذه الابيات وقائلها وصورة الحال وبينها وبين هذه الرواية اختلاف يسير وأما الابيات الاولى التي في أبي البختري فهي لابي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن ابن عطية العطوي الشاعر المشهور ونسبته بالعطوي الى جده عطية المذكور وهو من البصرة من موالي بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان معتزليا وله ديوان شعر وروى الخطيب أيضا في تاريخه ان أبا البختري قال لأن أكون في قوم أعلم مني أحب الي من أن أكون في قوم أنا أعلم منهم وروى أيضا في تاريخه ان هرون الرشيد لما قدم المدينة أعظم ان يرقى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ومنطقة فقال أبو البختري حدثني جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة مخنجرا فيها بخنجر فقال المعافى التيمي

ويل وعول لابي البختري * اذا توافى الناس للمحشر * من قوله الزور واعلانه
بالكذب في الناس على جعفر * والله ما جالسه ساعة * للفقه في بدو ولا محضر
ولا رآه الناس في دهره * يمر بين القبر والمنبر * ياقاتل الله ابن وهب لقد
أعلن بالزور وبالمنكر * يزعم ان المصطفى أحمدا * أتاه جبريل التقي البري
عليه خف وقباء أسود * مخنجرا في الحقو بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي ان يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق فقال له كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذني الشرط فقلت لهم هذا يزعم ان رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء قال فقالوا لي هذا والله قاص كذاب وأفرجوا عني وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث وقال الخطيب في تاريخه قال ابراهيم الحربي قيل لاحمد بن حنبل تعلم أحدا روى لاسبق الا في خف أو حافر أو جناح فقال ما روى هذا الا ذاك الكذاب أبو البختري وله من التصانيف كتاب الروايات وكتاب طسم وجديس وكتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب فضائل الانصار وكتاب الفضائل الكبير ويحتوي على جميع الفضائل وكتاب نسب ولد اسمعيل عليه السلام ويحتوي على قطعة من الاحاديث والقصص وأخباره ومحاسنه كثيرة وتوفي سنة مائتين للهجرة ببغداد في خلافة المأمون رحمه الله تعالى وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في موضعين عقد له أولا ترجمة وتكلم على حاله ثم ذكره في ثلاثة أسماء في نسق أبو البختري وهب بن وهب وعده في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام وفي الطالبيين حسن بن حسن بن حسن وفي غسان الحرث الاصغر بن الحرث الاعرج بن الحرث الاكبر هؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد بن محمد بن محمد وقد سبق ذكره في المحمدين وأبو البختري بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري الشاعر المقدم ذكره وزمعة بفتح الزاي والميم والعين المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي في الاصل اسم للهنة الزائدة من وراء الظلف وبها سمي الرجل وقد تقدم الكلام على الاسدي والمدني قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغي الحاقها بها وهي ان أبا البختري المذكور قال كنت أدخل على هرون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالمؤتمن بين يديه فكنت أدمن النظر اليه عند دخولي وخروجي

بمدرسة سراى بخمسين ثم
بمدرسة أحمد باشا بقصبة
چورلى بالوظيفة المزبورة
ثم نقل الى دار الحديث
بادرنه ثم الى احدى المدارس
الثمان ثم قلد قضاء بغداد
توفى وهو قاض بها سنة
أربع وسبعين وتسعمائة
وكان رحمه الله معروفا
بالعلم والفضل ومراعاة
الحقوق السابقة وكان
محمود السيرة حسن
السريرة سليم الصدر
طارحا للتكلف والتصنع
*(ومنهم المولى تاج الدين
ابراهيم)*
قرأ رحمه الله على بعض
علماء زمانه ورؤساء أوانه
حتى ساقه الدهر الى خدمة
المولى المعظم كمال باشازاده
فعكف على التحصيل
والاستفادة وسعى فى
تكميل ذاته حتى صار
ملازما منه بحكم وفاته ثم
درس بعدة من المدارس
المبنيات فى بعض النواحى
والقصبات حتى قلد
مدرسة ترى باشا بقصبة
الطنة بخمسين ثم نقل عنها
الى مدرسة مناستر فى
مدينة بروسه بالوظيفة
المزبورة ثم نقل الى سلطانية
بروسه ثم الى احدى
المدارس الثمان ثم الى
مدرسة مغنيسا ثم الى
المدرسة التى بناها السلطان
سليمان بمدينة دمشق
وفوض اليه الفتوى بهذه
الديار وعين له كل يوم
ثمانون درهما فدام عليه

فقال له بعض ندمائه ما أرى أبا البختري الا يحب رؤس الحملان فتفطن له الرشيد فلما دخلت عليه قال أراك تدمن النظر الى أبي القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في وأما ادماني النظر اليه فلان جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه روى باسناده عن آبائه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يزدن في قوة النظر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن نقلتها من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب

حرف الهاء

(الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي)

كان اماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من الادب صنف فيه عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الامالي وهو أكبر تآليفه وأكثرها افادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الادب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنح له وهو من الكتب الممتعة ولما فرغ من املائه حضر اليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب المقدم ذكره والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه الى ذلك فعاداه ورد عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها الى الخطا فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الرد فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه وجمعه كتابا وسماه الانتصار وهو على صغر حجمه مفيد جدا وسمعه عليه الناس وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه وله في النحو عدة تصانيف ما اتفق لفظه واختلف معناه وشرح اللمع لابن جني وشرح التصريف الملوكي وكان حسن الكلام حلو الالفاظ فصيحا جيد البيان والتفهيم وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيأ من الشعر في المذاكرة ثم مضيت اليه وقرأت عليه جزأ من امالي أبي العباس ثعلب النحوي (وحكى) أبو البركات عبد الرحمن بن الانباري النحوي المقدم ذكره في كتابه الذي سماه مناقب الادباء أن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري المقدم ذكره لما قدم بغداد قاصدا الحج في بعض أسفاره مضى الى زيارة شيخنا أبي السعادات بن الشجري ومضينا معه اليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي

واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم أنشده بعد ذلك

كانت مساءلة الركبان تخبرنا * عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وهذان البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح وهما منسوبان الى أبي القاسم محمد بن هانئ الاندلسي وقد تقدم ذكره أيضا وينسبان الى غيره أيضا والله تعالى أعلم قال ابن الانباري فقال العلامة الزمخشري روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا رأيته دون ما وصف لي غيرك قال ابن الانباري فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمي وهذا الكلام وان لم يكن عين كلام ابن الانباري فهو في معناه لاني لم أنقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري وانما ذكرت هذا لان الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الانباري فيجد بين الكلامين اختلافا فيظن اني تساهلت في النقل وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير وأولها

حتى توفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة وكان رحمه الله معروفا بالعلوم الدينية والمسائل اليقينية خصوصا الفقه فانه كان معدودا من أصحابه ومذكورا في عداد أربابه وكان رحمه الله لين الجانب صحيح العقيدة صاحب الاخلاق الحميدة

(ومنهم المولى الفاضل والسميدع النحرير المولى محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم قراهم الله في دار النعيم)

* كان جده المولى عبد الكريم قاضيا بالعسكر في دولة السلطان محمد خان وولي أبوه عبد الوهاب الدفتردارية في عهد السلطان سليمان خان ونشأ رحمه الله غائصا في بحار العلوم وجامع المعارف طالبا لدرر الفضائل واللطائف ساعيا في اقتناء أنواع العلوم راغبا في اقتناص شوارد المنطوق والمفهوم واشتغل على المولى اسرافيل زاده والمولى جوي زاده ثم اشتغل برهة من الزمان على المفتي أبي السعود في احدى المدارس الثمان ثم وصل الى معدن الفضل والكمال وعمدة رجال الرجال المخصوص في عهده بالافادة المولى الشهير بكمال باشا زاده فتبحر في العلوم ومهر وكسر معارضيه وقهر وغلب على أقرانه وفاق وطار طائر

هذى السديرة والغدير الطافح * فاحفظ فؤادك اننى لك ناصح

ياسدرة الوادى الذى ان ضله الـسارى هـداه نشره المتفاوح * هـل عائد قبـل الممات لمغـرم عيش تقضى فى ظلالك صالح * ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة * لمنادى مـحرق الصـبابة طـامح شط المزار به وبوّئ منزلا * بصميم قلبك فهو دان نازح * غصن يعطفه النسـيم وفوقه قمـر يحف به ظـلام جانح * واذا العيون تساهمته لحاظها * لم يرو منه الناظر المتراوح ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا * فيه مرابع للمها ومسارح * ظللنا به نبكى فكم من مضمـر وجدا أذاع هواه دمع سافح * برت السنون رسومها فكأنما * تلك العراص المقـفرات نواضح يا صاحبى تأمـلا حييتما * وسقى دياركما الملث الرائح * ادمى بدت لعيوننا أم ربرب أم خرد أكفالهن رواجح * أم هذه مقل الصوار رنت لنا * خلـل الـبراقع أم قنا وصفائح لم يبق جارحة وقد واجهننا * الا وهن لها بهن جوارح * كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى ومن الشقاوة ان راض القارح * لو بله من ماء ضارج شربة * ما اثرت للوجد فيه لوافح

ومن ههنا يخرج الى المديح فاضربت عنه خوف الاطالة ولم يكن المقصود الا اثبات شئ من نظمه ليستدل به على طريقته فيه ومن شعره أيضا هل الوجد خاف والدموع شهود * وهل مكذب قول الوشاة جحود

وحتى متى تفنى شؤنك بالبكا * وقد حد حد للبكاء عبيد

وانى وان جفت قناتى كبرة * لذو مرة فى النائبات جليد

وفيها اشارة الى أبيات لبيد بن ربيعة العامرى وهى

تمنى ابنتاى ان يعيش أباهما * وهل انا الا من ربيعة أو مضر * فقوما فقولا بالذى تعلمانه

ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر * وقولا هو المرء الذى لا صديقه * اضاع ولا خان العهود ولا غدر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والى هذا أشار أبو تمام الطائى بقوله ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

وقال الشريف أبو السعادات المذكور أنشدنى أبو اسمعيل الحسين الطغرائى قلت قد تقدم ذكره لنفسه

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا * وان لم تملك الدنيا جميعا

كما تهواه فاتركها جميعا * هما سببان من ملك ٣ * ينيلان الفتى الشرف الرفيعا

فمن يقنع من الدنيا بشئ * سوى هذين عاش بها وضيعا

وكان بين أبى السعادات المذكور وبين أبى محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا البغدادى الحريمى الشاعر المشهور وهو المذكور فى ترجمة أبى محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات تنافس جرت العادة بمثله بين اهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله

ياسيدى والذى يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر

مالك من جدك النبى سوى * انك ما ينبغى لك الشعر

وشعره وماجرياته كثيرة والاختصار أولى وكانت ولادته فى شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفى يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من الغد فى داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى والشجرى بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء هذه النسبة الى شجرة وهى قرية من اعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وشجرة أيضا اسم رجل وقد سمت به العرب ومن بعدها وقد انتسب اليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ولا أدرى الى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل هو نسبة الى القرية أم الى أحد أجداده كان اسمه شجرة والله أعلم وقد تقدم الكلام على الكرخى رحمه الله عنه فاغنى عن الاعادة

(أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف وقيل أحمد المنعوت بالبديع الاسطرلابى الشاعر المشهور أحد الادباء الفضلاء)

٣ قوله من ملك الخ هكذا بالاصل والبيت مكسور ولعله من ملك وترك أو نحو ذلك اه مصححه

هيبته فى الآفاق وجمع من الفنون الخيار وشهد بفضله الكبار وسلب الشمس رتبة الاشتهار ثم درس فى مدرسة صار وجه باشا بقصبة كليبولى بخمسة وعشرين ثم بالمدرسة الحجرية بادرنه بثلاثين ثم المدرسة القلندرية بقسطنطينية بأربعين ثم مدرسة سلمان باشا بازنيق بخمسين ثم ساعده الزمان فنقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان سليم خان فلما قضى منها الارب تقلد قضاء حلب ثم قضاء دمشق الشام ثم قضاء مصر ذات الاهرام ثم خانه الدهر ورماه بالتعب فعزل بعد ثلاثة أشهر بلا سبب فلم يثمر ذلك المنصب الا النصب ثم استقضى ثانيا بدمشق المحروسة ثم نقل الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بالعسكر المنصور فى ولاية أناطولى المعمورة فوفى حقوقه برأيه الرصين ودام عليه مدة ست سنين ثم عزل لامر يطول بيانه ويورث الكسل شرحه وتبيانه وحاصله صيانة أمر دينه انحطم وخالفته الوزير الكبير وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما على حسب العادة وان كان خليقا بالزيادة فلما وصل عمر هذا العزيز الى حدود الستين غاله أجله وانصرم عمله فرزئ بموته كل شريف

كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية متقنا لهذه الصناعة وحصل له من جهة عملها مال جزيل في خلافة الامام المسترشد ولما مات لم يخلف في شغله مثله وقد ذكره أبو المعالي الحظيري في كتابه الذي سماه زينة الدهر وذكره العماد الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة وكل منهما أثنى عليه وأورد مقاطيع من شعره فمن ذلك قوله

أهدي لمجلسه الكريم وانما * أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

هذان البيتان من أحسن شعره وقد قيل انهما لغيره وله أيضا

اذا قتلي حمرة المنايا * لما اكتسى خضرة العذار
وقد تبدى السواد فيه * وكارتي بعد في العيار

كذا وجدت هذين البيتين في زينة الدهر تأليف أبي المعالي الحظيري منسوبين الى البديع المذكور ورأيت في موضع آخر انهما لابي محمد بن حكينا المذكور في ترجمة الشريف أبي السعادات بن الشجري والله أعلم وهذه العبارة من اصطلاح البغاددة فانهم يقولون وكارتي بعد في العيار يعني انه ما شب بعد لم يتخلص منه والكارة عندهم في الدقيق بمثابة الحالة في ديار مصر ومن شعره أيضا

قال قوم عشقته أمرد الخد * وقد قيل انه نكريش
قلت فرخ الطاوس أحسن ما كا * ن اذا ما علا عليه الريش

قوله نكريش لفظة أعجمية والاصل فيها نك ريش معناها لحية جيدة وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم انهم يقدمون ويؤخرون في ألفاظهم المركبة فنك جيد وريش لحية وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به الى الفحش في اللفظ فلهذا اقتصرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره وكان قد جمع ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة واحد وأربعين بابا وجعل كل باب في فن من فنون شعره وسماه درة التاج من شعر ابن حجاج وكان ظريفا في حركاته وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد رحمه الله تعالى والاسطرلابي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة هذه النسبة الى الاسطرلاب وهو الآلة المعروفة قال كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي صاحب كتاب الزيج في رسالته التي وضعها في علم الاسطرلاب ان الاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وسمعت بعض المشايخ يقول ان لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قال اسطر الشمس اشارة الى الخطوط التي فيه وقيل ان أول من وضعه بطليموس صاحب المجسطي وكان سبب وضعه له انه كان معه كرة فلكية وهو راكب فسقطت منه فداستها دابته فخسفتها فبقيت على هيئة الاسطرلاب وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون ان هذه الصورة لا ترسم الا في جسم كرى على هيئة الافلاك فلما رآها بطليموس على تلك الصورة علم انه يرتسم في السطح ويكون نصف دائرة ويحصل منه ما يحصل من الكرة فوضع الاسطرلاب ولم يسبق اليه وما اهتدى أحد من المتقدمين الى ان هذا القدر يتأتى في الخط ولم يزل الامر مستمرا على استعمال الكرة والاسطرلاب الى أن استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين بن يونس رحمهما الله تعالى وهو شيخه في فن الرياضة أن يضع المقصود من الكرة والاسطرلاب في خط فوضعه وسماه العصا وعمل له رسالة بديعة وكان قد أخطأ في بعض هذا الوضع فأصلحه الشيخ كمال الدين المذكور وهذبه والطوسي أول من أظهر هذا في الوجود ولم يكن أحد من القدماء يعرفه فصارت الهيئة توجد في الكرة التي هي جسم لانها تشتمل على الطول والعرض والعمق وتوجد في السطح الذي هو مركب من الطول والعرض بغير عمق وتوجد في الخط الذي هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقطة ولا يتصور أن يعمل فيها شئ لانها ليست جسما ولا سطحا ولا خطا بل هي طرف الخط كما ان الخط طرف السطح والسطح طرف الجسم والنقطة لا تتجزأ فلا يتصور ان يرتسم فيها شئ وهذا وان كان خروجا عما نحن بصدده لكنه أيضا فائدة والاطلاع عليه أولى من اهماله وسياق الكلام جره والله تعالى أعلم

وروضيع طفل وشيخ وبكاء البعيد بكاء القريب كأنه للناس حميم أو نسيب وانماز الخاطر فتمثلت بقول الشاعر (شعر)

أجرى المدامع بالدم المهراق
خطب أقام قيامة الآماق
ان قيل مات فلم يمت من ذكره
حي على مر الليالي باق

وذلك في السابع والعشرين من رمضان من شهور سنة خمس وخمسين وتسعمائة وكان المولى المرحوم طودا من المعارف والعلوم كاشف معضلات العلوم المشهورة رافع أستار الفنون المستورة له في العربية أيد يقصر عنها باع أبي عبيدة ولو طلع بغرته الفراء لفر من بين يديه الفراء ولو رأيت في الفقه أبكار أفكاره اللطيفة لحكمت بأنه محمد أو أبو حنيفة والعجب انه مع ذلك الفضل الباهر والتقدم الظاهر ليس فيه رائحة عجب وتيه حلو الفكاهة طيب المعاشرة أبو المعارف أخو مكاشرة وكان رحمه الله عالي الهمة عظيم الشان يرى احسانه كل قاص ودان يغبطه الغيث على نواله ويتمنى البحر على منواله لم تجد راحته بدون المعروف راحة حيث جبل على الكرم والسماحة وكأنه وجد الخيار لنفسه في خلقه فسن السخاء تكرما واذا أخذ في العذل أقاربه ومن

(أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادي)

قد سبق شيء من شعره وطرف من خبره في ترجمة حيص بيص في حرف السين وفي ترجمة ابن السوادي أواخر حرف العين وكان أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ وسمع عليه وكان غاية في الخلاعة والمجون كثير المزاح والمداعبات مغرى بالولوع بالمتعرفين والهجاء لهم وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة وله ديوان شعر وقد ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب الذيل فقال شاعر مجود مليح القول رقيق الطبع الا أن الغالب عليه الهجاء وهو ممن يتقى لسانه ثم قال كتبت عنه حديثين لا غير وعلقت مقطعات من شعره وذكر الحافظ السلفي أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز وقال ان بعض أولاده المحدثين سأله عن مولده فقال سنة ثماني عشرة وأربعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلي مات يوم الاربعاء ودفن من الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بمقبرة معروف الكرخي رضي الله عنه وذكر العماد الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة أبا القاسم المذكور فقال وكان مجمعا على ظرفه ولطفه وله ديوان شعر أكثره جيد وعبث فيه بجماعة من الاعيان وثلبهم ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره وأخبرني بعض المشايخ انه رآه وقال كنت يومئذ صبيا فلم آخذ عنه شيئا لكنني رأيته قاعدا على طرف دكان عطار ببغداد والناس يقولون هذا ابن الفضل الهجاء وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون الامين وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان الكرخي وغيرهم وله مع حيص بيص ماجريات فمن ذلك ان الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتا وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابنا له فقدم اليه ليقتاد منه فالقى السيف من يده وأنشدهما والبيتان المذكوران يوجدان في الباب الاول من كتاب الحماسة ثم ان ابن الفضل المذكور علق الابيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرو ورتب معها من يطردها وأولادها الى باب دار الوزير كالمستغيثة فاخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي أبدى تشاجعه * على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به * ولم يكن بسواء عنه في القود
فانشدت جعدة من بعد ما احتسبت * دم الابلق عند الواحد الصمد
(أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين ادعوه وذا ولدي)

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم

قوم اذا ما جنى جانيهم أمنوا * من لؤم احسابهم ان يقتلوا قودا

وهو من جملة أبيات في الكراس الذي أوله لقي بشار ويتذاكر في الحماسة وهذا التضمين في غاية الحسن وأسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء التضمين في اشعارهم الا ما أنشدني الشيخ مهذب الدين أبو طالب المعروف بابن الخيمي المذكور في ترجمة الشيخ تاج الدين الكندي في حرف الزاي لنفسه وأخبرني انه كان بدمشق وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها وحصلت فيه شفاعة فعفي عن الباقي فعمل فيه ولم يصرح باسمه بل رمز وستره وهو

زرقا ابن آدم لما قيل قد حلقوا * جميع لحيته من بعد ما ضربا * فلم أر النصف محلوقا فعدت له
مهنئا بالذي منه الله وهبا * فقام ينشدني والدمع يخنقه * بيتين ما نظما مينا ولا كذبا

بصاحبه ويقاربه بلاطفهم في الجواب ويخاطبهم بهذا الخطاب (شعر)
أعاذل ان الجود ليس بمهلكي
ولا مخلد النفس الشحيحة لؤمها
وتذكر اخلاق الفتى وعظامه
مغيبة في الارض بال رميمها
وانكشف من اياديه مثالا وتفاصيله اجمالا بيناهو جالس في مجلسه وقاعد في محافل أنسه اذ دخل عليه سائل بدمع سائل وابأس فقر هائل فسارع نحوه بالاحترام وقصده بالعطية والانعام فأمر باحضار ستين درهما فاذا غلط الخادم وأتى بالدنانير مكان الدراهم فما استكثره وما استكبره بل استقله واستصغره وأعطاه جملة الدنانير فكاد السائل من فرحه يطير حيث وصل فوق بغيته وأكثر من أمنيته ولما جمع المولى محيي الدين المشتهر بسباهي زاده حواشيه التي علقها على حاشية التجريد للشريف الجرجاني صدرها باسمه وعرضها عليه أعطاه مائة دينار ومدرسة بثلاثين وقد حسب ما حصل له مدة قضائه بالعسكر فبلغ الى سبعين ألف دينار ومات رحمه الله وعليه أربعة آلاف دينار وبالجملة كان رحمه الله للعلماء نافعا وللأجواد فائقا في الجود

(اذا أتتك لحاق الذقن طائفة * فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أطيب نصفيها الذى ذهبا)

البيتان الاخيران منها فى كتاب الحماسة أيضا فى باب مذمة النساء لكن الاول منهما فيه تغيير فان بيت الحماسة
لا تنكحن عجوزا ان أتيت بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا

حضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير فى شهر رمضان فاخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يا مولانا هذا الرجل يؤذينى فقال الوزير وكيف ذلك قال لانه يشير الى قول الشاعر
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

كان الحيص بيص تميميا كما تقدم فى ترجمته وهذا البيت للطرماح بن حكيم الشاعر وهو من جملة أبيات بعد هذا البيت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى * خلال المخازى عن تميم تجلت
ولو ان برغوثا على ظهر قملة * يكر على صفى تميم لولت

ودخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير المذكور الزينبى وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين ولا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فانشده
زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فالتفت الوزير الى الحيص بيص وقال له ما تقول فى دعواه فقال ان اعادهما سمع الوزير لهما ثالثا فقال له الوزير أعدهما فاعادهما فوقف الحيص بيص لحظة ثم أنشد
وما درى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

فاستحسن الوزير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم أتحقق أنه له حتى أعينه وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه وهو
يا ضرة القمرين من لى منكم * أوديتم وأحلتم ذاك على القضا
وحياة حبك لم ينم عن سلوة * بل كان ذلك للخيال تعرضا
لا تأسفى ان زار طيفك فى الكرى * ما كان الا مثل شخصك معرضا

ثم وجدت هذه الابيات لابى العلاء ابن أبى الندى المعروف ولما هجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بالقصيدة الكافية المتقدم ذكرها فى ترجمة ابن السوادى ولولا طولها لذكرتها اسير اليه أحد الغلمان فاحضره وصفعه وحبسه فلما طال حبسه كتب الى مجد الدين بن الصاحب استاذ دار الخليفة أبياتا يقول فيها
اليك أطال مجد الدين اشكو * بلا عدل لست له مطيقا
وقوما بالغوا عنى محالا * الى قاضى القضاة الندب سيقا
فاحضرنى بباب الحكم خصم * عليسنا حرفى كما وزيقا
واخفق نعله بالصفع رأسى * الى ان اوجس القلب الخفوقا
على الخصم الاداء وقد صفعنا * الى ان ما تهدينا الطريقا
فيا مولاى هذا الاول حقا * أتحبس بعدما استوفى الحقوقا

ولما خرج من السجن أنشد
عندى الذى طرف بانه * قد غض من قدرى وآذانى
فالحبس ما غير لى خاطرا * والصفع ما لين آذانى

وقد سبق فى ترجمة الحيص بيص أبياته الميمية فى هجوه وجواب الحيص عنها ولما ولى الزينبى المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل باعيان الرؤساء وقد اجتمعوا للهناء فوقف بين يديه ودعا له وأظهر السرور والفرح ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى ما تقول العامة فى امثالها ارقص للقرد فى زمانه وقد نظم هذا المعنى فى أبيات وكتبها الى بعض الرؤساء وهى
يا كمال الدين الذى * هو شخص مشخص
والرئيس الذى به * ذنب دهر محصص
خذ حديثى فانه * نبأ سوف يرخص
كلما فات قد تبغـ * ـدد قوم تقمصوا

حافظا وكان فى طرف عال من تعظيم شعائر الله وكان من عادته انه لا يكتب شيأ بالقلم الذى يكتب به اسم الله عز وجل ومن عادته انه لا ينام ولا يضطجع فى بيت كتبه تعظيما للعلم الشريف وقد كتب رحمه الله تعالى عدة مقالات على منوال مقامات الحريرى وكتب حاشية على البيضاوى من أول الكتاب الى سورة طه وعلق حواشى على حاشية المولى جلال الدين الدوانى للتجريد وكتب أشياء أخر الا أنها لم تظهر بعد موته وكان رحمه الله ينظم الابيات بعدة ألسنة واغان فمن نتائج طبعه الشريف بلسان عربى لطيف هذا الكلام الذى سلب الماء رقته وغصب النحل ريقته (قصيدة)
أرج الصبا من جانب العلياء * فغدا العاطر طيب الارجاء
قد جاد بالعرف الجميل على الورى * فتبادر الارواح فى الاحياء
فكأن سلمى أرسلت من مرسل * وعقيصة من عنبر سوداء
أو حلت الازرار من ديباجها * من حلة مسكية فيحاء
أو اشفقت ريح على أهل الجوى * تهدى اليهم عرفها لشفاء
فى دارهم لا دار شرحوا لها * للعاشقين دواء أى دواء

صاحب الكمال فى عقود الجمان انه توفى يوم الاربعاء رابع الشهر المذكور رحمه الله تعالى وذكره العماد الكاتب فى كتاب الخريدة فقال كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذى القعدة سنة سبعين وخمسمائة فأطلعنى على قصيدة له كتبها اليه من مصر وذكر أن سنه لم يبلغ العشرين سنة فأعجبت بنظمه ثم ذكر القصيدة العينية التى أوّلها

فراق قضى للهم والقلب بالجمع * وهجر تولى صلح عينى مع الدمع

وعلى هذا التقدير يكون مولده فى حدود سنة خمسين وخمسمائة وقيل انه توفى سنة ثمان وأربعين والله أعلم ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة ثم وصل يعنى القاضى السعيد المذكور الى الشام فى شهر رمضان سنة احدى وسبعين وخمسمائة فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية قد أعرق فى صناعة النظم والنثر غاية تلقى عرابة العربية باليمين رايه وقد ألحقه الاقبال الفاضل فى الفضل قبولا وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولا وأنا أرجو أن ترقى فى الصناعة رتبته وتفرع عند تمادى أيامه فى العلم بنيته وتصفو من الصبا صفقته وتروى بماء الدراية رويته وتستكثر فوائده وتؤثر قلائده وتوفى والده جعفر فى منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن انه توفى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة والله أعلم وأبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الشاعر المصرى المذكور فى هذه الترجمة فان العماد الاصبهانى ذكره فى كتاب الخريدة وقال حضرت الى مصر فى سنة ست وتسعين وخمسمائة فسألت عنه فأخبرت بوفاته رحمه الله تعالى

(أبو القاسم وأبو الكرم هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب بن ثابت الانصارى الخزرجى المنستيرى الاصل المصرى المولد والدار المعروف بالبوصيرى)

كان أديبا كاتبا له سماعات عالية وروايات تفرد بها وألحق الاصاغر بالاكابر فى علو الاسناد ولم يكن فى آخر عصره فى درجته مثله وسمع بقراءة الحافظ أبى طاهر السلفى وابراهيم بن حاتم الاسدى على أبى صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى امام الجامع العتيق بمصر رحمهم الله تعالى والبوصيرى المذكور آخر من روى فى الدنيا كلها عن أبى صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى المذكور وأبى الحسين على بن الحسين بن عمر الفراء الموصلى وأبى عبد الله محمد بن بركات هلال السعيدى النحوى سماعا وروى أيضا عن أبى الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسى وهو آخر من روى عنه سماعا فى الارض كلها وسمع عليه الناس وأكثروا ورحلوا اليه من البلاد وكان جده مسعود قدم من المنستير الى بوصير فأقام بها الى أن عرف فضله فى دولة المصريين فطلب الى مصر وكتب فى ديوان الانشاء وولد له على والد أبى القاسم المذكور بمصر واستقروا بها واشتهروا وكان أبو القاسم يسمى سيد الاهل أيضا لكن هبة الله أشهر وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذى القعدة سنة خمسمائة وتوفى الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم وقال ياقوت الحموى فى كتاب البلدان المشترك الاسماء انه مات فى شوال رحمه الله تعالى والخزرجى بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها جيم هذه النسبة الى الخزرج وهو أخو الاوس بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها سين مهملة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وتمام النسب معروف وهما ابنا قيلة بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ومن ذريتهما أنصار النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة والمنستير بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهى بليدة بافريقية بناها هرثمة بن أعين الهاشمى فى سنة ثمانين ومائة وكان هرون الرشيد قد ولاه افريقية وقدمها يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة وقد تقدمت الحوالة على هذا الموضع فى ترجمة الامير تميم بن المعز بن باديس وبوصير بضم الباء الموحدة وسكون

بمشاهد العباد والشهداء
مستجمع الشمر وطهت حبالها
مستشفعا عن أكرم الشفعاء
جل تحيات عليه جميعها
حتى القيامة عدة الاشياء
متضرعا لله جل صفاته
وعلت له الحسنى من الاسماء
وبى عزان كل شئ عنده
آلاؤه جلت عن الاحصاء
ومراقبا الاجابة من عنده
سبحانه ربى سميع نداء
(و بقوله فى قصيدة ميمية)
وكنت من الجيل الجليل
تحفالهم
أولئك أعلام العلوم عظام
وقد شيدوا أس العلا بيننا
معظما
وجل له سقف وعز دعام
وتسع البنا فوق السموات
منزلا
عز الالى عن أن يكون
يرام
وقد سادمن بين الخليقة
أهله
فهم سادة فى العالمين فخام
وودعت للنائى على نيل نيلهم
وقالت على سبل النفوس
سلام
تجنبت تجنب النفس عن
كل مطمع
يسوق هنا ما على ملام
(وفيها قول)
كفانى كفاف النفس ما أنا
قاصد
الى دولة فيها الانام خصام
وهل هى الا عرض طيف الناعس
وهل هى الا ما أراه منام
فيا عجبا المرء يعقد قلبه
على شهوات ضرهن لزام
وتلك حصولها فنوع فتنة

الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وتعرف ببوصير قوريدس ويقال كوريدس وهي بليدة بأعمال البهنسا من صعيد مصر وقد تقدم الكلام في ترجمة عبد الحميد الكاتب على بوصير الفيوم وبالجيزة أيضا بليدة يقال لها بوصير السدر وبكورة السمنودية أيضا بليدة يقال لها بوصير فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد والكل بالديار المصرية والمستير بين المهدية وسوسة يأوي إليه الصالحون المنقطعون للعبادة فيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ذكره ياقوت في كتابه

(أبو الحسن هبة الله بن أبي الغنائم بن التلميذ الطبيب صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب الملقب أمين الدولة البغدادي)

ذكره العماد الأصفهاني في كتاب الخريدة فقال سلطان الحكماء وبالغ في الثناء عليه وقال هو مقصد العالم في علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ورأيته وهو شيخ بهي المنظر حسن الرواء عذب الجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمة ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم وله في النظم كلمات رائقة وحلاوة جنية وغزارة بهية ومن شعره لغز في الميزان

ماواحد مختلف الاسماء * يعدل في الارض وفي السماء * يحكم بالقسط بلا رياء
أعمى يرى الارشاد كل راء * أخرس لا من علة وداء * يغني عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء * بالرفع والخفض عن النداء * يفصح ان علق في الهواء

فقوله مختلف الاسماء يعني ميزان الشمس وهو الاسطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله يحكم في الارض وفي السماء وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق وهي الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك ثم ذكر بعد ذلك جملة من مقاطيع شعره وأنا أذكر بعضها إن شاء الله تعالى وذكر في ترجمة الحكيم معتمد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني الطبيب ما مثاله وكان أبو الحسن ابن صاعد حين توفي معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه وهو ابن بنته فنسب إليه وعرف به وذكر في كتاب أنموذج الاعيان من شعراء الزمان فمن أدركته بالسماع أو بالعيان أن ابن التلميذ المذكور كان متفننا في العلوم ذا رأي رصين وعقل متين طالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك والدر في السلوك اجتمعت به مرارا في آخر عمره وكنت أعجب في أمره كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه والله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان إذا ترسل استطال وسطا وإذا انتظم وقع بين أرباب النظم وسطا وأورد شيئا من شعره أيضا وذكره أبو المعالي الحظيري المتقدم ذكره في حرف الشين في كتابه زينة الدهر وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله

يا من رماني عن قوس فرقته * بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وذكر العماد في الخريدة البيت الثاني منسوبا إلى محمد بن حكينا البغدادي وضم إليه بعد هذا قوله

لو لم ينله من العقاب سوى * بعدك عنه لكان يكفيه

وذكر له الحظيري أيضا

عاتبت إذ لم يزر خيالك والنوم بشوقي إليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب

وما ذكره العماد في الخريدة فقال وأنشدني أبو المعالي هبة الله بن الحسين بن محمد بن عبد المطلب فقال أنشدني أبو الحسن بن التلميذ لنفسه

كانت بلهنية الشبيبة سكرة * فصحوت واستأنفت سيرة مجمل
وقعدت أرتقب الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل

ومأمنه عند الكرام لئام
قناعته أغنته عن كل حاجة
فذاك أمير والزمان غلام
(ومنها يقول)
وشأن الفتى لا يستقر بحالة
حوادث دهر ما لهن نظام
فسكر وصحو عزة ومذلة
سرور وغم صحة وسقام
لا عوام ملك غاية ونهاية
وأيام عز آخر وقام
وعمران أرض عرضة لخرابها
ولذات عمران علت سمام
فإن كنت عاقلا في شق تربة
وعدلت بعمريه وشمام
عمرا اعتبر بالخاويات على الثرى
أفيهما تعمر وهل ترى وقيام
(وله بالفارسية)
أين عاشق نه از خود اي پارسا خدا را
اكنون مكن سلامت درويش بي نوا را
من جام عشق جانان روز ازل كشيدم
زان دم خراب ومستم كويار آشنارا
زان روز اسير يارم در سوداي روز كارم
بي صبر وبي قرارم رحمي كن اين گدارا
حسنت عالم آرا عشقت حالت افزا
ديكر چه كونه كويم ياران باصفا را
مستي وباده نوشي از خود تنشه [illegible]
اي پير پاك مشرب علم شو خدارا

والثانى منهما ذكره ابن المنجم فى كتاب البارع لمسلم بن الوليد الانصارى وذكر أن محمد بن حكينا المذكور مرض فقصده ليعالجه فعالجه فلما عوفى أعطاه دراهم فعمل فيه شعرا

لما تيممته وبى مرض * الى التداوى والبر محتاج * آسى وواسى فعدت أشكره
فعل امرئ لهم فراج * فقلت اذ برنى وأبرأنى * هـذا طبيب عليه زرباج

وعمل فيه أيضا فى المعنى

بادواستنقذ المريض وقد كا * د ضنى ان يلف ساقا بساق
والذى يدفع المنون عن النفـ * ـس جدير بقسمة الارزاق

وقصد مرة ان يعبر اليه دجلة ليداويه فكتب اليه شعرا

ان امرأ القيس الذى * هام بذات المحمل
كانت شفاه عبرة * وعبرة تصلح لى

وكان ابن حكينا المذكور قد عمى فى آخر عمره وجرت بينهما منافرة فى أمر واشتهى مصالحته فكتب اليه

واذا شئت ان تصالح بشا * ر بن برد فاطرح عليه أباه

فسير اليه ما طلب واسترضاه وكانت له معه وقائع كثيرة وانما كتب اليه هذا البيت لان بشار بن برد كان أعمى كما تقدم ذكره فى ترجمته فلما عمى شبه نفسه به وكان مطلوبه بردا ومعنى قوله فاطرح عليه أباه لان عادة أهل بغداد اذا أراد الانسان ان يصالح من خاصمه والخصم ممتنع يقال له اطرح عليه فلانا يعنى ادخل عليه به ليشفع له وقد حصلت له التورية فى هذا البيت ومن الشعر المنسوب اليه وهو مشهور قوله ثم وجدتهما للناصح ابن الدهان النحوى الموصلى

نعس الزمان فللغرام قضية * ليست على نهج الحجى تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم * عرض وتفنى دونه الاجساد

وله أيضا وذكر العماد فى الخريدة ان هذين البيتين لابى على المهندس المصرى وهما

تقسم قلبى فى محبة معشر * بكل فتى منهم هواى منوط
كأن فؤادى مركز وهم له * محيط وأهوائى اليه خطوط

وله أيضا

جودة كالطبيب فيها يداوى * سوء أحوال الناعس المنيع
فهو كالمومياء اذا انكسر العظـ * ـم ومثل الترياق للملسوع

ثم وجدت هذين البيتين فى ديوان ابن الحجاج الشاعر وقوله فى ولده سعيد

حبى سعيدا جوهر ثابت * وحبه لى عرض زائل
به جهاتى الست مشغولة * وهو الى غيرى بها مائل

وكان أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المتقدم ذكره قد نقه من المرض وهو يعالجه فكتب اليه يشكو جوعه وقد نهاه عن استعمال الغذاء الا بامره والذى كتبه

أنا جوعان فانقذ * نى من هذى المجاعه
فرجى فى الكسرة الخبـ * ـز ولو كانت قطاعه
لا تقل لى ساعة تصـ * ـبر مالى صبر ساعه
فهواى اليوم لا يقـ * ـبل فى الخبز شفاعه

فوقف ابن التلميذ على هذه الابيات وكتب اليه جوابها

هكذا الضيفان مثلى * يتشاكون المجاعه
غير انى لست أعطيـ * ـك لمضر ابشفاعه
فتعلل بسويق * فهو خير من قطاعه
بعيانى قل لمالى * سمعا وطاعه

فلما وصلت الابيات الى ابن افلح كتب اليه الجواب

ان مرسومك عندى * قد توخيت استماعه
غير انى لم أقل من * بى سمعا وطاعه
ودفعت الجوع والسـ * ـه فلم استطع دفاعه
فاكفنى كافته الا * ن وجنبنى صداعه

فكتب اليه ابن التلميذ

أنا فى الشعر ضعيف الطبـ * ـع منزور البضاعه
ولك الخاطر قد أو * تى طبعا وصناعه
ومتى لم تكف شر الـ * ـجوع لم تكف صداعه
فعلى اسم الله قدم * أخذه من بعد ساعه

وكان

(وله أيضا)
عاشق كيسوى مشكينم
بكو جانانه را
شفقتى زنجيرى بايد چنين
ديوانه را
دارم اندر سينه مهران پرى
پيكر كنون
من بكنج آبا كردم كج اين
ويرانه را
حالت عشق وجنون از عاشق
ويرانه پرس
بيان مسن از من شنو اين
دلفريب افسانه را
انكسارم زانكه آمد تو بتم
در بزمى
سنك زد ساقى پيمان شكن
پيمانه را
دام ذلت راكى افتد همت
بلند بال
شاهباز اوج استغنا نخواهد
دانه را
(زلفت راغ نواى)
تليسه رايدودل قاتيسق
يارهوا يكن تدبيرايكا
هرنه دم كم بند بردم قيلمادى
تاثيرا كا
اينتبا بردم كوش نصيحت
أقلسنى كوش ايمدى
هرنى باب وفضلدن قيلمشم
تعزيرا كا
اوزا كه عالمه توشب تايدى
هو عالمدين خلاص
اوزاوزيدين هم بو توا يرش
مكر تقديرا كا
مين نى قلغاى مين قنا بزار
ينكر رسوا يبوز
هرنى كم تقدير قلغاى بولغاى
تقسيرا كا
فى معالجه من اثر تابقاى
فى ناصحدن تبهى

وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين أوحد الزمان أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا الحكيم المشهور
صاحب كتاب المعتبر في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ولهما في ذلك
أمور ومجالس مشهورة وكان يهوديا ثم أسلم في آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على
جسده بعد أن جوّعها فبالغت في نهشه فبرئ من الجذام وعمي وقصته في ذلك مشهورة فعمل فيه ابن التلميذ
المذكور

لنا صديق يهودي حماقته * اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبرا فعمل فيهما البديع الاسطرلابي المقدم ذكره

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه * أبو البركات في طرفي نقيض
فهذا بالتواضع في الثريا * وهذا بالتكبر في الحضيض

ولابن التلميذ في الطب تصانيف مليحة فمن ذلك كتاب أقراباذين وهو نافع في بابه وبه عمل أطباء هذا الزمان
وله كنانيش وحواش على كليات ابن سينا وغير ذلك وكان شيخه في الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب
التصانيف المشهورة منها كتاب التلخيص والمغني في الطب وهو جزء واحد وكتاب الاقناع وهو أربعة أجزاء
وقد انتقدوا عليه هذه التسمية وقالوا كان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لان المغني هو الذي يغني عن
غيره فكان الكتاب الأكبر أولى بهذا الاسم والاقناع هو الذي تقع القناعة به فالمختصر أولى بهذا الاسم وله
كل شيء مليح من تصنيف في طب أو أدب وكان حسن السمت كثير الوقار حتى قيل انه لم يسمع منه بدار
الخلافة مدة تردده اليها شيء من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي الخليفة وذلك انه كان له راتب بدار
القوارير ببغداد فقطع ولم يعلم الخليفة بذلك فاتفق انه كان عنده يوما فلما عزم على القيام لم يقدر عليه
الا بكلفة ومشقة من الكبر فقال له المقتفي كبرت يا حكيم فقال نعم يا مولانا وتكسرت قواريري وهذا في
اصطلاح أهل بغداد ان الانسان اذا كبر يقال تكسرت قواريره فلما قال الحكيم هذه اللفظة قال الخليفة
هذا الحكيم لم أسمع منه هزلا منذ خدمنا فاكشفوا قضيته فكشفوها فوجدوا راتب دار القوارير قد انقطع
فطالعوا الخليفة بذلك فتقدم بردها عليه وكان الذي قد قطعها الوزير عون الدين بن هبيرة وزاده اقطاعا آخر
وأخباره كثيرة وتوفي في صفر سنة ستين وخمسمائة ببغداد وقد ناهز المائة من عمره وقال ابن الازرق الفارقي في
تاريخه مات ابن التلميذ في عيد النصارى وكان قد جمع من سائر العلوم ما لم يجتمع في غيره ولم يبق ببغداد من
الجانبين من لم يحضر البيعة وشهد جنازته وليس في هذه الترجمة ما يحتاج الى التقييد سوى ملكا جد أوحد
الزمان وهو بفتح الميم واللام وبينهما كاف وبعد الالف نون وقد تقدم في ترجمة ابن الجواليقي
ما دار بينهما بحضرة الامام المقتفي قلت وبعد فراغي من ترجمة أمين الدولة بن التلميذ المذكور وقفت على
كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وجعله سيرة لنفسه وجمعه بخطه
وذكر في أوائله ابن التلميذ ووصفه بالعلم في صناعة الطب وإصابته ثم قال ومنها انه أحضرت اليه امرأة محمولة
لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات وكان الزمان شتاء فأمر بتجريدها وصب عليها الماء المبرد صبا متتابعا
كثيرا ثم أمر بنقلها الى مجلس دفيء قد بخر بالعود والندود فدثرت بأصناف الفراء ساعة فعطست وتحركت
وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها ومنها انه أتى مرة بمريض يعرق دما في زمن الصيف فسأل
تلاميذه وكانوا قدر خمسين نفسا فلم يعرفوا المرض فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ففعل ذلك ثلاثة أيام
فبرئ فسأله أصحابه عن العلة قال ان دمه قد رق ومسامه قد تفتحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم
وتكثيف المسام ومن مروءته ان ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية فاذا مرض فقيه نقله اليه وقام في
مرضه عليه فاذا أبل مرضه وذكر شيخنا موفق الدين قيل ان هذا ولد أمين الدولة المذكور وكان شيخه قد
انتفع به وكان شيخنا قد ناهز ثمانين سنة ولديه تجربة فاضلة وغوص على أسرار الطبيعة ري الامراض كانها
وراء حجاب لا يعتريه فيها ولا في مداواتها شك وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبه ولم أر من

ای محمد ناليغه ...
قوتيق ابرو تدبيرا كا
(وله أيضا)
جانغا يتدی زردو غم قيلاس
دی جانان انكا
اول جهاندين فارغ و بولاس
جهان حيران انكا
او فراغت عالميدوردر
الدين بی خبر
مين جنون دشتيده بولسم
زار و سرگردان انكا
آو رجك فريادين يتورگاه
اول قو ياش
يو نعالی دالاعمل تماس
دی افغان انكا
مين اوزه دين باردم او يار عاج
تغلردين بولغای
مين اوزمكا اول سكا كيا لك
امكان اعماس اكا
ای محمد نابدی كو يب جوره
جفا شيدا كونكل
مين نه قلغای مين و قاتيلاس
كونكل الغان اكا
(وله أيضا)
أفلا ترى لحالي أفلا
تر في العجب عني أفلا
قلت مر العيش والعمر
انقضى
قال لی مه كلما مر حلا
(وله أيضا)
اكر آن مى دهد جاني
بدر كاهش مسرمارا
وسد تركالمه مارفعت جرخ
والارا
توجی دردلبری افزون زمهر و
يان دهرا كنون
كه مه از روزن كردون همی
ايد تماشارا
وله أشعار تركية لطيفة
أضربنا عن ذكرها الشهرتها

يستحق الطب غيره وكان يقول ينبغي للعاقل أن يختار من الثياب ما لا تحسده عليه العامة ولا تحتقره فيه الخاصة وكان لباسه الابيض الرفيع ثم قال وخنق في دهليز داره الثلث الاول من الليل وكان قد أسلم قبل موته وفي نفسي عليه حسرات رحمه الله تعالى نقلته ملخصا

(أبو عبد الله هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي الاديب الفاضل)

وقد تقدم ذكر والده علي في حرف العين وكان هرون المذكور حافظا راوية للاشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة صنف كتاب البارع في اخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وقال في أوله اني لما عملت كتابي في اخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى اليه علمي والعلماء يقولون دل على عاقل اختياره وقالوا اختيار الرجل من وفور عقله وقال بعضهم شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من عقله واختياره قطعة من علمه وطول الكلام في هذا وذكر ان هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن وانه كان طويلا فحذف منه أشياء فاقتصر على هذا القدر وبالجملة فانه من الكتب النفيسة فانه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فانه اختصر أشعارهم وأثبت منها زبدتها وترك زبدها وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الاصبهاني وقلت ان كتاب الخريدة وكتاب الحظيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الاصل الذي نسجوا على منواله وله كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن ولم أظفر له بشئ من الشعر حتى أورده وذكر هو في كتابه البارع المذكور أباه أبا الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور وسرد له مقاطيع وقد ذكرته في ترجمة مفردة في حرف العين فلينظر هنالك ثم أردفه بذكر أخيه يحيى بن علي بن يحيى وعدله جملة مقاطيع أوردها ولا حاجة بنا الى ذكرها في هذا الموضع بل نذكرها في ترجمته ان شاء الله تعالى وتوفي أبو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين وهو حدث السن رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر أخيه يحيى بن علي في حرف الياء ان شاء الله تعالى وكان أبو منصور جد أبيه منجم أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان مجوسيا وكان ابنه يحيى متصلا بذي الرياستين الفضل بن سهل المقدم ذكره وكان الفضل يعمل برأيه في أحكام النجوم فلما حدثت الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها في ترجمته صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه فاجتباه واختص به ورغبه في الاسلام فاسلم على يده فصار بذلك مولاه وهم أهل بيت فيهم جماعة من الفضلاء والادباء والشعراء وجالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد لهم الثعالبي في كتاب اليتيمة بابا مستقلا وذكر فيه جماعة منهم رحمهم الله تعالى وتوفي يحيى المذكور بحلب عند خروج المأمون الى طرسوس ودفن بها في مقابر قريش وقبره هنالك مكتوب عليه اسمه

(أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي)

وقد تقدم ذكر أبيه في حرف العين وكان هشام أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين في الحديث المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة رضي الله عنهم وسمع من عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر رضي الله عنهما ورأى جابر بن عبد الله الانصاري وأنس بن مالك وسهل بن سعد وقيل انه رأى ابن عمر ولم يسمع منه وروى عنه يحيى بن سعيد الانصاري وسفيان الثوري ومالك بن أنس وأيوب السختياني وابن جريج وعبيد الله بن عبد الله بن عمر والليث بن سعد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون وكانت ولادته سنة احدى وستين للهجرة وقال أبو اسحق ابراهيم بن علي بن محمد الذهلي ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهري وقتادة والاعمش ليالي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين للهجرة وقدم بغداد على المنصور وتوفي بها سنة ست وأربعين

(ومن العلماء الاعيان السيد حسين بن سنان) ولد رحمه الله في قصبة نيكسار فخرج طالبا للعلم من هذه الديار فدار البلاد حتى انتظم في سلك أرباب الاستعداد ثم وصل الى خدمة المفتي أبي السعود وهو في مدرسة كليوزه فاشتغل عليه ثمان سنين فنال به أعلى المراتب ووصل الى أشرف المآرب ثم صار ملازما من المولى شمس الدين معلم السلطان سليمان ثم تقلد مدرسة الامير ببروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة عبد السلام بمكيجه بثلاثين ثم مدرسة قره كوز باشا بقصبة قليه بأربعين ثم مدرسة مناستر بخمسين ثم مدرسة زوجة السلطان سليمان بقسطنطينية ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى مكة واستقر فيها مدة خمس سنين وقد رأيت أهل الحرم يشكرونه ويدعون له بالخير ثم نقل الى قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء ادرنه ثم عزل وعين له كل يوم تسعون درهما بطريق التقاعد وتوفي سنة خمس وسبعين وتسعمائة ليلة العيد من ذي الحجة وكان المولى المرحوم مشاركا في كثير من العلوم مستوعبا أكثر أوقاته مطالعة الكتب النافعة

ومائة وقيل خمس وأربعين وقيل سنة سبع رضي الله عنه وصلى عليه المنصور ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي وقيل قبره بالجانب الغربي بخارج السوق نحو باب قطربل وراء الخندق على مقابر باب حرب وهو ظاهر وهناك معروف وعليه لوح منقوش انه قبر هشام بن عروة ومن قال انه بالجانب الشرقي قال ان القبر الذي بالجانب الغربي هو قبر هشام بن عروة المروزي صاحب عبد الله بن المبارك والله أعلم بالصواب وله عقب بالمدينة وبالبصرة وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن المنصور قال له يوما يا أبا المنذر تذكر يوم دخلت عليك أنا وأخوتي الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا اعرفوا لهذا الشيخ حقه فانه لا يزال في قومكم بقية ما بقي قال لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين فلما خرج هشام قيل له يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به اليه فتقول لا أذكره فقال لم أكن أذكر ذلك ولم يعودني الله في الصدق الا خيرا وروي عنه أنه دخل على المنصور فقال يا أمير المؤمنين اقض عني ديني فقال وكم دينك قال مائة ألف قال وأنت في فقهك وفضلك تأخذ دينا مائة ألف ليس عندك قضاؤها فقال يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا فأحببت ان أبوئهم وخشيت أن ينتشر علي من أمرهم ما أكره فبوأتهم واتخذت لهم منازل وأولمت عنهم ثقة بالله وبأمير المؤمنين قال فردد عليه مائة ألف استعظاما لها ثم قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف فقال يا أمير المؤمنين اعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس فاني سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطي والمعطى له قال فاني طيب النفس بها وأهوى الى يد المنصور يقبلها فمنعه وقال يا ابن عروة انا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك وأخباره كثيرة رضي الله عنه

(أبو المنذر هشام بن أبي النصر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة الكوفي)

قد تقدم ذكر أبيه في المحمدين وما جرى له مع الفرزدق الشاعر وحدث هشام عن أبيه وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن أبي السري البغدادي وأبو الاشعث أحمد ابن المقدام وغيرهم وكان هشام من أعلم الناس بعلم الانساب وله كتاب الجمهرة في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا الفن وكان من الحفاظ المشاهير وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عنه انه دخل بغداد وحدث بها وانه قال حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوما في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة وله من التصانيف شيء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب المنافرات وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس بن عيلان وكتاب الموؤدات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والاسلام وكتاب ألقاب قريش وكتاب ألقاب اليمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل وكتاب ادعاء معاوية زيادا وكتاب أخبار زياد ابن أبيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الازد وكتاب طسم وجديس وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفا وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الانساب ولم يصنف في بابه مثله وكتابه الذي سماه المنزل في النسب أيضا وهو أكبر من الجمهرة وكتاب الموجز في النسب وكتاب الفريد صنفه للمأمون في الانساب وكتابه الملوكي صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب أيضا وكان واسع الرواية لايام الناس وأخبارهم فمن روايته انه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان فعاتبوه في تفضيل عمرو بن العاص وادعائه زيادا ابن أبيه فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام فقال في بعض كلامه أنا الذي أقول في يوم صفين

اذا تخازرت وما بي من خزر * ثم كسرت العين من غير عور
ألفيتني ألوى بعيد المستمر * أحمل ما حملت من خير وشر
* كالحية الصماء في أصل الشجر *

وعباداته وقسط طالع كتبا كثيرة وجمع المسائل وكتب الفوائد وحرر الرسائل وكان رحمه الله رجلا صالحا دينا مشكور السيرة في قضائه والناس يبالغون في مدحه وثنائه ويكفيك ما جاء في الاخبار ونقله بعض الاخيار من أن واحدا من أهل مكة عرض عليه عشرين ألف دينار في قضية لا تستوجب الغائلة والضرر في وقت لا يطلع عليه فرد من افراد البشر فعبس وبسر وتولى وأدبر وطرده وكسر قلبه بل أراد ضربه فانظر الى أهل الرجولية ولامثالهم من الامداد الرسولية جزاه الله تعالى عز باحسانه وأسكنه في ارائك جنانه (ورثاه) ابنه الاكبر بعد الممات بقصيدة فلنذكر منها بعض الابيات

فلكل نفس أن تموت وتقبرا
ولكل أنف شامخ أن تعفرا
ولكل سيف لا محالة كلة
ولكل رمح الطاعن أن يتكسرا
ولكل روض أن يغير حسنه
من بعد أن قد صار روضا أزهرا
ولكل أمر غاية ونهاية
ولكل خطب العسر أن يتعسرا
أين السليل الطاهر الشيخ التقي
من كان في العلم الرئيس الاكبرا

أما والله ما أنا بالوانى ولا العانى وانى أنا الحية الصماء التى لا يسلم سليمها ولا ينام كليمها وانى أنا المرء ان همزت كسرت وان كويت أنضجت فمن شاء فليشأ ومن شاء فليؤم مع أنهم والله لو عاينوا من يوم الهرير ما عاينت أولو ولو اما وليت لضاق عليهم المخرج ولتفاقم بهم المنهج اذ شد علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام العشائر فهنالك والله شخصت الابصار وارتفع الشرار وتقلصت الخصى الى مواضع الكلى وقارعت الامهات عن ثكلها وذهلت عن حملها واحمر الحدق واغبر الافق والجم العرق وسال العلق وثار القتام وصبر الكرام وحام اللئام وذهب الكلام وأزبدت الاشداق وكثر العناق وقامت الحرب على ساق وحضر الفراق وتضاربت الرجال بأغماد سيوفها بعد فناء نبلها وتقصفت رماحها فلا يسمع يومئذ الا التغمغم من الرجال والتحمحم من الخيل الجياد ووقع السيوف على الهام كأنه دق غاسل بخشبته على منصته قد أبت ذلك يوما حتى ظعن الليل بغسقه وأقبل الصبح بفلقه ثم لم يبق من القتال الا الهرير والزئير لعلمهم انى أحسن بلاء وأعظم عناء واصبر على اللأواء وانى واياكم كما قال الشاعر

وأغضى على أشياء لو شئت قلتها * ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا
وان كان عودى من نضار فاننى * لاكره من أن أناط خروعا

والمأثور عنه كثير وتوفى سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست والاول أصح والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي)

صاحب أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي أخذ عنه كثيرا من النحو وله فيه مقالة تعزى اليه وله فيه تصانيف عديدة فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير وكتاب المختصر وكتاب القياس وغير ذلك وكان اسحق بن ابراهيم ابن مصعب قد كلم المأمون يوما فلحن في بعض كلامه فنظر اليه المأمون ففطن لما أراد فخرج من عنده وجاء الى هشام المذكور فتعلم عليه النحو وقال أبو مالك الكندي توفى هشام بن معاوية الضرير النحوي سنة تسع ومائتين رحمه الله تعالى

(أبو فراس همام الفرزدق)

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء همام بالتصغير ابن غالب وكنيته أبو الاخطل ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسمه بحر بن عوف سمي بذلك لجوده ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور صاحب جرير وكان أبوه غالب من جلة قومه وسراتهم وأمه ليلى بنت حابس أخت الاقرع بن حابس ولابيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة فمن ذلك انه أصاب أهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج أكثر الناس الى البوادي فكان هو رئيس قومه وكان سحيم ابن وثيل الرياحي رئيس قومه فاجتمعوا بمكان يقال له صوأر في أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وبعدها راء فعقر غالب لاهله ناقة وصنع منها طعاما واهدى الى قوم من بني تميم لهم جلالة جفانا من ثريد ووجه الى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتاه بها وقال أنا مفتقر الى طعام غالب اذا نحر هو ناقة نحرت أنا أخرى فوقعت المنافرة بينهما وعقر سحيم لاهله ناقة فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين فعقر سحيم لاهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثا فعقر سحيم ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيأ وأسرها في نفسه فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر أن ابله كانت غائبة وعقر ثلثمائة ناقة وقال للناس شأنكم والاكل وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاستفتي في حل الاكل منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير مأكلة ولم يكن المقصود منها الا المفاخرة والمباهاة فالقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم وهي قصة مشهورة وعمل فيها الشعراء أشعارا كثيرة

قاضي قضاة المسلمين على الهدى
شمخا ترى في الفضل بحرا أخضرا
حسن الفعال كاسمه وصفاته
فيمثله متكاملا من أبصرا
وكفى له كون ابن بنت المصطفى
شرفا على جم الفخار ومفخرا
لو رمت أحصر حسن مناقب فضله
لعييت اذ تبيان الحسنى لن تحصرا
ما كان تبصر أعين من قبله
أن يلحد البحر العظيم ويقبرا
طويت مناشر جوده من بعد أن
كانت له أعلام فضل تنشرا
قضى لدعوة ربه المادي
متشوقا فاستشكر امستبشرا
لا زال تسقى من غوادي رحمة
روضاته عطرا وطيبا عنبرا
يا رب روح روحه في قبره
ما أقبل الريح النسيم وأدبرا
والله ما أنسى لذاكركم
حتى أموت على الفراش واحشرا
ان كنت عانق التراب مغيبا
ماذا كريك الجمود عناه مصورا
أنت الذي أسهدتني بفراقه
ما كنت أدري قبله دلج السرى
طوبى لقبر أنت فيه مضاجع
قد جاور البدر الزهي الانورا
لا زلت في روض النعيم مخلدا
يا خير من صلى وصام وأفطرا
وسقاك ربك من حياض جنانه
يوم القيامة ماء طهورا كوثرا

فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق وهو بيت تستشهد به النحاة في كتبهم وهو من جملة قصيدة

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

ومن ذلك قول الحلي أخي بني قطن بن نهشل

وقد سرني ان لا تعد مجاشع * من المجد الا عقر ناب بصوأر

وكان غالب المذكور أعور وحقيم المذكور هو ابن وثيل عمرو بن جوين بن وهيب بن حميري الشاعر الذي يقول

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

وهذا البيت من جملة أبيات وله ديوان شعر صغير والوثيل الرشاء الضعيف وقيل الليف وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به الا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه فمن ذلك ما حكاه المبرد في كتاب الكامل ان الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولى تميم بن زيد القيني بلاد السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت اني استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال لها ما شأنك قالت ان تميم بن زيد خرج بابن لي معه ولا قرة لعيني ولا كاسب على غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي * بظهر فلا يعيا علي جوابها

فهب لي خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة السافي عليها ترابها

وقد علم الاقوام انك ماجد * وليث اذا ما الحرب شبت شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم فلم يعرف أخنيس أم حبيش ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا فاذا أصيب ستة ما بين خنيس وحبيش فوجههم اليه وحضر يوما الفرزدق ونصيب الشاعر المشهور عند سليمان بن عبد الملك الاموي وهو يومئذ خليفة فقال سليمان للفرزدق أنشدني شيأ وانما أراد سليمان أن ينشده مدحا له فانشده في مدح أبيه

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح وهي تلفهم * الى شعب الاكوار ذات الحقائب

اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

فاعرض سليمان عنه كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها قال هات فانشده

أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان انني * لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فاثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه فقال هو أشعر أهل جلدته ثم قام وهو يقول

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

وكان نصيب عبدا أسود لرجل من أهل وادي القرى فكاتب على نفسه ومدح عبد العزيز بن مروان فاشترى ولاءه وكنيته أبو الحناء وقيل أبو محجن وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة وأما جده صعصعة بن ناجية فانه كان عظيم القدر في الجاهلية واشترى ثلاثين موؤدة منهن بنت لقيس بن عاصم المنقري وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به

وجدي الذي منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهو أول من أسلم من أجداد الفرزدق وقد ذكره في كتاب الاستيعاب في جملة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجرير والمفاضلة بينهما والاكثرون على ان جريرا أشعر منه وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو مشهور وقد جمع لهما كتاب يسمى النقائض وهو من الكتب المشهورة وكان جرير قد هجاه بقصيدته الرائية التي من جملتها

(ومن هؤلاء السادة المولى مصلح الدين المشهور بداود زاده)

قرأ رحمه الله على أفاضل عصره وأماثل دهره منهم المولى محيي الدين الشهير بقصاب الدين زاده ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم تولى مدرسة جند بك ببروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة سليمان باشا بقصبة تكي شهر بثلاثين ثم بها ثانيا بأربعين ثم مدرسة قاسم باشا خارج قسطنطينية ثم نقل عنها الى مدرسة مناستر ثم الى مدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة سليمخان ثم قلد قضاء المدينة المنورة يحكى انه لما دخل الحرم أعتق مماليكه واجتهد في أداء مناسك الحج واهتم غاية الاهتمام وبعد قليل انتقل الى جوار ربه السميع ودفن بالبقيع وكان المرحوم صاحب يد في العلوم سهل الانقياد صحيح الاعتقاد ذا همة علية وسماحة جلية راعى مع الاخوان الخلان الحقوق السابقة اذا نزلت بالثقة وبالجملة كان رحمه الله صاحب عزم وحزم الا أن في محصله ابن حزم الذي قال في شانه بعض أرباب البيان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان جعلهما الله سببا تمحيا وضاعف حسناتهما وقد علق رحمه الله في أثناء الدرس حواشي على بعض المواضع من شرح المفتاح للشريف الجرجاني

وكنت اذا حلت بدار قوم * ظعنت بخزية وتركت عارا

فاتفق بعد ذلك أن الفرزدق نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قضية يطول شرحها وخلاصتها الامرأنه راودها عن نفسها بعد ان كانت قد اضافته وأحسنت اليه فامتنعت عليه فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يومئذ والى المدينة فأمر باخراجه من المدينة فلما اخرج وأركبوه ناقته ليفنوه قال قاتل الله ابن المراغة يعني جريرا كأنه شاهد هذا الحال حيث قال * وكنت اذا حلت بدار قوم * وأنشد البيت المذكور وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة فقال له قد أجزنا شهادتك ثم قال لاصحاب القضية زيدونا في الشهود فقيل للفرزدق حين انفصل عن مجلس القاضي انه لم يجز شهادتك فقال وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة ومن شعره المشهور قوله وهو مقيم بالمدينة

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعا الاسباب لايشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغت جريرا الابيات عمل من جملة قصيدة طويلة

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزواز قصير القوادم

يوصل حبليه اذا جن ليله * ليرقى الى جاراته بالسلالم

تدليت تزني من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان اخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها

وان حراما أن أسب مقاعسا * بآبائي الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفا لو سببت وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * وأعتد أن أهجو كليبا بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولا اجتمعوا وجاؤا الى مروان بن الحكم الاموي وكان يومئذ والى المدينة من قبل معاوية بن أبي سفيان الاموي فقالوا له مايصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان لست أحده أنا ولكن اكتب الى من يحده ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله ثلاثة أيام وفي ذلك يقول الفرزدق

توعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله يأمره فيه أن يحده و يسجنه وأوهمه انه قد كتب له بجائزة ثم ندم مروان على مافعل فوجه خلفه سفيرا وقال اني قلت شعرا فاسمعه ثم أنشد

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة انها مرهوبة * واقصد لمكة أو لبيت المقدس

واذا اجتنبت من الامور عظيمة * فخذن لنفسك بالدفاع الاكيس

قوله فاجلس أي اقصد الجلساء وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لان الجلوس في اللغة هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الابيات فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال

يا مروان مطيتي محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس

وحبوتني بصحيفة مختومة * يخشى علي بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لاتكن * نكدا كمثل صحيفة المتلمس

واذ ذكرنا صحيفة المتلمس فقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب أن يعلم قصتها ومن خبرها ان المتلمس واسمه

(ومن الملقى اليه الدهر قياده فتقدم على كثير من الافاضل على خلاف العادة وتحرك في ميادين العز كيف يشاء المولى محمود معلم الوزير الكبير محمد باشا) * ولد بقصبة سراي ثم خرج منها راغبا في التحصيل والاستفادة واشتغل على كثير من الافاضل والسادة وقرأ على المولى عبد الباقي والمولى صالح وصار ملازما من المولى محيي الدين الشهير بالمعلول ثم درس في مدرسة خاص كسوي بعشرين ثم مدرسة خواجه خير الدين بقسطنطينية بخمسة وعشرين ثم بها ثانيا بثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بقسطنطينية باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة أبي أيوب الانصاري ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى المدارس التي بناها السلطان سليمان ثم ولي قضاء القاهرة فبعد شهرين من الظفر بالمرام والدخول الى مصر ذات الاهرام توفي في رابع محرم الحرام سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم مشاركا في بعض العلوم صحيح العقيدة صاحب الاخلاق الحسنة لايؤذي الناس مع كمال قدرته ونهاية مكنته وقد باشر القضاء بكمال الاستقامة جزاه الله بزيد احسانه يوم القيامة

* (ومنهم العالم العامل

جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوقل بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة الاضجم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وانما لقب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها وبعدها سين مهملة كان قد هجا عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة وهجاه أيضا طرفة بن العبد البكري الشاعر المشهور وهو ابن أخت المتلمس المذكور فاتصل هجوهما بعمرو بن هند المذكور فلم يظهر لهما شيأ من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل منهما كتابا الى عامله بالحيرة وأمره بقتلهما اذا وصلا اليه وأوهمهما انه قد كتب لهما بصلة فلما وصلا الى الحيرة قال المتلمس لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك ولو أراد أن يعطينا لاعطانا ولم يكتب لنا الى الحيرة فهلم ندفع كتبنا الى من يقرؤها فان كان فيها خير دخلنا الحيرة وان كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا فقال طرفة بن العبد ما كنت لافتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لافتحن كتابي ولاعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده فنظر المتلمس فاذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال نعم فقال هلم فاقرأ هذا الكتاب فلما نظر اليه الغلام قال ثكلت المتلمس أمه فقال الطرفة افتح كتابك فما فيه الا مثل ما في كتابي فقال ان كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ علي وتوغر صدور قومي بقتلي فالقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفر الى الشام ودخل طرفة الحيرة فقتل وقصته في ذلك مشهورة فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لكل من قرأ صحيفة فيها قتله والى هذا أشار الحريري في المقامة العاشرة بقوله ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس وللابله الشاعر المتقدم ذكره في المحمدين قصيدة يقول فيها

يقرأ اللئيم من صحيفة نده * في الهجر مثل صحيفة المتلمس

(رجعنا الى تتمة خبر الفرزدق)

ثم خرج هاربا حتى أتى سعيد بن العاص الاموي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فأخبرهم الخبر فأمر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة وتوجه الى البصرة وقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه (ومن أخبار الفرزدق) ما حكي انه نزل في بعض أسفاره في بادية وأوقد نارا فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشد

وأطلس عسال وما كان صاحبا * دعوت بناري موهنا فأتاني

فلما أتى قلت ادن دونك انني * واياك في زادي لمشتركان

فبت أقسم الزاد بيني وبينه * على ضوء نار مرة ودخان

وقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفي في يدي بمكان

تعش فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من ياذئب يصطحبان

وأنت امرؤ ياذئب والغدر كنتما * أخيين كانا أرضعا بلبان

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى * رماك بسهم أو شباة سنان

وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الاموي قصيدة ميمية فلما انتهى منها الى قوله

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى شمام

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

كأن مغالق الرمان فيه * وجمر غضى قعدن عليه حامي

فقال له سليمان قد أقررت عندي بالزنا وأنا امام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال الفرزدق ومن أين أوجبت علي يا أمير المؤمنين فقال يقول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فقال الفرزدق ان كتاب الله يدرؤه عني بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فانا قلت ما لم أفعل فتبسم سليمان وقال أولى لك * وتنسب اليه مكرمة يرجى له بها الجنة وهي انه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب

المولى مصلح الدين الشهير بمعلم السلطان جهانكير) * وقد نشأ رحمه الله في القرية القريبة آكدروش على تحصيل العلوم شمر عن ساق الاجتهاد حتى تميز وانتظم في سلك أرباب الاستعداد وسلك في الطريقة المعتاده حتى وصل الى خدمة المولى الشهير بجوي زاده ثم وصل الى خدمة المولى عبد الواسع فنال به ما نال وحصل عنده الاكمال فلما صار ملازما منه قلده المدرسة التي بناها بقصبة كوتوقيه بعشرين ثم زاد في وظيفته فصارت خمسة وعشرين ولما توفي المولى المزبور تقاعد في المدرسة وتشبث بذيل القناعة واشتغل بتهذيب نفسه بقدر الاستطاعة ولما مضى عليه برهة من الزمان نصب معلما للسلطان جهانكير ابن السلطان سليمان فدام على تعليمه الى أن أخمد الدهر ناره وعفى آثاره وعين له كل يوم خمسون درهما على طريق التقاعد ثم زيد عليه عشرون فدام عليه حتى أدركه ريب المنون وذلك في المحرم سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله عالما عاملا وربما ديناسريع الفهم قوي الذهن حسن الاخلاق طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه

(ومن العلماء الاخيار المولى محيي الدين الشهير بابن النجار)

له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك اذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام فيملكوه وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامي من هو يا أبا فراس فقال

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى الى ذروة العز التي قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
في كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته * كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه * جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * تستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام اذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الفناء أريب حين يعتزم
عم البرية بالاحسان فانقشعت * عنها الغياهب والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة أزمت * والاسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى ديم
أي الخلائق ليست في رقابهم * لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * والدين من بيت هذا ناله الامم

ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال انا أهل بيت اذا وهبنا شيأ لا نستعيده فقبلها وقال محمد بن حبيب المتقدم ذكره صعد الوليد بن عبد الملك المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا فقيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاخرم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق فكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية وأخبار الفرزدق كثيرة والاختصار أولى وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوما وقيل بثمانين يوما وقال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب شذور العقود انهما توفيا سنة احدى عشرة ومائة وقال العسكري ان الفرزدق لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتوفي سنة عشرة وقيل اثني عشر وقيل أربع عشرة ومائة وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ان الفرزدق أصابته الدبيلة فقدم البصرة وأتى بطبيب فسقاه قار البيض فجعل يقول أتعجلون لي القار وأنا في الدنيا ومات وقد قارب المائة والله تعالى أعلم وقد سبق في ترجمة جرير ما قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق فاغنى عن الاعادة رحمهما الله تعالى وذكر المبرد في كتاب الكامل قال التقى الحسن البصري والفرزدق في جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس قال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم

ولكن

نشأ رحمه الله في قصبة أسكوب فرج منها طالبا للمعارف ومستفيدا من كل عارف واتصل بالمولى اسحق فاكثر من التحصيل والاستفادة حتى صار ملازما منه بطريق الاعادة ثم درس بالمدرسة الوسطى بقصبة تيره بعشرين ثم مدرسة الامير حمزة بمدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة عبد السلام بمكحه بثلاثين ثم مدرسة محمد باشا بقصبة صوفيه بأربعين ثم المدرسة الحلبية بادرنه بخمسين ثم نقل الى سلطانية بروسه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم ولي قضاء بغداد ثم عزل عنه وعين له كل يوم سبعون درهما بطريق التقاعد توفي رحمه الله سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله عالما فاضلا أديبا لبيبا صاحب طبع سليم وذهن مستقيم لذيذ الصحبة حلو المشاربة عاريا عن التصلف والكبر صافيا عن العقبات والتسير وكان رحمه الله ينظم الشعر بالتركي والعربي (فمن نظمه)

يا من خلق الخلق على أحسن ذات
ميزت ذوي النطق باعلى الدرجات
في كل صفاتك من كل جهات
طوبى لنفوس بذلت أنفس شئ

ولكن ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ ستين سنة فزعم بعض التميمية ان الفرزدق رؤى في المنام فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفر لي فقيل باى شئ فقال بالكلمة التى نازعنيها الحسن وهمام بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى وناجية بالنون والجيم المكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها وعقال بكسر العين المهملة وفتح القاف ومحمد بن سفيان هو أحد الثلاثة الذين سموا محمدا في الجاهلية وذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف وقال السهيلي في كتاب الروض الانف لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه وانه يبعث في الحجاز أن يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم بالكتاب الاول فاخبرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك واما مجاشع فهو بضم الميم وفتح الجيم وبعد الالف شين معجمة مكسورة ثم عين مهملة ودارم بفتح الدال المهملة وبعد الالف راء مكسورة وبعدها ميم وبقية النسب معروف والفرزدق بفتح الفاء والراء وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وبعدها قاف وهو لقب عليه واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيبه به فقال في أدب الكاتب الفرزدق قطع العجين واحدتها فرزدقة وانما لقب به لانه كان جهم الوجه وقال في كتاب طبقات الشعراء انما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتيتة التى تشربها النساء وهى الفرزدقة والقول الاول أصح لانه كان أصابه جدرى في وجهه ثم برأ منه فبقى وجهه جهما متغضنا وروى ان رجلا قال له يا أبا فراس كأن وجهك أحراح مجموعة فقال له تأمل هل ترى فيها حر أمك والاحراح بحاءين مهملتين جمع حرح وهو الفرج فحذفت في المفرد الحاء الثانية فبقى حر ومتى جمع عادت الحاء الثانية فقالوا أحراح لان الجمع يرد الاشياء الى أصولها وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمه وهى النوار بفتح النون ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي وجدها ضبيعة هو الذى عقر الجمل الذى كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل رضى الله عنها وكان قد خطبها يعنى النوار رجل من قريش فبعثت الى الفرزدق تسأله أن يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشام من هو أقرب اليك منى وما آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك على فأشهدى انك قد جعلت أمرك الى ففعلت فخرج بالشهود وقال لهم قد أشهدتكم انها جعلت أمرها الى وأنا أشهدكم انى قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدق فغضبت من ذلك واستعدت عليه وخرجت الى عبد الله بن الزبير وأمر الحجاز والعراق يومئذ اليه وخرج الفرزدق أيضا اليه فأما النوار فنزلت على خولة بنت منظور بن زبان الفزارى امرأة عبد الله بن الزبير فرفعتها وسألتها الشفاعة لها وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير وهو ابن خولة المذكورة ومدحه فوعده الشفاعة فتكلمت خولة في النوار وتكلم حمزة في الفرزدق فأنجحت خولة وأمر عبد الله ابن الزبير ان لا يقربها حتى يصيرا الى البصرة فيحتكما الى عامله عليها فخرجا وقال الفرزدق في ذلك

اما بنوه فلم تنجح شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

ثم ان الفرزدق اتفق معها وبقى زمانا لا يولد له ولد ثم ولد له بعد ذلك عدة أولاد وهم لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة وكلهم من النوار وليس لواحد منهم عقب الا من النساء وقال ابن خالويه ومن أولاد الفرزدق كلطة وجلطة والله أعلم ثم ان الفرزدق طلق النوار لامر يطول شرحه وندم على ذلك وله فيها أشعار فمنها قوله

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

وله في ذلك اخبار ونوادر يطول شرحها وليس هذا موضع استيفائه ومات الفرزدق ابن صغير فصلى عليه ثم

في حبك يا معطي أسباب
نجاتي
طوعا وقبولا حين العقبات
ما كنت على عمرى من
عمرى حينا
أسرفت مدى العمر لاجل
الشهوات
لكن مرارا من كيس حياتى
من جاء الى بابك بالتوبة
الهى
اذ يسقط بالاوب كاوراق
نبات
لا ترجع خذوا أجرام عصاة
أرجو بك أن تعفو يا غافر
ذنبي
اذ كنت مقرا بوقوع
السقطات
كلا وجميعا وقت الدعوات

(ومنهم المولى عبد الرحمن المشتهر بالمارزاده)

توفى أبوه مدرسا بسلطانية بروسه ولما توجه المرحوم نحو تحصيل المعارف والعلوم صاحب الاهالى والاعالى حتى صار ملازما من المفتى علاء الدين على الجمالى ثم تولى بعض المدارس وحصل مزاول العلوم وممارس حتى قلد مدرسة أورخ باشا بقصبة دكوز بخمسة وعشرين ثم مدرسة المولى المشتهر بابن الحاج حسن بثلاثين ثم مدرسة المولى عرب بقصبة تيرة بأربعين ثم القلندرية بالوظيفة الاولى ثم المدرسة الحلبية بخمسين ثم مدرسة أبي أيوب الانصاري ثم احدى المدارس الثمان ثم مدرسة

التفت الى الناس فقال وما نحن الا مثلهم غير اننا * أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل
فمات بعد ذلك بايام قلائل رحمه الله تعالى

(أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبي اسحق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون ابن حيون الصابي الحراني الكاتب)

هو حفيد أبي اسحق الصابي صاحب الرسائل المشهورة وقد سبق ذكر جده في حرف الهمزة سمع هلال المذكور أبا علي الفارسي النحوي المقدم ذكره وعلي بن عيسى الرماني المقدم ذكره أيضا وأبا بكر أحمد ابن محمد بن الجراح الخراز وغيرهم وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبوه المحسن صابئا على دين جده ابراهيم فأسلم هلال المذكور في آخر عمره وسمع من العلماء في حال كفره لانه كان يطلب الادب ورأيت له تصنيفا جمع فيه حكايات مستملحة وأخبارا نادرة وسماه كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان وهو مجلد واحد ولا أعلم هل صنف سواه أم لا وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين جمع فيه كثيرا من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب فمنها ما نقلته منه ان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو عم السفاح وأبي جعفر المنصور أنفذ الى ابن أخيه السفاح في أول ولايتهم مشيخة من أهل الشام يطرفه بعقولهم واعتقادهم وانهم حلفوا انهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم ونقلت منه أيضا حكاية وان كانت سخيفة لكنها ظريفة ولا بد في المجاميع من الاحماض ومزج الهزل بالجد والحكاية المذكورة هي ان أبا سعيد ماهك بن بندار المجوسي الرازي كان من كبار الديلم المشهور بتخلفهم الشائعة فيه أخبارهم وكان يكتب لعلي بن سامان أحد قواد الديلم فأراد الوزير أبو محمد المهلبي أن ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له وقد أراد الخروج من عنده يا أبا سعيد لا تبرح من الدار حتى أوقفك على شيء أريده منك فقال السمع والطاعة لامر سيدنا الوزير ونهض من بين يديه فقال الوزير هذا رجل مجنون وربما طال في الشغل وضاق صدره فانصرف فتقدموا الى البواب ان لا يدعه يخرج من الباب فجلس ماهك طويلا وأراد دخول الخلاء فقام يطلب ذلك فرأى الاخلية مقفلة وكان قد تقدم الوزير بذلك وقال كان دار أبي جعفر الصيمري متنشفة الرائحة لاجل خلاء كان بها للعامة الناس فوجد ماهك الخلاء الخاص غير مقفل وعليه ستر مسبل فرفع الستر ليدخل فجاء الفراش فمنعه ودفعه فقال يا هذا أليس هذا الخلاء فقال بلى فقال أريد أن أعمل فيه حاجتي فلم تمنعني قال هذا الخلاء خاص لا يدخله غير الوزير وقال فبقية الاخلية مقفلة فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعني البواب فأخرى في ثيابي فقال الفراش استأذن في دخول الخلاء ليتقدم الشد بذلك ويفتح لك أحد الاخلية فتقضي حاجتك فاشتد به الامر فكتب الى الوزير رقعة وقال فيها قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك الى بعض ما يحتاج اليه الناس ولا يحسن ذكره والفراش يقول لا تدخل والبواب يقول لا تخرج وقد تعذر المضيق البين والامر في الشدة فان رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بان يعمل ما يحتاج اليه في خلائه فعل ان شاء الله تعالى والسلام ورفع الرقعة الى بعض الحجاب فأوصلها الى الوزير فلم يعلم ما أراد بالرقعة فاستعلم ما الصورة فعرف بها فضحك واستلقى على ظهره ووقع على ظهر الرقعة يخرى أبو سعيد أعزه الله حيث يختار ان شاء الله تعالى فجاء الحاجب بها فأخذها ودفعها الى الفراش وقال هذا ما طلبت وهو توقيع سيدنا الوزير فقال الفراش التوقيعات يقرؤها أبو العلاء بن ايرونا كاتب ديوان الدار وأنا لا أحسن ان أكتب ولا أقرأ فصاح ماهك في الدار هات من يقرأ في الدار صاح الخرا فضحك فراش آخر وأخذه بيده وحمله الى بعض الخرحتى قضى حاجته ونقلت من هذا الكتاب أيضا ان ارطاة بن سمية دخل على عبد الملك بن مروان وكان قد أدرك الجاهلية والاسلام فرآه عبد الملك شيخا كبيرا فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده

السلطان بايزيد خان بادرنه ثم قلد قضاء المدينة على ساكنها أفضل الصلوات ما تعاقب النور والظلمات ثم عزل ثم قلد قضاء حلب ثم عزل وتوفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله معروفا بالعلم وجمع الاماثل في زمن تدريسه فضلا أماجد المحاضرة مقبول المناظرة محمود السيرة في قضائه وقد رأيت أهل المدينة يبالغون في ثنائه رحمه الله تعالى وأحسن اليه يوم جزائه

(ومنهم العالم الفاضل فخر الاماجد والافاضل الذي تفتخر به الادوار والازمان المولى مصلح الدين المشتهر ببستان)

ولد رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعمائة بقصبة تيره فلما نشأ وشب وبلغ أوان الطلب ترك التواني والتناعس وهجر التقاعد والتقاعس فخرج من تلك البلاد وتشبث بذيل السعي والاجتهاد حتى انتظم في سلك أرباب الاستعداد واجتمع من الافاضل بمن يمكن معه الاجتماع كالمولى محيي الدين الفناري والمولى شجاع ثم عطف الزمام نحو الاشتغال على المولى الاعظم المشتهر بابن الكمال فجعل العكوف على التحصيل لزاما فنال من العلوم غنائم وزماما واحرز عنده من الفضائل ما احرز سابق في مضمار المعارف ثم وجرى في

رأيت المرء تأكله الليالي * كأكل الأرض ساقطة الحديد * وما تبغي المنية حين تأتي
على نفس ابن آدم من مزيد * واعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه لانه كان يكنى بابي الوليد وعلم أرطاة بسهوه وزلته فقال يا أمير المؤمنين اني أكنى بابي الوليد وصدقه الحاضرون فسرى عن عبد الملك قليلا ونقلت منه أيضا ان أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموفق قرأ على الموفق كتابا فلم يفهم معناه وقرأه الموفق ففهمه فقال فيه عيسى بن القاشي

أرى الدهر يمنح من جانبه * ويهدي الحظوظ الى عائبه * وكم طالب سببا معجزا
فأعيا عياه على طالبه * ومن عجب الدهر ان الأمير * أصبح أكتب من كاتبه

والموفق المذكور هو ابن أحمد طلحة بن المتوكل وهو والد المعتضد الخليفة العباسي ونقلت منه أيضا ان اعرابيا شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الاعرابي فصاح به صائح من خلفه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت اليه فاذا هو رجل من بني لهب بكسر اللام وهم من بني النضر بن الازد وهم أزجر قوم وقد أشار كثير عزة الى ذلك في قوله سألت أخا لهب ليزجر زجرة * وقد صار زجر العالمين الى لهب
قال الاعرابي فلما وقفنا لرمي الجمار اذ حصاة قد صكت صلعة عمر رضي الله عنه فأدمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين والله لا يقف هذا الموقف بعدها فالتفت اليه فاذا هو اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول وهذه الحكاية في كتاب الكامل أيضا وقوله دعاه باسم ميت انما قال ذلك لان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقال له يا خليفة رسول الله فلما توفي وتولى عمر رضي الله عنه قيل له خليفة خليفة رسول الله فقال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا أمر يطول شرحه فان كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنتم المؤمنون وانا أميركم فقيل له يا أمير المؤمنين فهو أول من دعي بهذا الاسم وكان لفظ الخليفة مختصا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فلهذا قال دعاه باسم ميت وذكر عمر بن شبة المتقدم ذكره في أخبار البصرة عن الشعبي ان أول من دعا لعمر رضي الله عنه على المنبر أبو موسى الاشعري بالبصرة وهو أول من كتب لعبد الله أمير المؤمنين فقال عمر اني لعبد الله واني لعمر واني لأمير المؤمنين وقال عوانة أول من سماه أمير المؤمنين عدي بن حاتم الطائي وأول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وقال غيره جلس عمر يوما فقال والله ما ندري كيف نقول أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا خليفة أبي بكر فانا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن جاء بعدي يقال له خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل اسم قالوا الامير قال كلكم أمير قال المغيرة نحن المؤمنون وأنت أميرنا فأنت أمير المؤمنين والله أعلم وقد خرجنا عن المقصود وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

(أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء الطائي الثعالي البحتري الكوفي)

كان راوية اخباريا ينقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير وكان أبوه نازلا بواسط وكان خيرا وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم فأورد معايبهم وأظهرها وكانت مستورة فكره لذلك ونقل عنه انه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء فحبس لذلك عدة سنين ويقال انه نقل عنه زور ولبسوا عليه ما لم يقله وكان قد صاهر قوما فلم يرضوه فاذاعوا ذلك عنه وحرفوا الكلام وكان يرى رأي الخوارج وله من الكتب المصنفة كتاب المثالب وكتاب المعمرين وكتاب بيوتات العرب وكتاب بيوتات قريش وكتاب هبوط آدم عليه السلام وافتراق العرب ونزولها منازلها وكتاب نزول العرب بخراسان والسواد وكتاب نسب طي وكتاب مدح أهل الشام وتاريخ العجم وبني أمية وكتاب من تزوج من

عيد انها الى أبعد أمد وبقي بيت التقدم على أبيت عبد وصار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم تقلد مدرسة المولى يكان بمدينة بروسه ثم عزل له بعض الامور واقتضت بعض الحيثيات اختياره قضاء بعض القصبات ثم رجع عنه بعد ما باشر القضاء برأيه الرصين وأخذ مدرسة المولى عرب بقصبة ثيره بأربعين ثم ساعده الدهر وأعانه الزمان حيث انتسب الى زوجة السلطان سليمان فأعطته مدرسته المبنية في قسطنطينية المحمية فبعد قليل من الزمان نقل الى احدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء بروسه ثم قضاء ادرنه ثم قضاء قسطنطينية فلما وصلت مدة قضائه الى أربع سنين ولي قضاء العسكر بولاية أناطولي فبعد عشرة أيام توفي المولى الشيخ محمد المشتهر بجوي زاده وهو قاضي بالعسكر بولاية روم ايلي فنقل المرحوم الى مكانه واستقر فيه خمس سنين ثم عزل وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما (وتوفي في العشر الاخير من رمضان سنة سبع وسبعين وتسعمائة) ودفن ليلة القدر بقرب زاوية السيد البخاري خارج قسطنطينية كان رحمه الله من أكابر العلماء والفحول الفضلاء تنشرح النفوس بروايته

الموالي في العرب وكتاب الوفود وكتاب خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب تاريخ الاشراف الكبير وكتاب تاريخ الاشراف الصغير وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب كنى الاشراف وكتاب خواتم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب المواسم وكتاب الخوارج وكتاب النوادر وكتاب التاريخ على السنين وكتاب اخبار الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووفاته وكتاب اخبار الفرس وكتاب عمال الشرط لامراء العراق وغير ذلك من التصانيف واختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم قال الهيثم قال لي المهدي ويحك يا هيثم ان الناس يخبرون عن الاعراب بجهاواثها وكرما وسماحا وقد اختلفوا في ذلك فما عندك فقلت على الخبير سقطت خرجت من عند أهلي أريد دار قرابة لي ومعي ناقة أركبها اذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت فادركتها ونظرت فاذا خيمة اعرابي فأتيتها فقالت ربة الخباء من أنت فقلت ضيف فقالت وما يصنع الضيف عندنا ان الصحراء لواسعة ثم قامت الى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ولم ألبث ان جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال من الرجل فقلت ضيف فقال مرحبا حياك الله ثم قال يا فلانة ما أطعمت ضيفك شيأ فقالت لا فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم أتاني به وقال اشرب فشربت شرابا هنيأ فقال ما أراك أكلت شيأ وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل اليها مغضبا وقال ويلك أكلت وتركت ضيفك فقالت وما أصنع به أطعمه طعامي وجاراها في الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج الى ناقتي فنحرها فقلت ما صنعت عافاك الله فقال لا والله ما يبيت ضيفي جائعا ثم جمع حطبا واجج نارا وأقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي اليها ويقول كلي لا أطعمك الله حتى اذا أصبح تركني ومضى فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر اليه من النظر فقال هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده فضمني الليل الى خباء فسلمت فردت السلام صاحبة الخباء وقالت من الرجل فقلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت الى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزا وثرته بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت كل واعذر فلم ألبث ان أقبل اعرابي كريه الوجه فسلم فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل الى أهله فقال أين طعامي فقالت أطعمته الضيف فقال أتطعمين الضيف طعامي فجاراها في الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج الي فقال وما يضحكك قلت خير فقال والله لتخبرني فاخبرته بقصة المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله فاقبل علي وقال ان هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل وتلك التي عنده أختي فبت ليلتي متعجبا وانصرفت وأغرب من هذا الحكاية ما روي ان رجلا من الاولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوج السائل امرأته فبينما الزوج الثاني يأكل بين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت اليه فاذا هو زوجها الاول فاخبرته بالقصة فقال الزوج الثاني أنا والله ذلك المسكين الاول الذي خيبني فحول الله نعمته وأهله الى لقلة شكره وحكى الهيثم أيضا قال صار سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي كان يسمى بالصمصامة الى موسى الهادي بن المهدي وكان عمرو قد وهبه لسعيد بن العاص الاموي فتوارثه ولده الى ان مات المهدي فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل وكان من أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء فرد الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ودعا بمكتل فيه بدرة وقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري وأنشد يقول

حاز صمصامة الزبيدي من بيـ * ـن جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليها الجفون
أخضر اللون بين حديه برد * من ذباح تميش فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الزعاف القيون
فاذا ما سللته بهر الشمـ * ـس ضياء فلم تكد تستبين
ما يبالي من انتضاه لضرب * أشمال سطت به أم يمين
يستطير الابصار كالقبس المشـ * ـعل ما تستقر فيه العيون

ويضرب المثل بذكائه يغبطه الناس على نقاء قريحته وسرعة بديهته ألعبا فطنا ليبالي ذهنا فذا أديبا وكان اذا باحث أقام للاعجاز برهانا وأصمت البلغا واذهانا وكانت المشاهير من كبار التفاسير مركوزة في صحيفة خاطره كانها موضوعة لدى ناظره وأما العلوم العقلية فهو ابن بجدتها وآخذ بناصيتها وقد كتب حاشية على تفسير البيضاوي لسورة الانعام وعلق حواشي على مواضع أخر الا أنه لم يتيسر له التبييض والاتمام بمبيانه سالك مسالك الزهد والصلاح واتسم بسمة أصحاب الفوز والفلاح وكان جامعا بين العلم والتقوى متمسكا من حبال الشريعة الشريفة بالسبب الاقوى وكان يحفظ القرآن الكريم ويختم في صلواته في كل أسبوع مرة وقال يوما اني منذ خمسين سنة لم يتفق لي قضاء صلاة الصبح فكيف غيرها وكان رحمه الله يقول لا بد أني أموت في انقضاء رمضان وأدفن ليلة القدر وكان الامر كما قال وكان مشايخ زمانه يقولون انه كمل الطريقة الصوفية وكان المرحوم الوالد علي بن محمد شريكا له في زمن اشتغاله وصار ملازما من المولى كمال باشا زاده في القضية الواقعة بين المولى المزبور وبين جوي زاده

وكان

وكأن الفرند والجوهر الجا * ري في صفحتيه ماء معين

نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيـ * ـجاء يعصي به ونعم القرين

فقال الهادي أصبت والله ما في نفسي واستخفه السرور فأمر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء انما حرمتم من اجلي فشأنكم والمكتل ففي السيف غناي فاشترى منه السيف بمال جزيل وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب اشتراه الهادي منه بخمسين ألفا ولم يذكر من هذه الابيات الا بعضها والذباح بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الالف حاء مهملة وهو نبت قاتل لشميه وقد جاء كثيرا في الشعر ويعصي بفتح الصاد يقال عصي بكسر الصاد يعصى اذا ضرب بالسيف وهو خلاف عصي يعصي اذا ارتكب الذنب (وحكى المسعودي) في مروج الذهب في ولاية هشام بن عبد الملك أن الهيثم بن عدي المذكور روى عن معمر بن هاني الطائي قال خرجت مع عبد الله بن علي وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا الى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا مافقدنا منه الا حرمة أنفه فضربه عبد الله ثمانين سوطا ثم أحرقه فاستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيئا الا صلبه واضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظما واحدا ووجدنا خطا أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل ان زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد سبق ذكره في ترجمة الوز بن محمد بن بقية خرج على هشام بن عبد الملك وبعث نفسه على طلب الخلافة وتبعه خلق من الاشراف والقراء فسار اليه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى فانهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا

ذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا

فان كان لا بد من واحد * فسيري الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فأتي بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك وحضر الحجام ورآه فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا له فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف يأمره باحراقه وتذريته في الرياح وكان ذلك في سنة احدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين ومائة وذكر أبو بكر بن عياش وجماعة من الاخباريين ان زيدا أقام مصلوبا خمس سنين عريانا فلم ير أحد له عورة سترا من الله سبحانه وتعالى وقال بعضهم ان العنكبوت نسجت على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في أيام الوليد بن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان وهي واقعة مشهورة كتب الوليد الى عامله بالكوفة ان احرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات والله تعالى أعلم أي ذلك كان فهذا الذي حمل عبد الله بن علي على ما فعله ببني أمية انتصارا لبني عمه وانتقاما لهم بنظير ما فعل بهم وقال الهيثم ايضا استعملت على صدقات بني فزارة فأتاني رجل منهم فقال اريك عجبا فقلت بلى فانطلق الى شاهق جبل فاذا فيه صدع فقال لي ادخل فقلت انما يدخل الدليل قال فدخل فاتبعته ودخل معنا أناس فكان ربما ضاق الجبل واتسع فاذا نحن بضوء فدنونا منه واذا خرق ذاهب في الارض واذا عكاكيز في الجبل فجذبناها فاذا هي سهام عاد واذا كتاب منقور في الجبل مقدار

وخلاصة ذلك انه لما فرغ احدى المدارس الثمان امتحن المولى محيي الدين الفناري والمولى القادري والمولى جوي زاده والمولى اسرافيل زاده والمولى اسحق ووقع الامتحان من كتب الهداية والتلويح والمواقف فطالعوا فيها وحرروا رسائل وكان المولى كمال باشازاده يومئذ مفتيا بدار السلطنة وقد كان كتب قبل هذا كتابا في أصول الفقه وسماه تغيير التنقيح فاتفق انه في محل الامتحان من ذلك الكتاب ردا على صاحب التنقيح فلما وقف عليه المولى جوي زاده نقله في رسالته بانه قيل وأجاب عنه فلما تم الامتحان وتقرر رجحان المولى جوي زاده سعى بعض اعدائه الى المفتي المزبور بانه كتب كلامك في رسالته بتحقير وتنقيص فغضب المفتي وشكا الى السلطان فأمر بحبسه وتسلية المفتي فأرسل اليه من يعرفه ذلك فقال المفتي لا أتسلى بدون قتله فعزم السلطان على أن يقتله في الحضر الا انه لم يسارع فيه لما انه كان يسمع في المولى جوي زاده من الفضل والتقوى ثم أشار الى بعض الرؤساء بان يسعوا في ازالة غضب المفتي واطفاء ناره فسعى طائفة من العلماء وغيرهم واستشفعوا وتضرعوا اليه

اصبعين أو أكثر واذا هو مكتوب بالعبرية وهو

الا هل الى أبيات سفح بذى اللوى * لوى الرمل فاصدقن النفوس معاد
بلاد لنا كانت وكنا نحبها * اذا الناس ناس والبلاد بلاد

ويروى ان أبا نواس الحسن بن هانئ الحكمى الشاعر المقدم ذكره حضر مجلس الهيثم بن عدى فى حداثته والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ولا قرب مجلسه فقام مغضبا فسأل الهيثم عنه فخبر باسمه فقال انا لله هذه والله بلية لم أجنها على نفسى قوموا بنا اليه لنعتذر فساروا اليه ودق الهيثم الباب عليه وتسمى له فقال ادخل فدخل فاذا هو قاعد يصفى نبيذا له وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله فقال المعذرة الى الله تعالى ثم اليك وما عرفتك وما الذنب الا لك حيث لم تعرفنا بنفسك فنقضى حقك ونبلغ الواجب من برك فأظهر له قبول العذر فقال الهيثم استعهدك من قول سبق منك فى فقال ما قد مضى فلا حيلة فيه ولك الامان مما استأنف فقال ما الذى مضى جعلت فداك قال بيت مر وأنا فيما ترى يعنى من الغضب قال فانشدنيه فدافعه فالح عليه فانشده

يا هيثم بن عدى لست للعرب * ولست من طيئ الا على شغب
اذا نسبت عديا فى بنى ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب

فقام من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الابيات وهى

للهيثم بن عدى فى تلونه * فى كل يوم له رحل على خشب
فما يزال اخا حل ومرتحل * الى الموالى واحيانا الى العرب
له لسان يزجيه بجوهره * كانه لم يزل يغدو على قتب
كانى بك فوق الجسر منتصبا * على جواد قريب منك فى الحسب
حتى نراك وقد درعته قصبا * من الحديد مكان الليف والكرب
لله أنت فما قربى تميم بما * الا اجتلبت لها الانساب من كثب

فعاد الهيثم الى أبى نواس وقال له يا سبحان الله قد أمنتنى وجعلت لى عهدا ان لا تهجونى فقال انهم يقولون مالا يفعلون وأخبار الهيثم كثيرة وقد أطلنا الشرح وكانت ولادته قبل سنة ثلاثين ومائة وتوفى غرة المحرم سنة ست وقيل سبع ومائتين وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف سنة تسع ومائتين والله تعالى أعلم بالصواب رحمه الله تعالى وله عقب ببغداد وقال السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة البحترى انه توفى سنة تسع ومائتين بفم الصلح وله ثلاث وتسعون سنة وزاد غيره ان وفاته كانت عند الحسن بن سهل وقد تقدم فى ترجمة بوران ان زواجها بالمأمون كان فى هذا التاريخ بهذا الموضع والظاهر انه كان فى جملة من حضر فتوفى هنالك وقد تقدم الكلام على الطائى والبحترى والثعلى بضم الثاء المثلثة وفتح العين وبعدها لام هذه النسبة الى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ وقد تقدم تتمة هذه النسبة فى ترجمة البحترى فى حرف الواو فلتنظر هنالك وتنسب الى ثعل المذكور عدة بطون منها عنتر وسلامان وغيرهما ومن هذه القبيلة عمرو بن المسيح الثعلى الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب فأسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان ارمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس جندح بن حجر الكندى الشاعر المشهور

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره

وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ القيس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان قبله بمقدار أربعين سنة هذا خلاصة ما قاله والله تعالى أعلم

حرف الياء

(ياروق بن ارسلان التركمانى)

كان مقدما جليل القدر فى قومه واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر سكن بظاهر حلب فى جهتها القبلية وبنى على شاطئ قويق فوق تل مرتفع هو وأهله وأتباعه أبنية كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية وهى شبه القرية وسكنها هو ومن معه وهى الى

وغيروا الرسالة وعرضوها عليه وقالوا ان ما ذكر كذب وافتراء عليه فلما أحسوا منه الميل الى العفو أتوا به اليه فلما دخل عليه باس نعله فخرج من عنده فعفا عنه السلطان وذهب الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه وحرم من الدخول فى المدارس الثمان ثم قصد السلطان الى المفتى بالاحسان تسلية للامر السابق وجزاء للعفو المذكور فارسل اليه من الكتب والآنية وغيرها وطلب منه أن يعين عدة من طلبته للملازمة فعين رحمه الله فممن عين المرحوم الوالد وكان عنده مرتبة ثم درس المرحوم بمدرسة خادم كوى بعشرين ثم بمدرسة أمير الامراء بادرنه بخمسة وعشرين ثم ساقه بعض الامور الى اختيار منصب القضاء وتولى عدة مناصب حتى توفى بقصبة جورلى وهو مسافر الى قصبة بوردن بعد تقليد قضائه بمائة وثلاثين ودفن بالقصبة المذكورة وذلك فى شهر رجب وقد ولد رحمه الله سنة احدى وتسعمائة وقد قرأت عليه الصرف والنحو ونبذا من علم الفروع وأنا فى ذلك مكمل لاول العقول وكان رحمه الله حديد الذهن صاحب القريحة صحيح العقيدة متعلقا بالعلم معروفا به بين الاهالى وقد كتب كثيرا من المعتبرات بخطه

اليوم معمورة مسكونة آهلة تتردد اليها أهل حلب في أيام الربيع و يتنزهون هناك في الخضرة على قويق وهو موضع كثير الانشراح والانس وتوفي ياروق المذكور في المحرم عام أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد في سيرة السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وياروق بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء مضمومة ثم واو ساكنة وفي الآخر قاف وقويق بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف وهو نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع و ينقطع في الصيف وقد ذكرته الشعراء في أشعارهم كثيرا خصوصا أبا عبادة البحتري فانه ذكره في عدة قصائد فمن ذلك قوله في جملة قصيدة

يا برق أسفر عن قويق فطرتي * حلب فأعلى القصر من بطياس * عن منبت الورد المعصفر صبغة
في كل ناحية ومجنى الآس * أرض اذا استوحشت ثم أتيتها * حشدت علي فأكثرت ايناسي

و بطياس بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة وهي قرية كانت بظاهر حلب ودثرت ولم يبق لها اليوم أثر وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم قد بنى بها قصرا وسكنه هو و بنوه وهو بين النيرب والصالحية وهما قريتان في شرق حلب وكان القصر على الرابية المشرفة على النيرب ولم يبق منه في هذا الزمان سوى آثار دارسة هكذا وجدته مضبوطا بخط بعض الفضلاء من أهل حلب والله تعالى أعلم

(ابو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب الملقب أمين الدين المعروف بالملكي نسبة الى السلطان ملكشاه أبي الفتح بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الاكبر)

نزل الموصل وأخذ النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي وقرأ عليه من تصانيفه جملة وكان ملازما وقرأ عليه ديوان المتنبي والمقامات الحريرية وغيرها وكتب الكثير وانتشر خطه في الآفاق وكان في نهاية الحسن ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة وكان مغرى بنسخ الصحاح للجوهري فكتب منه نسخا كثيرة كل نسخة في مجلد واحد رأيت منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة في زمانه وقصده الناس من البلاد وسير اليه من بغداد النجيب أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه بل على السماع به وهي قصيدة تجيدة في بابها و وصف حسن خطه فابلغ وهي

أين غزلان عالج والمصلى * من ظباء سكن نهر المعلى * انما الكاتبات اغصان بان
و بدور من أفقها تتجلى * أم لتلك الغزلان حسن وجوه * لو تراءت للبدر أضحى سهلا
أين خودانها من النرجس الغض اذا ناجز النسيم استقلا * أين ذاك العرار من صبغة الور
د اذا جاده الغمام وطلا * أتحسر عاشقها سكرا كسب نارنج دنا في غصونه فتدلى
أيقنت ان ما عدجلة كفو * كذب القاسطون ما شاء كلا * الدار السلام في الارض شبه
معجز أن ترى لبغداد مثلا * كل يوم تبدى وجوها خلاف الامس حسنا كأنما هي حبلى
وصبايا يصبو الحليم اليهن اذا ما خطرن شكلا ودلا * يعتصين العصائب الناصريا
ت فحلان منك عقدا وحلا * ليس يرقين فيك الا ولا يعرفن شيأ غير الصحاح والا
مرتع للقلوب فيه ربيع * متوال اذا الربيع تولى * بلدة تستفاد فيها المعالي
والمعاني علما وجدا وهزلا * لم يفتها من الكمال سوى يا * قوت لو أنها به تتحلى
من لها أن يطوع نشر أمين الدين فيها وحسبها ذاك فضلا * لو رجت أن تزوره الا ترى الصا
مت فيها يقول أهلا وسهلا * ولئن وافت الرواة بريا * ه اليها فان رؤياه أحلى
بحر جود له الاكارم تتلو * وجواد عنه المكارم تتلى

خصوصا مؤلفات أستاذه المولى ابن كمال باشا زاده حيث كتب جميع كتبه ورسائله وعلق حواشي على بعض المواضع من شرحه للفرائض وعلى بعض المواضع من الاصلاح والايضاح وكان له اليد الطولى في الكلام والهيئة والحساب وكتب على بعض المواضع منها كلمات لطيفة وكان رحمه الله محمود السيرة في قضائه عامله الله بلطفه يوم جزائه

(ومن العلماء الاعيان المولى مصلح الدين الشهير بكوجك بستان)

نشأ رحمه الله بقصبة برسى وطلب العلم ودار البلاد واشتغل واستفاد حتى انتظم في سلك أرباب الاستعداد ودخل مجالس الفحول منهم المولى محيي الدين المشتهر بالعسالي وصار معيد الدرس المولى عبد الرحمن في مدرسة زوجة السلطان سليمان خان ثم درس بالمدرسة الخاتونية بقسطنطينية بعشرين ثم صارت وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم درس بمدرسة مراد باشا في المدينة المزبورة بثلاثين وقد قرأت عليه في تلك المدرسة طرفا من شرح المفتاح للشريف الجرجاني ثم نقل عنها الى المدرسة الافضلية باربعين ثم درس بالمدرسة القلندرية بخمسين ثم نقل الى المدرسة زوجة السلطان سليمان

بجامع شارد العلوم ولولا * له لكانت أم الفضائل ثكلى * ذو يراع تخاف صولته الاسـ
ـد وتعنو له الكتائب ذلا * واذا افتر ثغره عن سواد * في بياض فالبيض والسمر خجلا
يقظ في حراسة الملك لا يعـ * ـمل سهما ولا يجرد نصلا * انما يبعث البلاغة ارسا
لا اذا كانت الصحائف رسلا * فبعبد الجبار مثلثا نحو * فالما قد أصل فيها وأملى
وتراه طورا يجيل يديه * بقداح العلوم فصلا ففصلا * مثل وشي الرياض أو كنقيـ
ـم الدر وهي خطا ولفظا ونقلا * قائد يا مريد مثلي من الدين مهلا أتعبت نفسك مهلا
سيدي يا أخا السماح وظئر الـ * ـمجد وابن العلى ورب المعلى * أنت بدر والكاتب بن هلال
كانه لا نحير فمن تولى * ان يكن أولا فانك بالتفـ * ـضيل أولى لقد سبقت وصلى
يا أمين الدين الذي جمع الـ * ـله به السماح والفضل شملا * أنا ممن قادة الثناء الى
حبك حتى يقال تم ساو يتلى * واذا محل الثناء بقاض * صار فيه أخو الشهادة عدلا
فارض بكرا ما راض قط أبوها * فكروا بنية لخطب بعلا * لا جزاء تريد عنها ولا أجـ
ـرا ولكن رآك للمدح أهلا * ودعاه السك داعي وداد * جاء يبغي من حسن رأيك وصلا
واذا ما ته ـذر القرب فالقلـ * ـب كفيل به ورأيك أعلى
فابق واسلم ما جرد الافق جيشا * من ظلام وجرد الصبح نصلا

وتوفي أمين الدين المذكور بالموصل سنة ثماني عشرة وستمائة وقد أسن وتغير خطه من الكبر رحمه الله تعالى

(ابو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور)

مولى أبي منصور الجيلي التاجر اشتغل بالعلم وأكثر من الادب واستعمل قريحته في النظم فأجاد فيه ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيما بالمدرسة النظامية ببغداد وعده ابن الذهبي في كتاب الذيل من جملة من اسمه عبد الرحمن وذكر أنه نشأ ببغداد وحفظ القرآن العزيز وقرأ شيأ من الادب وكتب خطا حسنا وقال الشعر وأكثر النظم منه في الغزل والتصابي وذكر المحبة ورائق شعره وحفظته الناس وأوردوه مقطوعا من الشعر وذكر انه أنشده اياه وهو خليلي لا والله ما جن عاشق * وأظلم الاحن أو جن عاشق
ويقتفي المجموع الصغير وأشعار وسائرة يتغنى بها وهي رقيقة لطيفة فمن ذلك قوله

ان غاض دمعك فالاحباب قد بانوا * فكل ما تدعي زور وبهتان
وكيف تأنس أو تنسى خيالهم * وقد خلا منهم ربع وأوطان
لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى * عن النواظر أقمار وأغصان
ساروا فسار فؤادي اثر ظعنهم * وبان جيش اصطباري ساعة بانوا
لا افتر ثغر الثرى من بعد بعدهم * ولا ترنح أيك لا ولا بان *
أجري دموعي وأذكى النار في كبدي * غداة بينهم هم وأحزان
طوفان نوح نوى في مقلتي وفي * طي الحشا لخليل الله نيران
لو كابد الصخر ما كابدت من كمد * فيكم لجاد له أحد ولبنان
وذاب يذبل من وجدي ورض على * رضوى ولان لما ألقاه ثهلان
يا من تملك رقي حسن بهجته * سلطان حسنك ما لي منه احسان
كن كيف شئت فما لي عنك من بدل * أنت الزلال لقلبي وهو ظمآن

ومن شعره ألا مبلغ وجدي بها وغرامي * ومهد الى دار السلام سلام * نسيم الصبا بلغ تحية مغرم
الى معشر لم يرع عهد ذمامي * وصف بعض أشواقي اليك لعله * يرق لذلي في الهوى وهيامي
أيا ربة الزوراء فيك شادن * نفى بعده من مقلتي منامي * بديع جمال بان صبري لبينه
وعرضني اعراضه لحمامي * يصد اذا ما صد عن عيني الكرى * ويمزج دمعي هجره بمدامي

شان ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة مغنيسا وفوض اليه الفتوى بهذه النواحي وعين له كل يوم سبعون درهما ثم زيد عليها عشرة ثم عشرون فصارت وظيفته في كل يوم مائة فاشتغل فيها وأفاد وأفتى وأجاد حتى أبلاه الدهر وأباد في أوائل ذي الحجة سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم مشاركا في أكثر العلوم قوالا بالحق متصلبا في دينه مشتغلا بما يهمه ويعنيه ومجتهدا في احراز العلوم النافعة غاية الاجتهاد جزاه الله عز يدا باحسانه يوم التناد

(ومن زمرة هؤلاء السادة المولى عبد الله الشهير بغزالي زاده)

كان رحمه الله من أولاد الامام أبي حامد الغزالي قرأ رحمه الله على الافاضل واشتغل على المولى سعد الله محشي تفسير البيضاوي ثم صار ملازما من المولى مصلح الدين الشهير بطاشكبري زاده ثم درس بالمدرسة الطانبازية بقسطنطينية بعشرين ثم تقلد قضاء بعض القصبات فاشتهر بكمال السداد والاستقامة فجمع قضاء سلانيك وسدوقسي وقلد المرحوم بثمانمائة درهم في كل يوم ثم أمر بتفتيش أوقاف القاهرة فاصحت بحسن تدابيره عامرة فلما عاد منها قلد قضاء قصبة أبي أيوب الانصاري

حياتي وموتي في يديه وجنتي * وناري وربي في الهوى وأوامي
ففي بعده عني وفاتي وقربه * حياتي وإسعادي ونيل مرامي
ومن وجنتيه نار وجدي وثغره * تحولي ومن سقم الجفون سقامي
فيكفي عاذري يا عاذلي فدلاله * دليل على وجدي به وغرامي

ورأيت كثيرا من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق يحفظون له قصيدة أولها

جسدي لبعدك يا مثير بلابلي * دنف بحبك ما أبل بلابلي * يا من إذا ما لام فيه لوائمي
أوضحت عذري بالعذار السائل * أأجيز قتلي في الوجيز لقاتلي * أم حل في التهذيب أم في الشامل
أم في المهذب أن يعذب عاشق * ذو مقلة عبري ودمع هاطل
أم طرفك الفتاك قد أفتاك في * تلف النفوس بسحر طرف بابلي

وهي أكثر من هذا لكن هذا القدر هو الذي استحضرته في هذا الوقت منها وأنشدني له بعض الأدباء بمدينة حلب أبياتا منها قوله

ألست من الولدان أحلى شمائلا * فكيف سكنت القلب وهو جهنم

ثم قال وقد انتقدوا عليه في بغداد هذا البيت فأفكرت فيه ثم قلت له لعل الانتقاد من جهة أنه ما يلزم من كونه أحلى شمائل من الولدان أنه لا يكون في جهنم فإنه قد يكون أحلى شمائل منهم وليس الممتنع إلا أن يكون الولدان في جهنم فقال نعم هذا الذي أخذ عليه وأخبرني بعض الأفاضل بمدينة إربل في سنة خمس وعشرين وستمائة قال كنت ببغداد في سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية فقعدت يوما على بابها إلى جانب أبي الدر المذكور ونحن نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا فجلس قريبا منا فقال لي أبو الدر أتعرف هذا فقلت لا فقال هذا أعاوك حيص بيص الذي يقول فيه

تشربش أو تقمص أو تقبى * فلن تزداد عندي قط حبا
ملكت بعض حبك كل قلبي * فإن ترد الزيادة هات قلبا

قال فجعلت أنظر إليه وأفكر فيما كان عليه وما آل حاله إليه ولقد طلبت أنا هذين البيتين في ديوان حيص بيص فلم أجدهما فيه والله أعلم ولأبي الدر المذكور ديوان شعر سمعت أنه صغير ولم أقف عليه بل على مقاطيع كثيرة منه وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ويكفي منه هذا القدر وقد تقدم في حرف الطاء في ترجمة الشيخ الخضر بن عقيل الإربلي له ثلاثة أبيات دالية ثم إني ملكت من ديوانه نسختين في سنة سبع وستين وستمائة بدمشق المحروسة وهو صغير الحجم يدخل في عشر كراريس ورأيت في بعض التواريخ المتأخرة أن أبا الدر المذكور وجد ميتا في منزله ببغداد في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وقال الناس إنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام رحمه الله تعالى وقال ابن النجار في تاريخ بغداد وجد أبو الدر في داره ميتا يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى من السنة وكان قد خرج من النظامية فسكن في دار بدرب دينار الصغير ولم يعلم متى مات وأظنه ناطح الستين والله أعلم والرومي بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة إلى بلاد الروم وهو إقليم مشهور متسع كثير البلاد (وههنا نكتة غريبة) يحتاج إليها ويكثر السؤال عنها وهي أن أهل الروم يقال لهم بنو الأصفر واستعملته الشعراء في أشعارهم فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

ولقد تتبعت ذلك كثيرا فلم أجد ما يشفي الغليل حتى ظفرت بكتاب قديم اسمه الفيف ولم يكتب عليه اسم مؤلفه فنقلت منه ما صورته عن العباس عن أبيه قال انخرم ملك الروم في الزمان الأول فبقيت منهم امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر فاصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم فجلسوا لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فأبق العبد منه فأشرف عليهم فقالوا انظروا في أي شيء

مع قصبة غلطه بثمانية وورد الأمر من السلطان بأن يخصص طلبة للتعليم ويباشر الدرس من الكتب المتداولة المعهودة ويعامل معاملة قضاة الشام وحلب المعمورة كل ذلك بعناية الوزير الكبير رستم باشا فلما عزل الوزير المزبور عزل المرحوم عن القضاء وعين له كل يوم ستون درهما ثم زيد عليها عشرون فصارت وظيفته كل يوم ثمانين درهما وتوفي رحمه الله في أواخر ذي الحجة سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله صاحب ذهن وقاد وطبع نقاد قوي المناظرة جيد المحاضرة محمود السيرة حسن السريرة ورعا دينا منقطعا إلى الله مشتغلا بما هو مولاه خاليا عن التكبر والخيلاء طارحا للتكلف متخلقا بأخلاق المشايخ والصلحاء وقد تلقن الذكر من السيد ولايت وتزوج ابنته ويقال إنه كمل الطريقة الزينية وكان رحمه الله صاحب اليد الطولى في علم الفقه وأمور القضاء وقد كتب رحمه الله تعالى شرحا للأسماء الحسنى وجمع فيه فوائد وفرائد فلما بقي منه القليل وقعت له واقعة بأن أسرع في إتمامه فإن الوقت قريب فسارع رحمه الله في إتمامه فلما فرغ منه ومضى عليه عدة أيام مرض وتمادى

وقعتم فتزوجوا تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الاصفر فخاصمهم المولى فقال الغلام صدق انا عبده فارضوه فاعطوه حتى رضي فبسبب ذلك قيل للروم بنو الاصفر لصفرة لون الولد لكونه مولدا بين الحبشي والمرأة البيضاء والله أعلم

(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين)

أسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر ابراهيم الحموي وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجائره وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعرف شيأ سوى التجارة وكان ساكنا ببغداد وتزوج بها وأولدها عدة أولاد ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيأ من النحو واللغة وشغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتردد الى كيش وعمان وتلك النواحي ويعود الى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت عتقه فابعده عنه وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد ثم ان مولاه بعد مدة ألوى عليه وأعطاه شيأ وسفره الى كيش ولما عاد كان مولاه قد مات فحصل شيأ مما كان في يده وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتبا وكان متعصبا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد طالع شيأ من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منه طرف قوي وتوجه الى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه وجرى بينهما كلام أدى الى ذكره عليا رضي الله عنه بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما بعد ان بلغت القضية الى والي البلد فطلبه فلم يقدر عليه ووصل الى حلب خائفا يترقب وخرج عنها في العشر الاول أو الثاني من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوصل الى الموصل ثم انتقل الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى دخول بغداد لان المناظر له بدمشق كان بغداديا وخشي أن ينقل قوله فيقتل فلما انتهى الى خراسان أقام بها يتجر في بلادها واستوطن مدينة مرو مدة وخرج عنها الى نسا ومضى الى خوارزم وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ست عشرة وستمائة فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه اذا ذكره ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب وأعوزه دنيء المآكل وخشن الثياب وأقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار وارتحل منها الى حلب وأقام بظاهرها في الخان الى ان مات في التاريخ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه أبو البركات بن المستوفي المتقدم ذكره أن ياقوتا المذكور قدم اربل في رجب سنة سبع عشرة وستمائة وكان مقيما بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه وكان قد تتبع التواريخ وصنف كتابا سماه ارشاد الالباء الى معرفة الادباء يدخل في أربع مجلدات كبار ذكر في أوله قال وجمعت في هذا الكتاب ما وقع الي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة وكل من صنف في الادب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا مع ايثار الاختصار والاعجاز في نهاية الايجاز ولم آل جهدا في اثبات الوفيات وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والاخبار بانسابهم وشيء من أشعارهم في ترددي الى البلاد ومخالطتي للعباد وحذفت الاسانيد الا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعا واجازة الا انني قصدت صغر الحجم وكبر النفع وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشان عليهم والرجوع في صحة النقل اليهم ثم ذكر انه جمع كتابا في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ومن تصانيفه أيضا كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الادباء وكتاب المشترك وضعا المختلف صقعا وهو من الكتب النافعة وكتاب المبدا والمآل في التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام أبي علي الفارسي وعنوان كتاب الاغاني والمقتضب في النسب يذكر فيه انساب العرب وكتاب أخبار المتنبي وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف وذكر القاضي الاكرم جمال

به المرض حتى توفي في السنة المزبورة

(ومنهم المولى جعفر ابن عم المفتي أبي السعود)

نشأ رحمه الله بقصبة اسكليب وطلب العلم وانتظم في سلك طلابه بعد ما أفنى عنفوان شبابه وشرع في التحصيل بالقراءة والسماع حتى صار ملازما من المولى شجاع ثم درس في عدة مدارس حتى ولي مدرسة آق شهر بثلاثين ثم مدرسة مرزيفون باربعين ثم مدرسة المولى المشتهر بافضل زاده بقسطنطينية بالوظيفة الاولى ثم مدرسة علي باشا بخمسة وأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم قلد قضاء دمشق فبعد مضي سبعة أشهر ولي قضاء العسكر بولاية اناطولي فدام عليه ستة سنين ثم عزل وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما (وتوفي رحمه الله سنة ثمان وسبعين وتسعمائة) وقد أناف عمره على ثمانين كان رحمه الله رجلا ديناورعا ذا حظ عظيم من الزهد والصلاح متمسكا بعروة أرباب الفوز والفلاح يصرف أكثر أوقاته في العبادة يتراءى عليه آثار الفوز والسعادة وكان متصلبا في دينه لا يداهن في الحق غير مكترث بمداراة الخلق وكانت مدة قضائه بالعسكر

الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب كان رحمه الله
تعالى في كتابه الذي سماه أنباه الرواة على أنباه النحاة ان ياقوتا المذكور كتب اليه رسالة من الموصل عند
وصوله اليها هاربا من التتر يصف فيها حاله وما جرى له معهم وهي بعد البسملة والحمدلة كان المملوك ياقوت بن
عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة حين وصوله من خوارزم
طريد التتر أبادهم الله تعالى الى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي الاكرم أبي الحسن علي بن
يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني ثم التيمي تيم شيبان بن ثعلبة بن عكابة أسبغ الله عليه ظلاله وأعلى
في درجة السيادة محله وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم شرط الاحوال بخراسان وأحواله وأنهاه
اليه أمره بعدما فارقوما آله واحجم عن عرضها على رأيه الشريف اعظاما وتهيبا وفرارا من
قصورها عن طوله وتجنبا الى أن وقف عليها جماعة من منتحلي صناعة الكلام والنحو فوجدهم مسارعين
الى كتبها متهافتين على نقلها وما يشك أن محاسن مالك رقه حلتها وفي أعلى درج الاحسان أحلتها
فشجعه ذلك على عرضها على مولاه ولولا آراء علوها في تصفحها والصفح عن زللها فليس كل من لبس
درهما صيرفيا ولا كل من اقتنى درا جوهريا وها هي بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله على العصر أهله
والاسلام وبنيه ما سوغهم وحباهم ومنحهم وأعطاهم من سبوغ ظل المولى الوزير وأعز الله أنصاره
وضاعف جده واقتداره ونصر ألويته وأعلامه وأجرى بأجراء الارزاق في الآفاق أقلامه وأطال بقاءه
ورفع الى عليين علاه في نعمة لا يبلى جديدها ولا تحصى عددها ولا عديدها ولا ينتهي الى غاية مديدها
ولا يقل حدها ولا سعيدها ولا يفل واقدها ولا وديدها وأدام دولته للدنيا والدين يلم شعثه ويبرم
كرثه ويرفع مناره ويحسن تحسين آثره آثاره ويحقق نوره وأزهاره وينير نواره ويضاعف أنواره
وأسبغ ظلاله للعلم وأهلها والآداب ومنتحليها والفضائل وحاملها يشيد عشيد فضله بنيانها ويرفع
بناصع تجديده تيجانها ويروض بيانع علائه زمانها ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية شأنها ويمكن في
أعلى درج الاستحقاق امكانها ومكانها ويرفع بنفاذ الامر قدره للدول الاسلامية والقواعد الدينية يسوس
قواعدها ويعين مساعدها ويهين معاندها ويعضد بحسن الايالة معاضدها ويبلغ بجميل المقاصد
مقاصدها حتى يعود بحسن تدبيره غرة في جبهة الزمان وسنة يقتدي بها من طبع على العدل والاحسان
يكون له أجرها ما دام الملوان وكر الجديدان وما أشرقت من الشرق شمس وارتاحت الى مناجاة حضرته
الباهرة نفس وبعد فالمملوك ينهي الى المقر العالي المولوي والمحل الاكرم العلي أدام الله سعادته مشرقة
النور مبلغة السول واقحمته الفرر بادية الخول ما هو مكتنف بالاربعة الولوية عن تبيانه مستغن بما نحنها عن
سطارها راعن اضاعة فيها لا يضاهيه بيانه فقد أحسبه ما وصفه عليه الصلاة والسلام المؤمنين وانه من
أمتي لمكاين وهو شرح ما يعتقده من الولاء ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء وقد كفته
تلك الالمعية عن الاظهار المشبه بالملق ما تحتمه الطوية لان دلائل خلو الملوك في دين ولائه في الآفاق
واضحة وطيبة مسك اخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة واعيانه شرائع الفضل الذي
طبق الآفاق حتى أصبح بناء المكارم متين * وتلاوة لاحاديث المجد القريبة الاسانيد بالمشاهدة لديه
مبين ودعا أهل الآفاق الى المغالاة في الاعيان بامامته له الذي تلقاه باليمين وتمسك بقبلة سودده الذي
تفرد بالتوجه لتقبل شاذه وضم شمله بعرق الجبين حتى قد أصبح للفضل كعبة يفترض حجها على من
استطاع اليه السبيل ويقتصر بقصدها على ذوي التقدم دون المعتر وابن السبيل فان لكل منهم حظا
يستمده ونصيبا يستعده ويعتده فللعظماء الشرف الضخم من معينه وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه
وللفقراء توقيع الامان من نوائب الدهر وغض جفونه وفرض أوامر مناسكه الجمعة الشريفة السلام
والتبجيل والكشف البسيطة الاستلام والتقبيل وقد شهد الله تعالى للمملوك انه في سفره وحضره وعلنه
وسره وجهره ومخبره شعاره تعظيم مجالس الفضلاء ومحافل العلماء بفوائد حضرته والفضائل المستفادة

من فوائح الايام مذكورة
بالخير على السن الخواص
والعوام (ويحكى) انه لما
قلد قضاء دمشق أبى قبوله
فاجتمع اليه أصحابه وعدوا
عليه ديونه وقالوا لا بد من
قبوله حتى تقضي هذه
الديون فقبله بعد تردد في
عدة أيام وكان يقول بعده
متندما على قبوله بدلت
ديون المعلومة بالمجهولة وما
سمعت شيأ غيره ولقد
صدق فيما قال وأتى بأحسن
المقال

*(ومنهم العالم الاوحد
والبارع الاوحد المولى شاه
محمد بن حزم)*
كان رحمه الله من أولاد ولي
الله المولى جلال الدين
القنوي صاحب المثنوي
الفارسي ولد رحمه الله
بقصبة تيره ونشأ على
تحصيل العلوم والمعارف في
هذه الديار ثم اتصل الى
المولى محيي الدين المشتهر
بعرب جلبي فاستفيض به مغالق
الفنون واستوضح مضايق
المتون وأخذ عنه العلوم
المختلفة الانواع باتقان

* قوله حتى أصبح بناء
المكارم متين هكذا بالاصل
ولينظر أين خبر أصبح فان
كان متين وقف عليه
بالسكون لاجل السجع
فأين خبر قوله واعيانه ولعله
محذوف لدلالة خبر أصبح
عليه فليحرر هذه العبارة
اه مصححه

من فضيلته افتخارا بذلك بين الانام وتطريزا لما يأتي به في أثناء الكلام

اذا أنا شرفت الورى بقصائدي * على طمع شرفت شعري بذكره

عنوت عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين لا حرمنا الله معاشر أوليائه مواد فضائله المتتالية ولا أخلانا كافة عبيده من أياديه المتواليه اللهم رب الارض المدحية والسموات العلية والرياح المسخرة والبحار المسجرة اسمع ندائي واستجب دعائي وبلغني في معاليه ما أؤمله وترتجيه بمحمد وجميع ذويه وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف أراد استعتاب الدهر الكالح واستدرار خلف الزمن الغشوم الجامح اغترارا بان في الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب والمقام على الاقتار ذل وانتقام وجليس البيت في المحافل سكيت

وقفت وقوف الشك ثم استمر لي * يقينا بأن الموت خير من الفقر

فودعت من أهلي وبالقلب ما به * وسرت عن الاوطان في طلب اليسر

وباكية للبين قلت لها اصبري * فللموت خير من حياة على عسر

سأكسب مالا أو أموت ببلدة * يقل بها فيض الدموع على قبري

فامتطى غارب الامل الى الغربة وركب مركب التطواف مع كل صحبة قاطع الاغوار والانجاد حتى بلغ السد أو كاد فلم يصحب له دهره الحرون ولا رق له زمانه المفتون

ان الليالي والايام لو سئلت * عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

فكأنه في جفن الدهر قذي وفي حلقه شجا يدافعه بنيل الامنية حتى أسلمه الى ربقة المنيه

لا يستقر بأرض أو يسير الى * أخرى لشخص قريب عزمه نائي

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

وتارة ينتحي نجدا وآونة * شعب الحزون وحينا قصر تيماء

ومهما انجع سوقة الادب بلوغ وطر أوار التأرب وضح عجز مطلبنا ابتسام الدهر الفظ ولم أزل مع الزمان في تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والمملوك مع ذلك يدافع الايام ويزجيها ويعلل المعيشة ويرجيها متقنعا بالقناعة والعفاف مشتملا بالنزاهة والكفاف غير راض بذلك الشمل ولكن مكره أخاك لا بطل متسليا بأخوان قد ارتضى خلائقهم وأمن بوائقهم عاشرهم بالالطاف ورضي منهم بالكفاف لا خيرهم يرتجى ولا شرهم يتقى

ان كان لا بد من أهل ومن وطن * فحيث آمن من ألقى ويأمنني

قد ألزم نفسه أن يستعمل طرفا طماحا وأن يركب طرفا جماحا وان يلحق ببعض طمع جناحا أوان يستفتح زندا واريا وقداحا

وأدبني الزمان فلا أبالي * هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بقائل ما عشت يوما * أسار الجند أم ركب الامير

وكان المقام بدار الشاهجهان المنيرة عندهم بنفس السلطان وجدتها من كتب العلوم والآداب وصحائف أولي الافهام والالباب ما شغله عن الاهل والوطن وأذهله عن كل شغل سوق وسكن فظفر منها بضالته المنشوده وبغية نفسه المنقوده فاقبل عليها اقبال النهم الحريص وقابلها بما اقتام لا يزمع عنها محيص فجعل يرتع في حدائقها ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها ويسرح طرفه في طرقها ويتلذذ بمسوطها ونتفها واعتقد المقام بذلك الجناب الى أن يجاور التراب

اذا ما الدهر يبتني بجيش * طليعته اغتمام واغتراب

شننت عليه من جهتي كمينا * أميراه الذبالة والكتاب

وبت أنص من شيم الليالي * عجائب من حقائقها ارتياب

بها أجلو همومي مستريحا * كما جلى همومهم الشراب

وابداع وتلقف من رياض الفضائل أثمارها وأنوارها وبلغ من لجج المعارف أعماقها وأغوارها ثم وصل الى مجلس المولى الشيخ محمد المشتهر بجوى زاده فأكثر من التحصيل والاستفادة حتى صار ملازما منه بطريق الاعادة ثم تميز من أقرانه فحاز قصبة القهور وحاز قصبات السبق من بين ذلك الجمهور ثم درس بمدرسة المولى خسرو ببروسه بعشرين ثم المدرسة السراجية بمدينة أدرنه بخمسة وعشرين ثم مدرسة الجامع العتيق بالمدينة المزبورة بثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بكوتاهيه باربعين ثم المدرسة المبنية بقسطنطينية المحمية بخمسين ثم نقل الى مدرسة بنت السلطان بقصبة اسكدار وقد قرأت عليه في هذه المدرسة جزأ من شرح المواقف للشريف الجرجاني من أول مباحث الكم وقد عرضت عليه في الدرس الاول كلامين في حاشية المولى حسن جلبي على ذلك المقام وقلت قرأت هذا المقام على المولى بجوى زاده فعرضت عليه هذين الكلامين فاستحسنهما ثم قرأت عليه جزأ من كتاب الهداية ثم نقل عنها الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان سليم خان بقسطنطينية ولما بنى السلطان سليمان المدرستين

الى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير والتباب وكانت لعمر الله بلادا مونقة الارجاء رائقة الانحاء ذات رياض أريضة وأهوية صحيحة مريضة قد تغنت أطيارها فتمايلت طربا أشجارها وبكت أنهارها فتضاحكت أزهارها وطاب روح نسيمها فصح مزاج اقليمها ولعهدي بتلك الرياض الانيقة والاشجار المتهدلة الوريقة وقد ساقت اليها أرواح الجنائب زقاق خمر السحائب فسقت من رحيقها مدام الطل فتشاغل أزهارها حباب كاللؤلؤ المتحلل فمار وثمل من تلك الصهباء أشجاره ونحوها من النسيم خماره فتدانت ولا تداني المحبين وتعانقت ولا عناق العاشقين يلوح من خلالها الشقائق فتشابه اشتقاق الهوى بالعليل فتشابه شفق غادتين دنتا للتقبيل وربما شبه على الحمرة باتلاف الجمر وقد أتاه رشاش القطر ويديم ازاهير ناضره فيرتاح اليه ناظره كأنه مصنوع من العسجد أو دنانير من الابريز تنقد ويتخلل ذلك الاقحوان يحكيه ثغر المعشوق اذا ضحك في خد عاشق فلله دره من زهر رائق ولون رائق وجملة أمرها أنها كانت أنموذج الجنة لا مين فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد اشتملت عليها المكارم وارتبعت في أرجائها الخيرات الفائقة العالم فكم فيها من حبر راقت تحبيره ومن امام توجب حماة الاسلام سيره آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبه وفضائلهم في مدائن الدنيا والدين محسوبه والى كل قطر مجلوبه فما منهم من علم وتقويم رأي الا ومن مشرقهم مطلعه وما من معرفة فضل الا عندهم مغربه واليهم مشرعه وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق الا وجدته فيهم ولا اعراق في طيب اعراق الا اجتنيته من معانيهم أطفالهم رجال وشبابهم أبطال ومشايخهم ابدال شواهد مناقبهم باهره ودلائل مجدهم ظاهره ومن العجب العجاب أن سلطانهم الساكن هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه اله والا فانت في الهوالك وأعجل اجفال الرال وطفق اذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجالا كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين لكن عز وجل لم يورثها قوما آخرين تفتح بها الاولئك الابرار عن مقام المجرمين بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين وبلاهم فألفاهم صابرين فأخلفهم بالشهداء الابرار ورفعهم الى درجات الصالحين الاخيار وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فأما خلال تلك الديار أهل الكفر والالحاد وتحكم في تلك الاستار أولو الزيغ والعناد فأصبحت تلك القصور كالممحو من السطور وأمست تلك الاوطان مأوى للاصداء والغربان يتجاوب في نواحيها البوم ويتناوح في أرجائها الريح السموم يستوحش فيها الانيس ويرثي لمصابها ابليس

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى * وأقيال ملك فوق بسط التبسم أسد
فمن حاتم في جوده وابن مامة * ومن أحنف ان عد حلم ومن سعد
تناهبهم صرف الزمان فأصبحوا * لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد

فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد وتوهي الجلد وتضاعف الكمد وتشيب الوليد وتخلب الجليد وتسود القلب وتذهل اللب فبينا نتوقع المأمول على عقبه تأكيدا من الاوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالامن آيبا بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم غائب فتوصل وما كدت استقر بالوطن بعد مقاساة الاخطار والتلاء واصطبار وتمحيص الاوزار واشراف غير مرة على البوار والتبار لانه من بين سيوف مسلوله وعساكر مغلوله ونظام عقود محلوله ودماء مسكوبه مطلوله وكان شعاره كلما علا قتبا أو قطع سببا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد وأولانا نعما تفوت الحصر والعد وجملة الامر أنه لولا فسحة في الاجل لعزانا يقال سلم البائس أو وصل واحترق عليه أهل الوداد صفقة المغبون والحق بألف ألف وألف ألف هالك بأيدي الكفار أو يزيدون ونخاف خلفه جل ذخيرته ومستمد معيشته

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وأحداث الزمان تهون

الواقعتين بقرب الجامع الذي بناه بقسطنطينية وجه أحدهما للمرحوم والأخرى للمولى علي الشهير بحناوي زاده ثم قلد قضاء القاهرة ثم نقل الى قضاء أدرنة ثم الى قضاء قسطنطينية ثم عزل وعين له كل يوم مائة درهم فلما مضى عليه عدة شهور بغته أجله وهو في أثناء الوضوء لصلاة الصبح (وذلك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة) وكان يقول أوان تدريسه لابد أن أكون قاضيا بقسطنطينية المحمية ولا أرى أن أجاوز هذا المنصب وسئل يوما عن سبب حصوله لذلك العلم فقال اني أملت مدة بعد عزلي عن المدارس ولم أقدر على أخذ المنصب تعرض لي غاية القلق والاضطراب حتى توجهت الى قبور بعض الشهداء فأخذني النوم على هذا الفكر فرأيت في منامي أستاذي المولى جوي زاده قد قال فذهبت اليه فقال دع عنك هذا الفكر فانك تكون قاضيا بقسطنطينية وكان الامر كما قال كان رحمه الله من الرجال الفحول في كل منقول ومعقول ذا رأي أصيل وفكر أثيل مهيب المنظر عجيب الخبر وقد أوتي بسلاقة اللسان وجراءة الجنان وسعة البيان في المناظرة سريع المذاكرة شديد الاقتدار بيانه ولا يشق غباره

وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وبعد فليس للمملوك ما يسلي به خاطره ويعزي به قلبه وناظره الا التعلل بازاحة العلل اذا هو بالحضرة الشريفة تمثل

فاسلم ودم وعلى العيش في دعة * ففي بقائك ما يسلي عن السلف

فانت للمجد روح والورى جسد * وأنت در فلا تأسى على الصدف

والمملوك الآن بالموصل مقيم يعالج ما حزبه من هذا الامر المقعد المقيم يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته تكاد تقول له بالسان التوبيخ تالله انك لفي ضلالك القديم يدئب نفسه في تحصيل اغراض هي لعمر الله اعراض من صحف يكتبها وأوراق يستصحبها تصنيفها طويل واستماعها قليل ثم الرحيل وقد عزم بعد قضاء نهمته وبلوغ بغيته وطي قرونه أن يستمد التوفيق ويركب سنن الطريق عساه أن يبلغ أمنيته من المثول بالحضرة ويتحف بصره من جلالها ولو بنظرة ويلقي عصا الترحال بفنائها الفسيح ويقيم تحت ظل كنفها الى أن يصادفه الاجل المريح وينظم نفسه في سلك مماليكها حضرتها كما انتمى اليها في غيبتها ان مدت السعادة بضبعه وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه فقد ضعفت قواه عن دولة الاحتمال وعجز عن معاركة الزمان والنزال اذ ضمت البسيطة اخوانه وغيب الجديدان أقرانه ونزل الشيب بعذاره وضعفت قوى أوطاره وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنصه وتبدلت محاسنه عند أحبابه مساوي وحصصه واكتسح نهار العلم على ليل الجهل فوقصه واستعاض من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب

وشباب بان مني وانقضى * قبل أن أقضي منه مآربي

ما أرتجي بعده الا الفنا * ضيق الشيب علي مطالبي

ولقد ندب المملوك أيام الشباب بهذه الابيات وما أقل غناء البكا على من غدا في الرفات

تنكر لي مذ شبت دهري فأصبحت * معارفه عندي من النكرات

اذا ذكرتها النفس حنت صبابة * وجادت شؤون العين بالعبرات

الى أن أتى دهر يحسن ماضي * ويومئ مني بذكر حسرات

فكيف ولم يبق من كاس مشربي * سوى جرع في قعره كدرات

وكل اناء صفوه في ابتدائه * ويرسب في عقباه كل قذاة

والمملوك يتيقن انه لا يتفق لهذا القدر الذي مضى الا النظر السعيد الرضاوي أي المولى الوزير أصاحب كهف الورى في المشارق والمغارب فيما لا اخلاص منه بعادة تجدده من مناقبه ومراسمه والسلام ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ولم يمكن قطعها وقال صاحبنا الكمال الشعاري الموصلي في كتاب عقود الجمان أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي صاحب تاريخ بغداد قال أنشدني ياقوت المذكور لنفسه في غلام تركي وقد رمدت عينه وعليها رفادة سوداء

ومولد للترك تحسب وجهه * بدرا يضيء سناه بالاشراق

أرخى على عينيه فضل وقاية * ليرد فتنتها عن العشاق

تالله لو ان السوابغ دونها * نفذت فهل لوقاية من واق

وكانت ولادة ياقوت المذكور في سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم هكذا قاله وتوفي يوم الاحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في الخان بظاهر مدينة حلب حسبما قدمنا ذكره في أول الترجمة رحمه الله تعالى وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد وسلمها الى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الاثير صاحب التاريخ الكبير فحملها الى هنالك ولما تميز ياقوت المذكور واشتهر سمى نفسه يعقوب وقدم حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته وكان عقيب موته الناس يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه ولم يقدر لي الاجتماع به

(أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري البغدادي الحافظ المشهور)

كان اماما عالما حافظا متقنا قيل انه من قرية نحو الانبار تسمى نقيا وكان أبوه كاتبا لعبد الله بن مالك وقيل

انه

وبالجملة كان ممن تعقد عليه الخناصر اذا تعقد أهل الفضائل والمآثر الا أنه كان متكبرا معجبا بما حواه تابعا لكل ما استهواه وكان أكثر مباحثاته خالية عن الانصاف مستندا على المكابرة والاعتساف عفا الله تعالى عن سيئاته وضاعف حسناته وقد كتب رحمه الله حواشي على كتاب الاصلاح والايضاح للمولى المرحوم كمال باشا زاده ولم تتم وحاشية على حاشية التجريد للشريف الجرجاني ولم تتم أيضا وهما موجودتان بخطه في الكتب الموقوفة بخزانة المدارس السلطانية وكتب رسالة تتعلق بالوقف استحسنها فضلاء عصره غاية الاستحسان وقد عثرت على كلمات كتبها في هامش نسخة من كتاب الجامي في بحث العدد الذي سنذكره في ترجمة المولى مصلح الدين الشهير بعمار زاده وهي هذه (حل هذا المقام عندي هو انه كره العرب أن يلي التمييز المجموع بالالف والتاء ثلاثا وأخواته حين ما قصد التعبير عن عقود المائة بعد ما تعود مجيء تلك العقود من مراتب الاعداد بعد ما هو في صورة المجموع بالواو والنون كرهوا التعبير عن عقود المائة بالتمييز المجموع بالالف والتاء للمباينة بين الجمعين فلا يرد عليه النقض

انه كان على خراج الري فمات فخلف لابنه يحيى المذكور ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفق جميع المال على الحديث وسئل يحيى المذكور كم كتبت من الحديث فقال كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث وقال راوي هذا الخبر وهو أحمد بن عقبة واني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف وخلف من الكتب مائة قمطر وأربع حباب شرابية مملوءة كتبا وهو صاحب الجرح والتعديل وروى عنه الحديث كبار الأئمة منهم أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وأبو داود السجستاني وغيرهم من الحفاظ وكان بينه وبين الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الصحبة والالفة والاشتراك بالاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور ولا حاجة الى الاطالة فيه وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من أقرانه وقال علي بن المديني انتهى العلم بالبصرة الى يحيى بن أبي كثير وقتادة وعلم الكوفة الى أبي اسحق والاعمش وانتهى علم الحجاز الى ابن شهاب وعمرو بن دينار وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة الى سعيد ابن أبي عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبي عوانة ومن أهل الكوفة الى سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس ومن أهل الشام الى الاوزاعي وانتهى علم هؤلاء الى محمد بن اسحق وهشيم ويحيى ابن سعيد وابن أبي زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علما وابن مهدي ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء جميعا الى يحيى بن معين وقال أحمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وكان يقول هنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين يعني يحيى بن معين وقال ابن الرومي ما سمعت أحدا قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى بن معين وغيره كان يتحامل بالقول وقال يحيى ما رأيت على رجل قط خطأ الا سترته وأحببت أن أزين أمره وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فان قبل ذلك والا تركته وكان يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزا نضيجا وكان ينشد كثيرا

المال يذهب حله وحرامه * طرا ويبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لالهه * حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي وتكسب كفه * ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطني فيمن روى عن الامام الشافعي رضي الله عنه وقد سبق في ترجمة الشافعي خبر بمعه وما جرى بينه وبين الامام أحمد بن حنبل في ذلك وسمع أيضا من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وكان يحيى يحج فيذهب الى مكة ويرجع الى المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج الى المدينة ورجع الى المدينة فأقام بها ثلاثة أيام ثم خرج حتى أتى المنزل مع رفقائه فباتوا فرأى في النوم هاتفا يهتف به يا أبا زكريا أترغب عن جواري فلما أصبح قال لرفقائه امضوا فاني راجع الى المدينة فمضوا ورجع وأقام بها ثلاثة أيام ثم مات فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته لسبع ليال من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين هكذا قاله الخطيب في تاريخ بغداد وهو غلط قطعا لما تقدم ذكره وهو أنه خرج الى مكة للحج ثم رجع الى المدينة ومات بها ومن يكون قد حج كيف يتصور أن يموت في ذي القعدة من تلك السنة فلو ذكر انه توفي في ذي الحجة لامكن ويحتمل أن يكون هذا غلطا من الناسخ لكني وجدته في نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من الناسخ والله أعلم ثم ذكر بعد ذلك أن الصحيح انه مات قبل أن يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة ثم نظرت في كتاب الارشاد في معرفة علماء الحديث تأليف أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن الخليل الحافظ أن يحيى بن معين المذكور توفي لسبع ليال بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة فعلى هذا يكون قد حج وذكر الخطيب أيضا أن مولده كان آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ثم قال بعد ذكر وفاته انه بلغ سبعا وسبعين سنة الا عشرة أيام وهذا أيضا لا يصح من جهة الحساب فتأمله ورأيت في بعض التواريخ أنه عاش خمسا وسبعين سنة والله أعلم وصلي عليه والي المدينة ثم صلي عليه مرارا

بثلاثة آلاف لانها جمع مشترك بين المذكر والمؤنث بخلاف ذينك الجمعين هذا ما تيسر في المقام والسوق للمرام) انتهى كلامه

(ومنهم المولى أحمد بن عبد الله المشتهر بالقوري)

كان رحمه الله في أول أمره من عبيد اسكندر جلبي الدفتري فلما تفرس فيه مخايل أرباب السداد وشمائل أصحاب الرشاد لم يزل ساعيا في تهذيبه واقرائه حتى انتظم في سلك أرباب الاستعداد ثم اشتغل عند السادة منهم المولى أحمد المشتهر بطاشكبري زاده وقرأ على المولى عبد الباقي وغيره من الاعيان حتى صار ملازما من المولى مصلح الدين المشتهر ببستان ثم درس في عدة مدارس وحصل نوال العلوم وتدارس حتى ولي مدرسة قبلوجه بروسه باربعين ثم مدرسة علي باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى مدرسة زوجة السلطان سليمان المشتهرة بالمدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة دمشق وفوض اليه الافتاء بهذه الديار وعين له كل يوم ثمانون درهما فلم يذهب كثير حتى توفي رحمه الله سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وقيل في تاريخه رفت قوري وكان

ودفن بالبقيع وكان بين يدي جنازته رجل ينادي هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثاه بعض المحدثين فقال

ذهب العليم بعيب كل محدث * وبكل مختلف من الاسناد
وبكل وهم في الحديث ومشكل * يعيا به علماء كل بلاد

رضي الله عنه ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الالف ميم والباقي معروف فلا حاجة الى ضبطه ورأيت في بعض التواريخ انه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام مولى الجنيد بن عبد الرحمن الغطفاني المري أمير خراسان من قبل هشام بن عبد الملك الاموي والاول أشهر وأصح أعني النسب والمري بضم الميم وتشديد الراء هذه النسبة الى مرة غطفان وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان وهي قبيلة كبيرة مشهورة وفي العرب عدة قبائل تنسب اليها يقال لكل واحدة منها مرة وأما نقياي فقال ابن السمعاني في كتاب الانساب انها بفتح النون وكسر القاف أو فتحها وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان وبعد الالف ياء ثانية وهي من قرى الانبار منها يحيى بن معين النقيايي قال الخطيب ويقال ان فرعون كان من أهل هذه القرية والله أعلم

(أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاسن بن شمال بن منغايا الليثي)

أصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة مولى بني ليث فنسب اليهم وجده كثير يكنى أبا عيسى وهو الداخل الى الاندلس وسكن قرطبة وسمع بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون القرطبي راوي موطا مالك بن أنس رضي الله عنه وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطا غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعه فيها فأثبت روايته فيها عن زياد وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وتفقه بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه به وملازمته له وكان مالك يسميه عاقل أهل الاندلس وسبب ذلك فيما يروى انه كان في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه فقال قائل قد حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا اليه ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لا تخرج فتراه لانه لا يكون بالاندلس فقال انما جئت من بلدي لانظر اليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لانظر الى الفيل فأعجب به مالك وسماه عاقل أهل الاندلس ثم ان يحيى عاد الى الاندلس وانتهت اليه الرياسة بها وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر روايات الموطا وأحسنها رواية يحيى بن يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند الامراء مكينا عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء فكان أعلى قدرا من القضاة عند ولاة الامر هنالك لزهده في القضاء وامتناعه منه وقال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الاندلسي المقدم ذكره مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى كانت القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى المشرق الى أقصى افريقية الا أصحابه والمنتمين اليه والى مذهبه ومذهب مالك بن أنس عندنا في بلاد الاندلس فان يحيى ابن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة فكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على ان يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم (وحكى) أحمد بن أبي الفياض في كتابه قال كتب عند الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموي المعروف بالمرتضى صاحب الاندلس فأرسل الى الفقهاء يستدعيهم اليه فأتوا الى القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر رمضان الى جارية له كان يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم يملك نفسه ان وقع

عليها

رحمه الله عالما فاضلا ذكي الطبع شريف النفس لطيف الروح لطيف المباحثة لذيذ الصحبة وقد ولع في آخر عمره في مطالعة الكتب وتحرير الخواطر وقد كتب حواشي على بعض المواضع من تفسير البيضاوي وبيضها في كراريس وعلق حواشي على الدرر والغرر للمولى خسرو من أول الكتاب الى آخره وله يد في قول الشعر بالتركي والانشاء وله بعض رسائل منشآت على لسان العرب وله رسالة لطيفة في علم الخط وقد قال في أول ديباجتها الحمد لمن علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الامي الاكرم الذي ما خط في القرطاس وما رقم وقال في آخرها وجعلتها رسالة منفردة وعجالة متفردة ليسهل تحريرها على أصحاب القلم ويتيسر نظرها لارباب الرقم هدية لكل كاتب طالب وتحفة لكل راقم راغب راجيا أن تبقى ببقاء الزمان وينتفع بها في بعض الاوقات والاوان ويكون وسيلة للدعاء لهذا العبد الجاني بعد انقراض عمري وأواني ونعم القول من قال الخط باق والعمر فاني

(ومن العلماء العاملين والفضلاء الكاملين المولى يحيى بن عمر)

كان أبوه من [illegible]

عليها ثم ندم ندماً شديداً فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته فقال يحيى بن يحيى يكفر ذلك بصوم شهرين متتابعين فلما بدر يحيى بن يحيى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده فقال بعضهم لبعض وقالوا ليحيى مالك لم تفته بمذهب مالك فعنده انه مخير بين العتق والاطعام والصيام فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة فيه ولكن حملته على أصعب الامور لئلا يعود ولما انفصل يحيى عن مالك ليعود الى بلاده ووصل الى مصر رأى عبد الرحمن بن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط الى الرجوع الى مالك ليسمع المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه فرحل اليه ثانية فألفى مالكاً عليلا فأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك ذكر ذلك ابو الوليد بن الفرضي في تاريخه وذكر أيضاً فيه ما مثاله وانصرف يحيى بن يحيى الى الاندلس فكان امام وقته وواحد بلاده وكان رجلا عاقلا قال محمد بن عمر بن لبابة فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى وكان يحيى ممن اتهم ببعض الامر في الهيج فخرج الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم أماناً وانصرف الى قرطبة وكان أحمد بن خالد يقول لم يعط أحد من اهل العلم بالاندلس منذ دخلها الاسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى وقال ابن بشكوال في تاريخه ان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة وكان قد أخذ في نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك (ويحكى) عنه انه قال أخذت بركاب الليث بن سعد فاراد غلامه ان يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك أهل العلم فلم تزل بي الايام حتى رأيت ذلك ثم قال وتوفي يحيى بن يحيى في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة ابن عباس يستسقى به وهذه المقبرة بظاهر قرطبة وزاد أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ان وفاته لثمان بقين من الشهر المذكور وقال أبو الوليد بن الفرضي في تاريخه انه توفي سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين في رجب والله أعلم بالصواب وأما وسلاوس فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الاولى منهما ساكنة وبينهما لام ألف وزاد فيه نون فقال وسلاسن ومعناه بالبربرية يسمعهم وشمال بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الالف لام ومنغايا بفتح الميم وسكون النون وفتح الغين المعجمة وبعد الالف ياء مثناة من تحتها وبعدها الف مقصورة ومعناه عندهم قاتل والله تعالى أعلم وقد تقدم الكلام على الليثي والبربري ومصمودة

(ابو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج التميمي الاسيدي المروزي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب)

كان فقيهاً عالماً بالفقه بصيراً بالاحكام ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما وقد مر ذكره في ترجمة سفيان وما دار بينهما وروى عنه أبو عيسى الترمذي وغيره وقال طلحة بن محمد بن جعفر في حقه يحيى بن أكثم أحد أعلام الدنيا وقد اشتهر أمره وعرف خبره ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لامره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم بالفقه كثير الادب حسن المعارضة قائم بكل معضلة وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً وكان المأمون ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيأ الا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ولا نعلم أحداً غلب على سلطانه في زمانه الا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبي دواد وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم وابن أبي دواد أيهما أنبل فقال كان أحمد يجد مع جاريته وابنته ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه وكان يحيى سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة بخلاف أحمد بن أبي دواد وقد تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة وكان يحيى يقول القرآن كلام الله فمن قال انه مخلوق يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه وذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن الاشنهي الملقب زين الدين في كتاب الفرائض في آخر مسائل الملقبات وهي الرابعة عشر المعروفة بالمأمونية

وكان قاضياً في بعض القصبات وقد وقع ولادة المرحوم على رأس تسعمائة ونشأ رحمه الله في قصبة طرابوزن واميرها يومئذ السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان قد دخلت أم المولى المذكور دار الامير المزبور وابنه السلطان سليمان يومئذ صغير لم يتكلم له الشيء بالاقدام ولم يبلغ رتبة الانفطام فارضعته برهة من الزمان فصار له رضيع لبان وبعد التما والتي رغب المرحوم في تحصيل المعارف والعلوم وجد في الطلاب وقاتل الركاب وتعانى شدائد الاسفار واستفتح مغالق الاسفار الى أن حوى المعارف وحازها وتحقق حقائق العلوم ومجازها وصاحب الاماجد والاعالي حتى صار ملازماً من المولى علاء الدين الجمالي ويقال انه في أوان طلبه واشتغاله اعتزل الناس مدة سبع سنين واعتكف في غار بقرب طرابوزن معتكفاً على الاشتغال في العلوم ثم درس بمدرسة بروسه بعشرين ثم بالمدرسة الخاتونية بقسطنطينية بخمسة وعشرين ثم مدرسة المولى محمد ابن الحاجي حسن بثلاثين ثم المدرسة الافضلية بأربعين ثم مدرسة مصطفى باشا بخمسين كل ذلك بالمدينة المزبورة ثم نقل الى مدرسة

وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت احدى البنتين وخلفت من في المسئلة سميت مأمونية لان
المأمون أراد أن يولي رجلا على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فلما حضر دخل عليه وكان دميم
الخلق فاستحقره المأمون لذلك فعلم ذلك يحيى فقال يا أمير المؤمنين سلني ان كان القصد علمي لا خلقي فسأله عن
هذه المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول رجل أم امرأة فعرف المأمون انه قد عرف المسئلة فقلده
القضاء وهذه المسئلة ان كان الميت الاول رجلا تصح المسئلتان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث
الجد في المسئلة الثانية شيأ لانه أبو أم فتصح المسئلتان من ثمانية عشر سهما وذكر الخطيب في تاريخ بغداد
أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة ونحوها فاستصغره أهل البصرة فقالوا كم سن القاضي
فعلم انه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم
الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأنا أكبر من كعب
ابن سور الذي وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة فجعل جوابه احتجاجا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله احدى وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون
وكان اسلامه يوم فتح مكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلك وأكون مثلك فقال أوما ترضى ان
أستعملك على آل الله تعالى فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وبقي يحيى سنة لا يقبل
بها شاهدا فتقدم اليه أحد الامناء فقال أيها القاضي قد وقفت الامور وتريثت الاحوال فقال وما السبب قال
في ترك القاضي قبول الشهود فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهدا وقال غير الخطيب كانت ولاية القاضي
يحيى بن أكثم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة ان يحيى المذكور
ولي البصرة بعد اسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة وحدث محمد بن منصور قال كنا مع المأمون في طريق الشام
فأمر فنودي بتحليل المتعة فقال يحيى بن أكثم لي ولابي العيناء بكرا غدا اليه فان رأيتما للقول وجها فقولا
والا فاسكتا الى ان أدخل قال فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ متعتان كانتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهى
عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فأومأ أبو العيناء الى محمد بن منصور وقال رجل
يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فأمسكنا فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا فقال المأمون ليحيى
مالي أراك متغيرا فقال هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الاسلام قال وما حدث فيه قال النداء بتحليل الزنا
قال الزنا قال نعم المتعة زنا قال ومن أين قلت هذا قال من كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين
قال لا قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها قال لا قال فقد صار متجاوز هذين
من العادين وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد
ان كان قد أمر بها فالتفت الينا المأمون فقال أمحفوظ هذا من حديث الزهري فقلنا نعم يا أمير المؤمنين رواه
جماعة منهم مالك رضي الله عنه فقال أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها قال أبو اسحق اسمعيل بن حماد
ابن زيد بن درهم الازدي القاضي الفقيه المالكي البصري وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظم أمره وقال كان
له يوم في الاسلام لم يكن لاحد مثله وذكر هذا اليوم وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب فتركها الناس
لطولها وله كتب في الاصول وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي
مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال أصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون
الشبع فقال فكم أضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم أبكي قال لا تمل من البكاء من
خشية الله تعالى قال فكم أخفي من عملي قال ما استطعت قال فكم أظهر منه قال مقدار ما يقتدي بك البر الخير

نقله السلطان المذكور ثم الى احدى المدارس الثمان فاتفق انه أرسل مكتوبا الى رضيعه السلطان سليمان وشنع عليه لبعض المنكرات وأغلظ في الكلام فاشمأز منه خاطر السلطان فعزله وعين له كل يوم خمسين درهما ثم زاد عليها عشرة فانقطع المرحوم عن التردد الى أبواب الوزراء والامراء في حديقته التي عمرها من قبل في موضع من توابع قسطنطينية يقال له بشك طاش ويحكى في سبب اختياره تلك البقعة انه وقعت له في أثناء المجيء من طرابزون واقعة ملخصها انه أتى اليه في منامه شخص وعاتبه على تعيشه وسكونه في قسطنطينية وأشار الى الخروج منها ونحو ذلك فلما أصبح فكر وتأمل وتفكر لم يجد بدا من تركها بالكلية فقام من وقته وتتبع نواحي قسطنطينية حتى أشرف على تلك البقاع فاذا المجذوب قاعد عند بئر فلما رأى المرحوم ناداه بأن هات درهما واحدا حتى أبيع لك هذه الديار وأشار الى تلك الحوالي والرياض فلما سمعه دفع اليه ما طلبه فقال المجذوب بخذ مبيعك وأشار ثانيا الى تلك الاطراف فتتبع المرحوم أصحاب تلك البقاع حتى أشرف على تلك البقعة

ويؤمن عليك قول الناس قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن وكان يحيى من أدهى الناس وأخبرهم بالامور ورأيت في بعض المجاميع ان احمد بن أبي خالد الاحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض المستراحات فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد وجلس على طرف السرير معه فقال أحمد يا أمير المؤمنين ان القاضي يحيى صديقي وممن أثق به في جميع أموري وقد تغير عما عهدته منه فقال المأمون يا يحيى ان فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي أحد فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا أمير المؤمنين والله انه ليعلم أني له على أكثر مما وصف ولكنه لما رأى منزلتي منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوما فأقدح فيه عندك فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني وانه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبدا فقال المأمون أكذلك هو يا أحمد قال نعم يا أمير المؤمنين قال أستعين بالله عليكما فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فطنة منكما ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات المنسوبة اليه الشائعة عنه والله أعلم بحاله فيها وذكر الخطيب في تاريخه انه ذكر لاحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس به فقال سبحان الله من يقول هذا وأنكر ذلك انكارا شديدا وذكر عنه انه كان يحسد حسدا شديدا وكان متفننا فكان اذا نظر الى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث واذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو واذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليقطعه ويخجله فدخل اليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه متفننا فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال ما تحفظ من الاصول قال أحفظ عن شريك عن أبي اسحق عن الحرث ان عليا رضي الله عنه رجم لوطيا فأمسك يحيى عنه ولم يكلمه ثم قال الخطيب أيضا ودخل على يحيى بن أكثم ابنا مسعدة وكانا على نهاية الجمال فلما رآهما تمشيان في الصحن أنشد يقول

يا زائرين من الخيام * حياكم الله بالسلام
لم تأتياني وخبزوحش * الى حلال ولا حرام
يحزنني أن وقفتماني * وليس عندي سوى الكلام

ثم أجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا ويقال انه عزل عن الحكم بسبب هذه الابيات ورأيت في بعض المجاميع ان يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب المذكور في ترجمة أخيه سليمان بن وهب وهو يومئذ صبي فلاعبه ثم جمشه فغضب الحسن فانشد يحيى

أيا قمرا جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا يا سيدي متنقبا * ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة
وتجعل منها فوق خديك عقربا * فتقتل مسكينا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

وقال أحمد بن يونس الضبي كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن أكثم القاضي وكان غلاما جميلا متناهي الجمال فقرص القاضي خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده فقال له يحيى خذ القلم واكتب ما أملي عليك ثم أملى الابيات المذكورة والله أعلم وقال اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الصفار سمعت أبا العيناء في مجلس أبي العباس المبرد يقول كنت في مجلس أبي عاصم النبيل وكان أبو بكر بن يحيى بن أكثم حاضرا فنازع غلاما فارتفع الصوت فقال أبو عاصم مهيم فقالوا هذا أبو بكر بن يحيى بن أكثم نازع غلاما فقال ان يسرق فقد سرق له أب من قبل هكذا ذكره الخطيب في تاريخه وذكر الخطيب أيضا في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور من الذي يقول

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال أوما يعرف أمير المؤمنين من القائل قال لا قال يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ * أمة وال من آل عباس

قال فافحم المأمون خجلا وقال ينبغي أن ينفى أحمد بن أبي نعيم الى السند وهذان البيتان من جملة أبيات أولها

أنطقني الدهر بعد اخراس * لنائبات أطلن وسواسي * يا بؤس للدهر لا يزال كما
يرفع ناسا يحط من ناس * لا أفلحت أمة وحق لها * بطول نكس وطول اتعاس
ترضى بيحيى يكون سائسها * وليس يحيى لها بسواس

فاشتراها في يومه ذلك وبات بها ليلة ثم استوطنها وعمر اطرافها وبنى فيها عدة مدارس ومسجدا وخانقاه وحماما ومقاما سماه بخضرلق بناء على أنه يعتقد أن ذلك هو مجمع البحرين الذي اجتمع فيه الخضر بموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وكان سببا لاحياء تلك الناحية واعتزل عن الناس واشتغل بنفسه فحصل للناس فيه اعتقاد عظيم وقبول تام وقصدوه بالنذور والقرابين واجتمع فيه من الفقراء والمسافرين جمع كثير وجم غفير حتى وصل الى أنه أنفق عليهم كل يوم من الخبز ما قيمته تنيف على مائة درهم سوى ما يصرفه في سائر الخوارج والاطعمة وكان يقع منه ذلك وظيفته كل يوم ستون درهما فالتمس بعضهم الى معرفة علم الكافي وبعضهم الى علم الدفائن وكان يتردد اليه أرباب الحاجات من كل حدب يطلبون منه الشفاعة الى الوزراء وسائر الحكام وهو لا يضن بشيء ويبذل مقدوره في حوائجهم وقد استغنى بعض الرؤساء بكتوبه فاعقبه نكبة من العزل أو الموت وذلك انه أرسل في بعض شأنه مكتوبا الى الوزير علي باشا من وزراء السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فلم

قاضٍ يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس
يحكم للأمرد الغرير على * مثل جرير ومثل عباس
٣ فالحمد لله قد ذهب الـ * عدل وقل الوفاء في الناس
أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والرأس شر من راس
لو صلح الدين واستقام لقد * قام على الناس كل مقياس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ * أمة والٍ من آل عباس

وظني انها أكثر من هذا لكن الخطيب لم يذكر الا هذا القدر ونقلت من أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الانباري المقدم ذكره ان القاضي يحيى بن أكثم قال لرجل يأنس به ويمازحه ما تسمع الناس يقولون في قال ما أسمع الاخيرا قال ما أسألك لتزكيني قال أسمعهم يرمون القاضي بالابنة قال فضحك وقال اللهم اغفر المشهور عنا غير هذا (وحكى) أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني ايضا المذكور وقائع في هذا الباب وان المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه فاخلى له مجلسا واستدعاه وأوصى مملوكا خزريا أن يقف عندهما وحده واذا خرج المأمون يقف المملوك عند يحيى فلا ينصرف وكان المملوك في غاية الحسن فلما اجتمعا بالمجلس وتحادثا وانصرف المأمون كأنه يقضي حاجة فوقف المملوك فتجسس المأمون عليهما وكان قد قرر معه أن يعبث بيحيى علما منه ان يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول لولا أنتم لكنا مؤمنين فدخل المأمون وهو ينشد

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وهذان البيتان لابي حكيمة راشد بن اسحق الكاتب وراشد له مقاطيع كثيرة وذكر المسعودي في مروج الذهب في ترجمة المأمون جملة من أخبار يحيى في هذا الباب أضربنا عن ذكرها ومما يناسب حكاية المأمون مع يحيى بسؤاله عن البيت لمن هو فأجابه يحيى ببيت آخر من القصيدة ما روي ان معاوية بن أبي سفيان الاموي لما مرض مرض موته واشتدت علته وحصل اليأس منه دخل عليه بعض أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعوده ولا استحضر الآن من هو فوجده قد استند جالسا يتجالد لئلا يشتفي به فنهض عن القعود فاضطجع وأنشد وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
فقام العلوي من عنده وهو ينشد واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع
فعجب الحاضرون من جوابه وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لابي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي يرثي بها بنيه وكان قد هلك له خمس بنين في عام واحد أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا معه الى مصر وهلك أبو ذؤيب المذكور في طريق مصر وقيل في طريق افريقية مع عبد الله بن الزبير ثم وجدت في كتاب فلك المعاني لابن الهبارية في الباب التاسع من الكتاب المذكور ان الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما دخل على معاوية في علته فقال اسندوني ثم تمثل ببيت أبي ذؤيب وأنشد البيت المذكور فسلم الحسن ثم أنشد البيت الثاني والله أعلم وذكرها أبو بكر بن داود الظاهري في كتاب الزهرة منسوبة الى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والله أعلم قلت ولم يذكر ابن الهبارية مرض موته ولا الظاهري أنه كان في علة الموت ولا يمكن ذلك لان الحسن توفي قبل معاوية والحسين لم يحضر وفاة معاوية لانه كان بالحجاز ومعاوية توفي بدمشق ثم وجدت في أول كتاب التعازي تأليف أبي العباس المبرد هذه القصة جرت للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه * ومثل ذلك ما يحكى ان عقيل بن أبي طالب هاجر أخاه عليا والتحق بمعاوية فبالغ معاوية في بره وزاد في اكرامه ارغاما لعلي رضي الله عنه فلما قتل علي واستقل معاوية بالامر ثقل عليه أمر عقيل فكان يسمعه ما يكره ليتصرف عنه فبينما هو يوما في مجلس حفل بأهل الشام اذ قال معاوية أتعرفون أبا لهب الذي أنزل الله في حقه قوله تعالى تبت يدا أبي لهب من هو فقال أهل الشام لا فقال معاوية هو عم هذا وأشار الى عقيل فقال عقيل في الحال أتعرفون امرأته التي قال الله في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد من هي فقالوا لا قال هي عمة هذا وأشار الى معاوية وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن

٣ قوله فالحمد الخ كذا بالاصل والشطر الاول غير مستقيم ولعله فالحمد لله جل قد الخ أو نحو ذلك اهـ امية

بمأبه وكتب في ورقة
ترى العجب ترى العجب
بين جمادى ورجب
وأرسلها اليه فلما اطلع
عليها ازداد افتكارا
واستخفافا بشأنه معتمدا
على قوة سلطانه فلم يذهب
هذان الشهران الا وقد نزل
به الخطب الكبير الذي
يستوي بين الغني والفقير
والسلطان والوزير بأمر
الله العزيز القدير ولما
صارت السلطنة الى سلطاننا
السلطان سليم خان طلبه
في بعض الايام واستنصح
منه وأرسل اليه من المال
جملة وقضى حوائجه كان
ذلك في أواخر عمره (وقد
توفي رحمه الله في اليوم
التاسع من ذي الحجة بعد
العصر) وصلى عليه المفتي
أبو السعود بعد صلاة
الجمعة ودفن بقرب من حديقته
في موضع عينه قبل موته
وقد اجتمع في جنازته خلق
عظيم مع بعده عن البلد
وذلك سنة ثمان وسبعين
وتسعمائة * كان رحمه الله
عالما فاضلا مستحضرا من
العلوم نفائسها وكان متحمد
الطالبة مع انقطاعه عن
الجماعة وكان صاحب
جذبة عظيمة ونفس مباركة
وبالجملة كان رحمه الله
متلبسة الولاية ومنبعا الكرامة
وكان قبره مقصدا الناس
يزورونه ويتبركون به
وينفقون على من عنده
من الفقراء وله معارف
جزئية كالشعر والانشاء

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزى وهي المشار اليها في هذه السورة فكان ذلك من الاجوبة المسكتة ويقرب من هذا أيضا ان بعض الملوك حاصر بعض البلاد وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد فكتب الملك المحاصر الى صاحب البلد كتابا يشير اليه بانه يسلم البلد اليه ولا يقاتله وذكر ما جاء به من الرجال والاموال والالات ومن جملة الكتاب قوله تعالى حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فلما وصل الكتاب الى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه قال من يجاوب عن هذا فقال بعض الكتاب انا فكتب اليه فتبسم ضاحكا من قولها فاستحسن الحاضرون جوابه ومثل هذا أيضا ما حكاه ابن رشيق القيرواني في كتاب الانموذج وهو ان عبدالله بن ابراهيم بن المثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب المهدوي الاصل القيرواني البلد الشاعر المشهور كان مغرى بالسياحة وطلب الكيمياء والاسفار وكان محروما مقترا عليه متلافا فاذا أفاد شيأ أتلفه فخرج مرة يريد جزيرة صقلية فاسره الروم في البحر وأقام مدة طويلة مأسورا الى ان هادن ثقة الدولة يوسف بن عبدالله بن محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وبعث اليه بالاسرى فكان عبدالله المذكور فيمن بعث فامتدح عبدالله المذكور ثقة الدولة بقصيدة شكره فيها على صنعه وبره وصلته فلم يصله بشئ أرضاه وكانت فيه رغبة في الكلام وطلب طلبا شديدا وهو يستخفي عند من يعرفه من أهل صناعته وطالت المدة فخرج سكران يشتري نقلا فلما شعر الا وقد أخذ وجاء به صاحب الشرطة حتى ادخله على ثقة الدولة فقال له ما الذي بلغني يا بائس قال الحال ايد الله سيدنا الامير قال ومن هو الذي يقول في شعره * فالحر ممتحن باولاد الزنا * قال هو الذي يقول * وعداوة الشعراء بئس المقتنى * فتمر ساعة ثم أمر له بمائة دينار وأخرجه من المدينة كراهية ان تقوم عليه نفسه فيعاقبه بعد ان عفا عنه فخرج منها وهذا المستشهد به عجزا بيتين من شعر المتنبي في قصيدته النونية التي يمدح بها بدر بن عمار واولها

الحب مانع الكلام الالسنا * والذ شكوى عاشق ما أعلنا

وهي من مشاهير قصائده وأول العجز الاول

وانه المشير عليك فيّ بضلة * فالحر ممتحن باولاد الزنا

وأول العجز الثاني ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

واذ قد ذكرنا ثقة الدولة المذكور فنذكر قصيدة أبي محمد عبدالله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة التي مدحه بها في عيد النحر وهي قصيدة بديعة لا توجد بكمالها في أيدي الناس ولقد ظفرت بها على ظهر كتاب ولم يكن عندي منها سوى البعض ولا سمعت أحدا يروي منها الا ذلك القدر فأحببت اثباتها لحسنها وغرابتها وهي هذه

بذيل الهوى دمعي وقلبي المعنف * وتحت جفوني الوجد وهو المكلف
واني ليدعوني الى ما سبقته * وفارقت مغناه الاغن المشنف
واحور ساجي الطرف أما وشاحه * فصفر وأما ردفه فمشرف
يطيب اجاج الماء من نحو أرضه * يحلي ويندى ريقه وهو مرشف
وآيسني من وصله أن دونه * متالف تسري الريح فيها فتتلف
وغيران يعفو النوم كي لا يرى لنا * اذا نام شملا في الكرى يتألف
يظل على ما كان من قرب دارنا * ويغفلته عما مضى يتأسف
وجون يجر الرعد فيه ودقه * يرى برقه كالحية الصل تطرف
كأني اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وبرقه * كنفث الرقى من سوء ما أتكلف
ذكرتك ريا وما كنت ناسيا * فاذكر لكن لوعة تتضعف
ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك ريا والركائب تعسف

* (ومنهم المولى العلامة محمد بن حسن السامسوني) تولى جده المولى حسن قضاء العسكر في دولة السلطان محمد خان وتوفي أبوه قاضيا بمدينة أدرنه ولهما تصانيف يتداولها الناس قرأ رحمه الله على موالي عصره وأفاضل مصره وجد واجتهد واشتغل واستفاد حتى صار معيد الدرس المولى قوام الشهير بقاضي بغداد ثم تشرف بالتلمذ والاستفادة من المولى علاء الدين المشتهر بمؤيد زاده ولما صار ملازما منه درس بمدرسة مراد باشا بقسطنطينية بعشرين ثم صار وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم بمدرسة ابن الحاجي حسن بثلاثين ثم صار وظيفته فيها خمسة وثلاثين ثم بالمدرسة الحلبية بادرنه باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسة واربعين ثم بمدرسة مصطفى باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيدخان بادرنه ثم قلد قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء أدرنه ثم نقل الى قضاء قسطنطينية ثم عزل ثم عين للتدريس في مدرسة السلطان بايزيد خان بقسطنطينية وعين له كل يوم مائة درهم ثم نقل عن هذه الوظيفة الى احدى المدارس الثمان ثم نصب للتفتيش العام في ديار العرب والعجم وعين له كل يوم

تنكرت الهما والمطى كأنما * غوارب ما منها معاطس رعف
فقالت أما تشكين من يعرف الفتى * فقد رابني من طول ما يتشوف
أراه اذا سرنا يسير حذاءنا * ووقت أحقاف المطى فيوقف
فقلت لتربيها ابلغاها بأنني * بها مستهام قالتا نتلطف
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا * منى والمنى في خيفة ليس يخلف
تفاءلت في أن تبذلى طارف الوفا * بأن عن لى منك البنان المطرف
وفى عرفات ما يخبر أنني * بعارفة من عطف قلبك اسعف
واما دماء الهدى فهي هدى لنا * يدوم ورائق الهوى يتألف
وتقبيل ركن البيت اقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
فاوصلتا ما قلته فتبسمت * وقالت احاديث العيافة زخرف
بعيشى ألم اخبركما أنه فتى * على لفظه برد الكلام المفوف
فلا تأمنا ما استطعتما كيد نطقه * وقولا ستدرى ايّنا اليوم اعيف
اذا كنت ترجو في منى الفوز بالمنى * ففي الخيف من اعراضنا تتخوف
وقد انذر الاحرام أن وصالنا * حرام وانّا عن مزارك نصدف
وهذا وقوفي بالحصى للتحير * بان النوى عن ديارك تقذف
وسائر نفارى لينة النفر انه * سريع فقل من بالعيافة اعرف
فلم ار مثلينا خليلى مودة * لكل لسان ذى غرار ين مرهف
اما انه لولا أغن مهفهف * واشنب براق واحور أوطف
لراجع مشتاق ونام مسهد * وايقن من تاب واقصر مدنف
وعاذلة في بذل ما ملكت يدى * لراج رجائي دون حسبي تعنف
تقول اذا اتلفت مالك كله * واسعو حسبين بعطيك قلت يوسف
أغر قضاعى يكاد نواله * لكثرة ما يعوالي الشكر يجحف
اذا نحن اخلفنا مخايل ديمة * وجدنا حيا معروفه ليس يخلف
سعى وسعى الاملاك في طلب العلا * ففازوا كدوا اذا اخفوا وقلفوا
ويقظان شاب البأس باللين والتقى * يكفيه ما يرجى وما يتخوف
حسام على من ناصب الدين مصلت * وستر على من راقب الله مغدف
يسايره جيشان رأى وفيلق * ويصحبه سيفان عزم ومرهف
تعالى على من شاءه فكأنما * على حكمه صرف الردى يتصرف
يرى برأيه ما لا ترى عين غيره * ويغرى به ما ليس يغرى المثقف
رعى الله من ترجى حمى الدين عينه * ويحمى رب الاسلام والليل اغضف
ومن رعده في سرح الحمى مطلق * وانفاذه في ذمة الحلم موقف
ومن يضرب الاعداء اعمرا فيتقى * صناديدهم والبيض بالهام تقذف
وما لهم يجر ضخم الارض وزه * كأن الروابي فيه بالخيل تدلف
كأن الردينيات فيه ورق الضحى * اراقم في طام من الآل تزحف
يعود الدجى من بيضه وهو أبيض * ويبدو الضحى من نقعه وهو اكلف
ويحجب نور الشمس بالنقع عنهم * فتعل القنا في هامهم لا يكيف
لهم كل عام منك طائل فيلق * تسائل عنهم بالعوالى فتلطف

ثلثمائة وخمسون درهما واستمر على ذلك سنة ثم صار وظيفته كل يوم أربعمائة درهم واستمر على ذلك سنتين ثم عاد الى مدرسته بمائة درهم ثم قلد قضاء حلب برغبة منه وطلب بسبب انه أحاطه الديون واستغرقته حقوق الناس لحجائه القريب الى حد الاسراف ثم عزل وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد (وتوفى فى أوائل المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما فاضلا مشتدينا مشكور السيرة فى قضائه حيث تعد مدته من تواريخ الايام ويشكره ويدعو له كل من يعرفه من الخواص والعوام وكان رحمه الله فى الطبقة العليا من السير والسياسة وكان مائلا الى الفاهور وحب الرياسة وقد حكى بعض الثقات خبرا غريبا يتعلق بعزله عن قضاء قسطنطينية وهو انه كان من جواشير رجل صالح معتقد يعتقد بعض ذلك كين قسطنطينية خبرا وكان يتردد اليه بعض الصلحاء والمجذوبين فاذا برجل مجذوب أتاه صبيحة يوم فقال للسرى فى أثناء كلامه ان الشيخ افندى حاجة فعلمه كون المولى المزبور قاضيا بالعسكر فذكر له والتمس منه التوجه فى ذلك فقال المجذوب ان تستحصل لذلك المطلوب

اذا ما طووا كشحا على قرح عامهم * وبلوا من الآلام ما شاءت تعرف
فكم من أغم الوجه غادر كته * وهاديه من عثنونه طيها كثف
هو المقضب الماضي بهواه فانثنى * صريعا تراه حسرا وهو اسقف
لعمري لقد عاديت في الله طالبا * رضاه وقد أبليت ما الله يعرف
وطالبتهم في الاهل حتى تركتهم * فرادى وفي الادنان حتى تحنفوا
فيا ثقة الملك الذي الملك سهمه * يراش لأكباد الاعادي ويرصف
هنيئا لك العيد الذي منك حسنه * يزف ومن أوصافك الغر توصف
بدا معلم الارجاء يزهى كأنما * على عطفه وشي العراق المفوف
أتى بعد حول زائرا عن تشوق * وقد كان ذا طرف للقائك طارف
فطاوقته عزا وشرفته به * فلاح لنا وهو الهلال المشنف
وقابلته بالسعد فيك جعفر * فيالك من عيد بملكك يحتف
فلا زلت تستجدى فتولي وترتجى * فتكفي وتستدعى لخطب فتكشف

تمت القصيدة وكان لثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة وكان أديبا شاعرا وله الابيات السائرة في غلامين على أحدهما ثوب ديباج احمر وعلى الآخر ثوب ديباج اسود وهي

أرى بدرين قد طلعا * على غصنين في نسق * وفي ثوبين قد صبغا
صباغ الخد والحدق * فهذا الشمس في شفق * وهذا البدر في غسق

وكان عمله لهذه الابيات في سنة سبع وعشرين وخمسمائة ولما توجه المأمون الى مصر وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين دخلها لعشر خلون من المحرم وخرج منها لسبع عشرة من السنة كان معه القاضي يحيى بن أكثم فولاه قضاء مصر وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع المأمون وعده ابن زولاق في جملة قضاة مصر لذلك وروى عن يحيى بن أكثم انه قال اختصم الي في الرصافة الجد السادس يطلب ميراث ابن ابن ابن ابن ابنه وكان عبد الصمد بن أبي عمرو بن المعذل بن غيلان بن الحارث بن البختري العبدي البصري الشاعر المشهور يلازم التردد الى القاضي يحيى المذكور ويغشى مجلسه وكان بعض الاحيان لا يقدر على الوصول اليه الا بمشقة ومقاساة فانقطع عنه فلامه وبعثه في ذلك مرارا فانشده

تكلفني اذلال نفسي لعزها * وهان عليها أن أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

ولم تزل الاحوال تختلف عليه وتتقلب به الى أيام المتوكل على الله فلما عزل القاضي محمد ابن القاضي أحمد بن أبي دواد عن القضاء فوض الولاية الى القاضي يحيى وخلع عليه خمس خلع ثم عزله في سنة أربعين ومائتين وأخذ أمواله وولى في رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي فجاء كاتبه الى القاضي يحيى فقال له سلم الديوان فأبى فقال شاهدان عدلان على أمير المؤمنين انه أمرني بذلك فأخذ منه الديوان قهرا وغضب عليه المتوكل فأمر بقبض أملاكه وألزم منزله ثم حج وحمل أخته معه وعزم على أن يجاور فلما اتصل به رجوع المتوكل له بدا له في المجاورة ورجع يريد العراق فلما وصل الى الربذة توفي بها يوم الجمعة منتصف ذي الحجة سنة ثنتين وأربعين ومائتين وقيل غرة سنة ثلاث وأربعين ودفن هنالك رحمه الله تعالى وعمره ثلاث وثمانون سنة وأكثم بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم وهو الرجل العظيم البطن والشبعان أيضا يقال بالثاء المثلثة والتاء المثناة من فوقها ومعناهما واحد ذكره في كتاب المحكم (وحكى) أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضي صديقا لي وكان يودني وأوده فمات يحيى فكنت أشتهي ان أراه في المنام فأقول ما فعل الله بك فرأيته ليلة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي الا انه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت على نفسك في الدنيا فقلت

فقل المولى المزبور يقرضني من ماله مائتي دينار ويعين واحدا من عبيده للعتق فاذا فعل ذلك يحصل المراد ان شاء الله تعالى فذهب ذلك الرجل السوقي الى المولى المزبور وعرض عليه القصة وأخبره بما جرى بينه وبين المجذوب فلما سمعه استغرب به وضحك وقال ان أولياء الله المتصرفين في عالم الملكوت متبرؤون من طلب مال في عمل لهم وأما قضاء العسكر فطريق الذي لا يقوى وما أنت الا رجل ابله فقال له السوقي لعل في ذلك حكمة خفية وباحث معه وآل الامر الى ان قال المولى المزبور ان عين ذلك الرجل يوم النصب فعلي ما ذكره فافترقا على ذلك فلما أصبح السوقي وفتح حانوته جاءه المجذوب وسأله عن القصة فلم يجبه حياء واستحياء من المجذوب فقال المجذوب قد سمعت كل ما جرى بينك وبينه فأخذ من الحانوت ورقة وطواها على طولها ثم قطعها قطعتين وقال أنا أفصل عن طلب التعيين كذلك وقد عزلته عن منصبه ودمرته تدميرا فلما سمعه السوقي تطير منه وقامت قيامته فقبل يد المجذوب واستعفى وبكى وقال له المجذوب لم أدر انعطافك لهذا القدر فاذا لا بد من تدارك الامر في الجملة ففعل افعالا غريبة خارجة عن طور العقل ثم

يارب اتكلت على حديث حدثنى به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قال انى لأستحى ان أعذب ذا شيبة بالنار فقال
قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيى الا انك خلطت على نفسك فى دار الدنيا هكذا ذكره أبو القاسم القشيرى
فى الرسالة وقطن بفتح القاف والطاء المهملة وبعدها نون وسمعان بفتح السين المهملة ومشنج كشفت عنه
كثيرا من الكتب وأرباب هذه الصناعة فلم أقف منه على حقيقة ثم وجدت فى نسخة من تاريخ بغداد للخطيب
وهى صحيحة مسموعة وقد قيد هذا الاسم بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح النون المشددة وفى آخره جيم
هذا أقصى ما قدرت عليه والله أعلم بالصواب ثم وجدته فى المختلف والمؤتلف لعبد الغنى بن سعيد كما قيدته
ههنا والاسيدى بضم الهمزة وفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها دال مهملة
هذه النسبة الى أسيد وهو بطن من تميم يقال له أسيد بن عمرو بن تميم وقد تقدم الكلام على التميمى
والمروزى والربذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة وبعدها هاء ساكنة وهى قرية من قرى المدينة
على طريق الحاج ينزلونها عند عبورهم عليها وهى التى نفى عثمان بن عفان أبا ذر الغفارى رضى الله عنهما
اليها وأقام بها حتى مات وقبره ظاهر هناك يزار ومسيلة بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام
وبعدها هاء ساكنة وهى بلدة من أعمال الزاب بافريقية وتوفى جعفر بن عبد الواحد القاضى المذكور ويكنى
أبا عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائتين وقيل سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين بطرسوس

(أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ أحد رجال الطريقة)

ذكره أبو القاسم القشيرى فى الرسالة وعده من جملة المشايخ وقال فى حقه نسيج وحده فى وقته له لسان فى
الرجاء خصوصا وكلام فى المعرفة خرج الى بلخ وأقام بها مدة ورجع الى نيسابور ومات بها ومن كلامه
كيف يكون زاهدا من لا ورع له تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك وكان يقول الجوع للمريدين رياضة
وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة والوحدة جليس الصديقين والفوت أشد من
الموت لان الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق والزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة
والجوع ومن خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية وسمع اسحق بن سليمان الرازى ومكى بن ابراهيم البلخى
وعلى بن محمد الطنافسى وروى عنه الغرباء من أهل الرى وهمذان وخراسان أحاديث مسندة قليلة وذكره
الخطيب فى تاريخ بغداد فقال قدم بغداد واجتمع اليه مشايخ الصوفية والنساك ونصبوا له منصة
وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتحاورون فتكلم الجنيد فقال له يحيى اسكت يا خروف ما لك وللكلام
اذا تكلم الناس وكان له اشارات وعبارات حسنة فن كلامه الكلام الحسن حسن وأحسن من الكلام
معناه وأحسن من معناه استعماله وأحسن من استعماله ثوابه وأحسن من ثوابه رضا من يعمل له ومن
كلامه حقيقة المحبة أن لا تزيد بالود ولا تنقص بالجفاء وكان يقول من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع
المريدين ذهبا ومع العارفين درا وياقوتا فليس من حكماء الله المريدين وكان يقول أحسن شئ كلام صحيح
من لسان فصيح فى وجه صبيح كلام دقيق يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رفيق وكان يقول
الهى كيف أنساك وليس لى رب سواك الهى لا أقول لا أعود لانى أعرف من نفسى نقض العهود ولكنى
أقول لا أعود لعلى أموت قبل ان أعود ومن دعائه اللهم ان كان ذنبى قد أخافنى فان حسن ظنى بك
قد أجارنى اللهم سترت على فى الدنيا ذنوبا أنا الى سترها فى القيامة أحوج وقد أحسنت بى اذ لم تظهرها
لعصابة المسلمين فلا تفضحنى فى ذلك اليوم على رؤس العالمين يا أرحم الراحمين ودخل على علوى ببلخ
زائرا له ومسلما عليه فقال له العلوى أيد الله الاستاذ ما تقول فينا أهل البيت قال ما أقول فى طين عجن بماء
الوحى وغرس بماء الرسالة فهل يفوح منه الا مسك الهدى وعنبر التقى فحشا العلوى فاه بالدر ثم زاره من الغد
فقال يحيى بن معاذ ان زرتنا فبفضلك أو زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا ومزورا ومن كلامه ما بعد
طريق على صديق ولا استوحش فى طريق من سلك فيها الى حبيب ومن كلامه مسكين ابن آدم لو خاف

قال وأما العزل فلا بد من
الوقوع اليوم الفلانى
فراح الى سبيله وبقى السوق
مهموما منتظرا الثالث اليوم
فلما جاء ذلك اليوم وقع
العزل على ما أخبر به المجذوب
ولم يتيسر القضاء بالعسكر
ومات على الحسرة والندامة
*(ومن فاز بعد الظهور
ومآل مقاليد الامور وانتهاء
الرياسة والقيادة وبلغ العز
والسودد فوق العادة وعن
قريب أخلاق ديباج عزه
الجديدان ومزق جلباب
سودده أيدى الحدثان
فعاد كأن لم يكن شيأ
مذكورا وكان ذلك فى
الكتاب مسطورا المولى
عطاء الله معلم السلطان
الاعظم والخاقان الاكرم
السلطان سليم خان بن
السلطان سليمان خان)*
نشأ رحمه الله تعالى بتوكى
من ولاية آيدين صار فارغ
عمره فى احراز العلوم
والمعارف بحيث لا يلويه
عن تحصيلها عائق ولا صارف
وتشرف بمجالس الافاضل
ومحافل الاماثل وقرأ على
العالم الخطير والمبدع
النحرير فخر الزمان علامة
الاوان المفتى أبو السعود
وهو مدرس بمدرسة داود
باشا ثم على الامام الهمام
السرى القمقام قدوة
المدققين أسوة المحققين
المولى سعد الله محشى
تفسير البيضاوى وهو قاض
بقسطنطينية حيث عين
البلدة ثم صار ملازما

النار

التارك لها خاف الفقر دخل الجنة وقال ما صحت ارادة أحد قط فمات حتى حن الى الموت واشتهاه اشتهاء الجائع الى الطعام لارتداف الآفات واستيحاشه من الاهل والاخوان ووقوعه فيما يتحير فيه صريح عقله وقال من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يتصل الى الجليل من العطاء وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمل والتراب ثم تطمع في الكواعب الاتراب هيهات أنت سكران بغير شراب ما أكملك لو بادرت أملك ما أجلك لو بادرت أجلك ما أقواك لو خالفت هواك وله في هذا الباب كل كلام مليح وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور رحمه الله تعالى وقال محمد بن عبد الله قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى وبيض وجهه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين

(أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الامام أبي عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده ابن الوليد بن منده بن بطة بن استندار بن جهار بخت بن فيرزان)

واسم منده ابراهيم ومنده لقب وقيل اسم استندار الفيرزان والله أعلم العبدي كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين وقد سبق ذكر جده أبي عبد الله محمد في حرف الميم وهو أبو زكريا ابن أبي عمرو بن أبي عبد الله بن أبي محمد بن أبي يعقوب من أهل أصبهان وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا فاضلا مكثرا صدوقا كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف أوحد أهل بيته في عصره خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الاصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبي وأبا طاهر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهاني وأباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبيد الله وأبا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن النعمان القصاني وأبا عبد الله محمد بن علي بن محمد الجصاص وأبا بكر محمد بن علي بن الحسين الجوزداني وأبا طاهر أحمد بن محمود الثقفي ورحل الى نيسابور وسمع بها أبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي وأبا بكر أحمد بن منصور البيهقي وبهمذان أبا بكر محمد ابن عبد الرحمن بن محمد النهاوندي وبالبصرة أبا القاسم ابراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسين السعداني وجماعة كثيرة سواهم وصنف تاريخ أصبهان وغير ذلك من الجموع ودخل بغداد حاجا وحدث بها وأملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن أبي صالح الجيلي وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي في خلق كثير لشهرته وثقته وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي الحافظ وأبو الحسن علي بن أبي تراب الزنكوي الخياط البغدادي وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار بن الصباغ وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء الحافظ وجماعة كثيرة وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال كتب الي الاجازة بجميع مسموعاته ثم قال سألت عنه أبا القاسم اسمعيل بن محمد الحافظ فأثنى عليه ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ثم قال سمعت أبا بكر محمد ابن أبي نصر بن محمد الكفتواني الحافظ يقول بيت ابن منده بدئ بيحيى وختم بيحيى يريد في معرفة الحديث والعلم والفضل وذكره الحافظ عبد الغافر بن اسمعيل بن عبد الغافر الفارسي المقدم ذكره في سياق تاريخ نيسابور فقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين وكان يروي باسناده المتصل الى بعض العلماء انه قال كثرة الضحك امارة الحمق والعجلة من ضعف العقل وضعف العقل من قلة الرأي وقلة الرأي من سوء الادب وسوء الادب يورث المهانة والمجون طرف من الجنون والحسد داء لا دواء له والنمام يورث الضغائن وكان يروي بالاسناد المتصل الى الاصمعي انه قال دخلت في البادية الى مسجد فقام الامام يصلي فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه وارتج عليه فجعل يكررها ويقول انا أرسلنا نوحا الى قومه فقال اعرابي من ورائه وهو

بطريق الاعادة من المولى المشتهر باسرافيل زاده ثم درس بمدرسة خان بقصبة مدرني بعشرين ثم بالمدرسة الخاتونية بتوقات بخمسة وعشرين ثم صار وظيفته فيها ثلاثين ثم بمدرسة القاضي حسام بقسطنطينية بأربعين ثم نقل بخمسين الى مدرسة الوزير الكبير رستم باشا بالمدينة المزبورة وهو أول مدرس بها ثم عين لتعليم السلطان سليم خان وهو يومئذ أمير بلواء مغنيسا ولما وصلت نوبة السلطنة الى مخدومه علت كلمته وارتفعت مرتبته واستقام أمره واشتغل جره حيث بالغ في اكرامه وأفرط في اعزازه واعظامه وكان يراجعه في الامور المهمة تارة مكاتبة وأخرى مشافهة وكان يدعوه الى الدار العامرة ويجتمع به في كل شهر مرتين أو مرة ولما انتظم له الحال على ذلك المنوال وورثته زيادة وحصل مراده اشتغل بايثار حواشيه وتقديم متعلقاته وتلامذته وأوصلهم الى المناصب الجليلة في الازمنة القليلة وقدم الصغار على المشايخ الكبار وقد أشرف روض الفضائل بذلك الى الذبول ومال نجم المعارف الى الافول وصغت شمس العلم للغروب وركدت ريحها بعد الهبوب فضج الناس بالتضرع والابتهال الى جناب حضرة المتعال

قائم يصلي يا هذا ان لم يذهب نوح فارسل غيره وكان يحيى المذكور كثيرا ما ينشد

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * وللمشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وكانت ولادته غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وتوفي يوم عيد النحر سنة اثني عشرة وخمسمائة باصبهان ومولده بها أيضا رحمه الله تعالى ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله وقال ابن نقطة في كتابه كمال الاكمال توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة وذكر ان مولد أبيه عبد الوهاب سنة ست وثمانين وثلثمائة وتوفي في جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقد سبق الكلام على ضبط أسماء أجداده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد

(أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي الملقب صائن الدين أحد الائمة المتأخرين في القرا آت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك)

خرج من الاندلس في عنفوان شبابه وقدم ديار مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة سبع وعشرين وخمسمائة وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن علي المقري المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز بن كادش وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وهيبة وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة طويلة واستوطن الموصل ورحل عنها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت في سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الاندلس ورأيت في بعض الكتب ان مولده سنة سبع وثمانين والاول أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته وقراءته عليه وسيأتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشيء ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ما هو ويترك ذلك الرجل ويذهب ثم تقصينا ذلك فعلمنا انها دجاجة مسموطة كانت برسم الشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها اليه واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتابه الذي سماه دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى الخبز الكاتب الواسطي ورواها بالاسناد المتصل اليه بانشاده

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

وقال أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حسان قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله * من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

وتوفي الشيخ أبو بكر المذكور بالموصل في يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى

(أبو سليمان وقيل أبو سعيد يحيى بن يعمر العدواني الوشقي النحوي البصري)

كان تابعيا لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ولقي غيرهما وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسي واسحق بن سويد العدوي وهو أحد قراء البصرة وعنه أخذ عبد الله بن أبي اسحق القراءة وانتقل الى خراسان وتولى القضاء بمرو وكان عالما بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن

أبي

فعاجله سهم المنية قبل حصول الامنية وحل بساحته المنون وساعدت به الظنون فاضحى عبرة وعظة للعالمين وكان مثلا وسلفا للآخرين (بيت)

من ذا الذي لا ينال الدهر صعدته * ولا تلين له الايام صعدته

(وذلك في أوائل صفر من سنة تسع وسبعين وتسعمائة) بعد ما مضى من دولته مقدار خمس سنين وحضر جنازته في بيته عامة العلماء والوزراء ونزل السلطان الى الباب العالي وأخذ باطراف نعشه الوزير الكبير محمد باشا وسائر الوزراء والامراء الحاضرين وأتوا بجنازته الى جامع السلطان سليمان وصلى عليه المفتي أبو السعود ودفن بزاوية الشيخ ابن الوفاء بمدينة قسطنطينية وفي غد ذلك اليوم ورد الامر بالزيادة على وظائف ابنائه وتعيين الوظائف لعدة من خدامه ما بين رق وحر تنيف على خمسين نفسا ويروى انه رأى قبل موته في منامه كأنه قاعد في صدر مجلس حافل بالناس وهم مطرقون حوله وظهر رجل على زي الصوفية وبيده عصا قائما قريبا من المجلس توجه اليه وخاطبه فقال قم من مجلسك يا سيء الادب قال فلم التفت اليه فكرر الخطاب ثانيا فثالثا وكررت عدم الالتفات فهجم على

أبي الأسود الدؤلي المقدم ذكره يقال ان أبا الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث أبوابا ثم نظر فاذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فاقصر عنه فيمكن ان يكون هو يحيى بن يعمر المذكور اذ كان عداده في بني ليث لانه حليف لهم وكان شيعيا من الشيعة الاولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم (وحكى) عاصم بن أبي النجود المقرى المقدم ذكره ان الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه ان يحيى بن يعمر يقول ان الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحيى يومئذ بخراسان فكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم والي خراسان وقد تقدم ذكره أيضا ان ابعث الى بيحيى بن يعمر فبعث به اليه فقام بين يديه فقال أنت الذي تزعم ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لألقين الاكثر منك شعرا أو لتخرجن من ذلك قال فهو أماني ان خرجت قال نعم قال فان الله جل ثناؤه يقول ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى الآية قال وما بين عيسى وابراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه فقال الحجاج ما أراك الا قد خرجت والله لقد قرأتها وما علمت بها قط وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة فلله دره ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط قال عاصم ثم ان الحجاج قال له أين ولدت فقال بالبصرة قال أين نشأت قال بخراسان قال فهذه العربية أنى هي لك قال رزقت قال أخبرني هل ألحن فسكت فقال أقسمت عليك فقال أما اذ سألتني أيها الامير فانك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع فقال ذلك والله اللحن السيء قال ثم كتب الى قتيبة اذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر أتسمعني ألحن قال في حرف واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك أشنع ثم قال له ما هو قال تقول قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى قوله أحب اليكم فتقرؤها بالرفع قال ابن سلام كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به فقال الحجاج لا جرم لا تسمع لي لحنا فالحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة والله أعلم أي ذلك كان قال ابن الجوزي في كتاب شذور العقود في سنة أربع وثمانين للهجرة نفى الحجاج يحيى بن يعمر لانه قال له هل ألحن فقال تلحن لحنا خفيا فقال أجلتك ثلاثا فان وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك فخرج (وحكى) أبو عمرو نصر بن علي عن نوح بن قيس قال حدثنا عثمان بن محصن قال خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فانه من يتق الله فلا هوارة عليه فلم يدروا ما قال الامير فسألوا يحيى بن يعمر فقال الهوارة الضياع يقول من يتق الله فليس عليه ضياع قال القزاز في كتاب الجامع الهورات المهالك واحدها هورة قال الراوي فحدثت بهذا الحديث الاصمعي فقال هذا شئ لم أسمع به قط حتى كان الساعة منك ثم قال ان كلام العرب لواسع لم أسمع بذا قط (وحكى) الاصمعي قال حدثنا أبي قال كتب يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة وهو بخراسان الى الحجاج كتابا يقول فيه انا لقينا العدو فاضطررناهم الى عرعرة الجبل ونحن بالحضيض فقال الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له ان ابن يعمر عنده فقال فذاك اذا وكان يحيى ابن يعمر يعمل الشعر وهو القائل

أبي الاقوام الا بغض قومي * قديما بغض الناس السمينا

وقال خالد الحذاء كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف واخباره ونوادره كثيرة وتوفى سنة تسع وعشرين ومائة رحمه الله تعالى ويعمر بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبينهما عين مهملة وفي الآخر راء وقيل بضم الميم والاول أصح وأشهر ويعمر بفتح الميم مضارع قولهم عمر الرجل بفتح العين وكسر الميم اذا عاش زمانا طويلا وانما سمي بذلك تفاؤلا بطول العمر كما سمي يحيى بذلك أيضا والعدواني بفتح العين المهملة والواو وبينهما دال مهملة ساكنة وبعد الالف نون هذه النسبة الى عدوان واسمه الحرث بن عمرو بن قيس عيلان وانما قيل له عدوان لانه عدا على أخيه فهم فقتله والوشقي بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبعدها قاف هذه النسبة الى وشقة بن

وضربني بعصاه التي بيده ونفيني من مجلسي قهرا فلما خرجت من بيته سألت بعض الحاضرين عنه فقالوا انه الشيخ محيي الدين الاسكليبي أبو المفتي أبو السعود فانتهيت مذعورا فوجدت في بدني ثقلا ولم يذهب الا أياما قلائل حتى حمني هذا المرض ولعل السبب في ذلك ما وقع بيني وبين المفتي المزبور من المعاداة والمشاجرة بسبب انه ظهرت منه أشياء أدت الى تفتيش المفتي المزبور وازدراءه كان رحمه الله فاضلا وعالما نقادا كيا قوي الطبع صحيح الفكر أصيل الرأي آية في التدبير والتصرف الآن فيه التعصب الزائد وقد كتب رسالة تشتمل على فنون خمسة الحديث والفقه والمعاني والكلام والحكمة وعملت لها خطبة سنية تضمن غرر المدائح أولها الحمد لله على جميل عطائه وجزيل احسانه التي تقاصرت عن احصائه الايام دون اماطة آلائه ولما وقع نظره عليها وقع في حيز الاستحسان الا أنه لم يحصل منه طائل ولم يفد عنا طائلا في الفضائل ولعل ذلك الحرمان الصريح من الاطراء الواقع في المدح (وكان اشتهر بفضله وعرفانه قاضيا مقصودا لطلبة عصره وأوانه الشيخ رمضان عليه الرحمة والرضوان)

عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان المذكور

(أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسد وقيل مولى بني منقر)

كان أبرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب (حكي) عن أبي العباس ثعلب انه قال لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وهو والاحمر المقدم ذكره من أشهر أصحابه وأخصهم به وكان قد ورد بغداد في أيام المأمون فبقي يتردد على بابه مدة لا يصل اليه فبينما هو ذات يوم على الباب اذ جاء أبو بشر ثمامة بن الاشرس النميري المعتزلي وكان خصيصا بالمأمون قال ثمامة فرأيت ابهة أديب فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم وبالنجوم ماهرا وبالطب خبيرا وبأيام العرب وأشعارها حاذقا فقلت له من تكون وما أظنك الا الفراء فقال أنا هو فدخلت فاعلمت أمير المؤمنين المأمون فامر باحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به وقال قطرب دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات فقال جعفر بن يحيى البرمكي انه قد لحن يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للفراء أتلحن فقال الفراء يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا تحفظت لم ألحن واذا رجعت الى الطباع لحنت فاستحسن الرشيد قوله وقال الخطيب في تاريخ بغداد ان الفراء لما اتصل بالمأمون أمره ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدما يقمن بما يحتاج اليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شئ حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة وصير له الوراقين وألزمه الامناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود في سنتين وأمر المأمون بكتبه بالخزائن فبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب المعاني قال الراوي وأردنا ان نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا فلم يزل عليه حتى أتمه ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه الا لمن أراد ان ننسخه له على خمس أوراق بدرهم فشكا الناس الى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك فقالوا انما صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس اليه من الحاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال فقاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه فقال سأريكم وقال للناس اني مملٍ كتاب معان أتم شرحا وابسط قولا من الذي أمليت فجلس على فاملى الحمد في مائة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا نحن نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم وكان سبب املائه كتاب المعاني ان أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل المقدم ذكره فكتب الى الفراء ان الامير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب فان رأيت أن تجمع لي أصولا وتجعل ذلك كتابا يرجع اليه فعلت فلما قرأ الكتاب قال لاصحابه اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج اليهم وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ففسرها حتى مر في القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل والفراء يفسره وكتابه هذا نحو ألف ورقة وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن أحدا أن يزيد عليه وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو فلما كان يوما أراد الفراء أن ينهض الى بعض حوائجه فابتدرا الى نعل الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمها فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة فقدماها وكان المأمون له على كل شئ صاحب خبر فرفع ذلك الخبر اليه فوجه الى الفراء فاستدعاه فلما دخل عليه قال من أعز الناس قال ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال بلى من اذا نهض يقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم له فردا قال يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها وقد روي عن ابن عباس رضي الله

كان رحمه الله من بلدة بروسة من بلاد الروم خرج منها في طلب المعارف والعلوم فاتصل الى مجالس السادة وتحرك في ميادين الطلب على الطريقة المعتادة وقرأ على العالم الشهير المولى محمد الشهير بابن حاجي حسن ووصل الى خدمة المولى المفتي سعد ابن عيسى ثم حبب له العزلة والانقطاع فسلك مسالك القناعة والانجماع ورغب عن قبول المنصب واختار خطابة جامع أحمد باشا في قصبة سوري فتقاعد في القصبة المزبورة وأكب على الاشتغال والافادة من الكتب المشهورة فاجتمع اليه الطلبة وأشرعوا من الاماكن والبقاع وانتفعوا به أي انتفاع وكتب رحمه الله في أثناء دروسه حاشية لطيفة على حواشي المولى الخيالي على شرح العقائد للعلامة التفتازاني توافقها في الدقة والوجازة وكتب أيضا حاشية على شرح المسعودية من آداب البحث وعلق حواشي على بعض المواضع من شرح المفتاح للشريف الجرجاني (وتوفي رحمه الله في القصبة المزبورة سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وكان رحمه الله عالما فاضلا مدققا يذلل من العلوم صعابها ويكشف عن وجوه مخدراتها حجابها ويجلي بنات افكاره الصائبة

عنهما انه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضر أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما فقال له اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لأهل الفضل الا ذووا الفضل فقال له المأمون لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما ولقد ظهرت لي مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلاث عن تواضعه لسلطانه ووالده ومعلمه العلم وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما وقال الخطيب أيضا كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء وكان الفراء يوما جالسا عنده فقال الفراء قل رجل أنعم النظر في باب من العلم فأراد غيره الا سهل عليه فقال له محمد يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية فاسألك عن باب من الفقه فقال هات على بركة الله تعالى قال ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ففكر الفراء ساعة ثم قال لا شيء عليه فقال له محمد ولم قال لأن التصغير عندنا لا تصغير له وانما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام فقال محمد ما ظننت آدميا يلد مثلك وقد سمعت هذه الحكاية في ترجمة الكسائي ونبهت عليها هناك لكنه هنا وكان الفراء يميل الى الاعتزال (وحكى) سلمة بن عاصم عن الفراء قال كنت أنا وبشر المريسي القدم في بيت واحد عشرين سنة فما تعلم مني شيأ ولا تعلمت منه شيأ وقال الجاحظ دخلت بغداد حين قدمها المأمون في سنة أربع ومائتين وكان الفراء يحبني وأنا أشتهي أن يتعلم شيأ من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع وقال أبو العباس ثعلب كان الفراء يجلس للناس في مسجده الى جانب منزله وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة وقال سلمة بن عاصم اني لأعجب من الفراء كيف كان يعظم الكسائي وهو أعلم بالنحو منه وقال الفراء أموت وفي نفسي شيء من حتى لأنها تخفض وترفع وتنصب ولم ينقل من شعره غير هذه الابيات وقد رواها أبو حنيفة الدينوري عن أبي بكر العلوال

يا أميرا على جريب من الار ض له تسعة من الحجاب
جالسا في الخراب يحجب فيه ما سمعنا بحاجب في خراب
لن تراني لك العيون بباب ليس مثلي يطيق رد الجواب

ثم وجدت هذه الابيات لابن موسى المكفوف والله أعلم وولد الفراء بالكوفة وانتقل الى بغداد وجعل أكثر مقامه بها وكان شديد طلب المعاش لا يستريح في بيته وكان يجمع طول السنة فاذا كان في آخرها خرج الى الكوفة فأقام بها أربعين يوما في أهله يفرق عليهم ما جمعه ويبرهم وله من التصانيف الكتابان المقدم ذكرهما وهما الحدود والمعاني وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر وكتاب البهاء ٣ وهو صغير الحجم وقفت عليه بعد ان كتبت هذه الترجمة ورأيت فيه أكثر الالفاظ التي استعملها أبو العباس ثعلب في كتاب الفصيح وهو في حجم الفصيح غير انه غير مرتب على صورة أخرى وعلى الحقيقة ليس لثعلب في الفصيح سوى الترتيب وزيادة يسيرة وفي كتاب البهاء أيضا ألفاظ ليست في الفصيح قليلة وليس في الكتابين اختلاف الا في شيء قليل وله كتاب اللغات وكتاب المصادر في القرآن وكتاب الجمع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتداء وكتاب الفاخر وكتاب آلة الكتاب وكتاب النوادر وكتاب الواو وغير ذلك من الكتب وقال سلمة بن عاصم أملى الفراء كتبه كلها حفظا لم يأخذ بيده نسخة الا في كتابين كتاب ملازم وكتاب يافع ويفعة قال أبو بكر الانباري ومقدار الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة وقد مدحه محمد بن الجهم بقصيدة على روي الواو الموصولة بالهاء المكسورة أضربت عن ذكرها خوف الاطالة وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وانما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لانه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الانساب وعزاه الى كتاب الالقاب وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتابه ان زيادا والد الفراء كان أقطع لانه حضر وقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقطعت يده في ذلك الحرب وهذا عندي فيه نظر لان الفراء عاش ثلاثا وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة وحرب

عقد المشكلات ورفع بأيدي أنظاره الثاقبة عقال المعضلات مواظبا على النظر والافادة حتى أفنى الدهر وأباده وكان رحمه الله ظريف الطبع لذيذ الصحبة حلو المحاضرة ينظم الشعر على لسان الترك بابلغ النظام ويمشي فيه بمشي كما هو دأب شعراء الروم والاعجام وقد عثر على كلمات له علقها على موضع من شرح كافية ابن الحاجب للفاضل الهندي مما يختص به اذهان الطلبة فانتهى الى هذا المقام وختمت بها ذلك الكلام قال قال الشارح (والاسناد اليه) أي الى الاسم فسورد أن قوله والاسناد اليه عطف على المبتدأ فيكون حينئذ في حكمه وخبره في حكم خبره فالمعنى ان الاسناد الشيء الى الاسم من خواص الاسم فهذا لغو من الكلام وأجاب عنه بقوله (والحكم عليه) أي الاسناد اليه (بالخصوص) أي بكونه خاصة الاسم (باعتبار الطبيعة النوعية) للاسم المتناول للمسند والمسند اليه (دون الصنفية) وهي قسم المسند اليه (المستفادة) وصف الطبيعة الصنفية (من اليه المختص به)

م لعله كتاب البهاء الانجد على حرف أبجد وهو مذكور في كشف الظنون غير منسوب اهـ

الحسين كانت سنة احدى وستين للهجرة فبين حرب الحسين وولادة الفراء أربع وثمانون سنة فكم قد عاش أبوه فان كان الاقطع جده فيمكن والله أعلم ومنقاو بفتح الميم وسكون النون وضم القاف المعجمة وسكون الواو وبعدها راء وقد تقدم الكلام على الديلمي وبني أسد وأما بنو منقر فهو بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وبعدها راء هو منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مر وهي قبيلة كبيرة ينسب اليها خلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ومنهم خالد بن صفوان وشبيب بن شبة وصفوان وشبة ابنا عبد الله بن عمرو بن الاهتم المنقري وهما أعني خالدا وشبيبا المشهوران بالفصاحة والبلاغة والخطابة ولخالد مجالس مشهورة مع أمير المؤمنين السفاح ولشبيب مع المنصور والمهدي وغيرهما وقد تقدم ذكر خالد وشبيب في ترجمة البحتري في حرف الواو

(أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقري النحوي اللغوي)

صاحب أبي عمرو بن العلاء المقري البصري وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده وسكن بغداد وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء وابن جريج وغيرهما وروى عنه محمد ابنه وأبو عبيد القاسم بن سلام واسحق ابن ابراهيم الموصلي وجماعة من أولاده وحفدته وأبو عمر والدوري وأبو حمدون الطيب ابن اسمعيل وأبو شعيب السوسي وعامر بن عمر الموصلي وأبو خلاد سليمان بن خلاد وغيرهم وخالف أبا عمرو في حروف يسيرة من القراءة اختارها لنفسه وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري خال المهدي واليه كان ينتسب ثم اتصل بهرون الرشيد فجعل ولده المأمون في حجره وكان يؤدبه وكان ثقة وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو وكان صدوقا وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد وشعر مدون وصنف كتاب نوادر في اللغة على مثال كتاب نوادر الاصمعي الذي صنفه لجعفر البرمكي وفي مثل عدد ورقه وأخذ علم العربية وأخبار الناس عن أبي عمرو والخليل بن أحمد ومن كان معاصرهما (وحكى) عن أبي حمدون الطيب بن اسمعيل قال شهدت ابن أبي العتاهية وقد كتب عن أبي محمد اليزيدي قريبا من ألف جلد عن أبي عمرو بن العلاء خاصة فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة لان تقدير الجلد عشر ورقات وأخذ عن الخليل من اللغة أمرا عظيما وكتب عنه العروض في ابتدائه وضعفه الان اعتماده على أبي عمرو ولسعة علم أبي عمرو باللغة وكان أبو محمد المذكور يعلم الصبيان بحذاء دار أبي عمرو بن العلاء وكان أبو عمرو يدنيه ويميل اليه لذكائه وكان أبو محمد المذكور صحيح الرواية وله من التصانيف كتاب النوادر المقدم ذكره وكتاب المقصور والممدود ومختصر في النحو وكتاب النقط والشكل وقال ابن المنادي أكثرت من السؤال عن أبي محمد اليزيدي وجعله من الصدق ومنزلته من الثقة لعدة من شيوخنا بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن وحديث فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه في شيء غير ما يتوهم عليه من الميل الى المعتزلة وقد روى عنه الغريب أبو عبيد القاسم بن سلام وكفى به وما ذاك الا عن معرفة منه به وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحد ويقرئان الناس وكان الكسائي يؤدب الامين وهو يؤدب المأمون فأما الامين فان أباه أمر الكسائي أن يأخذ عليه بحرف حمزة وأما المأمون فان أباه أمر أبا محمد أن يأخذ عليه بحرف أبي عمرو (قال الاثرم) دخل اليزيدي يوما على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة فأوسع له وأجلسه معه فقال له اليزيدي أحسبني ضيقت عليك فقال الخليل ما ضاق موضع على اثنين متحابين والدنيا لا تسع اثنين متباغضين وسأل المأمون اليزيدي عن شيء فقال لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين فقال لله درك ما وضعت الواو قط في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا ووصله وحمله وقال اليزيدي دخلت على المأمون يوما والدنيا غضة وعنده قينة تغنيه وكانت من أجمل أهل دهرها فأنشدت

وزعمت أني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ
فنعم هجرتك فاغفري وتجاوزي * هذا مقام المستجير العائذ
هذا مقام فتى أضر به الهوى * قرح الجفون بحسن وجهك لائذ

وصف لقوله اليه وضمير به راجع الى الصنف والجار داخل على المقصور وملخصه ان المراد اسناد الشيء الى صنف الاسم من خواص نوع الاسم فلا لغو كما اذا قيل سواد الحبشي خاصة لنوع الانسان فيفيد الخبر معنى غير مفهوم من المبتدا فاعرف هذا

(ومن الذين ارتقوا مدارج العزة والسيادة بير أحمد الشهير بليس زاده)

توفي أبوه متفصلا عن قضاء القاهرة وقرأ المرحوم على المولى محيي الدين الشهير بمعرف زاده وصار ملازما من المولى بستان واتفق له عطفة من الزمان حيث تزوج ابنة المولى عطاء الله معلم السلطان سليم خان فطلعت نجوم سعادته وشرقت شموس سيادته حيث وصل في الازمنة القليلة الى المناصب الجليلة وقلد أولا مدرسة ابن الحاجي حسن بثلاثين ثم مدرسة ابراهيم باشا بقسطنطينية بأربعين ثم جعل وظيفته خمسين ثم نقل بالوظيفة المزبورة الى مدرسة رستم باشا بقسطنطينية ثم الى مدرسة اسكدار ثم نقل الى احدى المدارس الثمان توفي وهو مدرس بها في سنة قريبة من موت المولى عطاء الله صهره وكان رحمه الله حسن الشكل لطيف الطبع محبا للعلم ساعيا في اقتناء الكتب النفيسة وقد جمع منها

ولقد أخذتم من فؤادي أنسه * لا شل ربي كف ذاك الآخذ

فاستعاد المأمون الصوت ثلاث مرات ثم قال يا يزيدي أيكون شيء أحسن مما نحن فيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال وما هو قلت الشكر لمن خولك هذا الانعام العظيم الجليل فقال أحسنت وصدقت ووصلني وأمر بمائة ألف درهم يتصدق بها فكأني أنظر إلى البدر وقد أخرجت والمال يفرق وشكا اليزيدي إلى المأمون حاجة أصابته ودينا لحقه فقال ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد فقال يا أمير المؤمنين ان الأمر قد ضاق علي وان غرمائي قد أرهقوني فاحتل لي فأفكر المأمون واستقر الأمر على أن يحضر اليزيدي إلى الباب إذا جلس المأمون في مجلس الأنس وعنده ندماؤه ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو اخراج بعض الندماء إليه فلما جلس المأمون حضر اليزيدي إلى الباب ودفع الخادم رقعة مختومة فأدخلها إلى المأمون ففضها فإذا فيها مكتوب

يا خير إخوان وأصحاب * هذا الطفيلي على الباب

فصيروني واحدا منكم * أو أخرجوا لي بعض أصحابي

فقرأها المأمون على من حضر وقال ما ينبغي أن يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل هذا الحال فأرسل المأمون يقول له دخولك في مثل هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت تنادمه فلما وقف على الرسالة قال ما أرى لنفسي اختيارا سوى عبد الله بن طاهر فقال له المأمون قد وقع الاختيار عليك فصر إليه فقال يا أمير المؤمنين فأكون شريك الطفيلي فقال ما يمكنني رد أبي محمد عن أمرين فإن أحببت أن تخرج إليه وإلا فافتد نفسك منه فقال على عشرة آلاف درهم فقال لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك فلم يزل يزيده عشرة آلاف على عشرة آلاف والمأمون يقول لا أرضى له بذلك حتى بلغ مائة ألف درهم فقال له المأمون عجلها له فكتب له بها إلى وكيله ووجه معه رسولا وأرسل إليه المأمون وهو يقول قبض هذا المبلغ في مثل هذا الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله فقبل ذلك منه وكان ظريفا في جميع أحواله (وحكى) أبو أحمد جعفر البلخي في كتابه ان اليزيدي المذكور سأل الكسائي عن قول الشاعر

ما رأينا خربا نقر عنه البيض صقر * لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهر

الخرب بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخره الباء الموحدة الذكر من الحبارى والعير بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو الذكر من حمر الوحش فقال الكسائي يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء فقال له اليزيدي الشعر صواب لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للأولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الأرض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى بن خالد البرمكي أتكتني بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي ان حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ قلت أنا والقول الكسائي في البيت اقواء وليس بجيد فان اصطلاح أرباب علم القوافي ان الاقواء مختص باختلاف الاعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير بأن يكون أحد البيتين مرفوعا والآخر مجرورا فأما إذا كان الاختلاف بالنصب مع الرفع والجر فان ذلك يسمى اصرافا لا اقواء وإلى هذا أشار أبو العلاء المعري في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشريف الطاهر والد الرضي والمرتضى المقدم ذكرهما وهو في صفة نعيب الغراب

بنيت على الايطاء سالمة من الا * قواء والاكفاء والاصراف

وهذا البيت متعلق بما قبله ولا يفهم معناه الا بذكر ما تقدم ولا حاجة إلى ذكره هنا بل ذكرناه موضع الاستشهاد لا غير وقد قيل ان الاصراف من جملة أنواع الاقواء فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي وهذا الفصل وان كان دخيلا لكنه ما خلا عن فائدة وغالب شعر اليزيدي جيد وقد ذكره هرون بن المنجم المقدم ذكره في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله يهجو الأصمعي الباهلي المقدم ذكره

أبن لي دعي بني أصمع * متى كنت في الأسرة الفاضله

ومن أنت هل أنت الا امرؤ * إذا صح أصلك من باهله

السفائن واللطائف والنوادر والظرائف الى ان بدد الدهر شملها وأقفر ربعها ومنزلها

(ومن العلماء الأعيان المولى سنان)

كان رحمه الله من قصبة في حصار من لواء صاروخان وقد اشتغل المرحوم في مسالك الطلاب بعد ما وصل إلى سن الشباب ولما حصل الطرف الصالح من العرفان صار ملازما من المولى المشهور بابن بكان ثم درس بمدرسة سياي بعشرين ثم بمدرسة طاشلي بوري بخمسة وعشرين ثم بمدرسة مركى بالوظيفة المزبورة ثم بمدرسة بالي كسري بثلاثين ثم المدرسة الخاتونية بتوقات بأربعين ثم بمدرسة المولى بكان عند بيتر وسعيا بالوظيفة المزبورة ثم درس بالمدرسة الحلبية بادرنة بخمسين ثم نقل عنها إلى مدرسة تلك السلطان سليمان باسكدار ثم نقل إلى إحدى المدارس الثمان إلى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان فاشتغل فيها وأفاد وتحرك على الوجه المعتاد حتى فرق الدهر شمله وأباد (وكان ذلك في أوائل شعبان المنخرط في سلك شهور سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وكان رحمه الله تعالى صالحا ذكي الطبع جيد القريحة محبا للتسود للمشايخ الصوفية مترددا اليهم ومستمدا من أنفاسهم

ثم قال ابن المنجم وهذا البيت من نادر أبيات المحدثين في الهجاء قلت أنا وهذا مأخوذ من قول حماد بن عجرد في بشار بن برد يهجوه

نسبت الى برد وأنت لغيره * وهب أن بردا لك أملك من برد

وله أيضا في الهجاء

استبق ودابي القفا * تل حين تدنو من طعامه

سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه

ويصوم كرها ضيفه * لم ينو أجرا في صيامه

وقد سبق في ترجمة أبي العباس المبرد مقطوع من شعره في شيبة بن الوليد وكان له أخبار ونوادر فمن ذلك ما رواه انه أخذ رجلا ادعى النبوة فأتى به الى المهدي فقال له أنت نبي فقال نعم فقال والى من بعثت فقال وهل تركتموني اذهب الى أحد ساعة بعثت وضعتموني في الحبس فضحك المهدي واستتابه وكان لليزيدي خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة لاخبار الناس وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبد الله وابو يعقوب اسحق وكلهم ألف في اللغة والعربية وكان محمد أسنهم وأشعرهم وهو القائل يمدح أخاه دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره من جملة أبيات

أتطعن والذي تهوى مقيم * لعمرك ان ذا لخطر عظيم

اذا ما كنت للحدثان عونا * علي مع الزمان فمن ألوم

شقيت به فما أنا عنه سال * ولا هو اذ شقيت به رحيم

وهو القائل

يا بعيد الدار موصو * لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الدهـ * ـر فأدنتك الاماني

وله أشعار كثيرة جيدة وكان يؤدب المأمون مع أبيه وتقدم عنده في آخر عمره وكان قد خرج مع المأمون الى خراسان وأقام بعده منشغلا في مدينة مرو ثم بقي الى أيام المعتصم وخرج معه الى مصر فتوفي بها رحمه الله تعالى وأما والده أبو محمد المذكور فانه توفي سنة اثنتين ومائتين رحمه الله تعالى بخراسان والظاهر انه كان بمرو فانه كان قد خرج مع المأمون من بغداد وكانت اقامة المأمون بمرو ثم وجدت في طبقات القراء لابي عمرو الداني انه توفي في التاريخ المذكور بمرو ثم قال بعد ذلك وقال ابن المنادي وقيل انه بلغ من السن دون المائة بأعوام يسيرة ومات بالبصرة ودفن بها والاول أصح والله أعلم وقد تقدم في حرف الميم ذكر حفيده أبي عبد الله محمد بن العباس بن أبي محمد اليزيدي المذكور وشرح طرف من أخباره وفضله وتاريخ وفاته والعدوي بفتح العين والدال المهملتين وكسر الواو هذه النسبة الى عدي بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهي قبيلة مشهورة ولم يكن أبو محمد المذكور منهم وانما كان من مواليهم كان جده المغيرة مولى لامرأة من بني عدي فنسب اليهم وقد سبق في أول هذه الترجمة ذكر سبب نسبته الى يزيد فأغنى عن الاعادة وفي ذريته جماعة كثيرة أفاضل مشاهير أصحاب تصانيف وأشعار رائقة مشهورة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيأ منها واليزيديون يفتخرون بالكتاب الذي وضعه ابراهيم بن أبي محمد المذكور في اللغة وسماه كتاب ما اتفق لفظه وافترق معناه جمع فيه كل الالفاظ المشتركة في الاسم المختلفة في المعنى ورأيته في أربع مجلدات وهو من الكتب النفيسة يدل على غزارة علم مؤلفه وسعة اطلاعه وله غير ذلك تآليف حسنة نافعة وكذلك بقية اليزيديين صنفوا كتبا مشهورة مشكورة وكان يزيد الحميري خال المهدي مقدما في دولة بني العباس ولي للمنصور البصرة واليمن ومات في سنة خمس وستين ومائة بالبصرة وفيه قال بشار بن برد الشاعر المقدم ذكره

أبا خالد قد كنت مباع عمره * صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطي

وكنت جوادا سابقا ثم لم تزل * بآخر حتى جئت تخطو من الخاطي

فأنت بما تزداد من طول رفعة * وتنقص من مجد كذلك بافراط

كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيرا فلما شب بيع بقيراط

قلت قد كشفت عن سنور عبد الله المطلب وسألت أهل المعرفة بهذا الشأن فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على أثر والله أعلم ثم ظفرت بقول الفرزدق وهو

رأيت الناس يزدادون يوما * ويوما في الجميل وأنت تنقص

كمثل الهر في صغر يغالى * به حتى اذا ما شب يرخص

الطيبة وكان رحمه الله شديد القيام في مصالح من يلوذ به شديد النفع لمن يتردد اليه وبالجملة كان رحمه الله حسنة من حسنات الايام وبقية من السلف الكرام وقد رؤي بعد موته في المنام فقيل له هل غفر الله لك فقال نعم والكثير من الذين جاؤا بعدي قال الرائي وقلت له وكيف وجدت الدار الآخرة بالنسبة الى الاولى قال لا شك ان الدار الآخرة خير للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر وفي الدنيا أيضا خير ثم سألت عن بعض الاشخاص الذين ماتوا قبل موته فأخبر بالاجتماع بالبعض دون الآخر

(ومن صبغ يده بألوان العلوم وأظهر اليد البيضاء في كل منثور ومنظوم وشنف آذان الدهر بغرر كلماته وقلد جيد الزمان بدرر مصنوعاته واعترف بفضله الكثير من الافاضل السادة المولى علاء الدين علي بن محمد المشتهر بحناوي زاده)

ولد رحمه الله سنة ثمان عشرة وتسعمائة في قصبة اسبارسه من لواء حميد وكان أبوه من قضاة بعض القصبات قرأ رحمه الله على المولى محيي الدين المشتهر بالمعلول والمولى سنان الدين محشي تفسير البيضاوي والمولى محيي الدين المشتهر

ومن ههنا أخذ بشار قوله وليس المراد هو بعينه بل هو يكون له قيمة في صغره وينقص منها في كبره

(أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة)

كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري وأبي القاسم عبيد الله ابن علي الرقي وأبي محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الهلال الساوي البغدادي وأبي القاسم عبيد الله بن علي وغيرهم وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقري يقول أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضي الطريقة وذكر عنه أشياء ثم قال وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ثم قال ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله وصنف في الأدب كتبا كثيرة مفيدة منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبي وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب إصلاح المنطق وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيته في أربع مجلدات وشرح كتاب الحماسة ثلاثة شروح أكبر وأوسط وأصغر وله غير ذلك من التآليف وقد سبق في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ذكره وما دار بينهما عند قراءته عليه بدمشق فلينظر هنالك ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة في كتاب أخبار النحاة الذي ألفه القاضي الأكرم ابن القفطي الوزير بحلب كان رحمه الله تعالى والله أعلم بصحة ذلك وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي المقدم ذكره شيئا من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى الممات وكان يروي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محرز البغدادي جملة من شعره فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره

خليلي ما أحلى صبوحي بدجلة * وأطيب منه بالصراة غبوقي
شربت على الماءين من ماء كرمة * فكانا كدر ذائب وعقيق
على قمري أفق وأرض تقابلا * فمن شائق حلو الهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه * وما زال يسقيني ويشرب ريقي
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى * فقال نعم هذا أخي وشقيقي

وهذه الأبيات من أملح الشعر وأظرفه والبيت الأخير منها مستمد من معنى قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة الأندلسي في مدح المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة

سألت أخاه البحر عنه فقال لي * شقيقي إلا أنه الساكن العذب

ما كفاه أنه جعله شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال الساكن العذب والبحر مضطرب مالح وهذا من خالص

ثم رحمه الله صار معيدا لدرس المولى صالح الأسود ولما توفي المولى الزيرك نصب فيه المولى الشيخ محمد المشتهر بحوى زاده فارتبط به وكان أول درس قرأ عليه من شرح العضد وقد كتب رحمه الله على هذا الموضع من شرح العضد رسالة لطيفة وعرضها على المولى الزيرك فاستحسنها غاية الاستحسان وكان المولى محيي الدين الزيرك يقول حين ما سئل عنه وعن المولى شاه محمد السابق ذكره انهما بمنزلة عيني لا أفضل أحدهما على الآخر ولما صار ملازما من المولى محيي الدين الزيرك كتب رسالة يحقق فيها بحث نفس الأمر وعرضها على المولى أبي السعود وهو قاض بالعساكر المنصورة فوجه قلده المدرسة الحاسية بأدرنه بعشرين ثم قلده مدرسة الأمير حمزة في بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابن ولي الدين في البلدة المزبورة بثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بكوتاهيه بأربعين ثم مدرسته التي بناها بقسطنطينية ثم إلى إحدى المدارس الثمان ولما بنى السلطان سليمان المدرستين الواقعتين في الجانب الغربي من الجامع قلد إحداهما المولى الزيرك والأخرى المولى شاه محمد السابق ذكره لمزيد اشتهارهما بالفضيلة

المدح وابدع وأول هذه القصيدة بكت عند توديعي فما علم الركب * أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب واني لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

وهي قصيدة طويلة ولولا خوف الاطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرتها كلها ولكن يكفي منها هذا الانموذج وكان الخطيب أيضا يروي عن ابن جني المذكور ومن شعره قوله

يا ساكني الحي من مضر * ان سلمى ضرة القمر
ان سلمى لا فجعت بها * أسلمت طرفي الى السهر
فهي ان صدت وان وصلت * مهجتي منها على خطر
وبياض الشعر أسكنها * من سواد القلب والبصر

وللخطيب المذكور شعر غير ذلك قوله

فمن يسأم من الاسفار يوما * فاني قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال * لئام ينتمون الى لئام

وقال الخطيب المذكور وكتب الى العميد الفياض

قل لأبي يحيى بن علي * والأقاويل فنون — غير أني لست ممن يكذب فيها أو يخون
أنت عين الفضل ان مدائن الفضل عيون — أنت من غرة الفضـ * ـل وقد كاد يهون
فقت من كان وأتعبـ * ـت لعمري من يكون — قد مضى قبلك قرن * ومضى قبل قرون
واذا قيس بك الكل فهم دون ودون — واذا فتش عنهم * فالأحاديث شجون
قد سمعنا ورأينا * فسهول وحزون — ووزناك من كل * فقبيل وفنون
أنت شيبان وأزد * كل ما زال ظنون — أنك الأصل ومن دو * نك في العلم غصون
أنك البحر وأعيا * لذوي الفضل عيون — ليس كالسيف وان حلي في الحكم جفون
ليس كالقدح المعلى * ليس كالبيت الحجون — ليس كالجد وان آ * ن هزل وجنون
ليس في الحسن سواء * أبيض وجون — ليس كالأبكار في الطـ * ـنف وان قلن عون
قلت للحساد كونوا * كيف شئتم أن تكونوا — سبق الزائد بالفضـ * ـل تعزوا أو فهونوا
دمت ما خالف في الدهر حراك وسكون — وتلقاك المنى ما * قر بالطير وكون
ان ودي لك عما * يصم الود مصون — ليس لي فيه ظهور * تتنافى أو بطون
بل اقلي فليصب * بالمصافاة يكون — غلق الرهن وقد تغلـ * ـق في الحب رهون
ومن الناس أمين * في هواه وخؤون

وقال ابن الجواليقي قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا فكتبت أنا الى العميد الفياض المذكور هذه الأبيات

قل للعميد أخي العلا الفياض * أنا قطرة من بحرك الفياض
شرفتني ورفعت ذكري بالذي * ألبستنيه من الثنا الفضفاض
ألبستني حلل القريض تفضلا * فرفلت منها في علا ورياض
اني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ * أبرزته من خاطر مرتاض
وبخاطري عن مثل ذلك توقف * ما أن يكاد يجود بالابعاض
أيعارض البحر الغطامط جدول * أم درة تقتاس بالرضراض
يا فارس النظم المرصع جوهرا * والنثر يكشف غمة الأمراض
يرمي به الغرض البعيد وقد غدا * فكري يقصر عن مدى الأغراض
لا تلزمني من ثنائك موجبا * حقا فلست لحقه بالقاضي
فلقد عجزت عن القريض وربما * أعرضت عنه أيما اعراض

الباهرة ثم قلد قضاء دمشق ثم نقل الى قضاء بروسه ثم الى قضاء أدرنه ثم الى قضاء قسطنطينية ثم صار قاضيا بالعساكر المنصورة في ولاية أناطولي وبعد عدة أشهر اتفق سفر السلطان الى مدينة أدرنه وكان مبتلى بعلة عرق النسا فاشتدت بالحركة وشدة البرد وعالجه بعض المتطببة بدهن فيه بعض السموم ثم أعقبه بالطلاء بدهن النفط فنفذ السم الى باطنه فكان ذلك سبب موته فانه مات رحمه الله عقيب الطلاء المزبور (وذلك في اليوم السابع من شهر رمضان من شهور سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وحضر جنازته عامة الوزراء والعلماء وصلي عليه في الجامع العتيق ودفن بظاهر باب أدرنه في المقابر المشهورة بمقابر الناظر الواقعة على طريق القسطنطينية وكان رحمه الله أحد أماجد القروم في كل منطوق ومفهوم ذا نفس علية وهمة سنية ذلل من العلوم صعابها ورفع عن مخدرات الفنون قناعها ونقابها فأمست عرائس النكات اليه مزفوفة وأضحت عرائس الفوائد المهمات لديه مجلوة مكشوفة تخاض في غمار العلوم فجاء بكل فريدة يتنافس فيها آذان الايام وقصد ميادين الفهوم فأتى بكل رهينة

أبو

أنم على بسط عذري انني * اقررت عند نداك بالانقباض

وكانت ولادته سنة احدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب ابرز رحمه الله تعالى وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الالف ميم وقد تقدم الكلام على الشيباني والتبريزي فاغني عن الاعادة

(أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الملقب زين الدين النحوي الحنفي)

كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصنف تصانيف مفيدة ثم ان الملك الكامل أرغبه في الانتقال الى مصر فسافر اليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لاقراء الادب وقرر له على ذلك معلوم ولم يزل الى أن توفي في سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وستمائة بالقاهرة ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الامام الشافعي رضي الله عنه وقبره هنالك ظاهر ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى والزواوي بفتح الزاي وبين الواوين ألف هذه النسبة الى زواوة وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال افريقية ذات بطون وأفخاذ والله أعلم

(أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المعروف بابن المنجم واسم أبان بن حسيس بن ورد بن كاذ بن مهاسف بن اذحسيس بن فروخاذ بن أساذ بن مهرحسيس بن يزجرد)

كان في أول أمره نديم الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله والموفق المذكور هو والد المعتضد بالله ولم يل الموفق الخلافة بل كان نائبا عن أخيه المعتمد على الله ولم يزل في محاربة القرامطة وأمره في ذلك مشهور وقصته طويلة وليس هذا موضع ذكرها ثم ان يحيى المذكور نادم الخلفاء بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفي بالله بن المعتضد وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه وكان متكلما معتزلي الاعتقاد وله في ذلك كتب كثيرة وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي وصنف كتبا كثيرة فمن ذلك كتاب الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ابتدأ فيه ببشار بن برد وآخر من أثبت فيه مروان بن أبي حفصة ولم يتممه وتممه ولده أبو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على ان يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين فذكر منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس وأبا علي البصير وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلما فقيها على مذهب أبي جعفر الطبري وله كتب منها كتاب أخبار اهله ونسبهم في الفرس وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب ابي جعفر الطبري وكتاب المدخل الى مذهب الطبري ونصرة مذهبه وكتاب الاوقات وغير ذلك وليحيى المذكور مع المعتضد وقائع ونوادر فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب عن يحيى المذكور انه قال كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مغضب فاقبل بدر مولاه وكان شديد الغرام به فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت يقوله الحكم بن عمرو الشاري فقال لله دره أنشدني هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس من أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

وذكر أبو الفتح كشاجم الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه المصايد والمطارد في الفصل الذي ذكر فيه صيد الاسد بالنشاب ما مثاله حدثنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم نديم المكتفي بالله قال وجه الي أمير المؤمنين المكتفي بالله عند منصرفه من الرقة كوني الماء منها الى المرحلة الاولى قبل أن يركبه هو وذلك ان أبا العباس أحمد بن عبد الصمد حملني على ذلك وسألني ان أكون معه في سفينة ففعلت ولم أظن ان

يتسابق عليها كتسابق الشهور والأعوام وكان رحمه الله واسع المعرفة كثير الافتنان جاريا في ميدان المعارف بغير عنان وقد اخترع الكثير من المعاني وله وقلد جيد الزمان بجواهر منثورة ومنظومة ما قلد وكان شيخ العربية وحامل لوائه وشمس بروجه وكوكب سمائه كما أنه في البراعة أعجز وكم وعد بالاعجاز وفي ذلك الوعد وأنجز وقد أثبت له في هذه الحلبة ما تستعذبه وتستطيبه وتحكم به أنه على الحقيقة امام هذا الشان وخطيبه قال رحمه الله وفيه تورية لطيفة (شعر)

أرى من صدغك المعوج دالا
ولكن نقطت من مسك خالك
فاصحو دالها بالنقط ذالا
فهاأنا هالك من أجل ذالك

وله أيضا في هذا الباب مما يستعذب جناه ويستطاب (شعر)

لهيب نار الهوى من أين طاع الى
احشائه حتى رأينا القلب وهاجا
وما درى وانه من جمر مقلته
ألقى سبيلا الى قلبي ومنهاجا

(وله) في معرض النصيحة هذه الكلمات الفصيحة (شعر)

أنفق فان الله كافل عبده
فالرزق في اليوم الجديد

جديد
...

المكتفي يشكر ذلك ولا يحتمل تأخيري عنه ولا اخلالي به فلما صرنا الى الدالية أصر بان أردمنها الى قرقيسيا وأقيم بها حتى أصيد سبعا وأحضره اليه فردني وردمعي عدة من المغنين كانوا قد ركبوا الماء فكتبت اليه بأبيات فلم تعطفه فرجعت الى الرحبة وأقمت عند أبي محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلي في قصف وشرب وصبوح وغبوق وهو في غاية السرور بمقامي عنده وكان معنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات فكتبت من الرحبة كتابا الى الوزير أبي الحسين القاسم بن عبيد الله وأنفذت فيه شعرا أسأله ان يقرأه على المكتفي وهو

تعس الدهر ان يسر وان يسـ * ـعدنا بالاحبة الاجتماع * فرماني وإخوتي بسهم
نفر النفس فهي منه شعاع * فرددنا الى وراء وصر * نا الناس قدما فاشتدت الاوجاع
لو سمعنا بمثل ما نالنا أفـ * ـزعنا منه في سوانا السماع * كالفونا صيد السباع وانا
لبخيران لم تصدنا السباع * ان عصينا فواجب أي قوم * كلفوا فوق طوعهم فأطاعوا
كل شيء يجوز تكليفه الانـ * ـسان الا ما كان لا يستطاع * لم تزل تمسح الملوك لكن
مع ذاك السماح جود وساع * وتوالي الوزير عنا فضعنا * في سبيل الاله حق مضاع
قد مددنا الايدي اليه وأضحت * عاقدات بفضله الاطماع * شافع لا يخاف ردا اذا ما
ردعما ترده الشفعاع * عبثات الملوك يتبعها الانـ * ـس واقمارها عطايا تباع
أولنا اولى دولته خيـ * ـر اليه فانه النفاع

وأنفذ الكتاب مع محمد بن سليمان الخراثلي في الخرائط فلم يفضها القاسم من يده حتى دخل على المكتفي فقرأه عليه وأنشده الابيات فاستحسنها وقال يكتب الساعة بتخلية سبيله وحمله الينا فلم يكن أسرع من أن وافاني الرسول فوافيت وأنشدت المكتفي ببغداد

عاداني القصير في كرخ بغدا * د بقرقيسيا على طول بلا * أجميلا أن تتركوني وقصو
ن رهينا بها اقيم بياذبلا * مفردا بالعقاب مشتركا الذ * نب فصيرا حسبي من الى وكيلا
ان قضى الله لي رجوعا الى بغـ * ـداد لاهمت الكا بعدي قتيلا * وأراني الخليفة المكتفي بالله
وابن الخلائف المأمولا * كالذي قد عهدت لا معرضا عني ولا واجدا ولا مستحيلا
كل شيء أسامه حسن عنـ * ـدي اذا الرأي منه كان جميلا

فاستحسنها ووقف لي بها حتى تبينت ذلك في وجهه وكلامه وأخبار جحظة ومحاسنه كثيرة وكانت ولادته سنة احدى وأربعين ومائتين وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلثمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر والده علي وأخيه هرون وابن أخيه علي ولم أرفع في نسبهم الا في هذه الترجمة لاني لم أظفر بالنسب على هذه الصورة الالما وصلت الى هذا الموضع فنقلته كما وجدته من كتاب الفهرست لابي الفرج محمد بن اسحق النديم ولم أضبط شيأ من أسماء أجداده لاني لم أتحقق فيها شيأ فنقلتها كما وجدتها

(أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور)

صاحب الموشحات البديعة قال الفتح محمد بن عبيد الله القيسي في كتاب مطمح الانفس في حق أبي بكر المذكور انه كان نبيلا في النثر والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصل الاوطار ومحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبني من المعارف على أثبت عمد الا ان الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته ولم تمهله وطرا ولم تسحب عليه من الحظوة مطرا ولا نولته من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن قوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كواهي الجمان الا ان يحيى بن علي بن القاسم نزعه عن ذلك الطيش واقتطعه جانبا من العيش وارقاه الى سمائه وسقاه صوب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة تحوس خلاله فصرف فيه أقواله وشرف به وافيه وأقواله وأفرده منها بأنفس درر وقلده منها بقصائد غرر وذكر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي

المال يكثر كلما أنفقته
كالبئر ينزح ماؤه فيزيد

(وله أيضا) من هذا الباب في الحث على الثقة بمسبب الاسباب (شعر)

توكل على الرحمن في كل حاجة
تريد فان الله أكرم كافل
ولا تتوغل في المآثم غافلا
عن الله ان الله ليس بغافل

(وله) في صورة المناجاة وقرع باب الحاجات (شعر)

يا من يقيل عثار العبد بالكرم
اذا أتاه من الزلات في ندم
أرشد بنور الهدى نفسي فقد بقيت
من المظالم في داج من الظلم

(وله أيضا) في هذا الباب من التضرع الى جناب رب الارباب (شعر)

يا باصرا بدبيب وحل نملة
جنح الظلام بصخرة صماء
يا سامعا لنعيق أضعف ضفدع
دنف بعيد تحت لج الماء
امنن بغفران توجه محو ما
آثار ذنب جل عن احصاء

وقد جرى بينه وبين شيخنا ومولانا قطب الدين مفتي الحنفية بمكة شرفها الله تعالى مراسلة بمكاتيب لطيفة بالنثر تشتمل على أبيات لطيفة ونكات شريفة (منها قوله)

سلام حكى بالمسك عنا معنبا
وروى رياض الحب بالسلسل العذب
على ماجد ماعد مقول قائل
شباه وانثنى أرى على الصارم العضب

المذكور في حقه أيضا في كتاب قلائد العقيان هو رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود ضفا عليه حرمانه وما صفا له زمانه انتهى كلام الفتح وقد أثبت لابي بكر المذكور هذا المقطوع من الشعر ولم أر الفتح ذكره في واحد من كتابيه المذكورين مع انه من أحسن شعره وأشهره وهو

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زيارة تشفي الجوى * فأجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى في لجة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق الناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لمته ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * أعزز علي بأن أراك مفارقي

وقد ذكر بعض هذه الابيات الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه المطرب من أشعار أهل المغرب ومن شعره قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن القاسم المذكور في هذه الترجمة وهي طويلة ومن مدائحها قوله

لو أن لي سيما محيات عن الورى * كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما جمع الحيي فليدع * كثمان نور علائه المشتهر
في كل أفق من جميل ثنائه * عرف يزيد على دخان العنبر
زدني شمائله وزدني جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
ندب عليه من الوقار سكينة * فيها حفيظة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى في غمده * ألقى المهابة في نفوس الحضر
أربى على البحر الخضم لانه * في كل كف منه خمسة أبحر
أقبلت من تادلى وقلبه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه الحبيب عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر
تجري اليك بنا سفائن اتلع * مثل العيون تخوض في المحجر
وبنات أعوج قد برين بحثي * عاقلتهن من الهباب المقتر

وأورد له صاحب قلائد العقيان مقطوعا وهو

يا أفتك الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهي الشمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي يجدده * من خدك الكتب أو من لحظك الرسل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة * مرني بما شئت آتيه وامتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأورد له عدة مقاطيع ثم أعاد ذكره في آخر الكتاب وأورد له

وشمولة في الكاس تحسب أنها * ماء عقيق رصعت بالكواكب
بنت كعبة اللذات في حرم الصفا * فحج اليها الخلق من كل جانب

ومحاسنه في الشعر كثيرة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى وبقي بفتح الباء الموحدة وكسر القاف وتشديد الياء

(أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفي)

صاحب الديوان الشعر والخطب والرسائل ولد بطنزة ونشأ بحصن كيفا وقدم بغداد واشتغل بالادب على الخطيب أبي زكريا التبريزي المقدم ذكره وأتقنه حتى مهر فيه وقرأ الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأجاد فيه ثم رحل عن بغداد راجعا الى بلاده ونزل ميافارقين واستوطنها وتولى بها الخطابة وكان اليه أمر الفتوى بها واشتغل عليه الناس وانتفعوا بصحبته وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة فقال في حقه كان علامة الزمان في علمه ومعري العصر في نثره ونظمه له الترصيع البديع والتجنيس

يدور عليها المدح من كل قائل
كمنطقة الافلاك دارت على القطب
عسى دعوة من عنده مستجابة
تبدل بعدي من حبائله القرب
مقيم لكم ما طاف في البيت طائف
على عمل الاخلاص والصدق والحب
(وأجاب) الشيخ قطب الدين المزبور بقصيدة على سعدي بدعوله بهذه الابيات (شعر)
ومن عجب نظم من الروم قد أتى
الاقته أعيت بهاية الغرب
تأملت ما ضمنتم يوما يدي طوى
ولا المتنبي والاخشين ولا الهدب
ولكنه من نظم مسن فات عصره
ذكاه وفضلا بالغريزة والكسب
فصيح بليغ لوذعي مفوه
اذا قال لم يترك مقالا لذي لب
قصدتم بهذا العبد حوزلائه
فكانت فيه وهو رق لكم مسبي
سلبتم فؤادي واصطباري وسلوتي
كما أنكم الاعراب في سنة النهب
واني على عهد المحبة ثابت
فهل يمكن غير الثبات على القلب
(وقد عمل) رحمه الله تعالى رحمة واسعة رسالة قلبية أبدع فيها كل الابداع

التنبيس والتطبيق والتحقيق واللفظ الجزل الرقيق والمعنى السهل العميق والتقسيم المستقيم والفضل السائر المقيم ثم قال العماد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه وكنت أحب لقاءه وأحدث نفسي عند وصولي الى الموصل بالاتصال به وأنا شغف بالاستفادة كلف بمجالسة الفضلاء للاستزادة فعاق دون لقائه بعد الشقة وضعفي عن تحمل المشقة ثم ذكر له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

وخليع بت أعذله * ويرى عذلي من العبث
قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها * قال طيب العيش في الرفث
قلت منها القيء قال أجل * شرفت عن مخرج الحدث
وسأجفوها فقلت متى * قال عند الكون في الجدث

قلت أنا ولقد أخذ الخطيب المذكور قوله * شرفت عن مخرج الحدث * من قول بعضهم ولا أعرفه لكنها أبيات سائرة وهي

ولائم لامني في الخمر قلت له * اني سأشربها حيا وفي جدثي
قم فاسقني قهوة حمراء صافية * صرفا حراما فاني غير مكترث
فان يكن حللوها بالمزج ففي * حشاي نار تقيها على اللهث
قالوا فلم تتقاياها فقلت لهم * اني أنزهها عن مخرج الحدث

ثم قال العماد الاصبهاني وأنشدني له بعض الفضلاء ببغداد خمسة أبيات كأنها السيارات مستحسنات مطبوعات مصنوعات وهي

أشكو الى الله من نارين واحدة * في وجنتيه وأخرى منه في كبدي
ومن سقامين سقم قد أحل دمي * من الجفون وسقم حل في جسدي
ومن نمومين دمعي حين أذكره * يذيع سري وواش منه بالرصد
ومن ضعيفين صبري حين أذكره * وودّه يراه الناس طوع يدي
مهفهف رق حتى قلت من عجب * أخصره خنصري أم جلده جلدي

ومن ملح شعره أبيات في شعر ومغن ردي وهي

وسمج غناؤه * يبدل بالفقر الغنى   شهدته في عصبة * رضيتهم لي قرنا
أبصرته فلم تخب * فراستي لما دنا   وقلت من ذا وجهه * كيف يكون محسنا
ورمت أن أروح القلب به كمحننا   فقلت من بينهم * هات أخي غن لنا
ويوم سلع لم يكن * يوى بسلع هيننا   فاشتال منه حاجب * وحاجب منه انحنى
وامتلا المجلس من * فيه نسيما منتنا   أوقع اذ وقع في الانس أسباب العنا
وقال للناقال من * يسمع في ظل الغنا   وما كنتى بالمحن والتخليط حتى لحنا
هذا وكم تكشحن الشوغدوكم تقرننا   يوهم زمرا أنه * قطعه ودندنا
وصاح صوتا نافرا * يخرج من حد البنا   وما درى تحضرو * ماذا على القوم جنى
تنفا بسد أنفه * وذا يسد الاذنا   ونحن وجماعة * تستر عنا الاعينا
فاغتنت حتى كدت من * غيظي أبث الشجنا   وقلت يا قوم اسمعوا * اما المغني أو أنا
أقسمت لا أجلس أو * يخرج هذا من هنا   جروا برجل الكلب ان السقم هذا والضنا
قالوا القدر حتنا * وزلت عنا المحنا   بقربه في اخراجه * راحة نفسي والثنا
وحين ولى شخصه * قرأت فيهم معلنا   الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا

ولم أسمع مع كثرة ما قيل في هذا الباب مثل هذا التقطيع في هذا المعنى وللخطيب المذكور أيضا في هذا المعنى وهو

وسمج قوله بالكره مسموع * محجب عن بيوت الناس ممنوع
تنفى فسرق عينيه وحولته * فقلنا الفتى لاشك مصروع
وقطع الشعر حتى ودّ أكثرنا * أن اللسان الذي في فيه مقطوع

بحسن الترتيب ولطف الاختراع وقد أثبت له ما يستجاد ويحكم الناظر فيه انه أحسن وأجاد متابعه في العلوم ومده فيه شبر بحر ماهر اذا رأيت آثاره تقول لها أحسن هذا الحبر قادر على تحرير العلم وتعبيره يتكلم ويبدو على السكافو وعبيره فيا حسن تعبيره اذا شكل رفع الاشكال واذا قيد أطلق العقول من العقال طورا يجلس في الدست مثل الكرام الصيد وطورا يبيت على كهف الحبر باسطا ذراعيه بالوصيد كأنه يتنزه في مراتع أماريه ويتمرر في بلابل القصب اذا شط دارة شطا عنه مزاره فهو يبكي كالغمامة وينوح كالحمامة يذكر لداته وأترابه ويحن الى أول أرض مس جلده ترابه على الانامل خطيب مصقع ألف تراه تارة في الدواة وأخرى على الاصبع يقوم في خدمة الناس واذا ذلت له أمور يقول له على الراس يتعيش بكسب يمينه ويقتات من عرق جبينه لنفلوا باسمه قصدا وهو يحرف أرادوا أن يصفوه فلم يتحقق مراديه عن الحكمة عنه تابع مقياس بحصر أصابع أخرس ولكن لسانه قاري متكلم بعدما قطع رأسه وهو كمقالة الباري مداح لكنه لا يفارقه الهجاء تارة تسيمه أشبال البيج

لم يأت دعوة أقوام بأمرهم * ولا مضى قط الا وهو مصفوع

وقد سبق له في ترجمة الشيخ الشاطبي في حرف القاف مقطوع في الغزل تعشق وهو معنى مليح وأكثر شعره على هذا الاسلوب في اللطافة وجودة المقاصد وكان يتشيع قلت وهذا من الزيادات التي أدخلها الكتاب الداخلون في عموم الحديث من مجوس هذه الامة والله أعلم وهو في شعره ظاهر وكان بمدينة آمد شابان بينهما مودة أكيدة ومعاشرة كثيرة فركب أحدهما ظاهر البلد وطرد فرسه فتقنطر فمات وبعد الآخر يستعمل الشراب فشرق فمات في ذلك النهار فعمل فيهما بعض الادباء

تقاسما العيش صفوا والردى كدرا * وما عهدنا المنايا قط تقتسم

وما اتفقا الوحشي في حمامهما * ووفقا في المنايا تحفظ الذمم

فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال هذا الشاعر قصر اذ لم يذكر سبب موتهما وقد قلت فيهما

بنفسي أخوان من آمد * أصيبا بيوم مشوم عبوس

فهذا الشميت من الصافنات * وهذا المميت من الخندريس

قلت ولو قال   وهذا الشميت من الصافنات * وهذا المميت من الصافيات

لكان أحسن لاجل المجانسة وكان يعمل البيت الاول

بنفسي أخوان من آمد * أصيبا بيوم شديد الاذات

أو ما يناسب هذا ثم وجدت البيتين الاولين في كتاب الجنان تأليف القاضي الرشيد بن الزبير المقدم ذكره في حرف الهمزة وقد نسبهما الى الفقيه أبي علي الحسن بن أحمد العلم القري لكن هكذا وجدت الحكاية بخط بعض الفريسين والله أعلم وللخطيب المذكور الخطب الملحة والرسائل المنقاة ولم يزل على رياسته وجلالته وافادته الى أن توفي سنة احدى وقيل ثلاث وخمسين وخمسمائة وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمائة رحمه الله تعالى والحصكفي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف وفي آخرها فاء هذه النسبة الى حصن كيفا وهي قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين وكان القياس أن ينسبوا اليها حصني وقد ينسبون اليها أيضا كذلك لكن اذا نسبوا الى اثنين أضيف أحدهما الى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسما واحدا ونسبوا اليه كما فعلوا ههنا وكذلك نسبوا الى رأس عين فقالوا رسعني والى عبد الله وعبد شمس وعبد الدار عبدلي وعبشمي وعبدري وكذلك كل ما هو نظيره وأما طنزة فهي بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وفي آخرها هاء ساكنة وهي بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية تخرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم وينسبون اليها قال عماد الدين الاصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة منها ابراهيم ابن عبد الله بن ابراهيم الطنزي وهو القائل

واني لمشتاق الى أرض طنزة * وان خانني بعد التفرق اخواني

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت به من شدة الشوق أجفاني

ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا كان الشاعر حيا في شهر رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة

(أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري صاحب افريقية وما والاها)

قد تقدم ذكر والده وبقية نسبه هنالك وتقدم ذكر جماعة من أجداده في هذا الكتاب وكانت ولاية الامير يحيى المذكور بالمهدية بخلافة عن أبيه تميم يوم الجمعة لاربع بقين من شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وأربعمائة والطالع الدرجة السابعة من الجدي ثم استقل بالامر يوم وفاة والده وقد سبق ذلك في ترجمته وكان عمر الامير يوم الاستقلال ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما وركب على العادة وأهل دولته يمشون به ورجع الى قصره وغير لباس جميع أهل الدولة من الخواص والجند عام سنة وكانوا قد غيروا لباسهم لموت أبيه ووهب للاجناد والعبيد أموالا كثيرة ووعدهم مواعد سارة ورأيت في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان الذي ألفه الامير أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز

(وله رسالة سيفية) أجاد فيها كل الاجادة على ما اعترف به الجمهور من الافاضل السادة وقد أتيت منها ما شهد بتقدمه ويدل منتهى قسمه بطل اذا أسل من مقامه بقي مشهورا ذكره اذا فارق أولاده بلا ونسور أنعم في ليالي الخطوب ساطع نص في مسائل الحروب قاطع قاطع الاكتاف والاعناق يجري على الرأس اذا قامت الحرب على ساق صاحب الندى والباس فيه بأس شديد ومنافع للناس ثمن صاحب النصاب سلطان ملك الرقاب وهي النصل دمشقي الاصل لاي يوم أجل ليوم الفصل باسه شديد وبطشه حديد ذو علائق لكن اذا كان فردا يكون من أصحاب اليمين وقد يعتكف في خلوة القراب وهو من المقربين ويعد كالنجوم وهو سليل شقيق ومدفون فلذلك اعتراه نحول يشبه النمل عليه ويفر الاسد من بين يديه حسد ولما هب عليه نسيم النصر شعلة نار ترى بشرر كالقصر عالم لا ينظر الى متن الا ويشرحه حاكم لا يحضره شاهد الا ويجرحه عالم بالضرب والتفريق ماهر في القطيعة على التحقيق شروق غربه يسفر من فجر يوم الحرب تقوم القيامة اذا طلعت الشمس من ذلك الغرب

ابن باديس ان الامير تميما قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى المذكور وكان في دار الامارة مع خاصته
وجلسائه فمضى يحيى ومن معه اليه فوجدوا تميما في بيت المال فامرهم بالجلوس ثم قال لاحدهم قم فادخل
ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذي صفته كذا في مكان كذا فقام وأتى به فاذا هو كتاب ملحمة فقال له عد من
أوله كذا وكذا ورقة واقرأ الصفحة التي تنتهي اليها فقرأها واذا فيها الملك المغدور وهو الطويل القامة
الذي على وركه الايمن خال وفي جنبه الايسر شامة فقال الامير تميم أطبق الكتاب واردده الى موضعه ففعل
فقال تميم اما العلامتان فقد رأيتهما وبقيت على الثالثة قم أنت يا شريف وأنت يا فلان حتى تحققا عندي
خبر العلامة الثالثة فقاموا وقام يحيى معهم الى موضع مستور عن تميم وكشف لهم عن جسمه فرأوا شامة
على جنبه الايسر هلالية الشكل فأتوا تميما فعرفوه فقال لم أعطه أنا شيأ الله تعالى الذي أعطاه ثم قال أنا
أخبركم بحديث عجيب وذلك انه عرض على النخاس والدته فاستحسنتها ومالت نفسي اليها فاشتريتها وسلمتها
الى خدام القصر وأمرت النخاس أن يرجع الى قبض الثمن ثم دبرت في مال طيب حلال أخرج ثمنها منه
فبينما أنا متفكر في ذلك اذ سمعت السائل يصيح ويرفع صوته في الاذن على مطالعتي فاخرجت رأسي من
الطاق وقلت له ما شانك فقال كنت الساعة أحفر في قصر المهدي اذ وجدت صندوقا عليه قفل فتركته
على حاله وجئت مطالعا بامره فانفذت معه من اثق به فاذا فيه أثواب مذهبات الاعلام قد أفناها الدهر
فامرت بسبك اعلامها فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية فعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له ثم أمر لهم
بدنانير وكساء وانصرفوا قال عبد العزيز المذكور وقد أدركت هذا الكتاب المشار اليه عند السلطان
الحسن رحمه الله تعالى يعني الحسن بن علي بن يحيى المذكور وحكى عن الكتاب أمورا وقضايا ذكر انها
ستكون وكانت كما ذكر (رجعنا الى حديث يحيى) ولما جلس في الملك قام بالامر وعدل في الرعية
وقصد قلاعا لم يمكن أبوه من فتحها قال عبد العزيز في تاريخه وفي أيامه يعني يحيى وصل الى المهدية من
طرابلس المهدي محمد بن تومرت المتقدم ذكره قادما من الحج فنزل بمسجد قبل مسجد السبت فاجتمع اليه
جماعة من أهل المهدية وقرؤا عليه كتابا في علم أصول الدين وشرع في تغيير المنكر فرفع أمره الى يحيى فاحضره
وجماعة من الفقهاء فرأى ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم فسأله الدعاء فقال له أصلحك الله
لرعيتك ونفع بك ذريتك وأقام مدة يسيرة بالمهدية ثم انتقل الى المنستير فاقام بها مدة ثم انتقل الى بجاية وقد
تقدم في ترجمة والده الامير تميم ان محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد في أيامه والله تعالى أعلم أي
ذلك كان ثم قال عبد العزيز وفي سنة سبع وخمسمائة أتى الى المهدية قوم غرباء فقصدوا يحيى بمطالعة
زعموا فيها انهم من أهل الصناعة الكبيرة من الواصلين اليها فأذن لهم بالدخول عليه فلما امتثلوا بين
يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصناعة ما يقف عليه فقالوا نحن نزيل من القصدير التدخين والصدأ حتى
يرجع لا يفرق بينه وبين الفضة ونعمل الوانا من الصروج والبنود والقباب والاواني قناطير من الفضة يجعل
عوضا منها ما يريده ويستعمل جميع ذلك في مهماته وسألوه أن يكون ذلك في خلوة فاجابهم وأحضرهم للعمل
ولم يكن عند الامير يحيى سوى الشريف أبي الحسن علي والقائد ابراهيم قائد الاعنة وكانوا هم ثلاثة وكانت
بينهم امارة فامكنتهم الفرصة فقال أحدهم دارت البوطقة فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحدا بسكاكينهم
فاما الذي قصد الامير يحيى فقال أنا سراج وكان يحيى جالسا على مصطبة فضربه فجاءت على أم رأسه فقطعت
طاقات في العمامة ولم تؤثر في رأسه واسترخت يده بالسكين على صدره ونفذ شيئا وضربه يحيى برجله فالقاه على
ظهره فسمع الخدام الضجة ففتحوا باب القصر من عندهم فدخل يحيى فاغلق الباب دونه وأما الشريف فلم
يزل به الذي قصده حتى قتله وأما القائد ابراهيم فانه شهر سيفه ولم يزل يقاتل الثلاثة وكسر الجند الباب الذي
كان بينهم ودخلوا فقتلوهم وكان زيهم زي أهل الاندلس فقتل في البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزي وخرج
الامير يحيى في الحال ومشى في البلد وسكن الفتنة وكان يحيى عادلا في دولته ضابطا للامور رحيما عارفا بخرجه
ودخله مدبرا في جميع ذلك على ما يوجبه النظر العقلي ويقتضيه الرأي الحكمي ونعته في الاسم الملك

اذا ضرب في الارض يجمع
ضروبا من الضرائب
لا يعلق منه الانسان وان
كان ماء دافقا يخرج من
بين الصلب والترائب
جدول ماء جرى في ساحة
روض فتلقى زمنه روض
نباته فبسقت عليها سورة
وراءه عامل للمقاطعة
ملتزم ما كتبه مواد الخصام
تقسم كانه سيف الآمدي
في الدلائل الكلامية
وقاطع في مسائل الحروب
تدعى الواقعات الحسامية
ينسل من النبل له كالحلم
تقوم الرماح في خدمته على
القدم ذكر له حية طائر
يقع على البيضة (وله)
أشعار فارسية لطيفة اذكر
منها
(غزل) چه شد كه از در ما
يار در نمي آيد
مراد خاطر عشاق بر نمي آيد
بجست كونه از دلم واز جان
مرا بخير شد
دو ماه شد كه از ان سه بخبر
نمي آيد
كرم بشد بخونم كه بخون
دينه مرا
شبي نرفت كه تا در كرمي آيد
شلم غمان سوز دلم بر نمي شود
سرم برفت وشب غم بسر
نمي آيد
قدم بخلوت ما نه كه بي فروغ
رخت
شمع مراد على را سحر نمي آيد
(وله أيضا)
نخلش أشوب جهانست
و برآمد چه كنم
جان من از تو بهيار برآمد
چه كنم

المقدور وتحقق له هذا النعت بهذه الواقعة التي ذكرناها وكان كثير المطالعة لكتب الاخبار والسير عارفا بها رحيما بالضعفاء شفيقا على الفقراء يطعمهم في الشدائد فيرفق بهم ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه وساس العرب في بلاده ثم أبوه وانكفت أطماعهم وكان له نظر حسن في صناعة النجوم والاحكام وكان حسن الوجه على حاجبه شامة أشهل العينين مائلا في قده الى الطول دقيق الساقين وكان عنده جماعة من الشعراء امتدحوه ومدحوه وخلدوا مدحه في دواوينهم ومن جملة شعرائه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الشاعر المقدم ذكره أقام تحت كنفه بعد انسياب الارض وتقاذفت به البلدان وله الرسالة المشهورة التي وصف بها مصر وعجائبها وشعراءها وغير ذلك وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن وله أيضا مدائح في والده أبي الحسن علي وولده الحسن بن علي ومن جملة قوله من مديح قصيدة

وارغب بنفسك الا عن ندى ووغى * فالمجد أجمع بين الناس في الجود
كدأب يحيى الذي أحيت مواهبه * موت الرجاء بإنجاز المواعيد
معطي الصوارم والهيف النواعم والـ * ـجرد الصلادم والبزل الجلاعيد
أشم أشوس مضروب سرادقه * على أشم بفرع النجم معقود
اذا بدا بسرير الملك محتبيا * رأيت يوسف في محراب داود
من أسرة تخذوا الماذي لباسهم * واستوطنوا صهوات الضمر القود
محسدون على ان لا نظير لهم * وهل رأيت عظيما غير محسود
فان تكن حجبتكم أسرة كرمت * فليس في كل عود نفحة العود
أقول للراكب المزجي مطيته * يطوي بها الارض من بيد الى بيد
[٢] لا تطلب الماء عذبا في مشارعه * وتطلب الري في الصم الجلاميد
هذي موارد يحيى غير ناضبة * وذا الطريق اليها غير مسدود
حكم سيوفك فيما أنت طالبه * فللسيوف قضاء غير مردود

وله فيه غير ذلك ولما كان يوم الاربعاء وهو عيد النحر سنة تسع وخمسمائة توفي يحيى فجأة وذلك ان منجمه قال له يوما ان في تسيير مولدك في هذا النهار عليك قطعا فلا تركب فامتنع من الركوب وخرج أولاده ورجال دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضر رجال الدولة على ما جرت به العادة للسلام وقراءة القرآن وأنشد الشعراء وانصرفوا الى الايوان فأكل الناس وقام يحيى الى مجلس الطعام فلما وصل الى باب المجلس أشار الى جارية من حظاياه فاتكأ عليها فما انحط من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتا وكان ولده علي نائبه على سفاقس وهي بلدة من أعمال افريقية فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى في القصر على ما جرت به العادة ثم نقل بعد سنة الى قصر السيدة بالمنستير وهي بلدة بافريقية أيضا وخلف ثلاثين ولدا ذكورا وأما علي المذكور القائم مقام أبيه يحيى فان مولده بمدينة المهدية صبيحة يوم الاحد لخمس عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وتسعين وأربعمائة وكان أبوه قد ولاه سفاقس فلما مات أبوه اجتمع أعيان دولته على كتاب كتبوه عن أبيه اليه يأمره بالوصول اليه مسرعا فوصله الكتاب بلا تفريج لوقته ومعه طائفة من أمراء العرب وجد في المسير فوصل الظهر من يوم الخميس الثاني من يوم العيد ودخل القصر ولم يقدم شيأ على تجهيز أبيه والصلاة عليه ودفنه وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ذي الحجة جلس للناس فدخلوا عليه وسلموا بالامارة ثم ركب في جيوشه وجموعه ثم عاد الى القصر وفي أيامه توجه أخوه أبو الفتوح بن يحيى الى الديار المصرية ومعه زوجته بلارة بنت القاسم وولده العباس صغيرا على الثدي فوصل الى الاسكندرية فانزلوا وأكرم بأمر الآمر صاحب مصر يومئذ فأقام مدة يسيرة ثم توفي فتزوج بعده زوجته بلارة بالعادل بن السلار واسمه علي المقدم ذكره في هذا الكتاب في حرف العين وشب العباس وقدمه الحافظ صاحب مصر وولي الوزارة بعد العادل المذكور وذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه في حوادث سنة اثنتين وخمسمائة

گفته بودم که چو شنوم نشان
شوخ جهان
بیام و دست زدم دست
در آمد چه کنم
عهد آن بود که با کس
نگشایم رازش
لیک آن اشک روان را بره
درآمد چه کنم
زاهد بودم و نبودم سرمست
بر خود مستکبر
روزی من زقضا این قدر
آمد چه کنم
چون لب یار بمن آمد شوخ
نبودم بیش
[٤] ای علی عمر عزیزم بسر آمد
چه کنم

(وله أيضا)

چون روز وصل زود
گذشت و شب فراق
غمگین چرا شوم که این
نیز بگذرد

(وله أيضا)

بو سنقر سمهای خسروان
که تیغ همیران کرد
محالست من که شرح
نتوان کرد

(وله أيضا)

گفتم بخیری کوی مرا گفت
دهن نیست
ابرام نکردم چه کنم جای
سخن نیست

(وله أيضا)

زمانه بادل تو عهد بی وفای
نیست
اگر چه عهد و وفا نیست
در زمانه تو

[٢] قوله لا تطلب هكذا بالاصل ولعل الصواب لا تترك اهـ مصححه

حديث الثلاثة الذين جاؤا الى يحيى في معنى الكيمياء فقال كان حبسهم في هذه السنة وانهم لما وثبوا على
يحيى وجرى في فكرته قبل هذا ما دافعه ذلك عن يحيى ان أبي الفتح المذكور وأصحابه الى القصر وعليهم السلاح
فمنعوا من الدخول وثبت عند يحيى ان ذلك كان باتفاق بينهم فأخرج أبو الفتوح وزوجته وهي ابنة عمه الى
قصر زياد ووكل بهما الى أن مات يحيى وملك ابنه علي فسيرهما على البحر الى الديار المصرية فوصلا الى
الاسكندرية انتهى كلامه ولم تزل أمور علي بن يحيى جارية على السداد الى أن توفي يوم الثلاثاء لسبع بقين
من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وخمسمائة ودفن في القصر بعد أن فوض الامر من بعده الى ولده
أبي يحيى الحسن بن علي بن يحيى ومولد الحسن المذكور بمدينة سوسة في رجب سنة اثنتين وخمسمائة فكان
عمره يوم ولايته اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر ولما كان ثاني يوم وفاة أبيه خرج الناس فسلموا عليه وهنوه
بما صار اليه وركب والجيوش محدقة به وجرت في أيامه وقائع وأمور يطول شرحها فمن ذلك ان رجار الفرنجي
صاحب صقلية أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسيف في يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة احدى وأربعين
وخمسمائة وقتل أهلها وسبى الحريم والاطفال وأخذ الاموال ثم شرع في عمارتها وتحصينها بالرجال والعدد
ثم أخذ المهدية يوم الاثنين ثاني عشر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وذلك ان الحسن بن علي لما علم بعجزه
عن مقاومته خرج من المهدية نهارا وقد استصحب ما خف عليه حمله من النفائس وخرج أهل البلد أيضا
هاربين الا من أقعده العجز عن الهرب فدخل اليه الفرنج وملكوه وصادفوا فيه من الاموال والنفائس مالا يعد
ولا يحصى وكان عدة من ملك منهم من أهل بيتهم وأولهم زيري المقدم ذكره في حرف الزاي الى هذا الحسن بن علي
تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمان سنين وانقرضت دولة بني باديس ثم ان الحسن بن علي توجه نحو
المعلقة وهي قلعة حصينة بافريقية بين قرطاجنة وتونس وكان صاحبها أبو محفوظ محرز بن زياد أحد أمراء العرب
فأقام عنده قليلا ثم ظهر له منه الضجر والسآمة فقصد الديار المصرية ليكون عند الحافظ العبيدي صاحبها
يومئذ فبلغ خبره الى نائب رجار بالمهدية فجعل عليه العيون وجعل عشرين شينيا لمسكه في البحر فبلغ الحسن
ذلك فرجع عن هذا الرأي ثم قصد أن يتوجه الى جهة عبد المؤمن بن علي بمراكش وأنفذ ثلاثة من أولاده الى
صاحب بجاية وهي آخر أعمال افريقية ليستأذنه في الوصول اليه وبعد ذلك يتوجه الى عبد المؤمن فأضمر له
الغدر وخاف من اجتماعه بعبد المؤمن ان يتفقا على ما فيه ضرره فكتب اليه كتابا على يد أولاده يقول له
لا حاجة لك في الرواح الى عبد المؤمن ونحن نفعل معك ونصنع وأنزله من المواعيد الحسنة فتوجه اليه فلما
قرب من بجاية لم يخرج للقائه وعدل به الى الجزائر وهي بليدة فوق بجاية من جهة الغرب وأنزله بها في مكان
لا يليق بمثله ووكل به من الاقامة مالا يصلح لبعض أتباعه ومنعه من التصرف وكان وصوله الى الجزائر في
المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة ثم ان عبد المؤمن فتح بجاية في سنة سبع وأربعين وهرب صاحبها الى
القسطنطينية ثم ان رجار صاحب صقلية هلك في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ولما
هلك رجار ملك بعده ابنه غنيم بن رجار وعليه قدم أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر المقدم ذكره ومدحه
وأجازه وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ولما هلك غنيم ملكت ابنته وهي أم الانبرور والدة المالك في
زماننا ثم هلكت أم الانبرور وخلفته صغيرا فالك واستمر ملكه وكان عاقلا فاضلا وبينه وبين الملك الكامل
صاحب مصر مراسلات وغيرها ثم ان عبد المؤمن وصل الى المهدية وملكها بعد جهد جهيد وكان دخوله اليها
بكرة يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة توطن بها أياما وكان الحسن بن علي قد وصل صحبته فرتب معه
النائب لتدبير أمورها لكونه عارفا بأحوالها وأقطعه بها ضيعتين وأعطاه دورا سكنها هو وأولاده وأتباعه
ولم أقف على تاريخ وفاة الحسن بن علي المذكور ثم قتل محرز بن زياد المذكور في وقعة سطيف يوم الخميس في
العشر الاوسط من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهذا الحسن بن علي هو الذي صنف له
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت كتاب الحديقة

(ابو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد)

وقد

جهانه از بي خوف نزامدنه
تحوبي
بست قاتل ما حسن بي
جهانه تو
(وله) أشعار تركية أضربنا
عن ذكرها بناء على مقتضى
عادتنا (وله) من التآليف
حاشية على حاشية التجريد
للشريف الجرجاني وحاشية
شرح الكافية للمولى عبد
الرحمن الجامي وحاشية الدرر
والغرر للمولى خسرو ولم
يتم وله الاسعاف في علم
الاوقاف وله حاشية على
كتاب الكراهية من الهداية
وله رسالتان متعلقتان
بالوقف كتبهما في المنازعة
التي وقعت بينه وبين المولى
شاه محمد وهي معروفة وقد
علق رحمه الله حواشي على
المولى حسن جلبي لشرح
المواقف للشريف الجرجاني
من أول الكتاب الى آخره
وله كتاب المشاق على
لسان التركي وكتاب
الاخلاق وله رسالة ضخمة
تتعلق بالتفسير كتبها بعد
ما جرت المناظرة بينه وبين
الشيخ بدر الغزي
*(ومن المشايخ العظام
والسادات الكرام الشيخ
يعقوب الكرماني)*
ولد رحمه الله بلدة تحتاو
وكان ابوه من الاجناد
العثمانية والعساكر
السلطانية وقد رغب
المرحوم في تحصيل المعارف
والعلوم فساد البلاد
واشتغل واستفاد حتى
انتظم في سلك أرباب

وقد تقدم ذكر ولديه الفضل وجعفر كل واحد منهما في بابه وكان جدهم برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار عندهم ولم أعلم هل أسلم أم لا وساد بنوه وتقدموا في الدولة العباسية وتولى الوزارة لابي العباس بعد أبي سلمة حفص الخلال المقدم ذكره وقد ذكرته في ترجمة جعفر وذكرت هناك تاريخ وفاته وقال أبو الحسن المسعودي في كتاب مروج الذهب لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله لا يحيى في رأيه ووفور عقله ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحة لسانه ولا محمد بن يحيى في سروره وبعد همته ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه ولما بعث أبو مسلم الخراساني قحطبة بن شبيب الطائي لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري عامل مروان بن محمد على العراقين وكان خالد بن برمك في جملة من كان معه فنزلوا في طريقهم فبينما هم على سطح بعض دورها يتغدون اذ نظروا الى الصحراء وقد أقبلت منها أقاطيع الوحش من الظباء وغيرها حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبة أيها الامير ناد في الناس ومرهم أن يسرجوا ويلجموا قبل أن تهجم عليهم الخيل فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه فقال يا خالد ما هذا الرأي فقال قد نزل بك العدو أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت ان وراءها لجمعا كثيفا فما ركبوا حتى رأوا الغبار ولولا خالد لهلكوا وأما يحيى فانه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور قد ضم اليه ولده هرون الرشيد وجعله في حجره فلما استخلف هرون عرف له حقه وقال له يا أبت أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع له خاتمه وفي ذلك يقول الموصلي وأظنه ابراهيم النديم أو ابنه اسحق

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولي هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذي الندى * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وكان يعظمه واذا ذكره قال أبي وجعل اصدار الامور وايرادها اليه الى أن نكب البرامكة فغضب عليه وخلده في الحبس الى أن مات فيه وقتل ابنه جعفر حسبما تقدم في ترجمته وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ومن كلامه ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية والكتاب والرسول وكان يقول لبنيه اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وتحدثوا بأحسن ما تحفظون وكان يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة ولمن بعدنا عبرة وقال الفضل بن مروان المقدم ذكره سمعت يحيى بن خالد يقول من لم أحسن اليه فانا أخير فيمن أحسنت اليه فانا أمر بربه وقال القاضي يحيى بن أكثم سمعت المأمون يقول لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل حيث يقول

أولاد يحيى أربع * كأربع الطبائع
فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع

قال القاضي فقلت له يا أمير المؤمنين أما الكفاية والبلاغة والسماحة فنعرفها فيهم ففي من الشجاعة فقال في موسى بن يحيى وقد رأيت أن أوليه ثغر السند وقال اسحق بن ابراهيم النديم الموصلي المقدم ذكره حدثني أبي قال أتيت يحيى بن خالد بن برمك فشكوت اليه ضيقة فقال ويحك ما أصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شيء ولكن ههنا أمر أدلك عليه فكن فيه رجلا قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئا وقد أبيت ذلك عليه فألح علي وقد بلغني أنك قد أعطيت بجارية لك فلانة ثلاثة آلاف دينار فهو اذا استهدينيها أعلمته أنها قد أعجبتني فاياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وانظر كيف تكون قال فوالله ما شعرت الا بالرجل وافاني فساومني بالجارية فقلت له لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها فبعتها وقبضت العشرين ألفا ثم صرت الى يحيى ابن خالد فقال لي كيف صنعت في بيعك الجارية فأخبرته وقلت والله ما ملكت نفسي أن أجبت الى العشرين ألفا حين سمعتها فقال انك لخسيس نخذ بار يتك بارك الله لك فيها وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا فاذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار فانه لا بد أن يشتريها منك بذلك فاذا في الرجل

الاستعداد بما هو في اشتغاله وتحصيل مجده وكماله اذ رأى صورة الحشر في المنام وشاهد فيها شدائد الساعة وأهوال القيامة فوقع في حسرة واضطراب وأراد التشبث بالاسباب فاطلع على قسمة في عشرة لم يرهقهم ذلة ولا قترة وهم عن شدائد ذلك اليوم سالمون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذا بمناد ينادي ويملأ بصوته ذلك المنادي ان أردت سبيل الخلاص ورمت طريق الناص فلتجتهد في التصوف والانضمام الى هذه الاقوام فان لهم الزلفى عند ربهم في دار السلام فرأيتهم الرسوم وقصد وجد واجتهد حتى لحق بهم وانضم اليهم فلما انتبه من المنام حصل له تيقظ عظيم وتنبه تام وترك الرسوم المعتادة ورام الدخول في مسالك الصوفية السادة وصحب منهم الكثير ولم يقنع باليسير حتى وصل الى قطب العارفين وبقية السلف الصالحين الشيخ سنان الدين المشتهر بسنبل فدخل في زمرة أصحابه وبالغ في التأدب بآدابه وأتى من الزهد والعبادة بما هو فوق العادة واجتهد بالقيام والصيام حتى كان يفطر مرة في ثلاثة أيام واجتنب الماء ستة أشهر ولم يشرب ونعماذلك الشرب ولما وصل الشيخ المذكور

فاستمت عليه خمسين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار فضعف قلبي عن ردها ولم أستشرهم افاوجبتها له ثم صرت الى يحيى بن خالد فقال لي بكم بعت الجارية فأخبرته فقال ويحك ألم تؤدبك الاولى عن الثانية فقلت والله ضعفت عن ردها لم أطمع فيه قال فقال هذه الجارية جارية تلك خذها اليك قال فقلت جارية افتدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها أشهدك انها حرة واني قد تزوجتها هكذا رأيت الحكاية ثم نظرت في كتاب أخبار الوزراء تأليف الجهشياري فقال ان يحيى قال لابراهيم الموصلي لا تقبل أقل من مائة ألف دينار وانه باعها بثلاثين ألف دينار وقال الاصمعي دخلت على يحيى يوما فقال يا أصمعي هل لك زوجة فقلت لا فقال فجارية فقلت خادمة فأمر باخراج جارية في غاية الحسن والجمال والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال يا أصمعي خذها اليك فشكرته ودعوت له فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت يا سيدي تدفعني الى هذا مع ما ترى من سماجته وقبحه فقال لي هل لك أن أعوضك عنها ألفي دينار ودخلت الجارية الى داره فقال لي انكرت على هذه الجارية أمرا فأردت أن أعاقبها ثم رحمتها فقلت له هلا أعلمتني حتى كنت لقيتها على صورتي الاصلية من غير ان امس لحيتي واصلح عمتي واتطيب واتجمل فضحك وأمر لي بألف دينار أخرى (وحكى) اسحق النديم أيضا قال كانت صلات يحيى بن خالد اذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وأنشده

يا سمي الحصور يحيى أتيحت * لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم * فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليل * هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى صدقت وأمر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخلافة سأله عن حاله فذكر انه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث اما ان يؤدي المهر وهو أربعة آلاف واما ان يطلق واما ان يجهز بالمرأة يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر وبأربعة آلاف لثمن منزل وبأربعة آلاف لما يحتاج اليه المنزل وبأربعة آلاف للبنية وأربعة آلاف يستظهر بها فأخذ عشرين ألفا وانصرف وقال محمد بن مناذر الشاعر حج هرون الرشيد ومعه ابناه الامين محمد والمأمون عبد الله وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر فلما صاروا بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد فاعطى الناس عطاءهم ثم جلس الامين ومعه الفضل فاعطاهم العطاء وكان أهل المدينة يسمون ذلك العام ٢ عام الاعطية الثلاثة ولم يروا مثل ذلك قط فقلت في ذلك

أتانا بنو الاملاك من أرض برمك * فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدى * وأخرى الى البيت العتيق المطهر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى * بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لاعواد منبر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي انه قال كنت خياطا ٣ بالمدينة في يدي مائة ألف درهم للناس أضارب بها فتلفت الدراهم فشخصت الى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وآنست بالخدم والحجاب وسألتهم أن يوصلوني اليه فقالوا اذا قدم الطعام اليه لم يحجب عنه أحد ونحن نقدمك اليه ذلك الوقت فلما حضر طعامه أدخلوني فاجلسوني معه على المائدة فسألني من أنت وما قصتك فأخبرته فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز من ذلك فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد الينا في اليوم الثاني فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة فأقبل يسألني كما سألني في اليوم الاول فلما رفع الطعام دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز مني فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال لي الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد الينا غدا فأخذته وانصرفت فعدت في اليوم الثالث كما أمر فاعطيت مثل

الى رحمة ربه الغفور وانتصب مكانه الشيخ مصلح الدين المشتهر بركز أنف المرحوم من مبايعته وتأخر عن متابعته الى أن رأى في منامه مجلسا عظيما حضر فيه الرسول الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم والشيخ مصلح الدين المزبور قائم على كرسي يفسر سورة طه بتحقيق تام في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى رأس الشيخ عمامة ترى تارة خضراء وتارة سوداء فسأل المرحوم من بعض الحاضرين فأجاب أن خضرتها تشير الى تمام شريعته وسوادها الى كمال جهة طريقته فترك التأنف بعد ذلك وعد صحبته من أحسن المسالك ودام لديه على الاجتهاد الى أن كمل الطريقة الخلوتية وأذن له فيها بالارشاد ثم انتقلت به الاحوال الى ان فوض اليه المشيخة في زاوية مصطفى باشا بقسطنطينية المحمية

٢ قوله عام الاعطية الثلاثة فيه انه لم يتقدم الا عطاآن فلعله سقط منه ثم جلس المأمون ومعه جعفر فأعطاهم العطاء كما يدل عليه سياق الحكاية فليحرر اه مصححه

٣ قوله خياطا هكذا بالاصل ولعله حناطا أي بائع الحنطة والا فالخياط لا تناسبه المضاربة اه

ذلك الذي أعطيت في الأول والثاني فلما كان في اليوم الرابع أعطيت كما أعطيت قبل ذلك وتركني بعد
ذلك أقبل رأسه وقال انما منعتك ذلك لانه لم يكن وصل اليك من معروفي ما يوجب هذا فالآن قد لحقك بعض
النفع مني يا غلام أعطه الدار الفلانية يا غلام افرش له الفرش الفلاني يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضي
دينه بمائة ألف ويصلح شأنه بمائة ألف ثم قال لي الزمني وكن في داري فقلت أعز الله الوزير لو أذنت لي
بالشخوص الى المدينة لاقضي الناس أموالهم ثم أعود الى حضرتك كان ذلك أرفق بي قال قد فعلت وأمر
بتجهيزي فشخصت الى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت اليه فلم أزل في ناحيته ودخل عليه يوما أبو قابوس
الحميري وأنشده

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأتي الذي لم يأته أحد
ينسى الذي كان من معروفه أبدا * الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال قلت قد عمل هذا البيت الثاني شرف الدولة مسلم بن قريش وقد
قال له رجل لا تنس أيها الامير حاجتي فقال اذا قضيتها أنسيتها ولمسلم بن الوليد الانصاري في يحيى بن خالد

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكان يحيى يقول اذا أقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا أدبرت فانفق فانها لا تبقى وقال ذكر النعمة
من المنعم تكدير ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير وقال النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان مقام النجح
وقال اذا أدبر الامر كان العطب في الحيلة وقال الحسن بن سهل المقدم ذكره من غيرته الولاية لاخوانه
علمنا ان الولاية أكبر منه أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك وكان ليحيى
كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته فعزم على ختان ولده فاحتفل له الناس على طبقاتهم وهاداه
أعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم وكان له صديق قد اختلت أحواله وضاقت يده
عما يرتضيه لذلك فعمد الى كيسين كبيرين نظيفين فجعل في أحدهما ملحا وفي الآخر أشنانا
مطيبا وكتب معهما رقعة نسختها لو تمت الارادة لاسعفت بالعادة ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة
لاتعبت السابقين الى برك وتقدمت المجتهدين في كرامتك لكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت الجدة
عن مباراة أهل النعمة وخفت أن تطوى صحائف البر وليس لي فيها ذكر فأنفذت المبتدأ بيمنه وبركته
والمختتم بطيبه ونظافته صابرا على ألم التقصير ومتجرعا غصص الاقتصار على اليسير فأما ما لم أجد اليه
السبيل في قضاء حقك فالقائم فيه بعذري قول الله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج والسلام فلما حضر يحيى بن خالد الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها حتى
الكيسين والرقعة فاستظرفها وأمر أن يملأ الكيسان مالا ورداه عليه فكان ذلك أربعة آلاف دينار
وقال رجل ليحيى والله لأنت أحلم من الاحنف بن قيس فقال له ما تقرب الي من أعطاني فوق حقي ونادى
اسحق بن ابراهيم الموصلي أحد غلمانه فلم يجبه فقال سمعت يحيى بن خالد يقول مما يدل على حلم الرجل سوء
أدب غلمانه وكان يحيى يساير الرشيد يوما فوقف له رجل فقال يا أمير المؤمنين عطبت دابتي فقال الرشيد
يعطى خمسمائة درهم فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشيد يا أبت أومأت الي بشيء ولم أعرفه فقال مثلك
لا يجري هذا القدر على لسانه انما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف عشرة آلاف ألف فقال اذا سئلت مثل
هذا كيف أقول فقال تقول يشترى له دابة وبالجملة فان أخبارهم كثيرة لا يحتمل هذا المختصر الاطالة أكثر
من هذا ولما قتل هرون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي كما ذكرناه في حرف الجيم من هذا الكتاب نكب
البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل كما ذكرناه في حرف الفاء من هذا الكتاب وكان حبسهما في الرافقة
وهي الرقة القديمة مجاورة الرقة الجديدة وهي البلدة المشهورة الآن على شاطئ الفرات ويقال لهما الرقتان
تغليبا لاحد الاسمين على الآخر كما قيل العمران والقمران وغير ذلك (وحكى) الجهشياري في كتاب
أخبار الوزراء ان يحيى بن خالد اشتهى في وقت من الاوقات في حبسه وهو مضيق عليه سكباجة فلم يطلق له

فسلك مسالك المشايخ السادة
في تربية أرباب الارادة
واجتمع عليه الطلاب
ودخلوا عليه من كل باب
وكان يعظ في الجامع
الشريف بأحسن وجه
وأوضح طريق ويفسر
القرآن الكريم في أثنائه
باتقان وتحقيق وينتفع
الناس بمجالسه الشريفة
ونصائحه اللطيفة (الى
أن توفي رحمه الله في شهر ذي
القعدة سنة تسع وسبعين
وتسعمائة) تغمده الله
سبحانه وأفاض علينا من
سجال بركاته

*(ومن علماء العصر
والزمن المولى محمد بن خضر
شاه بن محمد المشتهر بابن
الحاجي حسن)*
كان أبوه من قضاة بعض
البلدان وجده المذكور
توفي قاضيا بالعسكر في أيام
السلطان بايزيد خان وقرأ
المرحوم على أفاضل عصره
وصار ملازما من المولى خير
الدين معلم السلطان سليمان
خان ثم تقلد المدرسة القرازية
ببلدة بروسه بخمسة
وعشرين ثم مدرسة عبد
السلام بخمسة ثلاثين ثم
مدرسة رستم باشا بكوتاهية
بأربعين ثم مدرسة خانقاه
بسلطانية بخمسين وهو
مدرس بها بعد ما جعلت
مدرسة فانه لما بنتها السيدة
خرم زوجة السلطان
سليمان جعلتها خانقاها
للصوفية ثم بدلتها مدرسة
لاقتضاء بعض الامور

اتخاذها الاعشية فلما فرغ منها سقطت القدر من يد المتخذ لها فانكسرت فانشد يحيى أبياتا يخاطب بها الدنيا ومضمونها اليأس وقطع الاطماع ولم يزل يحيى في حبس الرافقة الى أن مات في الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وقيل أربع وسبعين وصلى عليه ابنه الفضل ودفن في شاطئ الفرات في ربض هرثمة ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم والمدعى عليه في الاثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة الى الرشيد فلم يزل يبكي يومه كله وبقي أياما يتبين الاسى في وجهه رحمهما الله تعالى وكان يحيى يجري على سفيان الثوري رضي الله عنه في كل شهر ألف درهم وكان سفيان يقول في سجوده اللهم ان يحيى كفاني أمر دنياي فاكفه أمر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض اخوانه في النوم فقال له ما صنع الله بك قال غفر لي بدعاء سفيان وقيل ان صاحب هذه القضية هو سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري والله تعالى أعلم قال الجهشياري ندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة وتحسر على ما فرط منه في أمرهم وخاطب جماعة من اخوانه بأنه لو وثق منهم بصفاء النية لاعادهم الى حالهم وكان الرشيد كثيرا ما يقول حملونا على نصحائنا وكفاتنا وأوهمونا انهم يقومون مقامهم فلما صرنا الى ما أرادوا لم يغنوا عنا وأنشد

أقلوا علينا لا أبا لابيكمو * من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

قلت هذا البيت للحطيئة الشاعر وبعده

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

قلت وذكر الزمخشري في كتاب ربيع الابرار ما مثاله انه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها مكتوب

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

(أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسن بن أحمد بن الحسن ابن جهم بن عمرو بن هبيرة بن علوان بن الحوفزان)

وهو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان الشيباني الملقب عون الدين هكذا ساق نسبه جماعة منهم ابن الدبيثي في تاريخه وابن القادسي في كتاب الوزراء وغيرهما وانما أخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته وذكره الشعراء في مدائحهم وهو من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني أوقر بالدور من أعمال دجيل وهي دور عربايا بالعين المهملة والباء المثناة من تحت وتعرف الآن بدور الوزير نسبة اليه وكان والده من أجنادها ودخل بغداد في صباه واشتغل بالعلم وجالس الفقهاء والادباء وكان على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع الحديث وحصل من كل فن طرفا وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقراآت والروايات وقرأ النحو واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ولازم الكتابة وحفظ ألفاظ البلغاء وتعلم صناعة الانشاء وكانت قراءته الادب على أبي منصور بن الجواليقي وتفقه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء وصحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي الواعظ وسمع الحديث النبوي من أبي عثمان اسمعيل بن محمد بن ملة الاصبهاني ومن أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ومن بعدهما وحدث عن الامام المقتفي لامر الله أمير المؤمنين وعن غيره وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ أبو الفرج بن الجوزي وأول ولايته الاشراف بالاقرحة الغربية ثم نقل الى الاشراف على الاقامات المخزنية ثم تقلد الاشراف بالمخزن ولم يطل في ذلك مكثه حتى تقلد في سنة اثنتين وأربعين كتابة ديوان الزمام ثم ترقى الى الوزارة وكان سبب توليته الوزارة على ما حكاه الذي جمع سيرته انه قال من جملة ما رفع قدر الوزير ونقله الى الوزارة ما جرى من مسعود البلالي شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان مسعود أحد الخدم الخصيان

وشرط ان لا يدرس فيها انتقل الى المدرسة التي بناها قبل ذلك في المدينة المزبورة فنقل المرحوم عنها الى هذه المدرسة بالوظيفة المذكورة ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة أيا صوفيه بستين ثم الى احدى المدارس السليمانية ثم قلد قضاء المدينة المنورة ثم نقل الى قضاء مكة المشرفة ولم يتفق لاحد من علماء الروم في سالف العصور تولية القضاء في الحرمين الشريفين غير المولى المزبور ولاختصاصه بهذه الفضيلة من البين لقبه أهل هذه الديار بقاضي الحرمين (وانتقل رحمه الله بمكة المشرفة في اوائل ذي الحجة سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وقد وقع وصوله اليها عرفات بمكة في هذه السنة وكان يعمل له في سنة سبعين جهة المدينة مهجور وما بنت السلطان سليمان خان المادرسلت المياه اليها الى مكة ومضايقة أهل الحرم الشريف فيها واشتريت امكانات تجري مياه عرفات الى مكة شرفها الله تعالى فصدت المواضعات بعمارته وأنفقت فيها أموالا جزيلة الى ان تيسرت ابها سنة النوبة العظمى في السنة المزبورة فاتفق دخولها يوم وفاة المولى المزبور وكذلك يحيى الحاج في السنة المزبورة فاتفق أن اجتمع في جنازته خلق

الحبشيين الكبار من أمراء دولته من سوء أدبه في الحضرة وخروجه عن معتاد الواجب وانتشار مفسدي
أصحابه وكان وزير الخليفة اذ ذاك قوام الدين أبو القاسم علي بن صدقة بن علي بن صدقة فقد كتب عن الخليفة
الى السلطان مسعود عدة كتب بعقد الانكار على مسعود البلالي على ما صدر منه فلم يرجع جواب فلما قلد
عون الدين بن هبيرة كتابة ديوان الزمام خاطب الخليفة في مكاتبة السلطان مسعود بالقضية فوقع اليه قد
كان الوزير كتب في ذلك عدة كتب فلم يجب بوفراجع عون الدين في ذلك سؤاله الى ان أجيب فكتب من
انشائه رسالة وهي طويلة فأضربت عن ذكرها وحاصل الامر فيها انه دعا له وذكر ما كان أسلافه
يعاملون الخلفاء به من حسن الطاعة والتأدب معهم والنسيء عنهم عن يعتب عليهم وشكا من مسعود البلالي
وانه كاتب في ذلك عدة دفعات وما جاء جواب وأطال القول في ذلك وكان هذا في سنة اثنتين وأربعين
وخمسمائة في شهر ربيع الآخر فما مضى على هذا الا قليل حتى عاد الجواب بالاعتذار والأمر لمسعود
البلالي والانكار لما اعتمده فاستبشر المقتفي باشارة عون الدين وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين
من قلبه ولم يزل عنده مكينا حتى استوزره وقال مصنف السيرة وكان أيضا من جملة أسباب وزارته انه في سنة
ثلاث وأربعين وصل الى بغداد الامير البقش ٢ السعودي صاحب الجيش وهو مقطع بالعراق ويذكر
السلطان وقصدها في جموع كثيرة وعدد وهم من غلمة أفضى بهم التوارخ فشرع الوزير قوام الدين بن
صدقة في تدبير الحال فاستقل بسمعه فحينئذ استأذن عون الدين الخليفة في أمرهم فأذن له في ذلك فطلب
هؤلاء الخارجين على الخليفة وأحسن التدبير في ذلك حتى كفت شرهم ثم قوي عليهم حتى نهبت العامة
أموالهم وسرت العادة بمثل هذه الاحوال فارتفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقة فانه عند انقضاء هذا المهم
استدعى الخليفة المقتفي عون الدين عند الصبح مع أمير من أمراء الدولة فحين بقراءته لها التابع في
السرية فركب الى دار الخليفة في جماعة وتسامع الناس بوزارته ولما وصل الى باب الحجرة استدعى فدخل وقد
جلس له المقتفي بمنظرة التاج فقبل الارض وسلم وقعد ساعة بالمجلس ثم غيرهما على الأثر خرج وقد جهزوا له
التشريف على عادة الوزراء فلبسه ثم استدعى ثانيا فقبل الارض ودعا له ودعا له الخليفة ثم أنشده

سأشكر عمرا ان تراخت ٣ منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قلت وهذه الابيات لابراهيم بن العباس الصولي المقدم ذكره وهي ثلاثة أبيات والثاني منها بعد الاول

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

ولما أنشد عون الدين هذين البيتين غير نصف البيت الثاني منهما فان الشاعر قال
* فكانت قذى عينيه حتى تجلت * فلما رأى انه خاطب الخليفة بهذه العبارة غيرها تأدبا ثم ان عون
الدين خرج وقدم له حصان أدهم من مراكب الخليفة وحمل وعليه من الحلي ما جرت به عادتهم مع الوزراء والشرح
في ذلك يطول فاختصرته وخرج بين يديه أرباب المناصب وأعيان الدولة وأمراء الحضرة وجميع خدام
الخلافة وسائر حجاب الديوان والطبول تضرب امامه والمستند واعتمدوا على عادتهم في ذلك حتى دخل
الديوان ونزل على طرف الديوان وجلس في الدست وقام بقراءة عهده الشيخ سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن
عبد الكريم الانباري ولولا خوف الاطالة لذكرت العهد فانه بديع في بابه لكن قصدي الاختصار فاعرضت
عن ذكره وهو مشهور في أيدي الناس فلما فرغ من قراءته قرأ القراء وأنشد الشعراء وتولى الوزارة يوم
الاربعاء ثالث عشر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكان لقبه جلال الدين فلما ولي
الوزارة لقبوه عون الدين وكان عالما فاضلا ذا رأي صائب وسريرة صالحة وظهر منه في أيام ولايته ما شهد له
بكفايته وحسن مناصحته فشكر له ذلك وحظي بعين الرعاية وتوفرت له أسباب السعادة وكان مكرما لاهل العلم
يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم ويقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ويجري من
البحث والفوائد ما يكثر ذكره وصنف كتبا في ذلك كتاب الافصاح عن شرح معاني الصحاح وهو يشتمل

كثير وجمع غفير من العلماء والصلحاء وشهدوا له بالخير وحسن الخاتمة ودعوا له بالمغفرة الدائمة وكان المرحوم من أعيان أفاضل الروم معدودا من الرجال مذكورا في عداد أرباب الفضل والكمال نظيفا وجيها عليه التؤدة والوقار بحيث تنسب الناس الى الغرور والاستكبار غفر له الملك الغفار

(ومن العلماء الاعلام وفضلاء الاعاجم المولى مصلح الدين اللاري)

ولد رحمه الله في لار وهي بالراء المهملة بلدة بين الهند والشيراز اشتغل رحمه الله على مير غياث الدين منصور الدين المستغني بشهرته التامة عن التوصيف والتبيين وقرأ أيضا على مير كمال الدين حسين تلميذ المولى المعروف بمقبلي القاضي والمولى جلال الملة والدين محمد الدواني ثم ذهب الى بلاد الهند واقام مدة ثم الاستعفاء واتصل بالامير همايون من أعاظم ملوك هذه الديار ونال عنده جاها رفيعا ومنزلة الامتياز والعظمة

٢ قوله البقش ويذكر هكذا بالاصل وراجع نسخ التاريخ في اسم هذا الامير اهـ

٣ قوله ما تراخت في العادة ان تراخت وان الشعر لابن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء اهـ

على تسعة عشر كتابا شرح الجمع بين الصحيحين وكشف عما فيه من الحكم النبوية وكتاب المقتصد بكسر الصاد المهملة وشرحه أبو محمد بن الخشاب النحوي المشهور في أربع مجلدات شرحا مستوفيا واختصر كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت وله كتاب العبادات في الفقه على مذهب الامام أحمد وأرجوزة في المقصور والممدود وأرجوزة في علم الخط وغير ذلك وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري في تاريخه الصغير الاتابكي في فصل حصار الملك محمد وزين الدين بغداد وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ان المقتفي لامر الله جد في حفظ بغداد وقام الوزير عون الدين بن هبيرة في هذا الامر القيام الذي يعجز عنه غيره قال وأمر المقتفي فنودي ببغداد من جرح وقت القتال فله خمسة دنانير فكان كل من جرح يوصل ذلك اليه فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحا فقال الوزير هذا جرح صغير لا يستحق عليه شيئا فعاد الى القتال فضرب في جوفه فخرجت امعاؤه فعاد الى الوزير فقال يا مولانا الوزير يرضيك هذا فضحك منه وأمر له بصلة وأحضر له من يعالجه انتهى كلام ابن الاثير قلت وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد ابن ملكشاه السلجوقي وزين الدين هو أبو الحسن علي بن بكتكين المعروف بكچك والد مظفر الدين صاحب اربل وقال غير ابن الاثير ان الملك اسمه محمد شاه وان هذه القصة كانت في سنة اثنتين وخمسين والله أعلم ذكر ذلك ابن الجوزي في كتاب شذور العقود وهو أخبر لانه كان ببغداد وهو بها وقد ذكرت محمد شاه في ترجمة أبيه وتوفي الامام المقتفي لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة الاحد ثاني ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة وبويع ولده المستنجد بالله أبو المظفر يوسف فدخل عليه الوزير فبايعه وأقره على وزارته وأكرمه وكان في خاطره أشياء ان يعزله فلم يعزله ولم يتعرض له ولم يزل مستمرا في وزارته الى حين وفاته ومدحه جماعة من أماثل شعراء عصره منهم أبو الفوارس سعد بن محمد المعروف بابن صيفي الملقب حيص بيص المقدم ذكره وله فيه مدائح مستحسنة فمن ذلك قوله

يهز حديث الجود ساكن عطفه * كما هز شرب الحي صهباء قرقف
ويوم اذا طاشت حبا القوم وانثنت * صعاب الآرا من زعزع الخطب ترجف
صروم الدنايا هاجر كل سبة * ولكنه بالحمد صب مكلف
يضيق بأدنى العار ذرعا وصدره * بأهوال ما يلقى من الخطب نفنف
اذا قيل عون الدين يحيى تألق الـ * ـغمام وماس السمهري المثقف

وكانت عوائدهم في بغداد في شهر رمضان أن الاعيان يحضرون سماط الخليفة عند الوزير ويمدون السماط الطبق وكان الحيص بيص من جملة من يحضر الطبق وكانت نفسه أبية وهمته علية فاذا احضروا الطبق تعظموه وقعد فوقه من ارباب المراتب جماعة ليس فيهم فضل فوجد في نفسه لذلك مشقة عظيمة فكتب الى الوزير عون الدين يستعفي من الحضور

يا باذل المال في عسر وفي سعة * ومطعم الزاد في صبح وفي غسق
وعاثر الناس انعشهم فواضله * الى المزيد من النعماء مندفق
في كل يوم نخوات من مكارمه * تبرهم وهو يدعوهم الى الطبق
فاض النوال فلولا خوف منقصة * من بأس عدلك نادى الناس بالغرق
وكل أرض بها صوب وساكبة * حتى الوغى من نجيع الخيل والعرق
صن منكبي عن زحام ان غضبت له * تمكن الطعن من عرضي ومن خلقي
فان رضيت به فالذل منقصة * فكم تكلفته جهلا فلم أطق
أنا المريض بأحداث وسورتها * وليس غير اياديك حافظ رمقي
وهب لي كعطاياك التي كثرت * فالجود بالعز فوق الجود بالورق
ان اصفرار محيا الشمس من حزن * على علاها لمسراها الى الافق

والتمسه بالاستاذ وعامله
بالاطف والرأفة الى ان أفناه
الدهر وأباده وقامت الفتن
والحوادث من بعده في تلك
البلاد فخرج المرحوم عنها
قاصدا الى زيارة بيت الله الحرام
واقامة شعائر شرائع الاسلام
فلما تيسر له الحج وحصل له
الرجوع رام الدخول في بلاد
الروم فانتقل من بلد الى
بلد ومن مدينة الى مدينة
حتى وصل الى قسطنطينية
فاجتمع مع فضلائها من الافاضل
الفحول وباحث معهم في
المعقول والمنقول ولما اجتمع
بالمولى أبي السعود اتصل
عنده ولم يظهر له وجود
وعين له كل يوم خمسين
درهما من بيت المال فلم
يجد فيها ما يرضيه من
التوجه والاقبال فلم يختر
الاقامة في هذه البلدة
البهية وخرج الى ديار بكر
وربيعة فلما وصل الى آمد
وشاع له المحاسن والمحامد
استدعاه أميرها اسكندر باشا
وصاحبه فاستحسنه وأعجبه
وبالغ في ثنائه وعطائه
وصيته على النفس وأمثاله
وزاد في وظيفته وأبرم
عليه الاقامة في البلدة
المذكورة ثم قلده المدرسة
التي بناها خسرو باشا في
البلدة المزبورة وأرسل اليه
المنشور من جانب السلطان
بان يحقق يومية الموالي المتعين
كل نوبة ثلاثة من طلبة
الاروقة الباب العالي فدام
على الدرس والافادة حتى
درسه الدهر وأباده وذلك
في شهر ... سنة تسع

وإن توهم قوم أنه حق ... فرعيا الشيبة التوقير بالحق

وأهدى إلى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان وفي مجلسه جماعة منهم الحيص بيص فقال الوزير يحسن أن يقال في هذه الدواة شيء من الشعر فقال بعض الحاضرين وكان ضريرا ولم أقف على اسمه

ألين لداود الحديد بكرامة ... يقدره في السرد كيف يريد
ولان لك البلور وهو حجارة ... ومعطفه صعب المرام شديد

فقال الحيص بيص إنما وصفت صانع الدواة ولم تصفها فقال الوزير من غيره فقال الحيص بيص

صيغت دواتك من يومين فاشتبها ... على الأنام ببلور ومرجان
فيوم سلمك مبيض بفيض ندى ... ويوم حربك قان بالدم القاني

ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب الجنان تأليف القاضي الرشيد أحمد بن الزبير الغساني المذكور في أوائل هذا الكتاب ونسبهما إلى القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر وذكر أنه دخل على الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش بمصر وقد تقدم ذكره أيضا فرأى بين يديه دواة من عاج محلاة بمرجان فقال بديها

ألين لداود الحديد كرامة ... يقدره في السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة ... على أنه صعب المرام شديد

وقد سبقه أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالأبله الشاعر المقدم ذكره بقصيدة عديدة منها وهي أحسنها فلهذا ذكرتها وهي

ولع النسيم ببانة الجرعا ... وشمائل الأغصان والردعا
بأميمة شاقت خلائلها ... عنها وضقت بعهدها ذرعا
قد كنت ذا دمع وذا جلد ... فبقيت لا جلدا ولا دمعا
صيرت جسمي للضنى سكنا ... وسكنت بعد تباعد الجرعا
يا من رأى أدماء ناعسة ... قلبي لها لا للضنى مرعى
لا تنثني الغصن منثنيا ... وحكت بعود آرا كة طلعا
وإذا تواجهت الكلام فلا ... تعدل لأيام الصبا رجعى
ولقد سمعت الكأس يحجبني ... سكر الواصف وصفة السعي
في مستنير الزهر يا صنعت ... أنواره عسجدا ولا صنعا
بالكرخ منزلنا نراه وما ... زكت البلاد لبانة فرعا
بانت عليه البارقات ظبا ... ليس الغدير لخوفها درعا
يا عاذلي إن شئت تسمعني ... عذلا فشق لصخرة سمعا
طبعا أبيات على الغرام كما ... جبل الوزير على الندى طبعا

وخرج بعد هذا إلى المديح فاضربت عنه ولا أخرج في الإطالة ذكره ومن سبقه أبو الفتح محمد بن عبد الله سبط ابن التعاويذي المقدم ذكره بقصيدة واحدة وهي

سقاها الحيا من أربع وطلول ... حكت دنفي من بعدهم ونحولي
ضمنت لها أجفان عيني قرحة ... من الدمع مدرار الشؤون همول
لئن طال رسم الدار عهدي بأهله ... فعهد الهوى في القلب غير محيل
خليلي قد هاج الغرام وشاقني ... سنى بارق بالأبرقين كليل
وذكرني بالسواد تنظري ... فقضاء مسلي بالذوين مطول
إذا قلت قد أنحلت جسمي صبابة ... تقول وهل صب بغير نحول
وإن قلت دمعي بالأسى فيك شاهدي ... تقول شهود الدمع غير عدول
فلا تعذلاني إن بكيت صبابة ... على ناقض عهد الوفاء ملول
فأبرح ما ألقى به الصب في الهوى ... ملال حبيب أو ملام عذول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل ... لعبن بألباب لنا وعقول
غداة التقينا خالطها وقلوبنا ... فلم تخل إلا عن دم وقتيل
ألا حبذا أرواح نجد ورندها ... ترى الله رعيها ما أنوق نسول
وفي أبرديه كلما اعتلت الصبا ... شفاء فؤاد الغرام عليل
دعوت سلوا أملك غير مساعدي ... وحاولت صبرا عنك غير جميل
تعرفت أسباب الهوى وحملته ... على كاهل للنائبات حمول
فلم أحظ في حب الغواني بطائل ... سوى ورعي ليل بالغرام طويل

وستين وتسعمائة (وقد أناف عمره على ستين سنة * كان رحمه الله عالما فاضلا محققا كاملا غزير الفهم كثير الإحاطة واسع المعرفة مشاركا في العلوم النقلية صاحب اليد الطولى في الفنون العقلية شرح تهذيب المنطق والتذكرة من علم الهيئة ورسالة المولى في الفن المزبور وكتب بعض التعليقات وعلق حاشية على شرح الهداية الحكمية للقاضي مير حسين وحاشية على شرح الطوالع للأصفهاني وحاشية على شرح المولى جلال الدين للتهذيب وحاشية على بعض المواضع من شرح المواقف الشريف الجرجاني وحاشية على تفسير البيضاوي إلى آخر الزهراوين وشرح شمائل النبي صلى الله عليه وسلم بالعربي والفارسي وجمع تاريخا كبيرا على لسان فارس من بدء العالم إلى زمانه وكتب على مواضع من الهداية ورسائل عديدة يطول ذكرها وقد عارض المفتي أبي السعود في قصيدته الميمية وكلف نفسه ما ليس في وسعه فكان في الآخر مصداق ما قاله الشاعر

(بيت شعر)

إذا لم تستطع أمرا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

ولنذكر منها ما فيه مطلعه ... حتى يعرف أين يضع قدمه

(قصيدة)

ومنها

الى كم تمنيني الليالي بماجد * رزين وقار الحلم غير عجول
أهز اختيالا في هواه معاطفي * واسحب تيها في ثراه ذيولي
اذا طال عهدي بالنوال وانني * لصب الى تقبيل كف منيل
وان يدي يحيى الوزير لكافل * بمالي وعون الدين خير كفيل

وكان عون الدين كثيرا ما ينشد

ما ناصحتك خبايا الود من أحد * ما لم ينلك بمكروه من العذل
مودتي لك تأبى ان تسامحني * بان أراك على شيء من الزلل

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي في تاريخه الذي سماه مرآة الزمان ورأيته بدمشق في أربعين مجلدا وجميعه بخطه وكان أبوه قزغلي مملوك عون الدين بن هبيرة المذكور وزوجه بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج المذكور فأولدها شمس الدين فولاؤه له أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون ان عون الدين قال كان سبب ولايتي المخزن أنني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت اياما فأشار علي بعض اهلي أن أمضي الى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه فأسأل الله تعالى عنده فان الدعاء عنده مستجاب قال فأتيت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ثم خرجت لأقصد البلد يعني بغداد فاجتزت بقطفتاء قلت وهي محلة من محال بغداد قال فرأيت مسجدا مهجورا فدخلت لأصلي فيه ركعتين واذا أنا بمريض ملقى على بارية فقعدت عند رأسه وقلت ما تشتهي فقال سفرجلة قال فخرجت الى بقال هناك فرهنت عنده مئزري على سفرجلتين وتفاحة وأتيته بذلك فأكل من السفرجلة ثم قال اغلق باب المسجد فأغلقته فتنحى عن البارية وقال احفر ههنا فحفرت واذا بكوز فقال خذ هذا فأنت أحق به فقلت أما لك وارث فقال لا وانما كان لي أخ وعهدي به بعيد وبلغني أنه مات ونحن من الرصافة قال فبينما هو يحدثني اذ قضى نحبه فغسلته وكفنته ودفنته ثم اخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت الى دجلة لأعبرها واذا ملاح في سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة فقال معي معي فنزلت معه واذا به من أكثر الناس شبها بذلك الرجل فقلت من أين أنت فقال من الرصافة ولي بنات وأنا صعلوك قلت فما لك أحد قال لا كان لي أخ ولي منذ زمان ما أدري ما فعل الله به قال فقلت ابسط حجرك فبسطه فصببت المال فيه فبهت فحدثته الحديث فسألني ان آخذ نصفه فقلت لا والله ولا حبة ثم صعدت الى دار الخلافة وكتبت رقعة فخرج عليها اشراف المخزن ثم تدرجت الى الوزارة وقال جدي الشيخ أبو الفرج في كتاب المنتظم وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرض لأسبابها وكان صحيحا يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى من سنة ستين وخمسمائة فنام ليلة الأحد في عافية فلما كان في وقت السحر قاء فأحضر طبيبا كان يخدمه فسقاه شيئا فيقال انه سمه فمات وسقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سما فكان يقول سقيت كما سقيت ومات الطبيب وقال في المنتظم أيضا وكنت ليلة مات الوزير نائما على سطح مع أصحابي فرأيت في المنام كأني في دار الوزير وهو جالس فدخل رجل وبيده حربة قصيرة فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط فالتفت فاذا خاتم من ذهب ملقى فأخذته وقلت لمن أعطيه أنتظر خادما يخرج فأعطيه اياه وانتبهت وحدثت أصحابي بالرؤيا فلم أستتم الحديث حتى جاء رجل فقال مات الوزير فقال بعض الحاضرين هذا محال أنا فارقته أمس العصر وهو في كل عافية وجاء آخر وصح الحديث وقال لي ولده لا بد أن تغسله فأخذت في غسله ورفعت يده لأغسل مغابنه (قلت) المغابن مطاوي البدن مثل الابط وغيره واحدها مغبن بفتح الميم وكسر الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة قال فسقط الخاتم من يده فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام قال ورأيت في وقت غسله آثارا في وجهه وجسده تدل على انه مسموم فلما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ولم يتخلف عن جنازته احد وصلي عليه في جامع القصر وحمل الى باب البصرة فدفن في مدرسته التي انشأها وقد دثرت الآن ورثاه جماعة من الشعراء انتهى كلام أبي الفرج بن الجوزي وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور ان سبب موته كان بلغما ثار بمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد فسقي مسهلا فقصر عن استفراغه فدخل الى بغداد يوم الجمعة سادس جمادى

كفاك اشتياقي فهو الملام
وقالت لمن شاء السلام سلام
أسار أسير العشق صوب سلامة
أكان مكان العاشقين سلام
وما كنت وحدي بالمحبة هائما
فذلك كثير في الزمان قدام
لكم زمرة تاهت بتيه محبة
فكم هام في هذا الهيام هيام
ومن قال من ليلاي حرفا أسرني
وكل كلام غير ذاك كلام
حمامة تغني بالغياض تحية
وان جاءني بعد البعاد حمام
رماني زماني في مقاسم هجره
ومن عين عيني الدموع سجام
وأقرح أجفاني وأحرق مهجتي
بعاد سقتني واستفاد غرام
فلا صبر لي بالعيون التي هي
ولا ذي أرى بالفراق تضام
فياليت شعري أين روح وصاله
وبرئي قلب قد حواه ضرام
أبيد ولا إلا الفراق مفرق
وبوحي لأسباب الوصال صرام
فلو بت طول السير الوفاء مغاضبا
أليست عهود بيننا وذمام
فآها لأزمان الفراق وطولها
فساعة يوم من فراقك عام
فلو في الفلا أشكو فلا شك أنه
ليبكي على حالي الفلا وأكام
وكان اشتهاري باصطباري

الاولى راكبا متعاملا الى المقصورة لصلاة الجمعة فصلى بها وعاد الى داره فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده الالم فوقع مغشيا عليه فصرخ الجواري فافاق فسكتهن وبلغ الخبر ولده عز الدين ابا عبد الله محمدا وكان ينوب عنه في الوزارة فبادر اليه فلما دخل عليه قال له قد بعثت استاذ الدار عضد الدين ابا الفرج محمد بن عبد الله ابن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة جماعة تستعلم ما هذا الصياح فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال وانشد

وكم شامت بي عند موتي جهالة * يظل يسل السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله * من الضر بعدي مات قبل مماتي

ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدا فسجد فابطأ في ركوعه فاذا هو ميت فطولع به الامام المستنجد فامر بدفنه وخلف ولدين احدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في تاريخ الوزراء انه ولد في سنة سبع وتسعين وأربعمائة على ما ذكر من الظفر رحمه الله تعالى قال بعضهم رأيته في المنام بعد موته فسألته عن حاله فقال

قد سألنا عن حالنا فاجبنا * بعد ما حال حالنا وجبينا
فوجدنا مضاعفا ما كسبنا * ووجدنا ممحصا ما كسبنا

ولما بلغ خبر موته عضد الدين بن المظفر استاذ الدار المذكور وكان بحضرته سبط ابن التعاويذي المذكور قبل هذا وهو من موالي بني المظفر فان أباه كان غلاما لبعض بني المظفر واسمه بشتكين فسماه ابنه عبد الله فاراد سبط ابن التعاويذي ان يتقرب الى عضد الدين لعلمه بما بينه وبين الوزير فانشده مرتجلا

قال لي والوزير قد مات قوم * قم انبكي أبا المظفر يحيى
قلت أهون عندي بذا الرزء * ومعاذا بابن المظفر يحيا

وقال آخر ولا اذكر اسمه الآن لكنه من الشعراء المشاهير

ألا رب مثل الماجد ابن هبيرة * يموت بموته مثل يحيى بن جعفر
يموت بيحيى كل فضل وسودد * ويحيا بيحيى كل جهل ومنكر

والمقصود أن محاسنه كثيرة وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها ورأيت في كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تأليف أبي الخطاب بن دحية غلطة احببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها أحد فيظنها صحيحا وهو انه ذكر وهو انه قال في خلافة المتقي لامر الله سامحه الله وسعد بوزيره أبي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة وقد ذكر المؤرخون فضائل جده التي حازها عون الدين من بعده ثم ذكر مكرمة من مكارم عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين في دولة بني أمية وظن ابن دحية المذكور أن الوزير المذكور من ذرية ذلك المتقدم وعجبت منه من ذلك فان الوزير شيباني النسب كما شرحناه في أول الترجمة وذلك فزاري النسب كما يأتي في ترجمة ولده يزيد بن عمر بن هبيرة ان شاء الله تعالى وأين شيبان من فزارة ولا شك انه ما أوقعه في هذا الامر الا اتفاق نسب الوزير وقد جاء في عمر بن هبيرة فتوهم ان هذا هو ذاك وليس الامر كما توهمه ومثل ابن دحية لا يعذر فقد كان حافظا ومطلعا على أمور الناس وهذا الامر واضح لكن الخطأ موكل بالانسان (قلت) وأكثر من جرى ذكره في هذه الترجمة قد تقدم ذكره في هذا التاريخ وأفردت لكل واحد منهم ترجمة مستقلة سوى الشيخ الزبيدي فانه كان كبير القدر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما انتفع الوزير الا بصحبته وما ذكره في هذا التاريخ فينبغي التنبيه على مثله لا يهمل وكان دخوله بغداد في سنة تسع وخمسمائة وتوفي في شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال أبو عبد الله بن النجار في تاريخ بغداد كان مولده بزبيد في ليلة الاربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة وتوفي ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور ببغداد رحمه الله تعالى ونقول الآخر

ولكن صبرا في نوائب مؤلم
لقد لك قد قامت سعود رشاقة
وخدك حد الحسن فيه قائم
وصاحب مصباح الصباحة مصبحا
فأنت وشمس سعد وغلام
(وقال بعد أبيات)
وفارقت أبناء الزمان جميعهم
وما الطيب بالشام لزام
ولا الطف في نخل من الخير قد خلا
ولا نشر في صحب لهن جهام
لهم في أداء المحبات تكاسل
لهم في لزوم المهلكات لزام
وليس لاقبال الزمان ادامة
وليس لادبار الدهور مدام
فكل نهار يعقب الليل بعده
ولا الليل الا من قفاه صباح
فلا تك مسرورا ولا متحزنا
أآل المشهار أو عز الظلام
كبوقلمون في التلون دهرنا
وليس لما أبدى الزمان دوام
تعاقب حالات الانام كما ترى
دليل على هذا الكلام تمام
سرور وأحزان شباب وشيبة
غنى واحتياج صحة وسقام
حياة وموت لذة وتألم
وعسر ويسر محنة وحمام
ألا انما الدنيا كأحلام نائم
فمن ذا الذي يقاظ الانام نيام
وطوفان نوح قد تعاظم فرقة
ولكن طوفان المنية عام
فاقاومت من تاصلاته وسهم
وقد زال ما بالزوال وسام
وأين ملوك قد بنوا في بلادهم
وكان لديهم ما يكاد يرام
تساعدهم للناس كانت تزاحم
وفيها عساكر ركع وقيام

أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة * تموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر

فالمراد به أبو الفضل يحيى بن القاسم عبد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر الملقب زعيم الدين تولى النظر بالمخزن في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة الى سنة سبع وستين ففيها ناب في الوزارة بعد عزل أبي الفرج بن المظفر ولم يزل على ذلك الى ان توفي وكان مشكورا محمود السيرة محبا لاهل العلم وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشاء الاخيرة التاسع والعشرين من صفر سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفي ليلة العشرين من شهر ربيع الاول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد في الحربية بتربة له رحمه الله تعالى

(أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي بن زبادة الشيباني الكاتب المنشي الواسطي الاصل البغدادي المولد والدار والوفاة الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين)

كان من الاعيان الاماثل والصدور الافاضل انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشاء والحساب مع مشاركة في الفقه وعلم الكلام والاصول وغير ذلك وله النظم الحسن جالس ابا المنصور بن الجواليقي وقرأ عليه وعلى من بعده وسمع الحديث من جماعة وخدم الديوان من صباه الى أن توفي عدة خدمات وكان مليح العبارة في الانشاء جيد الفكر تحدا والترصيع لطيف الاشارة وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب التسجيع وله رسائل بليغة وشعر رائق وفضله أكثر من أن يذكر وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ولم يزل على ذلك الى أن طلب من واسط والحلة ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ورتب حاجبا بباب النوبي وقلد النظر في المظالم ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وسبعين ثم أعيد اليه في جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فلما قتل استاذ دار وهو عضد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله ابن محمد بن الحسين المعروف بابن الصاحب وكان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ثم عزل في سنة خمس وثمانين وعاد الى واسط فاقام بها الى أن استدعي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وقلد ديوان الانشاء في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان ثم رد اليه النظر في ديوان المقاطعات فكان على ذلك الى حين وفاته وكان حسن السيرة محمود الطريقة متدينا حسن العقيدة وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه ونثره فمن ذلك قوله

باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء ساكنا فاذا حر * ك ثارت من قعره الاقذاء

وله أيضا

اني لأعظم ما يلتوني جلدا * اذا توسطت حول الحادث النكد

كذلك الشمس لا تزداد قوتها * الا اذا حصلت في برج الاسد

وكتب الى الامام المستضيء يهنيه بالعيد

يا ماجدا اجل قدرا أن نهنيه * لنا الهناء بظل منك ممدود

الدهر أنت ويوم العيد منك وما * في العرف أن تهني الدهر بالعيد

وله أيضا عفا الله عنه

ان كنت تسعى للسعادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

وله أيضا رحمه الله تعالى

لا تقبلن من الملوك وان أنا * لك الدهر منهم فوق همته

واعلم بان له يوما تمور به الارض الوقور كما مارت لهيبته

هرون وهو أخو موسى الشقيق له * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

وله كل معنى مليح وله ديوان رسائل وقفت عليه في بلادنا ولم يحضرني شيء منه كي أثبته ههنا وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي في تاريخه أنشدنا أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله يعني ابن زبادة المذكور من حفظه قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد الارجاني لما قدم بغداد علينا في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة لنفسه (قلت) وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن الارجاني المقدم ذكره قوله

مناجتهم طاحت وبادت جنودهم
مناحتهم قد بددت وسهام
وأين بنو مروان أين بلادهم
وأين وليد وأين واح هشام
مضى آل عباس ولم يبق باسمهم
ولم يبق منهم عدة وعرام
فيا راحة في غمرة الجهل والهوى
سلقاك في هذا الرسوخ تدام
عليك بهرب ثم رهب من الهوى
هوى وهوى في الجحيم توام
عسى تلن أضحى من الزاد خاليا
أليس له نحو المعاد غرام
فتب خالصا من كل اثم فانه
يصير مصير الآخرين أنام

(ومن العلماء والفضلاء والمشايخ الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ صنع الله)
كان الشيخ صنع الله المذكور من قرية كوزه كان من أعمال تبريز وقد اشتغل هو والمولى عبد الرحمن الجامي على الشيخ عبيد الله النقشبندي قدس سره العزيز فحصل عنده ما حصل من الشرافة ودام في خدمته حتى شرفه بالاذن والخلافة ولما رجع من خراسان الى بلاده واشتغل بالارشاد والافادة اجتمع عليه الكثير من أرباب الطلب والارادة الى أن نبتت في تلك النواحي بذور الالحاد وفاش وظهرت الطائفة الحمر وفرقة قزلباشي

ومقسومة العينين من دهش النوى * وقد راعها بالعيس رجع حداء
تجيب بإحدى مقلتيها تحيتي * وأخرى تراعي أعين الرقباء
رأت حولها الواشين طافوا فغيضت * لها مدمعا واستعصمت بحياء
فلما بكت عيني غداة وداعهم * وقد روعتني فرقة القرناء
بدت في محياها خيالات أدمعي * فغاروا وظنوا أن بكت لبكائي

وكتب إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر المقدم ذكره وقد عزل عن نظر واسط

ولأنت إن لم يبك الغيث الثرى * تروي الورى بسماحة الهتان
لم يعزلوك عن البلاد ملالة * تدعو إلى النقصان والشنآن
بل صيروا آثار جودك زاجرا * حفظوا بلادهم عن الطوفان

(قلت وحكى) لي الوجيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن سويد التاجر التكريتي قال كان الشيخ محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ المشهور قد توجه رسولا من بغداد إلى الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب سلطان مصر في ذلك الوقت وكان أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محبوسا في قلعة الكرك يومئذ وقد شرحت ذلك في ترجمة الكامل في هذا التاريخ قال الوجيه فلما عاد محيي الدين راجعا إلى بغداد وقدم دمشق كنت بها فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان بن شهاب الاربلي وكان رئيس التجار في عصره وجلسنا نتحدث معه فقال قد حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لا يخرج الملك الصالح من الحبس إلا بأمر أخيه الملك العادل قال فقال له الأصيل يا مولانا هذا بأمر الديوان العزيز فقال محيي الدين وهل هذا يحتاج إلى إذن هذا اقتضته المصلحة ولكن أنت تاجر يا أصيل فقال نعم مولانا إني قد كبرت وما أدري ما أقول وأنا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات قال هات فقال كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كل شهر حملا من واسط وهو ثلاثون ألف دينار لا يمكن أن يتأخر يوما واحدا عن العادة فتعذر في بعض الأشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلك وذكر ذلك لنوابه فقالوا له يا مولانا هذا ابن زيادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك ومتى طالبته قام بتمام الحمل وزيادة فاستدعاه وقال له لم لا تؤدي كما يؤدي الناس فقال أنا معي خط الإمام المستضيء بالمسامحة قال فهل معك خط مولانا الإمام الناصر قال لا قال قم واحمل ما يجب عليك قال ما ألتفت إلى أحد ولا أحمل شيئا ونهض من المجلس فقال النواب لابن رئيس الرؤساء أنت صاحب الولايتين وناظر النظار وما على يدك يد ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ولو كبست داره وأخذت منها ما قال لك أحد شيئا وحملوه عليه حتى ركب بنفسه وأجناده وكان ابن زيادة يسكن قبالة واسط وقصدوا إلى ابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر إليه وإذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال ما قدم هذا الآن إلا لمهم ننظر ما هو ثم نعود إلى ما نحن بسببه فلما دنا من الزبزب فإذا فيه خادم من خدام الخليفة فصاح بأصحابه الأرض الأرض فقبل الأرض وناولوه سطا العقود فيها تقليد بعشر خلعة ودواة لابن زيادة تحمل الخلعة على رأسك والدواة على صدرك وتمشي راجلا إليه وتلبسه الخلعة وتجهزه إلى الديوان بالخلعة على رأسه والدواة على صدره ومشى إليه راجلا فلما رآه ابن زيادة أنشد ابن رئيس الرؤساء

إذا المرء تهوى ترجي وتتقي * وما يعلم الإنسان ما في المغيب

وأخذ يعتذر إليه فقال له ابن زيادة لا تثريب عليكم اليوم وركب في الزبزب إلى بغداد وما علموا أن أحدا سعت إليه الوزارة غيره فلما وصل إلى بغداد أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسط وقال هذا ما يصلح لهذا المنصب ثم قال الأصيل ولا يأمن مولانا أن يخرج الملك الصالح ويملك ويعود إليه مولانا ويقع وجهك في وجهه وتستحي منه فأنشده محيي الدين قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر في الموتى كليب لوائل

نظموا في البلاد فلما كثروا فيها الفساد فرج المرحوم إلى ديار الأكراد وأقام مدة في بدليز ثم أعاده حب الوطن إلى تبريز ثانيا وقبض على رجوعه ذلك الرجل الرذيل رئيس تلك الطائفة الطاغية اسمعيل عزم على قتله وزجره فلما من حوله ولما دخل عليهم سجد له على ما هو العادة لمن دخل عليه ومثل بين يديه وخاطبه بغير الخوف والخشية والوحشة فوقع على اسمعيل منه هيبة عظيمة ودهشة وبعد ذلك تكلم في خلاصه صدره مير جمال الدين الاصفهاني فلم يتقدم على قتله ورده سالما إلى منزله وولد في تبريز الشيخ أبو سعيد المزبور وقال في تاريخ ولادته جمال الدين المذكور
(شعر فارسي)
هشتم ذي قعده ... و ...
متولد ... تبريز ... ما كه ... ثاني ... فلما شب وبلغ أوان الطلب قرأ على العلماء الأعلام وفضلاء الأعجام منهم الفاضل المشهور مير غياث الدين المنصور إلى أن بلغ مبلغ الرجال وشهد له أساتذته بالفضل والكمال وبالغوا في مدحه وثنائه وفرط ذكائه ولما خرج منلا أحمد القزويني إلى بلاد الروم في صورة الحاج أراد الشيخ أبو سعيد الخروج

فما كان الا مدة يسيرة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر وكان ما كان قلت وكنت بمصر وعز الدين بها رسول الى الملك العادل وقبض العادل وجاء الصالح فخرج عز الدين الى الشام وشاهدت ذلك هكذا ذكره على هذا الوجه وفيها غلط تام من الوجه واما من الاصيل فان ابن زيادة ما ولي الوزارة ولا تولى الاماد كرنه في أوائل ترجمته فان كان هذا صحيحا فيكون ذلك انما طلب للانشاء كما شرحته والله أعلم بالصواب قال ابن الدبيثي المذكور سألت أبا طالب بن زيادة عن مولده فقال ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربي بمشهد الامام موسى بن جعفر رضي الله عنهما يعني ببغداد وزيادة بفتح الزاي وهو اللفظ من الزيادة الذي يتطيب به النسوان والله أعلم

(ابو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي)

ذكره الحافظ ابو سعد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد فقال له شعر مطبوع غير متكلف وكتب لي أبياتا من شعره وسمعت منه وسألته عن مولده فقال ولدت في المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج وأورد له مقاطيع أنشدها اياه من ذلك قوله

أبيض غض زاده عـذاره ‍ * ‍ لعاشقيه في عمـوم البلابل
تموج بحار الحسن في وجناته ‍ * ‍ فتقذف منها عنبرا في السواحل
وتجري بخديه الشبيبة ماءها ‍ * ‍ فتنبت ريحانا بشوب الجداول

قلت وقد خطر لي على هذا مؤاخذة وهي انه جعل في البيت الثاني بحار الحسن تموج في وجناته فكيف يقول في البيت الثالث وتجري بخديه الشبيبة ماءها وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة الى بحار الحسن وما كفى هذا حتى جعلها جداول والجداول الانهار وأين الانهار من البحار ثم انه في البيت الثاني قد شبه العذار بالعنبر فكيف يجعله في البيت الثالث ريحانا وأين العنبر من الريحان وان كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا به العذار لكن في مقطوع واحد من الشعر ما لهم عادة يجمعون بينهما وكنت قد سمعت في زمن الاشتغال بالادب بيتين استحسنتهما ولم أعرف قائلهما وهما

يا عاذلي في حب ذي عارض ‍ * ‍ ما البلد المخصب كالماحل
تموج بحر الحسن في خده ‍ * ‍ فقذف العنبر في الساحل

فلما كان في أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقفت بالقاهرة المحروسة على مجلد من كتاب السيل والذيل تأليف عماد الدين الكاتب الاصبهاني وقد جعله ذيلا على كتابه خريدة القصر فرأيت فيه ترجمة يحيى بن نزار المنبجي المذكور وقد ذكر له مقدار عشرة أبيات يمدح بها السلطان نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى وفي جملة الابيات البيت الثاني من هذين البيتين فعلمت ان الذي نظم ذلك المعنى في البيت الثاني من الثلاثة هو الذي نظم هذين البيتين في هذه الابيات التي ذكرها في كتاب السيل ثم بعد ذلك بقليل جاءني صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد المعروف بالحافظ اليغموري فتذاكرنا وجرى ذكر البيتين وقال انهما لعماد الدين أبي المناقب حسام الدين بن عدي بن يونس الحلي نزيل دمشق وذكر انه سمعهما منه وادعاهما لنفسه فقلت له البيت الذي فيه المعنى ليس له بل هو ليحيى بن نزار المنبجي ويكون العماد الحلي قد نظم البيت الاول وجعله توطئة للثاني واستعمله على وجه التضمين كما جرت العادة في مثله لكن كان ينبغي ان ينبه على انه تضمين كي لا يعتقد من يقف عليهما انهما له فان البيت الاول ليس في جملة ابيات يحيى المنبجي التي مدح بها نور الدين محمودا رحمه الله تعالى ثم من بعد ذلك خطرت لي مؤاخذة على العماد الحلي فانه قال في بيته الذي جعله توطئة للثاني ‍ * ‍ ما البلد المخصب كالماحل ‍ * ‍ والخصب والمحل انما يكون بسبب النبات وعدمه والبيت الثاني الذي هو التضمين شبه العذار بالعنبر وأين النبات من العنبر فالتوطئة بين البيتين ليست بلائقة وهذه المؤاخذة مثل المؤاخذة المتقدمة على الابيات الثلاثة وكنت وقفت على بيتين للعماد الحلي أنشدنيهما عنه جماعة وهما

قيل لي من هويت قد عبث الشعـ ‍ * ‍ ـر بخديه قلت ما ذاك عاره

معه في هذه الصورة قبسه طهماسب شاه وحبسه مع عسكره وصادرهما بعشرة آلاف دينار ووكل بهما من يقبض منهما المبلغ المرقوم فوضعوا أيديهم على أملاكهم وباعوه وباعوها بأرخص الاثمان وسعوا في اتلافها بقدر الامكان فلم يبلغوا المبلغ المرقوم فعرضوا القصة على طهماسب فامر بتعذيبهما بأنواع العذاب ولم يقصروا حتى قطعوا لحومهما بالكلاليب وأطعموها قدر سنة الكلاب ثم جروهما بعض من وكل بهما فساح فيها خفية والمراقبة فهرب الشيخ أبو سعيد ووصل الى أردبيل وخلص نفسه من العذاب الوبيل فانه من دخل بها نجا من أذاهم وان كان من أكبر أعدائهم وكان هذا الشيخ كبيرا فلم يمكنه الهرب فبقي في أيديهم أسيرا وكسيرا وقرأ المرحوم فيها على ملا حسين واشتغل عنده قدر سنتين ولما قصد السلطان الاعظم سليمان خان المعظم الى فتح ديار العجم وسار حتى وطئ بخيله ورجله هذه البلاد ليستأصل ما فيها من أرباب الزيغ والفساد وانقض سقور الاروام على عصافير الاعجام تفرقوا من سطوتهم تفرق الاغنام عند ما حمل عليها أسود الآجام فخرج هذا الشيخ المزبور وراح عنه وتخلص من أيدي الظلمة

بجمرة الخد أحرقت عنبر الخا * ل فمن ذلك الدخان عذاره

وسخولي عليهما مؤاخذة مثل المؤاخذة المذكورة وهي أنه لما قيل له إن الشعر عيب عذاره ما أنكر ذلك بل قال ماذا الشعر عار فقد وافق على أنه شعر غاية ما في الباب أنه قال هذا الشعر ما هو عار فكيف يقول بعد هذا بجمرة الخد أحرقت عنبر الخال إلى آخره فجعل العذار دخان العنبر وأين دخان العنبر من الشعر بل كان ينبغي أن يقول لهم هذا ما هو شعر بل هو دخان العنبر حتى يتم له المعنى وقد نظم صاحبنا ورفيقنا في الاشتغال بحلب عون الدين أبو الربيع سليمان بن بهاء الدين بن عبد المجيد العجمي الحلبي بيتين ألم فيهما بهذا المعنى وهما

لهيب الخد حين بدا لعيني * هوى قلبي عليه كالفراش

فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشي

وقد أحسن في هذا المعنى وسلم من تلك المؤاخذة لكن وقع في مؤاخذة أخرى وهي أنه جعل العذار دخان احتراق قلبه والعماد جعله دخان العنبر وبين الدخانين بون كبير فهذا طيب الرائحة وذاك كريه الرائحة وقد سبق في ترجمة عبد الله الشتريني بيتان أبدع فيهما وهما

ومهفهف رقت حواشي حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس سالفه العذار وإنما * نفضت عليه سوادها الأحداق

والأصل في هذا الباب كله قول أبي إسحق إبراهيم الصابي الكاتب في غلام له أسود وأبياته وقد سبق ذكر الأبيات في ترجمته من هذا الكتاب والمقصود منها هنا قوله في أولها

لك وجه كأن يمناي خطته * بلفظ تملة آمالي

فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالي

وبيتا عون الدين فيهما المام بقول أبي الحسين أحمد بن منير الطرابلسي المقدم ذكره

لا تظنوا الخال بخده * قطرة من دم جفني نطفت

ذاك من نار فؤادي جذوة * فيه ساحت وانطفت ثم طفت

قلت وقد خرجنا عن المقصود وانتشر الكلام لكن ما خلا عن فائدة (وقال أبو سعد) السمعاني أنشدني يحيى بن نزار المنبجي لنفسه

لو صد عني دلالا أو معاتبة * لكنت أرجو تلاقيه وأعتذر

لكن ملالا فلا أرجو تعطفه * جبر الزجاج عسير حين ينكسر

وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة. وقال أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحداد في تاريخه المرتب على السنين ما مثاله سنة أربع وخمسين وخمسمائة في ليلة الجمعة سادس ذي الحجة مات يحيى بن نزار المنبجي ببغداد ودفن بالوردية قيل إنه وجد في أذنه ثقلا فاستدعى إنسانا من الطرقية فامتص أذنه فخرج شيء من مخه فكان سبب موته رحمه الله تعالى وقال السمعاني هو أخو أبي الغنائم الناجر الذي وقد ذكر أبا الغنائم ووصفه وأثنى عليه في ترجمة مستقلة في كتاب الذيل أيضا رحمه الله تعالى وأما العماد الحلي فإنه كان أديبا فاضلا علاكا عنه من النوادر وله نظم مليح في المقطعات دون القصائد وكان يحفظ المقامات ويشرحها وتوفي ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية وهو عرف بابن الجالي ولدفي سنة ستين وخمسمائة تقديرا بقوص وذيت أبا العلاء ذنب البهائم وجدت في سودائي بخطي بيتا منسوبا إلى الوجيه أبي الحسن علي بن يحيى بن الحسين بن أحمد المعروف بابن الذروي الأديب الشاعر وهو

عذاره دخان ند خاله * وريقه من ماء ورد خده

ثم وجدت منسوبا إلى ابن سناء الملك المقدم ذكره والصحيح أنه للأسعد بن مماتي المقدم ذكره أيضا وهذا

سمراء قد أزرت بكل أسمر * بلونها ولينها وقدها

أنفاسها دخان ند خالها * وريقها من ماء ورد خدها

لو كتب البدر إلى خدمتها * رسالة ترجو أبعدها

ورأيت للمهذب أبي نصر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن الحلبي المعروف بابن البرهان الحاسب المنجم

ثم وعمها الخروج إلى ديار الروم وعزما على السفر فالتقيا بالعسكر المظفر فسارا معهم وعادا معهم إلى الروم فيأتيهم ولما وصلوا إلى آمد توفي عمه فازداد بالوحشة همومه وذلك (سنة خمس وخمسين وتسعمائة) ولما وصل إلى حلب عين له من جانب السلطان كل يوم عشرة أنصاف فاستقلها الشيخ المزبور فاستعفا الجميع وكان في قلبه الذهاب إلى الهند لمباينة وسلطانه من معارفه قديما وحيث كلفه وعرضه عليه الوزير الكبير رستم باشا فاسماله وطيب قلبه واستصحبه إلى قسطنطينية وعين له خمسة عشر درهما ثم زاد في وظيفته فصارت خمسة وثلاثين وحصل له القبول التام عند الخواص والعوام وترادفت عليه الصلات وتكررت الترقيات حتى بلغت وظيفته في وزارة علي باشا إلى مائة وكان ذلك سنة احدى وستين وتسعمائة وحج رحمه الله سنة ست وسبعين وتسعمائة وتوفي بقسطنطينية في أوائل جمادى الأولى (سنة ثمانين وتسعمائة) ودفن بحظيرة الشيخ وفا وقال فيه بعض أحبائه شعرا فارسيا جون شيخ أبو سعيد مرحوم زين دار فنا به بوشد از بس كه وفا نمود با شيخ ميدان وفا ازان او شد

المصري

ومهفهف رقت نضارة وجهه * فالعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عشر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

فعلمت ان العماد الحلي انما أخذ ذلك المعنى من أحد هؤلاء والله سبحانه وتعالى أعلم

(أبو الحسين يحيى بن أبي علي منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد بن داود بن الجراح المصري وهذه الزيادة في نسبه وجدتها بخط بعض الادباء ولا أتحققها والاول أصح)

الكاتب الملقب تاج الدين كتب في ديوان الانشاء بالديار المصرية مدة طويلة وكتب الكثير وكان خطه في غاية الجودة وكان فاضلا أديبا متقنا له نظم حسن وشعر فائق ورسائل أنيقة سمع الحديث بثغر الاسكندرية المحروسة على الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي الثناء حماد بن هبة الله الحراني وحدث وسمع الناس عليه وله لغز في الدملج الذي تلبسه النساء وهو بديع في بابه فأحببت ذكره وهو نثر ما شيء قلبه حجر ووجهه قمر ان نبذته صبر واعتزل البشر وان أجعته رضي بالنوى وانطوى على الخوى وان أشبعته قبل قدمك وصحب خدمك وان علقته ضاع وان أدخلته السوق أبى أن يباع وان أظهرته جل المتاع وأحسن الامتاع وان شددت ثانيه وحذفت منه القافية كدر الحياة وأوجب التخفيف في الصلاة وأحدث وقت العصر الضجر ووقت الفجر الخدر وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر هذا وان فصل دعاءك وأبقى ما تركته هذا لك ورعاك وبلغك آمالك وكثر مالك وأحسن بعون الله كينما الامر والسلام قلت وهذا اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حله فيعسر عليه تفسيره فيحتاج الى الايضاح فأقول اما قوله ما شيء قلبه حجر فمراده قلب حروف دملج فانا اذا قلبنا هذه الحروف يخرج منها جلمد وهو الحجر وقوله ووجهه قمر يريد أنه مستدير كالقمر وقوله ان نبذته صبر واعتزل البشر فالبشر جمع بشرة فالانسان اذا ألقى الدملج عنه صبر واعتزل بشرته اذ ليس فيه أهلية النطق فهو يصبر ويعتزل المكان الذي كان فيه وقوله وان أجعته رضي بالنوى فالنوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر وعادتهم في بلاد العراق انهم يعلفون نوى التمر والرطب والبسر يعلفونه البقر وقصد ههنا هذه التورية فان الدملج اذا خرج من العضد أو من الساق فقد جاع لانه يكون فارغ الجوف ورضي بالنوى الذي هو البعد عن عضو صاحبه ويقولون فلان رضي بالنوى اذا كان فقيرا لا يجد ما يتبلغ به فهو يجتزي بقص النوى وهذا يفعله أهل الحجاز والبلاد المجدبة كثيرا لقلة الاقوات عندهم فقد استعمل صاحب هذا اللغز لفظة النوى في هذين المعنيين وهذه هي التورية وقوله وانطوى على الخوى فالخوى هو الخلو واذا كان فارغ الجوف فهو خاو وقوله وان أشبعته قبل قدمك مراده بالاشباع هنا لبس الدملج فان صاحبه اذا لبسه فقد ملأ جوفه ويكون فوق القدم فكأنه يقبله وقوله وصحب خدمك فيه تورية أيضا فان الخدم جمع خادم وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فانه لا يقال فاعل وجمعه فعل الا في ألفاظ معدودة مثل خادم وخدم وغائب وغيب وحارس وحرس وجامد وجمد وغير ذلك فهو موقوف على السماع والخدم جمع خدمة أيضا وهو سير يشد في رسغ البعير تشد اليه سريحة النعل وبه سمي الخلخال خدمة لانه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة ويجمع على خدام أيضا وقوله وان علقته ضاع هذا فيه تورية أيضا فان التعليق ان يجعل للشيء علاقا والتعليق استعمال الطيب أيضا وقوله ضاع فيه تورية أيضا فانه يقال ضاع الشيء من الضياع وضاع الطيب اذا عبقت رائحته وقوله وان أدخلته السوق أبى أن يباع فالسوق جمع ساق وفيه التورية أيضا لان السوق موضع البيع والشراء والسوق كما ذكرناه وقوله أبى أن يباع لان العادة انه لا يباع الا اذا أخرج من العضو الذي هو فيه ولا يباع قبل اخراجه فكأنه قبل الاخراج أبى البيع وقوله وان أظهرته جل المتاع وأحسن الامتاع فهذا ظاهر لا حاجة الى تفسيره وقوله وان شددت ثانيه وهو الميم وحذفت منه القافية وهي الجيم فيبقى الدمل وهو يكدر الحياة بألمه ويوجب التخفيف في الصلاة للالم أيضا وقوله وأحدث وقت العصر الضجر فالعصر فيه التورية أيضا لانه اسم للصلاة وهو مصدر لفعل عصر وكذلك الفجر لانه اسم للصبح

وهو

كان رحمه الله عالما فاضلا مدققا محققا جامعا بين المعقول والمنقول حاويا للفروع والاصول مع كمال الورع والديانة والزهد والصيانة وكان من غاية نزاهته وكمال طهارته لا يلبس لباسا من القماش والخفاف الا بعد غسله حتى الفرو والخفاف وكان لا يجلس أحدا على بساطه وان لم يقصر في ملاطفته وانبساطه ولا يصافح الا ويغسل يده بعده وكان رحمه الله من الاسخياء الاجواد والكرماء الامجاد يبذل ما يقدر عليه ويفرق على الناس ما اجتمع لديه غير متكلف في اللباس غير مكترث بزيارة الناس يقول الحق ويعمل به راجيا الثواب من ربه وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يقيد نفسه بقيود الاهل والاولاد وكان رحمه الله نافذ الكلام صاحب القبول التام موقرا عند الملوك والوزراء مقبولا لدى الحكام والامراء بحيث لا يرد له كلام ولا يفوته مرام ولا يعوزه مطلوب سبحان من سخر له القلوب

(ومنهم المولى شمس الدين أحمد ابن الشيخ مصلح الدين المشتهر بمعلم زاده)

كان الشيخ مصلح الدين المزبور من المشايخ المقبولة في الدولة العثمانية على ما ذكر مفصلا في الشقائق النعمانية ينتهي نسبه الى

وهو مصدر لفعل يفر فالانسان في وقت عصر الدمل يحصل له الضجر والقلق واذا فر وخلص منه حصل له الخدر والراحة وقوله وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر فقصد المقابلة بين الحسن والقبح ولا شك أن عقبى انفجار الدمل حسنة وان كان الاثر الذي يبقى في المكان قبيحا وقوله وان فصلته فالمعنى انك اذا فصلت أحد النصفين من لفظ الدملج من النصف الآخر فالنصف الاول منه دم وهو دعاء للانسان بالدوام وقوله وأبقى ما لى ركبته فالثلثان الباقي منه ملج والملج هو لج البحر وان كان النصف من الدملج مخففا ولج البحر مشددا لكنهم يغتفرون مثل هذا في الالغاز والتصاحيف والأحاجي ولا يبالون به ولا شك أن ركوب البحر أمر هائل فلهذا قال هاللثور عا لا تعسف آمالا لانه يوصل الانسان الى الموضع الذي يقصده وقوله وكثيرا ما معناه اذا ركبه الانسان للتجارة وقوله وأحسن بعون المساكين ما ألفت فعون المساكين هو السفينة كما قال الله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فهي عون لهم على حاجتهم وسد خلتهم وما آل الشيء عاقبة أمره والله تعالى أعلم قلت وفي اللغز ثمان لغات لغز بضم اللام وسكون الغين ولغز بضمهما ولغز بضم اللام وفتح الغين ولغز بفتح اللام وسكون الغين ولغز بفتحهما وألغوزة بضم الهمزة وسكون اللام وضم الغين ولغيزى بضم اللام وتشديد الغين مع القصر ولغيزاء مثل الاول الا أن الغين مخففة ومفتوحة والالف ممدودة وقد طال الكلام لكن الحاجة دعت اليه كي لا يبقى فيه التباس على سامعه ورأيت في مجموع بخط بعض الفضلاء بيتين منسوبين اليه وهما هذان

أسد كفي الى البيضاء أقلعها * من لحيتي فتقدم بالسوداء
هذي يدي وهي من لا تطاوعني * على مرادي فما ظني بأعدائي

وكانت ولادة المذكور ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وتوفي في خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة بدمياط والعدو المخذول محاصرها رحمه الله تعالى وحراج بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الالف جيم مهملة ثم ان العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر المذكور والله أعلم ونقلت من خط الشيخ مهذب الدين أبي طالب محمد بن علي اللغوي المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر أن العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة ونزل البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة من السنة وأخذ الثغر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة واستعيدت منهم يوم الاربعاء تاسع عشر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ومدة نزولهم عليها الى أن انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلاثاء واحاطتهم بها يوم الثلاثاء وملكهم لها يوم الثلاثاء وقد سبق في الخبر ان الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء ولفظة دمياط سريانية وأصلها بالذال المعجمة ويقولون ذمط وتفسيره القدرة الربانية فكأنها اشارة الى مجمع البحرين العذب والملح والله تعالى أعلم

(أبو الحسن يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن ابراهيم بن الحسين ابن مطروح الملقب جمال الدين)

من أهل صعيد مصر ونشأ هنالك وقام بقوص مدة وتنقلت به الاحوال في الخدم والولايات ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أيوب وكان اذ ذاك نائبا عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية فلما اتسعت مملكة الكامل بالبلاد المصرية بل بالبلاد الشرقية فصار له آمد وحصن كيفا وحران والرها والرقة ورأس عين وسروج وما انضم الى ذلك سير اليها ولده الملك الصالح المذكور نائبا عنه وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة فكان ابن مطروح المذكور في خدمته ولم يزل يتنقل في تلك البلاد الى ان وصل الملك الصالح الى مصر مالكا لها وكان دخوله القاهرة يوم الاحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم وصل ابن مطروح بعد ذلك الى الديار المصرية في أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة فرتبه السلطان ناظرا في الخزانة ولم

قطب العارفين وقدوة الواصلين السيد الشريف المفخم الشيخ ابراهيم بن أدهم قرأ رحمه الله في أوان طلبه على المولى سعد بن عيسى بن أمير خان ثم صار معيدا لدرس المولى محيي الدين الشهير بداية وهو مدرس باحدى المدارس الثمان وكان له عنده رتبة جليلة ومنزلة جزيلة حتى انه مرض وهو يسكن في بعض الحجرات فعاده المولى المرحوم فيها ثلاث مرات ولما صار ملازما منه درس أولا بمدرسة داود باشا بمدينة بروسه بعشرين ثم بمدرسة واحد باشا بكوتاهيه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة القاضي الاسود بثلاثين ثم بالمدرسة الحجرية في بروسه بأربعين ثم بالمدرسة المشهورة بغازية في المدينة المذكورة بخمسين ثم نقل الى مدرسة ودرس بالوظيفة المزبورة ثم نقل الى مدرسة مغنيسا بستين ثم نقل الى احدى المدارس الثمان بالوظيفة المزبورة ثم عاد الى مغنيسا بسبعين ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بالعسكر في ولاية أناطولي وبقي فيه ستة أشهر فنقل الى قضاء العسكر في ولاية روم ايلي ودام فيه خمس سنين كان بينه وبين عطاء الله معلم السلطان مصاهرة واتصال فحصل له بسببه شوكة العظمة والاقبال

نزل يتقرب منه ويحظى عنده الى ان ملك الملك الصالح دمشق فى الدفعة الثانية وكان ذلك فى جمادى الاولى من سنة ثلاث واربعين وستمائة ثم ان السلطان بعد ذلك رتبه بدمشق نوابا فكان ابن مطروح فى صورة وزير لها ومضى اليها وحسنت حالته وارتفعت منزلته ثم ان الملك الصالح توجه الى دمشق فوصلها فى شعبان سنة ست واربعين وجهز عسكرا الى حمص لاستنقاذها من يدى نواب الملك الناصر ابى المظفر يوسف الملقب صلاح الدين ابن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين صاحب حلب فانه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الاشرف مظفر الدين ابى الفتح موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد اسد الدين شيركوه عنوة وكان منتميا الى الملك الصالح فخرج من مصر لاسترداد حمص له فعزل ابن مطروح عن ولايته بدمشق وسيره مع العسكر المتوجه الى حمص واقام الملك الصالح بدمشق الى ان ينكشف له ما يكون من امر حمص فبلغه ان الفرنج قد اجتمعوا بجزيرة قبرس على عزم قصد الديار المصرية فسير الى عسكره المحاصر لحمص وامرهم ان يتركوا ذلك القصد ويعودوا لحفظ الديار المصرية فعاد العسكر وابن مطروح فى الخدمة والملك الصالح متغير عليه متنكر له لامور نقمها عليه فطرق الفرنج البلاد فى اوائل سنة سبع واربعين وملكوا دمياط يوم الاحد الثانى والعشرين من صفر من السنة ونزل الملك الصالح بعسكره على المنصورة وابن مطروح مواظب على الخدمة مع الاعراض عنه ومات الملك الصالح ليلة النصف من شعبان سنة سبع واربعين بالمنصورة ووصل ابن مطروح الى مصر واقام بها فى داره الى ان مات وهو على جملة حاله على الاجمال وكانت ادواته جميلة وخلاله حميدة جمع بين الفضل والمروءة والاخلاق المرضية وكان بينى وبينه مودة اكيدة ومكاتبات فى الغيبة ومجالسات فى الحضرة تجرى فيها مذاكرات ادبية لطيفة وله ديوان شعر انشدنى اكثره فمن ذلك قوله فى اول قصيدة طويلة

هى رامة فخذوا يمين الوادى * وذروا السيوف تقر فى الاغماد * وحذار من لحظات اعين عينها
فلكم صرعن بها من الآساد * من كان منكم واثقا بفؤاده * فهناك ما انا واثق بفؤادى
يا صاحبى ولى بجرعاء الحمى * قلب اسير ماله من فادى * سلبته منى يوم بانوا مقلة
مكحولة اجفانها بسواد * وبحى من انا فى هواه ميت * عين على العشاق بالمرصاد
واغن مسكى اللمى معسوله * لولا الرقيب بلغت منه مرادى * كيف السبيل الى وصال محجب
ما بين بيض ظبا وسمر صعاد * فى بيت شعر نازل من شعره * فالحسن منه عاكف فى بادى
حرس واهيف قده متعطف * فتشابه المياس بالمياد
قالت لنا الف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وهى طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار ومن ذلك قوله

علقته من آل يعرب لحظه * امضى واقتل من سيوف عريبه * اسكنته فى المنحنى من اضلعى
شوقا لبارق ثغره وعذيبه * يا عاذلى ذاك الفتور بطرفه * خلوه لى انا قد رضيت بعيبه
لدن وما مر النسيم بعطفه * ارج وما نفح العبير بجيبه

وكان فى بعض اسفاره قد نزل فى طريقه بمسجد وهو مريض فقال

يا رب ان عجز الطبيب فداونى * بلطيف صنعك واشفنى يا شافى
انا من ضيوفك قد حسبت وان من * شيم الكرام البر بالاضياف

ووجدت بعد موته رقعة فيها مكتوب هذان البيتان واخبرنى انه جرى بينه وبين ابى الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المقدم ذكره منازعة فى بيت هو من جملة قصيدته التى اولها

من لى بغصن بالعناق معانق * حلو الشمائل واللمى والمنطق
مثرى الروادف مملق من خصره * اسمعت فى الدنيا بمثر مملق

والبيت الذى قد وقع فيه النزاع قوله

فتسابق ما ناله من الامتعة والاموال ولم يقدر احد على المعارضة والسؤال الى ان اشرف المولى عطاء الله جلبى على الموت والانتقال فحسرك حساده واغتنموا الفرصة على اذاه ودبت عقاربهم وقام اباعدهم واقاربهم وسعوا فيه حتى عزل واذل بدوه لكن رفع من الجهة الاخرى قدره وعين له كل يوم مائتا درهم وكان العادة والقانون فى وظيفة امثاله مائة وخمسين (وتوفى فى ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة) وقد اناف عمره على سبعين سنة وقد اتفق موته على هيئة مرضية وصفة رضية تدل على حسن خاتمته وسعادته فى عاقبته يحكى انه قام ضحوة يوم فتوضأ واسبغ الوضوء ولبس الالبسة النظيفة وصلى ركعات واخذ بيده سبحة واضطجع على فراشه واشتغل بالتسبيح والتهليل فعاجله سهم المنية وهو على تلك الحالة السنية فانتقل الى جوار ربه الصمد ولم يشعر بوفاته من الحاضرين احد ونقل جسده من هذه الرباع المانوسة الى حظيرة فى فناء مسجده الذى بناه فى مدينة بروسه ووقع فى هذا الاتفاق غريب هو انى كنت اكتب ترجمة المولى محيى الدين المشتهر بعرب زاده وقد انتهيت الى قولى فيها اذ رفعت راية عمره منكوسة الى دار الملك ووجهة

واقول

وأقول يا أخت الغزال ملاحة * فتقول لا عاش الغزال ولا بقي

فزعم ابن شمس الخلافة أن هذا البيت له من جملة قصيدة هي في ديوانه وعمل كل واحد منهما محضراً أشهد فيه جماعة بأن البيت له وحلف لي ابن مطروح أن البيت له وكان محترزاً في أقواله ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له والله المطلع على السرائر وأنشدني له بعض أصحابنا قال أنشدني لنفسه

يا من لبست عليه أثواب الضنى * صفراً موشعة بحمر الأدمع
أدرك بقية مهجة لو لم تذب * أسفاً عليك نفيتها عن أضلعي

وكان في مدة انقطاعه في داره وضيق صدره بسبب عطلته وكثرة كلفته قد حصل في عينيه ألم انتهى به إلى مقاربة العمى وكنت أجتمع به في كل وقت فتأخرت عنه مديدة لعذر أوجب ذلك وكنت في ذلك الوقت أنوب في الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن بن علي الحاكم بالديار المصرية المعروف بقاضي سنجار فكتب إلي ابن مطروح يقول

يا من إذا استوحش طرفي له * لم يخل قلبي منه من أنس
والطرف والقلب على ما هما * عليهما أوى البدر والشمس

وله أيضاً من جملة قصيدة طويلة

ملك الملاح ترى العيو * ن عليه دائرة يطلق   وبخيمه بين الشغا * ف من الفؤاد له سبق

والبيت الأول مأخوذ من قول المتنبي   وخصر تثبت الأبصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا

واليطلق بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة وبعدها قاف وهي عبارة عن جماعة من الجند يبيتون كل ليلة حول خيمة الملك يحرسونه إذا كان مسافراً وهو لفظ تركي والسبق بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبعدها قاف وهي خيمة الملك إذا كان مسافراً فإنه تقدم له خيمة إلى المنزلة التي يتوجه إليها حتى إذا جاءها كانت مهيأة له ينزل فيها ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التي كان بها في تلك المنزلة التي رحل منها وله بيتان ضمنهما بيت المتنبي وأحسن فيهما وهما

إذا ما سقاني ريقه وهو باسم * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قده ومدامعي * مجر عوالينا ومجرى السوابق

وهذا المعنى للمتنبي في أول قصيدة بديعة طويلة وهي

تذكرت ما بين العذيب وبارق * مجر عوالينا ومجرى السوابق

وكانت بينه وبين بهاء الدين المقدم ذكره في حرف الزاي صحبة قديمة من زمن الصبا وأقاما ببلاد الصعيد حتى كانا كالأخوين وليس بينهما فرق في أمور الدنيا ثم اتصلا بخدمة الملك الصالح وهما على تلك المودة وبينهما مكاتبات بالأشعار فيما يجري لهما فأخبرني بهاء الدين زهير أن جمال الدين بن مطروح كتب إليه في بعض الأيام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت وأظنهما كانا ببلاد الشرق معاً

أفلست يا سيدي من الورق * فجد بدرج كعرضك اليقق
وإن أتى بالمداد مقترناً * فمرحباً بالخدود والحدق

قال بهاء الدين زهير وقد قطع الراس من الورق وكسرها وبعثها على حاله فكتب إليه

مولاي سيرت ما رسمت به * وهو يسير المداد والورق
وعز عندي سير ذاك وقد * شبهته بالخدود والحدق

وقد سبق في ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح إلى بهاء الدين وذكرت السبب في نظم ذينك البيتين على ما حكاه لي بهاء الدين ثم بعد ذلك وصل إلى البلاد المصرية من الموصل بعض الأدباء وجرى حديث ما ذكره لي بهاء الدين زهير وأنه أنشدني بيت ابن الحلاوي وهو قوله

تحيرها وتحير الماشين بها * فقل لنا أزهير أنت أم جرير

أذنابها أحد من طلبته وأخبرني بموته وقال هذه سفينته التي تذهب إلى بروسه * كان رحمه الله عالماً فاضلاً محققاً كاملاً مشاركاً في العلوم العقلية ماهراً في الفنون الشرعية النقلية له يد في الفقه أي اقتدار على الافتاء بغير كلفة وكان لين الجانب مجبولاً على اللطف والكرم مطبوعاً على أحسن الشيم غير أن فيه طمعاً زائداً وحرصاً وافراً سامحه الله أولاً وآخراً

(ومن المشايخ الأعيان وأفاضل العصر والأوان الشيخ بالي الخلوتي المعروف بسكرات)

كان أبوه معلماً للسلطان أحمد ابن السلطان بايزيد خان فلما أتاه المنية وفاته حصول الأمنية من السلطنة العظمى والمملكة الكبرى وسلم زمام الزمان وعنان الأوان إلى السلطان سليم استقضاه في بعض البلاد وجعله حكماً بين العباد وولد رحمه الله ببلدة تيره من لواء آيدين ونشأ في طلب العلم وتحصيل الفضائل وصاحب الأكابر والأفاضل وجد واجتهد وكان منه ما كان حتى صار ملازماً من المولى خير الدين معلم السلطان ثم درس بمدرسة خواجه مستان المعروفة بكيتنكلي في مدينة قسطنطينية وعشرين فعامل الطلبة بالدرس والإفادة مع اشتغاله

واشتر وابها رأس غنم وكان هنالك تركمانى فاشترينا منه رأساً بها ومشينا قليلاً فلحقنا رفيق له وقال ردوا هذا
الرأس وخذوا أصغر منه فان هذا ما عرف يبيعكم يساوي هذا الرأس أكثر من ذلك وتقاولنا نحن واياه فلما
عرف الشيخ ذلك قال لنا خذوا الرأس وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه فتقدمنا نحن وبقي الشيخ يحدثه
ويطيب قلبه فلما أبعدنا قليلاً تركه وتبعنا وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت اليه فلما لم
يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسرى وقال أين تروح وتخليني واذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه
وبقيت في يد التركماني ودمها يجري فبهت التركماني وتحير في أمره فرمى اليد وخاف فرجع الشيخ وأخذ
تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا وبقي التركماني راجعاً وهو يتلفت اليه حتى غاب عنه فلما وصل الشيخ الينا
رأينا في يده اليمنى منديلاً لا غير (قلت) ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة والله أعلم بصحتها وله تصانيف
فمن ذلك كتاب التنقيحات في أصول الفقه وكتاب التلويحات وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق وله
الرسالة المعروفة بالغربة الغريبة على مثال رسالة الطير لأبي علي بن سينا ورسالة حي بن يقظان لابن سينا
أيضاً وفيها بلاغة تامة أشار فيها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء ومن كلامه الفكر في
صورة قدسية يتلطف بها طالب الاريحية ونواحي القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون وحرام على الاجساد
المظلمة ان تلج ملكوت السموات فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن واذكره وأنت من ملابس الاكوان
عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان وأبى النظام ان يكون غير ما كان (مفرد)

تقيمت حتى قلت لست بظاهر * وظهرت من سعي على الاكوان

(آخر)

لو علمنا أننا ما نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا

اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف وتنسب اليه أشعار فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال أبيات
ابن سينا العينية وهي مذكورة في ترجمته في حرف الحاء واسمه الحسين فقال هذا الحكيم

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى * وصبت لمغناها القديم تشوقا * وتلفتت نحو الديار فشاقها
ربع عفت أطلاله فتمزقا * وقفت تسائله فرد جوابها * رجع الصدى أن لا سبيل الى اللقا
فكأنها برق تألق بالحمى * ثم انطوى فكأنه ما أبرقا

ومن شعره المشهور قوله

أبداً تحن اليكم الارواح * ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح * بالسر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح * واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح
وبدت شواهد للسقام عليهم * فيها لمشكل أمرهم ايضاح * خفض الجناح لكم وليس عليكم
للصب في خفض الجناح جناح * فالى لقاكم نفسه مرتاحة * والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا * فالهجر ليل والوصال صباح * صافاهم فصفوا له فقلوبهم
في نورها المشكاة والمصباح * وتمتعوا فالوقت طاب لقربكم * راق الشراب ورقت الاقداح
يا صاح ليس على المحب ملامة * ان لاح في أفق الوصال صباح * لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى
كتمانهم فنما الغرام فباحوا * سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها * لما دروا أن السماح رباح
ودعاهم داعي الحقائق دعوة * فغدوا بها مستأنسين وراحوا * ركبوا على سنن الوفا ودموعهم
بحر وشدة شوقهم ملاح * والله ما طلبوا الوقوف ببابه * حتى دعوا وأتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم * أبداً فكل زمانهم أفراح * حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم
فتهتكوا لما رأوه وصاحوا * أفناهم عنهم وقد كشفت لهم * حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالكرام فلاح * قم يا نديم الى المدام فهاتها
في كأسها قد دارت الاقداح * من كرم اكرام بدن ديانة * لا خمرة قد داسها الفلاح

وله

هذا الكتاب وغير زماني
تضاعيفه مع أكله في كل
يوم سبع مرات وشبعه من
الحرام والشيخ قدس سره
ما كتبه الا بعد ما ارتاض
خمس عشرة سنة فعاد
الرسول بأسوأ وجه وأقبح
صورة قال المرحوم فقلت
له لو تأملت به ودار بيتي في
الجواب لكان أسلم لكم
ولاحبابكم بعدكم فانه
قدرة على الجفا والاذى
فقال لا بأس بهم غاية
الامر انهم يعقدون مجلسا
ويحضروني اليه فجعل
هكذا قال المرحوم فلما
تكلم الشيخ بهذه الكلمة
جذب جبينه على وجهه
فغاب عن موضعه الذي هو
فيه فأخذتني الحيرة
والاضطراب وأحاطت بي
الدهشة الى ان جاء وحضر
بعد ساعة وقال هكذا نفعل
اذا اضطررنا فقلت له
يا سيدي هل هو من علم
السيمياء قال لا ولكن
يحصل للنفوس الناطقة
بسبب المجاهدات الشاقة
والرياضات الصادقة اتصال
بالمجردات فتقتدر على
اعدام بدنها وايجادها في
آن وكذا يحصل لها القدرة
على ما يشبهها من الافاعيل
العجيبة والامور الغريبة
(ولنعد الى ما كنا فيه) وهو
انه لما تابعت بالشيخ
وتلقن الذكر عنه ودخل
حجرة من حجرات الزاوية
المذكورة لم يرض الشيخ
[illegible] بالكلية

ولهُ في النظم والنثر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها وكان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت
وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين واشتهر ذلك عنه فلما وصل
إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قتله بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه وكان أشد الجماعة عليه
الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل وقال الشيخ سيف الدين الآمدي المقدم ذكره في حرف العين
اجتمعت بالسهروردي في حلب فقال لي لا بد أن أملك الأرض فقلت له من أين لك هذا قال رأيت في المنام
كأني شربت ماء البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه
ورأيته كثير العلم قليل العقل ويقال إنه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

أرى قدمي أراق دمي * وهان دمي فها ندمي

والأول مأخوذ من قول أبي الفتح علي بن محمد البستي المقدم ذكره

إلى حتفي مشى قدمي * أرى قدمي أراق دمي   فلم أنفك من ندم * وليس بنافعي ندمي

وكان ذلك في دولة الملك الظاهر صاحب حلب ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله فحبسه ثم خنقه بإشارة والده
السلطان صلاح الدين وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وعمره ست
وثلاثون سنة وذكر القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب في أوائل سيرة صلاح الدين وقد
ذكر حسن عقيدته فقال كان كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذلك ثم قال ولقد أمر ولده
صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له السهروردي قيل عنه إنه معاند للشرائع وكان قد قبض عليه ولده
المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله فقتله وصلبه أياما ونقل سبط ابن الجوزي في
تاريخه عن ابن شداد المذكور أنه قال لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين
وخمسمائة أخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق عنه أصحابه (قلت) وأقمت بحلب
سنين للاشتغال بالعلم الشريف ورأيت أهلها مختلفين في أمره وكل واحد يتكلم على قدر هواه فمنهم
من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ويقولون ظهر لهم
بعد قتله ما يشهد له بذلك وأكثر الناس على أنه كان ملحدا لا يعتقد شيئا نسأل الله تعالى العفو والعافية
والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وأن يتوفانا على مذهب أهل الحق والرشاد وهذا الذي ذكره في
تاريخ قتله هو الصحيح وهو خلاف ما نقلته في أول هذه الترجمة وقيل إن ذلك كان في سنة ست وثمانين
وليس بشيء أيضا وحبش بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وبالشين المعجمة وأميرك بفتح الهمزة وبعدها
ميم مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها راء مفتوحة ثم كاف وهو اسم أعجمي معناه أمير تصغير
أمير وهم يلحقون الكاف في آخر الاسم للتصغير وقد تقدم الكلام على سهرورد في ترجمة الشيخ أبي النجيب
عبد القاهر السهروردي فليطلب منه والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي عتاقة ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني)

أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة
وعن أبي هريرة رضي الله عنه وصلى بعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومروان بن الحكم ويقال
قرأ على زيد بن ثابت رضي الله عنه وروى القراءة عنه عرضا نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم وسليمان بن
مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وله قراءة قال أبو عبد الرحمن النسائي
يزيد بن القعقاع ثقة وكان يقرئ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة وقال محمد بن القاسم المالكي أبو جعفر
يزيد بن القعقاع مولى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال ويقال إنه جندب بن فيروز
مولى عبد الله بن عياش المخزومي وكان من أفضل الناس وقال سليمان بن مسلم أخبرني أبو جعفر يزيد بن
القعقاع أنه كان يقرئ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحرة وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين

فجمع بين العلم والعمل حتى بلغ رتبة التدريس وكان يخرج من الحجرة ويذهب إلى المدرسة ويدرس فيها ويعود إلى الحجرة فيشتغل بالذكر إلى أن غلب عليه الحال وانكشف الحال وحبب إليه الانقطاع والاعتزال فترك التدريس والإفادة وتمحض للزهد والعبادة إلى أن حصل وكمل وبلغ مراتب الكمال وفوض إليه المشيخة في زاوية بداخل قسطنطينية فاشتغل بالإرشاد والإفادة وتربية أرباب الإرادة إلى أن توفي رحمه الله في شهر ذي القعدة سنة ثمانين وتسعمائة وصلى عليه في جامع السلطان محمد خان واجتمع في جنازته خلق كثير لا يحصون عددا ودفن في داخل قسطنطينية عند زاويته المزبورة وبني على قبره كان رحمه الله تعالى عالما عاملا صالحا معرضا عن أبناء الدنيا مكرمت بالاعتناء لم يدخل قط باب أميرهم ولا مجلس وزرائهم بعيدا عن أرباب الحكم والمناصب ولم يتردد إلى بابهم ولم يقعد عندهم وما لهم كلما أرادوا صحبته وأحبوا زيارته قابلهم بالاجتناب ودفعهم بأحسن جواب وكان رحمه الله سخي اليد كثير الصدقات وفيع عطاياهم ومع ذلك ترك من النقد ما يقرب بثمانية آلاف دينار وقوم سائر

سنتين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأخبرني انه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش وكان من أقرأ الناس وكنت أرى كل ما يقرأ وأخذت عنه قراءته وأخبرني انه أتى به الى أم سلمة رضي الله عنها وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة قال سليمان المذكور وسألته متى أقرأت القرآن فقال أقرأت أو قرأت فقلت لا بل أقرأت فقال هيهات قبل الحرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث وخمسين سنة وقال نافع بن أبي نعيم لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري بعد وفاته نظروا ما بين نحره الى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك أحد ممن حضر انه نور القرآن وقال سليمان بن مسلم أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول أترى هذا كان يأتيني وهو غلام له ذؤابة فيقرأ على ثم كبر وهو يعمل قال سليمان وقالت أم ولد أبي جعفر ان ذلك البياض الذي كان بين نحره وفؤاده صار غرة بين عينيه وقال سليمان رأيت أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت له أبا جعفر قال نعم اقرأ اخواني عني السلام وأخبرهم ان الله تعالى جعلني من الشهداء الاحياء المرزوقين واقرأ أبا حازم السلام وقل له يقول لك أبو جعفر الكيس الكيس فان الله عز وجل وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات وقال مالك بن أنس كان أبو جعفر القاري رجلا صالحا يفتي الناس بالمدينة وقال خليفة بن خياط مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع سنة اثنتين وثلاثين ومائة بالمدينة وقال غيره مات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال أبو علي الاهوازي في أول كتاب الاقناع في القراآت قال ابن جماز ولم يزل أبو جعفر امام الناس في القراءة الى أن توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة وقيل انه توفي في سنة ثلاثين ومائة والله أعلم قلت وقد تكرر ذكر الحرة في هذه الترجمة في مواضع وقد يتشوق الى الوقوف على معرفة ذلك من لا علم له به والحرة في الاصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود فكل ما كانت بهذه الصفة قيل لها حرة والحرار كثيرة والمراد بهذه الحرة حرة واقم بالقاف المكسورة وهي بالقرب من المدينة في جهتها الشرقية كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في سنة ولايته قد سير الى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها وأخرج أهلها الى هذه الحرة فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس لهن أزواج بسبب ما جرى فيها من الفجور ثم ان مسلم بن عقبة المري لما قتل أهل المدينة توجه الى مكة فنزل به الموت في الطريق فاستدعى حصين بن نمير السكوني وقال له يا برذعة الحمار ان أمير المؤمنين عهد الي ان نزل بي الموت أن أوليك الجيش وأكره خلافه عند الموت ثم انه أوصى اليه بأمور يعتمدها ثم قال اللهم ان دخلت النار بعد قتل أهل الحرة اني اذا لشقي وأما واقم فانه اسم أطم من آطام المدينة والاطم بضم الهمزة والطاء المهملة شبه القصر وكان مبنيا عند هذه الحرة فأضيفت الحرة اليه فقيل حرة واقم والله تعالى أعلم

(أبو روح يزيد بن رومان القاري مولى الزبير بن العوام المدني)

أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله عنهم وروى القراءة عنه عرضا نافع بن أبي نعيم قال يحيى بن معين يزيد بن رومان ثقة وقال وهب بن جرير حدثنا أبي قال رأيت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعتدان الآي في الصلاة وقال يزيد بن رومان كنت أصلي الى جنب نافع بن جبير بن مطعم فيغمزني فأفتح عليه ونحن نصلي وروى يزيد أن الناس كانوا يقومون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث وعشرين ركعة في شهر رمضان وتوفي يزيد في سنة ثلاثين ومائة رحمه الله تعالى ورومان بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم ثم ألف ونون

(أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي)

قد تقدم ذكر أبيه في حرف الميم ورفعت نسبه وتكلمت عليه فأغنى عن الاعادة وهنا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وجماعة من المؤرخين انه لما مات أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان قد استخلف ولده يزيد مكانه

أملاكه بعشرة آلاف دينار فتحير الناس في اقامة السبب وتضوا منه العجب وكان رحمه الله في غاية الحب والميل الى خيار الخيل وكان يكثر من اقتناء الصافنات ويرسل بعضها الى الامراء الغزاة وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يتقيد بقيد الاهل والاولاد وكان رحمه الله صاحب جذبة عظيمة وغاية قبول وله في تعبير المنامات ما يبهر العقول ومن عادته رحمه الله انه يحضر في بعض الجنائز فيلقن الميت ويخاطبه على ما هو المعروف فيسمع من الميت صوته الذي يسمع منه في حياته جواب ما يسأله وقد سمعه غير واحد من العلماء الاعيان في متفرقات الاحيان ومن ذلك طعنه على علماء أوانه ومشايخ زمانه خصوصا الشيخ مصلح الدين الشهير بنور الدين زاده فانه حصل بينهما وحشة عظيمة فانه كان يطعن فيه على الفعل المزور ويقول انه بدعة ابتدعها ولم يسبق اليها أحد من المشايخ العظام والافاضل الكرام وهو يجيب بان ساحة الكرامات متسعة ورتبة الاولياء متفاوتة ولا يضرنا عدم السبق فيه وكان يطعن المرحوم فيه بسبب تردده الى باب الاغنياء ودخوله مجالس الوزراء والامراء وتمتع منهم في القليل والكثير

ويزيد ابن ثلاثين سنة فمكث نحوا من ست سنين ثم عزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف الثقفي وولى مكانه في خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي قلت وقد تقدم ذكره في حرف القاف وصار يزيد في يد الحجاج قلت وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب وكان الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه لئلا يترتب مكانه فكان يقصده بالمكروه في كل وقت حتى لا يثب عليه وكان الحجاج في كل وقت يسأل المنجمين ومن يعاني هذه الصناعة عمن يكون مكانه فيقولون رجل اسمه يزيد فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد المذكور والحجاج يومئذ أمير العراقين وكذا وقع فانه لما مات الحجاج ولي يزيد مكانه هذا قول المؤرخين * ونعود الى تتمة ما ذكره في المعارف قال فحبسه الحجاج وهرب يزيد من حبسه الى الشام الى سليمان بن عبد الملك فأتاه فشفع له الى أخيه الوليد بن عبد الملك فآمنه وكف عنه ثم ولاه سليمان خراسان حين أفضت اليه الخلافة فافتتح جرجان ودهستان وأقبل يزيد يريد العراق فلقاه موت سليمان بن عبد الملك فصار الى البصرة فأخذه عدي بن أرطاة فأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فحبسه عمر فهرب من حبسه وأتى البصرة ومات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه اليه أخاه مسلمة فقتله * وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير يزيد بن المهلب ولي امارة البصرة لسليمان بن عبد الملك ثم ولاه عمر ابن عبد العزيز وولي عمر عدي بن أرطاة وقدم به على عمر مسخوطا عليه وحكى عن أنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبيه المهلب وروى عنه ابنه عبد الرحمن وأبو عيينة بن المهلب وأبو اسحاق السبيعي وغيرهم وقال الأصمعي ان الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فان أداها والا عذبه الى الليل قال فجمع يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه فدخل عليه الأخطل الشاعر فقال

أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وصاح ذوو الحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان بعدك مطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة * ولا لجواد بعد جودك جود

قوله في البيت الثاني فلا مطر المروان ولا اخضر بالمروين هما تثنية مرو احداهما مرو الشاهجان وهي العظمى والأخرى مرو الروذ وهي الصغرى وكلاهما مدينتان مشهورتان بخراسان وقد تكرر ذكرهما في هذا الكتاب قال فأعطاه المائة ألف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يا مروزي أكل هذا الكرم وأنت في هذه الحالة قد وهبت للأخطل عذاب اليوم وما بعده قلت هكذا ذكر ابن عساكر والمشهور أن صاحب هذه الواقعة وهذه الأبيات هو الفرزدق ثم اني رأيت هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم والله أعلم بالصواب وذكر الحافظ أيضا أن يزيد لما هرب من الحجاج قاصدا سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بالرملة فاجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب فقال لغلامه استسقنا من هؤلاء لبنا فأتاه بلبن فشربه فقال أعطهم ألف درهم فقال الغلام ان هؤلاء لا يعرفونك قال لكني أعرف نفسي أعطهم ألف درهم فأعطاهم وقال الحافظ أيضا حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فجاء فحلق رأسه فأمر له بألف درهم فتحير ودهش وقال بهذه الألف أمضي الى أمي فلانة فأشتريها فقال أعطوه ألفا أخرى فقال امرأتي طالق ان حلقت رأس أحد بعدك فقال أعطوه ألفين آخرين وقال المدائني وكان سعيد بن عمرو بن العاص مواخيا ليزيد بن المهلب فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد منع الناس من الدخول اليه فأتاه سعيد فقال يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بيني وبينه فان رأيت أن تأذن لي فأقتضيه فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد وقال كيف وصلت الي فأخبره سعيد فقال والله لا تخرج الا وهي معك فامتنع سعيد فحلف يزيد ليقبضنها فوجه الى منزله حتى حمل الى سعيد خمسون ألف درهم وزاد ابن عساكر فقال وفي ذلك قال بعضهم

لم أر محبوسا من الناس ماجدا * حبا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو اذ أتاه أجاره * بخمسين ألفا عجلت لسعيد

بشرى القفير على باب الأمير وهو يجيب عن سؤاله ويخبر عما في باله بأن ذلك يتضمن اصلاح بعض الأمور التي تتكفل مصالح الجمهور واعانة الأخ المسلم واغاثة المظلوم وانقاذه من يد الظالم وكان الناس في أمرهما فرقتين وفي تحقيقهما فئتين فمنهم من يرجح ذلك على هذا ويعد مسلكه أحسن المسالك ومنهم من يعكس الأمر فيقدم هذا على ذلك حقا عند الله الملك القادر فانه أعلم بما في الضمائر

(وممن تشرفت بنظامه هذه القلادة المولى علي بن عبد العزيز المشتهر بأمر الولد زاده)

كان أبوه قد تولى قضاء حلب في الدولة العثمانية على ما هو المذكور في الشقائق النعمانية نشأ رحمه الله تعالى متنقلا في رياض المعارف والعلوم متدرجا في معارج المنثور والمنظوم فاقتطف من أزاهرها أبهاها واجتنى من ثمارها ألذها وأحلاها وتفننا بين العلوم كلها ومتدوحة المعارف علية ظلالها وجدد من مباني العلوم ما خلق بدرس وشيد قواعد البيان وأسس ولما صار ملازما من المولى محيي الدين الفناري درس بمدرسة بايزيد باشا في مدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة والده سلطانية

وقال يزيد يوما والله للحياة أحب من الموت ولثناء حسن أحب الي من الحياة ولو اني أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن يكون لي اذن أسمع بها غدا ما يقال في اذا أنا مت وقد سبق ذكر هذا الكلام في ترجمة أبيه المهلب وأنه من كلامه لا من كلام ابنه يزيد والله أعلم وقال أبو الحسن المدائني باع وكيل يزيد بن المهلب بطيخا جاءه من مغل بعض أملاكه بأربعين ألف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال له يزيد تركتنا بقالين أما كان في عيال الازد من تقسمه فيهن وغضب غضبا شديدا ومدحه عمر بن لجأ الشاعر يقول فيه

آل المهلب قوم ان نسبتهم * كانوا المكارم آباء وأجدادا * كم حاسد لهم يعيا بفضلهم
وما دنا من مساعيهم ولا كادا * ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا * ان المكارم أرواح يكون لها
* آل المهلب دون الناس أجسادا *

وقال الاصمعي قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندري اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا * أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشده

مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك مجمع الاسواق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيديك فاجتمعوا من الآفاق
اني رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأجمع علماء التاريخ على انه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة والله أعلم وكان لهم في الشجاعة أيضا مواقف مشهورة (وحكى) ابن الجوزي في كتاب الاذكياء أن يزيد بن المهلب وقعت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له أبوه ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي على الحجاج وقصته مشهورة أتى تستر فاجتمع اليه جماعة فذكروا آل المهلب ووقعوا فيهم فقال عبد الرحمن لحريش بن هلال التميمي وكان في القوم مالك يا أبا قدامة لا تتكلم فقال والله ما أعلم أحدا أصون لنفسه في الرخاء ولا أبذل لها في الشدة منهم وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال آنس الله الاسلام بتلاحقكم أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة انكم لأسباط ملحمة ومات ابن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة فتقدم أخاه يزيد ليصلي عليه فقيل له أتتقدمه وأنت أسن منه والميت ابن أخيه فقال ان أخي قد شرفه الناس وشاع فيهم له الصيت ورمقته العرب بأبصارها فكرهت ان أضع منه ما قد رفعه الله تعالى ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشي وعليه حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال يزيد أما تعرفني فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة قلت وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله الساي الخوارزمي

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير في ترجمة أبي خراش خلد بن يزيد بن المهلب ان خلدا أحد الاسخياء الممدوحين وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكلمه في أمر أبيه يزيد وقد حبسه عمر وكان أبوه قد ولاه جرجان فاجتاز في طريقه بالكوفة فأتاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور في جماعة من أهل الكوفة فقام بين يديه وأنشده

أتيناك في حاجة فاقضها * وقل مرحبا يجب المرحب

بالاثنين ثم بمدرسة هراة
غراد باربعين ثم بالمدرسة
الخيرية في بروسة بخمسة
وأربعين ثم صار وظيفته
فيها خمسين ثم انفصل وبقي
في شدائد العزل عدة سنين
وسقيه الدهر الغشوم
بكاسات الغموم والهموم
وألبسه ملابس الذل
والهوان حتى اضطره الى
مضايق الامتحان وتعاقيل
(شعر)
لا تنكري يا عز ان ذل الفتى
ذو الاصل واستعلى لئيم
المحتد
ان البزاة رؤسهن عواطل
والتاج معقود برأس الهدهد
ثم قلد مدرسة أبي أيوب
الانصاري عليه رحمة الباري
ثم نقل الى احدى المدارس
الثمان ثم الى مدرسة
السلطان محمد بن السلطان
سليمان ثم قلد قضاء حلب
فباشره بالعفة والامانة
والنزاهة والديانة وقبل أن
يقضي منه الوطر غاض
منهل عيشه وتكدر ومات
بعد عدة أشهر ولم يكمل سنة
(في شهر محرم سنة احدى
وثمانين وتسعمائة) كان
رحمه الله عالما أديبا وفاضلا
لبيبا مبرزا في ميدان
الفضل والبراعة حائزا
قصبات السبق في مضمار
هذه الصناعة حل الوية
العلم والادب بايدي الهمة
والطلب ذلك نجوم اسرار
كلام العرب وقلد جيد
الزمان بجواهر بدائع البيان
وقد أثبت من هذه الخرائد
ما تزينه صدور الصحف

ولا تكلنا الى معشر * متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك في الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والغرب
وفي أدب منهم ما نشأت * فنعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنيـ * ـك ما يبلغ السيد الاشيب
فهمك فيها جسام الامور * وهم لداتك أن يلعبوا
وجدت فقلت الا سائل * فيسأل أو راغب يرغب
فمنك العطية للسائلين * وممن ببابك أن يطلبوا

فقال هات حاجتك فقضاها وقيل أمر له بمائة ألف درهم وقدم على مخلد رجل قد زاره قبل ذلك فأجازه وقضى حقه فلما عاد اليه قال له مخلد ألم تكن أتيتنا فأجزناك فقال بلى قال فما الذي ردك الينا قال قول الكميت فيك

فأعطى ثم أعطى ثم عدنا * فأعطى ثم عدت له فعادا
مرارا ما أعود اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فأضعف له ما كان أعطاه وقال قبيصة بن عمر المهلبي كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرستان وأخذ صول وهو تركي من رؤسائهم قلت كان صاحب جرجان وهو جد ابراهيم بن العباس الصولي وأبي بكر محمد بن يحيى الصولي الاديبين الشاعرين المشهورين قال فأصاب يزيد أموالا كثيرة وعروضا كثيرة فكتب الى سليمان بن عبد الملك اني قد فتحت طبرستان وجرجان ولم يفتحهما أحد من الاكاسرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيري واني باعث اليك بقطارات عليها أحمال الاموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي فلما مات سليمان وأفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد أن ختم بهذه العدة لسليمان حبسه فقدم ابنه مخلد على عمر قال قبيصة المهلبي وهب مخلد من لدن خرج من مرو الشاهجان الى أن ورد دمشق ألف ألف درهم فلما أراد مخلد الدخول على عمر لبس ثيابا مستنكرة وقلنسوة لاطية فقال له عمر لقد شمرت فقال له اذا شمرتم شمرنا واذا أسبلتم أسبلنا ثم قال له قد وسع الناس عفوك فما بالك حبست هذا الشيخ فان تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه والا فيمينه أو فصالحه على ضياعه فقال يزيد أما اليمين فلا تحدث العرب أن يزيد بن المهلب صبر عليها ولكن صالحني فيها ففاعله بالطالب ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة فقال عمر لو أراد الله بهذا الشيخ خيرا لأبقى له هذا الفتى ويقال ان مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فمات وصلى عليه عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ثم قال اليوم مات فتى العرب وأنشد متمثلا

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة * وتضحي وجوه القوم مغبرة سودا

ورثاه حمزة بن بيض الحنفي المقدم ذكره بأبيات منها

وعطلت الاسرة منك الا * سريرك يوم تعصب بالثياب
وآخر عهدنا بك يوم يحثى * عليك بدابق ترب التراب

وقال الفرزدق يرثيه

وما حملت ايديهم من جنازة * ولا ألبست أثوابها مثل مخلد
أبوك الذي تستعزم الخيل باسمه * وان كان فيها قيد شهر مطرد
وقد علموا اذ شق حقويه انه * هو الليث ليث الغاب لا بالمعرد

قلت وهذا يدل على ان مخلد بن يزيد مات في حدود سنة مائة من الهجرة لان عمر بن عبد العزيز ولي الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين وتوفي في رجب سنة احدى ومائة وقد مات عنده وصلى عليه ويدل على ان موت مخلد كان بدابق ما تقدم من مرثية حمزة بن بيض ودابق قرية من اعمال حلب من جانبها الشمالي واليها ينسب المرج الذي يقال له مرج دابق وبه كانت وفاة سليمان بن عبد الملك وقبره هنالك مشهور (ونعود الى ذكر يزيد) قال أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير ان المغيرة بن المهلب كان نائبا عن أبيه بمرو وعمله كله ومات في رجب سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه في ترجمة المهلب فأتى الخبر الى يزيد وعلم أهل العسكر ولم يعلموا المهلب وأحب يزيد ان يعلمه فأمر النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض خاصته فدعا يزيد فوجهه الى مرو وجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تحدر على

والجرائد في رسالته القلمية
يسئلونك عن ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه
ذكرا انه فتى مكن له في
الارض وأوتي من كل شيء
سببا قد سعى في الاقاليم
والولايات الى ان بلغ سعيه
الظلمات حكيم ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه أديب سار قصبات
البلاغة بديع بيانه نبي
صاحب كتاب وآيات قد أتى
بالمعجزات والبينات حدث
عن مغيبات الانباء وأخرى
من أسجعه الماء كأنه ذو
النون التقمه نون ونبذه
بالعراء أو يعقوب يدوم
على الابن والبكاء كعب
الاحبار تحدث بمآثر
الاولين وتخبر عما جرى
على القرون الاقدمين
مسعود مثني ما بعده أهل
الما [illegible] تعتقد عليه
الخناصر عامل يرفع ويخفض
الجر ولا يعمل جزما اذا لحقه
الكسر هندي السابق
دقيق أعجمي لكنه معرب
ملاذ حتى اذا تحدث أطرق
ورشح الحياء جبينه
بالعرق منقب الحكم
والعرفان تجري منه عينان
نضاختان فسبق اللسان
لا يتقي عن الناس فاه ولهذا
لا يخلص عن التفريع
فقاسط البنان في الكريم
شديد بأسه ولا يبخى منه
الا ان تقطع رأسه [illegible]
يتبلج السودد من جبينه من
أصحاب اليمين قد أوتي كتابه
بيمينه [illegible]

حبشى وكتب الحجاج الى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيدا قلت وكان للمغيرة ابن اسمه بشر ذكره ابو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى الباب واورد من شعره قوله فى يزيد

جفانى يزيد والمغيرة قد جفا * وامسى يزيد لى قد ازور جانبه * وكلهم قد نال شبعا لبطنه
وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه * فيا عم مهلا واتخذنى لنوبة * تنوب فان الدهر جم نوائبه
انا السيف الا ان للسيف نبوة * ومثلى لا تنبو عليك مضاربه * على اى باب ابتغى الاذن بعدما
* حجبت عن الباب الذى انا حاجبه *

(رجعنا الى تتمة كلام الطبرى) وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيما بكش وراء النهر لحرب اهلها فسار يزيد فى ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فى المفازة وساق الامر انه جرى بينهم قتال شديد ورمى يزيد فى ساقه ثم ان المهلب صالح اهل كش على فدية وانصرف عنهم متوجها الى مرو فلما وصل الى زاغول قرية من اعمال مرو الروذ اصابته الشوصة فدعا ولده حبيبا ومن حضر من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال افترونكم كاسريها مجتمعة فقالوا لا قال افترونكم كاسريها مفترقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم اوصاهم وصية طويلة لا حاجة الى ذكرها ثم قال فى آخرها وقد استخلفت يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له ولده المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب حسبما شرحناه فى ترجمته واوصى الى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار الى مرو وكتب يزيد الى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه اياه فأقره الحجاج ثم انه عزله فى سنة خمس وثمانين واستعمل اخاه المفضل وكان سبب ذلك ان الحجاج وفد على عبد الملك فمر فى منصرفه بدير فنزله فقيل له ان فى هذا الدير شيخا من اهل الكتاب عالما فدعا به وقال يا شيخ هل تجدون فى كتبكم ما انتم فيه ونحن فقال نعم نجد ما مضى من امركم وما انتم فيه وما هو كائن قال اسمى ام موصوفا قال كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة امير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه انه ملك اقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قلت وهو سليمان بن عبد الملك قال أفتعلم ما يلى قال نعم قال فمن يليه بعده قال رجل يقال له يزيد قال فى حياتى أم بعد موتى قال لا أدرى قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا قال فوقع فى نفسه انه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب الى عبد الملك أن يستعفيه من العراق فكتب اليه قد علمت الذى تعنى وانك تريد ان تعلم رأيى فيك ثم ان الحجاج أجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيئا حتى قدم الخيار بن سبرة وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرنى عن يزيد فقال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقنى عنه فقال الله أجل وأعظم قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك ثم كتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب وخلاصة الامر انه كثر القول مع عبد الملك فى ذلك الى ان كتب اليه عبد الملك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن سعيد السعدى فكتب اليه عبد الملك ان رأيك الذى دعاك الى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك الى مجاعة بن سعيد السعدى فانظر لى رجلا حازما ماضيا لامرك فسمى قتيبة بن مسلم الباهلى فكتب اليه أن وله فبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا والله ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه ولى غيره وأخلق بقتيبة ابن مسلم قال فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزل يزيد كره أن يكتب بعزله فكتب اليه أن استخلف أخاك المفضل وأقبل فاستشار يزيد الحضين بن المنذر فقال له أقم واعتل فان أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وانما أتيت من الحجاج فان أقمت ولم تعجل رجوت ان يكتب اليه أن يقر يزيد فقال انا أهل بيت بورك لنا فى الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف وأخذ فى الجهاز وأبطأ ذلك على الحجاج فكتب الى المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حسدتنى قال يزيد أنا لا أحسدك ولكن ستعلم وخرج يزيد فى شهر ربيع الآخر سنة

أديب ما من علم الاوائل فيه
قدم راسخ وما من رقعة من
رقاع الاوهام الا وهو
محققات توقيعاته لها ناسخ
نقاش الاوان اصور النقوش
الصينية على بسط الروم
مدرس الزمان قد صبغ يده
فى جميع العلوم اذا انشا
وشى اذا نظم حر ظلوم حرق
استار الاسرار وسرق من
خزائن الافكار فقبض
وأخذ باليمين وتل للجبين
وحزمت أطرافه وقطع منه
الوتين أصم وهو يسمع
السماء ينطق ويتحدث
والعيدان رأسه فى الماء
أبكم قارئ معيار صامت
ولكنه كليم يكتب على
وجهه مع انه يمشى سويا على
صراط مستقيم (ومن
كلماته) اللطائف فى وصف
الصوارم والاسياف ملك
فى قبضته الاسود كأنه سفاح
أو تيمور وهو لسلم المسلمين
برهان ساطع وللكفار
الكافرين نص قاطع
شجاع يقتحم العقبات
جواد يفلق الرقبات يجز
عطلة فى المهالك ولا يعرف
وجهه قطاع الممالك بأسه
شديد لسانه حديد آخذ
الايدى معطى الايادى
أقعس وانما لا يؤمن منه
الهالك والشطط أمير على
رقاب العباد شديد الصولة
لكنه سهل القياد ازرق
لونه ماء فى شكل غيم يخرج
امطار السماء من خلاله
جعل الله الجنة تحت ظلاله
سام تسجد له الرؤس

خمس وثمانين فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي وقيل فيروز بن حصين وقال حصين بن منذر
ليزيد المذكور

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فأصبحت مسلوب الامارة نادما

فما أنا بالباكي عليك صبابة * وما أنا بالداعي لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما

فان يبلغ الحجاج أن قد عصيته * فانك تلقى أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير وفي تولية قتيبة وعزل
يزيد قال عبد الله بن همام السلولي

أقتيب قد قلنا غداة أتيتنا * بدل لعمرك من يزيد أعور * ان المهلب لم يكن كأبيكم

هيهات شأنكم أدق وأحقر * شتان من بالصنج أدرك والذي * بالسيف شمر والحروب تسعر

حولان باهلة الألى في ملكهم * مات الندى فيهم وعاش المنكر

قوله بدل أعور وهذا مثل يضرب به للرجل المذموم يتولى بعد الرجل المحمود يقال بدل أعور وخلف أعور
وقوله من بالصنج أدرك يقال ان قتيبة كان يضرب بالصنج في بدء أمره وقوله حولان باهلة جمع أحول وكان
قتيبة أحول وهذا الجمع مثل قولهم اسود وسودان واحمر وحمران وقد قيل ان هذه الابيات ليست لعبد الله
ابن همام وانما هي لنهار بن توسعة اليشكري ثم ذكر الطبري في سنة تسع وثمانين ان الحجاج خرج الى الاكراد
الذين غلبوا على عامة أرض فارس فخرج بيزيد وأخويه المفضل وعبد الملك حتى جعلهم في عسكره كهيئة
الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا منه وجعل عليهم حرسا من أهل الشام وأغرمهم ستة آلاف ألف وأخذ
يعذبهم وكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان الحجاج يغيظه ذلك فقيل له انه رمي بنشابة فثبت أصلها في ساقه فصار
لا يمسها شيء الا صاح فان حركت أدنى شيء سمعت صوته فأمر ان يعذب ويدهق ساقه فلما فعل به ذلك صاح
وأخته هند عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم انه كف عنهم وأقبل يستأديهم
فأخذوا يؤدون وهم يعملون في الخلاص من مكانهم فبعثوا الى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه
أن يضمر لهم الخيل ويري الناس انه يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلي بها كي لا تشترى فتكون لنا
عدة ان نحن قدرنا ان ننجو من ههنا ففعل ذلك مروان بن المهلب وحبيب بالبصرة يعذب أيضا فأمر يزيد
بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر لهم بشراب فسقوا وكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طباخه
ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض
وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه وقال هذا شيخ وخرج المفضل على أثره ولم يفطن له فجاؤوا الى سفينة
وقد هيؤوها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا الى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك
وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق فقال المفضل وكان عبد الملك أخاه لأمه لا والله لا أبرح حتى
يجيء عبد الملك ولو رجعت الى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا في السفينة وساروا ليلتهم
حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك الى الحجاج ففزع لذلك الحجاج وذهب وهمه انهم
ذهبوا قبل خراسان وبعث البريد الى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم وبعث الى امراء
الثغور والكور ان يرصدوهم ويستعدوا وبعث الى الوليد بن عبد الملك يخبره بهربهم وانه لا يراهم أرادوا
الا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع وكان يقول اني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الاشعث
(قلت ابن الاشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي وكان قد خرج على عبد الملك
ابن مروان وقصته مشهورة مذكورة في التواريخ) قال الطبري ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل
وقد هيئت لهم فخرجوا عليها ومعهم دليل فأخذ بهم على السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انما أخذ
الرجل طريق الشام وهذه الخيل لهم في الطريق وقد أتى من رآهم متوجهين في البرية فبعث الى الوليد يعلمه

ويخضع له الاعناق حامل
يحمي بيضة الدين في
الآفاق ذاكر بلا ارتياب
الاله شعار ارباب الحجاب
يحيض ويدهن ويخلى
من أساور من فضة ويبرز
صوفي تجرد وقطع العلائق
وتنقى عن كدورات
العوائق يجلس في الزوايا
ويخلو عن اصداء الرزايا
من آل حرب أجل شجاع
وكفاه قوله تعالى وأنزلنا
الحديد فيه بأس شديد
ومنافع (ومن كلام ذلك
الحريري) في وصف الشمع
المنير جميل كحيل العين بين
الحواجب وط الهامة بادي
البشرة ضحاك بالطبع
مستقيم القامة كوكب
دري باهر النور والسناء
يهدي الله لنوره من يشاء
يقصده الاوباش من
الفراش وما لا طاقة
وثبوره يريدون ان يطفئوا
نور الله بأفواههم والله متم
نوره نديم يحسن ائتناسه
بين جلاسه والجسانه
تزداد حياته بعد قطع رأسه
اسكندر يخوض في الظلام
الحالك مبارز يشري
الرأس في المهالك زاهد
يحيي الليالي ويثير اصبعه
لتوحيد الرب المتعالي
يشهد بوحدانية الرحمن
ويداوم ذكر آيات النور
والدخان هنا تلهى
عيون الباصرين فاقع
لونه تسر الناظرين علامة
منى بالحرقة فاسود لسانه
وذاب جسمه واحترق

ولاهما وكانت ولاية الحجاج بالعراق عشرين سنة ثم توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة بدير مروان قلت وهو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق ودفن في مقابر باب الصغير ظاهر دمشق وبويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد وفي هذه السنة أعني سنة ست وتسعين عزل سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب وقال خليفة بن خياط جمع ليزيد المصران يعني الكوفة والبصرة سنة سبع وتسعين والله أعلم وجعل صالح ابن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد وجعل ولي عهده ولده عبد العزيز بن الوليد وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان الذي تولى بعد يزيد بن المهلب كما سبق ذكره قبل هذا فلما ولي سليمان الخلافة خافه قتيبة بن مسلم وتوهم أنه يعزله ويولي خراسان يزيد بن المهلب فكتب الى سليمان كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له ادفع اليه هذا الكتاب فان كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه اليه فادفع اليه هذا الكتاب وان قرأ الاول فاحتبسه ولم يدفعه الى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه الى يزيد فدفع اليه الكتاب الآخر فقرأه ثم رماه الى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان في الكتاب الاول وقيعة في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وفي الكتاب الثاني ثناء على يزيد وفي الكتاب الثالث لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك خلع النعل ولأملأنها عليك خيلا ورجالا ثم ان سليمان أمر رسول قتيبة أن ينزل دار الضيافة فلما أمسى دعاه وأعطاه صرة فيها دنانير وقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر وهذا رسولي معك بعهده قال فخرج الباهلي ومعه رسول سليمان فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع رسول سليمان ودفع العهد الى رسول قتيبة فوصل به اليه فاستشار اخوته فقالوا لا يثق بك سليمان بعد هذا ثم ان قتيبة قتل كما ذكرناه في ترجمته في حرف القاف مع الاختصار لأن الشرح في ذلك يطول ثم ان يزيد بن المهلب نظر في نفسه لما ولي العراق فقال ان العراق قد أخربها الحجاج وأنا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني فأتى يزيد سليمان فقال أدلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فقال قد قبلنا رأيك فأقبل يزيد الى العراق وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ونزل واسطا ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب من المدينة ثم خرج اليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقي يزيد وسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذه الدار فنزل يزيد ومضى صالح حتى أتى منزله وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيئا واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها علي واشترى متاعا كثيرا وصك صكا الى صالح ليبتاعها منه فلم ينفذها فرجعوا الى يزيد فغضب وقال هذا عملي بنفسي فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك ان الخراج لا يقوم لها ولقد أنفذت لك منذ أيام صكا بمائة ألف درهم وعجلت لك أرزاقك وسألت مالا فأعطيتك فهذا لا يقوم له شيء ولا يرضى به أمير المؤمنين وتؤخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرة وضاحكه فقال اني أجيزها فلا تكثرن علي فقال لا ولما ولي سليمان يزيد العراق لم يوله خراسان فقال سليمان لعبد الملك بن المهلب كيف أنت يا عبد الملك ان وليتك خراسان قال

أتحسب ان الحب سهل قياده
وهل هو الا للشجون مقام
فسقيا لحب قد سقاني بدره
الى حين حين ليس منه فطام
وبين فؤادي والسلو تباين
وبين سهادي والجفون لزام
تهيجني شوق للصبى وأجارع
اذا ما تغنت في الغصون حمام
الهوى لولى لا الى الربع والحمى
ولولا هواها ما الحمى وخيام
(وفيها يقول)
أما تستحي يا نفس ماذا التسوف
الى كم تحب الغانيات تضام
اما آن آن الانقضاء من الهوى
لكل أوان آخر وتمام
أتحسب ان الدهر باق بحاله
وحاشاه من أن يكون دوام
تقلب تارات تدوم على الورى
هوان وعز سلوة وهيام
وكل سرور ان اثارت بهجة
يدور وان البوس منه ختام
هب الدهر قد ألقى اليك قياده
وذرت بحلم يانه وهمام
وعشت حميدا ألمعيا بسودد
اليك انقاد طرا خادم وغلام
ألست تساوي الآخرين أن تصرع
بهول سحوة وحشة وظلام
أما تعتبر عمن مضى لسبيلهم
وهم تحت طاقات الرغام نيام
فرب نعيم شاده بعد نعمه
ورب حمام قد علاه حمام
وكم من ملوك في اللوا فارقوا اللوا
ولم تغن عنهم حشمة وعرام

يعدني أمير المؤمنين حيث يحب ثم أعرض سليمان عن ذلك وكتب عبد الملك الى رجال من خاصته بخراسان
ان أمير المؤمنين عرض علي ولاية خراسان فبلغ الخبر الى أخيه يزيد وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح
ابن عبد الرحمن ولم يصل معه الى شيء فدعا يزيد عبد الله بن الاهتم فقال اني أريدك لامر قد أهمني وقد أحببت
ان تكفينيه قال مرني بما أحببت قال انا فيما ترى من الضيق وقد اضجرني ذلك وخراسان شاغرة وقد بلغني
ان أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرحني الى أمير المؤمنين فاني أرجو ان
آتيك بعهده عليها قال فاكتم ما اخبرتك به وكتب الى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى
فيه على ابن الاهتم وذكر له علمه بها ووجه ابن الاهتم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألفا وسار سبعا فقدم
بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدى فجلس ناحية فأتى بدجاجتين فأكلهما ثم قال له سليمان
لك مجلس بعد هذا تعود اليه ثم دعا به بعد ثالثة فقال له سليمان ان يزيد بن المهلب كتب الي يذكر علمك بالعراق
وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال انا أعلم الناس بها بها ولدت وبها نشأت قال ما أحوج أمير
المؤمنين الى مثلك يشاوره في أمرها فأشر علي برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولي فان
ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه هل يصلح أم لا فسمى سليمان رجلا من قريش فقال ليس من رجال
خراسان فسمى عبد الملك بن المهلب فقال لا حتى عدد رجالا فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سويد فقال
يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم مقدام وليس بصاحبها ومع هذا انه لم يقد ثلثمائة قط فرأى لاحد
عليه طاعة قال صدقت ويحك فمن لها قال رجل أعلمه لم تسمه قال فمن هو قال لا أبوح باسمه الا أن يضمن لي أمير
المؤمنين بستر ذلك وأن يجيرني منه ان علم قال نعم سمه لي قال يزيد بن المهلب قال ذلك بالعراق والمقام بها أحب
اليه من المقام بخراسان قال قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال
أصبت الرأي فكتب عهد يزيد بن المهلب على خراسان وكتب اليه ان ابن الاهتم كما ذكرت من عقله ودينه
وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد اليه فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك فأعطاه الكتاب فقال
ويحك أعندك خير فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه الى خراسان
فسار من يومه ثم سار يزيد الى خراسان فأقام بها ثلاثة أشهر أو أربعة ثم غزا جرجان وطبرستان ودهستان
وفتحها وذلك في سنة ثمان وتسعين وقتل من أصحاب يزيد على حصار بعض قلاع جرجان خمسة آلاف فحلف
يزيد عند ذلك يمينا مغلظة انه ليقتلنهم حتى تطحن الرحى بدمائهم فأكثر من قتلهم فكانت الماء لا تجري حتى
صب عليها الماء فجرت وطحنت وأكل مما طحنت بدمائهم ثم مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليال
بقين من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل لعشر ليال مضين من صفر والله أعلم بدابق قرية من شمالي
حلب وعهد الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فعزل عمر في هذه السنة يزيد بن المهلب عن العراق وجعل
مكانه عدي بن ارطاة الفزاري فأخذ يزيد وأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز وكان عمر يبغض يزيد
وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول انه مراء فلما وصل
يزيد سأله عمر عن الاموال التي كتب بها الى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وانما
كتبت الى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت ان سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ولا بأمر أكرهه
فقال عمر لا أجد في أمرك الا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها ثم رده الى
محبسه وذكر البلاذري في كتاب فتوح البلدان في الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان أن يزيد
ابن المهلب لما فرغ من أمر جرجان سار الى طبرستان ثم سار الى خراسان فتلقته الهدايا ثم ولى ابنه مخلدا
خراسان وانصرف الى سليمان فكتب الى سليمان ان معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم فوقع الكتاب في يد عمر
ابن عبد العزيز فأخذ يزيد به وحبسه وبعث عمر الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان ثم قدم
مخلد بن يزيد على عمر وجرى بينهما ما سبق ذكره فلما خرج مخلد بن يزيد قال عمر هذا عندي خير من أبيه فلم
يلبث مخلد الا قليلا حتى مات ولما أبى يزيد أن يؤدي المال الى عمر ألبسه جبة من صوف وحمله على جمل ثم قال

وربعنا من ذوي القدر والعلا
فهاهم وفات في الرموس عظام
وأين جياد في الورى كان زهرهم
على الناس ما في الجدود كرام
طوتهم بأيدي النائبات دهورهم
فلم يبق منهم مخبر وسام
فسبحان من لا ينقضي عز ملكه
وليس بدانيه الفناء دوام
(وقد قال رحمه الله قبل موته فكأنه نعى الى نفسه)
ذيال عرى آلاء الجديدان
وصرصر الشيب أمتهلم ثناني
طلائع الضعف استولت على بدني
فصار مرتحلا لا وجاع جثماني
ت الرحيل ولكن ما ادخرت له
وكل حاوي الردى للموت ماوان
لا زال موتي يأتيني على عجل
فكيف السبيل في تقريب أركاني
ابقى على زمن ولى بمعصية
ثم انقضى العمر في حزن وحسرات
وهي من قصيدة طويلة أبياتها قريبة المائة منسوجة على هذا المنوال
ولما عرضت عليه قصيدته النونية استحسنها وعارضها بقصيدة سنية ولنأت ببعض الابيات من القصيدتين ونحذف الابيات الاخر من البين (قصيدة)

سيروا به الى دهلك قلت وهي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه قال فلما أخرج يزيد مروا به على الناس فجعل يزيد يقول أما لي عشيرة تذهب بي الى دهلك انما يذهب الى دهلك بالفاسق المريب سبحان الله أما لي عشيرة فدخل الى عمر سلامة بن نعيم الخولاني وقال يا أمير المؤمنين أردد يزيد الى محبسه فاني أخاف ان أمضيته أن ينتزعه قومه فاني رأيت قومه قد غضبوا له فرده الى محبسه ولم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر وقيل ان عدي بن ارطاة سلمه الى وكيع بن حسان بن أبي أسود التميمي مغلولا مقيدا في سفينة ليوصله الى عين التمر حتى يحمل الى عمر فعرض لوكيع ناس من الازد لينتزعوه منه فوثب وكيع وانتضى سيفه وقطع قلس السفينة واخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه ان لم يتفرقوا عنه فناداهم يزيد واعلمهم بيمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه الى الجند الذين بعين التمر وحمله الجند الى عمر فحبسه ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق فرآه مقيدا فأنشده

أصبح في قيدك السماحة والجود وحمل الديات والحسب
لا بطر ان ترادفت نعم * وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ماذا صنعت أسأت الي قال ولم ذاك قال مدحتني وانا على هذه الحالة فقال له الفرزدق رأيتك رخيصا فأحببت ان أسلف فيك بضاعتي فرمى يزيد اليه بخاتمه وقال شراؤه ألف دينار وهو ربحك الى ان يأتيك رأس المال واستمر يزيد في محبسه الى ان مرض عمر في سنة احدى ومائة فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن مروان أن يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن المهلب لما ولي العراق قد عذب آل أبي عقيل وهم رهط الحجاج كما سبق ذكره وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عند يزيد بن عبد الملك وهي أم الوليد بن يزيد فاسق بني أمية وهي بنت أخي الحجاج وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك فأخذ يعمل في الهرب فبعث الى مواليه فأعدوا له ابلا وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المكان الذي فيه ابله وقد واعدهم اليه واحتمل وخرج فلما جاوز كتب الى عمر اني والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسي ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم ان كان يريد بهذه الامة شرا فاكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر قلت ووجدت في مسودة تاريخ القاضي كمال الدين بن العديم الحلبي ان عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب وهربا منها والله أعلم ثم توفي عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة وقيل الاربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة احدى ومائة رحمه الله تعالى بدير سمعان وقيل انه مات لعشر بقين من رجب من السنة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وقيل انه مات بخناصرة وخناصرة بضم الخاء المعجمة وبعدها نون وبعد الالف صاد مهملة مكسورة وبعد الراء هاء وهي بليدة قديمة بالقرب من حمص وذكرها المتنبي في قوله

أحب حمصا الى خناصرة * وكل نفس تحب محياها

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقال له أشج بني امية وذلك ان دابة من دواب أبيه كانت شجته قال نافع مولى ابن عمر كنت اسمع ابن عمر كثيرا ما يقول ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الارض عدلا وقال سالم الافطس ان عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق فأتى أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يبكي فضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها وهو على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابني ولم تضم اليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتي يا أم عاصم فطوبى لك ان كان هذا أشج بني أمية وقال حماد بن زيد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع عجوزا تبيع لبنا معها في سوق الليل فقال لها يا عجوز لا تغشي المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشوبي اللبن بالماء فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم سمع بعد ذلك فقال لها يا عجوز ألم أتقدم اليك ان لا تشوبي لبنك بالماء فقالت والله ما فعلته فقالت ابنة لها من داخل الخباء أغشا

غنى الطيور بأطيب الالحان
في شجرة بمنابر الافنان
فاهتز منها كل شيء في الربا
أوما رأيت تمايل الاغصان
فكأنما تبكي الربيع وحسنه
لما ألم الشمس بالميزان
واصفر وجه الروض وجنة
عاشق
بانت حبيبته مع الاظعان
من بعد ما باسمت به أزهاره
كحبيبة مالت الى الاحسان
فبكى الغمام من الغموم
على الربا
وصبا النسيم كعاشق ولهان
سقي الروض قد تنسمت
نسيمه
فاستقبلت بالروح والريحان
واذا أتيت بحمرة قهواته
نظرت الى عقائق وسنان
لله أيام مضت في روضة
حازت لطائفها عن الحسبان
أنفقت نقد العمر في لذاتها
بعت الثمين بأرخص الاثمان
يا صاح ناولها قهوة وردية
تنمي النديم شقائق النعمان
في الكأس ماء في الحشى
كالنار قد
جمعت من ذاو جنة النشوان
تالله لو رأت المجوس لهيبها
في كوزها سجدوا الى
الكيزان
لا تطلبوا المصباح ان ليل سجا
فالكأس متقد كدقيان
عاطيتها أخدانه تسبي النهى
من دونها بجمالها الفتان
ورأيت في الاقداح عكس
رواتها
فعجبت من حور وافى النيران
(وقد قال رحمه الله تعالى)
ورقاء قد غنت على العيدان

وكذا جعلت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز فتركها الكلام ابنتها ثم التفت الى بنيه فقال أيكم يتزوج هذه فلعل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر أنا أتزوجها فزوجها اياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل ليست حفصة من نساء أم عاصم وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي في كتاب جوهرة الزمان في تذكرة السلطان عن ابن عمر قال بينما أبي يعس بالمدينة اذ سمع امرأة وهي تقول لابنتها يا بنية قومي فشوبي اللبن بالماء فقالت يا أماه أما سمعت منادي أمير المؤمنين انه نادى أن لا يشاب اللبن بالماء فقالت وأين أنت من مناديه الساعة فقالت اذا لم يرني مناديه ألم يرني رب مناديه وفي رواية أخرى قالت والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا قال فبكى عمر رضي الله عنه فلما أصبح دعا بالمرأة وبابنتها وسأل هل لها زوج فقالت ليس لها زوج فقال يا عبد الله تزوج هذه فلو كانت بي حاجة الى النساء لتزوجتها فقلت انا في غنى عنها فقال يا عاصم تزوجها فتزوجها فجاءت بابنة فحملت بعمر بن عبد العزيز ولما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وولي مكانه يزيد ابن عبد الملك بن مروان ثم ان يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن أرطاة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه فاتته احدى حظاياه وقبلت الارض بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فانشدها

رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غمامة هذا العارض المتألق

قلت وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن مغلة الاسدي قلت ولا حاجة الى تفصيل الحال فيه فان شرحه يطول وهذه خلاصته ثم ان يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ومعهما الجيش وخرج يزيد بن المهلب للقائهم واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد عنده الرجال والاموال والاسرى وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العقر قلت هي عقر بابل وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء الموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه والعقر بفتح العين المهملة وسكون القاف وبعدها راء وهو في الاصل اسم القصر والمواضع المسماة بالعقر أربعة أحدها هذا ولا حاجة الى ذكر الباقي وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا قال الطبري ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشد أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم ثم ان أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم وكان على مقدمة جيش يزيد أخوه عبد الملك فلما انكشف مال الى أخيه يزيد وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب وكانت مبايعته على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم ولا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحرض الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس الى أخيه يزيد وكان الحسن البصري رضي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب فقال يوما في مجلسه يا عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين غبر برهة من دهره ينتهك الله في هؤلاء القوم كل حرمة ويركب له فيهم كل معصية ويأكل ما أكلوا ويقتل من قتلوا حتى اذا منعوه ملاطفة كان يتلمظها قال أنا لله غضبان فاغضبوا ونصب قصبا عليها خرق وتبعه رجراجة رعاع هباء ما لهم افئدة وقال أدعوكم الى سنة عمر بن عبد العزيز ألا وان من سنة عمر ان توضع رجلاه في قيد ثم يوضع حيث وضعه عمر فقال له رجل أتعذر أهل الشام يا أبا سعيد يعني بني أمية فقال أنا أعذرهم لا عذرهم الله والله لقد حدثنا ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة فدخلها أهل الشام ثلاثا لا يغلق لها باب الا أحرق بما فيه حتى ان الاقباط والانباط ليدخلون على نساء قريش فينتزعون خمرهن من رؤسهن وخلاخلهن من أرجلهن بسيوفهم على عواتقهم وكتاب الله تعالى تحت أرجلهم انا أقتل نفسي لفاسقين تنازعا هذا الامر والله لوددت ان الارض أخذتهما خسفا جميعا فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فأتى الحسن هو وبعض بني عمه الى حلقته في المسجد

يعتز النسيم أطيب الالحان
فكأنها وأت الربيع فأنشدت
في مدحه الاشعار للندمان
مالت اليها الغصون تسمع سجعها
قد صارت الاوراق كالآذان
وأطيب ألحان بدت من شعوها
شق القميص شقائق النعمان
ورأيت في الروض منها واقصا
متصفق الامواج في الغدران
وأتى النسيم على الحدائق في السرى
فتعانق الاغصان كالخلان
وتكللت تيجان ازهار الربا
من لؤلؤ الانداء في القيعان
فالجو لابس حلة مائية
نبدا بوجه مشرق اللمعان
الورد قد ورد الرياض بشوكه
وأتى بكل حديقة كجنان
والبان تنشر غصنه اذنابه
والكم قد بسمت كثغر قيان
والراح في راح الحبيب تديرها
سقيا الهوامن راحة الابدان
وعتقت في عصرها أعنبها
فوق الشيوخ شمائل الفتيان
لو شاهدت عبادها من جاموا
ابريقها خروا على الاذقان
أهفي على أيام أنس قد مضت
هي غرة في جبهة الازمان
كم ليلة نادمت فيها غادة
تسبي النهى بصوارم الاجفان
(وله قصيدة في قافية اللام)
بعذر مورد هابعدما أطال
الكلام لغاية لطافتها عن
العاذل واللائم (قصيدة)

متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به وصار الناس ينظرون اليهم فلما جاء يزيد فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحسن فما أنت وذاك يا ابن اللخناء فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد ما تصنع قال اقتله فقال له يزيد اغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا قلت ويزيد بن المهلب المذكور هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته المعروفة بالدريدية بقوله

وقد سما قبلي يزيد طالبا * شأو العلا فما وهى ولا ونى

وكل من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشرح قصته وكانت اقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام حتى اذا كان يوم الجمعة لاربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومائة أمر مسلمة ان تحرق السفن فاحرقت والتقى الجمعان ونشبت الحرب فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم احترق الجسر انهزموا فقيل ليزيد قد انهزم الناس فقال مم انهزموا فقيل له احرق الجسر فلم يلبث أحد فقال قبحهم الله بق دخن عليه فطار وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاءه من أخبره ان أخاه حبيبا قد قتل فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها الا بغضا امضوا قدما قال أصحابه فعلمنا ان الرجل قد استقتل وأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا ينسلون وبقيت معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه فجاء أبو رؤبة المرجي فقال ذهب الناس فهل لك ان تنصرف الى واسط فانها حصن فتنزلها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك ألي تقول هذا الموت أيسر علي من ذلك فقال له فاني أتخوف عليك أما ترى ما حولك من جبال الحديد فقال له أنا ما أباليها أجبال حديد كانت أو جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا وأقبل على مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه فعطفت عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه أخوه محمد وجماعة من أصحابه وقال القحل بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وآخره لام ابن عياش الكلبي لما نظر الى يزيد يا أهل الشام هذا يزيد والله لاقتلنه أو ليقتلني ان دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك فحملوا بأجمعهم فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمق فأومأ الى أصحابه يريهم مكان يزيد وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة فقيل له أنت قتلته فقال لا وفي أثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد الى برذون عائر فقال اني أرى هذا برذون الفاسق ابن المهلب قد قتله الله ان شاء الله تعالى فطلبوه فأتى مسلمة برأسه فلم يعرف الرأس فقال جبار النبطي مهما ظننتم فلا تظنوا ان الرجل هرب ولقد قتل فقال مسلمة وما علامة ذلك فقال اني سمعته أيام ابن الاشعث يقول قبح الله ابن الاشعث هو وغلب على أمره أما كان يغلب على الموت الا مات كريما قلت ذكر الامير أبو نصر بن ماكولا في باب القحل والفحل والجحل ما مثاله وأما القحل فقال القحل الآن أوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن عمير بن شراحيل بن عزير قتل يزيد بن المهلب وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فلما أتى برأس يزيد الى مسلمة لم يعرفه ولم ينكر فقيل له مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ففعل به ذلك فعرفه فبعث به الى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقال خليفة بن خياط ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين وتوفي مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة والله أعلم ولما جاءت هزيمة يزيد واسطا أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يديه فضرب أعناقهم منهم عدي بن ارطاة ثم خرج وقد قال له القوم ويحك لا نراك تقتلنا الا ان أباك قد قتل ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان فأعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز وأراد معاوية بن يزيد بن المهلب أن يتأمر على آل المهلب فاجتمعوا وأمروا عليهم المفضل بن المهلب وقالوا للمفضل أكبرنا سنا وانما أنت غلام حديث السن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان وبكرمان فلول كثيرة

ماذا تقول لشوائل كانت تحمل
أين التقنع والمسوح الهطل
ألغير هذا اليوم كنت تصونها *
أم عن تسابلها المدامع تبخل
تالله حق ان ترق بمدامعا
يوم النوى لا ادمعا تتسلسل
هل وقفة بعذيب قاع في النقى
يوما وهل عند الابيرق منزل
تبدو الحبيب يستقى به
وضر البصائر والغرائر تنبل
ودعتها والعين ترقل في السما
والكبد حرى والفؤاد معلل
يا صاح ان السيل قد بلغ الزبى
ايه بذكراها بم التعلل
سالوعتي وتحنن الالوها
لولا هواها ما الشحول تحومل
تبدو نوازع من صبابتها اذا
ازورت بها الصبا والشمال
الى لواري الصب غساوله الهوى
والدمع جار والجوانح تغلي
لم أنس أيام الوصال بذي غضى
اذراح واشيناودار السلسل
مازال تنقص صبابتي وتصبري
في كل حين والتحرق يكمل
وحديث وجدي في الهوى متواتر
لكن دمعي مرسل ومسلسل
يا حسنها وجمالها ودلالها
شمس الظهيرة من سناها تأفل
ذاب الفؤاد من الجوى وصرامه
ديم براه في الاباطح ترقل
ان طرفك الفتاك تجهد فتلى
فلحمدك الفاني دليل فيصل
يا عاذلي لو ذقت من برح الهوى

فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك فى طلب آل المهلب وطلب الفلول فأدركوهم فى عقبة بفارس فاشتد قتالهم فقتل المفضل وجماعة من خواصه ثم قتل آل المهلب عن آخرهم الا أبا عيينة وعثمان بن المفضل فانهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل وبعث مسلمة برؤسهم الى أخيه يزيد وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لاصحابه هذا رأس المفضل والله لكأنه جالس معى يحدثنى وقال غير الطبرى لما حمل رأس يزيد بن المهلب الى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه فقال له مه ان يزيد طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فى هذه السنة ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شاعره ثابت قطنة بمراث كثيرة حسنة منها قوله

كل القبائل بايعوك على الذى * تدعو اليه وتابعوك وساروا
حتى اذا اشتجر القنا وتركتهم * رهن الاسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك ورب قتل عار

قلت وهذا ثابت قطنة من شعراء خراسان وفرسانهم وذهبت عينه فكان يحشوها قطنة وقد كان يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان فلما علا المنبر ارتج عليه فلم ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال

فان لا أكن فيكم خطيبا فاننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

فقالوا لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ذكره ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء وقال ابن الكلبى فى جمهرة النسب هو ثابت بن كعب بن جابر بن كعب بن كرمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن تميم بن الاسد بن الحرث بن العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء وفيه يقول صاحب الفيل الحنفى وكانا يتهاجيان

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة * يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوى اللسان اذا رمت الكلام به * كما هوى زلق من شاهق النيق
اما رأتك عيون الناس شاخصة * اشتأت تجرض لما اقتت بالريق

وقال غير الطبرى ان الذى قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابى وقال الكلبى نشأت والناس يقولون ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر وقال محمد بن واسع لما جاءنى يزيد أتتنى باكية عمانية تندب الى قتل آل المهلب وقال عباد بن عباد مكثنا نيفا وعشرين سنة بعد قتل آل المهلب لا تولد فينا جارية ولا يموت منا غلام وقال خليفة بن خياط سنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر وهو ابن تسع وأربعين سنة رحمه الله تعالى فلقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفرسان وروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب فرآه فى ثوب مصبوغ فقال له أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال له مسلمة ذلك ونحن نحارب أكفاءنا من قريش فاما الآن نحن نحارب عبيدا فلولا كرامتك وهذا البيت للاخطل التغلبى النصرانى الشاعر المشهور

(أبو العلاء يزيد بن أبى مسلم دينار الثقفى مولاهم)

كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفى وكاتبه وكان فيه كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسببهما وقد تقدم فى ترجمة يزيد بن المهلب ان الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيأ وقيل ان الوليد هو الذى ولاه بعد موت الحجاج وقال الوليد يوما مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد ابن أبى مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الازدى المذكور قبله وأحضر اليه يزيد بن أبى مسلم فى جامعة وكان رجلا قصيرا دميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد

وغرامها ماذقت لم تك تعذل

(ومن تعانى العلم والعمل وحصل وكمل فاتحق فى شبابه بالمشايخ الكمل الشيخ محيى الدين الشهير بپير كيلو)

كان رحمه الله من قصبة بالى كسرى وكان أبوه رجلا عالما من أصحاب الزوايا ولا غرو فيه فان فى الزوايا خبايا ونشأ المرحوم فى طلب المعارف والعلوم ووصل الى مجالس العظام ودخل محافل الكرام وعكف على التحصيل والافادة من الافاضل السادة ثم المولى محيى الدين المشتهر بباشى زاده وصار ملازما من المولى عبد الرحمن احد قضاة العسكر فى عهد السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح ولاح فى جبينه آيات الفوز والفلاح فتحول عن مضايق الشكوك الى مسارح السلوك واتصل بخدمة المرشد السالك الشيخ عبد الله القرمانى الميرانى فخدمه مدة بحسن الارادة واستفرغ مجهوده فى الزهد والعبادة ثم أمره شيخه بالعهود والاشتغال بدارسة العلوم ومذاكرة المنطوق والمفهوم والتصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكرات والوعظ بالزواجر الزاجرات وحصل بينه وبين المولى عطاء الله محبة أكيدة ومودة شديدة فاقبل بحسن الالتفات عليه وبنى مدرسة فى قصبة توركى

ابن أبي مسلم قال نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه قال لا تفعل
يا أمير المؤمنين فانك رأيتني والامور مدبرة عني ولو رأيتني والامور مقبلة علي لاستعظمت ما استصغرت
ولاستجللت ما احتقرت فقال له سليمان قاتله الله فما أشد عقله وأعضب لسانه ثم قال سليمان يا يزيد أترى
صاحبك الحجاج يهوي بعد في نار جهنم أم قد استقر في قعرها فقال يزيد لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين فان الحجاج
عادى عدوكم ووالى وليكم وبذل مهجته لكم فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد فاجعله
حيث أحببت وفي رواية أخرى انه يحشر غدا بين أبيك وأخيك فضعهما حيث شئت فقال سليمان قاتله الله
فما أوفاه لصاحبه اذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا فقال رجل من جلساء سليمان يا أمير المؤمنين اقتل
يزيد ولا تستبقه فقال يزيد من هذا فقالوا فلان بن فلان فقال يزيد لقد بلغني أن أمه ما كان شعرها يواري
أذنيها فلم يتمالك سليمان ان ضحك وأمر بتخليته ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة لا درهما ولا
دينارا فهم باستكتابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك
كاتبه فقال يا أبا حفص اني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة فقال عمر أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار
والدرهم منه فقال سليمان من هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما بيده وقد أهلك هذا الخلق فتركه
سليمان وحدثت جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز بلغه أن يزيد بن أبي مسلم خرج في جيش من
جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش أن يرده وقال اني لأكره أن أستنصر بجيش هو فيهم ونقل الحافظ
أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب بأنه قال في سنة
احدى ومائة أمر يزيد بن أبي مسلم على افريقية ونزع اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم
فسار أحسن سيرة وفي سنة اثنتين ومائة قتل يزيد وقال الطبري في تاريخه الكبير وكان سبب ذلك انه كان
فيما ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله
من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على
نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تآمروا فاجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا
على أنفسهم الوالي الذي كان قبل يزيد بن أبي مسلم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع أيدينا من الطاعة
ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد
الملك اني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على افريقية وكان ذلك في سنة اثنتين ومائة وقال
الوضاح بن أبي خيثمة أمرني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبي مسلم
فأخرجتهم وتركته فحقد علي فبينا أنا بافريقية اذ قيل قدم يزيد واليا فهربت منه وعلم بمكاني فأمر بطلبي
فظفر بي وحملت اليه فلما رآني قال طالما سألت الله تعالى ان يمكنني منك فقلت وأنا والله لطالما سألت الله
ان يعيذني منك فقال ما أعاذك الله والله لأقتلنك ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسيف والنطع
فأتي بهما وأمر بالوضاح فأقيم بالنطع وكتف وقام وراءه رجل بالسيف وأقيمت الصلاة فخرج يزيد اليها فلما
سجد أخذته السيوف وادخل الى الوضاح من قطع أكتافه وأطلقه وأعيد الى الولاية محمد بن يزيد مولى
الانصار والله أعلم قلت كان الوضاح حاجب عمر بن عبد العزيز فلما مرض أمر الوضاح باخراج المحابيس
فأخرجهم سوى يزيد المذكور فلما مات عمر هرب الوضاح الى افريقية خوفا من يزيد وجرى ما جرى وكان
مرض عمر بخناصرة هكذا قاله الطبري محمد بن يزيد وابن عساكر قال اسمعيل ابن عبيد الله والله أعلم
بالصواب وقوله واحضر اليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة فالجامعة الغل لانه تجمع اليدين الى العنق وقوله
وكان رجلا قصيرا دميما الدميم بالدال المهملة القبيح المنظر ومنه قول عمر رضي الله عنه لا تزوجوا بناتكم
من الرجل الدميم فانه يعجبهن منه ما يعجبه منهن واما الذميم بالذال المعجمة فانه المذموم وكذا قول ابن الرومي
الشاعر المشهور   كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم
بالدال المهملة أيضا وانما قيدته بالضبط لانه يتصحف على الناس كثيرا وخناصرة بضم الخاء المعجمة ثم نون

وفوض تدريسها اليه
وعين له كل يوم ستين درهما
فكان رحمه الله يدرس تارة
ويعظ اخرى بما هو أليق
وأحرى فقصده الناس من
كل فج عميق وأوى اليه
الطلبة من مكان سحيق
واجتمع عليه الطلاب
واشتغلوا عليه من كل فصل
وباب وأكبوا على
الاشتغال يومه وأمسه
وانتفع الناس بوعظه ودرسه
فكم من أسير في غيابة
الجهالة مقيد بسلاسل الشؤون
والبطالة نال بسببه من شرف
العلم وعزه ما ناله وكم من تائه
بهامه هواه عاد الى السبيل
بهداه كان رحمه الله في
طرف عال من الفضل
والكمال وتتبع الكتب
والرسائل وجمع القواعد
والمسائل وجمع العلم
وتبحر فيه وحوى من
الفضل والعلم فمما كتبه
شرح مختصر البيضاوي في
النحو وكتب متنا لطيفا في علم
الفرائض وله في الحديث
وتفسير القرآن والفقه
تعاليق ورسائل اشتهرت
دونها المستفاد به حصول
الامنية وكان رحمه الله آية
في الزهد والصيانة ونهاية في
الورع والديانة ورأسا في
التقشف والتقوى متمسكا
بما هو أتم وأقوى قائما
على الحق في كل مكان يرد
على من خالف الشريعة
كائنا من كان لا يهاب أحدا
لعلو رتبته وسمو منزلته
جاه في آخر عمره الى

وبعد الالف صاد مهملة مكسورة ثم راء بعدها هاء وهي بليدة قديمة من أعمال الاحص من ولاية حلب بالقرب من قنسرين كان عمر بن عبد العزيز أميرا بها من جهة سليمان بن عبد الملك بن مروان وهي التي عناها المتنبي بقوله أحب حمصا الى خناصرة * وكل نفس تحب محياها
وذكرها عدي بن الرقاع العاملي الشاعر المشهور في قصيدته الدالية المشهورة فقال
وإذا الربيع تتابعت انواؤه * فسقى خناصرة الاحص وجادها

(أبو خالد يزيد بن أبي المثنى عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة)

ونسب فزارة معروف فلا حاجة الى الاطالة بذكره قال ابن دريد معية تصغير معي وهو الواحد من امعاء البطن وقد ردوا على ابن دريد هذا القول فقالوا بل صوابه انه تصغير معاوية وسكين بضم السين المهملة وفتح الكاف وخديج بضم الخاء المعجمة وبغيض بفتح الباء الموحدة والباقي معلوم لا حاجة الى ضبطه ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه الكبير ان أصله من الشام وانه ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق ومولده سنة سبع وثمانين وذكر ابن عياش في تسمية من ولي العراق وجمع له المصران وهما البصرة والكوفة وكذلك ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في تسمية من ولي العراقين وعدد من الولاة الذين جمع لهم العراقان فكان أولهم زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان وآخرهم يزيد بن عمر بن هبيرة صاحب هذه الترجمة ثم قال ولم يجمع العراقان لاحد بعد هؤلاء وذكره أيضا قبل هذا في ترجمة أبيه عمر فقال وكان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهورا ثم أمنه وافتتح البلد صلحا وكتب اليه يزيد أهل بيته وكان أبو جعفر يقول لا يعز ملك هذا فيه ثم قتله وقال خليفة بن خياط وفي سنة ثمان وعشرين ومائة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق وذلك قبل قتل الضحاك يعني ابن قيس الشيباني الخارجي فسار حتى نزل هيت وكان شجاعا جسيما طويلا خطيبا ذكولا شجاعا وكان فيه حسد وذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه في سنة ثمان وعشرين ومائة فقال وفي هذه السنة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق لحرب من بها من الخوارج ثم ذكر في سنة اثنتين وثلاثين ومائة خروج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بني العباس لما أظهروا أمرهم بخراسان وتلك النواحي وكان أبو مسلم الخراساني المقدم ذكره في حرف العين أعظم الاعوان وأصل تلك القضية حتى انتظمت أمورها كما هو مشهور وقد سبق في ترجمة أبي مسلم طرف من هذا الحديث ولا حاجة الى التطويل فيه وكان خروج قحطبة بأرض العراق وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة وجرت وقائع يطول شرحها وحاصل الامر أن قحطبة خاض الفرات عند الفلوجة القرية المشهورة بالعراق ليقاتل يزيد بن هبيرة وكان في قبالته فغرق قحطبة في عشية الاربعاء عند غروب الشمس لثمان خلون من المحرم من السنة وقام ولده الحسن بن قحطبة مقامه في تقدمة الجيش وهي واقعة مشهورة طويلة وليس هذا موضع ذكرها وكان معن بن زائدة الشيباني المقدم ذكره من اتباع يزيد بن هبيرة المذكور ومن أكبر أعوانه في الحروب وغيرها فيقال انه في تلك الليلة ضرب قحطبة بن شبيب بالسيف على رأسه وقيل على عاتقه فوقع في الماء فأخرجوه حيا فقال ان مت فادفنوني في الماء لئلا يقف أحد على خبري وقيل في غرقه غير ذلك والله أعلم (عدنا الى حديث ابن هبيرة) وكان من خبره ان جيوش خراسان التي كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحسن من بعده استظهرت عليه فهزمت عسكره ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتحصن بها ثم وصل أبو العباس عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله ابن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة بضم الحاء المهملة القرية التي كانت مسكن بني العباس في اطراف الشام من أرض البلقاء الى الكوفة ومعهم جماعة من أشياعهم وذوي قرابتهم ومن قام معهم باقامة دولتهم وازالة دولة بني أمية التي أميرها اذ ذاك مروان بن الحكم الاموي المعروف بالجعدي والمعروف بالحمار آخر ملوكهم

فلما

قسطنطينية ودخل مجلس الوزير محمد باشا وكلمه في حق الظلمة ودفع المظالم بكلمات أحد من السيوف الصوارم وملأ بفرائد المواعظ ذلك النادي ولكن لا حياة لمن ينادي وكان المرحوم لا يرى الاقتصار على التلاوة وتعليم العلوم ويباحث فيه مع الفحول بالمنقول والمعقول وتوفي رحمه الله في شهر جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وهو منكب على الزهد والعبادة كتب الله له الحسنى وزيادة

(ومن العلماء الاعيان الذين أصابتهم عين العصر والزمان بعد استلام الحجر الاسعد المولى محيي الدين المشتهر بنكساري زاده)

كان رحمه الله تعالى نخبة أولاد المولى مصلح الدين النكساري السابق ذكره في هذا الكتاب فلا نعيد في ذلك الخطاب والمرحوم منخلص من رقة صباه ضم صحبه الى مساه وجد في الطلب واستحصل اثناه النصب واستفرغ مجهوده في تحصيل الفضائل وتكميل الخصائل ودخل مجلس القرم الهمام السميدع القمقام المفتي أبي السعود وترقى بخدمته حتى زوجه بابنته وشرفه بخلع التعليم والافادة الى ان صار ملازما منه بطريق الاعادة درس أولا بمدرسة

فلما وصلوا الى الكوفة بويع أبو العباس السفاح بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل ان المبايعة كانت في شهر ربيع الاول والاول أصح وظهر أمر بني العباس وقويت شوكتهم وأدبرت دولة بني مروان فعند ذلك وجه السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة فجاء المنصور الى العسكر الذي مقدمه الحسن بن قحطبة وهو مقابل يزيد بن هبيرة بواسط فنزل عليه وقال أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير وجرت السفراء بين أبي جعفر المنصور وبين ابن هبيرة حتى جعل له أمانا وكتب له كتابا فمكث يشاور فيه العلماء أربعين ليلة حتى رضيه ابن هبيرة ثم أنفذه الى أبي جعفر فأنفذه أبو جعفر الى أبي العباس السفاح فأمر بامضائه له وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان أبو العباس السفاح لا يقطع أمرا دون أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة وكان لأبي مسلم عين على السفاح يكتب اليه بأخباره كلها فكتب أبو مسلم الى السفاح ان الطريق السهل اذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم كتاب الامان خرج ابن هبيرة الى أبي جعفر في ألف وثلثمائة من البخارية فأراد أن يدخل الحجرة على دابته فقام اليه الحاجب فقال مرحبا بأبي خالد انزل راشدا وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها ثم دعا بالقواد فدخلوا ثم قال له الحاجب ادخل يا أبا خالد فقال أنا ومن معي فقال انما استأذنت لك وحدك فقام فدخل ووضعت له وسادة وحادثه ساعة ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ثم مكث يقيم عنه يوما ويأتيه يوما في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فقال يزيد بن أبي حاتم لأبي جعفر أيها الامير ان ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء فقال أبو جعفر للحاجب قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتي في حاشيته فقال له الحاجب ذلك فتغير وجهه وجاء في حاشيته نحو من ثلاثين فقال له الحاجب كأنك تأتي متأهبا فقال ان أمرتم أن نمشي اليكم مشينا فقال ما أردنا بك استخفافا ولا أمر الامير بما أمر به الا نظرا لك فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة وقال محمد بن كثير كلم ابن هبيرة يوما أبا جعفر فقال يا هناه أو يا أيها المرء ثم رجع فقال أيها الامير ان عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به قريب فسبقني لساني بما لم أرده وألح أبو العباس السفاح على أبي جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه فكتب اليه والله لتقتلنه أو لأرسلن اليه من يخرجه من حجرتك ثم يتولى قتله فأزمع على قتله فبعث أبو جعفر من ختم بيوت المال ثم بعث الى وجوه من مع ابن هبيرة فحضروا وخرج الحاجب من عند أبي جعفر وطلب ابن الحوثرة ومحمد بن نباتة وهما من الأعيان فقاما فدخلا وقد أجلس أبو جعفر ثلاثة من خواصه في مائة من جماعته في حجرته فنزعت سيوفهما وكتفا ثم أدخلوا بعدهما اثنين ففعل بهما كذلك وبعدهم جماعة أخرى ففعل بهم كذلك فقال موسى بن عقيل أعطيتمونا عهد الله ثم خستم انا لنرجو أن يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط في لحية نفسه فقال له ابن الحوثرة ان هذا لا يغني عنك شيئا فقال كأني كنت أنظر الى هذا فقتلوا وأخذت خواتمهم وانطلق حازم والهيثم بن شعبة والاغلب بن سالم في نحو من مائة فأرسلوا الى ابن هبيرة انا نريد حمل المال فقال ابن هبيرة لحاجبه انطلق فدلهم عليه فأقاموا عند كل بيت نفرا ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمر بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبني له صغير في حجره فجعل ينكر نظرهم فقال أقسم بالله ان في وجوه القوم لشرا فأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوههم وقال وراءكم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه ونحى الصبي من حجره وقال دونكم هذا الصبي وخر ساجدا فقتل وهو ساجد ومضوا برؤسهم الى أبي جعفر فنادى بالامان للناس وقال أبو عطاء السندي واسمه مرزوق وقيل أفلح مولى بني أسد يرثي ابن هبيرة

ألا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت * جيوب بأيدي مأتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود
وانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

قلت وهذه المرثية ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في باب المراثي قلت الى هنا انتهى ما نقلته من

مر أدبائنا بقسطنطينية بثلاثين وهو أول مدرس من أبناء القضاة بالوظيفة المزبورة أولا ثم درس بالمدرسة القلندرية بالبلدة المذكورة بأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة السيدة العظيمة اسماخان بنت السلطان سليم خان المبنية في جوار أبي أيوب الانصاري عليه رحمة الملك الباري ثم نقل الى احدى المدارس الثمان وتوفي رحمه الله مطعونا وهو مدرس بها في أواسط جمادى الآخرة سنة احدى وثمانين وتسعمائة وما بلغ عمره أربعين سنة ولعل ذلك عما فيه من العجب الزائد وازدراء الناس والوقوع في أعراضهم كثيرا وقد وقع لي واقعة غريبة بعد موته أرجو الخير فيها واستبشر بذكرها وهي انه لما رأيته في المنام سألته عما بدا له بعد موته فأخبر عن نفسه وقال لما انتقلت من هذه الدار ادخلت مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غاص بالأكابر وقد اجتمع حوله من ختم لهم بالايمان فغلبني هيبة ذلك المجلس وأخذتني دهشة وحيرة فاذا بقائل يقول كيف كان اعتقادك في الدنيا وعلى أي شيء مت فاقتدرت على الجواب بما عرض لي من الحيرة فاستمات من

تاريخ الطبرى مقتضبا فانى جمعته من عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة وأما غير الطبرى فانه قال لما
قدم أبو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه فأنزله فيه وأقاموا يقتتلون أياما وثبت معن
ابن زائدة مع ابن هبيرة وطال الحصار عليهم وكان أبو جعفر المنصور يقول ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل
النساء وبلغ ابن هبيرة ذلك فأرسل اليه أنت القائل كذا وكذا ابرز الى لترى فأرسل اليه المنصور ما أجد لك
ولى مثلا الا كالاسد لقى خنزيرا فقال له الخنزير بارزنى فقال له الاسد ما أنت لى بكفؤ فان بارزتك فنالنى منك
شر كان ذلك عارا على وان قتلتك قتلت خنزيرا فلم أحصل على حمد ولا فى قتلك فخر فقال له الخنزير ان لم تبارزنى
لأعرفن السباع انك جبنت عنى فقال له الاسد احتمال عار كذبك أيسر من تلطيخ براثنى بدمك ثم ان المنصور
كاتب القواد وفهم ابن هبيرة فطلب الصلح فأجابه المنصور وكتبوا كتاب الصلح والامان وسيره المنصور الى
أخيه السفاح فأمضاه وكتب فيه فان غدر ابن هبيرة أو نكث فلا عهد له ولا أمان وكان من رأى المنصور الوفاء
له وقال أبو الحسن المدائنى لما كتب المنصور بينه وبين ابن هبيرة كتاب الصلح خرج الى المنصور وبينه وبينه
ستر فقال ابن هبيرة أيها الامير ان دولتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم الى
قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ومازلنا منتظرين لدعوتكم قال فرفع المنصور الستر بينه وبينه وقال
فى نفسه عجبا لمن يأمرنى بقتل مثل هذا وصار ابن هبيرة يخرج الى المنصور فى آخر أمره فى ثلاثة من أصحابه
يتغدى ويتعشى عنده وكان يثنى له وسادة فيقال انه كان يكاتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن
أبى طالب رضى الله عنه ويدعو اليهم والى خلع السفاح وجاءه كتاب أبى مسلم الخراسانى يحثه على قتل ابن هبيرة
فكتب السفاح الى المنصور يأمره بقتله فقال لا أفعل وله فى عنقى بيعة وأمان فلا أضيعهما بقول أبى مسلم
فكتب اليه السفاح انى لا أقتله بقول أبى مسلم بل بنكثه وغدره ودسيسته الى آل أبى طالب وقد أبيح لنا دمه
فلم يجبه المنصور وقال هذا افساد الملك فكتب اليه السفاح لست منى ولست منك ان لم تقتله فقال المنصور
للحسن بن قحطبة اقتله انت فامتنع فقال خازم بن خزيمة انا اقتله فدخل عليه وهو فى جماعة من قواد خراسان
وهو فى القصر وعنده ابنه داود وكاتبه ومواليه وعليه قميص مصرى وملاءة مورّدة وعنده الحجام وهو يريد
أن يحجمه فلما رآهم سجد فقتلوه وقتلوا ابنه وكاتبه ومن كان معه وحملوا رأسه الى المنصور وكان معن بن
زائدة غائبا عن واسط عند السفاح فسلم وبعث المنصور برأس ابن هبيرة الى السفاح وكان ذلك فى سنة اثنتين
وثلاثين ومائة قال الهيثم بن عدى لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة ما كان
أكبر رأس صاحبكم فقال له الرجل أما انه كان أكبر وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزى فى كتاب
شرح الحماسة فى باب المراثى عند ذكره أبيات أبى عطاء السندى الدالية المتقدم ذكرها التى رثى بها يزيد
المذكور فقال وكان المنصور قد حلف له وأكد الايمان فلما قتله وحمل رأسه اليه قال المنصور للحرسى
أترى طينة رأسه ما أعظمها فقال الحرسى طينة عنانه أعظم من طينة رأسه وهدم المنصور قصر واسط وقال
الحافظ ابن عساكر فى تاريخه الكبير كان ابن هبيرة اذا أصبح أتى بعس (قلت العس بضم العين المهملة
وبعدها سين مهملة مشددة وهو القدح الكبير) قال وفيه لبن قد حلب على عسل واحيانا على سكر فيشربه
قبل صلاة الغداة فاذا صلى الغداة جلس فى مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلى ثم يدخل فيحركه اللبن فيدعو
بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدى وألوانا من اللحم (والناهض بالنون وبعد الهاء المكسورة
ضاد معجمة وهو الفرخ من الحمام) قال ثم يخرج فينظر فى امور الناس الى نصف النهار ثم يدخل فيدعو
جماعة من خواصه واعيان الناس ويدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلا على صدره ويعظم اللقم ويتابع
فاذا فرغ من الغداء تفرق من كان عنده ودخل الى نسائه فلا يزال حتى يخرج الى صلاة الظهر ثم ينظر بعد
الظهر فى امور الناس فاذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسى للناس فاذا أخذ الناس مجالسهم
أتوهم بعساس اللبن والعسل وألوان الاشربة (قلت والعساس بكسر العين جمع عس وقد تقدم الكلام
عليه) ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه الى المغرب

ثم

الاطراق فوصل يدى الى
مسورة فتسوى كتبها أبى
تتضمن اعتقاد أهل السنة
من التوحيد وغيره فأخذتها
وناولتها السائل وقلت انى
ختمت على ما فى طى هذا
الكتاب وانه هو الذى
وقع عليه اعتقادى وكان به
اعتقادى فاكتفى عن هذا
القدر وليعلم انه وان كان
يحصل للداخل فى هذا
الجمع العظيم كمال الحيرة
والدهشة الآن فيمن
التوسيع والعفو مايزيد
على المأمول ويربو على
المسؤل فانه جاء بعدى كثير
من أرباب الملاهى وضعفاء
الناس وغفر لجميعهم وعفى
عنهم خصوصا الخلفاء
الاربعة فان بشفاعتهم
يعفى عن خلق لا يحصون
كثرة ولا يعلمون عدة اللهم
اجعلنا مظاهر ألطافك
الكاملة ورأفتك الوافرة
الشاملة كان رحمه الله من
الذين برزوا فى ميدان
الفضل والبيان واحرزوا
التحصيل عند سابق
الفرسان تضلع من العلم
وبلغ الى نصابه ولم ينض
عنه ثوب شبابه وطاف فى
بيوت المعارف من كل باب
والتحق بالشيوخ وهو فى
سن الشباب وكان من جملة
من تدرع الصيانة وبرز فى
العفاف والديانة وقد ألحق
نفسه بزمرة الصوفية
واسترشد ببعض المشايخ
الخلوتية وكان فى قول
الحق من السيوف الصوارم

ثم يتفرقون للصلاة ثم يأتيه سماره فيحضرون مجلسا يجلسون فيه حتى يدعو بهم فيسامرهم حتى يذهب عامة الليل وكان يسئل في كل ليلة عشر حوائج فاذا أصبح قضيت وكان رزقه ستمائة ألف درهم فكان يقسم كل شهر في أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه وأهل البيوتات جملة مستكثرة فقال عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي الفقيه الكوفي وكان من سماره

اذا نحن اعتمنا ومال بنا الكرى * أتانا باحدى الراحتين عياض

وعياض بوابه واحدى الراحتين الدخول والانصراف ولم يكن له منديل فكان اذا دعا بالمنديل قام الناس وقال شيخ من قريش اذن يزيد بن عمر بن هبيرة في يوم صائف شديد الحر للناس فدخلوا عليه وعليه قميص خلق مرقوع الجيب فجعلوا ينظرون اليه ويتعجبون منه ففطن لهم فتمثل بقول ابراهيم بن هرمة

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

واخباره ومحاسنه كثيرة مشهورة وقال خليفة بن خياط قتل ابن هبيرة بواسط يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة رحمه الله تعالى وقال أبو جعفر الطبري في تاريخه توفي الحسن ابن قحطبة في سنة احدى وثمانين ومائة

(أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الازدى)

قد تقدم ذكر تتمة نسبه في ترجمة جده المهلب بن أبي صفرة وقد ذكرنا أخاه روح بن حاتم في حرف الراء وعم أبيه يزيد بن المهلب ومن ولده الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي المقدم ذكره وهم أهل بيت كبير اجتمع فيه خلق كثير من الاعيان الامجاد الاجواد ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه ان الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حميد بن قحطبة عن ولاية مصر فولاها نوفل بن الفرات ثم عزله وولى يزيد بن حاتم وذلك في سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم ان المنصور عزله عن مصر في سنة اثنتين وخمسين ومائة وجعل مكانه محمد بن سعيد وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخه ولى يزيد بن حاتم مصر في سنة أربع وأربعين ومائة ودخلها في منتصف ذي القعدة ثم ان المنصور خرج الى الشام وزار بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومن هنالك سير يزيد بن حاتم الى افريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عاملها عمر بن حفص وجهز معه خمسين ألف مقاتل سارت معه واستقر يزيد المذكور بافريقية من يومئذ وكان وصوله اليها واستظهاره على الخوارج في سنة خمس وخمسين ودخل مدينة القيروان في هذا التاريخ وكان جوادا سريا ممدحا وقصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم وكان أبو الشمقمق ربيعة بن ثابت الاسدي الرقي وقيل انه من موالي سليم قد قصد يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة بن زافر بن أسماء بن أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان وهو يومئذ والي أرمينية وكان قد وليها زمانا طويلا لابي جعفر المنصور ثم من بعده لولده المهدي وكان يزيد المذكور من أشراف قيس وشجعانهم ومن ذوي الآراء الصائبة ومدحه ربيعة المذكور بشعر أجاد فيه فقصر في حقه ومدح يزيد بن حاتم فبالغ في الاحسان اليه فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد ابن حاتم على يزيد بن أسيد وكان في لسان يزيد بن أسيد تمتمة فعرض بذكرها في هذه الابيات فقال

حلفت يمينا غير ذي مثنوية * يمين امرئ آلى بها غير آثم
لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * أخو الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم
فيا أيها الساعى الذى ليس مدركا * بمسعاته سعى البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم * لفعل أسير واحتمال العظائم

لا تخاف في الله لومة لائم لا يثنى عنان عزيمته المجالس ولا يصرف زمام صريمته طعنة المنافس شديد العزم والباس عفاف الناس فلما تلا لمثله النساء عليه رحمة الله تعالى ما تعاقب الصبح والمساء

(ومن الخادم الاعيان وخلاص أبناء العصر والاوان عبد الكريم بن محمد بن أبي السعود)

نشأ رحمه الله في روضة المجد والافضال ودوحة العز والاقبال الى أن مني والده بشدائد الفرقة والانتقال فتكفل أمره جده المولى أبو السعود وأسبل عليه أذيال ملابس الفضل والجود وتربى في كنف حمايته عدة سنين الى أن صار ملازما منه وقلد أولا مدرسة محمود باشا بخمسين وكان ذلك له تعظيما لجده على خلاف العادة فتصدى مدة للدرس والافادة ثم نقل الى مدرسة أبي أيوب الانصاري عليه رحمة البارى ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى مدارس السلطان سليمان وقد أسرع في النقل والحركات حتى مضى من نصيبه هذا وقراءته المختصرات قدر ثمان أو تسع سنوات وتوفي رحمه الله مدرسا بهذه المدرسة وما بلغ عمره ثلاثين سنة (وذلك سنة احدى وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله

كذلك بناء المكرمات ابن حاتم * وتمت وما الأزدي عنها بنائم

فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم * فتقرع إن ساميته سن نادم

هو البحر إن كلفت نفسك خوضه * تهالكت في آذيه المتلاطم

تمنيت مجدا في سليم سفاهة * أماني خال أو أماني حالم

ألا إنما آل المهلب غرة * وفي الحرب قادات لكم بالخزائم

هم الأنف والخرطوم والناس بعدهم * مناسم والخرطوم فوق المناسم

قضيت لكم آل المهلب بالعلا * وتفضيلكم حقا على كل عالم

لكم شيم ليست لخلق سواكم * سماح وصدق الناس عند الملاحم

مهينون للأموال فيما ينوبكم * مناعيش دفاعون عن كل جارم

قال دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المقدم ذكره قلت لمروان بن أبي حفصة الشاعر وقد تقدم ذكره أيضا يا أبا السمط من أشعركم من جماعة المحدثين قال أشعرنا بيتا قلت ومن هو قال الذي يقول

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وكنت قد ذكرت بعض هذه الأبيات في ترجمة أخيه روح بن حاتم ثم إني ظفرت بها أكثر من ذلك فأحببت أن أفرد له ترجمة وأذكر ما جرى له لأن مثله لا يصلح أن يكون ضمنا في ترجمة أخيه وكان ربيعة بن ثابت الرقي قد قصده قبل هذه المرة فلم ير منه من الإحسان ما كان يرجوه فنظم أبياتا من جملتها

أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم

ولما عقد أبو جعفر المنصور ليزيد المهلبي المذكور على بلاد إفريقية وليزيد السلمي المذكور على ديار مصر خرجا معا فكان يزيد المهلبي يقوم بكفاية الجيشين فقال ربيعة الرقي المذكور

يزيد الخير إن يزيد قومي * سميك لا يجود كما تجود

تقود كتيبة وتقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود

قلت وهذا يدل على أن ربيعة المذكور مولى بني سليم لقوله يزيد قومي * ووفد أشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر فأمر في مجلسه فدعا بغلام معه فساره فقام أشعب فقبل يده فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال لأني رأيتك تسار غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال ما فعلت هذا ولكني أفعل ووصله وأحسن إليه وقال الطرطوشي في كتاب سراج الملوك قال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم كثيرا ما يقول والله ما هبت شيئا قط هيبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله تعالى فيقول الله حسبك الله بيني وبينك وذكر أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب أن السمر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية فأنشده

إليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر ثم شهر نواصله

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا * لديك ولكن أهنأ البر عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء في جنده جميعه وكان معه خمسون ألف مرتزق فقال من أحب أن يسرني فليصل زائري هذا من عطائه درهمين فاجتمع له مائة ألف درهم وضم يزيد إلى ذلك مائة ألف أخرى ودفعهما إليه قلت ثم وجدت البيتين المذكورين لمروان بن أبي حفصة والله أعلم وقد ذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق فقال بعد ذكر أحواله وولاياته أن يزيد بن حاتم قال لجلسائه انسقوا إلى ثلاثة أبيات فقال صفوان بن صفوان من بني الحرث بن الخزرج أذيلك فقال قمن شئتم فكأنما كانت في فمه فقال

لم أدر ما الجود إلا ما سمعت به * حتى لقيت يزيدا عصمة الناس

لقيت أجود من يمشي على قدم * مفضلا برداء الجود والباس

لو نيل بالجد جود كنت صاحبه * وكنت أولى به

قال صفوان ثم كففت فقال أتمم فقلت   من آل عباس

فقلت

مخدوما موقرا ذا وجاهة وافية من الكرم والحزم والشهامة مشهورا بحسن الخط والكتابة من بين من حل بهذه المثابة مستحسن الزي واللباس لطيف المعاملة للناس وقد داوم على الاشتغال والدرس حتى أفضت به المنية إلى الرمس * (ومن قرع بعواليه صيته مسامع الأكوان وافتخر بدره وجوده صدف العصر والأوان وألقى إليه الشرف الواضح مقاليده وملك من العز الشامخ طريفه وتليده واستولى على عمائم البراعة بيض الطروس وسمر اليراعة وبرز في هذه الأقطار وساد وبنى بيت التقدم على أرفع الأعماد المولى المعظم والمفتي المفخم أبو السعود بن محمد ابن مصطفى العمادي) * كان أبوه من جملة من خلص نفسه السرية عن الكدرات البشرية وجمع بين الشريعة والطريقة مع التضلع من العلوم الرسمية بالحقيقة وقد وقع نبذة من بحار مناقبه نزرة وقطرة من مواطر سحائب مفاخره في الشقائق النعمانية وسيأتي في هذه العجالة اليسيرة بعض مناقبه الجمة الكثيرة ولد رحمه الله سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية المحمية من خواص أوقاف الزاوية التي بناها السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان الشيخ محيي الدين

وقلت لا يصلح فقال الاصمعي هذا منك أخذ وقال عوف بن المزرع قال لي الاصمعي يوما وقد جئته مسلما عليه الى أن ذكر شعر الشعراء المحسنين المداحين من المولدين فقال لي يا أبا عثمان ابن المولى من المحسنين المداحين ولقد أسهرني في الباقي هذه من مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول

واذا تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى * واذا تخيل من سحابك لامع

سبقت مخيلته يد المستمطر * واذا صنعت صنيعة أتممتها * بيدين ليس نداهما بمكدر

واذا الفوارس عددت أبطالها * عدوك في أبطالهم بالخنصر

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور أنشده وهو أمير مصر

يا واحد العرب الذي * أضحى وليس له نظير لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فدعا بخازنه وقال كم في بيت مالي قال فيه من الورق والعين ما مبلغه عشرون ألف دينار فقال ادفعها اليه ثم قال يا أخي المعذرة الى الله تعالى واليك ولو أن في ملكي غيرها لما ادخرتها عنك وهذا ابن المولى هو أبو عبد الله محمد بن مسلم وعرف بابن المولى * وروى الاصمعي أيضا أن يزيد لما كان بافريقية جاءه البشير بخبر أنه ولد له مولود بالبصرة فقال قد سميته المغيرة وكان عنده المهلب التميمي فقال بارك الله لك أيها الامير فيه وبارك له في بنيه كما بارك لجده في أبيه ولم يزل يزيد واليا بافريقية الى أن توفي بها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بالقيروان ودفن بباب سلم واستخلف على افريقية ولده داود ثم عزله هرون الرشيد في سنة اثنتين وسبعين ومائة وولاها عمه روح بن حاتم المتقدم ذكره والله تعالى أعلم

(أبو خالد أو أبو الزبير يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخي معن بن زائدة الشيباني المتقدم ذكره)

وقد استوفيت ذكر نسبه هناك فلا حاجة الى اعادته ههنا كان يزيد المذكور من الامراء المشهورين والشجعان المعروفين كان واليا بأرمينية فعزله عنها هرون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ثم ولاه اياها وضم اليها أذربيجان في سنة ثلاث وثمانين وقد سبق طرف من خبره في ترجمة الوليد بن طريف الشيباني الخارجي فانه هو الذي تولى محاربته وقتله وذكر أرباب التاريخ ان الوليد بن طريف الشيباني لما خرج على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة وهي فيما بين الفرات ودجلة الموصل وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائة وكثر جمعه من الشراة حتى انتشروا في تلك البلاد وخرج اليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وساروا الى ديار مضر فحصر واعبد الملك بن صالح بن علي العباسي بالرقة فاستشار هرون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي فيمن يوجهه لحرب الوليد ابن طريف فقال له يحيى بن خالد البرمكي وجه موسى بن خازم التميمي فان هرون كان اسمه الوليد فعرفه موسى عليه السلام فوجهه اليه الرشيد في جيش كثيف فلاقاه الوليد في أصحابه فهزمه الوليد وقتله فلما بلغ ذلك الرشيد وجه اليه معمر بن عيسى العبدي فكانت بينهما عدة وقائع بناحية داراء من ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وظهر هذا الظهور العظيم قال الرشيد ليس لها الا الاعرابي يزيد بن مزيد الشيباني فقال بكر بن النطاح الشاعر لا تبعثن الى ربيعة غيرها * ان الحديد بغيره لا يفلح

فوجه الرشيد اليه يزيد المذكور في عسكر ضخم وأمره بمناجزته فقصده يزيد وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه وكان الوليد ذا مكر ودهاء ثم كانت بينهما حروب يصعب وبلغ الرشيد مماطلة يزيد بن مزيد له فوجه اليه خيلا يعنف ثم بعث اليه من يعنفه فسار يزيد في طلبه ثم نزل يصلي الصبح فلم يتم صلاته حتى طلع الوليد عليه في عسكره واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما اشتبت الحرب ناداه يزيد يا وليد ما حاجتنا الى التستر بالرجال ابرز لي قال نعم والله فبرز الوليد وبرز اليه يزيد ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد فتطاردا ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه حتى مضت ساعات من النهار فأمكنت يزيد فيه الفرصة فضرب رجله فسقط وصاح بخيله فسقطوا عليه واحتزوا رأسه وذكر أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم المعروف بابن الفرات الهروي في تاريخه ان الوليد بن طريف قتله يزيد بن مزيد بالحديثة من أرض الجزيرة قلت وهذه الجزيرة هي الجزيرة الفراتية والحديثة بالقرب من عانة وتعرف بحديثة النورة وهي على فراسخ من الانبار

المسفور والمولى المزبور وقد مهد له في مهد الصواب وحضر له أبيات الخطاب وتربى في حجر العلم حتى رباه وارتضع ثدي الفضل الى أن ترعرع وحبا ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعه واستد ساعده واشتد اتساعه وقد استفاد من الاجلة الكرام والاعزة الفخام على ما ذكره نفسه في صورة الاجازة للشيخ عبد الرحمن المشتهر بشيخ زاده فلا نطيل الكلام بالتكرار والاعادة وقد نقل عنه رحمه الله انه قال مرة قرأت على والدي الشيخ محيي الدين حاشية التجريد للشريف الجرجاني من أول الكتاب الى آخره مع جميع الحواشي المنقولة عنه وقد قرأت عليه شرح المفتاح للعلامة المسفور مرتين وشرح المواقف له أيضا بالتمام والكمال ولما صار ملازما من المولى سيدي چلبي قلد التدريس في مدرسة كفري بخمسة وعشرين فتردد في القبول فنقل في اثنائه الى مدرسة اسحق باشا ببلدة اينه كول بثلاثين ولما انفصل عنها قلد بعد عدة أشهر مدرسة داود باشا بمدينة قسطنطينية بأربعين ثم نقل عنها الى مدرسة علي باشا بالمدينة المزبورة بخمسين ولما بنى الوزير مصطفى باشا مدرسته التي بقصبة كبكبوزه نقل اليها

وهي خبير حديثة الموصل ووجه يزيد برأس الوليد الى الرشيد وبكتاب الفتح مع ابنه أسد بن يزيد وفي ذلك يقول أبو الوليد مسلم بن الوليد الانصاري الشاعر المشهور وكان منقطعا الى يزيد ومختصا به

سل الخليفة سيفا من بني مطر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
لولا يزيد ومقداره سيف * عاش الوليد مع العاصين أعواما
أكرم به وبآباء له سلفوا * ابقوا من المجد ايامها وأياما

ولما انصرف يزيد الى باب الرشيد قدمه ورفع رتبته وقال له يا يزيد ما أكثر أمراء المؤمنين في قومك قال نعم الا أن منابرهم الجذوع يعني الجذوع التي يصلبون عليها اذا قتلوا وكان قتل الوليد بن طريف في سنة تسع وسبعين ومائة كما سبق ذكره في ترجمته ورثته أخته الفارعة بتلك الابيات الفائقة المذكورة هنالك وقالت أخته الفارعة فيه أيضا

بابي وائل لقد فجعتكم * من يزيد سيوفه بالوليد
لو سيوف سوى سيوف يزيد * قاتلته لاقت خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضا * لا يفل الحديد غير الحديد

وقد روى ان هرون الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد الى حرب الوليد بن طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال له خذه يا يزيد فانك ستنصر به فأخذه ومضى وكان من هزيمة الوليد وقتله ما تقدم شرحه وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد الانصاري من جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد المذكور

اذكرت سيف رسول الله سنته * وبأس أول من صلى ومن صاما

يعني بأس علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ كان هو الضارب به * وقد ذكر هشام بن الكلبي في جمهرة النسب شيأ يتعلق بذي الفقار وهي فائدة تحسن ذكرها ههنا فانه قال في تسمية بني منبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشي كانا سيدي بني سهم في الجاهلية قتلا يوم بدر كافرين وكانا من المطعمين والعاص بن نبيه قتل مع أبيه وكان له ذو الفقار فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر وأخذه منه وقال غير ابن الكلبي ان ذا الفقار أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه والفقار بفتح الفاء جمع فقارة الظهر يقال في جمعها فقار وفقارات ويقال ذو الفقار بكسر الفاء أيضا والفقار جمع فقرة بكسر الفاء وسكون القاف ولم يأت مثله في الجموع الا قولهم ابرة وابار (رجعنا الى حديث ذي الفقار) وكان سبب وصوله الى هرون الرشيد ما ذكره أبو جعفر الطبري باسناد متصل الى عمر بن المتوكل عن أمه وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما قالت كان ذو الفقار مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يوم قتل في محاربته لجيش أبي جعفر المنصور العباسي والواقعة مشهورة فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار الى رجل من التجار كان معه وكان له عليه أربعمائة دينار وقال له خذ هذا السيف فانك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب الا أخذه منك وأعطاك حقك فكان السيف عند ذلك التاجر حتى ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه اليمن والمدينة فأخبر عنه فدعا بالرجل فأخذ منه السيف وأعطاه أربعمائة دينار فلم يزل عنده حتى قام المهدي بن المنصور واتصل خبره به فأخذه ثم صار الى موسى الهادي ثم الى أخيه هرون الرشيد وقال الاصمعي رأيت الرشيد بطوس متقلدا سيفا فقال يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار قلت بلى جعلني الله فداك فقال استل سيفي هذا فاستللته فرأيت فيه ثماني عشرة فقارة (قلت خرجنا عن المقصود فلنرجع الى تتمة حديث يزيد بن مزيد) ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ بغداد ان يزيد المذكور دخل على الرشيد فقال له الرشيد يا يزيد من الذي يقول فيك

لا يعبق الطيب كفيه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل

قال لا أدري يا أمير المؤمنين فقال أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله فانصرف خجلا فلما صار الى منزله قال لحاجبه من بالباب من الشعراء فقال مسلم بن الوليد الانصاري قال ومنذ كم هو مقيم على الباب قال

ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد عديني بروسه ثم نقل الى احدى المدارس الثمان وقد انشد رحمه الله لنفسه عند قفوله عنها هذه الابيات

(شعر)

دنا النأي عن نجد فاصبحت قائلا
وداعا لمن قد حل هذي المنازلا
فيا حبذا تلك المعالم والربا
بها كل من تهوى وما كنت آملا
نسيم الصبا عرج عليها وناد ها
سقاك الغوادي والملائم وابلا
وسلم على قطانها باستكانة
وبلغ دعائي هؤلاء الاماثلا
وبثهم أنباء اشتياقي وقل لهم
فؤادي بمغناهم وان كنت راحلا
ويا شاهقا تلقاء الحمى ثم دونه
عليك سلام بكرة وأصائلا
لبست الثياب البيض بعدي فانني
على ما تم ملبست عنك الرواحلا
ولم أر أمرا أسرني منذ أسبحت
هم رقته النوى بيني وبينك حائلا
بأت عنك داري لا قلى وسآمة
بلى فعل التقدير ما كان فاعلا
ولن تبرح الاشواق تزداد في الحشى
الى ان أرى أمرا من الدهر هائلا

منذ زمان طويل منعته من الوصول اليك لما عرفته من اضاقتك قال أدخله فادخله فانشده هذه القصيدة حتى ختمها فقال لوكيله بع ضيعتي الفلانية واعطه نصف ثمنها واحتبس نصفها لنفقتنا فباعها بمائة ألف درهم فاعطى مسلما خمسين ألفا فرفع الخبر الى الرشيد فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر فأعلمه الحديث فقال قد أمرت لك بمائتي ألف درهم لتسترجع الضيعة بمائة ألف درهم وتزيد شاعرك خمسين ألفا وتحبس خمسين ألفا لنفسك قال أبو بكر بن الانبارى قال أبى سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من قول النابغة الذبيانى حيث يقول

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبنهم حتى يغزن مغارهم * من الضاريات بالدماء الدوارب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها * اذا عرض الخطى فوق الكواثب

الكواثب بالثاء المثلثة بعدها الباء الموحدة جمع كاثبة وهى ما تقرب من منسج الفرس أمام قربوس السرج قلت وأول قصيدة مسلم بن الوليد الانصارى

أجررت ذيل خليع فى الصبا غزل * وقصرت همم العذال عن عذلى
حاط الخلافة سيف من بنى مطر * أقام قائمه من كان ذا ميل
كم صائل فى ذرا علياء مملكة * لولا يزيد بنى شيبان لم يصل
ناب الامام الذى يفتر عنه اذا * ما افترت الحرب عن أنيابها العصل
يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل
ينال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل
لا يرحل الناس الا عند حجرته * كالبيت يضحى اليه ملتقى السبل
يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنايا فى أسنته * شوارعا تتحدى الناس بالأجل
اذا طغت فئة عن غب طاعته * عنت لها الموت بين البيض والأسل
تراه فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الأغانى فى ترجمة مسلم بن الوليد الانصارى أن يزيد بن مزيد قال أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر ان أراده فلما رآنى ضحك الى وقال من الذى يقول فيك

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
لله من هاشم فى أرضه جبل * وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال سوأة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت ودعوت به ووصلته ووليته (قلت) وهذان البيتان من جملة القصيدة التى ذكرت منها الابيات التى قبلها وقد روى ان عمه معن بن زائدة كان يقدمه على أولاده فعاتبته امرأته فى ذلك وقالت له لم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بنيك ولو قدمتهم لتقدموا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال لها ان يزيد قريب منى وله على حق الولد اذ كنت عمه وبعد فان بنى ألوط بقلبى وأدنى من نفسى ولكنى لا أجد عندهم من الغناء ما أجد عنده ولو كان ما يطلع به يزيد فى بعيد لصار قريبا أو عدو لصار حبيبا وسأريك فى هذه الليلة ما تبسطين به عذرى يا غلام اذهب فادع جساسا وزائدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى أتى على جميع أولاده فلم يلبثوا أن جاؤا فى الغلائل الملينة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال معن يا غلام ادع يزيد فلم يلبث أن دخل عجلا وعليه سلاحه فوضع رمحه بباب المجلس ثم دخل فقال معن له ما هذه الهيئة يا أبا الزبير فقال جاءنى رسول الأمير فسبق وهمى الى أنه يريدنى لمهم فلبست سلاحى وقلت ان كان الأمر كذلك مضيت ولم أعرج وان كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عنى

بالجهات أحكام الطبيعة كلها خيال سعد وعند ذلك باطلا وقد شرحت هذه الابيات فى نصف يوم من الاوقات لو كتبه كاتب فى اليوم الواحد لعده من أكبر المحامد ثم قلد رحمه الله قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء قسطنطينية المحروسة ثم نقل الى قضاء العسكر فى ولاية روم ايلى ودام عليه مدة ثمانى سنين وقد جرى زلال احسانه دوحة العلوم والفضائل وقلد جيد الزمان بعقد أفضاله وهو عاطل فعادت روضة المعارف الى بهائها ودوحة الآداب الى مائها ونمائها ولما انتقل المولى المرحوم عمدة أفاضل الروم سعدة العصر والاوان المولى سعد ابن عيسى بن أمير خان اضطرب أمر الفتوى وانتقل من يد الى يد ولم يثبت سقف بيته على عمد الى أن سلم زمامه اليه والقيت مقاليده لديه فنظم مصالحه نظم اللآل واشتغل بتشييد مبانيه أحسن الاشتغال وسبقت اليه الركائب من كل قطر وجانب وازدحم على بابه الوفود من أصحاب المجد والجد ووشملت شمائله العامة والخاصة والعامة وذلك سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ودام على هذه الخصلة الحسنة نحوا من ثلاثين سنة وكتب الجواب مرارا فى يوم واحد على ألف رقعة وخمسين

من أي شيء فقال معن انصرفوا في حفظ الله فلما خرجوا قالت زوجته قد تبين لي عذرك فانشد متمثلا

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكرّ والاقداما * وصيرته ملكا هماما

والى هذه الحالة أشار مسلم بن الوليد بقوله

تراه في الامن في درع مضاعفة * لا يامن الدهر أن يدعى على عجل

وقد روي ان مسلم بن الوليد لما انتهى في انشاده هذه القصيدة الى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد الممدوح هلا قلت كما قال الاعشى بكر بن وائل في مدح قيس بن معديكرب

واذا تجيء كتيبة ملمومة * شهباء تختشى الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال مسلم قولي أحسن من قوله لانه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم والخرق بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف وهو الاسم من عدم معرفة العمل قلت وقيس الذي مدحه الاعشى هو والد الاشعث بن قيس الكندي أحد الصحابة رضوان الله عليهم قلت وقد تقدم الكلام على قوله قد عوّد الطير عادات وثقن بها * وانه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة الذبياني في البائية التي تقدم ذكرها وقد وافقه في أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو نواس قال عمر الوراق سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التي أولها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلي ولا سمره * لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المرّ من ثمره

قال فحسدته عليها فلما بلغ الى قوله

واذا مج القنا علقا * يتراءى الموت في صوره * راح في ثنيي مفاضته

أسد يدمي شبا ظفره * وتتأيا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره

قلت له ما تركت للنابغة شيأ حيث قال

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدي بعصائب

فقال اسكت فلئن أحسن الاختراع لما أسأت في الاتباع وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب بن أوس الطائي فقال

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت على الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

وقال المتنبي أيضا يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على أحيائهم تقع

وللمتنبي أيضا في صفة جيش وقد ألم بهذا المعنى

وذي لجب لا ذو جناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم

اذا ضوءها لاقى من الطير فرجة * تدوّر فوق البيض مثل الدراهم

ولما كان يزيد والياعلى اليمن قصده أبو الشمقمق مروان بن محمد مولى مروان الجعدي الشاعر المشهور الكوفي وكنيته أبو محمد وكان مشهورا بابي الشمقمق وهو في حال رثة وكان راجلا فمدحه وشرح حاله بقوله

رحل المطي الى الملك طلاب الندى * ورحلت نحوك ناقتي نعليه

فعلتها في السفار مطيه * تعدو أمام العملات وتعتلي * في السير ترك خفها المهريه

من كل طاوية الحشى مضمورة * قطعا لكل تنوفة دويه * تنتاب أكبر وائل في بيتها

حسبا وقبة مجدها مبنيه * أعني يزيد اسيف آل محمد * فراج كل شديدة مخشيه

يوماه يوم للمواهب والجدا * فحصل ويوم دم وحطف منيه

ولقد أتيتك واثقا بك عالما * أن لست أسمع مدحة بنسيه

فقال صدقت يا شمقمق والست أقبل مدحة نسية أعطوه ألف دينار ومدحه أبو الفضل منصور بن سلمة النمري الشاعر المشهور بقصيدة طويلة بائية أحسن فيها كل الاحسان منها قوله

لو لم يكن لبني شيبان من حسب * سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

القاطع والقاصد وقد سارت أجوبته في جميع العلوم في الآفاق مسير النجوم وجعلت رشحات أقلامه تتيمة نحر لكونها يتيمة بحر فياله من بحر وكان يكتب الجواب على منوال ما يكتبه السائل من الخطاب واقعا على لسان العرب والعجم والروم من المنثور والمنظوم وقد أثبت منها ما يستعذبه الناظر ويستحسنه أرباب البصائر

(صورة السؤال)

ما قول مولانا وسيدنا وقدوتنا وموضح مشكلاتنا وفاتق رتق معضلاتنا كعبة المجد والكمال قامع الزيغ والضلال نقاب العلماء الاعلام وشيخ مشايخ الاسلام لا زالت دعائم الشرع شارعة بوجوده واسعاد الدين كاثرا بكتائب سعوده في قوم اتخذوا قول لا اله الا الله موضوعا لتحريف النغمات ورعاية لصناعة الاصوات فطوروا يزيدون وطورا ينقصون على حسب ما يلائم الصناعات الباطلات والآراء الفاسدات لا يرجون في ذلك لله تعالى وقارا بل اتخذوا ذلك لبدعتهم شعارا

(صورة الجواب)

ماذكر أمر مخترع مكروه ومكر مبتدع بشعار منكر وه فتردوا في مهاوي الردى ومصارعه والتحقوا بالذين يحرفون الكلم عن

ما عرف الناس أن الجود مدفعة * للذم لكنه يأتي على النسب

وذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل أن يزيد بن مزيد المذكور نظر إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره وإذا هو خاضب فقال له إنك من لحيتك في مؤونة قال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن في كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت في حافاتها الجلمان

قلت الجلمان بفتح الجيم واللام تثنية جلم وهو المقص وقال هرون الرشيد يوما يا يزيد إني قد أعددتك لأمر كبير فقال يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فإذا شئت فقل وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أن هذه المقالة دارت بين هرون الرشيد ومعن بن زائدة عم يزيد المذكور ثم قال بعد هذا وقيل إن هذا الكلام من كلام يزيد بن مزيد (قلت أنا) وهذا لا يمكن أن يكون بين الرشيد ومعن لأن معنا قتل في خلافة أبي جعفر المنصور حسبما تقدم ذكره في ترجمته على الاختلاف في السنة وهو بعد الخمسين ومائة فكيف يمكن أن يقول له الرشيد ذلك والرشيد ولي الخلافة في سنة سبعين ومائة وذكر ابن عون في كتاب الأجوبة المسكتة أن الرشيد قال ليزيد المذكور وفي لعب الصوالجة كن مع عيسى بن جعفر فأبى يزيد فغضب الرشيد وقال أتأنف أن تكون معه فقال قد حلفت لأمير المؤمنين أن لا أكون عليه في جد ولا هزل ورأيت في بعض المجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال كنت مع يزيد بن مزيد فإذا صائح في الليل يا يزيد بن مزيد فقال علي بهذا الصائح فلما جيء به قال له ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم فقال نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر فتيمنت به فقال وما قال الشاعر فأنشد

إذا قيل من للمجد والجود والندى * فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع يزيد مقالته هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال أنا هو وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به ومائة دينار وقد أطلنا القول في هذه الترجمة لكن الكلام شجون يتعلق بعضه ببعض ومحاسن يزيد كثيرة وتوفي سنة خمس وثمانين ومائة ورثاه أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي الشاعر المشهور وقيل هذه المرثية لأبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري الشاعر المشهور والصحيح أنها للتيمي المذكور وهي

أحقا أنه أودى يزيد * تبين أيها الناعي المشيد * أتدري من نعيت وكيف فاهت

به شفتاك كان بها الصعيد * أحامي المجد والإسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تميد

تأمل هل ترى الإسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد * وهل شيمت سيوف بني نزار

وهل وضعت على الخيل اللبود * وهل تسقى البلاد عشار مزن * بدرتها وهل يخضر عود

أما هدت لمصرعه نزار * بلى وتقوض المجد المشيد * وحل ضريحه إذ حل فيه

طريف المجد والحسب التليد * أما والله ما تنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود

وإن تجمد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذي حسب جمود * أبعد يزيد تختزن البواكي

دموعا أو تصان لها خدود * لتبكك قبة الإسلام لما * وهت أطنابها ووهى العمود

ويبكك شاعر لم يبق دهر * له نشبا وقد كسد القصيد * فإن يهلك يزيد فكل حي

فريس للمنية أو طريد * لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

قلت وهذا البيت الأخير قد استعمله الشعراء كثيرا فمن ذلك قول مطيع بن إياس يرثي يحيى بن زياد الحارثي من جملة أبيات

فاذهب بمن شئت إذ ذهبت به * ما بعد يحيى للرزء من ألم

وقول أبي نواس يرثي الأمين

وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

وقول إبراهيم بن العباس الصولي يرثي ابنه

أنت السواد لمقلة * تبكي عليك وناظر * من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

مواضعه فهم يعملون تلاوة المثاني كنغمات الأغاني فوالذي أنزلها بالحق المبين وجعلها كلمة باقية إلى يوم الدين لئن لم ينتهوا عما هم فيه من المنكر المكروه ولم يرجعوا كلمة التوحيد إلى نهجها السديد ليمسنهم عذاب شديد وإنما الذي ندب إليه وحرض المؤمنون عليه تزيين الأصوات بالقرآن الجليل من غير تغيير فيه ولا تبديل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

(صورة السؤال)

چه حسنه دين وداور زمانه مفتى عصر وقدوه علما خواجه دين وداد واسلام در اين مسئله جواب اين شوهر بد در حالت كمال بلوغ كه بدارو وى اهتمام تمام تا به سال هر روز خواهم طلاق ثلاثه باد حرام شود با انفصال اين مركند هيچ ممكن بود بقول امام هركه كويد جواب أجرش را بدهد ذو الجلال والاكرام

(صورة الجواب)

كر خصوص عبارت حالف آنچنين شد تو وقت سوق كلام بطلب يتى شود تعيين محل بعد از آن عقد مى بسد بتمامى تردد نشد مذهب ذكر آن نشد توقف بعد رأى امام محقق و پيشواى خلق مقتداى مشايخ اسلام كفت آن را أبو

وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى ترجمة مسلم بن الوليد باسناد متصل الى أحمد بن أبى سعيد قال أهديت الى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل فلما رفع يده من الطعام وطئها فلم ينزل عنها الا ميتا وهو ببردعة فدفن فى مقابر بردعة وكان مسلم بن الوليد معه فى جملة أصحابه فقال يرثيه

قبر ببردعة استسر ضريحه * خطرا تقاصر دونه الاخطار
أبقى الزمان على ربيعة بعده * حزنا لعمر الله ليس بعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلا * حتى اذا سبق الردى بك حاروا
نفضت بك الاحلاس آمال المنى * واسترجعت نزاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

وقيل ان هذا البيت الاخير أبلغ شئ قيل فى المراثى وهذه الابيات فى كتاب الحماسة فى باب المراثى وبردعة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعدها دال مهملة ثم عين مهملة وهى مدينة من أقصى بلاد أذربيجان قلت هكذا رأيته فى التواريخ وأهل تلك البلاد يقولون بردعة من اقاليم اران والله أعلم ويقال برذعة أيضا بالذال المعجمة وكذلك برذعة الدابة يقال بالدال والذال وقد قيل ان مسلم بن الوليد انما رثى بهذه الابيات يزيد بن أحمد السلمى وقيل بل رثى بها مالك بن على الخزاعى وان أول الابيات * قبر بحلوان استسر ضريحه * لان الذى قيلت فيه مات بحلوان بضم الحاء المهملة وهى آخر مدينة بأرض السواد من أعمال العراق والله أعلم بالصواب فى ذلك كله وذكر أبو عبيد الله المرزبانى فى كتاب معجم الشعراء ان أبا الملواء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيبانى هو القائل

نعم الفتى فجعت به اخوانه * يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوو الارحام

وذكر أبو تمام الطائى هذه الابيات فى كتاب الحماسة فى باب المراثى لمحمد بن بشير الخارجى وقيل ابن بسير بالسين المهملة وهو فعيل من اليسر ويشير من البشارة وهو من خارجة عدوان قبيلة وليس من الخوارج والله أعلم بالصواب فى ذلك كله ورثاه منصور النمرى وهو فى كتاب الحماسة بقوله

أبا خالد ما كان أدهى مصيبة * أصابت معدا يوم أصبحت ثاويا
لعمرى لئن سر الاعادى فاظهروا * شماتا لقد مروا بربعك خاليا
فان يك أفنته الليالى وأوشكت * فان له ذكرا سيفنى اللياليا

وكان ليزيد ولدان نجيبان جليلان سيدان أحدهما خالد بن يزيد وهو ممدوح أبى تمام الطائى وله فيه أحسن المدائح وقد تضمنها ديوانه فلا حاجة الى ذكر شئ منها لشهرة ديوانه والآخر محمد بن يزيد كان موصوفا بالكرم وانه لا يرد طالبا فان لم يحضره مال لم يقل لا بل يعده ثم يعجل العدة ومدحه أحمد بن أبى فنن صالح بن سعيد بقوله ثم وجدت هذه الابيات لابى الشيص الخزاعى فى كتاب البارع

عشق المكارم فهو مشتغل بها * والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم تكن * سوق الثناء تعد فى الاسواق
بث الصنائع فى البلاد فأصبحت * تجبى اليه محامد الآفاق

وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المأمون فوصل اليها وفى صحبته أبو الشمقمق الشاعر الذى ذكرته فى هذه الترجمة فلما دخل خالد الى الموصل نشب اللواء الذى لخالد فى سقف باب المدينة فاندق فتطير خالد من ذلك فأنشده أبو الشمقمق ارتجالا

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فبلغ الخليفة ما جرى فكتب الى خالد بن يزيد قد زدناك ولاية ديار ربيعة كلها لكون رمحك استقل الموصل ففرح بذلك وأجزل جائزة أبى الشمقمق ولما انتقض أمر أرمينية فى أيام الواثق جهز اليها خالد بن يزيد المذكور فى جيش عظيم فاعتل فى الطريق ومات فى سنة ثلاثين ومائتين ودفن بمدينة دبيل ارمينية رحمه الله تعالى

السعود محشى كثير من مدارب أنام ولم يزل يفتح أقفال المشكلات ويسهل طرق المعضلات ويبث كنوز الرموز ويلقى مكامن عقار اللطائف على سواحل الظهور والبروز ويجيب عن الاسئلة السداد باجوبة حسان الى ان دعى من جنان ربه الى رياض الجنان (وكان ذلك فى أوائل جمادى الاولى من شهور سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة) وقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان وخلق لا يحصون كثرة وشهدوا له بالرحمة والرضوان وصلى عليه المولى سنان محشى تفسير البيضاوى فى جامع السلطان محمد خان وذهبوا به الى جوار أبى أيوب الانصارى وهم يبالغون فى شأنه ودفنوه فى حظيرة أعدها لنفسه وانشأه

سبحان من لم يزل عليا
ليس له فى العلو ثانى
قضى على خلقه المنايا
فكل حى سواه فانى

ولما تقاصر ظله وكان ظليلا لم يترك بعده مثيلا وعديلا وترك الافتاء وقد اضطرب بحره وعرى من غرر الفرائد نحره وتعطلت أسواقه النافقة وسكنت راياته الخافقة ولم يجد من يأخذه عنه ويحمل اثقله وتعبا قيل حريا بالقبول لا يعلم قدر البدر الا بعد الافول * كان رحمه الله من الذين

(ابو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذى العشيرة بن الحرث بن دال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مسروق بن يزيد بن يحصب الحميرى)

وبقية النسب من يحصب معروفة فلا حاجة الى ذكرها هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب غير انه لم يذكر ترجمة يزيد بل ذكرها صاحب الاغانى وأكثر العلماء يقولون هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زيادا وقال صاحب الاغانى انما قيل جده مفرغا لانه راهن على سقاء من لبن أن يشربه كله فشربه حتى فرغه فسمى مفرغا وذكر فى ترجمة حفيده السيد الحميرى فى كتاب الاغانى أيضا ان ابن عائشة قال مفرغ هو ربيعة ومفرغ لقب ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ والله أعلم وقال الفضل بن عبد الرحمن النوفلى كان مفرغ المذكور حدادا باليمن فعمل لامرأة قفلا وشرط عليها عند فراغه منه أن تعطيه لبن كرش فعملت فشربه ووضعه فقالت له ردّ على الكرش فقال ما عندى شئ أفرغه فيه فقالت لابد منه فرغه فى جوفه فقالت المثل فرغ فعرف به وهو من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبى وأبو عبيدة ان مفرغا كان شعابا بتبالة (قلت) تبالة بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفى آخرها هاء وهى بليدة على طريق اليمن للقادم من مكة وهذا المكان كثير الخصب ذكر فى الاخبار والامثال والاشعار وهى أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفى ولم يكن رآها قبل ذلك فسار اليها فلما قرب منها سأل عنها فقيل له انها وراء تلك الاكمة فقال لا خير فى ولاية تسترها أكمة ورجع عنها فتركها فضربت العرب بها المثل وقالت للشئ الحقير أهون من تبالة على الحجاج (قال الراوى) فادعى يزيد انه من حمير وهو حليف آل خالد بن أسيد بن أبى العيص الاموى وقيل انه كان عبدا للضحاك بن عوف الهلالى وأنعم عليه وكان يزيد شاعرا غزلا محسنا والسيد الحميرى الشاعر المشهور من ولده وهو اسمعيل بن محمد بن بكار ابن يزيد المذكور كذا ذكره ابن ماكولا فى كتاب الاكمال ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم وهو من كبار الشيعة وله فى ذلك أخبار وأشعار مشهورة ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الاموى وكان قد أحسن مروان اليه

وأقمتموا سوق الثناء ولم تكن * سوق الثناء تقام فى الاسواق

فكأنما جعل الاله اليكمو * قبض النفوس وقسمة الارزاق

والبيت الاول من هذين البيتين تقدم ذكره فى ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى منسوبا الى أحد بنى أبى حفصة الشاعر المشهور يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات والله أعلم بالصواب فى ذلك ولما ولى سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه خراسان عرض على يزيد بن مفرغ أن يصحبه فأبى ذلك وصحب عباد بن زياد ابن أبيه فقال له سعيد أما اذا أبيت أن تصحبنى وآثرت صحبة عباد فاحفظ ما أوصيك به ان عبادا رجل لئيم فاياك والدالة عليه وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة منه لك عن نفسك وأقلل زيارته فانه ملول ولا تفاخره وان فاخرك فانه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله ثم دعا سعيد بمال فدفعه اليه وقال له استعن به على سفرك فان صح لك مكانك من عباد والا فمكانك عندى ممهد فأتنى ثم سار سعيد الى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد فلما بلغ عبيد الله بن زياد أمير العراقين صحبة يزيد أخاه عبادا شق عليه فلما سار عباد شيعه أخوه عبيد الله وشيعه الناس وجعلوا يودعونه فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له انك سألت عبادا أن يصحبك فاجابك وقد شق على فقال له ولم أصلحك الله فقال لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر فى موضع العذر وان عبادا يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكسونا شرا وعارا فقال له لست كما ظن الامير وان لمعروفه عندى شكرا كثيرا وان عندى ان أغفل أمرى عذرا ممهدا فقال لا ولكن تضمن لى ان أبطأ عليك ما تحبه أن لا تعجل عليه حتى تكتب الى قال نعم قال امض اذا على الطائر الميمون قال فقدم عباد خراسان وقيل سجستان فاشتغل بحروبه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب الى أخيه عبيد الله بن زياد

نعمه فوامض القضايا فصل والمعارف على سنامها وغاربها وضرب بشأنه نوبة الامتياز فى مشارق الارض ومغاربها ونزو فى ميدان فضله فلم يجاره أحد وضاقت عن احاطته صدور الحصر والحد ما صارع أحدا الا صرعه وما صعب شأ الا قطعه انقطع عن القرين ولم يبق من يعارضه ويكايده وقد وصل تلاميذه وأحبابه الى المناصب العلية والمراتب السنية فكان لا يتسع منه كلام ولا يفوت له مرام ولو تكلم فى نقل الجبال الراسيات والاطواد الشامخات لاتركالا منها شد الحر واحتمله الدهر لالتفت لديه زمامه وحصل له من الجد والاقبال والشرف والافضال ما لا يمكن شرحه بالمقال وقد ساقه الدرس والفتوى والاشتغال بما هو أهم وأقوى عن التفرغ للتصنيف سوى أنه اختلس فرصا وصرفها الى التفسير الشريف وقد أتى فيه بما تستحسنه الاذهان ولم تقرع به الآذان فصدق المثل السائر كم ترك الاول للآخر وسماه بارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ولما وصل منه الى آخر سورة ص ورد التقاضى من طرف السلطان سليمان خان وظهر كمال الرغبة والانتظار فلم يمكن التوقف والانتظار فبيض الموجود

يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه وكان عباد كبير اللحية كأنها جوالق فسار ابن مفرغ مع عباد يوماً فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جانبه

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً * فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى به اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال لا تجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لي وما أؤخرها الا لاشفي نفسي منه فانه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواضع وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال اني لأجد ريح الموت من عباد ثم دخل عليه فقال أيها الامير اني قد كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في وجميل أثره علي وقد اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لي بالرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال له أما اختيارك اياي فقد اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وطلبت الآن الاذن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الاذن قادر بعد أن أقضي حقك وبلغ عباداً أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه فدس الى قوم كان لهم عليه دين أن يقدموه اليه ففعلوا فحبسه وضربه ثم بعث اليه أن بعني الاراكة وبرداً وكانت الاراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث اليه ابن مفرغ مع الرسول أيبيع المرء نفسه وولده فأخذهما عباد منه وقيل انه باعهما عليه فاشتراهما رجل من أهل خراسان فلما دخل الى منزله قال له برد وكان داهية أديباً أتدري ما اشتريت قال نعم اشتريتك وهذه الجارية قال لا والله ما اشتريت الا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حييت ففزع الرجل وقال له كيف ذلك ويلك قال نحن ليزيد بن مفرغ والله ما أصاره الى هذه الحالة الا لسانه وشره أفتراه يهجو عباداً وهو أمير خراسان وأخوه عبيد الله أمير العراقين وعمهما الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ان استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك فقال أشهدك انك وإياها له فان شئتما أن تمضيا اليه فامضيا وعلى أني أخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد وان شئتما أن تكونا له عندي فافعلا قال فاكتب اليه بذلك فكتب الرجل الى ابن مفرغ الى الحبس بما فعله فكتب اليه يشكر فعله وسأله ان يكونا عنده حتى يفرج الله عنه وقال عباد لحاجبه ما أرى هذا يعني ابن مفرغ يبالي بالمقام في الحبس فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبسه بها فقال ابن مفرغ في بيعهما

شريت برداً ولو ملكت صفقته * لما تطلبت في بيع له رشدا * لولا الدعي ولولا ما تعرض لي

من الحوادث ما فارقته أبدا * يا برد ما مسنا دهر أضر بنا * من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

معنى شريت بعت وهو من الاضداد يقع على الشراء والبيع والابيات أكثر من هذا فتركت الباقي وعلم ابن مفرغ انه ان أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه شراً فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسه رجل أدبه أميره ليقوم من أوده ويكف من غربه وهذا لعمري خير من جر الامير ذيله على مداهنة صاحبه فلما بلغ ذلك عباداً رق له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها الى الشام وجعل يتنقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولده فمن ذلك قوله في تركه سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه واتباعه عباد بن زياد ويذكر بيع برد عليه

أصرمت حبلك من امامه * من بعد أيام برامه * فالريح تبكي شجوها
والبرق يضحك في الغمامه * لهفي على الامر الذي * كانت عواقبه ندامه
تركي سعيداً ذا الندى * والبيت ترفعه الدعامه * ليثاً اذا شهد الوغى
ترك الهوى ومضى أمامه * فتحت سمرقند له * وبنى بعرصتها خيامه
وتبعت عبد بني علاج * تلك أشراط القيامة * جاءت به حبشية
سكاء تحسبها نعامه * من نسوة سود الوجوه * ترى عليهن الدمامه
وشريت برداً ليتني * من بعد برد كنت هامه

وأرسله الى الباب العالي جامع أشتات المحاسن والمعاني صهره المولى محمد المشتهر بابن المعلول فقابله السلطان بحسن القبول وأنعم عليه بالنعم وزاد في وظيفته كل يوم خمسمائة درهم وقال في تاريخه محمد المشتهر بالمنشي (شعر)

ان سلطان سرير السنن
حفظه الله بسعد راكز
أبرز اليوم لنا تفسيره
باسمه كل أريب رائز
بحر علم زاخر أمواجه
قد علت كل لبيب فائز
كيف يجاري وحلاياه لقد
سحرت كل أديب راجز
أذوقي ذاك امام الامة
قد حباه صباغ ناجز
هام المعالي اذا يعتني
شاطباً كل غوي ناخر
أيها المنشي قل تاريخه
باح تفسير كلام معجز

وبعد ذلك تيسر له اتمام درج تفسيره بالكمال والتمام وقد أرسله الى السلطان ثانياً بعد اتمامه فقابله السلطان بحسن بدائعه وانعامه وزاد في وظيفته مائة أخرى سوى ما قدر له وأجرى وله الرتبة العالي حسن بك وهو من خدام الوزير الاعظم رستم باشا قرأ عليه دروساً من الكشاف من أول سورة الفتح فكتب رحمه الله حواشي على الكتاب المزبور مع قلة الاسفار وكثرة الاسفار حيث كان المرحوم يومئذ قاضياً بالعسكر في جمع السلطان

ياهامة تدعو صدى * بين المشقر واليمامه * فالهول يركبه الفتى
حذر المخازي والسآمه * والعبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

قلت قوله وتبعت عبد بني علاج بنو علاج بطن من ثقيف وسيأتي ذكره عند ذكر الحرث بن كلدة في هذه الترجمة ان شاء الله تعالى قاله أبو بكر بن دريد في كتاب الاشتقاق وأنشد عليه

آل أبي بكرة استفيقوا * هل تعدل الشمس بالسراج
ان ولاء النبي أعلى * من دعوة في بني علاج

وهذا القول له سبب نذكره عند ذكر أبي بكرة نفيع بن الحرث في هذه الترجمة ان شاء الله تعالى وقوله في البيت الآخر * سكاء تحسبها نعامه * يقال أذن سكاء اذا كانت صغيرة والسكاء أيضا التي لا أذن لها والعرب تقول كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد والشرقاء التي لها أذن طويلة والسكاء بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والشرقاء بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف والضابط عندهم في ذلك ان كل حيوان له أذن ظاهرة فانه يلد وكل حيوان ليست له أذن ظاهرة فانه يبيض (قال الراوي) ثم ان ابن مفرغ لج في هجاء بني زياد حتى تغنى أهل البصرة بأشعاره فطلبه عبيد الله طلبا شديدا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشام واختلف الرواة فمن رده الى ابن زياد فقال بعضهم رده معاوية بن أبي سفيان وقال بعضهم بل رده يزيد بن معاوية والصحيح انه يزيد لان عبادا انما ولي سجستان في أيام يزيد (قلت ثم) ذكر صاحب الاغاني عقيب هذا الفصل ان سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية أما قولك ان أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله ان عثمان لخير مني وأما قولك ان أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وينجب ولدها وأما قولك انك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني ان لي بيزيد ملء الغوطة مثل ذهبا مثلك وأما قولك انكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وانما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الامر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان * رجعنا الى حديث ابن مفرغ (قال الراوي) ولم يزل ينتقل في قرى الشام وهو يهجو بني زياد وأشعاره تنقل الى البصرة فكتب عبيد الله بن زياد أمير العراق الى معاوية وقيل الى يزيد وهو الاصح يقول له ان ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى الى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده وهرب من سجستان وطلبته حتى لفظته الارض وهرب الى الشام يمضغ لحومنا ويهتك اعراضنا وقد بعثت اليك بما قد هجانا به لتنصفنا منه ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم فأمر يزيد بطلبه فجعل ينتقل في البلاد حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الاحنف ابن قيس قلت وهو الذي يضرب به المثل في الحلم وقد سبق ذكره واسمه الضحاك قال فاستجار به فقال له الاحنف اني لا أجير على ابن سمية فاغزك وانما يجير الرجل على عشيرته واما على سلطانه فلا ثم انه مشى الى غيره فلم يجره أحد فاستجار المنذر بن الجارود العبدي وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد وكان المنذر من أكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضعه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له أجاره المنذر ابن الجارود فبعث عبيد الله الى المنذر فأتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ فلم يشعر ابن الجارود الا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه فقام ابن الجارود الى عبيد الله فكلمه فيه فقال أذكرك الله أيها الامير أن تخفر جواري فاني قد أجرته فقال عبيد الله يا منذر انه ليمدحن أباك ويمدحك وقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي لاها الله لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له فغضب المنذر فقال له لعلك تدل بكريمتك عندي ان شئت والله لأبتها بتطليقة البتة فخرج المنذر من عنده وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له بئس ما صحبت به عبادا فقال بئس ما صحبني عباد اخترته لنفسي على سعيد بن عثمان وأنفقت على صحبته

ثم حضر السفر فتنقلوا في البلاد ونازلوا قلعة بلغراد ولما وقع الخلاف بينه وبين المولى محمد المشتهر بجوي زاده في جواز وقف النقود الذي شاع في هذه الديار وجرى عليه التعامل في تلك الاقطار كتب رحمه الله رسالة حقق فيها جوازه وأكثر من الدلائل والنقول الدالة على جواز وقف النقود الذي جرى عليه التعامل سيما من الفحول * وله رحمه الله حاشية على العناية من أول كتاب البيع من الهداية نسعها عدة من الكراريس والاوراق وقد منع الزيادة كثرة القيود وتواتر الفتوى من الآفاق وكان رحمه الله طويل القد خفيف العارض غير متكلف في الطعام واللباس غير أنه فيه نوع عمد اعتنوا كثرات عبارات الناس وفيه الميل الزائد والنعومة الى أرباب الرياسة والحكومة وكان رحمه الله ذا مهابة عظيمة وقوة جسيمة قلما يعرق عن السنة العظام المبادرة بالخطاب والكلام وكان واسع التقرير سائغ التحرير يلتقط الدرر كلها ويتناثر الجوهر من حكمه اذا نثر تراه بحرا زاخرا واذا نظم قلد جيد البيان دررا فاخرا وكتب رحمه الله صورا تتعلق بأوقاف الملوك والوزراء وقد أربى فيه على من تقدم

٣ قوله فهجا ملئك كذا بالاصل ولعله انا ما مثلك أو ذهبا مع مثلك فليحرر اه

٣ قوله ابن عبد مناف سقط هنا الخامس وهو جد من أجداد الشافعي بدليل ما بعده وابتقاطر من هو اه

جميع ما أملكه وظننت انه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش تعدل عن ظني كله ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فاراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا وما هربت من أحد الا لمخافة أن يجري فيما يندم عليه وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما شئت فامر بحبسه وكتب الى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله فكتب اليه يزيد اياك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا يبلغ نفسه فان له عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع الا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انه اجد منهم ومني وانك ترحمن بنفسه والثقي دون تأنيبهم امتدوحة تشقى من الغيظ فورد الكتاب على عبيد الله فامر بابن مفرغ فسقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم وحمل على حمار فاسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط فقيل لعبيد الله لا تأمن أن يموت فامر به أن يغسل ففعلوا فلما اغتسل قال

يغسل الماء ما فعلت وقولي * راسخ منك في العظام البوالي

فرده عبيد الله الى الحبس وقيل لعبيد الله كيف اخترت له هذه العقوبة فقال لانه سلح علينا فاحببت ان تسلح الخمر عليه وكان مما قاله ابن مفرغ في عباد بن زياد من جملة أبيات عديدة

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب قعبك بانصداع * فاشهد ان أمك لم تباشر

أبا سفيان واضعة القناع * ولكن كان أمر فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال أيضا ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة عن الرجل اليماني

أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني * فاشهد ان رحمك من زياد

كرحم الفيل من ولد الاتان * واشهد انها ولدت زيادا * وصخر من سمية غير دان

قلت قوله فاشهد أن رحمك من زياد البيت الثالث أخذه من قول أبي الوليد وقيل أبي عبد الرحمن حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه في بيت من جملة أبيات وهي قوله

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

الال بكسر الهمزة وتشديد اللام وهو الرحم والسقب بفتح السين المهملة وسكون القاف وبعدها باء موحدة وهو الذكر من ولد الناقة والرأل بفتح الراء وبعدها همزة وفي آخره لام وهو ولد النعام وهذه الابيات قالها حسان في أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أخاه من الرضاعة أرضعتهما حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية وكان من أكثر الناس شبها برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له هجاء وكان حسان يجاوب عنه فمن ذلك هذه الابيات الميمية ومن ذلك قوله أيضا

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء * هجوت محمدا فاجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء * أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وقوله فشركما لخيركما الفداء فيه كلام لاهل العلم لاجل خير وشر لانهما من ادوات التفضيل وتقتضي المشاركة وانما أجابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك قلت والجماعة الذين كانوا يشبهون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته خمسة أبو سفيان المذكور والحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وقثم بن العباس بن عبد المطلب ٣ بن عبد مناف وهو جد الشافعي رضي الله عنهم أجمعين ثم ان أبا سفيان اسلم عام الفتح وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة وحسن اسلامه وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وحنين ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع المسلمون اليهم وكانت النصرة لهم وكسبوا من الغنائم ستة آلاف رأس من الرقيق ثم من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فأطلقهم والشرح في ذلك يطول وليس هذا موضعه وكان أبو سفيان

المذكور

وثم ما يدل على غاية رسوخ القدم (ومن زواهر) درر عبابه ما كتبه في رسالة أرسلها الى أحبابه قال رحمه الله وأما حال البعاد من آلام النأي والبعاد وما دهمه من تباريح الشوق والغرام واعتراه من لواعج الوجد والاوام مذ غاب طلعتكم عن العين ونعب بيننا غراب البين وزمت الركاب للترحال وانبت من بيننا حبل الاتصال فلا يحيط بها نطاق الحصر ولا يعلمها الا العليم الخبير

(وله فيها)

يا بانة وعد له بفؤادي
كيف البعاد وأين فاتمتاز
زمت ركائبك الرحيل بدولة
الله بارك حين تمتاز
وجسدي وأشواق البلد
محققة
والشوق منه محقق ومجاز

(وله من المنظوم) ما يستميل الاذواق السليمة بلذائذ معناه الكريمة (ومنها) قصيدته الميمية التي شهد الاساطين برصانة بنائها واعتنى الافاضل بشرحها وبيانها وقد عارض فيها ميمية الفاضل السري امام هذا الشأن أبي العلاء المعري وقد أثبت منها بعض أبياته ليكون من آياته (قصيدة)

أبعد سليمى مطلب ومرام
وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة
ودون ذراها موقف ومقام
وهيهات ان يثني الى غير بابها

المذكور يومئذ ممسكا لجام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اني لأرجو أن يكون خلفا من حمزة بن عبد المطلب وشهد له بالجنة فقال أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة أو سيد فتيان أهل الجنة والله أعلم وأكثر العلماء يقولون اسمه كنيته ليس له اسم سواها وقيل اسمه المغيرة وقيل المغيرة أخوه وهو أبو سفيان لا غيره ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه لما تقدم من هجائه (رجعنا الى حديث ابن مفرغ) وهو من شعراء الحماسة وهو القائل

ألا طرقتنا آخر الليل زينب * سلام عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا * فكيف وأنتم حاجتي أتجنب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل خطب الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وذكر مظفر الاندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الابيات

فلو أن لحمي اذ وهى لعبت به * كرام ملوك او اسود واذؤب
لهون من وجدي وسلى مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكلب

ولما بلغ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وفاة معاوية بن أبي سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة فكاتبه جماعة من أهلها كما هو مشهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه فكان في تلك المدة يتمثل كثيرا بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات

لا ذعرت السوام في غلس الصبح * مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى على المخافة ضيما * والمنايا يرصدنني أن أحيدا

فعلم من سمع ذلك منه انه سينازع يزيد بن معاوية في الامر فخرج الحسين الى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله ابن زياد فلما قرب منها سير اليه جيشا مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وجرى ما جرى وروي ان معاوية بن أبي سفيان كتب الى الحسين رضي الله عنه اني لاظن في رأسك نزوة ولا بد للشيء من اظهارها وددت لو أدركتها فاغتفرها لك وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه قال لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر الغداني ما تقول في وفي الحسين يوم القيامة قال يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم ويشفع لك أبوك وجدك فاعرف من ههنا ما تريد ونقلت من تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ الذي سماه مرآة الزمان ورأيته بخطه في أربعين مجلدا بدمشق وقد رتبه على السنين فقال في السنة التاسعة والستين للهجرة بعد أن قص حديث يزيد بن مفرغ مع بني زياد فقال في آخر الحديث مات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين للهجرة والله أعلم وقال أبو اليقظان في كتاب النسب مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بجرود قلت وجرود بفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال مهملة وهي قرية من أعمال دمشق من جهة حمص ويكون في أرضها من حمر الوحش شيء كثير يجاوز الحصر ولما وصل بعض عسكر الديار المصرية الى الشام في أثناء سنة ستين وستمائة وتوجهوا بعسكر الشام الى انطاكية وكنت يومئذ بدمشق أقاموا عليها قليلا ثم عادوا فدخلوا مصر في سلخ شعبان من السنة وأخبرني بعضهم بقضية غريبة يصلح أن نذكرها هنا لغرابتها وهي أنهم نزلوا على جرود المذكورة واصطادوا من الحمر الوحشية شيئا كثيرا على ما قالوا فذبح واحد من الجماعة حمارا وطبخه الطبخ المعتاد فلم ينضج ولا قارب النضج فزاد في الحطب والايقاد فلم يؤثر فيه شيئا ومكث يوما كاملا يفعل ذلك وهو لا يفيد شيئا فقام شخص من الجند وأخذ الرأس يقلبه فوجد على أذنه وسما فقرأه فاذا هو بهرام جور فلما وصلوا الى دمشق أحضروا تلك الاذن عندي فوجدت الوسم ظاهرا وقد رق شعر الاذن الى ان بقي كالهباء وموضع الوسم بقي أسود وهو بالقلم الكوفي وهذا بهرام جور من ملوك

عفت أن العطايا أو يشد حوام
هي الغاية القصوى فان
فات نيلها
فكل منى الدنيا على حرام
سلا النفس عنها واطمأنت
بنأيها
سلو رضيع قد عراه فطام
وحسب سقاه الدهر سلوان
رشده
فأمسى وما للقلب منه هيام
صحا عن سلاف الغي بعد
انتهائه
عليه قبال الكأس عنه
وجام
محوت نقوش الجاه عن لوح
خاطري
فأمحى كأن لم يجر فيه سلام
نسيت أساطير الفخار كأنها
حديث ليال قد مضاه نيام
أنست بلأواء الزمان وذله
فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم أعاني تيهها ودلالها
ألم يأن عنها سلوة وسآم
على حين شيب قد ألم بمفرقي
وعاد دهام الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد أغارت
على القوى
ونار كيدان المراح قتام
فلا هي في برج الجمال مقيمة
ولا أنا في عهد الهوى مدام
وعادت قلوص العزم عنها
كليلة
وقد جب منها غارب وسنام
(وله)
مكم عشرتما أو رثت غمم
عسرة
ورب كلام في القلوب كلام
لقد تم أزمان المسرات
وانقضت
لكل زمان غاية وتمام

الفرس وكان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل وكان من عاداته انه اذا كثر عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه والله أعلم كم كان عمر الحمار المذكور والله أعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش وعلى الجملة فان حمار الوحش من الحيوانات المعمرة وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أو أكثر وهذه حمر وحش في أرضها جبل المدخن المشهور وقد ذكره أبو نواس في قصيدته التي ذكر فيها المنازل لما قصد الخصيب بمصر فقال

واقفر اشراقا كأنس تدمر * وهن الى رعن المدخن صور

والمدخن بضم الميم وبالدال المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وبعدها نون وسمي المدخن لانه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب ثم بعد هذا وجدت في كتاب مفاتيح العلوم تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الخوارزمي أن بهرام جور هو بهرام بن سابور ذي الاكتاف وسمي بهرام جور لانه كان مولعا بصيد العير وهو الحمار الوحشي والاهلي أيضا انتهى كلامه ثم حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت الى سنة الهجرة النبوية مقدار مائتين وست عشرة سنة فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور الى ان ذبح في سنة ستين وستمائة مقدار ثمانمائة سنة أو أكثر والله أعلم قلت وقد تكرر في هذه الترجمة ذكر زياد وبنيه وسمية وأبي سفيان ومعاوية وهذه الاشعار التي قالها يزيد بن مفرغ فيهم ومن لا يعرف هذه الاسباب قد يتشوف الى الاطلاع عليها فنورد منها شيأ مختصرا فاقول ان أبا الجبر الملك الذي ذكره أبو بكر بن دريد في المقصورة المشهورة في البيت الذي يقول فيها وهو

وخامرت نفس أبي الجبر الجوى * حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

كان أحد ملوك اليمن واسمه كبشة وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندي وقيل أبو الجبر بن عمرو فتغلب عليه قومه فخرج الى بلاد فارس يستجيش عليهم كسرى فبعث معه جيشا من الاساورة فلما ساروا الى كاظمة وقاربوا وحشة بلاد العرب وراوا قفرها قالوا الى أين نمضي مع هذا فعمدوا الى سم فدفعوه الى طباخه ووعدوه بالاحسان اليه ان ألقى ذلك السم في طعام الملك ففعل ذلك فاستقر الطعام في جوفه حتى اشتد وجعه فلما علم الاساورة ذلك دخلوا عليه فقالوا له انك قد بلغت الى هذه الحالة فاكتب لنا الى الملك كسرى انك قد أذنت لنا في الرجوع فكتب لهم بذلك ثم ان أبا الجبر خف ما به فخرج الى الطائف البلدة التي بقرب مكة وكان بها الحرث بن كلدة طبيب العرب الثقفي فعالجه فابرأه فاعطاه سمية بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وفي آخرها هاء وعبيدا بضم العين المهملة تصغير عبد وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر في جملة ما أعطاه ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن فانتقضت عليه العلة فمات في الطريق ثم ان الحرث بن كلدة الثقفي زوج عبيدا المذكور سمية المذكورة فولدت سمية زيادا على فراش عبيد وكان يقال له زياد بن عبيد وزياد بن سمية وزياد ابن أبيه وزياد ابن أمه وذلك قبل أن يستلحقه معاوية كما سيأتي ان شاء الله تعالى وولدت سمية أيضا أبا بكرة نفيع بن الحرث بن كلدة المذكور ويقال نفيع بن مسروح وهو الصحابي المشهور بكنيته رضي الله عنه وولدت أيضا شبل بن معبد ونافع بن الحرث وهؤلاء الاخوة الاربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بالزنا وسيأتي شرح ذلك بعد الفراغ من حديث زياد ان شاء الله تعالى وكان أبو سفيان صخر بن حرب الاموي والد معاوية بن أبي سفيان يتهم في الجاهلية بالتردد الى سمية المذكورة فولدت سمية زيادا في تلك المدة لكنها ولدته على فراش زوجها عبيد ثم ان زيادا كبر وظهرت منه النجابة والبلاغة وهو أحد الخطباء المشهورين في العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الاشعري رضي الله عنه على البصرة فاستكتب زيادا ابن أبيه ثم ان زيادا قدم على عمر رضي الله عنه من عند أبي موسى فأعجبه عمر رضي الله عنه فأمر له بالف درهم ثم تذكرها بعد ما مضى فقال لقد ضاع ألف أخذها زياد فلما قدم عليه بعد ذلك قال له ما فعل ألفك يا زياد قال اشتريت بها عبيدا فاعتقته يعني أباه فقال ما ضاع ألفك يا زياد هل أنت حامل كتابي الى أبي موسى الاشعري في عزلك عن كتابته قال نعم يا أمير المؤمنين ان لم يكن ذلك عن سخطة قال ليس عن سخطة قال فلم

فسرعان ما مرت وولت ليتها
تدوم ولكن ما لهن دوام
دهور تقضت بالمسرة ساعة
وآن تولى بالمساءة عام
فلله در الغم حيث أمدني
بطول حياة والغموم حمام
أرى عمر نوح كل عام قرب
وساعاتها حول لذلك وعام
فعاشت لا أنسى حقوق صنيعة
وهيهات ان ينسى لدي ذمام
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت
عليه فتام اتزالة فتام
تبدلت الاطوار واحلل عقدها
وبدد من جيد الزمان نظام
تعطلت أعلام المعارف والهدى
وشبت نيران الضلال ضرام
وكان سرير العلم صرحا ممردا
يناغي القباب السبع وهي عظام
مشيدة فيه الاعلام عزايه
عزيزا منيعا لا يكاد يرام
له شرف قد جل عن أن يناله
غوائل أيدي الحادثات فدام
تقصرت عليه الراسيات ذيولها
تقرت عروشه ثم عام
عفا الذاريات الهوج آيات منه
فلم يبق منها آية ورسام
وسيق الى دار المهانة أهله
مساق أسير لا يزال يضام
فيا كل قيل قيل علم وحكمة
وما كل افراد الحديد حسام
فللدهر تارات تمر على الورى
نعيم وبؤس صحة وسقام

تامغيره

تأمر بذلك قال كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك واستكتب أبو موسى بعد زياد أبا الحصين بن أبي
الحر العنبري فكتب الى عمر رضي الله عنه كتاباً فلحن في حرف منه فكتب اليه ان قنع كاتبك سوطاً وكان
عمر رضي الله عنه اذا وفد عليه من البصرة رجل احب أن يكون زياداً لبشيره من الخبر وكان عمر رضي الله عنه
قد استعمله على بعض اعمال البصرة ثم عزله وقال ما عزلتك بخزية ولكن كرهت أن احمل الناس على فضل
عقلك وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع
الناس مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو
سفيان اني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن هو يا أبا سفيان قال
أنا قال مهلاً يا أبا سفيان فقال أبو سفيان

أما والله لولا خوف شخص * يراني يا علي من الأعادي * لأظهر أمره صخر بن حرب
وان تكن المقالة عن زياد * وقد طالت مجاملتي ثقيفا * وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فلما صار الأمر الى علي رضي الله عنه وجه زياداً الى فارس فضبط البلاد وحمى وأصلح الفساد فكاتبه
معاوية يروم افساده على علي رضي الله عنه فلم يفعل ووجه بكتابه الى علي رضي الله عنه وفيه شعر تركته
فكتب اليه علي اني وليتك ما وليتك الا وأنت أهل لذلك عندي ولن تدرك ما تريد مما أنت فيه الا بالصبر
واليقين وانما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا تستحق بها نسباً ولا ميراثاً وان معاوية يأتي
المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد لي أبو الحسن ورب
الكعبة فذلك الذي جرأ يزيد بن معاوية على ما صنع فلما قتل علي رضي الله عنه وولي الحسن رضي
الله عنه ثم فوض الأمر الى معاوية كما هو مشهور اراد معاوية استمالة زياد اليه وقصد تأليف قلبه ليكون
معه كما كان مع علي رضي الله عنه فتعلق بذلك القول الذي صدر من أبيه بحضرة علي وعمرو بن العاص
فاستلحق زياداً في سنة أربع وأربعين للهجرة فصار يقال له زياد بن أبي سفيان فلما بلغ أخاه أبا بكرة ان
معاوية استلحقه حلف أن لا يكلمه أبداً وقال هذا زنى أمه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت
سمية رأت أبا سفيان قط ويله ما يصنع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم أيريد أن يراها
فان حجبته فضحته وان رآها فيا لها من مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة فحج زياد في
زمن معاوية ودخل المدينة فاراد الدخول على أم حبيبة لأجل انه عند نفسه أخوها بزعم معاوية ثم ذكر قول أخيه
أبي بكرة فانصرف عن ذلك وقيل ان أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها وقيل انه حج ولم يزر من أجل
قول أبي بكرة وقال جزى الله أبا بكرة خيراً فما يدع النصيحة على كل حال ووفد زياد على معاوية وهو أميره
وحمل معه هدايا جليلة من جملتها عقد نفيس فأعجب به معاوية فقال زياد يا أمير المؤمنين دوخت لك العراق
وجبيت لك برها وبحرها وحملت اليك لبها وقشرها فقال له يزيد بن معاوية ان تفعل ذاك فانا نقلناك
من ثقيف الى قريش ومن عبيد الى أبي سفيان ومن القلم الى المنابر فقال له معاوية حسبك ورثت
زنادي وقال أبو الحسن المدائني أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن ابن اسحق قال اشترى زياد أباه عبيداً فقدم
على عمر رضي الله عنه فقال له ما صنعت بأول شيء أخذته من عطائك قال اشتريت به أبي قال فأعجب ذلك
عمر رضي الله عنه وهذا ينافي استلحاق معاوية اياه ولما ادعى معاوية زياداً دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد
الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم الأموي فقال له يا معاوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت بهم علينا
قلة وذلة فأقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم وقال أخرج عنا هذا الخليع فقال مروان والله انه لخليع
ما يطاق فقال معاوية والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت انه يطاق ألم يبلغني شعره فيّ وفي زياد ثم قال لمروان
اسمعنيه فقال

ألا أبلغ معاوية بن حرب * لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى ان يقال أبوك زان

وقد تقدم ذكر بقية هذه الأبيات منسوبة الى يزيد بن مفرغ وفيها اختلاف هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبد

تشكل فيها كل شيء يشكل ما
يعاينه والناس عنه نيام
فعز يهون والهوان بعزة
تنبه فيها تبسل الحياة منام
وطاب عن اللذات واهجر زلالها
وأيقن بأن الري منه أوام
ترى النقص في زي الكمال كأنها
على رأس ربات الحجال عمام
قد هوا وما فيها هنيئاً لأهلها
ولا بد فيها جميعه وسوام
هبات مقاليد الأمور ملكتها
ودانت لك الدنيا وأنت همام
حيث خراب الملك فيه ابتداؤه
وفزت بسلم تستطعه آثام
وتمتعت باللذات دهراً بغبطة
أليس يقيناً بعد ذلك حمام
فبين الرزايا والبلاد تباين
وبين المنايا والنفوس لزام
سل الأرض عن حال الملوك التي خلت
ألهم فوق فرق الفرقدين مقام
أتجيبهم الوفد من خميس عرمرم
ألهم شوكة تحمي الثغور وعرام
فحل بهم على ماهم عليه ودوامهم
من العز حتى تحتضر دونهم عزلهم
وما بال الذي الأوتاد ما خطب قومه
وما سمعت عاد وابن ارام
وما شأن شداد وهل نهى مالك
جنته والعيش منه سلام
ألم يهم ريب المنون فغالهم
فهم تحت أطباق الرغام رغام

الرحمن بن الحكم فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الاول على تلك الصورة ومن رواها لعبد الرحمن رواها على هذه الصورة ولما استلحق معاوية زيادا وقربه وأحسن اليه وولاه صار من أكبر الاعوان على بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قيل انه لما كان أمير العراقين طلب رجلا يعرف بابن سرح من أصحاب الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان في الامان الذي كتب لاصحاب الحسن رضي الله عنه لما نزل عن الخلافة لمعاوية فكتب الحسن الى زياد من الحسن الى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لاصحابنا من الامان وقد ذكر لي ابن سرح انك عرضت له فأحب ان لا تعرض له الا بخير والسلام فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه ولم ينسبه الى أبي سفيان غضب وكتب اليه من زياد بن أبي سفيان الى الحسن أما بعد فانه أتاني كتابك في فاسق تأويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك وايم الله لاطلبنه ولو كان بين جلدك ولحمك وان احب الناس الى لحما أن آكله للحم أنت منه فلما قرأه الحسن رضي الله عنه بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد من معاوية بن أبي سفيان الى زياد أما بعد فان الحسن بن علي بعث الي بكتابك اليه جواب كتاب كتبه اليك في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وقد علمت ان لك رأيين رأيا من أبي سفيان ورأيا من سمية فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم وأما رأيك من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تسبه وتعرض له بالفسق ولعمري لانت أولى بذلك منه فان كان الحسن ابتدأ بنفسه ارتفاعا عنك فان ذلك لن يضعك وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك فاذا أتاك كتابي فخل ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فيه فقد كتبت الى الحسن يخيره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده وانه ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان وأما كتابك الى الحسن باسمه ولا تنسبه الى ابيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم الى أمه وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذاك أفخر له ان كنت عقلت والسلام (قوله لا يرمى به الرجوان) بفتح الراء والجيم وهو لفظ مثنى ومعناه المهالك قلت وقد رويت هذه الحكاية على صورة أخرى وهي كان سعيد بن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما قدم زياد ابن أبيه الكوفة واليا عليها أخافه وطلبه فأتى المدينة فنزل على الحسن بن علي رضي الله عنه فقال له الحسن ما السبب الذي أزعجك وأزعجك فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب اليه الحسن اما بعد فانك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت عليه داره وأخذت ماله وعياله فاذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فاني قد أجرته فشفعني فيه فكتب اليه زياد من زياد بن أبي سفيان الى الحسن بن فاطمة أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب للحاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وكتابك الي في فاسق لا يأويه الا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته اقامة منك على سوء الرأي ورضى بذلك وايم الله لا تسبقني اليه ولو كان بين جلدك ولحمك فان أحب لحم الي ان آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته الى من هو أولى به منك فان عفوت عنه لم أكن شفعتك وان قتلته لم أقتله الا بحبه اباك فلما قرأ الحسن رضي الله عنه الكتاب كتب الى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه اليه وكتاب زياد فيه واجابة زياد اياه ولف كتابه في كتابه وبعث به اليه وكتب الحسن الى زياد من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زياد بن سمية عبد بني ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر فلما قرأ معاوية كتاب الحسن رضي الله عنه ضاقت به الشام وكتب الى زياد أما بعد فان الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بعث الي بكتابك جواب كتابه اليك في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمري لانت أولى بالفسق من الحسن ولابوك اذ كنت تنسب الى عبيد أولى بالفسق من أبيه فان كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عنك فان ذلك لم يضعك وأما تشفيعه فيما شفع اليك فيه فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك فاذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن

وأمسوا أحاديثا وأصبح ملكهم
هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه
تناه وحد مبدأ وختام
وهذه قصيدة طويلة تنيف على تسعين بيتا (وله) مشيرا الى تعلق النفس الانساني بالعالم الجسماني قصيدة
طال الثواء بدارة الهجران
مثوى الكرب وقرارة الاشجان
معمورة الارجاء معترك الردى
مأوى الخطوب غيابة الاحزان
يا حيرة الغريب القاطن النوى
في مهمه ناء عن العمران
شط المزار عن الاحبة وانقضى
زمن اتصال الاهل والاوطان
قد كان من ساعات أقدارهم
ومكانهم في قاف كل مكان
مالي بعهد جنابهم تجدد
كلا ولا أوقاتهم بزمان
تبدو ضمائرهم بغير مترجم
يجري تحاورهم بغير لسان
بينا نسير على الهنيئة من الـ
عيش الرغيد وروضة الرضوان
نختال في حلل الكرامة زاهيا
متنزها في ساحة السيحان
اذ ناله عالم ترب ساله
وبداله ما ليس في الحسبان
تجري عليه براعة التقدير بالـ
أمر القدير أعاجيبا ان
فهوى بمهواة العناصر بغتة
فكأنما يرمى به الرجوان

له داره ولا تعدو به واردد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسن أن يخير صاحبه بذلك فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويلك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أم إلى أمه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك أفخر له إن كنت تعقل والسلام وقال عبيد الله بن زياد ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ

فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر * هل نلت مكرمة إلا بتأمير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت * أن ابنها من قريش في الجماهير

وقال قتادة قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت أباكم كان راعيا في أدناها وأقصاها ولم يقع بالذي وقع فيه قلت فهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الأشعار في زياد وبنيه ويقول إنهم أدعياء حتى قال في زياد وأبي بكرة ونافع أولاد سمية

إن زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندي من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا * في رحم أنثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربي

وهذه الأبيات تحتاج إلى زيادة إيضاح فأقول قال أهل العلم بالأخبار إن الحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسي وهو ثقيف هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبي في كتاب الجمهرة وهو طبيب العرب المشهور ومات في أول الإسلام وليس يصح إسلامه وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتي الحرث بن كلدة يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله وكان ولده الحرث بن الحرث من المؤلفة قلوبهم وهو معدود في جملة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويقال إن الحرث بن كلدة كان رجلا عقيما لا يولد له وإنه مات في خلافة عمر رضي الله عنه ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف قال أيما عبد نزل إلي فهو حر فنزل أبو بكرة رضي الله عنه من الحصن في بكرة (قلت وهي بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البئر وفيها الحبل يستقى به والناس يسمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط إلا أن صاحب كتاب العين حكاها بالفتح أيضا وهي لغة ضعيفة لم يحكها غيره) قال فكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكرة فلذلك كان يقول أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أخوه نافع أن يدلي نفسه في البكرة أيضا فقال له الحرث بن كلدة أنت ابني فأقم فأقام ونسب إلى الحرث وكان أبو بكرة قبل أن يحسن إسلامه ينسب إلى الحرث أيضا فلما حسن إسلامه ترك الانتساب إليه ولما مات الحرث بن كلدة لم يقبض أبو بكرة من ميراثه شيئا تورعا عنه من يقول إن الحرث أسلم وإلا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين فلهذا قال ابن مفرغ الأبيات الثلاثة السابقة لأن زيادا ادعى أنه قرشي باستلحاق معاوية له وأبو بكرة اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونافع كان يقول إنه ابن الحرث بن كلدة الثقفي وأمهم واحدة وهي سمية المذكورة وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكرة كما تقدم ذكره وعلاج جد الحرث بن كلدة كذا ذكره هشام وقصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة * قلت الآن قول ابن مفرغ في البيت الثاني وكلهم لأب ليس بجيد فإن زيادا ما نسبه أحد إلى الحرث بن كلدة بل هو ولد عبيد لأنه ولد على فراشه وأما أبو بكرة ونافع فقد نسبا إلى الحرث فكيف يقول وكلهم لأب فتأمله وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه الفهرست أن أول من ألف كتابا في المثالب زياد ابن أبيه فإنه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال لهم استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة عليه فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميرا على البصرة وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار وكان أبو بكرة يلقاه فيقول أين يذهب الأمير فيقول في حاجة فيقول إن الأمير يزار ولا يزور قالوا وكان يذهب إلى امرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحرث بن وهب الجشمي وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة

نأت الديار عن الأهالي والذرا
وتجاورت بأسافل وأداني
طورا يفارقهم وليس مفارقا
حينا يدانيهم وليس بداني
يوما يعاديهم ويحسب طيه
وقتا أوانسهم بحكم قران
فاعتادهم بعد التنائي والتي
يسري [illegible] الحيران
[illegible]
واسود شعلة ناره بدخان
تبدو شرارتها إليه تلألؤا
[illegible] من فاتر اللمعان
يا سائرا في أسره [illegible]
تحنو بدا ومذلة وهوان
حتام ترتع في مراتع غفلة
والأمر قبل الشمس [illegible]
نكأت قلبك في مخالب طائر
بادي التقلب دائم الخفقان
ما زلت ترقى مطايا عن مطالب
وتحل في مغنى عشيب معاني
أو ما ترى ما قد بلغت من التي
قد كان ما في حد الإمكان
ألقى الزمان إليك حبل قياده
مع ما به من شدة وحران
ورقيت في صهوات عز شامخ
والناس بين معزز ومهان
وبلغت من آماله أقصى مبلغ
هل بعد ذلك من منى وأماني
لو أنت نلت كل ما قدرته
فاعلم بأن جميع ذلك فاني
[illegible]
ودع التواني [illegible]
سر في فضاء العالم العلوي كم
هذا التلوم بعالم الجثمان
أنسيت أياما مضين بأهلها
ونقضت عهد أولئك الأعيان
والدهر قد جربته من أطواره
بالاعتبار [illegible]

النسب هي أم جميل بنت الأفقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعبة بن الهرم وعدادهم في الأنصار وزاد غير ابن الكلبي فقال الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن والله أعلم (قال الراوي) فبينما أبو بكرة في غرفة مع اخوته وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد والجميع أولاد سمية المذكورة فهم اخوة لأم وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ونظر القوم فاذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع فقال أبو بكرة هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا فنظروا حتى أثبتوا فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة فقال له انه كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا قال وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر ومضى أبو بكرة فقال أبو بكرة لا والله لا تصل بنا وقد فعلت ما فعلت فقال الناس دعوه فليصل فانه الأمير واكتبوا بذلك الى عمر رضي الله عنه فكتبوا اليه فأمرهم ان يقدموا عليه جميعا المغيرة والشهود فلما قدموا عليه جلس عمر رضي الله عنه فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكرة فقال له أرأيته بين فخذيها قال نعم والله لكأني أنظر الى تشريم جدري بفخذيها فقال له المغيرة لقد ألطفت في النظر فقال أبو بكرة لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به فقال عمر رضي الله عنه لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة فقال نعم أشهد على ذلك فقال اذهب مغيرة ذهب ربعك ثم دعا نافعا فقال له علام تشهد قال على مثل شهادة أبي بكرة قال لا حتى تشهد انه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة قال نعم حتى بلغ قذذه (قلت القذذ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش السهم) قال الراوي فقال له عمر رضي الله عنه اذهب مغيرة قد ذهب نصفك ثم دعا الثالث فقال له علام تشهد فقال على مثل شهادة صاحبي فقال له عمر رضي الله عنه اذهب مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ثم كتب الى زياد وكان غائبا وقدم فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤس المهاجرين والأنصار فلما رآه مقبلا قال اني أرى رجلا لا يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين ثم ان عمر رضي الله عنه رفع رأسه اليه فقال ما عندك يا سلح الحبارى فقيل ان المغيرة قام الى زياد فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس (قلت وهذا مثل للعرب لا حاجة الى الكلام عليه فقد طالت هذه الترجمة كثيرا) (قال الراوي) فقال له المغيرة يا زياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة فان الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي الا أن تتجاوز الى ما لم تر مما رأيت فلا يحملنك سوء منظر رأيته على ان تتجاوز الى ما لم تر فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت ان يسلك ذكري فيها قال فدمعت عينا زياد واحمر وجهه وقال يا أمير المؤمنين أما ان أحق ما حق القوم فليس عندي ولكن رأيت مجلسا وسمعت نفسا حثيثا وانتهازا ورأيته مستبطنها فقال له عمر رضي الله عنه أرأيته يدخل كالميل في المكحلة فقال لا وقيل قال زياد رأيته رافعا رجليها فرأيت خصيتيه تتردد الى ما بين فخذيها ورأيت حفزا شديدا وسمعت نفسا عاليا فقال عمر رضي الله عنه أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة فقال لا فقال عمر رضي الله عنه الله أكبر قم يا مغيرة اليهم فاضربهم فقام الى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين وأعجبه قول زياد ودرأ الحد عن المغيرة فقال أبو بكرة بعد ان ضرب أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا فهم عمر رضي الله عنه أن يضربه حدا ثانيا فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان ضربته فارجم صاحبك فتركه واستتاب عمر أبا بكرة فقال انما تستتيبني لتقبل شهادتي فقال أجل فقال لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم فقال عمر رضي الله عنه بل أخزى الله مكانا رأوك فيه وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أبا بكرة لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره فكان يقال ما ذاك الا من ضرب شديد وحكى عبد الرحمن بن أبي بكرة ان أباه حلف لا يكلم زيادا ما عاش فلما مات أبو بكرة كان قد أوصى أن لا يصلي عليه الا أبو برزة الأسلمي وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما وبلغ ذلك زيادا فخرج الى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره ثم ان أم جميل وافت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموسم والمغيرة هناك فقال له عمر أتعرف هذه المرأة يا مغيرة فقال نعم هذه أم كلثوم بنت علي فقال عمر أتتجاهل علي والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك وما رأيتك الا خفت أن أرمى بحجارة من السماء * قلت

حرب غدا وعدا على أبنائه
قد سل سيف البغي والعدوان
ماض عليهم حكمه واذا جنى
ذهبت جنايته بغير ضمان
من ذا الذي لم تلقه أيدي الردى
من ذا الذي يخلو من الحدثان
قد آن من شمس الحياة طلوعها
من حضرة الاشباح والابدان
فتح من دار الغرور وخر من
ساحي الرواق وشامخ الاركان
صلى الاله على مشرف هدى ال
أيام والاحقاب والازمان
(وله رحمه الله تعالى)
مقالة غراء عز قائلها
مذكورة في النهى دلائلها
تروع عقلا ترى مراعيها
لا قدس الله من يعادلها
آياتها سطرت على صحف ال
عالم مختارة نواصلها
كأنما ذاك عند معتبر
رسالة صدرت مسائلها
ليس به ذرة وان صغرت
الا وفي ضمنها خباياها
كأنها علم على حدب
أو قد في رأسها مشاعلها
تخبر عن كل نكتة سئلت
بغير نطق فأين سائلها
ان رمت تحقيق ما سمعت فسر
في الارض بارزة من اهلها
طف بالبلاد التي تبوأها
صدر الملوك وقف تسائلها
أين الذي اختطها ومصرها
وأين معمورها وعاطلها
من شق أنهارها وغيرها
ومن له صورت جداولها
قل للمصانع أين صانعها
وللأفاعيل أين فاعلها
وسل قصورا عفت مراسمها

ذكر الشيخ أبو إسحق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب المهذب وشهد على المغيرة ثلاثة أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد وقال زياد رأيت استاً تنبو ونفساً يعلو ورجلين كأنهما أذنا حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة قلت وقد تكلم الفقهاء على قول علي رضي الله عنه لعمران ضربته فارجم صاحبك فقال أبو نصر بن الصباغ المتقدم ذكره وهو صاحب كتاب الشامل في المذهب يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد وإن كان هو الأول فقد جلدته عليه والله أعلم وذكر عمر ابن شبة في أخبار البصرة أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين فقال ومن يشهد لك بذلك قال المغيرة بن شعبة فأبى أن يجيز شهادته قلت وقد طالت هذه الترجمة وبعضها اشتملت على عدة وقائع دعت الحاجة إلى الكلام على كل واحدة منها فانتشر القول لأجل ذلك وما خلا عن فوائد

(أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المعروف بابن الطثرية الشاعر المشهور)

هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيباني وإنما قيل لجده سلمة الخير لأنه كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة الشر وقد قيل إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير وذكر أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور وكان الطوسي قد اعتنى به وجمعه فقال كان ابن الطثرية شاعراً مطبوعاً عاقلاً فصيحاً كامل الأدب وافر المروءة لا يعاب ولا يطعن عليه وكان سخياً أجمل رجل في قومه من قشير وكان من شعراء بني أمية مقدماً عندهم وقال غير الطوسي كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقاً سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون إنه إذا جلس بين النساء ودقهن يقال استودقت المرأة وودقت إذا مالت إلى الفحل لأجل الجماع والأصل في هذه اللفظة أن تستعمل في ذوات الحوافر ثم نقلت إلى بني آدم وهي بالدال المهملة والقاف والمودق هو الذي يحمل النساء على عليه وكان يزيد كثيراً ما يجلس عند النساء ويتحدث معهن ويقال إنه كان عنيناً لا يأتي النساء وليس له عقب وهو من أعيان الشعراء ذكره أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في عدة مواضع من ذلك قوله في باب النسيب

عقيلية أما ملاث إزارها * فدعص وأما خصرها فبتيل
تقيظ أكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادي الأراك مقيل
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها * إليك وكلاً ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس دونها * لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكي غربة النوى * وخوف العدا فيه إليك سبيل
فديتك أعدائي كثير وشقتي * بعيد وأشياعي لديك قليل
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة * فحمل دمي يوم الحساب ثقيل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي إليك رسول

وكان أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني قد جمع شعر يزيد بن الطثرية في ديوان وأورد له قوله

ألا بأبي من قد برى الجسم حبه * ومن هو موموق إلي حبيب
ومن هو لا يزداد إلا تشوقاً * وليس يرى إلا عليه رقيب
وإني وإن أحموا علي كلامها * وحالت أعاد دوننا وحروب
لمثن على ليلى ثناء يزينها * قوافي بأفواه الرجال تطيب

وظلت أيدي البلى تزاولها
وقد تصدى لنسخ آيتها
حكم الزبور وما يقابلها
تجيك فيما سألت معربة
عن الشؤون التي تحاولها
تروي أحاديث أمة سلفت
رواية لا يرد قائلها
عبارة عبقرية عربت
عن الحروف وما يشاكلها
على طراز يكاد تفهمه الـ
أمة عن نيتها وعاقلها
قائلة وهي في مقالتها
صادقة لا يخاف باطلها
كم من ملوك علت أرائكها
بعزة لا ينال نائلها
ودولة لا ترام شامخة
وحشمة لا يضام واصلها
دانت لهم كل أمة وغدت
ترهب من بأسهم قبائلها
تخاف بطشتها أسارتها
عرابها وشيخها أماثلها
لم يبق في الملك من يعارضها
ولا على الأرض من يعادلها
تشرفت باسمهم منابرها
وازينت منهم محافلها
امتلأ الأرض من كتائبهم
فلم يسع عرضها وساحلها
إلى خزائنهم وسدتهم
تجبى غواليها وماصلها
فبينما هم على رفاهية
ونعمة لا تغيب آمالها
أصابهم ما أصابهم فغدوا
في هوة لا يرى نازلها
نابتهم النائبات فانتقلوا
إلى ديار خلت منازلها
مفازة لا يفوز سالكها
طريقة لا يؤوب سابلها
لم أدر هل صدهم مواردها
عن ذلك أم غالهم غوائلها
بلى أتاحتهم نوائبها

أليلى احذرى نقض القوى لا يزل لنا * على النأى والهجران منك نصيب
وكونى على الواشين لداء شغبة * كما أن للواشى ألد شغوب
فان خفت ان لا تحكمى مرة الهوى * فردى فؤادى والمزار قريب

وأورده أيضا
بنفسى من لو مر برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شئ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

وأما أبو الحسن الطوسى فانه أورده
وانى لاستحيى من الله ان أرى * رديفا لوصل أو على رديف
وان أرد الماء المطرطحة * وأتبع وصلا منك وهو ضعيف

قلت ورأيت فى موضع آخر بعد البيت الاول
وانى للماء المخالط للقذى * وان كثرت وراده لعيوف

وأورده الطوسى أيضا الا رب راج حاجة لا ينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس
يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتأتى الذى تقضى له وهو آيس

وأورده أيضا من جملة أبيات
رعى أطيل الصد عنها اذا نأت * أحاذر أسماعا عليها وأعينا
أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وأورده أيضا وقولا اذا عدت ذنوبا كثيرة * علينا تجنيها ذرى ما تجنبا
هبينى امرأ اما بريئا ظلمته * واما مسيئا تاب بعد وأعتبا
فلما رأيت لا تقبل العذر وارتقى * بها كذب الواشين شأوا مغربا
تعزيت عنها بالسلو ولم أكن * لمن ضن عنى بالمودة أقربا
وكنت كذى داء تبغى لدائه * طبيبا فلما لم يجده تطببا

وأورده أبو عبد الله المرزبانى فى كتاب معجم الشعراء وهى فى الحماسة أيضا وقد رويت أيضا لعبد الله بن
الدمينة الخثعمى والله تعالى أعلم (الدمينة بوزن جهينة)
بنفسى وأهلى من اذا عرضوا له * ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل * به رعدة حتى يقال مريب

وأورده المرزبانى فى المعجم أيضا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى * وقل لنجد عندنا أن يودعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الشيب أسبلتا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تقطعا

قلت وهى أبيات فى غاية الرقة واللطافة ذكرها أبو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى أول باب النسيب وقال
انها للصمة بن عبد الله القشيرى والله أعلم بالصواب فى ذلك وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب
الاستيعاب فى أخبار الصحابة رضى الله عنهم وقد قدمنا ذكره فى كتاب بهجة المجالس ما مثاله للصمة بن عبد الله
القشيرى اما وجلال الله لو تذكرينى * كذكريك ما كفكفت للعين أدمعا

ثم أحلت بهم كلا كلها
فما لهم ناصر يخاصمهم
ولا لهم عسكر يقابلها
لا تحسب الارض بعد باقية
بدا العجاريف لا تداخلها
ولا قباب السماء سامية
مبنية كاملا هيا كلها
سوف تكون النجوم كاسفة
حيران طالعها وآفلها
فيا لها من ملم تزلزلت
ان الدنا جمة نوازلها
والدهر صعب المطلوب
منكرها
ومشكل النائبات هائلها
ان كل ما فى الوجود من نعم
الا نزولات أوتزايلها
فلا يغرنكم زخارفها
فلا يصدنكم شواغلها
سلطنة الدهر هكذا دول
تعزل سلطان من يداولها
وهذه قصيدة تنيف على
ستين بيتا (وقال رحمه الله)
ان الديار تضعضعت أركانها
وانتقض نسوق عروشها
جدرانها
أضحت مشابة كل يوم
سادح
وتفرقت أيدى سبا سكانها
ولقد علاها وحشة وكأنها
صحف الكتاب قد انمحى
عنوانها
أو بقعة الدنيا تناهى أمرها
قامت قيامتها وآن أوانها
اذ ليست الدنيا تدوم بحالة
سيان عندى عزها وهوانها
أو غادة خلقت ثياب جمالها
وتمزقت بيد الردى أردانها
وعجائب عاشتها الصروف كأنها
مثل التصاوير التى كتبت
أحزانها

فقالت

فقالت بلى والله ذكرا لو أنه * يصب على الصخر الاصم تصدعا

ثم قال بعد ذلك وأكثرهم ينسبون اليه هذا الشعر

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

وذكر الابيات بكمالها كما ذكرها في الحماسة وبعد الفراغ منها قال ومنهم من ينسبها الى قيس بن ذريح والى المجنون أيضا والاكثر أنها للصمة والله أعلم قلت فقد وقع الاختلاف في أن هذه الابيات العينية هل هي ليزيد بن الطثرية أم للصمة بن عبد الله القشيري أم لقيس بن ذريح أم للمجنون والله أعلم قلت وذكره المرزباني في كتاب الموثق فقال أنشدني أبو الجيش لابن الطثرية

وحنت قلوصي بعد هدء صبابة * فيا روعة ما راع قلبي حنينها

فقلت لها صبرا فكل قرينة * مفارقها لا بد يوما قرينها

وأورد له أيضا

كيف العزاء وأنت أوثق من مشى * والنفس مولعة ودارك نائية

بيديك قتلي ان أردت منيتي * وشفاء نفسي ان أردت شفائيه

ولقد عرفت بما أويت لمدنف * ما النفس عنك وان نأيت بساليه

وأورد له أيضا

اذا النعي بحثنا لم تجمل بزينة * حذار الاعادي وهي باد جمالها

ولا تبتدينا بالسلام ولم نقل * لهم من فوقي شرهم كيف حالها

وأورد له أشياء كثيرة غير هذا فلنقتصر على هذا القدر وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب أنساب الاشراف بعد ما ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموي الحكمي ووقائع جرت في سنة ست وعشرين ومائة فكان في أثناء ذلك وقعة قتل فيها المنذر بن ادريس الحنفي وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج بفتح الفاء واللام وفي آخره جيم وأظنها من قرى اليمامة ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي الذي صنفه في أسماء الاماكن ان فلج بفتح الفاء واللام وآخره جيم قرية عظيمة لبني جعدة بها منبر يقال لها الفلج من ناحية اليمامة وقال غيره فلج بينها وبين هجر التي هي قصبة البحرين ستة أيام والله أعلم وذكر أبو اسحق الزجاج في كتاب معاني القرآن الكريم في سورة الفرقان ان الرس قرية باليمامة يقال لها فلج فتكون هي هذه القرية على ما قاله واما الذي جاء في قول الشاعر

وان الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

فانه بفتح الفاء وسكون اللام وهو واد بين البصرة وحمى ضرية بالقرب من مكة شرفها الله تعالى وأما فلجة الذي جاء في شعر العرب ألا حبذا اعلام فلجة بالضحى * وخيم وأبي حلتها المتنصب

يقولون ملح ماء فلجة آجن * أجل هو مملوح الى القلب طيب

فهذا الاسم يقع على موضعين أحدهما منزل بين مكة والبصرة والثاني موضع بالعقيق وكانت به الواقعة في السنة التي قتل فيها الوليد بن يزيد الاموي المذكور (رجعنا الى ما كنا فيه) وكان قتل الوليد في جمادى الآخرة يوم الخميس لليلتين بقيتا منها بالبخراء بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعد الراء ألف ممدودة وهي من سنة ست وعشرين ومائة وذكر أبو الحسن العلوي المذكور في هذه الواقعة ان الراية كانت مع يزيد بن الطثرية فلما قتل المنذر وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية بالراية وكان على جسمه حمر تشتمل في عشرة وهي بضم العين المهملة وفتح الشين وبعدها راء مفتوحة ثم هاء وهي شجرة لها صمغ من شجر العضاه قال فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه (قلت) وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد في التاريخ المذكور فيكون قتل يزيد بن الطثرية بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين آخر سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم وذكر أبو الفرج الاصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية ان بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس والاول أصح ولما قتل يزيد بن الطثرية رثاه القحيف بن عمير بن سليم الندي بن عبد الله العقيلي بقوله

ألا تبكي سراة بني قشير * على صنديدها وعلى فتاها

شققت بجيوب الغانيات
لداتها
وغدت الى دار البلى أقرانها
وتنكرت في ذاتها وصفاتها
أرأيت ما صنعت بها أزمانها
أو هل بجماعة السمار قد
نثرت عقد الزائرات أوانها
أو بيت شعر ظل منسوخا كما
نسخت ظلال فاستبان مكانها
اذ قام في نادي البراعة منشد
وكأن البلاغة نقشها ...
يمشي ببدائع يستخيل مثالها
يروي ثمانا عبقرا باشاتها
غر تعاطى نظمها نقادها
حكم تولى درسها أقرانها
يبدي لآلي سابق ثغورها
يحكي جواهر زانها أوزانها
ألفاظها أصداف اشتملت على
درر فرائد قد تلت أعيانها
لقد اضمحل بنظمها نظم
الورى
كالبال يعجز اذ بدا اعيانها
لله در أديب أدرك فضلها
بل سادة جلت بها أذهانها
هم سادة ملكوا زمام تقدم
في حلبة الفضل هم فرسانها
نشروا بأرض نور حسنت
وتقدست
أرجاؤها سهلها أو متانها
أرض بها نزلت على خير الورى
آيات وحي باهر برهانها
يا رفعة فازت بها وكانة
يا عزة قد حازها اقبالها
طوبى لعين عاينت آثارها
وتكحلت بغبارها أجفانها
(وله بطريق التنبيه
والنصيحة هذه الكلمات
النصيحة)
الامن بني ذا البين كاشفا
ويرى منبع الصدق مصرحا
مرددا

أبا المكشوح بعدك من يحامي * ومن يزجي المطي على وجاها

ورثى القحيف أيضا الوليد بن يزيد ورثاه أخوه ثور بن سلمة بقوله

أرى الاثل من بطن العقيق مجاورى * مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وهي من الشعر المختار وذكر أبو تمام الطائي في الحماسة ان هذه الابيات لاخت زينب بنت الطثرية وقيل انها لأمه والله أعلم وذكر الطوسي المذكور ان هذه الواقعة كانت بالعقيق وقال ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعا ان العقيق عشرة مواضع قال الاصمعي ان الاعقة الاودية التي تشقها السيول ثم عد المواضع فقال الثالث عقيق عارض باوض اليمامة وهو واد واسع مما يلي العرمة تتدفق فيه شعاب العارض وفيه عيون وقرى ثم قال والعقيق من قرى اليمامة لبني عقيل وهو عقيق عرة في طريق اليمن من اليمامة (قلت) فيحتمل ان يكون المراد بقوله بطن العقيق في هذا البيت العقيق الاول ويحتمل العقيق الثاني والله أعلم وانما كنى ابن الطثرية بأبي المكشوح لانه كان على كشحه كي نار والكشح بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وبعدها الحاء المهملة وهي الخاصرة والطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة ٢م وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء التأنيث وهي أم زينب ويزيد المذكورين وهي من بني طثر بن عنز بن وائل والطثر الخصب وكثرة اللبن يقال ان أمه كانت مولعة باخراج زبد اللبن ويقال ان أمه ولدت في عام هذا وصفه وقيل بل ولدته في عام هذا شأنه فسميت الطثرية وطثرة اللبن زبدته والله أعلم (قلت) وهذا الكلام في النفس منه شيء فانهم قالوا ان أمه من بني طثر بن عنز بن وائل فعلى هذا تكون أمه منسوبة الى هذه القبيلة فلا معنى حينئذ لقولهم ان أمه ولدت في عام هذا وصفه أو ولده هو في عام هذا شأنه أو كانت أمه تخرج الزبد من اللبن فتأمله الا ان يكون عندهم فيه خلاف هل هو منسوب الى القبيلة أم الى هذا المعنى الثاني والله أعلم بالصواب في ذلك ويروى ان زينب بنت الطثرية أخت يزيد المذكور رثته بكثير من الشعر فمن ذلك قولها في المديح

أشم اذا ما جئت للعرف طالبا * حباك بما تحوي عليه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وينسب هذان البيتان الحزيادة الاعجم أيضا والبيت الثاني منهما يوجد في ديوان أبي تمام الطائي أيضا في قصيدته التي أولها أجل أيها الربع الذي خف آهله * لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله والله أعلم بالصواب

(أبو يوسف يعقوب بن أبي سلمة دينار وقيل ميمون الملقب بالماجشون القرشي التيمي)

من موالي آل المنكدر من اهل المدينة سمع ابن عمر رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وروى عنه ابناه يوسف وعبد العزيز وابن اخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة وقال يعقوب بن شيبة الماجشون يعقوب بن ابي سلمة مولى الهدير وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ولاية عمر المدينة يحدثه ويأنس به فلما استخلف عمر رضي الله عنه قدم عليه الماجشون فقال له عمر انا تركناك حيث تركناك لبس الخز فانصرف عنه ذكره محمد بن سعد في كتاب الطبقات وقال يعقوب بن شيبة قال مصعب وكان الماجشون يعين ربيعة الرأي على أبي الزناد لان أبا الزناد كان معاديا لربيعة الرأي فكان أبو الزناد يقول مثلي ومثل الماجشون مثل ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صبيانهم فاجتمعوا له وخرجوا في طلبه فهرب منهم فانقطعوا عنه الا صاحب فخار فانه ألح في طلبه فوقف له الذئب فقال هؤلاء أعذرهم فأنت مالي ومالك والله ما كسرت لك فخارة قط والماجشون ما كسرت له كبرا ولا بربطا قط وقال ابن الماجشون عرج بروح الماجشون فوضعناه على سرير الغسل وقلنا للناس نروح به فدخل غاسل اليه يغسله فرأى عرقا يتحرك في أسفل قدمه فاقبل علينا وقال أرى عرقا يتحرك ولا أرى ان أعجل عليه فاعتللنا على الناس بالامر الذي رأيناه وفي الغد جاء الناس وغدا الغاسل عليه فرأى العرق على حاله فاعتذرنا الى الناس فمكث ثلاثا على حاله ثم انه استوى جالسا فقال ائتوني بسويق فأتي به فشربه فقلنا له

تجيباغريب الصنع تجري له النهى
بديع المراقي عبقريا مجددا
على طرز ابيات تقلدن من
تصدى لمبناها فانشا وأنشدا
على حسن تنظيم ولطف صناعة
تباهي به عقد الثريا المنضدا
صنائع لاتبلي الجديدان رسمها
ويبقى على مر العصور مخلدا
وماذا بناء يبتنى من حجارة
وطين سيخلو عن قريب مبددا

(وله بطريق التحية والسلام على بعض الاحبة الكرام)

سلام الاله كابر العنام
تحية الاماجد الفخام
لطف الاله الملك العلام
عليك مني أفضل السلام
يا الذي من بديع عظام
كهف الانام مفضل منعام
كالله من مفاخر جسام
فقت بها طوائف الانام
لازلت في عز وفي اكرام
مدى الليالي ومدى الايام
ما احتجب السماء بالغمام
واختلط الضياء بالظلام

(وله ردا عليه) من شريف مكة كتابا بديع الجواب وكتب فيه هذا الشعر المستطاب

وخريدة برزت لنا من خدرها

٢م قوله وسكون الثاء المثلثة الخ عبارة القاموس وطثر بطن من الازد وطثرية محركة أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري اهـ

خبرنا ما رأيت قال نعم عرج بروحي فصعد بي الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا في السموات حتى انتهى الى السماء السابعة فقيل له من معك قال الماجشون فقيل له لم يؤذن له بعد بقي من عمره كذا كذا سنة وكذا كذا شهرا وكذا كذا يوما وكذا كذا ساعة ثم هبط بي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذي معي من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز قلت انه لقريب المقعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه عمل بالحق في زمن الجور وانهما عملا بالحق في زمن الحق ذكر ذلك يعقوب بن شيبة في ترجمة الماجشون وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق ان يعقوب الماجشون مات سنة أربع وستين ومائة رحمه الله تعالى هكذا نقلته من تاريخ الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر الذي جعله تاريخا لدمشق وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف في ترجمة محمد ابن المنكدر ان الماجشون من مواليهم واسمه يعقوب وكان فقيها ثم قال بعد ذلك وكان للماجشون أخ يقال له عبد الله بن أبي سلمة وابنه عبد العزيز بن عبد الله يكنى أبا عبد الله توفي ببغداد وصلى عليه المهدي ودفن في مقابر قريش وذلك في سنة أربع وستين ومائة قلت وقد تقدم في هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله وذكرت ما قاله العلماء في معنى الماجشون فأغنى عن الاعادة هنا والله أعلم (قوله ما كسرت له كبرا ولا بربطا) الكبر بفتح الكاف والباء الموحدة وبعدها راء وهو طبل ذو وجه واحد والبربط بفتح الباءين الموحدتين بينهما راء ساكنة وفي آخره طاء مهملة وهو نوع من العود الذي للغناء وأصله بر وهو الصدر بالفارسي وبط وهو الطائر المعروف فلما كان هذا الملهى يشبه صدر البط سمي به واسمه بالعربي العود والمزهر أيضا بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء وبالعجمي البربط كما ذكرناه والله أعلم

⁕(القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الانصاري)⁕

وسعد بن حبتة أحد الصحابة رضي الله عنهم وهو مشهور في الانصار بأمه وهي حبتة بنت مالك من بني عمرو بن عوف وأما أبو سعد بن حبتة فهو عوف بن بجير بن معاوية بن سلمى بن بجيلة حليف بني عمرو بن عوف الانصاري هكذا ساق نسب سعد بن حبتة في الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادي فانه قال في تاريخه هو سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي أسامة بن سحمة بن سعد بن عبد الله ابن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة وهو صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان فقيها عالما حافظا سمع أبا اسحق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى بن سعيد الانصاري والاعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن اسحق بن يسار وتلك الطبقة وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم جالس أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه النعمان بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وخالفه في مواضع كثيرة وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين في آخرين وكان قد سكن بغداد وولي القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي وابنه الهادي ثم هرون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده حظيا مكينا وهو أول من دعي بقاضي القضاة ويقال انه أول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء ان أبا يوسف المذكور كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ويحفظ ٣ خمسين ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبري وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والاحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء (وحكى) أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان أبا يوسف قال كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبي يوما وأنا عند أبي

كالبدر يبدو من خلال غمام
عربية فتنكرت وازينت
بملابس الاعجام والاروام
عرضت على كل الانام جمالها
كي تستميل قلوبهم بتمام
تسبي من العرب العقول باسرها
وتطير لب الروم والاعجام
وتقودهم اسرا لتحوز بارهم
بسلاسل من لوعة وغرام
طوبى لمن رزق الوقوف ببابها
فهو المرام وأي أي مرام
باب اليه تشوقي وتوجهي
حرم عليه تحيتي وسلامي
بالمشعري هل أفوز بزورة
يوما وقد ضربت هناك خيامي

(وله على غطا الضراعة بباب
من تحفه الطاعة)
لا هم يا مقلب القلوب
ويا كاشف الهموم والكروب
وعالم الاسرار والغيوب
هون علي ما به المطلوب

(ولما انتقل) الى رحمة الله تعالى رثاه من أصحابه المخدوم الجليل نادرة الزمن السيد مصطفى بن السيد حسين بقصيدة جيدة النظام واختم ببعض أبياتها هذا الكلام (مرثية)

يا جامع الاموال والاسباب
يا مالكا للخلق بالارهاب
لا تامن الدنيا حسن مثالها
كل يصير الى فنا وذهاب

٣ قوله خمسين ستين كذا بالاصل ولعله خمسين أو ستين فليحرر اه

حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة فان أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة رضي الله عنه وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع الى صرة وقال استمتع بهذا فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لي الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت ثم قال الخطيب (وحكى) ان والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا وان أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ثم روى الخطيب أيضا بسند متصل الى علي بن الجعد قال أخبرني أبو يوسف القاضي قال توفي أبي وخلفني صغيرا في حجر أمي فاسلمتني الى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر الى حلقة أبي حنيفة رضي الله عنه فاجلس استمع فكانت أمي تجيء خلفي الى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي الى القصار وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يعني بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وانما أطعمه من مغزلي وآمل ان يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مري يا رعناء هاهو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى هرون الرشيد فالوذجة فقال لي يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذا يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم ضحكت فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين قال لتخبرني وألح علي فأخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فتعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع دنيا ودينا وترحم على أبي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره بعين رأسه (وحكى) علي بن المحسن التنوخي عن أبيه عن جده قال كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد انه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رضي الله عنه فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه فجيء له بابي يوسف فافتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له دارا بالقرب منه ودخل ذلك القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء من أمر الدين قد أحزنني فاطلب لي فقيها كي أستفتيه فجاءه بابي يوسف قال أبو يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا عليه آثار الملك وهو في حجرة محبوس فأومأ الي باصبعه مستغيثا فلم أفهم منه ارادته وادخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي ما اسمك فقلت يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين قال ما تقول في امام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت لا فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي انه قد رأى بعض أهله على ذلك وان الذي أشار الي بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد من أين قلت هذا قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرؤا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها قال وأي شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لاحد أخذ حقه بعلمه ثم سجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل وان ألزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته وصار ذلك أصلا للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى تقلدني القضاء قلت وهذا يخالف ما تقدم قبل هذا من انه ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب وقال طلحة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الامر ظاهر الفضل وهو صاحب أبي حنيفة وافقه أهل عصره ولم يتقدمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة واملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في اقطار الارض قال عمار بن أبي مالك ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو الذي نشر قولهما وبث علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضا خيف عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج

أين الذين ترفعوا
بفخوخهم
وتمنعوا بالمال والانساب
الدهر بدد بالمنية شملهم
ورماهم منها بسهم مصاب
يا طالما ركبوا الجياد وطالما
سارت لديهم قادة الركاب
يا من تسنم بالقصور بعيشة
اذكرهوانك في الثرى
وتراب
كم واثق بالدهر يأمل راحة
والموت مستتر له بالباب
كم عامر قصرا لعائد عيشه
امسى قفارا والى الخراب
أين الذي يسبي النهى
بكلامه
وقد انتهى في الحسن
والاعراب
شمس البلاد وبدرها
ورئيسها
مفتي الانام وواحد الاقطاب
أعني بذلك ابا السعود الفاضلا
ورئيس أهل العلم والالباب
امسى رهينا في القبور الى
الفنا
مع ماله من عودة واياب
قد غاض في بحر البقاء وشبت
نيران الجوى في مهجة
الاحباب
نبذ الجميع وراءه فكأنه
شمس توارت في الضحى
بسحاب
بكت الصخور بموته فلاجله
جرت العيون من الفلا
وشعاب
واشتد شهب السماء تلهبت
نارا ودمع السحب في انسكاب
والرعد مضطرب الحشا متلهف
والبرق من ذاق التلي والهاب
والليل قد لبس الحداد وغمه

من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال ان يمت هذا الفتى فانه اعلم من عليها وأومأ الى الأرض وقال أبو يوسف سألني الأعمش عن مسألة فأجبته عنها فقال لي من أين لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثتناه أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب اني لأحفظ هذا الحديث قبل ان يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن وقال هلال بن يحيى كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب وكان أقل علومه الفقه ولم يكن في اصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب الجليس والأنيس عن الشافعي رضي الله عنه انه قال مضى أبو يوسف ليسمع المغازي من محمد بن اسحق أو من غيره وأخل بمجلس أبي حنيفة أياما فلما أتاه قال له أبو حنيفة يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت فقال له أبو يوسف انك امام وان لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤس الملأ أيما كان أولا وقعة بدر أو أحد فانك لا تدري أيهما كان قبل الآخر فأمسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضا عن علي بن الجعد ان القاضي أبا يوسف كتب يوما كتابا وعن يمينه انسان يلاحظ ما يكتبه ففطن له أبو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت اليه وقال له هل وقفت على شيء من خطأ فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له أبو يوسف جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤنة قراءته ثم أنشد

كأنه من سوء تأديبه * أسلم في كتاب سوء الأدب

وقال حماد بن أبي حنيفة رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسألة فلا يقول أبو يوسف قولا الا أفسده زفر ولا يقول زفر قولا الا أفسده أبو يوسف الى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها على فخذ زفر وقال لا تطمع في رياسة بلدة فيها أبو يوسف وقضى لأبي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر وقال طاهر بن أحمد الزبيري كان يجلس الى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت فقال له أبو يوسف الا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال اذا غابت الشمس فقال فان لم تغب الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي لنطقك ثم قال

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

ومن كلام أبي يوسف صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول رؤس النعم ثلاثة أولها نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة الا بها والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة الا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت اذا أعطيته كلك من اعطائه البعض على غرر وكان أبو يوسف كثيرا ما كان غلامه يعدو وراءه فقال له رجل أتستحي أن يعدو غلامك وراءك لم لا تركبه فقال الله أكبر وعندك انما اسم غلامي بكار يا قال نعم قال أبو يوسف فيعدو ويمشي كما كان يعدو لو كان بكارا وقال يحيى بن عبد الصمد خوصم أمير المؤمنين الهادي الى القاضي أبي يوسف في بستان وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك فقال الهادي للقاضي أبي يوسف ما صنعت في الأمر الذي نتنازع اليك فيه فقال خصم أمير المؤمنين يسألني ان أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق فقال له الهادي وترى ذلك قال فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال اردد البستان عليه وانما احتال عليه أبو يوسف لعلمه ان الهادي لا يحلف وقال بشر بن الوليد الكندي قال لي القاضي أبو يوسف بينا أنا البارحة قد أويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب دقا شديدا فأخذت علي ازاري وخرجت فاذا هرثمة بن أعين فسلمت عليه فقال أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور فان أمكنك ان تدفع عني ذلك الى غد فلعله ان يحدث له رأي فقال ما لي الى ذلك سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور الخادم فأمرني ان آتي بك أمير المؤمنين فقلت أتأذن لي ان أصب علي ماء وأتحنط فان كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضرني فأذن لي فدخلت فلبست ثيابا جددا وتطيبت بما أمكن من الطيب ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هرون الرشيد فاذا مسرور واقف فقال له هرثمة قد جئت به فقلت لمسرور يا أبا هاشم خدمتي

فقد الهجوع مسهر الاهداب
قد كنت بحر الشرع يعلم قوله
تلك النادرات الكلام عجاب
ما العلم الا ما حويت حقيقة
وعلوم غيرك في الفلاة كسراب
ذا ما بعد قدر اجلاله قدره
لا يستطاع بيانه بكتاب
هذا هو الشمس المنير بنوره
خسف البدور وآلة كالشهاب
قد أرانا من جاه كلامه
نجم الهدى في أوج أفق صواب
اني لأقسم لو تضوع اقذاه
أنشت صدور القاتلات أناب
يا من تقدست أنه وجوده
أمست قصور الفضل ذي بباب
أمسيت دار الكرم بجوارها
في جنة ومكارم وشراب
لا تطلبن أشفو الى سبل الهوى
وتشتاق نحو زهاب
هيهات الافلاك بأني مثله
ولو انها دارت مدى الاحقاب
يرحمه عند الاله بطولها
شمل الورى زلفى وحسن مآب
بار يرقى روحه بسعادة
وكرامة في جنة وثواب
(هذا آخر) ما وقع من وفيات أولئك الاعيان في دولة السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان وقد انقضت أيام دولته الباهرة وأيام غرته الزاهرة في أوائل رمضان من شهور سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وقد وقع جلوسه

وحومتي وعيالي وهذا وقت ضيق أفتدري لم طلبني أمير المؤمنين قال لا فقلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر
قلت ومن قال ما عندهما ثالث ثم قال لي مر فاذا صرت في الصحن فانه في الرواق وهو ذاك جالس فحرك رجلك
في الارض فانه سيسألك فقل انا فقال ابو يوسف فجئت ففعلت ذلك فقال من هذا فقلت يعقوب فقال ادخل
فدخلت فاذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت فرد السلام علي وقال أظننا روعناك فقلت أي
والله وكذلك من خلفي فقال اجلس فجلست حتى سكن روعي ثم التفت الي وقال يا يعقوب أتدري لم دعوتك
قلت لا قال دعوتك لأشهدك على هذا ان عنده جارية سألته ان يهبها لي فامتنع وسألته ان يبيعها فأبى والله
لئن لم يفعل لاقتلنه قال ابو يوسف فالتفت الى عيسى فقلت وما بلغ الله بجارية تمنعها امير المؤمنين وتنزل نفسك
في هذه المنزلة فقال لي عجلت علي في القول قبل ان تعرف ما عندي قلت وما في هذا من الجواب قال ان علي يمينا
بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك ان لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها فالتفت الي الرشيد فقال هل له في ذلك من
مخرج قلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبع فقال عيسى ويجوز
ذلك قلت نعم قال فاشهدك اني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة الف دينار فقال الرشيد قبلت
الهبة واشتريت نصفها بمائة الف دينار ثم طلب منه الجارية فأتى بالجارية والمال فقال خذها يا امير المؤمنين
بارك الله لك فيها فقال الرشيد يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هي فقال هي مملوكة ولا بد ان تستبرأ والله
لئن لم ابت معها ليلتي هذه اني لاظن ان نفسي ستخرج فقلت يا امير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة
لا تستبرأ قال فاني قد اعتقتها فمن يزوجنيها فقلت انا فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم
زوجته اياها على عشرين الف دينار ودعا بالمال فدفعه اليها ثم قال لي يا يعقوب انصرف ورفع رأسه الى
مسرور وقال يا مسرور فقال لبيك قال احمل الى يعقوب مائتي الف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل معي ذلك
قال بشر بن الوليد فالتفت الي ابو يوسف وقال هل رأيت بأسا فيما فعلت قلت لا قال خذ حقك من هذا المال
قلت وما حقي قال العشر قال بشر فشكرته ودعوت له وذهبت لاقوم فاذا بعجوز قد دخلت فقالت يا ابا يوسف
ان ابنتك تقرئك السلام وتقول لك والله ما وصل الي في ليلتي هذه من امير المؤمنين الا المهر الذي قد عرفته
وقد حملت اليك النصف منه وخلفت الباقي لما احتاج اليه فقال رديه فوالله لا قبلته اخرجتها من الرق
وزوجتها امير المؤمنين وترضى لي بهذا قال بشر فلم نزل نطلب اليه انا وعمومتي حتى قبلها وامر لي منها بالف
دينار وقال ابو عبد الله الموسوي ان ام جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت الى ابي يوسف ما ترى في
كذا واحب الاشياء الي ان يكون الحق فيه كذا فافتاها بما احبت فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فضة
مطبقات في كل واحد لون من الطيب وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير فقال له جليس له قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف ذاك حين كانت الهدايا اللبن والتمر
وقال يحيى بن معين كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية
أم جعفر احتوت على تخوت دبيقي ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند وغير ذلك فذاكرني رجل بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها فسمعه أبو يوسف فقال اني
تعرض ذلك انما قاله النبي صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون
يا غلام أشل الى الخزائن ونقلت من كتاب اسمه اللطيف ولم يذكر فيه من هو مصنفه قال كان عبد الرحمن بن
مسهر أخو علي بن مسهر قاضيا على المبارك (قلت المبارك بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعد الالف راء
مفتوحة وبعدها كاف وهي بليدة بين بغداد وواسط على شاطئ دجلة) قال فبلغ القاضي خروج الرشيد الى
البصرة ومعه ابو يوسف القاضي في الحراقة فقال عبد الرحمن القاضي لاهل المبارك اثنوا علي عند أمير
المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف فأبوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانا اسود وجاء الى
الشريعة فلما اقبلت الحراقة رفع صوته وقال يا امير المؤمنين نعم القاضي قاضينا قاضي صدق ثم مضى الى
شريعة أخرى وقال مثل مقالته الاولى فالتفت هرون الرشيد الى أبي يوسف وقال يا يعقوب هذا شر قاض

في

على سرير الملك في أوائل
ربيع الاول سنة أربع
وسبعين وتسعمائة وفي
أيامه انقطعت الحروب
والفتن بين العرب والروم
في بلاد اليمن وسلم زمامها
اليه وألقيت مقاليدها
لديه ودانت الاقبال
لسطوته وخضعت
الاشراف عند سرادقات
هيبته على ما أنبأ عليه
مفصلا في كتابه المسمى
بنادرة الزمن في تاريخ اليمن
وقد رام فتح جزيرة قبرس
فأنفذ اليها جيشا وأمر
عليهم وزيره الرابع مصطفى
باشا فقرن المسلمون بيامن
التأييد والنصر وأخذل
الكفار فوقعوا في شرك
القتل والاسر وملكت هذه
الدار بالنهب والغارة
وزينت أكنافها بشعائر
الاسلام من الصلاة والزكاة
والصيام وقد أرسل عمارة
بحرية للحرب الى أقصى
ممالك الغرب فشحنت
السفن برجال لباسهم
حديد وقلوبهم جلاميد
فنزلوا كالقضاء المبرم على
رؤس الكفرة اللئام ونازلوا
مدينة تونس وفتحوها عنوة
في عدة أيام واستخلصوها
من يد الكفار واستأصلوا
من بها من الفجرة الشرار
واستولوا على القلعة
الموسومة بحلق الوادي التي
لم يخلق مثلها في البلاد
وكانت من أحصن معاقل
الكفار وأحسن مباني من
القلاع المتان في هذه الديار

في الارض قاض في موضع لا يثني عليه الا رجل واحد فقال له ابو يوسف واعجب من هذا يا امير المؤمنين هو
القاضي يثني على نفسه قال فضحك هرون وقال هذا اظرف الناس هذا لا يعزل ابدا وكان الرشيد اذا ذكره
يقول هذا لا يعزل ابدا وقيل لابي يوسف اتولي مثل هذا القضاء فقال انه أقام ببابي مدة وشكا الي الخلة
فوليته وقال ابو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح اخبرني بعض اصحابنا ان الرشيد
قال لابي يوسف بلغني انك تقول ان هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل اقوالهم متصنعة قال نعم يا امير
المؤمنين قال وكيف ذلك قال لانه من صح ستره وخلصت امانته بعرفناه ولم نعرفه ومن ظهر امره وانكشف
خبره لم يتناول نقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين اظهروا الستر وابطنوا غيره فتبسم
الرشيد وقال صدقت وقال محمد بن سماعة سمعت ابا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول اللهم انك تعلم اني لم
اجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى
الله عليه وسلم وكل ما اشكل علي جعلت ابا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممن يعرف امرك ولا يخرج
عن الحق وهو يعلمه (قلت) وهذا الكلام ماخوذ من قول ابي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وقد رئي يمسح على خفيه فقيل له اتمسح فقال نعم قد مسح عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكره ابن قتيبة في ترجمة علي رضي الله عنه
واخبار ابي يوسف كثيرة واكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في
تاريخه الكبير الثناء عليه عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هرون ومحمد بن اسمعيل البخاري
وابي الحسن الدارقطني وغيرهم يطول الشرح بذكرهم فاقتصرنا على ذكرها والله اعلم بحاله وكانت ولادة القاضي ابي
يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس اول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين
وثمانين ومائة ببغداد وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة والاول اصح وولي القضاء سنة ست وستين ومائة
ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى واما ولده يوسف فانه كان قد نظر في الراي وفقه وسمع الحديث من يونس
ابن ابي اسحق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة ابيه وصلى
بالناس الجمعة في مدينة المنصور بامر هرون الرشيد ولم يزل على القضاء الى ان مات في رجب سنة اثنتين وتسعين
ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي ان ابا يوسف القاضي لما مات ولى الرشيد مكانه ابا البختري وهب بن
وهب القرشي قلت وقد تقدم ذكره في حرف الواو وكان ابو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور صديقا لابي
يوسف ولابنه يوسف فلما توفي ابو يوسف سمع الخريمي رجلا يقول اليوم مات الفقه فانشد الخريمي

يا ناعي الفقه الى اهله * ان مات يعقوب وما تدري * لم يمت الفقه ولكنه
حول من صدر الى صدر * القاه يعقوب الى يوسف * فزال من طيب الى طهر
فهو مقيم فاذا ما ثوى * حل وحل الفقه في قبر

رحمهما الله تعالى وخنيس بضم الخاء المعجمة تصغير اخنس وهو الذي تأخر انفه عن وجهه مع ارتفاع قليل في
الارنبة فالرجل اخنس والمراة خنساء وهذا التصغير يسمى تصغير ترخيم وحقيقته ان تحذف منه الحروف
الزوائد وتصغر الباقي كما قالوا أزهر وزهير واسود وسويد واحمد وحميد وغير ذلك وحبتة بفتح الحاء المهملة
وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم في عدة
مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم اجده وبجير بفتح الباء الموحدة وكسر الجيم المهملة وقيل هو بضم الباء
وبالجيم المفتوحة والاول اصح والباقي معروف لا حاجة الى ضبطه وسعد بن حبتة من جملة من استصغر يوم
احد هو والبراء بن عازب وابو سعيد الخدري رضي الله عنهم فردهم النبي صلى الله عليه وسلم وراه النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتالا شديدا مع حداثة سنه فدعاه وقال له من انت فقال سعد بن حبتة
فقال له اسعد الله جدك ومسح على راسه رضي الله عنه وخنيس هو صاحب جهارسوج خنيس بالكوفة وهو
لفظ عجمي تفسيره بالعربي اربع طرق لان هذا المكان موضع مربعة تفترق الى اربع جهات والله تعالى اعلم

عذراء ما خطبها احد من
الملوك ذوي الجدود الا
وقابلته بالردود والصدود
فامهرها المسلمون كل سيف
مسلول حتى تيسر لهم
بحول الله تعالى الوصال
والدخول فلما ظفروا بها
أولدوها اليباب والخراب
وجعلوها مثابة للبوم
والغراب وبالجملة كان
رحمه الله تعالى حاله من
المفاخر والمآثر مصداق
ما قاله الشاعر
هو الشمس وقد سار فيها ذكره
كأن عليها من ثنائه تنظم
سحائم بسائر الحروب
بمنتهى حتى أوصلته المنية
الى رمسه ويقال انه رحمه
الله مات بالعلة المعروفة
بالشعب وقد جوله رئيس
الاطباء ابن قسيس من الدرق
ففعل به ما فعله بالاسهال
فازداد المرض واستقر به
المرض ثم بعده الطبيب
والحكيم ذلك تقدير العزيز
العليم وكان منهمكا على
اللذة في المساء والصباح
ويكب على اللعب واللهو
ويرجح السكر على الصحو
مشتغلا بشرب الراح
ومبتهجا بالكؤوس
والاقداح فكانه على ما
قيل وجعل عليه الاعتماد
والتعويل
اشرب على زهر الرياض
بشوبه
زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم
وتبعث الشـ
ـوق الذي قد ضل في الاحشاء

ثمانيا وخمسين سنة ولما مات سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والده رحمه الله تعالى
وقال أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحاس كان أول كلام المتوكل مع ابن السكيت مما ائم صار
جدا وقيل ان المتوكل أمره ان يشتم رجلا من قريش وان ينال منه فلم يفعل فأمر القرشي ان ينال منه
فأجابه ابن السكيت فقال له المتوكل أمرتك فلم تفعل فلما شتمك فعلت وأمر به فضرب وحمل من عنده صريعا
والله أعلم أى ذلك كان وقد تقدم في ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معاوية وعمر بن
عبد العزيز أيهما أفضل والسكيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم تاء
مثناة من فوقها وعرف بذلك لانه كان كثير السكوت طويل الصمت وكل ما كان على وزن فعيل أو فعليل
فانه مكسور الاول وقوله خوزى بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاى هذه النسبة الى خوزستان وهو اقليم
بين البصرة وبلاد فارس

(ابو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجى)

قد اكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكاه من البلاد وقتلاه من العباد وما جرى
للخلفاء معهما من الوقائع وقد اخترت من ذلك ما أودعته في هذه الاوراق فأقول قال أبو عبد الله بن محمد الازهر
الاخبارى حدثنى على بن محمد وكان عالما بامور يعقوب بن الليث الصفار وتجاربه وأول أمره انه وأخاه
عمرا كانا صفارين في حداثتهما وكانا يظهران الزهد وان رجلا من أهل سجستان كان مشهورا بالتطوع
في قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكنانى المطوعى من أهل بست فصحباه وخطا به فقتلت الخوارج
الذين يقال لهم الشراة أبا يعقوب المذكور وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة ثم هلك
صالح المذكور فتولى مكانه درهم بن الحسين من المطوعة أيضا فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح ثم
ان صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به فحمل الى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم السلطان ثم لزم بيته
بظهر النسك والحج والاقتصاد حتى علا أمر يعقوب * وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن على بن محمد
المعروف بابن الاثير في تاريخه في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور فقال في هذه السنة
تغلب انسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكنانى على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن
عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان واستنقذها منه ثم ظهر بها انسان اسمه درهم بن الحسين من
المطوعة فتغلب عليها وكان غير ضابط لامور عسكره وكان يعقوب بن الليث قائد عسكره فلما رأى أصحاب
درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه
بأمرهم فلما تبين له ذلك لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامر وضبط البلاد وقويت
شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية فصار من أمره ما سنذكره (رجعنا الى تمام ما ذكره على بن أحمد)
قال فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج الشراة فدرزق الظفر بهم
حتى أفناهم وأخرب ضياعهم وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله ثم اشتدت
شوكته وزادت صولته فتغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها وكانت الترك بتخوم سجستان وملكهم
رتبيل ويسمى هذا القبيل من الترك الدرارى فحرض أهل سجستان على قتالهم وأعلموا انهم أضر من
الشراة الخوارج وأوجب محاربة فقراء الترك بقتل رتبيل ملكهم وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل
ويسمى كل ملك لهم رتبيل وانصرف يعقوب الى سجستان وقد حمل رؤسهم مع رؤس ألوف منهم فرهبته
الملوك الذين حوله منهم ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبسين وملك الزابلستان وملك السند ومكران
وغيرهم وأذعنوا له وكان قصده هراة وبوشنج في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وأمير خراسان يومئذ محمد بن
طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى وعامله عليها أحمد بن أوس الانبارى فخرج لمحاربته في تعبية
وبأس شديد وزى جميل وأحسن مقاومة حتى احتال له يعقوب فحال بينه وبين دخول المدينة وهى بوشنج
وانحاز أحمد بن أوس منهزما فقيل انه لم يقاتله أحد أحسن مواقعة كما أحسنها ابن أوس ودخل يعقوب بوشنج

وأفنى عمره في زاوية الزهد
والعبادة شيخنا الشيخ مصلح
الدين ابن الشيخ علاء
الدين المشهور بجراح زاده)*
ولد الشيخ رحمه الله بمدينة
أدرنه في شهر صفر سنة
احدى وتسعمائة ونشأ
طالبا للعلوم والمعارف
وساعيا في اقتناء شوارد
اللطائف وقرأ رحمه الله
مدة كتاب المفتاح باتقان
وتحقيق على المولى لطف
الله ابن المولى شجاع وهو
مدرس في مدرسة الجامع
العتيق ثم أفاض الله تعالى
عليه سجال رحمته من
شآبيب لطفه ورأفته
فهبت عليه نسائم الزهد
والصلاح وناداه منادى
الفوز والصلاح فأجابه
بالسمع والطاعة وتحمل
مشاق العبادات بقدر
الاستطاعة وتبتل الى الله
سبحانه وجد واجتهد حتى
علا أقرانه وقد سألته رحمه
الله عن سبب سلوكه
ودخوله في طريق الصوفية
فقال رحمه الله كنت في أوائل
حالى وأوان طلبى في غاية
الاعراض عن طريق
الصوفية واتفق انى اجتمعت
في بعض الليالى مع الاخوان
والخلان وصار ينافى
شجون الكلام وقضينا
الوطر عما يكون وكان
قد نام كل من في المجلس فاذا
بصيحة عظيمة وأصوات
مزعجة من طرف السماء
فرفعت رأسى فرأيت حجرا
عظيم القدر نزل على البيت

وهراة وصارت المدينتان في يده وظفر بجماعة من الطاهرية وهم المنسوبون الى طاهر بن الحسين الخزاعي فحملهم الى سجستان حتى وجه الخليفة المعتز بالله اليه المعروف بابن بلعم وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب فاطلقهم قال ابن الازهر الاخباري المذكور وحدثني محمد بن عبد الله بن مروان قال حدثني ابن بلعم المذكور قال صرت اليه بكتاب أمير المؤمنين المعتز بالله الى زرنج (قلت وهي بفتح الزاي والراء وسكون النون وبعدها جيم وهي كرسي بلاد سجستان) قال ابن بلعم فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت ولم أسلم عليه وجلست بين يديه من غير أمره ودفعت اليه الكتاب فلما أخذه قلت له قبل كتاب أمير المؤمنين فلم يقبله ووضعه ثم استجهرت القهقرى الى باب مجلسه الذي كان فيه ثم قلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله فأعجبه ذلك وأحسن مثواي ووصلني وأطلق الطاهرية وقال ابن بلعم المذكور أيضا دخلت على يعقوب الصفار يوما فقال لي ينبغي أن يجيئنا رجل مستأمن من ناحية فارس ومعه ثلاثة أنفس أو أربعة قبل هو قيام الجمعة قال فانكرت هذا منه وأمسكت فما كانت الا ساعة قد دخل فسلم وقال أيها الامير بالباب رجل مستأمن ومعه أربعة أنفس فقال أدخله فدخل وسلم وقال أيها الامير معي أربعة أنفس فأذن لهم فدخلوا عليه فالتفت الى الحاجب وقلت قد أخذتم في الطريق فقال لي أما أنا فعلقتهم حتى جازوا فما اطلع عليهم أحد من الناس وسألت يعقوب بعد ذلك وقلت له أيها الامير لقد رأيت منك عجبا في أمر المستأمنة فكيف علمت بهم فقال أخبرك اني فكرت في أمر فارس ورأيت غرابا واقفا بازاء طير يتهاوى فاختلجت احدى أصابع رجلي ثم تبع بعضها بعضا فعلمت انه عضو غير شريف وانه سيأتينا من ذلك الصقع قوم مستأمنة أو رسل ليسوا باجلة فكانوا هؤلاء وقال علي بن الحكم سألت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة التي على وجهه وهي منكرة على قصبة أنفه ووجنته فذكر ان ذلك أصابه في بعض وقائع الشراة وانه طعن رجلا منهم فرجع عليه فضربه بهذه الضربة فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط قال فمكثت عشرين يوما في أنبوبة قصب وفمي مفتوح لئلا ينفرج رأسي وكان يصب في حلقي الشيء بعد الشيء من الغذاء قال حاجبه وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبي أصحابه للحرب ويقاتل وأرسل يعقوب الى المعتز بالله هدية سنية من جملتها مسجد فضة يصلي فيه خمسة عشر انسانا وسأله ان يعطي بلاد فارس ويقرر عليه خمسة عشر ألف ألف درهم على ان يتولى خراج علي بن الحسين بن قريش وكان على فارس ثم نهض يعقوب من سجستان فأتاه كتاب المعتز بكرمان ثم نزل بم (قلت وهي بالباء الموحدة المفتوحة وبعدها ميم مخففة وهي البلد الفاصل بين سجستان وكرمان) قال وكان بكرمان العباس بن الحسين بن قريش أخو علي بن الحسين المذكور ومعه أحمد بن الليث الكردي فخرجا عن كرمان يريدان شيراز وقدم يعقوب فأقطع علي بن الليث السيرجان (قلت وهي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها ثم راء وجيم وبعد الالف نون وهي مدينة كرمان) قال وضم اليه جماعة فأقام هو على بم فورد أحمد بن الليث الكردي اليمن الطارق في جمع كثير من الاكراد وغيرهم فساروا الى دراجرد (قلت وهي بفتح الدال المهملة ثم راء وألف وبعدها باء موحدة ثم جيم مكسورة ثم راء وبعدها دال مهملة وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلاثة مواضع الاول كورة عظيمة مشهورة بفارس قصبتها دراجرد والثاني قرية بفارس أيضا من أعمال اصطخر بها معدن الزئبق فيحتمل أن يكون مسيرهم الى الاولى أو الى الثانية وأما الثالثة فهو موضع بنيسابور ولا يحتمل مسيرهم اليه لانه بخراسان فلا تعلق له بفارس) قال الراوي فظفر أحمد بن الليث بجماعة من أصحاب يعقوب بطالون العافي فقتل بعضهم وهرب بعضهم جماعة ووجه أحمد بن الليث برؤس من قتل من أصحاب يعقوب الى فارس فنصب علي بن الحسين رؤسهم فبلغ الخبر يعقوب فدخل كرمان فندب علي بن الحسين لمحاربته طوق بن المغلس في خمسة آلاف من الاكراد سوى من تقدم مع أحمد بن الليث الكردي وسار طوق حتى نزل على مدينة باسن من عمل كرمان فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه انه أخطأ اذ دخل عملا ليس اليه فرد عليه طوق انت بعمل الصفر أعلم منك بعمل الحروب فعظم ذلك على يعقوب وكان في عسكر طوق ثلثمائة رجل من الابناء فوافقوا يعقوب بمدينة باسن فأوقع بطوق وقتل أصحابه

الذي كنت فيه فتكسر السقف ونزل الى ساحة البيت وغاب في الارض فاستيقظ من هذه الصيحة العظيمة كل نائم من أهل المجلس وأخذوا يتساءلون عنها ولم يطلعوا على شيء وعادوا الى النوم وحصل لي من ذلك دهشة عظيمة وكادت أن تذهب بنفسي فقمت عن المجلس مستاعا وازداد تأثري في كل وقت وحين الى أن يفتح عقلي ولم يبق لي من الرؤية الا القليل فتركت الطريق وبعت جميع ملابسي الفاخرة وأنا على هذه الحالة من الاعراض عن طريق الصوفية وفي أثناء ذلك دعاني أبي الهمام كالشيخ في المشهور تبعا وقابلته بالانكار والاعراض قال ولما أذكر حتى رفع الغطاء عن بصري وانكشف لي أحوال القبور فكنت ألازم المقابر رأيت عندها وكان أصحابي وأقاربي في العذل والملامة وأنا في عدم الالتفات اليهم والاعراض عن كلامهم فسألته رحمه الله عن كيفية رؤيته واطلاعه على أهل القبور فقال رحمه الله رأيتهم قاعدين في قبورهم كالاحياء في بيوتهم فمنهم من اتسع قبره فبقي في السعة والحبور والرفاهية والسرور ومنهم من لا يقدر على القيام لضيق المقام عليهم من اشتداد [illegible]

وهزم من بقي منهم وصبر الابناء الثلثمائة حتى أثخنوا يعقوب فأعطاهم الأمان فلم يقبلوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل يعقوب في هذه الوقعة ألفي رجل وأسر ألفا وأسر طوق بن المغلس وقيده بقيد خفيف ووسع عليه في مطعمه وغيره واستخرج منه الاموال ورحل يعقوب عن اياس ودخل على فارس فتحصن علي بن الحسين على نفسه بشيراز وذلك في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ومائتين وكتب علي بن الحسين الى يعقوب يعلمه ان طوق بن المغلس فعل ما فعل من غير أمره وانه لم يأمره بحاربته وقال له ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك وان كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف فرد عليه يعقوب بان كتابا من السلطان معه لا يتهيأ أن يوصله حتى يدخل البلد وانه ان اخلى له البلد فقد ودع وازاح علته والا فالسيف بيننا والموعد مرج ستمكان وهو مرج واسع بينه وبين شيراز ثلاثة فراسخ وكتب صاحب البريد ووجوه البلد الى يعقوب يعلمونه انه ما ينبغي له مع ما وهب له الله تعالى من التطوع والديانة وقتل الخوارج ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان التسرع الى سفك الدماء لان علي بن الحسين لن يسلم البلد الا بكتاب الخليفة واعتد اهل شيراز للحصار وقد كانت المنهزمة من أصحاب طوق أسروا ثلاثة انفس من أصحاب يعقوب فحبسهم علي بن الحسين وقد كان طوق وقت خروجه الى يعقوب اشترى دارا بشيراز بسبعين ألف درهم وقدر للنفقة عليها مالا فكتب طوق الى ابنه لا تقطع البناء عن الدار فان الامير يعقوب قد اكرمني واحسن الي وسأل في اطلاق الثلاثة المأسورين من أصحاب يعقوب وكان يعقوب سأله ذلك ليطلقهم اذا وفدوا عليه فقال علي بن الحسين اكتبوا الى يعقوب ليطلب طوق بن المغلس وان اقل عبد من عبيده اكرم عنده منه وسأل يعقوب طوق بن المغلس عن أمور علي بن الحسين فضعف أمره عنده فتقرب طوق الى يعقوب بمال عنده بشيراز وانه يكتب الى اهله في حمله اليه ليتقوى به على حربه فأمره يعقوب بان يفعل ذلك فكتب الى ابنه فوقع الكتاب في يد علي بن الحسين فأخذ المال وغيره من دار طوق وحمله الى داره وزحف يعقوب واحتشد علي بن الحسين قال أحمد بن الحكم قال لي يعقوب اخبرني عن علي ابن الحسين امسلم هو قلت نعم قال انرأيت مسلما يوجه الاكراد الكفار الى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون نساءهم ويأخذون أموالهم ألم تعلم أن أحمد بن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمائة انسان على دم واحد وافتض الاكراد مائتي بكر من أهل البيوتات وحملوا معهم نحو ألفي امرأة الى بلادهم أفرأيت مسلما يرضى بهذا قال قلت فعل أحمد هذا من غير أمره ثم قال له يعقوب في بعض مناظراته قل لعلي بن الحسين ان معي قوما أحرارا جئت بهم وليس يتأتى لي ردهم الا خائبين فوجه الي بما يرضيهم ووجه لي في نفسي ما يشبه مثلي من البر فاذا فعلت فأنا اتحول وعونك على من حاربك وادفع لك كرمان تأكلها وانصرف الى عملي وارتحل يعقوب فنزل قرية يقال لها خوزستان ووافى أحمد بن الحكم الى علي بن الحسين يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى من السنة وعلى يده كتاب يعقوب قال ابن الحكم فلم يفهم علي بن الحسين شيئا مما جئت به من الدهش وحاصل الكتاب بعد الدعاء له فهمت كتابك وذكرك أن ورودي هذا البلد العظيم خطأ بغير اذن أمير المؤمنين فاني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ولا من تمكنه ذلك وقد أسقطت عنك مؤنة الاهتمام في هذا الباب فان البلد لامير المؤمنين ونحن عبيده متصرف بأمره في أرضه وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته وقد استمعت من رسولك ورجعت اليه في جواب ما حملته وأدائه ما يورده عليك مما رجوت ان لك فيه صلاحا فان استعملته ففيه الالفة ان شاء الله تعالى وان أبيت فان قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ونحن نعتصم بالله من الهلكة ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ونرغب اليه في السلامة في ديننا ودنيانا اطال الله في عزك وكتب يوم الاثنين لليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين ثم تزاحف الفريقان وقد اجتمع في عسكر علي بن الحسين خمسة عشر ألف انسان ووجه أحمد بن الليث في طلائع يعقوب وذلك في غداة الاربعاء لاربع خلون من الشهر المذكور ولما كان يوم الخميس وافت طلائع يعقوب ثم التقى الجيشان فحملوا حملة وفي الثانية ازالوا أصحاب علي بن الحسين عن مواضعهم

بالمنات ومنهم من أحمي قسمه بالنيران ورأيت بعضهم في غاية الضعف والاضطراب ويتألم ويضطرب كالمصاب والسراب وانا اتكلم معهم واستخبر حالهم واستفسر أسباب موتهم تحيمون ويسألوني الدعاء وانا اجد نفسي في اثناء ذلك تارة في قسطنطينية وتارة في بروسه وتارة في غيرهما من الامكنة التي ما رأيتها قط وانا في جميع ذلك كالهائم الولهان الذي مسه الجان وكنت في غاية العجز عن اكل الطعام لظهور نجاسته وانكشاف عدم طهارته ودامت هذه الحالة الى مدة سبعة أشهر فبينا أنا مقيم بداري وقد انتشر سواد الليل في الآفاق ونام كل من في البيت من الصغير والكبير اذ جاء رجل فاخذ بيدي وذهب فذهبت معه فمررنا بمواضع غريبة وأمكنة عجيبة ما رأيتها ولا سمعتها من قبل حتى وصلنا الى سفح جبل ورأيت فيه شخصا قاعدا فتقدم الرجل فيه وقال جئت بطلبك وقدمني اليه فقامت شعثاته فاخذ ذلك الشخص بيدي اليسرى ووضع فيها علامة فاذا جيء بشخص آخر وفعل به ما فعل بي ثم أمرنا بالقيام والدخول الى حظيرة هناك فلما ذهبنا اليه فتح لنا بابا الحظيرة فنظرنا اليها فدخلناها فرأيناها

وصدقت الجالدة فانهزموا وهم مولون على وجوههم لا يلوى أحد على أحد وعلى بن الحسين يتبع أصحابه ويصيح
فيهم أن ارجعوا وقفوا ويناشدهم الله تعالى فلم يلتفتوا اليه ووقف فى عدة من أصحابه ووافق المنهزمة أبواب
شيراز مع العصر يوم الخميس المذكور وكانت الوقعة بعد الظهر فضاقت عليهم الابواب فمروا على وجوههم
فى نواحى شيراز وبلغت هزيمتهم الاهواز وكانت القتلى منهم مقدار خمسة آلاف وأصابت على بن الحسين
ثلاث ضربات واعتورته أسياف أصحاب يعقوب وسقط عن دابته فارادوا قتله فاعلمهم انه على بن الحسين
فأخذوا عمامته ووضعوها فى وسطه وقادوه الى يعقوب وطلب الذى أسره الثواب من يعقوب فامر له
بعشرة آلاف درهم فابى ان يأخذها فقال انما حاجتى بكتاب امرته مالك عندى غيرها فانصرف الرجل ووقع
يعقوب بعلى عشرة أسواط بيده وأخذ صاحبه بلحيته فنتفها أكثرها وأمر يعقوب ان يقيد بقيد فيه عشرون
رطلا وصيره مع طوق بن المغلس فى الخيمة وكان قد أنفذ الى ابن المغلس وقيده أيضا وسار يعقوب من فوره
الى شيراز وتفرق أصحاب على بن الحسين فى النواحى ثم دخل يعقوب الى شيراز والطبول تضرب بين يديه
وظن ان أهل شيراز يؤذونه ويستحل دماءهم واموالهم بحربهم فلم يتعلق أحد لانه كان وعد أصحابه انه ان هو
ظفر أن يطلقهم وينهب شيراز وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ووجه يعقوب من ليلته الى عسكره بعد أن
طاف شيراز فلما أصبح نادى بالامان ليخرجوا الى الاسواق فخرج الناس ونادى فى كتاب على بن الحسين أن
برئت الذمة ممن آواهم وحضرت الجمعة فامر الخطيب فدعا للامام المعتز بالله ولم يدع لنفسه فقيل له فى ذلك
فقال الامير لم يقدم بعد وقال انما مقامى عندكم عشرة أيام ثم ارجع الى عمل سجستان وبعث أمناءه الى منزل على
ابن الحسين فاحضر الفرش والاثاث وفتش على الاموال فلم يقف عليها فاحضر عليا فتهدده وتوعده فذكر انه
يدلهم على المال فحمل الى منزله فأحضر ألف بدرة وقيل أربعمائة بدرة وعوض يعقوب أصحابه من نهب
شيراز كل رجل ثلثمائة درهم ثم عذب يعقوب عليا بانواع العذاب وعصر أنثييه وشد الجوزتين على صدغيه
فقال على قد أخذت ما أخذت أخذت منى فرشى وقيمته أربعون ألف دينار وألح عليه بالعذاب وقيده
بأربعين رطلا فدلهم على موضع فى داره فاستخرجوا منه أربعة آلاف ألف درهم وجوهرا كثيرا ثم ألح
عليه بالعذاب وسلمه الى الحسن بن درهم فضربه وعذبه وشتمه وعذب طوق بن المغلس أيضا وحبسهما فى بيت
واستوثق منهما وارتحل يعقوب من شيراز يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى من السنة الى بلاده وحمل على بن
الحسين وطوق بن المغلس معه فلما أتى كرمان ألبسهما المصبغ من الثياب ونزعهما المقانع ونادى عليهما
وحبسهما ومضى الى سجستان وخلع الخليفة المعتز بالله لثلاث خلون من رجب من السنة المذكورة وتولى
الخلافة الامام المهتدى مع صلاة الظهر من يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين
ومائتين ثم بويع المعتمد على الله ولم يكن ليعقوب الصفار فى خلافة المهتدى كبير امر بل كان يغزو ويحارب
من يليه من الملوك بسجستان وأعمالها ويتطرق كور خراسان وما يقرب من قوهستان ونواحى هراة
وبوشنج وما اتصل بسجستان ثم عاد يعقوب الى بلاد فارس وجبى غلاتها وجمع ثلاثين ألف ألف درهم
وسار الى سجستان وأقام محمد بن واصل بفارس يتولى الحرب والخراج ويكاتب الخليفة ويحمل بعض
ما يجبى من الاموال فكان مقدار ما يحمل فى السنة خمسة آلاف ألف درهم من الخراج من بلاد فارس وكان
مقيما بها غالبا عليها ولو امكن الخليفة صرفه عنها ببعض أوليائه لما أقره ثم ورد الخبر فى جمادى الآخرة من
سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب مدينة بلخ ثم خرج منها ودخل نيسابور فى ذى القعدة من سنة تسع
وخمسين ومائتين واحتاط على محمد بن طاهر الخزاعى أمير خراسان وجميع الطاهرية ثم خرج عنها فى المحرم
من سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيدا ونيف وستون من أهله وتوجه نحو جرجان لقتال الحسن بن
زيد العلوى أمير طبرستان وجرجان ولما بلغ الحسن بن زيد أن يعقوب يقصده أخذ من أموال الخراج
ثلاثة عشر ألف ألف درهم بقايا وسار فتخلص من جرجان الى طبرستان ودخل يعقوب جرجان ووجه من
أصحابه من أخذ شاوية طبرستان وكان بجرجان يعلق على دوابه كل يوم ألف قفيز ثم خرج يعقوب الى

مملوءة من النيران الصافية
ليس فيها دخان ولا سواد
فامتنعنا عن الدخول
فاجبرنا عليه وأغلق الباب
من ورائنا فعملت النار فينا
ما تعمل فى أمثالنا
واحترقنا بها بحيث لم يبق
منا موضع لا فى ظاهر
الجسد ولا فى باطنه الا وقد
مسته النار ثم فتح الباب
وأمرنا بالخروج وجاء
الرجل وأخذ بيدى
واوصلنى الى مكانى الذى
أخذنى منه فلما أصبحت
وقام والدى الى الصلاة شاهد
لى ورآنى متكدرا مضطربا
مما وقع لى من شدائد هذه
الليلة فسألنى عن هذه
الحالة فقصصت له الواقعة
فقال ان هذه النار جذبة
من نيران المحبة والهيام
ولمعة من حرارة العشق
والغرام وان هذه الواقعة
تدل على انك ستصير طالبا
للحق وصاحب التصوف وأربابه
قال رحمه الله فمن هذه الليلة
أخذ ولهى فى الانتقاص
وجنونى فى الارتفاع وزال
عنى بالتدريج ما حصل لى
من الكشف والحركات
المخالفة للعادة وعن لى الميل
الى التصوف واشتد
الانجذاب الى جناب رب
الارباب ودخلت فى ربقة
التسليم والعبادة وظهر فى
أمرى ما شاء الله واراده
وتبت على يد والدى واخذت
فى المجاهدة والاشتغال
وترقيت عنده من منزل الى
منزل ومن حال الى حال ثم

طبرستان وخرج اليه الحسن بن زيد في خلق كثير وأعلم يعقوب أصحابه انه يقتل من انهزم منهم وتقدم
بنفسه للحرب فتبعه خمسمائة فارس من عبيده فحمل على الحسن وأصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على
القوم وكان الحسن بن زيد قد أعد في كل قرية مراكب في طريقه لانهزامه وكان يزدوناو بغلا لانه كان
رجلا ثقيلا كثير اللحم وتلاحق أصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد في خمسة آلاف فخيل جريدة وأخذ
يعقوب جميع ما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مال أكثرها عين وظفر بجماعة من آل أبي طالب فأساء
اليهم وأسرهم وكانت الوقعة يوم الاثنين لاربع بقين من رجب سنة ستين ومائتين ثم تقدم يعقوب فدخل
آمل (قلت وهي بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام وهي كرسي بلاد طبرستان) قال وهرب الحسن
ابن زيد الى مدينة يقال لها سالوس فلم يعلم من أهلها ما كان يعهده منهم فتنحى عنهم ثم خرج يعقوب من آمل
في طلب الحسن بن زيد فرحل مرحلة واحدة وبلغه الخبر أن الحسين بن طاهر بن عبد الله قد دخل مرو
الروذ ومعه سلطان خوارزم في ألفي تركي فانزعج يعقوب لذلك وقصر في الايغال في طلب الحسن بن زيد
ثم رجع وكتب الى أمير الري في ذي الحجة من سنة ستين يأمره ان يخرج من الري ويعلمه ان أمير المؤمنين قد
ولاه اياها فبلغ ذلك الخليفة فأنكره وعاقب غلمانه الذين كانوا ببغداد بالحبس وأخذ الاموال ثم دخلت سنة
احدى وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان فخرج في المحرم يريد جرجان فلحقه الحسن بن زيد من ناحية
البحر فيمن اجتمع اليه من الديلم وأهل الجبال وطبرستان فثبت يعقوب وقتل من لحق من أصحابه فانهزم
يعقوب الى جرجان فجاءت زلزلة عظيمة فتلف من أصحابه ألفا انسان ورجعت طبرستان الى الحسن بن زيد
وهي آمل وسارية وما يتصل بهما وأقام يعقوب بجرجان يعسف أهلها بالخراج ويأخذ أموال الناس
ودامت الزلزلة ثلاثة أيام وأتى جماعة من أهل جرجان الى بغداد فتظلموا من يعقوب الصفار فذكروا بالجبروت
والعسف فعزم الخليفة على النهوض اليه واستعد لذلك ولما رجع الصفار الى نحو الري ورجع الحاج من
الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولي العراق
بان يجمع الحاج من أهل خراسان وطبرستان وجرجان والري ويقرأ عليهم كتابا منشأ اليه فجمع الحاج
القادمين من أقاصي البلاد وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين بالوقوع في الصفار وعمل ثلاثين نسخة ودفع الى
أهل كل كورة نسخة لتذيع الاخبار بهذه النسخ في الآفاق وفي الخبر الى يعقوب الصفار بما كان من
حبس غلمانه وما كان من الحاج في دار عبيد الله وما دفع اليهم من النسخ وانكشف له رأي الخليفة في قصده
فرجع الى نيسابور واغتاظ ورجع لانه لم يجد عدة تصلح للقاء الخليفة ولما دخل الى نيسابور أساء الى أهلها
بأخذ الاموال ثم رجع يريد سجستان في جمادى الاولى من سنة احدى وستين ولما رجع الى سجستان
كتب الخليفة الى أصحاب المسالك بخراسان وذوي الجاه والعدد بتولية كل رجل ناحية فوردت الكتب
وأصحاب الصفار متفرقون في كور خراسان ثم ان الصفار وصل الى عسكر مكرم من أعمال خوزستان
وكاتب الخليفة وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس وما كان مضموما الى طاهر بن الحسين الخزاعي من الكور
وشرطة بغداد وسر من رأى وان يعقد له على طبرستان وجرجان والري وأذربيجان وقزوين وان يعقد له
على كرمان وسجستان والسند وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التي نسخت في دار عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم أولا من ذكره ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ففعل ذلك
الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله وهو أخو الخليفة المعتمد على الله وكان الموفق مستوليا على
الامور كلها وليس للمعتمد معه سوى اسم الخلافة لا غير وأجابه الى ما طلب وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه
الصفار وأجيب الى الولاية التي طلبها واضطربت الموالي بسر من رأى من اجابة الخليفة الى ما طلبه الصفار
وتحركوا ثم ان الصفار لم يلتفت الى ما أجيب اليه من ذلك ودخل السوس وهي أيضا مدينة من أعمال
خوزستان بالقرب من عسكر مكرم ولما دخلها عزم على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب له الخليفة لينحدر
اليه في دجلة ثم تقدم الصفار وتقدم اليه عسكر الخليفة وقد كانت الموالي ارتابت واتهمت الخليفة الموفق

ارسلني الى قدوة أرباب
الطريق ولي الله تعالى على
التحقيق صاحب الكرامات
المشهورة والاخبار المأثورة
الشيخ عبد الرحيم المؤيدي
المشتهر بحاجي سامي
قدس سره وحصلت من
فنون التصوف عدة وكان
شيء ما كان فظهر ما في
حيز الامكان ودمت على
المصابرة والاجتهاد اثني
عشرة سنة واجازني
بالارشاد وقد سألته عن
أحوال الحالات التي وقعت له
عند شيخه فقال رحمه الله
كنت مقيما في بعض الخلوات
عند الشيخ عبد الرحيم
المؤيدي وانا مداوم على
الذكر ومشتغل بالتوحيد
فاذا بشخص عظيم الهيبة
دخل علي وقصد الي ومزق
جسدي بيديه كل ممزق
وتركني فعاد جسدي الى
حالته الاولى فعاد في التمزيق
وتكرر ذلك من الطرفين
واستمر ساعات وعرض لي
من ذلك انزعاج كلي
واضطراب عظيم وحصل لي
من الفناء والسكون
ما لا يمكن تعبيره فعرضت
ذلك على الشيخ ففرح
به وبشرني بحصول المطلوب
ثم ما زال بعد ذلك بالارشاد
وارسلني الى والدي قلت
ولما انتقل والده رحمه الله
قام هو بمقامه في زاوية
الشيخ شجاع واكب على
الاشتغال ولازم التوجه
والاقبال الى جناب حضرة
الحق تعالى وعامل الله في سره

وتوهمت ان أقبال الصفار بسبب ما أنفذ اليه من الكتب والا فأي عجيب أعجب من خارج قصده من زرنج كرسي سجستان وهي الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان الوصول الى بلاد العراق لمحاربة الخليفة وهو في جيوشه وعسكره وتقادم مملكته في شرق الارض وغربها والصفار منفرد بجيشه ليس معه من يعضده ولا يشاركه في هذا الامر ولما بلغ الخليفة ذلك دعا ببرد النبي صلى الله عليه وسلم وقضيبه وأخذ القوس ليكون أول من رمى ولعن الصفار وطابت أنفس الموالي ولما كان صبيحة الاحد لتسع خلون من رجب وردت عساكر الصفار في التعبية الى موضع يقال له اصطاربند وهي قرية بين السيب ودير العاقول من النهروان الى واسط وجمع أصحابه ليحمل بهم وتقدم بنفسه كما كان يفعل قبل ذلك وأقبل وعليه درع تحت ديباج أسود ولما تواقف الصفان خرج من الموالي شيخ القائد فقام بين الصفين وقال لاصحاب الصفار يا أهل خراسان وسجستان ما عرفنا كم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت وطلب الآثار وانه لا يتم الا بطاعة الامام وما نشك ان هذا الملعون قد موه عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب اليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لحرابه فمن أراد منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فليعتزل عنه فان كان شاقا للعصا محاربا للسلطان فلم يجيبوه عن كلام وكان هذا الشيخ شجاعا مقداما ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين أمير خراسان من أسر الصفار وقد تقدم ذكر أسره وحاله منه نشد قال له الشيخ يا آل طاهر انتم تجوز بامور الكم وأشد تموها الى ولد العباس فاستخفوا بنا وملكوا الضياع والاموال حتى تلفت الجيوش وطار بنا عن بيضة الاسلام شاكر جنابي الدنيا حتى سار بنا الصفار عنفا والى خراسان مع مولانا أمير المؤمنين وخلصك بعد الاسر والقيد الثقيل من مدينة الى مدينة على بغل اكاف وردك من العراق الى خراسان فالحمد لله على ما تفضل به مولانا من خلاصك ولولا هذا الفعل الجميل فيك (ورجعنا الى تتمة خبر الصفار) قال الراوي وحزر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا في ميل وكانت دوابهم في غاية الفراهة وقيل ان جمعهم كان يزيد على عشرة آلاف انسان ووضع الخليفة العطاء في الجند وقطع ما في الطريق من الشجر والدغل واستعدوا الحرب جدوا فيها وشمروا وقيل ما هو الا ان تنصروا أو تهزموا فلا ترجع دونكم اليكم ووقف الخليفة المعتمد بنفسه والى جانب كاتبه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وقد تقدم ذكر جده يزيد ووقف معه جماعة كثيرة الخليفة من أهل البأس والنجدة وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب وكشف الموفق أخو الخليفة رأسه وقال أنا الغلام الهاشمي وحمل على أصحاب الصفار وقتل بين الطائفتين خلق كثير فلما رأى الصفار اتصال القتال ولى راجعا تاركا أمواله وخزائنه وذخائره ومن على وجهه فلم تتبعه العساكر وما أفلت من أصحابه رجل الا بسهم أصابه وأدركهم الليل فتسابقوا الى اورلادهم وتقل الجراح بهم قال أبو الساج داود بن دوست وهو الذي تنسب اليه الاجناد الساجية ببغداد للصفار لما انهزم ما رأيت معك شيأ من تدبير الحرب وكيف كنت تغلب الناس فانك جعلت ثقالك وأموالك وأسرك امامك وقصدت بلدا على قلة المعرفة منك به وبمخايضه وأنهاره بغير دليل وقاتلت يوم الاحد والريح عليك وسرت من السوس الى واسط في أربعين يوما وأموال العسكر مختلة فلما تواقفت عددهم وبذلتهم أموالهم واستحكم أمرهم عليك أقبلت من واسط الى دير العاقول في يومين وتأخرت عند امكان الفرصة وأقبلت تعدو في موضع التثبت فقال الصفار لم أعلم اني أحارب ولم أشك في الظفر وتوهمت ان الرسل ترد الي فيردوا الامر فأتبت بما قدرت عليه (قلت هذا آخر ما نقلته من كلام ابن الازهر مع الاختصار) ونقلت من تاريخ أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن طاهر الذي جعله ذيلا على تاريخ أبيه في أخبار بغداد وقد أطال القول فيه فاختصرته وحذفت ما تكرر منه فقال كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم وغلبته على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت ولاية درهم ثلاث سنين بعد اخراجه صالح بن النضر وهو رجل من بني كنانة من سجستان في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائتين ولم يزل يعقوب الصفار مقيما بسجستان يحارب الشراة والاتراك ويظهر انه متطوع حتى كانت سنة ثلاث وخمسين

وبطهر بمعصى صار نوريا ظاهره وبحدث ظهره وفتح باب التربية والارشاد على أرباب السعي والاجتهاد فسرب ساع قطاع بصارم تربيته صريعة الامل وحصل بهمته النشر بنسمة طرفا صالحا وكمل ثم انتقل الى زاوية الشيخ محيي الدين بقسطنطينية المحمية فشرفها بقدمه الشريف ونورها بروائه اللطيف وأقام بها مدة سبع سنين وقد اتصلت به في تلك المدة وتبركت بمجالسته الشريفة وأنفاسه اللطيفة وكلما مر ذلك بالخاطر يذكرني قول الشاعر

وكانت بالعراق لنا ليال
سرقناهن من أيدي الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي
وعنوان المسرة والاماني

وأكثر كثيرا ما في البال ما أنشده بعضهم وقال

ليالي اللذات سقيا لك
ما كنت الا فرطا كافك
عودي كما كنت لنا أولا
فنحن ان عدت عبيد لك

ثم عاد رحمه الله الى مدينة أدرنه وانتقل بها الى رحمة الله تعالى ودفن بتربة زاوية الشيخ شجاع (وكان ذلك في شهر محرم من شهور سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله بحرا من بحار الحقيقة وكهفا منيعا لارباب الطريقة متقلبا عن العلائق الناسوتية متحليا في مفاخر الحال اللاهوتية مهبطا الانوار السبحانية

وماتتين فخرج الى هراة ثم قصد بوشنج وحاصرها وأخذها عنوة وكان ذلك في خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب
على حاله ولم يزل على ذلك الى أيام المعتمد على الله ثم دخل بلخ وخرج منها ثم وصل الى رامهرمز وهو يظهر الطاعة
للخليفة المعتمد وذلك في المحرم من سنة اثنتين وستين ومائتين ثم أرسل رسله الى المعتمد فدخلوا بغداد لاربع
عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم سار الى واسط وأقام بها تابعا عنهم ثم صار الى دير
العاقول يوم السبت لثمان خلون من رجب ثم سار الى اصطربند فنزل بها ولما اتصل خبره بالمعتمد وانه يقصد
بغداد جمع أصحابه من الاطراف وخرج من سر من رأى قاصدا محاربته ودخل بغداد يوم الاحد لخمس بقين
من ذي الحجة من السنة قال أبو الفرج كاتب القاضي أبي عمر ولما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تزل كتبه
تسير اليه من الطريق يأمره بالانصراف ويعذره سوء عاقبة فعله وان أمير المؤمنين قد نهض اليه في العدد
والعدد وكتب الصفار واردة بأني قد علمت نهوض أمير المؤمنين ليشرفني وينبه على موقعي منه ثم عبى الخليفة
جيشه للقتال على القرية المذكورة وأرسلوا الماء على طريق الصفار فكان سبب هزيمته فانهم أخذوا عليه
الطريق وهو لا يدري واصطف الفريقان ولم يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار فغنم
الناس من أثقاله غنيمة عظيمة وتوهموا ان ذلك حيلة منه ومكر ولولا ذلك لاتبعوه ولقد حدثني من حضر ذلك
أن رزق الجند الموالي كان في ذلك الوقت عشرين ألف سهم وانصرف الخليفة مسرورا بما فتح الله عليه
وكان ممن تخلص من أسره ذلك اليوم أبو عبد الله محمد بن طاهر أمير خراسان وجاء الى الخليفة وهو في قيده
ففك الخليفة عنه القيد وخلع عليه خلعة سلطانية وذكر المعتمد ذلك النهار انه رأى تلك الليلة في المنام كأن
انسانا كتب على صدره انا فتحنا لك فتحا مبينا وقص الرؤيا على خواصه وقال لهم قد وثقت بنصر الله تعالى
وقبل الوقعة وردت كتب الصفار الى الخليفة وفيها خضوع وتضرع ويخبر بأنه لم يجئ الا لخدمة أمير المؤمنين
والتشرف بالمثول بين يديه والنظر اليه وان عوتب عتب وكابه فقال المعتمد نحن في طريق الصفار بعد أعلموه
أنه ماله عندي الا السيف وأمر الخليفة بالكتاب الى أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو عم محمد بن
طاهر بن عبد الله بن طاهر يخبره بالفتح وخلاص ابن أخيه محمد بن طاهر فكتب اليه وهو يومئذ متولي
الشرطة ببغداد نيابة عن أخيه المذكور فانه كان يتولى خراسان وشرطتي بغداد وسر من رأى وفي الكتاب
فصول طويلة وحاصله أنه عدد ذنوب الصفار وما قابله الخليفة به من الاحسان والانعام وانه قلده خراسان
والبلاد التي تقدم ذكرها قبل هذا وانه رفع مرتبته وأمر بتكنيته في كتبه وأقطعه الضياع السنية ولم يبق
شيئا مما يقترفه استصلاحا الا فعله فما زاده ذلك الا البغي والطغيان والتمس أشياء ان رد عنها قصد أبواب
الخليفة لاثارة الفتنة وابتغاء الغلبة فذكر أمير المؤمنين اجابته الى ما التمسه وتابع الكتب بالرجوع الى
أعماله الجليلة التي ولاه اياها وحذره التعرض لزوال النعم التي أنعم الله عليه بها فقد خالفه وعصاه وخرج عن
طاعته وعرفه انه ان أقام على المصير الى الباب فقد عصاه وخرج عن طاعته ثم رجاله في ذلك مرة بعد
أخرى مع جماعة من القضاة والفقهاء والقواد وقدر بتوجههم اليه أنه يرجع الى ما هو الزم به وأوجب عليه
فأقام على سبيل واحد في البغي والعناد والعصيان ولم يثنه الارشاد ولم يزل استحوذ الشيطان عليه يقوده الى
الحين ويصده عن سبيل النجاة الى مهاوي الهلكة فلما تبين لامير المؤمنين ذلك منه رأى ان يمضي عليه في أمر
مثله فنهض متوكلا على الله تعالى معتمدا على كفايته لدفع الملعون عما حاوله وهو يغذ السير الى المصرع الذي
سبق به قضاء الله تعالى فيه حتى توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط واظهر اعلاما على بعضها الصلبان
واستنجد أهل الشرك على الايمان وبارز الله بسريرته لابسا جريرته وفارق شرائع الاسلام وأحكامه
نقضا للعهود ونكثا وخفرا للذمة واعلانا للمشاقة فقدم أمير المؤمنين أخاه الموفق بالله أحمد ولي عهد
المسلمين ومعه جماعة من موالي أمير المؤمنين الذين أخلصوا لله طاعتهم وثبتت في المحاماة عن دولته بصائرهم
واتبعهم أمير المؤمنين الرغبة الى الله تعالى في تأييدهم ونصرهم على عدوهم ولحقه أمير المؤمنين في الاوقات
والمواقف التي علم الله صدق نيته فيها وأحقه وبالها ووقف أمير المؤمنين يتأمل ما يكون من أخيه ومواليه

وخزانة الاسرار الالهامية
منجمعا عن الناس معرضا
عن تكلفاتهم واغراضهم
بدعهم وزخرفاتهم
لا يطوف بابواب الامراء
ولا يطرق مجالس الاغنياء
مشتغلا بنفسه في يومه
وأمسه وله كشوفات عجيبة
واشرافات على الخواطر
غريبة وظني به كونه محيطا
بجميع احوال من استرشد
به وتشبث بذيله وله
اليد الطولى في تصريف
قلوب المريدين وتربية
المسترشدين ولولا تزكية
النفس واستعمال التصنع
والرياء لذكرت ما ظهر لي
عند اقامتي في زاويته
الشريفة في بعض الاوقات
المنيفة بانفاسه العلية
وهممه السنية ويحكي
بعض من اثق به من
الاشراف انه قال كنت
معتكفا عنده في بعض
الايام ولما صليت الصبح
جلست في المسجد مشتغلا
بالذكر والشيخ رحمه الله في
الجانب الآخر من المسجد
متوجها الى القبلة مراقبا
وكان يلاحظني بنظره
الشريف احيانا ويلتفت
الي مرارا فبينا انا على هذه
الحالة اذ عرض لي انجذاب
عظيم وتوجه تام وغلب
على الوجد والحال وظهر
لي امور غريبة وآثار
عجيبة كادت ان تذهب
بلبي ومن الله تعالى في اثناء
ذلك بنحو لا يليق ذكرها
واستمر ذلك الي ما دام الشيخ

واولاته

وأوليائه وتواصل الامداد والجيوش اليهم وكان الموفق بالله في قلب العسكر فنهض الملعون عدو الله في أشياع ضلالته فدارع العصيان وتسربل البغي واعتمد على وفور حشده وكثرة أشياعه وأتباعه فلما تراءى الجمعان شهر عدو الله وأشياع ضلالته السلاح وأسرعوا الى موالي أمير المؤمنين وأتباعه وأوليائه وشرعت في الملعون وضلاله سيوف الحق باترة ورماحه طاعنة وسهامه نافذة حتى أثخن الملعون بالجراح ورأى أتباع ضلالته ما حل به فبادروا بالويل والثبور وأكب عليهم موالي أمير المؤمنين وأولياؤه يقتلون منهم ويأسرون منهم وعجل الله الى النار من جماعته من لا يحصى عدده ولم يزل الامر كذلك حتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين سالما من أيديهم وحسروا عن معسكرهم فولى الباقون منهزمين مفلولين لا يلوون على شيء وأسلم الله تعالى الملعون وهم وما كانوا حووه وملكوه في سالف الايام التي أملى الله تعالى لهم فيها أقطار الارض من الاموال والامتعة والاثاث والابل والدواب والبغال والحمير فأفاءه الله على الموالي وسائر الاولياء وملكهم اياه وساروا به الى رحالهم وعلى الجملة فان هذا الكتاب أطال القول في ذلك فاختصرته ثم كتب في آخره وكتب عبيد الله بن يحيى يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين ثم قال هذا المؤرخ بعد هذا ومضى الصفار منهزما الى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى ويأخذ أمتعتهم وأسلابهم ولم يتبعه الموالي مخافة رجعته ولاشتغالهم بالنهب والكسب فأمسكوا عنه ورجع الخليفة الى معسكره ثم رجع الصفار الى السوس وجبى الاموال ثم قصد تستر وحاصرها وأخذها ورتب فيها أثباتا وكثر جمعه ثم رحل الى فارس في شوال وكان الخليفة قد رجع الى المدائن وأقام بها أياما ثم دخل بغداد ومنها الى سر من رأى ودخلها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ثم ذكر المؤرخ بعد هذا ورود الخبر الى الخليفة بوفاة يعقوب بن الليث الصفار يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شوال والذي أصيب في بيوت أمواله من العين أربعة آلاف ألف دينار ومن الورق خمسون ألف ألف درهم ووافى أحمد بن الاصبغ يوم الخميس لسبع بقين من شوال وقد كان الخليفة أنفذه ليصلح أمر يعقوب فانصرف من عند يعقوب فلما قرب من واسط اتصل به وفاة يعقوب وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان والري وقم وأصبهان وصيرت اليه الشرطة ببغداد وسر من رأى على ان يوليها من أحب وعلى أن يوجه اليه ما يجبى من خراج البلاد التي يتولاها من جميع الاموال وتولى أخوه عمرو بن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ووردت كتب عمرو الى الموفق أخي الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة وأن يتولى ما كان أخوه يتولاه فأجيب الى سؤاله وولاه في ذي القعدة من السنة (قلت) سياقة هذا التاريخ يدل على ان يعقوب الصفار توفي في بقية سنة اثنتين وستين ومائتين لانه حكى الوقعة في هذه السنة وان يعقوب انهزم ثم قال عقيب هذا وورد الخبر بوفاة يعقوب في شوال ولم يذكر السنة فيدل على موته في تلك السنة والذي أعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا فان أبا الحسين السلامي ذكر في كتاب تاريخ ولاة خراسان في أول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار أنه أصابه القولنج فأشير عليه بالعلاج فامتنع منه واختار الموت عليه فمات بجنديسابور من خوزستان يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شوال من سنة خمس وستين ومائتين وقال أبو الوفاء الفارسي رأيت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة وقد كتبوا عليها

ملكت خراسانا وأكناف فارس * وما كنت من ملك العراق بآيس

سلام على الدنيا وطيب نسيمها * اذا لم يكن يعقوب فيها بجالس

ورأيت بخطي في جملة مسوداتي ان يعقوب بن الليث الصفار توفي سنة خمس وستين ومائتين بالاهواز وحمل تابوته الى جنديسابور فدفن بها وكتب على قبره هذا قبر يعقوب المسكين وكتب بعده

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ورأيت بخطي أيضا في موضع آخر انه توفي بجنديسابور ومات بها وبها قبره والله أعلم وهو قاصد العراق في

ما السابق مكانه دائما على الوصف السابق * وله رحمه الله كرامات عظيمة وأفعال غريبة أتركت منها بذكر نبذ (منها) ما ذكره المولى المعروف بالفضل والاجابة محي الدين المشتهر بأخي زاده قال كنت مدرسا بمدرسة الجامع العتيق بمدينة أدرنه فدخل علي واحد من الصوفية وقال جئتك مبشرا وراجيا منك شيئا أستعين به على كفاف عيالي فما الذي تبشر به فقال انك تكون مدرسا بمدرسة الوزير الكبير رستم باشا التي بناها بقسطنطينية وتولى في اليوم الفلاني ويأتيك الخبر في الساعة الفلانية قال رحمه الله فعرض لي انكار عظيم وازدراء بشأنه حيث أخبرني عن الآتي وطلب عليه الاجر فقصدت الى ان لا أتصدق عليه بشيء وأرده محروما ثم بدا لي ان أسأله عن كيفية حصول ذلك الخبر له فسألته فقال اني رجل من أحباء الشيخ مصلح الدين المعروف بسراج زاده ذو عيال كثيرة وقد غلبني الفقر وركبني الديون فشكوت اليه من ذلك وشرحت حالي فقال لي اجتمعت في هذه الليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بان المولى محي الدين المدرس بمدرسة الجامع العتيق سيوجه اليه مدرسة رستم باشا

التاريخ المذكور وكانت وفاته بعلة القولنج وأشير عليه أن لا دواء له إلا الحقنة فامتنع منها واختار الموت
دونها وكانت مدة علته بالقولنج والفواق ستة عشر يوما ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحي أربع عشرة
سنة وشهورا وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه في سنة خمس وستين ومائتين أنه مات فيها يعقوب بن الليث
في تاسع عشر شوال من السنة وذكر حديث القولنج وامتناعه من الحقنة وأنه مات بجنديسابور من كور
الأهواز (قلت) وهي من أعمال خوزستان بين العراق وبلاد فارس وقال شيخنا أيضا وكان الخليفة
المعتمد قد أنفذ إليه رسولا يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول إليه ويعقوب مريض
فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من خبز الخشكار ومعه بصل وأحضر الرسول فأدى الرسالة فقال له قل
للخليفة إني عليل فإن مت فقد استرحت منك واسترحت مني وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف
حتى آخذ بثأري أو تكسرني وتفقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات
وقال ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك جنديسابور مدينة خصبة واسعة الخير بها نخل وزرع كثير
ومياه وقد لها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالخير الكثير وكان الحسن بن زيد العلوي يسمي
يعقوب بن الليث السندان لثباته وكان قل أن يرى متبسما وكان عاقلا حازما وكان يقول كل من عاشرته
أربعين يوما ولا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة ولما تولى عمرو أحسن في التدبير والسياسة غاية
الإحسان حتى يقال ما أدرك في حسن السياسة للجنود والهداية إلى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل
عمرو بن الليث وذكر السلامي في كتاب أخبار خراسان شيئا كثيرا من كفايته وحسن تدبيره وسياسته بقواعد
المملكة والولاية فتركته طلبا للاختصار وذكر أنه كان ينفق في الجند في كل ثلاثة أشهر مرة ويحضر
بنفسه على ذلك الوقت عارض الجيش يتعدو الأموال بين يديه والجند بأسرهم حاضرون وينادي المنادي أولا
باسم عمرو بن الليث فيتقدم فرسه إلى العارض بجميع آلة الفارس فيتفقدها ويأمر بوزن ثلثمائة درهم باسم
عمرو فيجعل الصيرفي صرة فيأخذ الصرة فيقبلها ويقول الحمد لله الذي وفقني لطاعة أمير المؤمنين حتى
استوجبت منه الرزق ثم يضعها في خفه فتكون لمن ينزع خفه ثم يدعى بعد ذلك بأصحاب الرسوم على مراتبهم
فيتعرض لأسمائهم التامة ولدوابهم الفرة ويطالبون بجميع ما يحتاج إليه الفارس والراجل من صغير آلة
وكبيرها فمن أخل بإحضار شيء منها حرم ورزقه فاعترض يوما فارس كانت له دابة في غاية الهزال فقال له عمرو
يا هذا أتأخذ مالنا تنفقه على امرأتك فتسمنها وتترك دابتك التي عليها تقاتل وبها تعيش الأرزاق امض فليس
لك عندي شيء فقال له الجندي جعلت لك الفداء لو اعترضت امرأتي لاستسمنت دابتي فضحك عمرو وأمر
بإعطائه وقال استبدل بدابتك (قلت) ذكر القاضي كمال الدين المعروف بابن العديم الحنبلي في تاريخ حلب
حكاية يليق أن أذكرها هنا لأنها مثل هذه الحكاية وهي كان كسرى أنوشروان ابن قباذ قد ولى رجلا من
الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن البهروان ديوان الجند فقال لكسرى أيها الملك إنك
قد قلدتني أمرا من صلاحه أن تحتمل لي بعض الغلظة في الأمور وهي عرض الجنود في كل أربعة أشهر
وأخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤدبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر
في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فإن ذلك ذريعة إلى أنواع السياسة تجاربها فقال كسرى ما الحجاب بسائل
بأحفلي من الحجيب لاشتراكهما في فضله وانفراد الحجيب بعد بالراحة تحقق مقالتك فأمر فبنيت له في موضع
العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر
للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فيهم فأمرهم
فانصرفوا فنادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فإنه
عرض لا رخصة فيه ولا محاباة فبلغ كسرى ذلك فتسلح بسلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي
يؤخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وحرزا تلزمه منطقة
وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلاثين نشابة ووترين ملفوفين يعلقهما الفارس في مغفره

و يصل الخبر إليه في اليوم
الفلاني في الساعة الفلانية
وأنا ما رأيت ذلك المدرس
قط ولا أعرفه بشيء فاذهب
إليه وبشره بذلك الخبر
فلعله يبرك بشيء
تستعين به على فقرك
وتسد به بعض حوائجك
فاعتمدت عليه وجئت إليك
لذلك الغرض قال سلمه الله
فذهب عني بعض ما عرض
لي من الانكسار والانقباض
لما سمعته قبل ذلك من
محاسن الشيخ المزبور
ومعارفه فأعطيته شيئا
وقلت له إذا كان الأمر
كما قلت وحصل ما بشرتني
به زدت على ذلك وأتكفل
ببعض مهماتك فذهب
الصوفي وبقيت في الأمنية
والرجاء إلى أن وصلت
البشارة في ذلك الوقت
الذي عينه الصوفي وكان
الأمر كما قال (وقال) أيضا
سلمه الله خرجنا ذات يوم
من البلدة المزبورة قاصدين
إلى بعض البقاع وكان اليوم
شديد الحر وقد ضللنا
الطريق فبقينا في الضيق
وغلبت الحرارة وركبنا
العطش ولم يوجد في الرحل
ماء ولا من يدلنا عليه فغلبنا
الضعف والحيرة وكدنا أن
نموت من العطش والحرارة
قال سلمه الله فنزلت عن
دابتي وقعدت متفكرا في
أمري فإذا بسواد ظهر من
بعيد فأمعنت النظر فيه
ساعة فتحققت أنه إنسان
قاصدا إلينا فاستقبله واحد

ظهريا فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك فاجاز على اسمه وقال لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم وكان أكثر ماله من الرزق أربعة آلاف درهم ففضل كسرى بدرهم واحد فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال أيها الملك لا تلمني على ما كان من اغلاظي فما أردت به الا الدربة المعدلة والانصاف وحسم مادة المحاباة فقال كسرى ما أغلظ علينا أحد فيما يريد به اقامة أودنا وصلاح ملكنا الا احتملناه غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجوه من منفعته (رجعنا الى تتمة أخبار عمرو ابن الليث الصفار) قال السلامي أيضا كان رافع بن هرثمة تبعا لابي ثور وكان أبو ثور أحد قواد محمد بن طاهر الخزاعي فلما وافى يعقوب الصفار نيسابور كان أبو ثور من جملة من مال بعقوب على محمد بن طاهر فلما انصرف يعقوب الى سجستان صحبه أبو ثور ومعه رافع بن هرثمة وكان رجلا طويل اللحية كريه اللحية قليل الطلاقة فدخل يوما الى يعقوب فلما خرج من عنده قال يعقوب انى لا أميل الى هذا الرجل فليلحق بحيث شاء فباع رافع جميع آلاته ثم انصرف الى منزله بنامين وهى من قرى كنج رستاق وأقام هنالك الى ان استقدمه أحمد بن عبد الله الخجستاني (وخجستان من جبل هراة من قرى باذغيس) وكان الخجستاني من اتباع يعقوب الصفار ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسط الظلم في سنة احدى وستين ومائتين وكان يظهر الميل الى الطاهرية مستميلا بذلك قلوب أهل نيسابور اليه حتى انه كان يكتب في كتبه أحمد بن عبد الله الطاهرى ثم كتب الخجستاني الى رافع بن هرثمة وهو في بلده يستقدمه فقدم عليه فجعله صاحب جيشه وللخجستاني حروب ومواقف مشهورة وليس الغرض ذكر شئ منها ههنا ثم ان غلامين من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه وقد سكر ونام وذلك في ليلة الاربعاء لست بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين وكان رافع بن هرثمة غائبا فقدم بعد ذلك على جيش الخجستاني فقدموه عليهم وبايعوه فلم ينشب ان توقل بنيسابور ثم عزل الموفق بالله عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان وجعلها الى أبي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سنة احدى وسبعين ومائتين وهو مقيم ببغداد فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة ما خلا أعمال ما وراء النهر فان الموفق بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن اسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان وطبرستان وكان الحسن بن زيد العلوى توفي سنة سبعين ومائتين واستولى عليها أخوه محمد بن زيد فجاءه رافع في سنة اربع وسبعين ففارقهما محمد بن زيد الى استراباذ فحاصره بها رافع مدة سنتين ثم فارقها ليلا فنفر بسير الى بلاد الديلم واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين ثم توفي الخليفة المعتمد على الله في رجب في سنة تسع وسبعين ومائتين وتولى الخلافة بعده المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق المذكور وولى المعتضد أبا ابراهيم اسمعيل بن أحمد الساماني ما وراء النهر بعد وفاة أخيه أحمد بن نصر المذكور (قلت وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين بسمرقند) قال ثم عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وولاها عمرو بن الليث وبقى رافع بالرى ثم انه هادن الملوك المجاورين له ليستعين بهم على عمرو بن الليث فلما تم له ذلك خرج الى نيسابور فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين ومائتين وهزمه عمرو وتبعه الى أبيورد وقصد رافع ان يخرج منها الى هراة أو مرو فعلم عمرو انه مقصده سرخس فقصدها عمرو ليأخذ عليه الطريق فعلم رافع ذلك فخرج من أبيورد ومعه دليل فأخذه على جبال طوس حتى أورده باب نيسابور فدخلها فعاد عمرو اليها وحاصرها فانهزم رافع وأصحابه ووصل الى نواحى خوارزم على المفازات وحمل معه ما كان من آلة ومال في شرذمة قليلة وذلك يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين فوجه اليه أمير خوارزم نائبا يقوم بخدمته وما يحتاج اليه الى ان يصل خوارزم فوجده النائب في نفر من أصحابه فقتله لسبع خلون من شوال يوم الجمعة سنة ثلاث وثمانين وحز رأسه وحمله الى عمرو بن الليث وهو بنيسابور فأنفذ عمرو رأسه الى المعتضد بالله ولم يكن رافع ابن هرثمة وانما هرثمة زوج أمه وانتسب رافع اليه لشهرته ورافع بن نوح وقال ابن جرير الطبرى فى

مناولها بيده الشريفة ثم أوصل الينا أولا عن ظهر غرارة وأخرج منها عدة بطاطيخ ووضعها بين يدى وقال ان الشيخ مصلح الدين المشهور بجراح زاده يسلم عليكم ويقول لنا كلوا من هذه وانصرفوا الى الطريق الفلانى ولا تخرجوا بعد ذلك الى السفر بغير زاد وعدة فسألته عن مكانه وعن سبب مجيئه فقال ان وراء هذا الجبل قرية الشيخ المذكور وكان مقصودنا ان تخرج من بيته وقال ان المولى محيي الدين مدرس المدرسة الفلانية فقد الطريق ويجهده العطش ووقع فى أمر عظيم فلا يتم منكم أحد ولما أخذنا من هذه البطاطيخ ما يتحمل وليس أخ السير لنا على الطريق فانه يقيم في الموضع الفلانى فانبسطت وقصدت نحوكم فكان الامر كما رأيتم (وقد حكى) واحد من عبيده يسمى عثمان الرومي قال أوقدت شمعة فى بعض الليالى وادخلتها حجرته ووضعتها على اسطوانة وأخذت فى شغلى فأخذنى النوم فلم أنتبه الا وقد احترقت الاسطوانة وكادت الحجرات تحترق منها ودفعت النار وشكرت الله تعالى فى دفعها ولم يطلع على ذلك أحد وما أخبرت بذلك أحدا فلما أصبحت وحضرت مجلس الشيخ عاتبنى وقال كيف كدت ان

تاريخه في سنة ثلاث وثمانين وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة قرئت الكتب على المنابر بقتل
رافع بن هرثمة وقدم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع الى بغداد يوم الخميس لاربع خلون من
المحرم سنة أربع وثمانين ومائتين على المعتضد فأمر بنصبه في الجانب الشرقي الى الظهر ثم تحويله
الى الجانب الغربي بقية النهار الى الليل ثم رده الى دار السلطان قال السلامي وصفت خراسان الى
شط جيحون لعمرو بن الليث (قلت) وقد مدح البحتري الشاعر المشهور رافع بن هرثمة وكناه أبا يوسف
في مدحته وأرسلها اليه فأرسل له عشرين ألف درهم وهو بالعراق قال السلامي ولما توجه عمرو بن الليث
براس رافع ابن هرثمة الى المعتضد سأل أن يوليه عمل ما وراء النهر مثل ما كان يرسم عبد الله بن طاهر
فوعده بذلك ثم أرسل اليه المعتضد هدايا فوصلت وهو في نيسابور فأبى ان يقبلها دون الوفاء بما وعده من
توليه أعمال ما وراء النهر فكتب الرسول الى المكتفي بالله بن المعتضد وكان بالري وعنده جماعة من خواص أبيه
بما سأله عمرو فأنفذوا اليه العهد بها فحمل اليه العهد والهدايا التي سيرها له المعتضد بالله وامتنع من أخذها
وكان في الهدايا سبعة عشر خلع فوضعت بين يديه وأفاض عليه الرسول الخلع واحدة بعد أخرى وكلما لبس
خلعة صلى ركعتين ثم وضع العهد قدامه فقال ما هذا قال هذا الذي سألته فقال عمرو وما اصنع به فان اسمعيل
ابن أحمد لا يسلم الى ذلك الا بمائة ألف سيف فقال انت سألته فخذ الآن لتتولى العمل في ناحيته فأخذ
العهد وقبله ووضعه بين يديه ثم انفذ عمرو الى الرسول ومن معه سبعمائة ألف درهم وصرفهم ثم جهز عمرو
جيشا الى اسمعيل بن أحمد فعبر اسمعيل اليهم نهر جيحون وقاتلهم فقتل بعضهم بعضا وهزم الباقين وعمرو بن
الليث الصفار في نيسابور وكانت الوقعة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين
ومائتين وعاد اسمعيل الى بخارا وهي من أعمال ما وراء النهر قال السلامي انتدب عمرو بن الليث لمحاربة اسمعيل
ابن أحمد ابن بشر فلما عبر اسمعيل جيحون دخل موسى السنجري على محمد بن بشر وهو يحلق رأسه فقال له
هل استأذنت اسمعيل في سياقة رأسك يعني انه رأس لا يسمل لانه استحق خلاف ربه فقال له محمد اعزب يعني
لعنك الله ثم تحاربوا من الغد ثم انكشف أصحاب ابن بشر وقبضوا عليه وحزوا رأسه في جملة سائر الرؤس وحملوها
الى اسمعيل وادخلوا جماعة من أصحابه ليميزوا الرؤس عن رأس ابن بشر فاعلم بعضهم اسمعيل بما قال موسى
السنجري لابن بشر فتعجب مما جرى الفال به وذكر الطبري في تاريخه في سنة سبع وثمانين ومائتين ما مثاله
وفي يوم الاربعاء لخمس بقين من جمادى الاولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان انه كانت بين اسمعيل بن
أحمد وبين عمرو بن الليث وقعة فأسر عمرا واستباح عسكره وكان من خبر عمرو واسمعيل ان عمرا سأل
السلطان ان يوليه ما وراء النهر فولاه ذلك ووجه اليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع على ما وراء النهر لمحاربة
اسمعيل بن أحمد فكتب اليه اسمعيل انك قد وليت دنيا عريضة وانما في يدي ما وراء النهر وانا في ثغر فاقنع بما
في يدك واتركني مقيما بهذا الثغر فأبى اجابته الى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو لو شئت
ان اسكره ببدر الاموال واعبره لفعلت فلما يئس اسمعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الدهاقين وعبر
النهر الى الجانب الغربي وجاء عمرو بن الليث فنزل بلخ وأخذ اسمعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر وندم على
ما فعل وطلب المحاجزة فيما ذكر فأبى اسمعيل عليه ذلك فلم يكن بينهم قتال كثير حتى هزم عمرو فولى هاربا ومر
بأجمة في طريقه فقيل له انها اقرب فقال لعامة من معه امضوا في الطريق الواضح ومضى في نفر يسير فدخل
الاجمة ووحلت به دابته فوقعت ولم يكن له في نفسه حيلة ومضى من معه ولم يلووا عليه وجاء أصحاب اسمعيل
فأخذوه اسيرا فلما بلغ المعتضد ما جرى مدح اسمعيل وذم عمرا وقال يتقلد أبو ابراهيم اسمعيل كل ما في يد عمرو
وتوجه اليه بالخلع * ثم ذكر الطبري ايضا في سنة ثمان وثمانين ما مثاله وفي أول جمادى الاولى يوم الخميس
ادخل عمرو بن الليث بغداد وذكر لي ان اسمعيل بن أحمد خيره بين المقام عنده أسيرا وبين توجيهه الى أمير
المؤمنين فاختار توجيهه الى أمير المؤمنين فوجهه وقال السلامي في اخبار خراسان ثم خرج عمرو الى بلخ فلاقاه
بها اسمعيل فهزمه وقبض عليه وذلك يوم الثلاثاء النصف من ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومائتين وانفذه

تعترف بالبيت لا تعد الى
مثل ذلك وكن على بصيرة
وتحفظ في أمرك * ولما
وصلنا من التحرير والتسطير
الى هذا المقام عرض لنا
أن نذكر نبذا من مناقب
الاجلة الكرام الذين من
ذكرهم في عرض هذا
الكلام مستمدا من
أرواحهم العلية ومستدرا
من سحائب بركاتهم الصيبة
وقد ارتكبنا في التطويل
من الكلفة والزحمة معتمدا
على ما قيل عند ذكر
الصالحين تنزل الرحمة
(فأولهم) بحسب سلسلة
الطريقة وأقدمهم في
الظاهر والباطن بحسب
الحقيقة شهرة الديار
والآفاق ولي الله تعالى
بالاتفاق الشيخ محي الدين
وقد ولد ذلك الفضل
الكسب بقصبة تسمى
اسكليب ونشأ طالبا
للمعارف والعلوم فداوى
بلاد العجم والعرب والروم
واجتمع مع كثير من
الافاضل السادة وفاز
منهم بالتلمذ والاستفادة
ورزق الفنون وتمهر
واطلع من العلوم وتبحر
ثم صرف عنان العزيمة
عن العلوم الرسمية الى
المعارف الالهية السمية
واتصل بالمرشد السري
الشيخ ابراهيم القيصري
وهو من خلفاء
الشيخ المعروف بابن شمس
الدين من الائمة وهو من
خلفاء الشيخ حاج

مقيدا

عقيد الى سمرقند (قلت وهي من بلاد ما وراء النهر أيضا والنهر هو جيحون) قال وضم اليه أشناس أبا يوسف ليقدمه الى أن ورد عليه من عند المعتضد عبد الله بن الفتح بعهد خراسان والالوية والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين وقدم معه اشناس ليتولى حمل عمرو بن الليث الى بغداد فسلمه اسمعيل اليه فحمله وقال ابن أبي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه ان عمرو بن الليث الصفار انهزم وقتل خلق كثير من أصحابه وكانت الوقعة على باب بلخ يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وقبل ذلك هرب ابن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث الى اسمعيل بن أحمد ومعه قائد من قواده في خلق كثير فاسر عمرو في يوم الوقعة وقد عرف الخبر ثم كثر هرب أصحابه الى اسمعيل فضعف قلب عمرو وهرب واشتغل اسمعيل بالعسكر وبعث في طلب عمرو بجيش فأدركوه واقعا على فرس فقبضوا عليه وسيره اسمعيل الى المعتضد واخبره بما جرى وانه سيره الى سمرقند حتى يرد عليه أمر أمير المؤمنين فاشتد سرور الخليفة بذلك وقلد الخليفة اسمعيل ما كان مقلده عمرو مضافا الى عمله ووجه عبد الله بن الفتح الى اسمعيل في طلب عمرو فلما وصل الى اسمعيل وجه اليه فأحضر عمرا فقيده فأرسله والى جانبه رجل من أصحاب اسمعيل بيده سيف مشهور وقيل لعمرو ان تحركت في أمرك احد ضرب الرجل رأسك اليوم فلم يتحرك احد ووصلوا الى النهروان يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ودخل فيه عمرو فلما كان يوم الخميس مستهل جمادى الاولى ركب الجند القائد وعمرو في القيد حتى جاؤا به على باب الشماسية فانزل عمرو من القيد والبس دراعة ديباج وبرنس السخط وحمل على جمل له سنامان بقالية اذا كان ضخما على هيئة الصورة الشامخ في غاية الارتفاع وكان عمرو قد اهداه فيما اهدى الى الخليفة فقد البس الجمل الديباج وحلى بذوائب وأرسان مفضضة وادخل بغداد فاتى به الى الشارع الاعظم الى دار الخليفة فمر بالحسنى وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع ويدعو منه ثم تناله العامة واسكتوا عن السلام عليه ثم ادخل الى الخليفة وقد جلس له واحتفل به فوقف بين يديه ساعة وبينهما نحو خمسين ذراعا وقال له هذا بغيك يا عمرو ثم اخرج من بين يديه الى حجرة قد أعدت له وكان أخوه يعقوب الصفار قد تزوج امرأة من أشراف العرب من بلد سجستان فلما توفي يعقوب تزوجها أخوه عمرو ثم توفيت ولم تخلف ولدا وكان لها ألف وسبعمائة جارية قال بعضهم كنت عند أبي علي الحسن بن محمد بن فهم المحدث فدخل رجل من أصحاب الحديث فقال له يا أبا علي رأيت عمرو بن الصفار اسيرا على جمل فالج من الجمال التي كان أهداها عمرو منذ ثلاث سنين الى الخليفة فأنشد أبو علي

وحسبك بالصفار بالامس عبرة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا

حباهم بأجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أسيرا

وعمل في ذلك علي بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر المقدم ذكره

أيها المغتر بالدنيا أما أبصرت عمرا * اركب الفالج بعد الملك والعز قسرا

وعليه برنس للسخط اذلالا وقهرا * رافعا كفيه يدعو الله اسرارا وجهرا

أن ينجيه من القتل * وأن يعطى عمرا

قال الطبري وتوفي المعتضد بالله ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وتولى الخلافة ولده المكتفي بالله أبو محمد علي وكان غائبا في الرقة فعند موت أبيه قدم بغداد وأمر يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لاهل الجرائم ومات عمرو بن الليث الصفار في غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسني وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام أمر بقتل عمرو بالايماء والاشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه أي اذبح الاعور وكان عمرو أعور فلم يفعل صافي الحرمي ذلك وهو الذي أمره المعتضد بقتله وانما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته وكره قتل عمرو فلما دخل المكتفي بغداد سأل فيما قيل القاسم بن عبيد الله عن عمرو أحي هو فقال نعم فسر بحياته وقال أريد أن أحسن اليه وكان عمرو يهدي الى المكتفي ويبره برا كثيرا أيام

بيرام والشيخ محيي الدين الزبور وان كان بفضائله المشهور وكماله الباهر وتقدمه الظاهر مصداق ما قلت (بيت)

حاز الفضائل والمآثر جمة * لم تحص لو ذكرت بكل لسان

الا انى أتبرك بايراد نبذ من محاسن مآثره وقطرة من سحاب سماء مفاخره واثبت في آخر هذه التراجم المباركة رسالة من نتائج طبعه الشريف هدية لكل طالب صالح وماهر عريف (منها) ما حكاه الشيخ مصلح رحمه الله تعالى انه ابتليت بالحمى وأنا في ست أو سبع من العمر وقد اشتدت بي حتى أشرفت على الموت فاتفق ان الشيخ محيي الدين الزبور جاء الى مدينة أدرنه فأخذ والدي بيدي وجاء بي الى مجلسه الشريف فقبلت يده وقعدت بين يديه فسأل والدي فقال انه ابني مصلح وقد ابتلي بالحمى الشديدة فأيس من حياته فتفكر في ذلك ساعة ثم العالية فقال الشيخ اذهب به الى السوق واشتر له ثوبا من شعر الشاة والبسه فانه يبرأ ان شاء الله تعالى قال رحمه الله فذهب بي والدي الى السوق وفعل ما وصاه به الشيخ فتركتني الحمى من اليوم ولم تعد الي ما دمت ألبس هذا الثوب (ومنها) ما رواه المولى العلامة محيي الدين المشتهر بأخي زاده قال اجتمعت

مقامه بالري في حياة أبيه المعتضد فذكر ان القاسم كره سؤاله عنه ودس اليه من قتله وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة تقريبا (قلت) وانما قيل ليعقوب الصفار لانه كان يعمل الصفر وهو النحاس وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وبعدها راء وكان أخوه عمرو يكرى الحمير (حكى) شيخ من الصفارين قال كان يعقوب وهو غلام في دكانه يتعلم عمل الصفر ولم أزل أتأمل بين عينيه وهو صغير ما آل أمره اليه فقيل له وكيف ذلك قال ما تأملته قط من حيث لا يعلم بتأملي اياه الا وجدته مطرقا اطراق ذي همة وفكر وروية فكان من أمره ما كان وقال علي بن المرزباني الاصفهاني الكاتب سألت بعض أصحاب بني الصفار عن عمرو بن الليث أخي يعقوب الصفار وصناعته وعمرو يومئذ محبوس بمدينة السلام فسكت عني فلما توفي عمرو قال لي كنت سألتني عن عمرو وصناعته ولم يكن من الحزم اخبارك وهو يرجى ويخشى فاعلم الآن انه لم يزل مكاريا الى أن عظم شأن أخيه يعقوب وتمكن من خراسان فلحق به وترك الكراء الحمير (قلت) ذكر جماعة من أرباب التواريخ في كتبهم ان أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي المقدم ذكره في هذا التاريخ كان يقول عجائب الدنيا ثلاث جيش العباس بن عمرو الغنوي يؤسر العباس وحده وينجو من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشه وكانوا عشرة آلاف وجيش عمرو بن الليث يؤسر عمرو وحده ويموت في السجن ويسلم جميع جيشه وكانوا خمسين ألفا وأنا أترك في بيتي بطالا ويولى ابني العباس الجسرين ببغداد (قلت) وكان من حديث العباس بن عمرو الغنوي ان القرامطة لما اشتد أمرهم وانتشروا في البلاد وبالغوا في القتل أرسل اليهم المعتضد بالله في سنة سبع وثمانين ومائتين جيشا مقدمه العباس المذكور فأسره أبو سعيد القرمطي رئيس القرامطة في الوقعة وأسر جميع من معه من الجيش وفي اليوم الثاني من الوقعة احضر أبو سعيد القرمطي الاسرى فقتلهم بأسرهم وأحرقهم وأطلق العباس فأتى المعتضد وحده وكان ذلك في آخر شعبان من السنة وكانت الوقعة بين البصرة والبحرين وهي قصة طويلة مشهورة وهذا خلاصتها اذ ليس هذا موضع التطويل في شرحها وسيأتي ذكرها مع الاستقصاء في التاريخ الكبير ان شاء الله تعالى (قلت) والبيتان المذكوران قبل هذا وانما هما كنتوبان على قبر يعقوب الصفار وآخر البيت الاول منهما * وما كنت من ملك العراق بآيس * هذا نصف بيت من جملة أبيات ترنم بها معاوية بن أبي سفيان الاموي لما تغلب على الشام وجاءه جرير بن عبد الله البجلي برسالة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان علي اذ ذاك مقيما بالكوفة فلما أدى جرير الرسالة الى معاوية وانفض المجلس أمر معاوية بنزول جرير في مكان قريب منه وجعل يترنم بهذه الابيات تلك الليلة ليسمع جرير فيعيد ذلك على علي رضي الله عنه والابيات المشار اليها هي

تطاول ليلي واعترتني وساوسي * لآت أتى بالترهات البسابس
أتاني جرير والحوادث جمة * بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
أكايدها والسيف بيني وبينه * ولست لاثواب الدني بلابس
ان الشام أعطت طاعة يمنية * تواصفها أشياخها في المجالس
فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة * تفت عليه كل رطب ويابس
واني لأرجو فوق ما أنا سائل * وما أنا من ملك العراق بآيس

(قلت) الترهات بضم التاء المثناة من فوقها وتشديد الراء وبعد الهاء والالف تاء ثانية والبسابس بفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة وبعد الالف باء ثانية مكسورة ثم سين ثانية وهي الباطل وأصل الترهات الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة فارسي معرب ثم استعير في الباطل فقيل الترهات البسابس والجبهة الخيل والجبهة الجماعة من الناس أيضا فكأنه قال اصدمه بالخيل والرجال والباقي معروف لا حاجة الى تفسيره ورأيت بخط بعض أهل هذا الفن ان عمرو بن الليث لما أسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ثم قبض عليه غلام جده سبكرى في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه أخوه يعقوب بن محمد وبعث بهما الى مدينة السلام ثم ولي بعده الليث بن علي بن الليث وهو ابن أخي يعقوب وعمرو ابني الليث المذكورين كان

ومنهم الشيخ العارف بالله محيي الدين المشتهر بحكيم جلبي فحدثنا زمانا وانجر الكلام الى ذكر المشايخ فقال المرحوم كيف اعتقادك في الشيخ محيي الدين الاسكليبي فقلت اني وان كنت حسن الظن وجميل الاعتقاد فيه الا أني لم أطلع على شيء من مآثره فقال المرحوم فاعلم انه كان رحمه الله من الرجال الكاملين عالما بالمعارف الالهية من فرقه الى قدمه وروحه المطهرة متصرفة الآن في هذه الاقطار وان أرباب السلوك وطلبة المعارف الالهية مستفيدون من معارفه الجليلة وأنا أخبرك بما وقع لي بينما أنا قاعد في المحراب بعد صلاة الصبح والمريدون مشتغلون بالاوراد وفي المسجد أيضا أناس غيرهم فاذا بالشيخ محيي الدين المزبور دخل من باب المسجد وفي يده ثوب مخصوص بالشيوخ البيرامية فلما رأيته قمت اجلالا فجاء الي وسلم علي فرددت سلامه فقال ان هذا الثوب الذي في يدي أرسله اليك سيدنا وسيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام لالبسكم اياه فتهيأت فلما تهيأت البسني هذا الثوب فلما لبسته حصل لي من الفتوح والكشوف ما لا يحتمله البيان ثم قال بارك الله لك في باوغك هذه المرتبة

تغلب على بلاد سجستان فى سنة ست وتسعين ومائتين وجرى بين سبك السبكرى وطاهر بن محمد المذكور ماجرى واستقرت البلاد بيد السبكرى فاستخلف الليث المذكور على سجستان اخاه المعدل بن الليث وسار الى بلاد فارس فهرب السبكرى منه يطلب من الخليفة النجدة فجرد المقتدر بالله الجيوش فى شهر رمضان سنة ست وتسعين وقدم عليها مؤنسا المظفر وبدرا الكبير والحسين بن حمدان والتقوا مع الليث بن على فانهزم جيشه وأسر هو وأخوه محمد وابناه اسمعيل وعاد مؤنس الى بغداد ومعه الاسرى فى المحرم سنة سبع وتسعين وشهر الليث بن على على الفيل وولى المعدل بن على بن الليث على سجستان فسار اليه أحمد بن اسمعيل السامانى فى خلق كثير من الفارس والراجل فأخذ منه البلاد ثم ملكها السبكرى الصفارى مدة ثم حمل معه محمد بن على بن الليث الى بغداد وانقضى أمر الصفارية والله أعلم

*(ابو يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن بن على القيسى
الكومى صاحب بلاد المغرب)*

قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن وسيأتى ذكر أبيه يوسف ان شاء الله تعالى كان صافى السمرة جدا الى الطول ماهو جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخم الاعضاء جهورى الصوت جزل الالفاظ من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثا وأكثرهم اصابة بالظن مجربا للامور ولى وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحثا شافيا وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الامور ولما مات أبوه فى التاريخ الآتى فى ترجمته ان شاء الله تعالى اجتمع رأى أشياخ الموحدين وبنى عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه المنصور فقام بالامر أحسن قيام وهو الذى أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر فى أمور الدين والورع والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأقام الحدود حتى فى أهله وعشيرته الاقربين كما أقامها فى سائر الناس أجمعين فاستقامت الاحوال فى أيامه وعظمت الفتوحات ولما مات أبوه كان معه فى الصحبة فباشر تدبير المملكة من هنالك وأول ما رتب قواعد بلاد الاندلس فاصلح شأنها وقرر المقاتلين فى مراكزها ومهد مصالحها فى مدة شهرين وأمر باسقاط البسملة فى أول الفاتحة فى الصلوات وأرسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام التى فى مملكته فأجابه قوم وامتنع آخرون ثم عاد الى مراكش التى هى كرسى ملكهم فخرج عليه على بن اسحق بن محمد بن على بن غانية الملثم من جزيرة ميورقة فى شعبان سنة ثمانين وملك بجاية وما حولها فجهز اليه الامير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولا فى البحر ثم خرج بنفسه فى أول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فاستعاد ما أخذه من البلاد ثم عاد الى مراكش وفى سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهى فى غرب جزيرة الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخاف منه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر الى الامير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم فى جحفل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل وجاز الى الاندلس وذلك فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة فعلم الفرنج به فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه (قلت) ورأيت بدمشق فى أواخر سنة ثمان وستين وستمائة خط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ كان بها وكان قد سافر الى مراكش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغى ذكرها هنا * فقال لما انقضت الهدنة بين الامير أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة المغربية وبين الاذفونش الفرنجى صاحب غرب جزيرة الاندلس وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة وذلك فى أواخر سنة تسعين وخمسمائة عزم الامير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الفرنج وكتب

السفينة فانه كان طريقك وانتهى أجلك ثم خرج من المسجد وغاب من فوره وبقى على الثوب وكنت ظننت ان جميع الحاضرين اطلعوا على هذه الاحوال فاذا هم غافلون عن جميع ماجرى بيننا ولم يطلعوا على شىء مع الشيخ ولم يروا قيامى له قال رحمه الله وقد لبست هذا الثوب مدة حتى تخرق على وخلفته فى البيت (قلت) وهذا غير مستبعد من أمثال أولئك الفحول وقد وقع نظائره لافراد الناس (منها) ما حكاه الشيخ محيى الدين أحمد بن ابراهيم النحاس الدمشقى فى كتابه المسمى بمشارع الاشواق قال توجهت الى الاسكندرية فى سنة احدى وثمانمائة فزرت رشيد فرافقنى جماعة من أعيانها فزرنا تلا يعرف بتل بورى وقد كان حصل فيه معركة بين المسلمين والفرنج واستشهد به جماعة فذكروا عن رجل من أهل رشيد وأثنوا عليه خيرا أنه مر ليلة بهذا التل فوجد به عسكرا وخياما ونيرانا فظن انه العسكر جاء من القاهرة ونزل هنالك قالوا فدخل بينهم فسألوه الى أين تتوجه فأخبرهم أنه متوجه الى القاهرة فقال له بعضهم انى مرسل معك كتابا الى أهلى فاوصله اليهم ثم كتب الكتاب ودفعه اليه وعرفه أمارة بينه وبين أهله قال

الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الامير يعقوب الى مراكش فطمع المجاور ونناله من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس واقتضى الحال تفرق جيوش الامير يعقوب ثم فارقوها واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب انك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الاندلس من التخاذل والتواكل واهمالهم الرعية واخلادهم الى الراحة وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي لي عنك انك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لي انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان وترسل الي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات وأجوز بجملتي اليك وأقاتلك في أعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الارادة لا رب غيره ولا خير الا خيره ان شاء الله تعالى فلما وصل كتابه الى الامير يعقوب بن يوسف كتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع وكتب اليه

ولا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

قلت وهذا البيت للمتنبي ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الامصار وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس وسار الى أن دخل بلاد الفرنج وقد اعتدوا واحتشدوا وتأهبوا فكسرهم كسرة شنيعة وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة انتهى ما نقلته من الجزء المذكور (قلت) ثم وجدت في كتاب تذكرة العاقل وتنبيه الغافل تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري البياسي هذه المكاتبة وجوابها الا انه كتبها الاذفونش ابن فرذلند الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الآتي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى وجواب يوسف على هذه الصورة أيضا والله أعلم (قلت) وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على انه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري فان كان كذلك فلا يمكن أن تكون هذه الرسالة الى يعقوب بن يوسف لان ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير والله أعلم ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما سنشرحه ان شاء الله تعالى وهو ان الفرنج جمعوا جمعا عظيما وقصدوا بلاد الامير يعقوب ثم بلغه مسيرهم وكثرة جموعهم فساءه ذلك وجد في السير نحوهم حتى التقوا في شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج الحديد فهجم وشن عليهم الى منازلة الفرنج وصافهم وذلك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتفق في ذلك طريفة أنهم وجدته فانهم أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر ووقع القتال وبرزت الابطال وحميت الرجال فأمر الامير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يحملوا وأن يفعلوا وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف واستأصلهم وما نجا ملكهم الا في نفر يسير

فلما وصلت الى القاهرة سألت عن البيت فارشدت اليه فلما طرقت الباب قالوا ما تريد قلت معي كتاب من فلان فقالوا أنت مجنون ان فلانا قتل في الوقعة بشيء منذ سنين فلما ذكرت لهم الامارة عرفوا صدقي ودفعت اليهم الكتاب فتعجبوا لذلك غاية التعجب انتهى كلامه رحمه الله في هذا الباب نظائر كثيرة أضربنا عن ذكرها (ومن كراماته) قدس سره ما حكاه الشيخ علاء الدين المذكور وهو مناسب لما نحن فيه في مسألة التصوف فانه كان رحمه الله في أوائل أمره من افراد السلطان بايزيد خان فاتفق انه غزا مع بعض بلاد الكفار فسافر هو معهم ولما قفلوا من هذه الغزوة أخذهم في أثناء الطريق برد شديد وأمطار كثيرة وحدث منها سيول هائلة ثم الرحوم على الغرب بقرية لينمشي أهلها فأتوا الى نهر قد طغى ماؤه وقد أقبل بسواد الليل وأمطار السماء وكثر السيل وأمسى كل واد كالبحر العظيم ونزل من السماء العذاب الاليم والشيخ علاء الدين المذكور جمد على السير والذهاب حتى كاد على الهلاك يغلب فأتوى في سيره الى نهر يعرف بالنهر الاسود وقد أخذ ذلك النهر من السيول الجارية والامطار النازلة

ولولا دخول الليل لم يبق منهم أحد وغنم المسلمون أموالهم حتى قيل ان الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع في بلاد الاندلس بكسرة مثلها ومن عادة الموحدين انهم لا يأسرون مشركا محاربا ان ظفروا به ولو كان ملكا عظيما بل تضرب رقابهم كثروا أو قلوا فلما أصبح جيش المسلمين اتبعوهم فألفوهم قد أخلوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب فملكها الامير يعقوب وجعل فيها واليا وجيشا ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول الى بلاد الفرنج في ذلك الوقت فعاد الى مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على بلادها وأخذ من أعمالها حصونا كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب بنيانها وهدم أسوارها وترك الفرنج في أسوأ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام بها الى أثناء سنة ثلاث وتسعين فعاد الى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاقت عليهم الارض بما رحبت فأرسلوا اليه يلتمسون منه الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من أخبار علي بن اسحق الميورقي المقدم ذكره في هذه الترجمة فانه كان قد خرج على بلاد افريقية وخرب أكثر بلادها وتوسع في الفرنج وسولت له نفسه النزول على بجاية لما علم من اشتغال الامير يعقوب بجزيرة الاندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين فأوقع الصلح بينه وبين ملوك بلاد الاندلس جميعا على ما اختاروه مدة خمس سنين ثم عاد الى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين ولما وصل اليها أمر باتخاذ الاحواض والروايا وآلات السفر للتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فمنا من له خمس سنين وغير ذلك فتنعم علينا بالمقام هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين فأجابهم الى سؤالهم وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما بها من المنتزهات المحدثة وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناها على البحر المحيط الذي هنالك وهي على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع الى مراكش (قلت) وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من يقول انه لما رجع الى مراكش كما ذكرناه توفي غرة جمادى الاولى وقيل في شهر ربيع الآخر في سابع عشره وقيل في غرة صفر ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك الى حين وفاته سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش وقيل بمدينة سلا رحمه الله تعالى وكانت ولادته على ما ذكره في ليلة الاربعاء رابع شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى (قلت) ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي قرية يقال لها حمارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك الغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بين المجدل وحمارة في مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب والله أعلم وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به وحصلت عنه حكاية يليق أن نذكرها هنا وهي ان الامير الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر والد الامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية كان قد تزوج أخت الامير يعقوب المذكور وأقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت أخيها الامير يعقوب فسير الامير عبد الواحد في طلبها فامتنعت عليه فشكا الامير عبد الواحد الى قاضي الجماعة بمراكش وهو القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان فاجتمع القاضي المذكور بالامير يعقوب وقال له ان الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك أيام ثم ان الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب بمراكش وقال له أنت قاضي المسلمين وقد طلبت أهلي فما جاءني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا أمير المؤمنين الشيخ عبد

فاشتد طربه وخلع عليه عصابة وشيئا يقصر الثنى عليه وانبسط في أكناف الوادي فحصل الرجوع أوائل الماء فلاح ما وراءه من كثرة الماء بسبب غلبة النيل فرأى الصبي لما ذهب في الماء زمانا زاد ارتفاع الماء حتى غلب على دابته فخشي الغرق فعزم على العود فقصد الطريق الذي جاء منه فاستولى عليه الحيرة والاضطراب ولم يشك في الهلاك والذهاب فأخذ في التضرع والاستغفار منتظرا للموت والبوار فاذا بصوت من ورائه فالتفت اليه فاذا هو رجل على هيئة واحد من أرباب السفر فسلم على الشيخ علاء الدين وقال فقدتم الطريق ووقعتم في المضيق فقال الشيخ نعم فسبقه الرجل وقال الشيخ سر ولا تخف من أمر فسار الرجل والشيخ سار في أثره الى أن وصلا الجسر وعبره وسار وأتى الماء الى أن نزل الماء الى ركب الدواب فقال الشيخ فالتفت الرجل وأشار بيده الى ناحية فقال سر الى هذا الوجه ان شاء الله تعالى فأدركني فضل الله ونصره ولما عاد التفت الى الرجل فلم أره قد سرت الى هذه الناحية وتخلصت من تلك الورطة الهائلة وأتى في غاية العجب من حال الرجل الطبيل ولا انسبه الى السبيل قال

الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء الى خدمة الامير يعقوب فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب أهلي وقد منعوني عنهم فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسير اليه أهله والا فاعزلني عن القضاء فسكت الامير يعقوب وقيل انه قال له يا أبا عبد الله ما هذا الا جد كبير ثم استدعى خادما وقال له في السر تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيأ يكرهه وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره وهذه حسنة تعد له وللقاضي أيضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع والعدل وكان الامير أبو يوسف يعقوب يتشدد في الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الاحيان على شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم وأمر برفض فروع الفقه وان الفقهاء لا يفتون الا بالكتاب والسنة النبوية ولا يقلدون أحدا من الائمة المجتهدين المتقدمين بل تكون أحكامهم بما يؤدي اليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا بالبلاد وهم على ذلك الطريق مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمرو ومحيي الدين بن العربي نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوات ويأمر بالنداء في الاسواق بالمبادرة اليها فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى انه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل في ولايته الى جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مصغيا الى المدح مثيبا عليه وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي كتابه الذي سماه صفوة الادب وديوان العرب في مختار الشعر وهو مجموع مليح أحسن في اختياره كل الاحسان والى الامير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية وكان قد أرسل اليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب الآتي ذكره ان شاء الله تعالى رسولا من بني منقذ في سنة سبع وثمانين وخمسمائة يستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب الى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين فعز ذلك عليه ولم يجبه الى ما طلبه منه والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحرث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد وقد سبق في ترجمة عمه أسامة بن منقذ تتمة نسبه هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات وقال توفي سنة ستمائة بالقاهرة ومولده في شيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وله نظم ونثر (رجعنا الى حديث يعقوب) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الاندلسي المرسي ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الامير يعقوب فمن ذلك قوله

أتراه يترك الغزلا * وعليه شب واكتهلا * كلف بالغيد ما عقلت
نفسه السلوان مذ عقلا * غير راض عن سجيته * ذاق طعم الحب ثم سلا
أيها اللوام ويحكم * ان لي عن لومكم شغلا * ثقلت عن لومكم أذن
لم يجد فيها الهوى ثقلا * تسمع النجوى وان خفيت * وهي ليست تسمع العذلا
نظرت عيني لشقوتها * نظرات وافقت أجلا * غادة لما مثلت لها
تركتني في الهوى مثلا * هي زي الشباب فقد * سارقت أجفانها الكحلا
أبطل الحق الذي بيدي * سحر عينيها وما بطلا * عرضت لا فاذ فطنت
لوعتي أعرضت خجلا * وبدا لي أنها وجلت * من هنات تبعث الوجلا
حسبت أني سأحرقها * اذ رأت رأسي قد اشتعلا * يا سراة الحي مثلكم
يتلافى الحادث الجللا * قد نزلنا في جواركم * فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباءكم * فلقينا الهول والوهلا * أضمنتم أمن جيرتكم

رحمه الله ثم انه لما وصلت اليه حجة أدركه ومضى على أيام وأخذ العساكر السلطانية يتعرضون اليها اجتمع على طائفة من أهل الحلة واتفقوا على ضيافة قسا الترسم عن سيرها فقالوا ان السلطان شيخا فقال له الشيخ محيي الدين الاسكليبي رجل شريف من أولياء الله تعالى تقصد التبرك بصحبته والتشرف برؤيته قال الشيخ فدخلت فيهم وكنت من جملة أرباب الضيافة ثم انهم أحضروا الطعام وهيؤا المجلس ودعوا الشيخ المذكور فأجاب دعوتهم وحضر عندهم فاذا هو الشخص الذي ظهر لي في تلك الليلة الشديدة وكان سببا لخلاصي من هذه الورطة العظيمة قال المرحوم فصبرت حتى تم المجلس وتفرق أربابه فذهبت اليه وقبلت رجله فقال من أنت فقلت هو الذي تخلص من تلك الورطة في الموضع الفلاني والليلة الفلانية وعرضت عليه القصة بتمامها فأنكرها وتغير علي وقال غلطت ووهمت وأقر بتعلي فقلت له يا سيدي عندي من اليقين والجزم ما لا يزول بأمثال هذه الكلمات فلم يمكن الا الاعتراف فقربني اليه وأقر بالقصة ووصاني بالستر وعدم الاشاعة والافشاء فاقشعر من هذا المجلس الا وقد حصل لي

مثل ما أمنتم السبلا * وأردتم غصب أنفسهم * فبثثتم بينها المقلا
ليتنا خضنا السيوف ولم * تلق تلك الاعين النجلا * عارضتنا منكم فئة
أحدثت في عهدنا دخلا * ثعليات جفونهم * وهم لم يعرفوا ثعلا
أشرعوا الاعطاف ناعمة * حين أشرعن القنا الذبلا * واستفزتنا عيونهم
فقلعنا البيض والاسلا * ورمتنا بالسهام فلم * نر الا الحلي والحللا
نصروا بالحسن فانتهبوا * كل قلب بالهوى جذلا * عطفتني الغيد من جلدي
وأنا مطلبتها الغزلا * جلت نفسي على منن * سمتها صبرا فما احتملا
ثم قالت سوف تتركها * سلبا للحب أو نفلا * قلت اما وهي قد علقت
بأمير المؤمنين فلا * ما عدانا مثلها ملكا * من رآه أدرك الأملا
اودع الاحسان صفحته * ماء بشر يفضح العللا * فاذا ما الجود حركه
* فاض في يمناه فانهملا *

قلت وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات فاقتصرت منها على هذا المقدار وكانت وفاة هذا الشاعر يوم الاضحى في سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ودخل الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمي الاسود الشاعر على الامير يعقوب فانشده

أزال حجابه عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابي

وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وانما كانم اسم بلدة بنواحي غانة وهي دار ملك السودان الذين جنوب الغرب فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة وتكرور اسم الارض التي هم فيها وسمي جنسهم باسم أرضهم والجميع من بني كوش بن حام بن نوح عليه السلام والله أعلم ولما حضرت الوفاة الامير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر ونهض الى افريقية فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهدية من نوابه وقد كان استولى عليها في مدة اشتغال الامير يعقوب بالاعداء ثم تحرك محمد بن يعقوب الى جزيرة الاندلس فكانت وقعة العقاب في سنة تسع وستمائة وتوفي الامير محمد سنة ست عشرة وستمائة لعشر خلون من شعبان ومولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة والمغاربة تقول ان محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد أن يختبر قدر امتثالهم فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلا فعندما رأوه حملوا عليه بالرماح فجعل يقول انا الخليفة انا الخليفة فما تحققوه حتى هلك والله أعلم بصحة ذلك ثم ولي بعده أبو يعقوب يوسف بن محمد ابن الامير يعقوب وتلقب بالمستنصر بالله ومولده أول شوال سنة أربع وتسعين ولم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجها منه ولا أبلغ في المخاطبة الا انه كان مشغوفا براحته فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة في أيامه ومات في شوال أو ذي القعدة سنة عشرين وستمائة ولم يخلف ولدا فاتفق أرباب الدولة على تولية أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ونور عقله فلم يحسن التدبير ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة أشهر من ولايته ولما ولي عبد الواحد بمراكش كان بالاندلس أبو محمد عبد الله ابن الامير يعقوب المذكور فامتنع من بيعته ورأى انه أحق بالامر من عبد الواحد وخرج الى ما في جهته من بلاد الاندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعادل فلما خنقوا عبد الواحد بمراكش ثارت الفرنج بالاندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا وانهزم أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ابن الامير يعقوب وقاسى عبد الله شدائد في طريقه الى مراكش من العربان فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش وتفاوضوا فيمن يقدمونه

الرغبة التامة في التصوف وازداد في الشوق والانجذاب الى جناب رب الارباب وبالجملة تبت على يد الشيخ المذكور ودخلت في زمرة مريديه ثم سافر الشيخ الى وطنه باسكليب ولم تمكن لي السفر لقيد الاهل والاولاد فبقيت في العذاب واضطراب الى أن جاء الشيخ مصلح الدين السيروزي من خلفاء الشيخ محيي الدين المسرور فذهبت اليه واشتغلت عليه الى أن سافر الى اسكليب وقصد زيارة الشيخ فقمت معه وتركت المنصب والعيال وسافرت معه الى اسكليب وأقمت عند الشيخ عدة سنين وأنا في غاية المجاهدة والطلب ثم عدت الى الوطن ثم الى الشيخ الى أن نلت المراد وأجازني بالارشاد وكان الشيخ علاء الدين المرحوم من أجلة مشايخ الروم صاحب كرامات سنية ومراتب علية أفنى عمره في العبادة والرياضة فافاض الله تعالى عليه من العلم والمعرفة ما أفاضه وقد فوض اليه المشيخة في زاوية الشيخ شجاع بمدينة ادرنه ودام على التربية والارشاد حتى أناف عمره على مائة سنة (ومن كراماته) ما حكاه شيخنا الشيخ مصلح الدين رحمه الله قال كنا جلوسا في خارج الزاوية المزبورة مع بعض

فوقع اختيارهم على أبي زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب وهو اذ ذاك كما يقال وجهه فلم يجرب الامور فلم يلبث الا أياما قلائل حتى ورد الخبر من الاندلس ان أبا العلاء ادريس ابن الامير يعقوب قد ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم آل أمره الى ان حضر الى العرب بمراكش وهزم عساكره مرة بعد أخرى حتى ضجر منه أهل مراكش وتشاءموا به واشتغلوا عنه فهرب الى جبل الدرن ثم أرسل في الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود اليها فقتل من بها من أعوان أبي العلاء ادريس فحضر اليها وقتل المذكورين وجاء أبو العلاء من الاندلس وقد خرج عليه بها الامير محمد بن يوسف بن هود الجذامي ودعا الى بني العباس فمال اليه الناس ورجعوا عن أبي العلاء ادريس فانتهى الى مراكش وبها يحيى بن الناصر محمد فتواقعوا وانهزم يحيى من أبي العلاء الى الجبل واستولى أبو العلاء على مراكش وجمع يحيى رجالا وقصد أبا العلاء بمراكش فهزمه أبو العلاء مرارا وأضعف جماعته فالجأته الضرورة الى الاستجارة بقوم في حصن بجهة تلمسان وكان لغلام منهم عنده ثار بأبيه فرصده يوما وهو راكب فطعنه فقتله واستبد أبو العلاء بالامر وتلقب بالمأمون وكان شجاعا حازما صارما فاتكا ثم ان أبا العلاء مات في الغزو حتف أنفه ولم أتحقق تاريخ وفاته ثم أخبرني بعض أهل بلادهم انه توفي سنة ثلاثين وستمائة والله أعلم واخفى ولده موته حتى دبر أمره وبلغ مأموله وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبي العلاء ادريس وتلقب بالرشيد وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الاكبر واستبد بالامر وكان أبوه أبو العلاء قد أزال اسم المهدي أبي عبد الله محمد بن تومرت المتقدم ذكره من الخطبة يوم الجمعة فأعاده ولده الرشيد المذكور واستمال به قلوب جماعته وتحبب اليهم وكان الى سنة احدى وأربعين وستمائة ملك المغرب الاقصى وبعض الاندلس ولم أعلم ما وراء ذلك حتى أذكره وبعد تسطير هذه الترجمة اجتمعت ببعض أهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة وكان قريب العهد ببلاده فأخبرني ان الرشيد المذكور توفي غريقا في صهريج بستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة وكتم حاجبه أمره مدة خوفا لذلك الشهر وفاته وولي بعده أخوه لابيه المعتضد ويعرف بالسعيد وهو أبو الحسن علي بن ادريس ثم خرج الى ناحية تلمسان وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان مسافة يوم واحد وقتل هنالك على ظهر فرسه في صفر سنة ست وأربعين وستمائة وولي بعده المرتضى أبو حفص عمر بن أبي ابراهيم بن يوسف في شهر ربيع الآخر من السنة وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء ادريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن المعروف بابن دبوس مراكش وهرب المرتضى الى أزمور وهي من نواحي مراكش فقبض عليه عاملها وبعث الى الواثق بذلك فأمر الواثق بقتله فقتله في العشر الاخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كتامة بعد عن مراكش ثلاثة أيام وأقام الواثق ثلاث سنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بني عبد المؤمن وكان قتل الواثق في المحرم سنة ثمان وستين في موضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وملكهم الآن أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة والله تعالى أعلم وأما علي بن اسحق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة وكان أبوه أبو ابراهيم اسحق بن حمو بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة ثم واو ابن علي ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة وهي ثلاث جزائر متجاورة في البحر الغربي توفي سنة ثمانين وخمسمائة وخلف أربع بنين وهم أبو عبد الله محمد توجه بعد موت أبيه الى الموحدين بالاندلس فأعطوه مدينة دانية وأحسنوا اليه غاية الاحسان وأبو الحسن علي وأبو زكريا يحيى خرجا الى بلاد افريقية وفعلا الافاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث في البلاد فمات علي ولا أعلم تاريخ وفاته لكنه كان حيا في سنة احدى وتسعين واستمر يحيى على حاله فطالت مدته وذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات فقال خرج من ميورقة في شعبان سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة وكان مشهورا بالشجاعة والاقدام وتوفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في البرية من قطر تلمسان وكان خروجه

علي

السريد بن وقد ووقعت في جملة الباغين من المدينة المغفورة اذ جاء رجل دباغ فباس يد والدي وقبل رجله وقال لولا أنت لما فتحت القلعة فقال والدي ما هذه القلعة وليس لي منها خبر ولا أمر وعاد الرجل الى ضراعته واستكانته وهو مستمر على انكاره فسألنا الرجل عن القصة فقال خرجت في زمرة من الباغين غازيا مع السلطان قلاوون لما حاصر القلعة الفلانية وعزمنا على فتحها ودارت رحى الحرب واشتعل ضرم الطعن والضرب عصت القلعة وأبت الفتح وتحير العسكر ويئسوا من فتحها فاذا الشيخ في يده راية هجم على الكفار وفرقهم تفريق الغبار عند هبوب عليه الصرصر الجرار وطلع على القلعة ونصب عليها الراية فاتصل بعقبه أناس من العسكر الاسلامية ودخلوا القلعة من هذا الموضع وتيسر فتحها بسبب ذلك الرجل فاعتنقنا أنا وبعض رفقائي في ذلك الرجل فاذا هو الشيخ علاء الدين فلم نشك انه من جملة من سافر الى هذه الغزوة وحضر فتح القلعة وتعجبنا من عدم رؤيتنا في أثناء الطريق قال الشيخ رحمه الله لما خلوت معه والتمست عن حقيقة الامر وأوصيت عليه كتمان هذا السر فاراد

على بني عبد المؤمن وبقي أصغر الاخوة وهو أبو محمد عبد الله المنصور بميورقة الى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فجهز اليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور اسطولا فنزل بساحل ميورقة فبرز اليهم وكان شجاعا كريما فعثر به فرسه فسقط الى الارض فقتلوه وحملوا رأسه الى مراكش وعلقوا جثته على السور وأخذوا ميورقة وبقيت بأيديهم الى أن تغلب الفرنج عليها في سنة سبع وعشرين وستمائة وفعلوا فيها العظائم من القتل والاسر وغير ذلك وأذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة وهو اسم لاكبر ملوك الفرنج وهو صاحب طليطلة

(أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر بن عثمان بن طهمان السلمي بالولاء مولى أبي صالح عبد الله ابن حازم السلمي والي خراسان)

كان يعقوب المذكور كاتب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقتلا في سنة خمس وأربعين ومائة وقصتهما مشهورة في التواريخ وليس هذا موضع ذكرها وكان أبو داود بن طهمان واخوته كتابا لنصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني أمية ولما مات داود نشأ ولده أبو عبد الله يعقوب المذكور وكان أهل أدب وفضل واقتنان في صنوف العلم ولما ظهر المنصور على ابراهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة وقيل سنة ست وأربعين ومائة (قلت) ولعله الاصح لان ابراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه فلا يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل ابراهيم وذلك في أول خروجه والله أعلم وكان يعقوب سمحا جوادا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره دعبل ابن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وكان ممدوحا مدحه أعيان شعراء عصره مثل أبي الشيص الخزاعي وسلم الخاسر وأبي خنيس وغيرهم ولما مات المنصور وقام بالامر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب اليه حتى أدناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه حتى خرج كتابه الى الدواوين ان أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر

قل للامام الذي جاءت خلافته * تهدى اليه بحق غير مردود
نعم القرين على التقوى أعنت به * أخوك في الله يعقوب بن داود

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه وفي سنة احدى وستين تقدم اليه بتوجيه الامناء الى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب الى أمينه بانفاذه وكان وزير المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار الاشعري الطبراني صاحب مربعة أبي عبيد الله ببغداد وكان جده يسار مولى عبد الله بن عضاه الاشعري فلم يزل الربيع بن يونس المقدم ذكره في حرف الراء يسعى به الى المهدي وتحامل على ابنه بالزندقة فقتله المهدي وكان الربيع بعد ذلك يقوم بأمره عنده ويقول انه لا تثق به بعد قتله ابنه ويذكر كفاية يعقوب بن داود حتى عزله عن الوزارة وأفرده بديوان الرسائل واستوزر يعقوب في سنة ثلاث وستين ثم ان المهدي عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة سبع وستين وترتب فيه الربيع بن يونس المذكور وكان أبو عبيد الله يتصل الى المهدي على عادته ومكانته منه لحالته فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة أبيات

قل للوزير أبي عبيـ * ـد الله هل من باقيه   يعقوب ينفذ بالامو * ر وأنت تنظر ناحيه
ادخلته فعلا عليـ * ـك كذا لشؤم الناصيه   وأخذت تقلب باهدا * بيمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على أمور المهدي كلها وكان المنصور قد خلف في بيوت المال تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدي بالاقتصاد في الانفاق وحفظ الاموال فلما عزل وولي يعقوب زين له هواه فأنفق الاموال وأكب على اللذات والشرب وسماع الغناء واشتغل يعقوب بالتدبير ففي ذلك يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المقدم ذكره في حرف الباء

على أن يقول بعض من يصل الى هذه الرتبة وستقف ان شاء الله تعالى عند بلوغك هذه الرتبة بلغنا الله واياكم الى المراتب العلية وأفاض علينا من جمال ألطافه الخفية والجلية (وأما الشيخ عبد الرحيم المؤيدي) فكان أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه ممن الذين فازوا بالقدح المعلى وحازوا المنصب الاوفر والحظ الاعلى وكان رحمه الله في أوائل أمره من طلبة العلم الشريف وحصل من العلم والادب ما يتبجح بأمثاله وينسج على منواله وصار ملازما من المولى المشتهر بخطيب زاده ثم قلد ابراهيم الرواس ٣ بمدرسة بقسطنطينية ثم اتفق انه اتصل بالشيخ محيي الدين السابق ذكره وتزوج ابنته وظهر فيه مخايل الزهد والورع بينما هو في ذلك اذ عرض له بعض الامراض الهائلة واشتد الى أن أشرف على الموت ولما أيس من نفسه قال لزوجته بنت الشيخ المرقوم هل الآن تروحي الى أبيك وتقولي له عني اني أيست من الحياة ولم يبق لي بعد ذلك رجاء السلامة وها أنا

٣ قوله ثم قلد ابراهيم الرواس هكذا بالاصل ولعله ثم قلد وظيفة ابراهيم الرواس أو نحو ذلك فليحرر

ذكره فجعله كافور على عمارة داره ثم صار ملازما لباب داره فرأى كافور من نجابته وشهامته وصيانته
ونزاهته وحسن ادراكه ما نفق عليه فاستحضره وأجلسه فى ديوانه الخاص وكان يقف بين يديه ويخدم
ويستوفى الاعمال والحسابات ويدخل يده فى كل شئ ثم لم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب
والاشراف يقومون له ويكرمونه ولم تتطلع نفسه الى اكتساب مال وارسل له كافور شيأ أفرده عليه وأخذ
منه القوت خاصة وتقدم كافور الى سائر الدواوين ان لا يمضى دينار ولا درهم الا بتوقيعه فوقع فى كل شئ وكان
يبر ويصل من اليسير الذى يأخذه هذا كله وهو على دينه ثم انه أسلم يوم الاثنين لثمان عشرة ليلة خلت من
شعبان سنة ست وستين وثلثمائة ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم ورتب لنفسه رجلا من أهل العلم
شيخا عارفا بالقرآن المجيد والنحو حافظا لكتاب السيرافى فكان يبيت عنده ويصلى به ويقرأ عليه ولم تزل
حاله تزيد وتنمى مع كافور الى ان توفى كافور فى التاريخ المذكور فى ترجمته وكان أبو الفضل جعفر بن
الفرات المقدم ذكره فى حرف الجيم وزير كافور يحسده ويعاديه فلما مات كافور قبض ابن الفرات على
جميع الكتاب وأصحاب الدواوين وقبض على يعقوب بن كلس فى جملتهم فلم يزل يتوصل ويبذل الاموال
حتى أفرج عنه فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه وغيره مالا وتجمل به وسار مستخفيا طالبا بلاد المغرب
فلقى القائد جوهر بن عبد الله الرومى مولى المعز العبيدى المقدم ذكره فى الطريق وهو متوجه بالعساكر
والخزائن الى الديار المصرية ليملكها فرجع فى الصحبة وقيل انه استمر على قصده وانتهى الى افريقية وتعلق
بخدمة المعز العبيدى المقدم ذكره ثم رجع الى الديار المصرية ولم يزل يترقى الى ان ولى الوزارة للعزيز نزار بن
المعز وعظمت منزلته عنده واقبلت عليه الدنيا وانثال الناس عليه ولازموا بابه ومهد قواعد الدولة وساس
أمورها أحسن سياسة ولم يبق لاحد معه كلام وكان فى أيام المعز يتصرف فى الخدم الديوانية ثم انتقل الى
العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة وقال ابن زولاق
فى تاريخه بعد ذكر تاريخ وفاة المعز ما مثاله وممن وزر للمعز الوزير يعقوب بن كلس وهو أول من وزر للدولة
الفاطمية فى الديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما وصل المعز أحسن فى خدمته وبالغ فى طاعته الى
ان استوزره هذا آخر كلام ابن زولاق وقال غيره كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ورتب
لنفسه مجلسا فى كل ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاته على الناس ويحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع
أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه قام
الشعراء ينشدونه المدائح وكان فى داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث
والفقه والادب حتى الطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها وكان من جملة جلسائه الحسين
ابن عبد الرحيم المعروف بالزلازلى مصنف كتاب الاسجاع ورتب فى داره القراء والائمة يصلون فى مسجد
اتخذه فى داره وأقام فى داره مطابخ لنفسه ولجلسائه ومطابخ لغلمانه وحاشيته وأتباعه وكان ينصب كل يوم
خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه ومن يستدعيه وينصب موائد عديدة يأكل عليها
الحجاب وبقية الكتاب والحاشية ووضع فى داره ميضأة للطهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من
الغرباء وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام وتعرض عليه رقاع الناس فى
الحوائج والظلامات وقرر عند خدمه للعزيز جماعة جعلهم قوادا يركبون بالمواكب والعبيد ولا يخاطب
واحد منهم الا بالقائد وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذى تنسب اليه منية
القائد فضل وهى بليدة بالاعمال الجيزية من الديار المصرية ثم ان الوزير المذكور شرع فى تحصين داره
ودور غلمانه بالدروع والجرس والسلاح والعدد ورتب ناحية بالاسواق واصناف ما يباع من الامتعة ومن
المأكول والمشروب والملبوس ويقال ان داره كانت بالقاهرة فى موضع مدرسة الوزير صفى الدين أبى محمد
عبد الله بن على المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية وان الحارة المعروفة بالوزيرية التى بالقاهرة
داخل باب سعادة منسوبة الى أصحابه لانهم كانوا يسكنونها وكان الوزير أبو الفضل بن الفرات المقدم ذكره

آثار مبثوثة باقية من
البناء فقال الامام نعم فقال
ان واحدة من جواريك
أخذت هذه الجوهرة من
الموضع الذى تركتها فيه
ووضعتها تحت حجر من آلة
الاحجار ووصفها بصفتها
وأخبره بعلامتها فقام
الامام من مجلسه الشريف
وأسرع الى داره ووصل الى
ذلك الموضع ورفع الحجارة
فرفعها فوجد الجوهرة
وشكر الله تعالى وتخلص
من الاضطراب ببركة الشيخ
رحمه الله (ومنها) انه وقع فى
زاوية اجتماع عظيم
وأظهر القراء مولد النبى
صلى الله عليه وسلم وقد
حضر فيها الاشراف من
العلماء والامراء وفيهم
المفتى العظيم والمولى المنعم
أحمد بن كمال باشازاده
واسكندر جلبى الدفتدار
وتكلم على الشيخ رحمه الله
فى اثناء المجلس بالمراقبة
زمانا ثم رفع رأسه وقال
لاقيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وجرى بيننا
مصاحبة ومكالمة وكان من
جملة كلامه عليه الصلاة
والسلام قل لمفتيكم ليهتم
فى أمر الفتوى فانه يجهل
... واعتقده وقوله فى هذا
الاسبوع خمسة أجوبة
على خلاف الشرع
الشريف فلما سمعه المفتى
الامر وصلى على النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم وقال
صدق رسول الله وصدقتم
وتحرك ... عليه الصلاة

يغدو اليهم ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يحاسبهم ويعول عليهم ويجلس معهم في مجلسهم ويحاسبهم لأنه كان فيما كلمه بعد ان جرى عليه ما سبق ذكره وكانت همته عظيمة وجوده وافرا وأكثر الشعراء من مدائحه ولقد نظرت في ديوان أبي حامد أحمد بن محمد الانطاكي المنبوز بأبي الرقعمق الشاعر المقدم ذكره فوجدت أكثر مدائحه في الوزير المذكور والقصيدة التي نقلت بعضها في ترجمته مدحه بها الوزير المذكور ورأيت في تاريخ الأمير المختار عز الملك محمد بن القاسم المعروف بالمسبحي المتقدم ذكره فصلا طويلا يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ومعظم ما ذكرته هنا نقلته منه ومن تصنيف الوزير المذكور كتابا في الفقه ٣ مما سمعه من المعز وولده العزيز وجلس في شهر رمضان سنة تسع وستين وثلثمائة مجلسا حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه على الناس وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل بن الفرات المذكور وجلس في الجامع العتيق بمصر جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب وسمعت من جماعة من المصريين يقولون ان الوزير المذكور كانت له طيور فائقة أهلية مختارة تسبق كل طائر يسابقها وكان لمخدومه العزيز طيور أيضا سابقة فاخرة فسابقه العزيز يوما ببعض الطيور فسبق طائر الوزير فعز ذلك على العزيز ووجد أعداؤه الى الطعن فيه سبيلا فقالوا للعزيز انه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه الا أدناه حتى الحمام وقصدوا بذلك الاغراء به حسدا منهم لعله يتغير عليه فاتصل ذلك بالوزير فكتب الى العزيز

قل لأمير المؤمنين الذي * له العلا والنسب الثاقب
طائرك السابق لكنه * جاء وفي خدمته الحاجب

فأعجبه ذلك منه وسرى عنه ما كان وجده عليه هكذا ذكره القاضي الرشيد بن الزبير المقدم ذكره في كتاب الجنان وذكر غيره ان هذين البيتين لولي الدولة أبي محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصري وقد سبق ذكره في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الشاعر والله أعلم ولم أفرد له ترجمة لأني لم أظفر بتاريخ وفاته وقد التزمت في هذا الكتاب ان لا أذكر الا من وقفت على تاريخ وفاته وذكر أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء جمعه الاشارة الى من نال الوزارة وذكر فيه وزراء المصريين الى عصره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال كان كاتبا حاذقا حاد النفس محافظا على دينه حسن المعاملة مع التجار فيما يتولاه واتصل بخدمة كافور الاخشيدي فوجد عنده ووجد المرام دواوينه بمصر والشام فضبطها على حسب ارادته وكان سبب حظوته عنده أن يوما قال له ان في دار ابن البلدي بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة في موضع وسماه فكتب يعقوب الى كافور رقعة يقول ان في دار ابن البلدي بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة في موضع أعرفه وأنا أخرج أحملها فأجابه الى ذلك وأنفذ معه البغال والهاون ورد اليه بكر بن هرون التاجر فعمل السهام فالنظر في تركته واتفق موت مودعه بالرملة ومعرفته حال كان فأخذها وفتحها فوجد فيها عشرين ألف دينار فكتب الى كافور بذلك فقرر له به وكتب اليه بحملها فاتبع الكتان وحمل الجميع وسار الى الرملة فحفر المكان الذي لابن البلدي وأخرج المال وهو ثلاثون ألف دينار فكتب الى كافور عرفت الاستاذ انها عشرون ألف دينار فوجدتها ثلاثين ألف دينار فازداد له من قلبه موقع وبالغ في نظره في تركة ابن هرون واستثنى وحمل منها مالا كثيرا فأرسل اليه كافور صلة كثيرة فأخذ منها ألف درهم ورد الباقي وقال هذه كفايتي فزاد أمره عنده حتى انه كان يشاوره في أكثر أموره وقال عبد الله بن مسلم العلوي رأيت يعقوب بن كلس بباب دار كافور فلما مضى قال لي أي وزير بين جنبيه وسار الى المغرب وخدم المعز وتولى أمور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة ولقبه بالوزارة وأمر أن لا يخاطب أحد الا به ولا يكاتب الا به ثم اعتقله في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة في القصر فأقام معتقلا شهورا ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين ورده الى ما كان عليه ووجدت رقعة في دار الوزير المذكور في سنة ثمانين وثلثمائة وهي السنة التي توفي فيها ونسختها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحدثان

والسلام فانه قد وقع كما قاتم وقصدت تبديل تلك الصور ولم أظفر بها ثم انه عاد الى الكندريطى وقال ان من جملة ما قاله صلى الله عليه وسلم انتقل الدفتدار لم يستحم في أموال المسلمين واتق الله ربه وليحذر من غضب السلطان وهلاكه في يديه ان خالف ما أمر به وكان الامر على ما أخبره من الاسعاد فان السلطان أهلكه بعد مدة وأباده وقد انتقل في حياته ابنه المسمى بعبد الهادي وكان شابا منهمكا في هوساته ومنهمكا على لذاته وحزنت عليه أمه وبكت أياما فاذا يوم خرج فيه الشيخ عن صومعته وهو يبكي ويقول لها لا تبكين على فقد ولدك وموته بل على عذابه في الآخرة فاني فتشت في غرفات الجنان فلم أجده ثم فتشت في دركات النيران فلم أجده [illegible] [illegible] فاستدللت عليه بصوته فاذا هو معذب بعذاب قوم لوط وهل كان له في حياته ابتلاء بالغلمان ثم انه جمع مريديه واعتكف معهم أياما وجاهدوا واجتهدوا

٣ قوله كتابا في الفقه قال المقريزي في الخطط قدر مثل نصف صحيح البخاري يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية ملخصه وقفت عليه اهـ انظر الخطط في صحيفة ٤٤٢

قد أمنتم من الزمان وخفتم * رب خوف مكمن في أمان

فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واجتهد أن يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب اليه العزيز عائدا وقال له وددت أنك تباع فأبتاعك بملكي أو تفدى فأفديك بولدي فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال أما فيما يخصني فانت أرعى لحقي من ان أسترعيك اياه وأرأف على من أخلفه من أن أوصيك به ولكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيه فرصة ومات فأمر العزيز أن يدفن بداره وهي المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر في قبة كان بناها وصلى عليه وألحده بيده في قبره وانصرف حزينا لفقده وأمر بغلق الدواوين أياما بعده وكان اقطاعه من العزيز في كل سنة مائة ألف دينار ووجد له من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار وبز من كل صنف بخمسمائة دينار وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال كان يهوديا من أهل بغداد خبيثا ذا مكر وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء وكان في قديم أمره خرج الى الشام فنزل الرملة وصار بها وكيلا فكسر أموال التجار وهرب الى مصر فتاجر كافورا الاخشيدي فرأى منه فطنة وسياسة ومعرفة بأمر الضياع فقال لو كان مسلما لصلح ان يكون وزيرا فطمع في الوزارة فأسلم يوم الجمعة في جامع مصر فلما عرف الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات أمره قصده فهرب الى المغرب واتصل بيهود كانوا مع الملقب بالمعز وخرج معه الى مصر فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده الملقب بالعزيز استوزر ابن كلس في سنة خمس وستين وثلثمائة فلم يزل مدبر أمره الى ان هلك في ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمائة وقال غيره ابتدأ المرض بالوزير المذكور يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانين وثلثمائة وأخذته سكتة ثم تزايد به المرض واشتد ثم انطلق لسانه ثم توفي ليلة الاحد على صباح الاثنين لخمس خلون من ذي الحجة من السنة المذكورة وكفن في خمسين ثوبا واجتمع الناس كلهم من القصر الى داره وخرج العزيز عليه حزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته انه لا يركب الا بها وصلى عليه وبكى وحضر مواراته ويقال انه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار وذكر من سمع العزيز وهو يقول واطول أسفي عليك يا وزير وبكى عليه القائد جوهر بكاء شديدا وانما كان بكاؤه على نفسه لانه عاش بعده سنة واحدة وغدا الشعراء الى قبره ويقال انه رثاه مائة شاعر وأخذت قصائدهم وأجيزوا وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام والصحيح انه أسلم وحسن اسلامه وقال يوما وقد ذكر اليهود في مجلسه كلاما ساء اليهود سماعه ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم وانهم على غير شيء وان اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهم يجحدونه وكانت ولادته في سنة ثماني عشرة وثلثمائة ببغداد عند باب القز رحمه الله تعالى وكلس بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة والسموأل بن عادياء بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام وعادياء بعين مهملة وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره في ترجمته وأما القائد فضل صاحب البلدة التي في أعمال الجيزة التي قبالة مصر فانه كان رجلا نبيلا كريما محمودا وفيه يقول أبو القاسم عبد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور

انما الفضل غرة * في وجوه المدائح
أريحي براحه * عبقات الروائح
كعبة الجود كفه * بين غاد ورائح
انما أصلح الامو * ر برأي ابن صالح

وكان متمكنا في دولة الحاكم المذكور ثم نقم عليه وحبسه وضربت عنقه في حبسه يوم السبت عشية الاحد وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ولم يظهر منه جزع ولف في حصير وأخرج من الحجرة التي كان محبوسا بها رحمه الله تعالى وأما أبو القاسم الشاعر المذكور فان الحاكم قتله مع جماعة من الاعيان في يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وثلثمائة وأحرقهم بالنار وكان قتل الجميع في حجرة واحدة والله تعالى أعلم

في التضرع والابتهال الى ان خرج الشيخ يوما من معتكفه وهو يضحك ويبشر أمه بالعفو والرضوان اللهم اعف عنا مع الصالحين في غرف الجنان (ومن كراماته) انه كان يقول لزوج بنت أخيه عبد الرحمن بن المؤيد محيي الدين الفناري وكان قاضيا بالعسكر في ولاية يوما لي لا تخف أنت من العزل ما دمت حيا وقد عزل المولى المرحوم ثاني يوم مات فيه الشيخ عبد الرحيم المرحوم وكان يقول المفتي أبو السعود كنت أرى كثيرا في مناماتي كأني قاعد أطلب القيام فيجيء الشيخ عبد الرحيم فيأخذ برأسي ويمنعني من القيام فبينا أنا ليلة وقعت لي فيها مثل هذه الواقعة وظهر لي الشيخ عبد الرحيم ليمنعني عن القيام كما هو عادته فاذا بوالدي قد ظهر وقصد الي فلما رآه الشيخ عبد الرحيم تركني وغاب عني فاستنهضت وقمت على قدمي فلم يذهب الا قليل حتى صرت قاضيا بالعسكر بمكان المولى محيي الدين الفناري وقد اجتمع في زمنه بتلك الزاوية من الزهاد وأرباب السعي والاجتهاد ما لا يتفق الا للقليل من أصحاب الارشاد (وقد حكى) واحد من الثقات انه كان في الزاوية المزبورة رجل من مريديه

(أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن عمان بن علي بن الحسين بن علي بن حوثرة الحراني الاصل البغدادي المولد والدار المنجنيقي الملقب نجم الدين الشاعر المشهور)

ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي في تاريخه الذي جعله ذيلا لتاريخ الحافظ أبي سعيد عبد الكريم بن السمعاني الذي ذيله على تاريخ بغداد تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي وقد سبق ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة في هذا التاريخ فقال ابن الدبيثي كان يعقوب المذكور متقدما على أهل صناعته يعني في صنعة المنجنيق وما يتعلق به وكان فيه فضل ويقول الشعر سمع شيأ من الحديث من أبي المظفر بن السمرقندي وأبي منصور بن الشطرنجي علقت عنه شيأ من شعره وأنشدني أبو يوسف يعقوب ابن صابر لنفسه

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

قال ابن السمعاني وسألته عن مولده فقال في ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة أربع وخمسين وخمسمائة وقال غير ابن الدبيثي كان ابن صابر المنجنيقي جنديا في ابتداء أمره مقدما على المنجنيقيين بدينة السلام بغداد ولم يزل مغرى بآداب السيف وصناعة السلاح والرياضة واشتهر بذلك ولم يلحقه أحد من أهل زمانه في درايته وفهمه لذلك وصنف فيه كتابا سماه عمدة السالك في سياسة الممالك لم يتمه وهو مليح في معناه يتضمن أحوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور وبناء المعاقل وأحوال الفروسية والهندسة والمصابرة على الحصار والقلاع والرياضة الميدانية والحيل الحربية وفنون العلاج بالسلاح وعمل آلات الحروب والكفاح وصنوف الحيل وصفتها وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبوابا كل باب منه يشتمل على فصول وكان شيخا ظريفا لطيفا فكها طيب المحاورة ظريف النفس متواضعا فيه تودد وبشر وسكون وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو معان مبتكرة يقصد الشعر ويعمل المقاطيع وجمع من شعره كتابا اختصر اسمه مغاني المعاني ومدح الخلفاء وكانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد خليفة العصر في ذلك الوقت (قلت) وكانت أخباره في حياته متواصلة الينا وأشعاره تنقلها الرواة عنه ويحكون وقائعه وما جرياته وما يعلم في ذلك من الاشعار الرائقة والمعاني البديعة ولم يتفق لي رؤيته مع المجاورة وقرب الدار من الدار لانه كان ببغداد ونحن بمدينة اربل وهما متجاورتان لكن لكثرة اطلاعي على أخباره وما ينقل له من النظم المنقول عنه في وقته كأني كنت معاشره وما زلت مشغوفا بشعره مستعذبا الساوبه فيه واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلي فانه أنشدني له شيأ كثيرا فمن ذلك قوله

كانت بعلم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم القريض لشقوتي * فلم اخل في الحالين من قصد حائط

وأنشدني عنه أيضا وذكر انه لم يسبق اليه

لاتنكرن وان قاسيت كظم الغيـ * ـظ الغيظ الارتحت أرا الفرور
فانما الرهنات أقل ما كا * نت اذا ناصر ماؤها في الصدور

وأنشدني أيضا في جارية سوداء كان يهواها وهي جارية حبشية

وجارية من بنات الحبوش * ذوات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابي فشبت * غراما ولم آلف بالشيب راض
وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرني بالبياض

وأنشدني عنه أيضا وجارية عيرت للطواف * وعبرتها حسد والدمع
فقالت ادخلي البيت لاتجزعي * ففيه الامان لمن يجزع
سدانته لبني شيبة * فقالت ومن شيبة أفزع *

٣ يقال له وكان صحيح البدن سالم الرجلين وقد رأيته مرة بعد أيام وقد عرض له عرج فسألت بعض الحاضرين عن وجهه فقال كنا جالسين في المسجد مراقبين مشتغلين اذ وقع له انسلاخ فتبع جسده روحه في العروج الى العالم العلوي والانقطاع عن البرزخ السفلي فارتفع الى أن قارب سطح البيت فاطلع عليه بعض الحاضرين في تلك الحالة فصاح صيحة فعاد روحه الى جسده دفعة فوقع على الارض من فوق فاختلت رجله وهذه قصة مشهورة وقد سألت شيخي الشيخ صلاح الدين رحمه الله تعالى عن كيفية انسلاخ وقع له مرة فقال رحمه الله كنت مرة مشتغلا بالذكر الجليل اذ ظهر لي يد في غاية العظمة والمهابة فنظرت الى كفها فرأيت فيها اسم الجلالة مكتوبا بخط بديع واسلوب غريب فادمت النظر فيه وغبت عن نفسي في ذلك فاذا روحي قد انسلخ عن جسدي فوقع في عالم فسيح فأخذ يرتقيه ويسيح وشاهدت من بدائع اللطائف واطلعت على غرائب المعارف مالا يمكن شرحه ولا يليق بيانه فاذا سيرى قد انتهى الى

٣ قوله بالهامش يقال له الخ هكذا بالاصل وقد سقط منه اسم الرجل فليحرر اه

وأنشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد وقد لبس تبانا أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم فقال في ذلك

يا للرجال شكا بي من شكوة * أضحت تعانق من أحب وأعشق
جمعت هوى كهواي إلا أنها * تطفو ويغرقني الغرام فأغرق
ويغيرني التبان عند عناقه * أردافه فهو العدو الأزرق

وقال صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلي صاحب كتاب عقود الجمان أنشدني ابن صابر لنفسه هذه الأبيات لكنه روى البيت الثاني منها على صورة أخرى فقال

حملت هوى كهواي فهي بوصله * تطفو ويغرقني الغرام فأغرق

وهذا من المعاني النادرة فإن العرب إذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت هو العدو الأزرق وقد جاء هذا في كلامهم وأشعارهم كثيرا واستعمله الحريري في المقامة الرابعة عشر فقال مذ اغبر العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومي الأبيض وابيض فودي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق فحبذا الموت الأحمر ورأيت في بعض الرسائل ولا أتحقق الآن صاحبها يقول فدا أو ردنا ظبا الحديد الأخضر فيما أوريد الأحمر من عدو الله الأزرق من بني الأصفر وهو باب متسع فلا حاجة إلى الإطالة في ذكر شواهده وأنشدني عنه أيضا في جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب إلى شيخهم يذكر حاله معهم

مولاي يا شيخ الرباط الذي * أبان عن فضل وعلياء * إليك أشكو جور صوفية
باتوا ضيوفي وأوداءي * أتيتهم بالزاد مستأثرا * وبت أشكو الجوع أحشائي
مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن تمشوا على الماء * وهم إلى الآن ضيوفي فجد
لهم بخبز أو بحلواء * أو لا فخذهم واكفنيهم فما * يحسن في مثلهم رائي

وأنشدني عنه في الصوفية أيضا قد لبسوا الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شأنهم * شر طويل تحت ذيل قصير

وأنشدني عنه أيضا وهو من المعاني المستطرفة

قالوا أتى بسبيل شعر عذاره * وسباله مستهترا بزواله
فتسل عنه وخذ حبيبا غيره * فأجبتهم لازلت عبد وصاله
هل يحسن السلوان عن محبوبي * أن لا يفارقني بنتف سباله

وأنشدني له غير ابن عدلان وقال لما كبر ابن صابر وضعفت حركته صار إذا مشى يتوكأ على عصاه فقال في ذلك

ألقيت عن يدي العصا * زمن الشبيبة للنزول * وحملتها لما دعا * داعي المشيب إلى الرحيل

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشران وكان كثير الإراجيف فمنع من ذلك فقعد على الطريق يتنجم فقال فيه ابن صابر

إن ابن بشران ولست ألومه * من خيفة السلطان صار منجما
طبع المشوم على الفضول فلم يطق * في الأرض إرجافا فأرجف في السما

قلت وأنشدني الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سالم المعروف بابن التاهفري لنفسه في بعض ليالي شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة وهو من شعراء العصر المجيدين

يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت مني اللمة السوداء
لا تعجلن فوالذي جعل السما * من ليل طرتي البهيم ضياء
لو أنها يوم الحساب صحيفتي * ما سرني كونها بيضاء

فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين بن صابر حتى إنك قد أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي وهو قوله

لو أن لي خيفة من شيب صحيفة * لعادني ما اختارها بيضاء

فحلف أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله الأبيات المذكورة والله أعلم بذلك وهذا البيت لابن صابر من جملة

أبيات

الموضع الذي ابتدأت منه فرأيت جسدي ملقى في حجرتي فلما أردت الدخول فيه سمعت صوتا مهولا بأن ادخل في جسدك إلى وقت معلوم فإذا أنا في جسدي على ما كنت عليه قبل ذلك وقد سألت يوما شيخي عن هذه الواقعة رحمهما الله تعالى أيهما أكمل في اعتقادكم فقال وقع لي فيه واقعة غريبة وهي أني كنت مشتغلا بزاوية الشيخ عبد الرحيم فخطر لي أن الشيخ محيي الدين وخليفته الشيخ مصلح الدين السيروزي والشيخ عبد الرحمن ووالدي والشيخ علاء الدين أيهم أرفع رتبة وأقوم منزلة فوقعت لي واقعة فرأيت فيها طريقة واضحة وحجة بيضاء ممتدة من الأرض إلى السماء وقد سلكت في هذه الطريق فما ذهبت إلا قليلا حتى أعطاني الله تعالى جناحين فطرت نحو السماء فإذا بصوت مهيب يجيء من فوقي فرفعت رأسي فنظرت إليه فإذا هو رجل ذو جناحين مثل طاير ويسير بهما فاجتمعنا فقال لي أي شيء تريد فقلت أعطاني الله تعالى جناحين فأطير بهما فأسير في ملكوت السموات وأشاهد عظمة قدرة الله تعالى وسألته فقال أنا الشيخ أبو يزيد البسطامي وقال تطاير وتسابق فتطايرنا

أبيات وهي

قالوا بياض الشيب نور ساطع * يكسو الوجوه مهابة وضياء

حتى سرت وخطاته في مفرقي * فوددت أن لا أفقد الظلماء

وعدلت أستبق الشباب تعللا * بخضابها فصبغتها سوداء

لو أن لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

وأخبرني بعض الأدباء أن ابن صابر كتب إلى بعض الرؤساء ببغداد

ما جئت أسأل الواهب مادحا * إني لما أوليتني لشكور

لكن أتيت عن المعالي مخبرا * لأن سعيك عندها مشكور

ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد أجاد في كل ما نظمه ورأيت ثم البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما

ألقني في لظى فإن أحرقتني * فتيقن أن لست بالياقوت

جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فعمل ابن صابر جوابهما فقال

أيها المدعي الفخار دع الفخـ * ـر لذي الكبرياء والجبروت

نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت

وبقاء السمند في لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

وكذاك النعام يلتقم الجمـ * ـر وما الجمر للنعام بقوت

قلت وعلى البيتين الأولين تكلم جماعة من المعاصرين لنا أبياتا فمن ذلك قول الكمال أبي محمد القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي نزيل حلب صاحب شرح المقامات

حق دود القز يبني * فوقه ثم يموت بعدما أسدى وقد ما * ز بسدى العنكبوت

وقول المهذب أبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي الأنصاري المعروف بابن الأردخل الموصلي نزيل ميافارقين

أقول وقد قالوا أتى المقطبا * إذا ما ادعى أن الهوى غير أهله

حق لدود القز يقتل نفسه * إذا ما بيت العنكبوت حكاه

وهذا ينظر إلى قول بعضهم إذا شوركت في أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور

ففي الحيوان يشترك اضطرارا * أرسطاليس والكلب العقور

وقول الآخر

والزنبور والبازي جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

قلت وعلى ذكر دود القز ينبغي أن يذكر ما يقال عن السرفة بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء قال الجوهري في كتاب الصحاح هي دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت يقال في المثل هو أصنع من سرفة وذكر لي بعض الفضلاء أن السرفة هي الأرضة والله أعلم ومما ينبغي أن يلحق بالأبيات المقدم ذكرها قول بعضهم

ان أعوز الحاذق فاستبدلوا * بمكانه أخرق لم يحذق

فلاعب الشطرنج من دأبه * وضع مكانا موضع البيدق

والأصل في هذا كله قول المتنبي وشر ما قنصته راحتي قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم

ويقرب منه أيضا قول أبي العلاء المعري

وهل يدخر الضرغام قوتا ليومه * إذا ادخر النمل الطعام لعامه

قلت وفي هذه الأبيات الأوائل ما يحتاج إلى زيادة إيضاح فليس كل من يقف عليها يفهم معناها أما البيت الأول وما ذكره من أمر الياقوت فإن الياقوت من خاصيته أن النار لا تؤثر فيه وإلى هذا أشار الحريري في المقامة السابعة والأربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات

ونسايرنا مدة وتعاشرنا زمانا إلى أن انجر الكلام إلى بيان مراتب المشايخ المذكورة فقال لي انظر بعينك فنظرت فرأيت أرضا بيضاء فيها طريق بيضاء وجلس على هذا الطريق أربعة رجال مراقبين متوجهين إلى جناب الحضرة مع كمال الأدب والوقار ثم قال إن هذه الأرض هي التي تدخلها أولياء الله تعالى وتلك الطريق طريق الحق وهؤلاء الرجال هم الذين سألت عنهم فانظر إليهم وتأمل مراتبهم ولما أمعنت النظر فيهم فإذا الشيخ محيي الدين متقدم الجميع وبعده الشيخ مصلح الدين وبعده الشيخ علاء الدين والذي والشيخ عبد الرحيم الآن والذي أقرب إلى الشيخ في الجملة ثم رأيت على هذا الطريق رجلا على بعد منهم فسألته عنه فقال هو الشيخ المشتهر ببهاء الدين زاده من جملة خلفاء الشيخ محيي الدين نقلت ذلك بعده عن شيخه وعدم دخوله في ذلك المجلس قال لأجل أنه أكثر الاشتغال بالعلوم الظاهرة فعاقته عن سيره وأخرته عن نظرائه والشيخ محيي الدين وإن كان له فضيلة تامة في العلوم الظاهرة إلا أنه جعلها نسيا منسيا وحصر نفسه في طلب المعارف الإلهية ثم قال لي هل تريد العروج إلى مقام

وقالا ما أصلي الياقوت جمر غضى * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وقال آخر في غلام له اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به * من المروءة أن لا يمنع القوت

سكنت قلبي وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

وقد جاء هذا في الشعر كثيراً لكن الاختصار أولى وأما قول ابن صابر في الجواب في البيت الثاني نسج داود لم يفد ليلة الغار الى آخره فهذه اشارة الى مهاجرة النبي عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فانهما لما خافا من مشركي مكة أن يتبعوهما دخلا غار ثور بالثاء المثلثة وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من مكة ونسج العنكبوت على باب الغار فلما وصل المشركون اليه ورأوا أثر نسج العنكبوت على الباب قالوا ليس ههنا أحد فانه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال لان المشركين بادروا اليهما ليلحقوهما فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما وهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقوله في البيت الثالث وبقاء السمندل في لهب النار الى آخره السمندل بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال السمندل أيضاً بزيادة اللام وذكر والله أعلم انه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ويعمل من ريشه مناديل وتحمل الى هذه البلاد فاذا اتسخت المناديل طرحت في النار فتأكل النار الوسخ الذي عليها ولا تحترق المنديل ولا تؤثر النار فيه ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهي في طول الحزام وعرضه فجعلوها على النار فما عملت فيها فغمسوا أحد جوانبها في الزيت وتركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زماناً طويلاً يشتعل ثم أطفؤه وهو على حاله ما تغير منه شيء ويقولون انه يجلب من بلاد الهند وان هذا الطائر يكون هنالك وفيه نكتة ينبغي ان نذكرها هنا وهي ان طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زماناً طويلاً والنار لا تعلق فيه فقال بعض الحاضرين هذا ما تعمل فيه النار ولكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار ففعلوا ذلك فاشتعل فظهر من هذا ان النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لابد من غمسه في شيء من الادهان ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي جعله لنفسه سيرة انه قدم للملك الظاهر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يشتعل الزيت وترجع بيضاء كما كانت والله أعلم ومثله السرفوت دويبة تعشش في كور الزجاج في حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها الا في موضع النار المستمرة الدائمة فسبحان خالق كل شيء وهي بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها وأما البيت الرابع الذي ذكر فيه النعام وانه يلتقم الجمر فهذا شيء شاهدناه كثيراً وهو معروف بين الناس وليس بغريب وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام اتصل بعضه ببعض فانتشر وتوفي ابن صابر المذكور في ليلة الثامن والعشرين من صفر سنة ست وعشرين وستمائة ببغداد ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الجديدة بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر رضي الله عنهما وأخبرني الشهاب التلعفري المذكور أن مولده في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بقلعة حماة وأنشدني قبل موته لنفسه وهو آخر شعره

اذا ما بات من ترب فراشي * وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنوني أصحابي وقولوا * لك البشرى قدمت على الكريم

وحوثرة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة وبعدها راء ثم هاء وهي في الاصل اسم لحشفة الذكر وبه سمي الانسان قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب سمي ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل حوثرة لانه جفر بامرأة فعيبت لها فاستامها فاذا اكثرت فقال والله لو أدخلت حوثرتي فيه يعني كمرته لملأته فسمي حوثرة والمنجنيقي بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف هذه النسبة الى المنجنيق وهو معروف واذ قد جرى ذكره ينبغي الكلام عليه ففيه أشياء

غريبة

علمه الطريقة الشيخ محيي الدين فقلت اني استحيي من هؤلاء المشايخ الكبار أحدهم شيخي والآخر والدي والآخر شيخ والدي فقال هذا طريق الحق وميدان المحبة لا يراعى فيهما خاطر من الخواطر بل كل من يسلك فيهما يصل اليها يأخذ منها بقدر ما يقدر عليه فقبضني من جناحي ورماني الى تلك الارض فما وقعت الا عند الشيخ محيي الدين مقدما على الشيخ عبد الرحيم فرفع رأسه فقال أسأت الادب وتقدمت على من تقدمك فقلت ما جئت الى هذا المكان باختياري وأشار الى الذي يقف عند رأسك فنظر فرأى الشيخ أبا يزيد فسأل عنه فقلت هو الشيخ أبو يزيد الذي رماني الى هذا المكان وأوصلني الى هذه المنزلة فقال سلمه الله وان الامر أمره فقام وأخذ ازاراً وشده في وسطي وقلدني سيفا فانتبهت وتفكرت فعرفت الحال وفهمت المثال وها أنا أورد الرسالة المباركة وفاء بالعهد السابق فعليك بالفكر اللائق والتأمل الصادق فيما حوته من الاشارات المفضية الى الاسرار الانيقة وتنبيهات فائقة الى دائم رائقة تنكشف بها الخطوب وتطمئن بها القلوب حتى تستدل على مقامه من آثار أقدامه (صورة الرسالة

غريب فعلم انه من جملة الآلات المنقولة المستعملة والقاعدة في هذا الباب أن تكون ميمه مكسورة لأنها تشذ عن ذلك في ألفاظ قليلة مثل مُنخل ومُدهن ومُسعط وغير ذلك ثم ان ابن الجواليقي في كتاب المعرب حكى فيه أربع لغات فتح الميم وكسرها على القاعدة ومنجنوق بالواو بدل الياء ومنجليق باللام عوضا عن النون الثانية وحكى في الميم والنون الأولى ثلاثة أقوال قيل انهما أصليتان وقيل زائدتان وقيل الميم أصلية والنون زائدة والله أعلم وهو اسم أعجمي فان الجيم والقاف لا تجتمعان في كلمة عربية مثل الجرموق والجردق والجوسق والجلاهق والقبج وغير ذلك وهذا مطرد وكذلك الجيم والصاد لا تجتمعان في كلمة عربية مثل الصهريج والجص والصاج والجصاص وغير ذلك وهو باب مطرد واذا جمعناه حذفنا احدى النونين فان حذفنا النون الأولى قلنا مجانيق وان حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق وقال الجوهري في كتاب الصحاح الأصل في المنجنيق من جي نيك تفسيره بالعربي ما أجودني (قلت) فتفسير من أنا وتفسير جي أيش وتفسير نيك جيد أي أنا أيش جيد قال الجوهري ثم عرب فقيل منجنيق وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل ان أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب بالحيرة في ذلك الزمان وقال الواحدي في تفسيره الوسيط في سورة الأنبياء ان المشركين لما عزموا على احراق ابراهيم الخليل عليه السلام وأضرموا النار لم يدروا كيف يلقونه فيها فجاءهم ابليس لعنه الله تعالى فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق وضع فوضعوه فيه ثم رموه والله أعلم وهذا الفصل كله وان كان خارجا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة فلذلك بسطت القول فيه

* (أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم
ابن محمد بن يحيى بن حيان القاضي ابن بشر بن حيان الأسدي الموصلي الأصل الحلبي
المولد والمنشأ الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصائغ) *

قرأ النحو على أبي السخاء فتيان الحلبي وأبي العباس المغربي والنيروزي وسمع الحديث على أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي بالموصل وعلى أبي محمد عبد الله بن عمر بن سويدة التكريتي وبحلب من أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي والقاضي أبي الحسن أحمد بن محمد الطرسوسي وخالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني وبدمشق على تاج الدين الكندي وغيرهم وحدث بحلب وكان فاضلا ماهرا في النحو والتصريف رحل من حلب في صدر عمره قاصدا بغداد ليدرك أبا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الانباري المقدم ذكره وتلك الطبقة بالعراق وبلاد الجزيرة فلما وصل الى الموصل بلغه خبر وفاته وقد ذكرت تاريخ موته في ترجمته فأقام بالموصل مدة وسمع الحديث بها ثم رجع الى حلب ولما عزم على التصدر للاقراء سافر الى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي الامام المشهور وقد تقدم ذكره في حرف الزاي وسأله عن مواضع مشكلة في العربية وعن اعراب ما ذكره أبو محمد الحريري في المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية وهو قوله في أواخرها حتى اذا لألأ الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان فاستبهم جواب هذه المسألة على الكندي هل الأفق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان أو الأفق مرفوع وذنب السرحان منصوب أو على العكس وقال له قد علمت قصدك وانك أردت اعلامي بمكانك من هذا العلم وكتب له خطه بتقدمه والثناء عليه ووصف تقدمه في الفن الأدبي (قلت) وهذه المسألة يجوز فيها الأمور الأربعة والمختار منها نصب الأفق ورفع ذنب السرحان وقد ذكر ذلك تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقدم ذكره المعروف بالبندهي في كتاب شرح المقامات ولولا خوف الاطالة لبينت ذلك ولما وصلت الى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف وكان دخولي اليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهي اذ ذاك أم البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب لم يكن فيهم مثله فشرعت في القراءة عليه وكان يقرئ بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية وكان عنده جماعة قد تميزوا وتنبروا به وهم ملازمون

بعينها) اعتبارات شمولية المقصود انما يكون بالتوحيد والفناء وهو انما يكون بكلمة التوحيد لان السالك لم يصل الى الفناء والبقاء الا برفع الحجب فالنفي ترفع الحجب والاثبات يثبت الحق لان التنزيه شأن السالك على الوجه الخاص وهو طريق المعراج كما صرح به الشيخ الأكبر في كتبه وأما قولهم الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فمعناه ان سلوك كل أحد انما يكون بحسب استعداده وقابليته كما يشعر به قولهم بعدد انفاس الخلائق والذكر اللساني في منازل النفس وهي جوهر بخاري حاصل من قوة الحيوان والحس والحركة الارادية ويسميها الحكماء الروح الحيواني وهو واسطة بين القلب الذي هو النفس المجردة وبين البدن المادي ومنبعه التجويف الأيسر من اللحم الصنوبري ويطلق القلب عليه فقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن وقوله عليه الصلاة والسلام ان قلب المؤمن بين أصبعين الحديث ناظر الى الأول وقوله عليه السلام ان في جسد بني آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب ناظر الى الثاني وهي تكون (امارة) تميل

مجالسه لا يفارقونه في وقت الاقراء واشتغلت بكتاب اللمع لابن جني فقرأت عليه معظمه مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين وما أتممتها الا على غيره لعذر اقتضى ذلك وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدي والمنتهي وكان خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار ولقد حضرت يوما حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه اللمع لابن جني فقرأ بيت ذي الرمة في باب النداء

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم

فقال له الشيخ ان هذا الشاعر لشدة ولهه في المحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الملاح الوجوه بالغزلان والمها اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية فقال آأنت أم أم سالم وأطال الشيخ موفق الدين القول في ذلك وبسطه بأحسن عبارة بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكليته حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ من شرحه فلما فرغ الشيخ من قوله قال له الفقيه يا مولانا ايش في هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية فقال له الشيخ قول منبسط تشبهها في ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون وخجل الفقيه وما عدت رأيته حضر مجلسه (قلت) وجلاجل بفتح الجيم وضمها اسم مكان والثانية جيم أيضا وكانوا يقرؤن عليه بالمدرسة الرواحية فجاء رجل من الاجناد بيده مسطور ويريد وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية فقال يا مولانا أشهد على ما في هذا المسطور فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله أقرت فاطمة فقال له الشيخ أنت فاطمة فقال الجندي يا مولانا الساعة تحضر وخرج الى باب المدرسة فأحضرها وهو يتبسم من كلام الشيخ ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي ان شخصا دخل عليه وعنده امرأة فقال أيكما الشعبي فقال له هذه وكانوا يقرؤن عليه في داره فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء فأحضر قلة الشرب فقال ما هذا الا ماء بارد فقال له الشيخ لو كان حارا كان أحب اليك وكانوا عنده بالمدرسة الرواحية فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة جيدة فقال له الحاضرون ايش هذا يا شيخ وأين وقت العصر فقال الشيخ موفق الدين دعوه عسى أن يكون له شغل فهو مستعجل وكان يوما عنده القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فجرى ذكر زرقاء اليمامة وانها كانت ترى الشيء من المسافة البعيدة حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة أيام فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك فقال الشيخ موفق الدين أنا أرى الشيء من مسيرة شهر فتعجب الكل من قوله وما أمكنهم أن يقولوا له شيأ فقال له القاضي كيف هذا يا موفق فقال لاني أرى الهلال فقال له ٣ كان قلت مسافة كذا وكذا سنة فقال لو قلت هذا عرفت الجماعة الحاضرون غرضي وكان قصدي الايهام عليهم وله نوادر كثيرة يطول ذكرها وكنت يوما عنده وقد قدم عليه من الموصل رجل من فضلاء المغاربة في علم الادب فحضر حلقته وبحث في درسه بحث رجل فاضل وجرى ذكر مباحث جرت له بالموصل مع جماعة من أدبائها وقال كنت عند ضياء الدين نصر الله بن الاثير الجزري (قلت وقد سبق ذكره) قال فتحاورنا وتناشدنا فأنشدته قول بعض المغاربة (قلت) هذه الابيات ذكر أبو اسحق الحصري انها لبعض مشايخ القيروان ورواها عنه ولم يعينه (قلت) غالب ظني انه أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري والابيات التي أنشدها ولم يذكر انها له رأيتها في بعض المجاميع منسوبة الى أبي الحجاج الشاعر المشهور وهي

ومعذرين كأن نبت خدودهم * اقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونضدوا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلي رآهم * وجد الهوى بهم اليه طريقا

قلت ونصف البيت الثاني مثل قول ابن الدروي المصري في أبياته التي سبق ذكرها في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله

جلا تحت ياقوت اللمى ثغر لؤلؤ * رطيبا وأبدى شاربا من زمرد

ومن المنسوب الى أبي محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي المتقدم ذكره في حرف الحاء

الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات الشهوانية الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فتكون مأوى الشر ومنبع الاخلاق الذميمة والافعال السيئة فتكون أرض البدن أو النفس حائلة بين شمس الروح وقمر القلب ولم تنعكس أنوار العلوم والمعارف فيتطلع الانخساف للجمع (ولوامة) متنورة بنور القلب المنور من الروح بحسب زوال ميلها الى الطبيعة الجسمانية فتتيقظ من سنة الغفلة وتبتدأ باصلاح حالها مترددة بين الجهة السفلية فاذا صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية تداركها نور التنبيه الالهي فتلوم نفسها (ثم مطمئنة) تنور بنور القلب فيسري النور الى البدن فيكون الكل نورا فينزل الذكر الى القلب بالمعنى الثاني فيسمع منه الذكر والذكر القلبي ليس هذا ثم يحصل الذكر القلبي وهو ذكر الافعال أي تصور نعماء الله تعالى وآلائه فالذكر ههنا ليس من جنس الحروف والاصوات لان القلب جوهر مجرد فلا يكون ذكره الا من جنس الادراك الذي يعجز عنه الالباب القاصرة والعقول المدركة ثم يحصل الذكر السري وهو معاينة أفعال الله تعالى وتصرفاته ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم

٣ قوله كان قلت هكذا بالاصل ولعل الظاهر كنت تقول

جوهري

جوهري الأوصاف يقصر عنه * كل فهم وكل ذهن دقيق

شارب من زمرد وثنايا * لؤلؤ وفوقها فم من عقيق

وذكرت بهذه الابيات بيتين كنت أحفظهما ولم أعرف من ذكرهما بعد هذا وهما

لما وقفنا للوداع وصارما * كأنما من النوى تحققا

نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا * ونثرت من فوق البهار عقيقا

وكذا بيت الوأواء الدمشقي فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وكذا قول محمد بن سعيد العاصري الدمشقي وقيل انه لابن وكيع

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين محاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وأنا الفداء لظبية أحداقنا * موصولة من وجهها بحدائق

ويتسب الى أبي الفتح الحسن بن أبي حصينة الحلبي الشاعر المشهور من هذا أيضا

ولما وقفنا للوداع وقلبها * وقلبي يفيضان الصبابة والوجدا

بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي * عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وأنشدني صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري الاربلي المقدم ذكره لنفسه

ولما التقينا ومعي الزمان * رأى دمع عيني دمائي المآقي * فقال وعهدي به لؤلؤا

يجري عقيقا وهذا التلاقي * فقلت حبيبي لا تعجبن * جعلت فداك لمستاق باق

فتلك أوائل دمع الوداع * وهذا أواخر دمع الفراق

وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيرا ما ينشد منسوبا الى أبي علي الحسن بن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه فلم أجد هذه الابيات فيه والله أعلم وهي

وقد كنت لا آتي اليك مخاتلا * اليك ولا أثني عليك تصنعا

ولكن رأيت المدح فيك فريضة * علي اذا كان المديح تطوعا

فقمت بما لم يخف عنك مكانه * من القول حتى ضاق عما توسعا

فلا تتخالجك الظنون فانها * مآثم واترك في الصلح موضعا

ولو غيرك الموسوم عندي بريبة * لأعطيته في القول ما ادعى

فوالله ما طولت بالقول فيكم * لما نالني أعرضت ألتمس معا

ولكنني أكرمت نفسي لم تهن * وأجللتها من أن تذل وتخضعا

فباينت لا أن العداوة باينت * وقاطعت لا أن الرفاء تقطعا

(قلت) وقد قيل في هذا الباب شئ كثير ولا حاجة الى الاطالة وشرح الشيخ موفق الدين كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري شرحا مستوفيا وليس في جملة الشروح مثله وشرح تصريف الملوكي لابن جني شرحا جيدا وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها حتى ان الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة بحلب وتوفي بها في سحر الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب الى ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ورحمه الله

(أبو بكر عوت بن المزرع بن عوتب بن عيسى المزرع بن موسى بن سنان بن حكيم بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحرث بن الديل بن عمرو بن غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي ابن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان العبدي البصري)

بحصل ذكر الروح وهو مشاهدة الاسماء والصفات مع ملاحظة نور الذات اذ الاسم باصطلاح أهل الحق ليس هو اللفظ بل هو الذات المسمى باعتبار صفة وجودية كالعلم والقدرة أو عدمية كالقدوس والسلام فتظهر للسالك في مقام الروح الاسماء الالهية الكلية التي هي مائة الا واحدا وألف وواحد على وجوه مختلفة وانحاء شتى لا يمكن وصفها للمحجوبين فيسمع من كل اسم بلا جهة وحرف وصوت وترتيب شيئا اذا خرج السالك الى عالم الاجسام يكون لفظا من كلمتين مثلا تظهر اسم الله تعالى في صورة يسمع منه بلا صوت وحرف وترتيب فاذا عاد السالك الى مقام الشهادة يعبر عنها بما هو بحرف وصوت وترتيب حروف مسموعة مرتبة من جهة كلفظ الله تعالى وكذا غيره من الاسماء فيكون ذكر الروح مشاهدة الاسماء والتوجه اليها بالكلية فاذا داوم السالك على الذكر يكون فانيا في أوصافه باقيا بأوصاف الحق متخلقا بأخلاق الله تعالى وفي هذا الموضع يحتاج الى المرشد الكامل غاية الاحتياج اذ هو مقام الحيرة فاذا انكشف اسم الله تعالى مثلا يقول المرشد الكامل اشتغل باسم الله

(قلت) ووجدت في كتاب جمهرة النسب تأليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبلة المذكور وقد ساق نسبه على هذه الصورة وفي الحاشية مكتوب ما مثاله من ولد حكيم بن جبلة المذكور يموت بن المزرع بن يموت وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى ألحقه بحكيم بن جبلة المذكور والعهدة عليه في ذلك ورأيت بخطي في مسوداتي يموت بن المزرع بن يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيار بن المزرع بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن ضمرة بن دلهاث بن بكر بن وديعة بن بكر بن كثير بن أفصى المذكور والله أعلم بالصواب في ذلك وكان يموت قد سمى نفسه محمدا وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ثم ذكره في حرف الياء وقال هو يموت ابن أخت أبي عثمان الجاحظ وقد تقدم ذكره قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة احدى وثلثمائة وهو شيخ كبير وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهضمي وعبد الرحمن ابن أخي الاصمعي ومحمد بن يحيى الازدي وأبي اسحق ابراهيم بن سفيان الزيادي وغيرهم وروى عنه أبو بكر الخرائطي وأبو الميمون بن راشد وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي وأبو بكر بن مجاهد المقرى وأبو بكر بن الانباري وغيرهم وكان أديبا اخباريا وله ملح ونوادر وكان لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وكان يقول بليت بالاسم الذي سماني به أبي فاني اذا عدت مريضا فاستأذنت عليه فقيل من هذا قلت أنا ابن المزرع وأسقطت اسمي ومدحه منصور الفقيه المصري الشاعر بقوله

أنت تحيي والذي يكـ ـره أن تحيا يموت * أنت صنو النفس بل أنـ ـت لروح النفس قوت
أنت للحكمة بيت * لا خلت منك البيوت

ومن أخباره انه قال أخبرني أبو الفضل الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول سخط هرون الرشيد على عبد الملك ابن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في سنة ثمان وثمانين ومائة ولقد كنت عند الرشيد وقد أتي بعبد الملك يرفل في قيوده فلما نظر الرشيد اليه قال له هيه يا عبد الملك كأني والله أنظر شؤبوبها قد همع والى عارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا بني هاشم فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا حذركم مني قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أم توأما فقال بل توأما فقال اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك واحفظه في رعاياك التي استرعاك فقد سهلت والله لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسان وبيان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل

قال فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد فقال يا عبد الملك بلغني انك حقود فقال له أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي فانهما الباقيات في قلبي قال الاصمعي فالتفت الرشيد الي وقال يا أصمعي حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم أمر به فرد الى محبسه قال الاصمعي ثم التفت الرشيد الي وقال يا أصمعي والله لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا ويمنعني من ذلك ابقائي على قومي في مثله (قلت) وعبد الملك بن صالح قد ذكرته في ترجمة أبي عبادة الوليد البحتري الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته وروى يموت بن المزرع أيضا ان أحمد بن محمد بن عبيد الله أبا الحسن الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي الرستيساني كان اذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم أطلقه فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيدين فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقال له قد عرفت الشرط قال نعم ثم أنشده

أردنا في أبي حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة
وقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي * عيالي انما الشأن الزكاة

تعالى أي بالذات المستجمع لجميع الصفات فلا تلتفت الى غير ذلك الاسم حتى تظهر تفاصيل الاسماء والصفات فاذا ظهر اسم السميع مثلا تكون مشاهدا لاسم السميع وهكذا الى أن تنتهي الاسماء بالكلية وفي هذا المقام قد تحير كثير ممن وصل اليه لأنه مرتبة أعلى مما وجد لحسين بن منصور حين ظهور اسم الحق واتصافه به فانه قال لأنه مرتبة أسنى أي أعلى منها ومن اطلاق لفظ الاسم على المركب من الصوت والحروف وقع البعض في غلط لقصور الفهم ولذا قال الشيخ الزاهدي الكيلاني للشيخ الصافي عليهما الرحمة حين وصوله الى اسم الله تعالى اشتغل باسم الله تعالى ففهم الشيخ الصافي ان مراده مشاهدة الاسم الذي هو عين المسمى ولا تلتفت الى غيره فان المذكور في ذلك المنزل مشاهدة الاسم وتوهم الغير كالشيخ عمر الخلوتي ان المراد اشتغل بلفظ الله تعالى وكذا غيره من الاسماء فاشتغلوا بالاسماء اللفظية في منازل النفس ولزمهم أن يكون لفظ الله وحي وهو وغيرها عين مسمى الذات الواجب الوجود فالزمه بعد من تعدد وجوده وسمعت من بعضهم يقول ان اللفظ الخارج من الفم كهو

فتاهم

فتأمرني بكسر الصاد منها * فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه وقال من أين أخذت هذا فقال من قول أبي تمام الطائي

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

فاستحسن ذلك وأحسن صلاته وكان أحمد بن المدبر يتولى الخراج بمصر فحبسه أحمد بن طولون في سنة خمس وستين ومائتين ومات في حبسه في صفر سنة سبعين ومائتين وقيل بل قتله ابن طولون والله أعلم والمدبر بكسر الباء الموحدة المشددة (وحدث) ابن المزرع أيضا عن خاله أبي عثمان الجاحظ انه قال طلب المعتصم جارية كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور بالوراق وكانت تسمى نشوى وكان شديد الغرام بها وبذل في ثمنها سبعة آلاف دينار فامتنع محمود من بيعها لانه كان يهواها أيضا فلما مات محمود اشتريت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار فلما دخلت عليه قال لها كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة دينار قالت أجل اذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث فان سبعين دينارا لكثيرة في ثمني فضلا عن سبعمائة فخجل المعتصم من كلامها وقال ابن المزرع حدثني من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب لا يغترن أحد بالدنيا فاني ابن من كان يطلق الريح اذا شاء ويحبسها اذا شاء وبحذائه قبر مكتوب عليه كذب الناس بظر أمه لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام انما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر قال فما رأيت قبلهما قبرين يتشاتمان والله أعلم ولابن المزرع أخبار وحكايات ونوادر ولسنا نقصد الاطالة بل الايجاز بحسب الامكان الا أن ينتشر الكلام وكان له ولد يدعى أبا نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وكان شاعرا مجيدا ذكره المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فقال في حقه هو من شعراء هذا الزمان وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه مخاطبا له

مهلهل قد حلبت شطور دهري * وكافحني به الزمن العنوت
وحاربت الرجال بكل ريع * فأذعن لي الحثالة والرتوت
فأوجع ما أجن عليه قلبي * كريم غته زمن غتوت
فكن حرا بضيعة ذي قديم * وأبناء العبيد لها التخوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض * مخافة أن تضيع اذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء * بلى ان فنيت وان بقيت
فجب في الارض وابغ بها علوما * ولا تقطعك جائحة تفوت
وان بخل العليم عليك يوما * فذل له وديدنك السكوت
وقل بالعلم كان أبي جوادا * يقال ومن أبوك فقل يموت
يقرك الاباعد والادانى * بعلم ليس يجحده البهوت

وكان يموت قد قدم مصر مرارا وآخر قدومه اليها في سنة ثلاث وثلثمائة وخرج في سنة أربع وثلثمائة وقال أبو سعيد بن يونس الصدفي المصري في تاريخه المختص بالغرباء مات يموت بن المزرع سنة أربع وثلثمائة بدمشق وقال أبو سليمان بن زبر في تاريخه انه مات في سنة ثلاث وثلثمائة بطبرية الشام والله أعلم وأما ولده مهلهل فان الخطيب ذكره في تاريخ بغداد وقال هو شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره وسكن بغداد وسمع منه وكتب عنه شعره أو بعضه ابراهيم بن محمد المعروف بنفطويه ثم قال الخطيب أخبرنا التنوخي قال قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الاخباري حضرت في سنة ست وعشرين وثلثمائة مجلس تحفة القوالة جارية أبي عبد الله بن عمر البازيار والى جانبي عن يسرتي أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وعن يميني أبو القاسم بن أبي الحسن البغدادي فغنت تحفة من وراء الستارة بهذه الابيات

نفى شغلي عن التشاغل عنه * بهواه وان تشاغل عني
ظن بي جفوة فأعرض عني * وبدا منه ما تخوف مني
سره أن أكون فيه حزينا * فسروري اذا تضاعف حزني

فقال لي أبو نضلة هذا الشعر لي فسمعه أبو القاسم وكان ينحرف عن أبي نضلة فقال قل له ان كان هذا الشعر له فيزد فيه بيتا فقلت له ذلك على وجه جميل فقال

هو في الحسن فتنة قد أصارت * فتنتي في هواه من كل فن

ومن المنسوب الى مهلهل أيضا

والله هو عين المسمى وقال بعضهم ان أصل هو الهواء ومنشأ غلطه انه يفهم من الهواء الخارج من أنفسه لفظة هو وهو اسم والاسم عين المسمى فمع هذا سيرهم معكوس ومنكوس لان اسم الله تعالى اسم للذات المستجمع لجميع الاسماء المتصف بجميع الصفات وتفاصيل هذه الاسماء الاصطلاحية تحصل بالاشتغال به على تدريج تسليم السالك به ولفظ هو اسم للذات الاحدية أي اسم للذات المأخوذة من حيث انتفاء جميع النسب والاضافات والسلوب وبعده لا اسم ولا رسم ولا لسان حتى لو غير لفظ الوجود وغيره لا يكون اسما له حقيقة فكيف يشتغل بغيره من الالفاظ ثم الذكر الخفي وهو مشاهدة جمال الذات وهو مقام قاب قوسين مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو شهود الذات بارتفاع البقية وهو مقام أو أدنى وسمعت من رئيس الخلوتية في هذا العصر ان التشخص والتعين لم يرتفع عن سيد المرسلين في المعراج فقلت هل وجدت الامر على ما قلته قال لم أصل بعد الى مثل ذلك فقلت ذا خلاف ما عنده أهل الذوق لان المعراج لا يكون الا بالفناء لا البقاء لان التعين

جلت محاسنه عن كل تشبيه * وجل عن واصف في الناس يحكيه

النرجس الغض والورد الجني له * والاقحوان النضير النضر في فيه

أنظر الى حسنه واستغن عن صفتي * سبحان خالقه سبحان باريه

دعا بالحاظه قلبي الى عطبي * فجاءه مسرعا طوعا يلبيه

مثل الفراشة تأتي اذ ترى لهبا * الى السراج فتلقي نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعرا غير هذا فأضربت عن ذكره والمزرع بضم الميم وفتح الزاي وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة هكذا قاله لي الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري رحمه الله تعالى وأما حكيم بن جبلة المذكور في عمود هذا النسب فانه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ويقال أيضا بضم الحاء وفتح الكاف ويقال جبلة وجبل وكان من أعوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولما بويع علي بالخلافة بايعه طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام الاسدي رضي الله عنهما فعزم علي رضي الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن فخرجت مولاة لعلي فسمعتهما يقولان ما بايعناه الا بألسنتنا وما بايعناه بقلوبنا فأخبرت مولاها بذلك فقال أبعدهما الله تعالى ومن نكث فانما ينكث على نفسه وبعث الى البصرة عثمان بن حنيف الانصاري والى اليمن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فاستعمل ابن حنيف حكيم بن جبلة المذكور على شرطة البصرة ثم ان طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عائشة رضي الله تعالى عنها فاتفقوا وقصدوا البصرة وفيها ابن حنيف المذكور فأتى حكيم بن جبلة الى ابن حنيف وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة فأبى وقال ما أدري ما رأى أمير المؤمنين في ذلك فدخلوها وتلقاهم الناس فوقفوا في مربد البصرة وتكلموا في قتلة عثمان بن عفان وبيعة علي رضي الله تعالى عنهما فرد عليهم رجل من عبد القيس فنالوا منه ونتفوا لحيته وتراجم الناس بالحجارة واضطربوا فجاء حكيم بن جبلة الى ابن حنيف ودعاه الى قتالهم فأبى ثم أتى عبد الله بن الزبير الى خزينة الرزق ليرزق أصحابه من الطعام الذي فيها وغدا حكيم بن جبلة في سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلا من أصحابه وروي ان ابن جبلة قال لامرأته وكانت من الازد لأعملن بقومك اليوم عملا يكونون به حديثا للناس فقالت له أظن قومي سيضربونك اليوم ضربة تكون حديثا للناس فلقيه رجل يقال له سحيم فضرب عنقه فبقي معلقا بجلده فاستدار رأسه فبقي مقبلا بوجهه على دبره وكان ذلك قبل وصول علي رضي الله عنه بجيوشه اليهم ثم قدم عليهم وتقابل الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ثم كانت الوقعة العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور وكان أول قدومهم وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بأيام في هذا الشهر أيضا وقتل بين الفريقين مقدار عشرة آلاف وقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما في ذلك اليوم لكنه بغير قتال ولولا خوف الاطالة لشرحته وقال المأموني في تاريخه وقيل ان أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس وفيه كان القتال وذلك ان نسرا مر بما حول المدينة ومعه شئ متعلق فتأمله الناس فوقع فاذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ثم ان كل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد علموا بالوقعة بما نقلت النسور اليهم من الايدي والاقدام (قلت) وذكر كشاجم في كتاب المصايد والمطارد أن العقاب ألقت كف عبد الرحمن بمكة وكذلك ذكره في كتاب المهذب في الفقه في باب الصلاة على الميت وذكر ابن السكاكي وأبو اليقظان في كتابيهما ان العقاب ألقتها باليمامة والله أعلم بالصواب

(ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه)

كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به في حياته وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته سمع الاحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي المقدم ذكره ومن الامام الشافعي وروى عنه أبو اسمعيل الترمذي وابراهيم بن اسحق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي

وغيرهم

والشخص ما لم يرفع لم يحصل الشهود الذاتي فلم يحصل الارتفاع الى عين الجمع فأين البقاء ويخالفه قوله تعالى أو أدنى وقوله عليه الصلاة والسلام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل اذ المعنى انه لم يبق فيه بقية الوجود وهو المعنى بالفناء فقال ذلك القائل يجوز أن يكون تعينه غير مانع فقلت ان التعين يقتضي الاثنينية فما لم يرتفع لم يصل السالك الى الشهود الذاتي واعتقاده ان ارتفاع التعين من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يكون نقصا ولم يتفطن ان بقاءه نقص فعرفت انه غافل عن الفناء والبقاء فأين مقام الارشاد ولا يظن أحد اني لم أسلك مسلكهم فاني جاهدت في طريقهم سبع سنين منقطعا عن الحيوانات والآلوفات وكان غذائي في السبعة قطعة من الخبز مع الخل فقال رئيسهم انك قد وصلت الى المطلوب وأمرنا بخلافه فعلمت أنهم ليسوا في حاصل من حالهم فرجعت عنهم متأسفا لما أتلفت من العمر العزيز ولا أقدر أن أفصل ما جرى بيني وبينهم والله عليم بذات الصدور

*(ومن انتظم في سلك الاعيان في هذا العصر والاوان ثم ألقاه الدهر في غيابة القطائع والتناسي

وغيرهم وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر الى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الاجابة الى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل في السجن والقيد حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا وقال الربيع بن سليمان رأيت البويطي على بغل في عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول انما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون انه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ولئن أدخلت عليه لأصدقنه يعني الواثق وقال أبو عمر بن عبد البر الحافظ في كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء ان ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر الى بغداد ولم يخرج من أصحاب الشافعي غيره وحمل الى بغداد وحبس فلم يجب الى ما دعي اليه في القرآن وقال هو كلام الله غير مخلوق وحبس ومات في السجن وقال الشيخ أبو اسحق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء كان أبو يعقوب البويطي اذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان أين تريد فيقول أجيب داعي الله فيقول ارجع عافاك الله فيقول أبو يعقوب اللهم انك تعلم اني قد أجبت داعيك فمنعوني وقال أبو الوليد بن أبي الجارود كان البويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل الا سمعته يقرأ أو يصلي وقال الربيع كان أبو يعقوب أبدا يحرك شفتيه بذكر الله تعالى وما رأيت أحدا أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي وقال الربيع أيضا كان لأبي يعقوب بمنزلة من الشافعي وكان الرجل ربما يسأله عن المسئلة فيقول له سل أبا يعقوب فاذا أجابه أخبره فيقول هو كما قال وقال أيضا ربما جاء رسول صاحب الشرطة الى الشافعي يستفتيه فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول هذا لساني وقال الخطيب البغدادي في تاريخه لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي فقال البويطي أنا أحق به منك وقال ابن عبد الحكم أنا أحق بمجلسه منك فجاء أبو بكر الحميدي وكان في تلك الأيام بمصر فقال قال الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابي أعلم منه فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدي كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك فغضب ابن عبد الحكم وترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعي ومجلسه وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم رأيت أبي في المنام فقال لي يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه وقال الربيع بن سليمان كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي فنظر الينا وقال لي أنت تموت في الحديث وقال للمزني هذا لو ناظره الشيطان لقطعه أو جدله وقال للبويطي أنت تموت في الحديد قال الربيع فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيته مقيدا الى أنصاف ساقيه مغلولة يداه الى عنقه وقال الربيع أيضا كتب الي أبو يعقوب من السجن انه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فاذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها * ولن تكرم النفس التي لا تهينها

وأخباره كثيرة وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين في القيد والسجن ببغداد وقيل انه توفي سنة اثنتين وثلاثين والأول أصح رحمه الله تعالى وقال ابن الفرات في تاريخه توفي يوم الثلاثاء في رجب والله أعلم والبويطي بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى بويط وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر ويوسف بضم السين وفتحها وكسرها مع الواو وضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض عن الواو فالمجموع ست لغات والياء في أوله مضمومة في اللغات الست وسيأتي نظيره في يونس

المولى عبد الرحمن ابن سيدي علي الاماسي) * كان أبوه من كبار قضاة القصبات ونشأ هو على طلب العلوم وتحصيل المهمات فقرأ على علماء عصره واجتمع بأماثل مصره حتى وصل الى خدمة المولى المعظم مفتي ذلك الزمان سعد ابن عيسى بن أمير خان وهو مدرس بمدرسة محمود باشا فانتظم في سلك طلابه وأكثر التردد الى بابه واشتغل عليه مدة طويلة فخص منه بالأنظار الشريفة الجليلة ولما صار ملازما منه درس بمدرسة فرهاد باشا بمدينة بروسه بعشرين ثم بمدرسة كنقري بخمسة وعشرين ثم بمدرسة الأشهر بثلاثين ثم بمدرسة سليمان باشا الغازي ببلدة ازنيق بأربعين ثم بالمدرسة الحلبية بمدينة أدرنه بالوظيفة المزبورة ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة الطاصكية بقسطنطينية ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة أدرنه بستين ثم استقضى بحلب ثم نقل عنها الى قضاء بروسه وبعد ستة أشهر نقل عنها الى قضاء أدرنه فأقام بها أربع سنين ثم صار قاضيا بعسكر روم ايلي فدام عليه قريبا من خمس سنين ثم عزل عنه وبقي معزولا الى أن قلد قضاء مكة شرفها الله تعالى

(القاضي يوسف بن احمد بن يوسف بن كج الكجي الدينوري)

كان أحد أئمة الشافعية صحب أبا الحسين القطان وحضر مجلس أبي القاسم عبد العزيز الداركي وجمع بين رياسة العلم والدنيا وارتحل الناس اليه من الآفاق للاشتغال عليه بالدينور رغبة في علمه وجودة نظره وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه وصنف كتبا كثيرة انتفع بها الفقهاء قال أبو سعيد السمعاني لما انصرف أبو علي الحسين بن شعيب السنجي من عند الشيخ أبي حامد الاسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله فقال له يا أستاذ الاسم لابي حامد والعلم لك فقال ذاك رفعته بغداد وحطتني الدينور وتولى القضاء ببلده وكانت له نعمة كثيرة وقتله العيارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة رحمه الله تعالى وكج بكاف مفتوحة وجيم مشددة وقد تقدم الكلام على الدينور فأغنى عن الاعادة والكجي نسبة الى جده المذكور

*(يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي
امام عصره في الحديث والاثر وما يتعلق بهما)*

روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وأبي سعيد نصر وأبي محمد بن عبد المؤمن وأبي عمر والباجي وأبي عمر الطلمنكي وأبي الوليد بن الفرضي وغيرهم وكتب اليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وأبو محمد النحاس المصري وغيرهم قال القاضي أبو علي بن سكرة سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي يقول لم يكن بالاندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث وقال الباجي أيضا أبو عمر أحفظ أهل المغرب وقال أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد الغساني الاندلسي الجياني المقدم ذكره ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة بها طلب الفقه وتفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الاشبيلي وكتب بين يديه ولزم أبا الوليد بن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيرا من علم الادب والحديث ودأب في طلب العلم وأفتى به وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الاندلس وألف في الموطا كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد الى مثله وهو سبعون جزأ قال أبو محمد بن حزم لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ثم صنع كتاب الاستذكار لمذاهب الامصار فيما تضمنه الموطا من معاني الرأي والآثار شرح فيه الموطا على وجهه ونسق أبوابه وجمع في أسماء الصحابة رضي الله عنهم كتابا مفيدا جليلا سماه الاستيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله وله كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير وكتاب العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم وغير ذلك من تآليفه وكان موفقا في التأليف معانا عليه ونفع الله به وكان مع تقدمه في علم الاثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث له بسطة كثيرة في علم النسب وفارق قرطبة وجال في غرب الاندلس مدة ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن دانية من بلادها وبلنسية وشاطبة في أوقات مختلفة وتولى قضاء الاشبونة وشنترين في أيام ملكها المظفر بن الافطس وصنف كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس في ثلاثة أسفار جمع فيها أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا مدلى فاعجبه وقال لمن هذا فقيل لابي جهل فشق ذلك عليه وقال ما لابي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا فانها لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به وقام اليه وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه ومنه أيضا أنه قيل لجعفر بن محمد بن الصادق كم تتأخر الرؤيا قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم كأن كلبا أبقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه وكان أبرص فكان تأخر الرؤيا خمسين سنة ومن ذلك أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال يا أبا بكر رأيت كأني أنا وأنت نرقى في درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال

كل ذلك في دولة السلطان سليمان ويقال انه اجتمع في بعض سفرته بالسلطان سليم خان في حياة أبيه السلطان سليمان وهو أمير بلدة مغنيسا وعرض له هدايا سنية وتحفا سمية فاستمال قلبه واستمالك لبه فوعده بقضاء العسكران قدر له الجلوس على سرير السلطنة وتيسر فلما ساعده الزمان وأجلسه على سرير أبيه السلطان سليمان وفى بعهده المزبور واقر عينه بالمنصب المسفور فتصرف فيه قريبا من سنتين مع كمال التحمل في مراعاة الخواطر وتمشية مرادات الاكابر وقد انتقل في اثنائه السلطان الى جوار الرحمن وجلس السلطان مراد خان على سرير السلطنة فخدمه شهورا ولم يكمل سنة فهجمت عليه الامراض فعاقته عن التصرف فتحكمت الاغراض واختل أمر التفويض والتقليد ووجه المناصب الى كل وغد وبليد فعزل قبل موته بثلاثة أيام فاستراحت قلوب الناس وارتفع عنهم الظلام (وذلك في شهر ربيع الاول من شهور ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان المولى المرقوم مشاركا في العلوم معروفا بقوة الذهن وسرعة الانتقال وتأدية المطالب بحسن المقال وقد اعتنى بكلمات استاذه المرقوم

يارسول الله يقبضك الله تعالى الى مغفرته ورحمته وأعيش بعدك سنتين ونصفا ومن ذلك ان بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم قال مع أيهما كنت قال مع القمر قال مع الآية الممحوة لاعملت لى عملا أبدا فعزله وقتل مع معاوية بن أبى سفيان بصفين وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرى فقال لها أبو بكر رضى الله عنه ان صدقت رؤياك دفن فى بيتك ثلاثة من خير أهل الارض فلما دفن النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها قال لها أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها ومنه أيضا ان أعرابيا وقيل هو الحطيئة الشاعر أراد سفرا فقال لامرأته شعرا

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك سفره وقال الهيثم بن عدى قال لى صالح بن حسان من أفقه الشعراء فقلت اختلفوا فى ذلك فقيل أفقه الشعراء وضاح اليمن حيث يقول

اذا قلت هاتى نولينى تبسمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعت عندها * وأعلمتها ما أرخص الله فى اللمم

ومنه أيضا قيل لاسلم بن زرعة انك زعمت من أصحاب مرداس غضب عليك الامير عبيد الله بن زياد فقال لأن يغضب على وأنا حى خير من أن يرضى عنى وأنا ميت ومنه أيضا ان أعرابيا سب آخر فسكت فقيل له لم سكت عنه فقال ليس لى علم بمساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ومما قيل فى المعنى

ثالبنى عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب قلت له خيرا فقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما اذا قال فيك رجل ما لا تعلم فيك من الخير يوشك ان يقول فيك ما لم يعلم من الشر ومنه أيضا ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان والله أفضل من أن يخدع ومنه أيضا روى انه لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام الى الارض أتاه جبريل عليه السلام فقال يا آدم ان الله عز وجل قد أحضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة وتخلى عن ثنتين قال وما هن قال الحياء والدين والعقل قال آدم انى قد اخترت العقل فقال جبريل للحياء والدين ارتفعا فقد اختار العقل قالا لا نرتفع قال ولم عصيتما قالا لا ولكن امرنا ان لا نفارق العقل حيث كان وقال عبد الملك بن عبد الحميد من أبيات فى الهجاء

الماء فى دار عثمان له ثمن * والخبز فيها له شان من الشان

عثمان يعلم ان الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمدا بمجان

والناس أكيس من ان يحمدوا أحدا * حتى يروا عنده آثار احسان

ومن كتاب بهجة المجالس أيضا قال الرياشى خرج الناس بالبصرة يتراءون هلال شهر رمضان فرآه واحد منهم ولم يزل يومئ اليه حتى رآه معه غيره وعاينوه فلما كان هلال الفطر جاء الجماز صاحب النوادر الى ذلك الرجل فدق عليه الباب فقال قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه (قلت) وهذا الجماز أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد ابن عطاء بن ريان مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن أخت سلم الخاسر وقال السمعانى فى حقه كان خبيث اللسان حسن النادرة وكان أكبر من أبى نواس وقيل فى نسبه غير ذلك والجماز لقبه وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الالف زاى فمن نوادره انه قال أصبحت فى يوم مطير فقالت لى امرأتى أى شئ يطيب به هذا اليوم فقلت لها الطلاق فسكتت عنى ودخل عليه يوما بعض اخوانه وقد طبخ وغرف الطعام فقال الداخل سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق فقال الجماز أسباب الحرمان والله أعجب الطلاق لازم لى ان أكلت منه شيأ ومنه أيضا قال له السروى الشاعر ولدت امرأتى البارحة ولدا كأنه دينار منقوش فقال له الجماز لاعن أمه وللجماز أيضا شعر ذكره فى كتاب الوراقة فى ذلك ما كتبه الى صاحب له وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه

فلا نافلة تأتى * ولا تشهد مكتوبه واخبارك تأتينا * على الاعلام منصوبه

فان زدت من الغيبه * زدناك من الغيبه

المولى المفتى سعد الله المرحوم وأخرجهما من هوامش كتبه ورتبهما منها الحواشى التى علقها على العناية شرح الهداية والحواشى التى علقها على القاموس للعلامة الفيروزابادى وتقلد من قضاء مكة بتعليقة على أول كتاب الهداية وكان يدعى انه كتب شرحا كاملا له والناس فيه قيل وقال والله أعلم بسرائر الاعمال وكان سامحه الله تعالى مع ما به من التيقظ والفراسة منهمكا فى طلب الرفعة والرياسة فى غاية الميل الى جانب الامراء والمداهنة العظيمة مع الاكابر والوزراء ومن جملة مداهنته أنه رغب الوزراء فى تعيين أشخاص من طرف السلطان ليقبضوا أثلاث الوصايا من الاموات الواقعة فى جميع البلدان فلم يتم كيده وخلص الله تعالى من مكره أهل الايمان وأعاذنا من مظالم الحكام وأفاض علينا سجال الانعام انه ذو الجلال والاكرام

(ومن الوعاظ المشاهير بحسن الاداء ولطف التقرير فى مجالس الوعظ والتذكير الشيخ محرم ابن محمد)

ولد رحمه الله تعالى ببلدة قسطمونى ونشأ بها على طلب العلوم واقتناء شوارد المنطوق والمفهوم فقرأ على

ومنها أيضا قال أردشير احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع واعلموا ان الكرام أصبر نفوسا واللئام أصبر أجساما قلت هذا كله نقلته من بهجة المجالس وفيه كفاية فلا حاجة الى الاطالة وتوفى الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة شاطبة من شرق الاندلس وقال صاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافرى وهو الذى صلى عليه سمعت أبا عمر بن عبد البر يقول ولدت يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة وقد تقدم فى ترجمة الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى الحافظ انه كان حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب وماتا فى سنة واحدة وهما امامات فى هذا الفن والنمرى بفتح الميم والنون والميم وبعدها راء هذه النسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون وكسر الميم وانما تفتح الميم فى النسبة خاصة وهى قبيلة كبيرة مشهورة وقد تقدم الكلام على قرطبة وشاطبة فاغنى من الاعادة وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان ولده أبو محمد عبد الله بن يوسف من أهل الادب البارع والبلاغة وله رسائل وشعر فمن شعره قوله

لاتكثرن تأملا * واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك فى ميدان حتفك

قيل انه مات سنة ثمانين وأربعمائة

(أبو محمد يوسف بن أبى سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى النحوى اللغوى الاخبارى الفاضل بن الفاضل)

قد تقدم ذكر أبيه الحسن فى حرف الحاء كان أبو محمد المذكور عالما بالنحو وتصدر فى مجلس أبيه بعد موته فى التاريخ المذكور فى ترجمته وخلفه على ما كان عليه وقد كان يفيد الطلبة فى حياة أبيه وأكمل كتاب أبيه الذى سماه الاقناع وهو كتاب جليل نافع فى بابه فان أباه كان قد شرح كتاب سيبويه كما تقدم فى ترجمته وظهر له بالاطلاع والبحث فى حال التصنيف مالم يظهر لغيره من معانى هذا الشان وصنف بعد ذلك الاقناع فكان ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ومات قبل اتمامه فكمله ولده يوسف المذكور واذا تامله المنصف لم يجد بين الفعلين والقصدين تفاوتا كثيرا ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب فى شرح أبيات استشهادات كتب مشهورة مثل شرح أبيات كتاب سيبويه وهو الغاية فى بابه و بسطه وشرح أبيات اصلاح المنطق وأجاد فيه وشرح أبيات المجاز لابى عبيدة وأبيات معانى الزجاج وشرح أبيات الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام الى غير ذلك وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة رواية ومرة دراية وقرئ عليه كتاب البارع للمفضل بن سلمة وهو كتاب كبير فى عدة مجلدات هذب به كتاب العين فى اللغة المنسوب الى الخليل بن أحمد المقدم ذكره وأضاف اليه من اللغة طرفا صالحا ونقل من نسخة لكتاب اصلاح المنطق قال أبو العلاء المعرى حدثنى عبد السلام البصرى خازن دار العلم ببغداد وكان لى صديقا مساعدا قال كنت فى مجلس أبى سعيد السيرافى و بعض أصحابه يقرأ عليه اصلاح المنطق لابن السكيت فمضى بيت حميد بن ثور وهو

ومطوية الاقراب اما نهارها * فسبت وأما ليلها فذميل

فقال أبو سعيد ومطوية أصلحه بالخفض ثم التفت الينا فقال هذه واو رب فقلت أطال الله بقاء القاضى ان قبله ما يدل على الرفع فقال وما هو فقلت

أتاك بى الله الذى أنزل الهدى * ونور واسلام عليك دليل

ومطوية الاقراب فعاد وأصلحه وكان ابنه محمد حاضرا فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته وقته والغضب يستطير فى شمائله الجدكانه وكان سمانا فباعها واشتغل بالعلم الى أن برع فيه و بلغ الغاية فعمل شرح اصلاح المنطق قال أبو العلاء وحدثنى من رآه و بين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الديوان * ولم يزل أمره على سداد واشتغال وافادة الى أن توفى ليلة الاربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة

علماء عصره واجتمع بأماثل دهره وقد تشرف بالاستفادة من المولى اسرافيل زاده والمولى جوى زاده واتصل بالمولى سعد الله واشتغل عليه مدة من فنون عدة ثم رغب فى التصوف وتصفية الباطن فتنقل لذلك فى البلاد والاماكن واتصل أولا بالمشايخ الخلوتية منهم الشيخ سنان المشهور بسنبل ثم خدم عدة من المشايخ البيرامية و بهم حصل آماله ونال عندهم ماناله وأجازله الشيخ الساعى البيرامى ولما اقتبس الخير من أنوارهم تزيا بزيهم وتشرف بشعارهم ثم سلك مسالك الوعظ والتفسير وعقد المجالس الشريفة ونصح وافاد وانتصب للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى عدة من البلاد ثم عاد الى قسطنطينية وشاع فيها أمره وارتفع ذكره وفوض اليه التدريس بمدرسة محمد باشا الصوفى بالبلدة المزبورة وعين له كل يوم ثلاثون درهما ولما أتم السلطان سليمان جامعه المعروف لدى القاصى والدانى نصب له به كرسى للوعظ وعين له كل يوم عشرون درهما فكان يدرس تارة و يعظ أخرى وقد أتم مرارا تفسير البيضاوى والكشاف واحكام الاحكام

وثلثمائة وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ودفن من الغد وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ذكر ذلك هلال بن المحسن بن الصابي الكاتب في تاريخه وقال غيره ولد في سنة ثلاثين وثلثمائة وتوفي يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور والله أعلم رحمه الله تعالى وكان دينا صالحا ورعا متقشفا وكان بينه وبين أبي طالب أحمد بن أبي بكر العبدي النحوي المقدم ذكره مباحث ومناظرات منقولة بين الناس وليس هذا موضع ذكرها وقد تقدم الكلام في ترجمة أبيه على السيرافي فلا حاجة الى اعادته ههنا وقال ابن حوقل في كتاب المسالك سيراف فرضة عظيمة لفارس وهي مدينة جليلة وأبنيتها ساج متصل الى جبل يطل على البحر وليس بها ماء ولا زرع ولا ضرع وهي من أقصى بلاد فارس بالقرب من جنابة ونجيرم والله أعلم ومن سيراف ينتهي الانسان على ساحل البحر الى حصن ابن عمارة وهو حصن منيع على نهر البحر وليس بجميع فارس حصن أمنع منه ويقال ان صاحبه هو الذي قال الله تعالى في حقه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وقال غير ابن حوقل كان اسم هذا الملك الجلندي بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وأشار بعضهم بخاطب بعض الظلمة كان الجلندي ظالما * وأنت منه أظلم وقيل غير ذلك والله أعلم

(أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن خرزاذ النجيرمي اللغوي البصري نزيل مصر)

هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء علماء منهم الامن هو ماهر في اللغة كامل الادوات متقن لما روى أبو يعقوب المذكور عن أبي يحيى زكريا بن يحيى بن خلاد الساجي وطبقته وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره وكان يوسف أمثل أهل بيته وله خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية الصحة وكذلك خطوط جماعة قريبة منه ولاهل مصر رغبة وتنافس كثير في خطه حتى بلغت نسخة من ديوان جرير بخطه عشرة دنانير وأكثر ما روى الكتب القديمة في اللغة والاشعار العربية وأيام العرب في الديار المصرية من طريقه فانه كان راوية لها عارفا بها وكان أهل بيته يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب وكان أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعدي النحوي المصري قد أخذ النحو عمن أخذ من أصحاب أبي يعقوب المذكور وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ عنه شيئا لانه رآه وهو صبي قال الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال المصري كاتب الانشاء الآتي ذكره ان شاء الله تعالى قال لي ابن بركات رأيت أبا يعقوب وهو ماش في طريق القرافة وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه في مشيته وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر فان الحافظ أبا اسحق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكر في كتاب الوفيات الذي جمعه فقال توفي أبو يعقوب بن خرزاذ النجيرمي يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وقال غيره ولد أبو يعقوب يوسف النجيرمي يوم عرفة سنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وابن بركات المذكور ولد بمصر في سنة عشرين وأربعمائة وتوفي بها سنة عشرين وخمسمائة وكان نحوي مصر هكذا قاله الموفق بن الخلال المذكور فكيف يمكن أن يرى أبا يعقوب وقد كان ابن بركات في تاريخ وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره ولكن لعله رأى ولده والله أعلم وقال القاضي الفاضل ليس في شعر ابن بركات المذكور أحسن من هذين البيتين وعملهما في مسافر العطار

يا عنق الابريق من فضة * ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت فأقصيتني * تقدر أن تخرج من قلبي

وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي المقدم ذكره في حرف الطاء وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان وأثنى عليه وخرزاذ بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الالف ذال معجمة قلت هكذا يضبط أهل الحديث هذا الاسم وهو لفظ عجمي وتفسيره بالعربي ابن وأما خر بتشديد الراء فليس له معنى الا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك فيكون أصله خار بالالف وهو الشوك فيكون خارزاذ معناه ابن الشوك وخر أيضا الشمس فان كانوا أرادوا هذا وحذفوا شينه فيحتمل

الاسلاف الى أن (توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) وقارب الثمانين كان رحمه الله شيخا جميل الصورة مقبول السيرة واسع التقرير متبحرا في علم التفسير وكان من حفظه يقرأ القرآن ويقرر ما قاله أرباب التفسير باتقان واتقان ويذكر في أثنائه من مناقب الصلحاء والمشايخ ومواعظ الفضلاء ما يلين أوابد النفوس العاصية ويلين شدائد القلوب القاسية وكان يحضر مجالسه العام من الخواص والعوام ويزدحمون فيها للاستماع وينتفعون بها أي انتفاع وقد اتفق له بعض التآليف جزاه الله تعالى بحسن أحسانه انه بعباده خبير لطيف

(ومنهم العالم الاجل المولى شمس الدين أحمد)

ولد رحمه الله تعالى في بلدة سراي ونشأ طالبا للعلوم والمعارف ومستفيدا من كل عالم عارف وتحرك في ميدان التحصيل والاستفادة حتى صار ملازما من المولى محيي الدين المشتهر بعرب زاده في مدرسة السيدة مهر ماه ببلدة اسكدار بطريق الاعادة وتنقلت به الاطوار والاحوال وتميز بتعليم الوزير محمود باشا المشتهر بآل ودرس أولا بمدرسة افضل زاده بثلاثين

وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالاسماء العجمية والله أعلم بالصواب ثم وجدت في كتاب البلدان تأليف البلاذري في الفصل المتضمن حديث بلاد فارس وأعمالها ارض اردشير خره ثم قال ومعنى اردشير خره اردشير وليها قلت واردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خرّزاذ انه ولد به كما هو عادتهم في التقديم والتأخير وتقدير الكلام ولد بها اي بالناحية أو غير ذلك والله أعلم والنجيرمي بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفي آخرها ميم هذه النسبة الى نجيرم ويقال نجارم وقال أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب هي محلة بالبصرة وقال غيره هي قرية من قرى البصرة في طريق فارس عند سيراف والله أعلم بالصواب وكذا هي في كتب المسالك والممالك وهي على بحر فارس وظاهر الحال ان جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذه المحلة فسميت باسم بلدهم والله أعلم

(ابو يعقوب يوسف بن ايوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة الهمذاني الفقيه العالم الزاهد الرباني صاحب المقامات والكرامات)

قدم بغداد في صباه بعد الستين وأربعمائة ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازي المقدم ذكره وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب والخلاف وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين محمد بن علي بن المهتدي بالله وأبي الغنائم عبد الصمد بن علي بن المأمون وأبي جعفر محمد بن احمد بن المسلمة وطبقتهم وسمع باصبهان وسمرقند وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك ورفضه واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علما من أعلام الدين يهتدي به الخلق الى الله تعالى وقدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيما من الناس قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمذاني في النظامية وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسئلة فقال له الامام يوسف اجلس فاني أجد من كلامك رائحة الكفر لعلك تموت على غير دين الاسلام قال أبو الفضل فاتفق انه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم الى الخليفة فمضى اليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له يقع لي أن أترك دين الاسلام وأدخل في دينكم فقبله النصراني وخرج معه الى القسطنطينية والتحق بملك الروم وتنصر ومات على النصرانية قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة يوسف الهمذاني المذكور سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقري يقول كان ابن السقاء قارئا للقرآن الكريم مجوّدا في تلاوته حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقى على دكة مريضا وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه قال فسألته هل القرآن باق على حفظك فقال ما أذكر منه الا آية واحدة ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والباقي أنسيته نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نقمته ونسأله الثبات على دين الاسلام آمين اللهم آمين آمين قال أبو سعد بن السمعاني يوسف بن أيوب الهمذاني من أهل بوزنجرد قرية من قرى همذان مما يلي الري الامام الورع التقي المتنسك العالم بعلمه والقائم بحقه صاحب الاحوال والمقامات الجليلة واليه انتهت تربية المريدين الصادقين واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين الى الله تعالى ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربط مثله وكان من صغره الى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة خرج من قريته الى بغداد وقصد الامام أبا اسحق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه في بغداد حتى برع في الفقه وفاق أقرانه خصوصا في علم النظر وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه مع صغر سنه لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه واشتغل بما هو الاهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق اليها وارشاد الاصحاب الى الطريق المستقيم ونزل مرو وسكنها وخرج الى هراة وأقام بها مدة ثم سئل الرجوع الى مرو فأجاب ورجع اليها وخرج الى هراة ثانيا وعزم على الرجوع الى مرو في آخر عمره وخرج متوجها الى مرو فأدركته منيته ببامئين بين هراة وبغشور في شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ثم نقل بعد ذلك الى مرو وكان مولده تقديرا لا تحقيقا في سنة أربعين

ثم مدرسة ابراهيم باشا بار بعين كلتاهما بقسطنطينية ثم مدرسة بالدرم خان بمدينة بروسه بخمسين ثم الى مدرسة السلطان محمد بالمدينة المنورة وقد توفي رحمه الله مدرسا بها وهو في عنفوان شبابه (وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عارفا حسن السمت مرضي الطريق مقبول السيرة نقي السريرة صاحب ذهن سليم وطبع مستقيم مكبا على الاشتغال معرضا عن القيل والقال جيد الكتابة حسن الخط لم يعرف السوء عنه قط وكان المرحوم قادرا على المنثور والمنظوم عارفا بكلام العرب متضلعا بانحاء الادب وقد نقلمنا في سلك الاملاء والرقم بعض ما قاله في وصف القلم شجرة تخرج من طور سيناء أصلها ثابت وفرعها في السماء اذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وكلما أتت باثمارها تجددت يوسف عانقه اخوته عشاق الحب وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فتقمصه من غير طغيان سجن ونيس له عدوان تارة تراه وهو كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وهو تلقاه وهو كطائر يطير بجناحيه على قفاه مليح شقه لعساء وهو أطلس امرط لا يخو من

أو احدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجرد رحمه الله تعالى قلت هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضبا وفيه ألفاظ تحتاج الى ايضاح اما وهرة بفتح الواو والهاء والراء وفي آخرها هاء ثانية فهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربي والقسطنطينية بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفي آخرها هاء ساكنة وهي أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم فنسبت المدينة اليه وأما بوزنجرد فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة وهي قرية من قرى همذان على مرحلة منها مما يلي ساوة كذا قال أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب وأماسي وقد تقدم الكلام عليها وأما ماسين بالباء الموحدة وبعد الالف سين مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون فهي بلدة بخراسان كذا ذكره وهراة قد تقدم الكلام عليها وانها احدى كراسي خراسان فانها أربعة نيسابور وهراة ومرو وبلخ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة وبعد الواو راء ساكنة وهي بليدة بخراسان أيضا بين مرو وهراة وقد تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوي انه منسوب اليها

(ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي المعروف بالاعلم)

من أهل شنتمرية الغرب رحل الى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها مدة وأخذ عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الافليلي وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الاديب وكان عالما بالعربية واللغة ومعاني الاشعار حافظا لجميعها كثير العناية بها حسن الضبط لها مشهورا بمعرفتها واتقانها أخذ الناس عنه الكثير وكانت الرحلة في وقته اليه وقد أخذ عنه أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد النسائي الجياني المقدم ذكره وغيره وكف بصره في آخر عمره وشرح الجمل في النحو لابي القاسم الزجاجي وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد وساعده عليه ابن الافليلي المذكور على شرح ديوان المتنبي وغالب ظني انه شرح الحماسة فقد كان عندي شرح الحماسة الشنتمري في خمس مجلدات وقد غاب عني الآن من كان مصنفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة اشبيلية من جزيرة الاندلس وكانت ولادته في سنة عشر وأربعمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي خطيب جامعها قال مات أبي أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة مستهل شوال سنة ست وسبعين وأربعمائة فسرت الى الشيخ الاستاذ أبي الحجاج الاعلم فأعلمته بوفاته فانهما كانا كالاخوين محبة ووداد فلما أعلمته انتحب وبكى كثيرا واسترجع ثم قال لا أعيش بعده الا شهرا فكان كذلك ورأيت بخط الرجل الصالح محمد بن شنير المقري الاندلسي رحمه الله ان أبا الحجاج المذكور انما قيل له الاعلم لانه كان مشقوق الشفة العليا شقا فاحشا (قلت) ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم والفعل الماضي منه علم بكسر اللام يعلم علما بفتحها أيضا والمرأة علماء اذا كانت كذلك فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال له أفلح بالفاء والحاء المهملة والفعل منه كما تقدم في الاعلم يقال فلح بكسر اللام يفلح فلحا بفتحها فيهما وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعاهات كلها أن تكون عين الفعل الماضي مكسورة وفي المضارع والمصدر مفتوحة تقول خرس يخرس خرسا وبرص يبرص برصا وعمي يعمى عمى وكذلك جميعه واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس وأبرص وأعمى وكذلك أعلم وأفلح وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري رضي الله عنه أعلم فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال صلى الله عليه وسلم دعه فعسى أن يقوم مقاما تحمده وكان سهيل من الفصحاء البلغاء وهو الذي جاء في صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ثم انه أسلم وحسن اسلامه والمقام الذي وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل هو انه لما قبض صلى الله عليه وسلم كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف فقام سهيل خطيبا وسكن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو المقام المحمود وقول عمر رضي الله عنه

القادح وقد ابتلي بالضرس مفلج الثنايا مخضوب البنان كريم المركب بياه مبسوطتان ربما يقعد على النهر ويدلي رجليه فيه فلا يقوم يتكلم فيسيل الدم من فيه براءة قد تتنفس في جنح الظلماء حريج غسق جرحه وهو ملق الامعاء طويل العماد دعامة من أوتاد الافراد ساقه براوح بين قدميه قائما على ساق رقيق لا يستخدم بدون الغسل وليس بابق آدم أعطي لسانا وشفتين وله قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين ماض ذو الثلاثة بمضارع مقرون لا يأمن الكسر وان قارن النون وضع لانشاء المدح أو الذم دخل تحت الابهام وهو على جسم نام متحرك في بعض الاحيان جوهر يقوم به الاعراض من الالوان في ذو حال كلما أحال لا يخلو كلامه عن القيل والقال بشواة ربما ضرب وحوصلة مالئة علقت كثير التغريب في عين جثة أعجب به ملاعب ظله اذ عبر ما لم يباله القطر لم يتنار واذا أنبت ريشه لا يتمكن من الطيران الى أن يحصل نحو صليبه العود قوي العصب لا يأوي الا الى ظل ذي ثلاث شعب خفيف لا يخلو من النقش في الاسفار مستخف بالليل وسارب بالنهار ومن العجائب انه كليم مقوال

دعنى أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا انما قال ذلك لانه اذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام الا بمشقة وكلفة فهذا الذى قصده عمر رضى الله عنه وكان عنترة بن شداد العبسى الفارس المشهور أفلح فكان يقال له الفلحاء لفلحة كانت به واعاذهبوا به الى تأنيث الشفة والله أعلم وشنترية بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وهى مدينة بالاندلس فى غربيها والحديبية بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفى آخرها هاء ساكنة وهى موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان و يروى بتشديد الياء الاخيرة أيضا

(ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الاسدى قاضى حلب المعروف بابن شداد الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعى)

توفى أبوه وهو صغير السن فنشأ عند اخواله بنى شداد فنسب اليهم وكان شداد جده لامه وكان يكنى أولا أبا العز ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحفظ بها القرآن الكريم فى صغره ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبى المقدم ذكره الى الموصل فلازمه وقرأ عليه بالطرق السبع وأتقن عليه القرآآت قال أبو المحاسن المذكور فى بعض تواليفه أول من أخذت عنه شيخى الحافظ ضياء الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدى القرطبى رحمه الله تعالى فانى لازمت القراءة عليه احدى عشرة سنة فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القرآآت وقراءة القرآن العظيم و رواية الحديث وشروحه والتفسير حتى كتب لى خطه بذلك وشهد لى بانه ماقرأ عليه أحد أكثر مما قرأت وعندى خطه بجميع ماقرأته عليه فى قريب من كراسين وفهرست ما رواه جميعه عندى وأنا أرويه عنه ومما يشتمل عليه الفهرست البخارى ومسلم من عدة طرق وغالب كتب الحديث وغالب كتب الادب وغيره وآخر روايتى عنه شرح الغريب لابى عبيد القاسم بن سلام قرأته عليه فى مجالس آخرها فى العشر الاخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة قلت وهى السنة التى مات فيها الشيخ القرطبى حسبما ذكرته فى ترجمته ثم قال ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجى سمعت عليه بعض تفسير الثعلبى وأجاز لى أن أروى عنه جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات وكتب لى خطه بذلك فى فهرست سماعى مؤرخا بخامس جمادى الاولى سنة ست وستين وخمسمائة وكان مشهورا بعلم الحديث والفقه ولى قضاء البصرة ودرس بالاتابكية العتيقة يعنى بالموصل ومنهم الشيخ مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسى الخطيب بالموصل وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من الآفاق وعاش نيفا وتسعين سنة قلت وكانت ولادة أبى الفضل بن الطوسى الخطيب المذكور فى منتصف صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ببغداد بباب المراتب وتوفى ليلة الثلاثاء رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بمقبرة باب الميدان رحمه الله تعالى (رجعنا الى تتمة كلام أبى المحاسن بن شداد) وسمعت عليه يعنى على الخطيب المذكور كثيرا من مسموعاته وأجاز لى جميع ما رواه فى السادس والعشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ومنهم القاضى فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى سمعت عليه مسند الشافعى رضى الله عنه ومسند أبى عوانة ومسند أبى يعلى الموصلى وسنن أبى داود وكتب لى خطه بذلك وهو فى فهرستى وسمعت عليه الجامع لابى عيسى الترمذى وأجاز لى رواية ما رواه وكتب لى خطه بذلك فى شوال سنة سبع وستين وخمسمائة ومنهم الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على الاشيرى الصنهاجى وأجاز لى جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه وفى فهرستى خطه بذلك مؤرخا بشهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة وفهرسته عندى بذلك قلت توفى أبو محمد عبد الله الاشيرى المذكور فى شوال سنة احدى وستين وخمسمائة بالشام ودفن ببعلبك ظاهر باب حمص ثم بالى البلد ومنهم الحافظ سراج الدين أبو بكر محمد بن

وفى فيه جاوسيال مرسال قارة بقريها الجبال فتسيل بقطع عسروقها فى الحال ملك صاحب الغار يقال له ذو المنار وهو جائع غريق بعطاش بأذن شائخ وأذن شرقاء رعوم ذو ناب له خرطوم
(وله فى وصف السيف)
فياسائلى عن أصل ذلك النصل استمع لما يتلى عليك فى هذا الفصل انه نص قاطع وبرهان ساطع ذو النون ذهب مغاضبا فالتقمه الحوت فنادى فى ظلمة فاحجة فنبذناه وأنبتنا عليه شجرة قائمة ذو القرنين بقبضته الشرق والغرب وله اليد الطولى فى كل ضرب من الحرب سلطان مصرى فاتح الشامات قاهر القروم قهرمان دمشق مالك رقاب العجم والروم عضد الدولة رونق الملة فخر لاوليائه ومقت لاعدائه طالما أبعد نفسه عن نيام فانام تحت ظله الانام فى هجيرة النسب فنارى اماقى العصب فنارى كرمانى بشرح ما فى متنه من المأثور ويسمع اثناء تعداد تنه باللؤلؤ المنثور اشراق بجلائه الطبع وصفائه الجسم وقد كان فى شرحه من الثمانين بغسيم خرجت من مشكيه الافهام فكأنه ضحالة تامة أن ينسب الى تيمور حيث انه سفك الحديد اللسان فى تبيانه ومن لسانه على شأنه

على الجياني قرأت عليه صحيح مسلم من أوله الى آخره بالموصل والوسيط للواحدي وأجازلى رواية ما يرويه فى تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة فهذه أسماء من حضرني خاطري وقد سمعت من جماعة لم يحضرني روايتهم عند جمع هذا الكتاب كشهدة الكاتبة في بغداد وأبي الغيث في الحربية والشيخ رضي الدين القزويني المدرس بالنظامية وجماعة شذت عني طرقهم فلم أذكرهم اذ كان في هؤلاء غنية هذا آخر ما ذكره عن نفسه وقال غيره انه قرأ الفقه على أبي البركات عبد الله بن الشيرجي المذكور فقيه الموصل وكان عالما زاهدا متقشفا وتوفي في جمادى الاولى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بظاهرها ثم اشتغل بالخلاف على الضياء بن أبي حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري ثم باحث في الخلاف متقني أصحابه كالفخر النوقاني والبروي والعماد النوقاني والسيف الحواري والعماد الميانجي ثم انحدر الى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها معيدا بعد وصوله اليها بقليل وأقام معيدا نحو أربع سنين والمدرس بها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي وكانت ولاية ابن الشاشي المذكور التدريس بالنظامية في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وعزل عنها في سلخ شهر رجب سنة تسع وستين وتولاها بعده رضي الله عنه أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني في التاريخ المذكور وأبو المحاسن المذكور مستمر بها على الاعادة وكان رفيقه في الاعادة السديد محمد السلماسي وقد تقدم ذكره ثم أصعد الى الموصل في سنة تسع وتسعين فترتب مدرسا في المدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري المتقدم ذكره ولازم الاشتغال وانتفع به جماعة وله كتاب في الاقضية سماه ملجأ الحكام عند التباس الاحكام ذكر في أوائله انه حج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزار بيت المقدس والخليل عليه السلام بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخل دمشق والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب فذكر انه سمع بوصوله فاستدعاه اليه فظن انه يسأله عن كيفية قتل الامير شمس الدين المقدم ذكره فانه كان أمير الحاج في تلك السنة من جهة صلاح الدين وقتل على جبل عرفات لامر يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره فلما دخل عليه ذكر أنه قابله بالاكرام التام وما زاد على السؤال عن الطريق ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه فأخرج له جزأ جمع فيه أذكار البخاري وانه قرأه عليه بنفسه فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الاصبهاني وقال له السلطان يقول لك اذا عدت من الزيارة وعزمت على العود فعرفنا بذلك فلنا اليك مهم فأجابه بالسمع والطاعة فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه وجمع له في تلك المدة كتابا يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين يحتوي على مقدار ثلاثين كراسة فخرج اليه واجتمع به بتربته حصن الاكراد وقدم له الكتاب الذي جمعه وقال انه كان عزم على الانقطاع في مشهد بظاهر الموصل اذا وصل اليها ثم انه اتصل بخدمة صلاح الدين في مستهل جمادى الاولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف ولما كنت متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني في بعض شهور سنة ست وستين وستمائة سجل قد ثبت مضمونه عند القاضي أبي المحاسن المذكور وهو يومئذ قاضي العسكر الصلاحي وقد انقطع ثبوته بموت شهوده فتعذر اثباته عندي لذلك وتأملته الى آخره لاني استغربته فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيرا وحصل الانتفاع بصحبته (عدنا الى بقية ما ذكره أبو المحاسن المذكور) فقال انه كان قد حضر الى خدمة صلاح الدين في صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل والقاضي محيي الدين بن الشهرزوري لما وصلا اليه في رسالة واتفق في تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقي المدرس كان بمصر في مدرسة منازل العز وخطيب مصر وان صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل وانه حضر عند السلطان دفعة ثانية في رسالة من الموصل وهو على حران وكان صلاح الدين مريضا يومئذ وذكر انه لما توفي صلاح الدين كان حاضرا وتوجه الى حلب لجمع كلمة الاخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض وان الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب حلب كتب الى أخيه الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين صاحب دمشق يطلبه منه

صبح الصلب عارضه مصقول ناحل قد يعرض له ذات الجنب وهو مسلول تارة تراه وهو من أصحاب اليمين يتلألؤ وجهه البريق بأنوار مشرقة مصرما ومسرة تلقاه وهو من أصحاب الشمال الذين اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اسمه خليل وكنيته أبو السايل الصاحب بالجنب وابن السبيل ألف القطاع يثبت في أيدي الاخيار ولا يسقط عن رؤس الاشرار عابد يداوم الخمس في وقتها المختار زاهد ألف الوحدة معتكف الغار معصوب بل عطشان ناحل مع انه غضبان مغيث وهو النذير العريان طرار طيار يأرز بأذنه ملك الثار وغادر قد يلبس جلد النمر فقد أذنه عن ساعده عند القتال قاض قد يقسم العدو يفصل بين ذوي الجدال في الحال شيخ وعام اقعس كأنه المصوت تنكس ذو الخرطوم كفيل ويقطع البلعوم كفيل مرآة مصقولة تناهر قتال الاجل مشكاة مشعرة تجعو ظلام الامل مفتاح أبواب الآجال اقليد أقفال الآمال قطعوا بأنه باتي هو مصدر المثال والعجب ان اسمه أجوف ولا يقال له الاجوف واسم الآلة وليس باسم الآلة معتل العين وتفاره أدق ذو الوجهين لكنه أصدق غادة لعمودها ميل

فاجابه الى ذلك فارسله الظاهر الى مصر لاستحلاف اخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على ذلك فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضي بحلب قد مات فعرض عليه فاجاب هكذا ذكره في كتاب ملجأ الحكام وذكر القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم في تاريخه الصغير الذي سماه زبدة الحلب في تاريخ حلب ما مثاله وفي سنة احدى وتسعين يعني وخمسمائة اتصل القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر وقدم اليه الى حلب وولاه قضاءها ووقوفها وعزل عن قضائها زين الدين ابا البيان نبا بن البانياسي نائب محيي الدين بن الزكي وحل عنده بهاء الدين في رتبة الوزارة والمشاورة انتهى كلامه قلت وهذا القاضي نبا هو ابن الفضل بن سليمان الحميري يعرف بيتهم بدمشق ببيت البانياسي وكان السلطان صلاح الدين قد ولى القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن الزكي الدمشقي المقدم ذكره القضاء بحلب فاستناب فيها زين الدين نبا بن البانياسي المذكور واستمر بها الى التاريخ المذكور وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا نفر يسير فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعا جيدا يحصل منه جملة مستكثرة ولم يكن له خرج كثير فانه لم يولد له ولا كان له أقارب فتوفر له شيء كثير فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى الشافعية ورأيت تاريخ عمارتها مكتوبا على سقف مسجدها وهو الموضع المعد لالقاء الدروس وذلك في سنة احدى وستمائة ثم عمر في جوارها دارا للحديث النبوي وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها ولها بابان باب الى المدرسة وباب الى دار الحديث وشباكان الى الجهتين وهما متقابلان بحيث ان الذي يقف في احد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها وكان بين والدي رحمه الله تعالى وبين القاضي أبي المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة وصحبة صحيحة المودة من زمن الاشتغال بالموصل فقصدت اليه وكان أخي قد سبقني بمدة قليلة وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف الكاف كتابا بليغا في حقنا يقول فيه أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين وانهما ولدا أخي وولدا أخيك ولا حاجة مع هذا الى تأكيد وصية وأطال القول في ذلك فتفضل القاضي أبو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام وأحسن حسب الامكان وعمل ما يليق بمثله وأنزلنا في مدرسته ورتب لنا أعلى الوظائف وألحقنا بالكبار مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتغال وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ تحولي الى حلب فاغنى عن الاعادة ولم نزل عنده الى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره ولم يكن في مدرسته في ذلك الزمان درس عام لانه كان المدرس بنفسه وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس والقائها فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الاعادة والجماعة يشتغلون عليهم وكنت أنا وأخي نقرأ على الشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني لانه كان من بلدنا ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس المقدم ذكره فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة وقد نيف على ثمانين سنة فترددت الى الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ ذاك مدرس المدرسة السيفية فقرأت عليه من أول كتاب الوجيز للغزالي الى الاقرار وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصدده لسبب اتصال الكلام وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الامور وعقدها لم يكن لاحد معه في الدولة كلام وكان سلطانها الملك العزيز أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين وهو صغير السن تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل وهو اتابكه ومتولي أمور الدولة باشارة القاضي ابي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الامور وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصا جماعة مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد اليه في داره وقد كانت له قبة تختص به وهي شتوية

فلما انفرج منه بالطبع مفخرك مرة له حركة بمعنى التوسط وأخرى بمعنى القطع صفحة ملساء وشكله مخروط شاب أمرد وعارضه مخطوط مصراع مصنع في حسن التقطيع مطلع ملمع مرصع سلالة منقب بقناع من الاثواب ذات النطاقين صانت ماء وجهها فتعطلت بالجلباب مرسنه مسرج وحاجبه مزجج مخنث شمائله متر بقائه المشطب وجعلت زنده قد يقتدح نار الحرب بجارحة قد تطير من منعتها تضرب المنهب مشروح الصدر مرفوع القدر ثم رجا من خمسة انهار مهيب وله الكف الخضيب سمال واضح سعد ذابح ذؤابة قرين بالجمة القصيرة وقت السعات معدل قاطع فيما برحت ذبابه سوى السلوان ولو لم يكن له قوة المعطف الصولجان لما أطار كرات الرؤس في الميدان

(ومن علماء العصر والزمن مولانا محمد بن احمد المشتهر بابن برن)

كان احد المزورين أوائل حاله من ندماء السلطان سليم خان فاتح الديار المصرية والشامية وله كل يوم ثمانون درهما ثم تغير عليه السلطان لبعض الزلات فاخرجه ثم قلده قضاء بعض القصبات وولد المرحوم بقصبة اسكليب ونشأ على طلب العلم والفضائل

لا يجلس فى الصيف والشتاء الا فيها لان الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كثير الطاري من الضعف لا يقدر على الحركة للصلوات وغيرها الا بمشقة عظيمة وكانت النزلات تعتريه فى دماغه فلا يفارق تلك القبة وفى الشتاء يكون عنده منقل كبير عليه من الفحم والنار شئ كثير ومع هذا كله لا يزال مزكوما وعليه الفرجية البرطاسى والثياب الكثيرة وتحته الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخينة بحيث انا كنا نجد عنده الحر والكرب وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف وكان لا يخرج لصلاة الجمعة الا فى شدة القيظ واذا قام الى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ولقد كنت أنظر الى ساقيه اذا وقف للصلاة كأنهما عودان دقيقان لا لحم عليهما وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه وكان يعجبه ذلك وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة والادب غالب عليه وكان كثيرا ما ينشد فى مجالسه

ان السلامة من ليلى وجارتها * ان لا تمر على حال بواديها

وكان يتمثل أيضا كثيرا بقول صردر الشاعر المقدم ذكره فى حرف العين وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو

وعهودهم بالرمل قد نقضت * وكذاك ما يبنى على الرمل

فانشده فى بعض الايام فقال له بعض الحاضرين يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقى هذا المعنى استعمالا مليحا فقال ابن المعلم هو أبو الغنائم فقال نعم فقال صاحبنا كان فكيف قال فانشده

نقضوا العهود وحق ما يبنى على * رمل اللوى بيد الهوى أن ينقضا

فقال ما أقصر ولقد تلطف فى قوله بيد الهوى فقال له يا مولانا وقد استعمله فى قصيدة أخرى فقال هات فانشده

ولم يبن على الرمل * فكيف انتقض العهد

فاستحسنه وكان كثيرا ما ينشد أبيات أبى الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص المقدم ذكره وكان يقول انه سمعها منه ورويها عنه وقد تقدم ذكرها فى ترجمة الحيص بيص فاغنى عن الاعادة وأولها

لا تضع من عظيم قدر وان كنـ * ـت مشارا اليه بالتعظيم

وكان يقول أنشدنى القاضى الفاضل لبعضهم ونحن نزول على قلعة صفد

قلت للزلة لما * ان الم بلهاتى بعما بى خل حلقى * فهو دهليز حياتى

(قلت) هذان البيتان منسوبان الى ابن الهبارية المقدم ذكره والله أعلم وكان كلما نظر الى نفسه على تلك الحالة من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ينشد

من يتمنى العمر فليدرع * صبرا على فقد احبائه ومن يعمر يلق فى نفسه * ما يتمناه لاعدائه

ثم وجدت هذين البيتين للظاهر أبى اسحق ابراهيم بن نصر بن عسكر قاضى السلامية المقدم ذكره فى هذا الكتاب والله أعلم ذكر ذلك صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلى فى كتابه عقود الجمان فى ترجمة الظاهر المذكور وهذا ينظر الى قول أبى العلاء المعرى

تدعو بطول العمر أفواهنا * لمن تناهى القلب فى وده
* يسر ان مد بقاءه * وكل ما يكره فى مده

والاصل فى هذا قول الآخر كانت قناتى لا تلين لغامز * فالانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

ودخل عليه يوما رجل من اهل المغرب يقال له أبو الحجاج يوسف وكان قريب العهد بقدومه ورد حلب فى تلك الايام وكان فاضلا فى الادب والحكمة فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده

لو يعلم الناس ما فى أن تعيش لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عارى
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لما فدوك بشئ غير اعمار

فأعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له وقال لى بعض أصحابنا سمعته يوما وهو يحكى للجماعة الحاضرين عنده قال لما كنا فى المدرسة النظامية ببغداد اتفق أربعة أو خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلادر

واشتغل على كثير من الاجلة الافاضل ودار على علماء عصره واستفاد حتى صار ملازما من المولى العظام أبى السعود صاحب الارشاد ثم درس بمدرسة ابراهيم باشا بادرنه بعشرين ثم مدرسة قاسم باشا عند مرقد الامير سلطان ببروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة هزار غراد بالوظيفة المزبورة ثم مدرسة ا ينه كول بثلاثين ثم مدرسة پيرى باشا بقسطنطينية باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسا وأربعين ثم نقل الى مدرسة سنان الكينكي بالمدينة المزبورة بخمسين ثم وقع فى غاية العزل والهوان ثم قلد بعد التفتيش والامتحان مدرسة السلطان سليمان بجزيرة رودس ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة مغنيسا وأذن له بالافتاء وعين له كل يوم سبعون درهما ثم زيد عليها عشرة دراهم ثم تقاعد عنها بتسعين فلم يكن طوله طويلا ولم يلبث الا قليلا حتى توفى بقسطنطينية فى شهر شوال سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة عقيما فوقف خلاصة كتبه على المستعدين فى كل زمان وأوصى أن تحفظ فى جامع السلطان محمد خان * كان رحمه الله معروفا بالفضل والكمال وممدودا من الرجال كثير الاطلاع على

لاجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا ببعض الاطباء وسألوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب الجاهل وشربوه في موضع خارج عن المدرسة فحصل لهم الجنون وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ما جرى عليهم وبعد أيام جاء الى المدرسة واحد منهم وكان طويلا وهو عريان ليس عليه شئ يستر عورته وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة وقد ألقاها وراءه فوصلت الى كعبه وهو ساكت ساكن عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعبث فقام اليه من كان حاضرا من الفقهاء وسألوه عن الحال فقال لهم كنا قد اجتمعنا وشربنا حب البلادر فأما أصحابي فانهم جنوا وما سلم منهم الا أنا وحدي وصار يظهر العقل العظيم والسكون وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ويعتقد انه سالم مما أصاب أصحابه وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت اليهم وأخبرني جماعة ممن كانوا عنده قبل وصولنا المدينة انه قدم عليه الاديب نظام الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف بابن خروف الشاعر المشهور فكتب اليه رسالة وفي أولها أبيات يستجديه فروة قرظ وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب ... طلبت مخافة الانوا * ء من نعماك جلد أبي

وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب ... حلبت الدهر أشطره * وفي حلبي صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السري ويحب النجاة من أجل الفرا ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه فاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ما فصل طالب قرظ ولا خاع بل ذاع ثناء صانعه وشاع أثيث خمائل الصوف يأمن الرياح بكل هوجاء عصوف اذا ظهر راهابه بجافة البرد وهابه ما في الثياب له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الباس له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير لا كطيلسان ابن حرب ولا جلد عمرو الممزق بالضرب كأنه من جلد جمل الجرباء الذي يرعى البدر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم فرجي النوع أرجي الضوع لتكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا يزال مهديه سعيدا ينجز الاولياء وعدا وللاعداء وعيدا ان شاء الله تعالى والسلام (قلت) وقد ذكرت في ترجمة أبي الفتح محمد سبط ابن التعاويذي رسالة كتبها الى عماد الدين الكاتب الاصبهاني المقدم ذكره يطلب فروة قرظ أيضا وكل واحدة من الرسالتين بديعة في بابها وفي هذه الرسالة كلام يحتاج الى ايضاح وهو قوله لا كطيلسان ابن حرب وهو مثل مشهور بين الادباء فاذا كان الشئ باليا شبهوه بطيلسان ابن حرب ولذلك سبب لا بد من ذكره وهو ان أحمد ابن حرب بن أخي يزيد المهلبي أعطى أبا علي اسمعيل بن ابراهيم بن حمدويه البصري الحمدوي الشاعر الاديب طيلسانا خليعا فعمل فيه الحمدوي مقاطيع عديدة ظريفة فسارت عنه وتناقلتها الرواة فمن ذلك قوله من أبيات

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا * مل من صحبة الزمان وصدا

طال ترداده الى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى

وقوله أيضا من أبيات: لقد مالف الرفاء حتى كأنه * يحاول منه أن يعلمه الرفوا

وقوله أيضا: يا ابن حرب كسوتني طيلسانا * أفنته الازمان وهو سقيم

فاذا ما رفوته قال سحقا * لك يحيي العظام وهي رميم

وقوله أيضا: يا ابن حرب أطلت وتري برفوي * طيلسانا قد كنت عنه غنيا

فهو في الرفو آل فرعون في العر * ض على النار بكرة وعشيا

وله أيضا: رأينا طيلسانك يا ابن حرب * يزيد المرء للضعة اتضاعا

اذا الرفاء أصلح منه بعضا * تداعى بعضه الباقي انصداعا * يسلم صاحبي فيقد شبرا

به وأقعد في ردي ذراعا * أجيل الطرف في طرفيه طولا * وعرضا ما أرى الا الرقاعا

فلست اشك أن قد كان دهرا * لنوح في سفينته شراعا * وقد غنيت اذا بصرت منه

بقاياه على كتفي تداعى * قفي قبل التفرق يا ضباعا * ولا يك موقف منك الوداعا

الدقائق العربية طويل الباع في العلوم الادبية مع الوقوف التام في الفقه والكلام مطرح التكلف كثير التلطف مائلا الى مجالسة الاخوان ومعاشرة الخلان وكان رحمه الله أطلس بحيث اذا عرى عن زي الرجال يشتبه أمره على الناظر ويكون مصداق ما قاله الشاعر

بيت

وما أدري وسوف اخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

يحكى انه لما تشرف بصحبة السلطان الاعظم مراد خان المعظم ببلدة مغنيسا وكان في زمن ظهر فيه الجراد وأتلف الزارع الكائنة في هذه البلاد فقال السلطان المرقوم بعد الانفصال عن صحبة المرحوم عجبت من لحيته التي فاقت لعبتها الجراد وأكثر فيها الفساد رحمه الله تعالى يوم التناد

(ومنهم المولى محمود أخو المولى أحمد بن حسن الساميسوني السابق ذكره في هذه الجريدة) قرأ رحمه الله على علماء عصره وصار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس بمدرسة الجامع العتيق بادرنه بثلاثين ثم مدرسة قليه بار بعين ثم صار وظيفته ثم خمسين ثم عزل وتقلد مدرسة علي باشا بقسطنطينية بالوظيفة المزبورة ويمكث

وله فيه أيضا يا ابن حرب كسوتني طيلسانا * يزرع الرفو فيه وهو سباخ
مات رفاؤه ومات بنوه * وبدا الشيب في بنيهم وشاخوا

وقال فيه أيضا وكتبها الى بعض الرؤساء

يا ابن الحسين أما ترى دراعتي * حتى أبكي كسوتي اذ ودعت * فلأزمعن على البكا اذ أزمعت
همها سن التمزيق مالوأنه * مرت بها ريح الصبا لتقشعت * علا ترددت بالبلى وتددت
يحكي تخرق طيلساني انما * منه تعلمت البلى فتضعضعت * لا فرج الرحمن عنه انه
اعدى ثيابي كلها فتقطعت * فلتحمد الله الجبال فانها * لو قارنته تخشعت وتصدعت

وقال فيه أيضا طيلسان لو كان لفظا اذن ما * شك خلق في انه بهتان
فهو كالطور اذ تجلى له الله فدكت قواه والاركان
كم رفوناه اذ تمزق حتى * بقي الرفو وانقضى الطيلسان

وله فيه أيضا يا ابن حرب اني ارى في زوايا * بيتنا مثل ما كسوت جماعه
طيلسان رفوته ورفوت الرفو منه وقد رقعت رقاعه * فأطاع البلى فصار خليعا
ليس يعطي الرفاء في الرفو طاعه * فاذا سائل رآني فيه * ظن اني فتى من أهل الصناعه

وله في ذلك أيضا قل لابن حرب طيلسا * نك قوم نوح منه أحدث
هو طيلسان لم يزل * عمن مضى من قبل يورث * فاذا العيون لحظنه * فكأنه بالعين يحرث
يودي اذا لم ارفه * فاذا رفوت فليس يلبث * كالكلب ان تحمل عليه الدهر او تتركه يلهث

ويقال انه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع في كل مقطوع معنى بديع وأما قوله ولا جلد عمرو والمزق بالضرب فيريد قول العامة ضرب بدعمرا فانهم أبدا يستعملون هذا المثال ولا يقولون بغيره فكأنهم يمزقون جلده لكثرة الضرب وكان الاصل الذي حمل الجدوي المذكور على عمل هذه المقاطيع انه وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمي بضم الحاء المهملة في طيلسانه وكان قد أخلق حتى بلي فقال فيه

يا طيلسان أبي حمران قد برمت * منك الحياة فما تلتذ بالعمر * في كل يوم من رفاء تجدده
هيهات ينفع تجديد مع الكبر * اذا ارتداه لعيد أو لجمعته * تنكب الناس أن يبلى من النظر

وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة أبي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المتكلم المعتزلي في وصف غلام رقيق البشرة

رق فلو بزت سرابيله * علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره * ويشتكي الايماء بالكف

وأنشدني بعض الادباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في هذا المعنى لبعض الشعراء

توهمها طرفي فاصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
وصافحها قلبي فآذى بنانها * فمن لمس قلبي في انامها عقر

وأنشدني الشيخ ايدمر الصوفي السلمي ابراهيم لنفسه دوبيت في هذا المعنى

كلفت صبا العراق لما خطرت * ان تحمل لي تحية ما قدرت
قالت لي نخشى على وجنته * ان مرت بها مرضتها فاعتذرت

ولبعض الادباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله ورثاثة ثيابه ما يقرب من هذا المعنى وهو قوله

ولي ثياب رثاث لست أغسلها * أخاف أعصرها تجري مع الماء

وقد قيل في هذا المعنى شيء كثير والاختصار أولى والله أعلم (عدنا الى ما كنا فيه) وكان القاضي أبو المحاسن المذكور سالكا طريق البغاددة في ترتيبهم وأوضاعهم حتى انه كان يلبس ملبوسهم والرؤساء يترددون اليه وكانوا ينزلون عن دوابهم على قدر اقدارهم لكل واحد منهم مكان معين لا يتعداه ثم انه تجهز الى الديار المصرية

بخمسين ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى مدرسة السلطان بايزيد خان بالمدينة المزبورة ثم صارت وظيفته ثمانين ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء دمشق ثم الى قضاء مكة شرفها الله تعالى ثم تقاعد عنه بوظيفة مثله ثم أرسل الى تفتيش مصطفى باشا المقتول آخرا وكان يومئذ أمير الامراء بولاية بودين فلما عاد عنه زيدت وظيفته فصارت كل يوم مائة درهم وقد كان رحمه الله عالما صالحا مشتغلا بنفسه جيد الحفظ كثير العلوم محمود السيرة في قضائه عامله الله تعالى بلطفه يوم جزائه آمين

(ومن أرباب الفضل والافادة محمد بن عبد العزيز الشهير بعبد زاده)
كان أبوه من العلماء المعروفين بالقسطمونى وقد توجه الى قسطنطينية لطلب بعض البقاع فاجتمع فيها بالولي سيدي الاسود وهو مدرس باحدى المدارس الثمان فجعل معيدا لدرسه في المدرسة المذكورة فلما صار ملازما قلد أو زاوية البستان فدام فيها على الدرس والافادة حتى أفناه الدهر وأباده وولد المرحوم بالبلدة المزبورة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة واشتغل على علماء بلده ثم

لاحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها فسار في أول سنة تسع وعشرين أو أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وعاد وقد جاء بها في شهر رمضان من السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الاتابك طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه واشتغل بهم ولم ير القاضي أبو المحاسن وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته وهو باق على الحكم واقطاعه جار عليه غاية ما في الباب انه لم يبق له حديث في الدولة ولا كانوا يراجعونه في الامر فكان يفتح بابه لاسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين وظهر عليه الخرف بحيث انه صار اذا جاءه الانسان لا يعرفه واذا قام سأل عنه ولا يعرفه واستمر على هذا الحال مدة ثم مرض أياما قلائل وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى بحلب ودفن في التربة المقدم ذكرها وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك وصنف كتاب ملجأ الحكام عند التباس الاحكام يتعلق بالاقضية في مجلدين وكتاب دلائل الاحكام تكلم فيه على الاحاديث المستنبط منها الاحكام في مجلدين وكتاب الموجز الباهر في الفقه وغير ذلك وكتاب سيرة صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى وجعل داره خانقاه للصوفية لانه لم يكن له وارث ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة يقرؤن عند قبره وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين اللذين للتربة سبعة قراء وكان غرضه ان يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة فكان كل واحد من القراء الاربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة والامور جارية على هذه الاوضاع ثم بعد ذلك تغيرت تلك الامور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغني وتوفي الشيخ نجم الدين بن الخباز المذكور في السابع من ذي الحجة سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بظاهرها خارج باب الاربعين وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفي الاتابك شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الاثنين الحادي عشر من محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب الاربعين وكان خادما أرمني الجنس أبيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وتوفي أبو الحسن بن خروف الاديب المذكور بحلب في سنة أربع وستمائة مترديا في جب رحمه الله تعالى

(أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي)

وقد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي فانه ابن ابن عم الحجاج يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل قال خليفة بن خياط ولى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر اليمن فقدمها لثلاث بقين من رمضان سنة ست ومائة فلم يزل والياً حتى كتب اليه هشام بن عبد الملك في سنة عشرين ومائة بولايته على العراق فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف وقال البخاري كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة احدى وعشرين ومائة الى آخر سنة أربع وعشرين وقال غيره لما أراد هشام بن عبد الملك صرف خالد بن عبد الله القسري عن العراق كان قد جاءه رسول يوسف بن عمر الثقفي من اليمن فدعا هشام بالرسول وقال له ان صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطا وقال له امض الى صاحبك فعل الله به وصنع ودعا بسالم اليماني مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك وكان على ديوان الرسائل وقال له اكتب الى يوسف بن عمر بشيء أمره به واعرض الكتاب على ففضى سالم ليكتب ما أمره به وخلا هشام بنفسه وكتب كتابا صغيرا بخطه الى يوسف بن عمر وفيه سر الى العراق فقد وليتك اياه واياك أن يعلم بك أحد واشفني من ابن النصرانية يعني خالدا ومن عماله وامسك الكتاب بيده وحضر سالم بالكتاب الذي كتبه وعرضه عليه فغافله وجعل الكتاب الصغير في طيه وختمه ودفعه الى سالم وقال له ادفعه الى رسول يوسف ففعل ذلك وانصرف الرسول فلما وصل الى يوسف قال له ما وراءك قال الشر أمير المؤمنين ساخط عليك وقد أمر بتخريق ثيابي

نيا على قسطنطينية وتحرك بحسب العادة وقرأ على المولى المعروف بعمار زاده ثم على المولى سنان ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس بمدرسة ابراهيم باشا بخمسة وعشرين ثم بمدرسة الجامع العتيق بثلاثين كلاهما بمدينة أدرنه ثم بمدرسة سنان الشهير بكبنكجي بقسطنطينية المحمية ثم بالمدرسة المعروفة بمناستر في مدينة بروسه بخمسين ثم نقل الى دار الحديث بادرنه ثم صارت وظيفته فيها ستين ثم نقل الى مدرسة السلطان سليمان بمدينة دمشق بثمانين واذن له بالافتاء فيها في هذه الديار ثم تقلد قضاء بيت المقدس بخمسمائة وهو أول قاض بها من زمرة الموالي وقد توفي فيها قبيل الجلوس في مجلس القضاء في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا محققا مدققا صاحب اليد الطولى في العلوم الادبية والتقدم الراسخ في الفنون العربية مع المشاركة التامة في سائر العلوم المتداولة له تعليقات على بعض المواضع من التفسير والفروع وقد أنشد لنفسه عند ارتحاله عن مدينة بروسه (شعر) ابشتاق تسع في بروسا على نفسي بالاثم و[illegible]

وضربني ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب بخط صاحب الديوان ففض الكتاب وقرأه فلما بلغ الى آخره
وقف على الكتاب الصغير فاستخلف ابنه الصلت وسار الى العراق وكان قد خلف سالم الكاتب على ديوان
الرسائل بشير بن أبي طلحة من أهل الاردن وكان عاقلا فلما وقف على ما كان من هشام قال هذه حيلة وقد
ولي يوسف بن عمر العراق فكتب الى عياض عامل أجمة سالم وكان ولاه ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب
اليماني فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى واعلم طارقا بذلك وكان عامل خالد بن عبد الله القسري على الكوفة
وما يليها ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب الى عياض ان القوم قد بدا لهم في البعثة اليك بالثوب اليماني
فعرف عياض طارقا أيضا بذلك فقال طارق الخبر في الكتاب الاول ولكن صاحبك ندم وخاف ان يظهر أمره
وركب من ساعته الى خالد فأخبره الخبر فقال له فما ترى قال أرى ان تركب من ساعتك هذه الى أمير المؤمنين
فانه اذا رآك استحيا منك وزال شيء ان كان في نفسه عليك فلم يقبل ذلك فقال له افتأذن لي أن أصير الى حضرته
واضمن له جميع مال هذه السنة قال وما مبلغ ذلك قال مائة ألف ألف درهم وآتيك بعهدك قال ومن أين هذه
الاموال والله ما أملك عشرة آلاف درهم قال أتحمل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ونفرق
الباقي على باقي العمال فقال له اني اذن للئيم أن اسوغ قوما شيئا ثم ارجع عليهم به فقال له انما نقيك ونقي
أنفسنا ببعض أموالنا وتبقى النعمة علينا وعليك وتستأنف طلب الدنيا خير من ان تطالب بالاموال
وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا ويتربصوا بنا فنقتل وتذهب أنفسنا وتحصل الاموال لهم
ويأكلونها فأبى خالد ذلك عليه فودعه وقال هذا آخر العهد بك وأوفاهم يوسف بن عمر فمات طارق في
العذاب ولقي خالد وجميع عماله كل شر ومات منهم في العذاب بشر كثير وكان ما استخرج يوسف من خالد
وأسبابه تسعين ألف ألف درهم (قلت) وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته فليطلب
منه وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف بن عمر المذكور وما جرى له معه في الوديعة
وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب انساب الاشراف وأخبارهم ان هشام بن عبد الملك كان
قد تغير على خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لامور نقلت له عنه فقد عليه منها كثرة أمواله وأملاكه
ومنها أنه كان يطلق لسانه في حق هشام بما يكرهه وغير ذلك من الاسباب فعزم على عزله وأخفى ذلك وكان
يوسف بن عمر الثقفي عامله على اليمن فكتب هشام اليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه الى الكوفة
وكتب معه الكتاب بعهده على العراق فخرج يوسف حتى صار الى الكوفة في سبعة عشر يوما فعرس قريبا منها
وقد ختن طارق خليفة خالد القسري على الخراج ولده فأهدى اليه ألف فرس عتيق وألف وصيف وألف
وصيفة سوى المال والثياب ونحو ذلك فأتى رجل الى طارق فقال له اني رأيت قوما أنكرتهم وزعموا انهم
سفار وصار يوسف بن عمر الى دور بني ثقيف فأمر بعض الثقفيين فجمع له من قدر عليه من مضر ففعل فدخل
يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فقال حتى يأتي الامام فانتهره فأقام وتقدم يوسف فصلى وقرأ اذا
وقعت الواقعة وسأل سائل ثم أرسل الى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وان القدور لتغلي وقال أبو عبيدة
حبس يوسف خالدا فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم
تقبل هذا المال لاخذت منه مائة ألف ألف درهم فقال ما كنت لارجع عن شيء رهنت به لساني وأخبر
أصحاب خالد خالدا فقال أساتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع اليكم
فارجعوا اليه فأتوه فقالوا انا أخبرنا خالدا فما رضي بما ضمناه وأعلمنا ان المال لا يمكنه فقال أنتم أعلم
وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع اليكم وان رجعتم لم أمنعكم قالوا فانا قد رجعنا قال فوالله لا أرضى بتسعة آلاف
ألف ولا بمثلها ومثلها فذكر ثلاثين ألف ألف درهم وقيل مائة ألف ألف درهم فقال الاشرس مولى بني أسد
وكان تاجرا ليوسف بن عمر أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه وقال أريد العمرة فخرج وأنا معه
فاستخلف الصلت ابنه على اليمن فما كلم أحدا منا بكلمة واحدة حتى انتهى الى العذيب وأناخ وقال
يا أشرس أين دليلك فقلت هو ذا فسأله عن الطريق فقال له هذا طريق المدينة وهذا طريق العراق فقلت

وما تنامها البلاهما
ولم نصحبها يوما عبوسا
أهاليها كرام الناس خلقا
فلم نصحب بها يوما عبوسا
وصادفناهم أحلى مقالا
ولم نرفيهم شيئا عبوسا
وما في كرائهم الاتمام
وما النسوان الاعياموسا
رأيناهم أشد الناس حبا
لاهل العلم رأسا ورؤسا
على ما عاملونا مما مضي
فلا يشكون في الصيف
الشموسا
فلو كان البلاد بنى أبينا
لكانت هذه فيهم عروسا
أعذهم بالاله من شرور
ومن جور وظلم نفوسا
كأنا ما لبثنا غير يوم
لنا كانت تسوق عروسا
(وله) في تسلية الاخوان
المبتلين بالهم والحسرات
(شعر)
فلا تضجر اذا ما حل
على قل ولا كثر
ولا تعثر بما حلى
على ربح ولا خسر
فان الدهر لا يبقى
على عسر ولا يسر
فكم شاهدت من فاز
باعتاق من الاسر
وكم أدركت ادراكا
وانضاجا من البسر
فقل بالصبر يا صاح
الى زهولك بالبسر
فان الصبر مفتاح
لما بابك بالقسر
(وله) في زمن كثرفيه
الاعتناء بالشعراء فوق
العلماء (شعر)

العراق وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وكان قد عزم على عزل يوسف بن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت أم الوليد بن يزيد المذكور أم الحجاج بنت محمد بن يوسف فالحجاج عمها فكتب الوليد الى يوسف بن عمر انك قد كنت كتبت الى تذكر ان خالد بن عبد الله القسري أخرب العراق وكنت مع ذلك تحمل الى هشام ما تحمل وينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها الى ما كانت عليه فاشخص الينا وصدق ظننا بك فيما تحمله الينا بعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بيننا وبينك من القرابة فانك خالنا واحق الناس بالتوفير علينا وقد علمت ما زدنا لاهل الشام في العطاء وما وصلنا به أهل بيتنا به لجفوة هشام اياهم حتى أضر ذلك ببيوت الاموال فخرج يوسف بن عمر بنفسه الى الوليد بن يزيد وحمل من الاموال والامتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله فقدم وخالد بن عبد الله القسري محبوس فلقيه حسان النبطي ليلا وأخبره ان الوليد قد عزم على تولية عبد الملك ابن محمد بن الحجاج وانه لا بد له من اصلاح أمر وزرائه فقال يوسف ليس له عندي شئ فقال له حسان عندي خمسمائة ألف درهم فان شئت فهي لك وان شئت فارددها الى اذا تيسرت فقال له يوسف أنت أعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد ففرقها على قدر علمك فيهم ففعل فقدم يوسف والقوم يعظمونه وقرر يوسف بن عمر مع أبان بن عبد الرحمن النميري ان يشتري خالد بن عبد الله القسري باربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ليوسف ارجع الى عملك فقال ابان له ادفع الى خالدا وادفع اليك أربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ومن يضمن عنك هذا المال فقال يوسف فقال ليوسف أتضمن عنه فقال يوسف ادفعه الى فانا استأديه خمسين ألف ألف درهم فدفعه اليه فحمله في محمل بغير وطاء وقدم به الى العراق فقتله كما شرحته في ترجمته ولما قتل الوليد ابن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشام وانبرم له الامر ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هرون بن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي فقال له عبد العزيز لو كان معي جند لقبلت فتركه وولاها منصور بن جمهور وأما أبو مخنف فانه قال قتل الوليد بن يزيد بالبخراء في التاريخ المذكور وبويع يزيد بن الوليد بدمشق وسار منصور بن جمهور من البخراء في اليوم الذي قتل فيه الوليد الى العراق وهو سابع سبعة فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلت من رجب فاخذ بيوت الاموال واخرج العطاء لاهل العطاء والارزاق وولى العمال بالعراق وأقام بقية أيام رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقيت منه ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوة حتى أتى الى البلقاء فاختفى بها وكان أهله مقيمين فيها فلبس زي النساء وجلس بينهن وبلغ يزيد بن الوليد خبره فارسل اليه من يحضره فوصلوا اليه فوجدوه بعد أن فتشوا عليه كثيرا جالسا على تلك الهيئة بين نسائه وبناته فاتوا به في وثاق فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وكان يزيد بن الوليد قد حبسهما عند قتله أباهما في الخضراء وهي دار بدمشق مشهورة قبلي جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم ثم ان يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فاقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد الى ان مات في ذي الحجة على الخلاف الكثير فيه هل مات في أول الشهر أو في عاشره أو بعد العاشر أو في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة وجعل ولي عهده أخاه ابراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك واستمر يوسف بن عمر في محنته مدة ولاية ابراهيم بن الوليد فجاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية باهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الامر وخلع ابراهيم بن الوليد وتولى مكانه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكانت ولاية ابراهيم أربعة أشهر وخلع في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل كانت ولايته سبعين يوما لا غير وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع ابراهيم بن الوليد فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر ابراهيم وهرب عسكر ابراهيم ودخلوا دمشق ومروان وراءهم خافت جماعة ابراهيم ان يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ويجعل لهما الامر فلا يستبقيا أحدا ممن أعان على قتل أبيهما فاجمع رأيهم على قتلهما فارسلوا يزيد بن

نقل الى مدرسة السلطان بايزيد خان باماسيه بثمانين فاقام فيها عدة سنين ودام على الافتاء والدرس حتى افضت به المنية الى الرمس (وذلك سنة أربع وثمانين وتسعمائة) وكان رحمه الله واسع العلم كثير المحفوظ قليل الاعتناء بزخارف الدنيا مكبا على الاشتغال والدرس وكان رحمه الله قوى الجنان مطلق اللسان معتمدا على اصالة رأيه مجترئا على علماء عصره وكان له أخ يسمى عبد الفتاح ملازم المولى عبد الرحمن الذي تصدر مرتين في الدولتين على ما مر ذكره في هذه الجريدة درس أولا بمدرسة القاضي محمود بعشرين ثم مدرسة الخواجه خير الدين بخمسة وعشرين ثم كلتاهما بقسطنطينية المحمية ثم مدرسة أوروج باشا ببلدة ديموتوقه بثلاثين ثم مدرسة عطا بك ببلدة قسطموني باربعين ثم مدرسة السيف باشره بخمسين ثم عزل ثم تقلدها ثانيا بشرط أن تشتغل في تلك المدارس الدواخل ويكون معيده ملازما في وقته كما هو العادة في أمثالها ثم نقل الى مدرسة السلطان سليمان خان بمدينة دمشق واذن له بالافتاء بهذه الديار فدام عليه حتى انتقل الى دار القرار سنة أربع وثمانين

خالد القسري ليتولى ذلك فانتدب يزيد المذكور مولى أبيه وهو أبو الاسد في جماعة من أصحابه فدخلوا السجن وشدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه لكونه قتل خالد بن عبد الله القسري والد يزيد المذكور كما شرحناه في ترجمة خالد وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن نيف وستين سنة ولما قتل أخذوا رأسه عن جسده وشدوا في رجليه حبلا فجعل الصبيان يجرونه في شوارع دمشق فمر امرأة به فترى جسدا صغيرا فتقول في أي شئ قتل هذا الصبي المسكين لما ترى من صغر جثته قال بعضهم رأيت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسري قاتله وفي مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع وقد قيل انه قتل في العشر الاوسط من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم

(أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين وملك الملثمين وهو الذي اختط مدينة مراكش)

وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتصم محمد بن صمادح المالكين ببلاد الاندلس طرف من أخباره وما جرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما واستأسر ابن عباد وحبسه في اغمات وقد استوفيت الكلام عليه هنالك ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه ان هذا الملك هو ذلك وانه عظيم الشان كبير السلطان ذكر أرباب التواريخ شيئا من أحواله فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب لانه أوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره غير انه قال في أول النسخة التي نقلت منها هذا الفصل انه كتبها في سنة تسع وتسعين وخمسمائة وفرغ منها في ذي القعدة من السنة بالموصل وهي في مجلد واحد لطيف فاخترت منه مقتضبا ما مثاله كان بالمغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زناتة فخرج عليهم من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم وكان رجلا ساذجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال الى الرفاهية وكانت ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابي بكر بن عمر المذكور سمع ان عجوزا في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب فحمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع الى بلاده الجنوبية وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما اختط بالمغرب مدينة مراكش وكان موضعها مكمنا اللصوص وكان ملكا لعجوز مصمودية فلما تمهدت البلاد له تاق الى العبور الى جزيرة الاندلس وكانت محصنة بالبحر فانشا شواني ومراكب وأراد العبور اليها فلما علم ملوك الاندلس بما يرومه من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا الملثمين ورأوا في الملثمين جرءة واستعجموا اهدافهم وكرهوا أن يعبروا ابين عدوين الفرنج من شمالهم والملثمون من جنوبهم وكانت الفرنج تشد وطأتها عليهم الا ان ملوك الاندلس كانت ترهب الفرنج باظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين وكان له اسم كبير لنقله دولة زناتة وملك المغرب اليه في أسرع وقت وكان قد ظهر لابطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المتدبين لقتالهم وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا عزمته متقدمة على العبور أرسل بعضهم الى بعض وكاتبوهم يستنجدون آراءهم في أمره وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد لانه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا وهو هذا أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهم وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتنا فاختر لنفسك أكرم نسبتك فانك بالمحل الذي لا يجب ان تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه كان يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف

وتسعمائة رحمه الله تعالى آمين

(ومن الافاضل السادة المولى رمضان المشتهر بناظر زاده)

كان أبوه من زمرة القضاة الحاكمين في القصبات وقد ولد المرحوم بقصبة صوفيه من بلاد الروم وقد انتقل أبوه الى رحمة ربه القدير وهو طفل صغير فرباه واحد من النظار السلطانية مثابة بنيه فنزله الناس منزلة أبيه وقد نشأ رحمه الله في طلب العلم والادب بحيث يقضي منه العجب ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى أصبح وله فيها قدم راسخ وعطس بانفه من الفضل شامخ واشتغل على المولى عبد الباقي والمولى برويز وصار ملازما من المولى محمد المعروف بقطب الدين زاده فقفا الكنز فبواسطته قلد أولا مدرسة أحمد المثنى بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابن ولي الدين بثلاثين ثم مدرسة بادرنه خان باربعين السكل في بروسه الحر وسة ثم مدرسة قاسم باشا بخمسين ولما بنى الوزير علي باشا مدرسته الجديدة نقل المرحوم اليها برغبة وافرة وعزة متكاثرة ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد خان بقرب اياصوفيه ثم الى احدى

اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم
أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك ان لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وهم من ذوي
البيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض
عنهم اعراضك عن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك
اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يرد بانه خليق بما حصل في يده من الملك أن يعفو اذا استعفي وأن
يهب اذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان أعظم لقدره فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف
الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك
لآخرته واعلم ان بعض الملوك الاكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد
ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم انه صحيح فقال
للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من
يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيما حكم
عليكم وانكم مما بأيديكم من الملك في أوسع اباحة مخصوصون منا باكرم ايثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم
واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف
ابن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به يوسف بن تاشفين درق اللمطية مما لا يكون الا في بلاده (قلت اللمطية
بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء سا كنة هذه النسبة الى
لمطة وهي بليدة عند السوس الاقصى بينها وبين سجلماسة عشرون يوما قاله ابن حوقل في كتاب المسالك
والممالك وهي معدن الدرق اللمطية لانه يحيد في الدنيا مثلها على ما يقال والله أعلم) وانفذ ذلك اليهم فلما
وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا به وتولوا بتهملك المغرب وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج وأزمعوا ان
رأوا من ملك الفرنج ما يريبهم ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج فتحصل
ليوسف بن تاشفين رأي وتدبير مما أراده من محبة أهل الاندلس له وكفاه الحرب لهم وان الاذفونش بن
فردكند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتح بلاد الاندلس ويشتط على
ملوكهم بطلب البلاد منهم وخصوصا المعتمد بن عباد فانه كان مقصودا فيه وقد تقدم في ترجمة المعتمد
ذكر تاريخ أخذه طليطلة والابيات التي قيلت في ذلك فنظر المعتمد في أمره فرأى ان الاذفونش قد داخله
طمع فيما يلي بلاده فاجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور على ما فيه من الخطر وعلم ان
مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار وان الفرنج والملثمين ضدان له الا انه قال ان دهينا من مداخلة الاضداد لنا
فاهون الامرين أمر الملثمين ولان يرعى أولادنا جمالهم أحب الينا من أن يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل هذا
الرأي نصب عينيه مهما اضطر اليه وان الاذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الاندلس بجمع كبير من
الفرنج فاخذ ملوك الاندلس على البلاد واجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجؤا الى المعاقل فكتب
المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول له ان كنتم مؤثرا للجهاد فهذا أوانه فقد خرج الاذفونش الى
البلاد فاسرع في العبور اليه ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك وكان يوسف بن تاشفين على أتم اهبة
فشرع في عبور عساكره فلما ابصر ملوك الاندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد وقد كانوا وعدوا من
أنفسهم بالمساعدة اعدوا أيضا للعروج فلما رأى الاذفونش اجتماع العزائم على مناجزته علم انه عام نطاح
فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه الا الله تعالى ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك الى أن
امتلأت جزيرة الاندلس خيلا ورجلا من الفريقين كل اناس قد التفوا على ملكهم فلما عبرت جيوش
يوسف بن تاشفين عبر في آخرها فامر بعبور الجمال فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان
السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت اصواتها وكانت تذعر
منها وتقلق وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأي مصيب كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب

فكانت

المدارس السليمانية
كلتاهما بستين فلما ابتنى
السلطان سليم خان
مدرسته الكائنة بادرنه
قلده اياها تربية معلمه عطاء
الله وكان أهلا لذلك وعين
لدرسه معيدا وأمر بملازمة
ثلاثة نفر من أصحابه
تشريفا للمنصب المزبور
ثم قلد قضاء الشام ثم نقل
الى قضاء مصر ثم الى قضاء
بروسه ثم الى قضاء أدرنه
وقبل أن يصل اليها قلد
قضاء قسطنطينية (ومات
فيها فجأة في أواسط شعبان
من شهور سنة أربع
وثمانين وتسعمائة) وقد
وصل سنه الى ستين سنة
كان رحمه الله ممن حاز قصب
السبق في مضمار الفضائل
وشهد بوفور فضله
وغزارة علمه الافاضل
عاريا من السقامة عليا في
الاستقامة ورعا عفيفا دينا
تقيا نقيا جميل الصورة حسن
السيرة متخلقا باحسن
الاخلاق موضوعا تواضعه
على الرؤس والاحداق
ومع ذلك الفضل الباهر
والتقدم الظاهر لم ير له
تأليف ولم يسمع منه
تصنيف لغاية احترازه عن
النسبة الى الخطاء عامله الله
بلطفه يوم الجزاء
*(ومن علماء الزمن المولى
حسن)*
كان من غلمان المولى
القادري فوهبه الوزير
الكبير رستم باشا فدار

فكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما تكامل العساكر بالجزيرة قصدت الاذفونش وكان نازلاً بمكان أفيح من الارض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس قال البياسي بين المكانين أربع فراسخ وقال أيضاً ان يوسف ابن تاشفين قدم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض على الاذفونش الدخول في الاسلام أو الحرب أو الجزية ومن فصول كتابه وبلغنا يا اذفونش انك دعوت في الاجتماع بنا وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما سمع الاذفونش ما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه واقسم انه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه ثم ان ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولا وان يكون يوسف بن تاشفين اذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم ردءاً وتبعوه ويحمل عليهم بعساكره وتتألف معه عساكر الاندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وبالطتهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم فلم ينفلت منهم غير الاذفونش في دون الثلاثين من اصحابه فلحق ببلده على اسوأ حال فغنم المسلمون من اسلحته وخيله وآلاته ما ملأ أيديهم خيراً (قلت) وكانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وقيل في شهر رمضان في العشر الاواخر من السنة والله أعلم ٣ وقال البياسي كان حلول العساكر الاسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة فحكى ان موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على جسد أو دم واقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده انما كان الغزو لا النهب فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف ابن تاشفين لهم بالغنائم استكرموه واحبوه وشكروا له ثم ان يوسف بن تاشفين ازمع الرجوع الى بلاده وكان عند قصده ملاقاة الاذفونش تحرى المسير بالعرامة من غير ان يعرج على مدينة أو رستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الاذفونش وهناك اجتمع بعساكر الاندلس وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي في كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل ان ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الاربعاء وكان الموعد في المناجزة يوم السبت الادنى فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام اقبلت طلائع ابن عباد والروم في اثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر في العساكر فماجت باهلها ووقع النهب ورجفت الارض وصارت الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فغمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيداً خلفها وجرح ابن عباد واصابه جرح اشواه وفر رؤساء الاندلس واسلموا محلاتهم وظنوا انها داهية لا ترقع وظن الاذفونش ان أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم ان العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين واحدق به انجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل فقصدوا الى محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول فاهتزت الارض وتجاوبت الآفاق وتراجعت الروم الى محلاتهم بعد ان علموا ان أمير المسلمين فيها فقصدوا أمير المؤمنين فافرج لهم عنها ثم كر فاخرجهم منها ثم كروا عليه فافرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن امر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها واحجمت عن اقرانها وتلاحق الاذفونش باسود نفذ مزراقه بالدرقة فاهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجراً كان متمنطقاً به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال من ذلك اليوم وهبت ريح النصر وانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه وصدقوا الحملة على الاذفونش واصحابه فاخرجوهم عن محلاتهم فولوا ظهورهم وأعطوا اعناقهم والسيوف تصفعهم الى ان لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا بعد ما نشبت فيهم اظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلاتهم من الآنية والآلات والمضارب والاسلحة وأمر ابن عباد بضم رؤس القتلى من الروم

رحمه الله على علماء زمانه وفضلاء أوانه وصار ملازما من المولى أبي السعود صاحب التفسير المعتبر أيام قضائه بالعسكر المظفر ودرس أولا بمدرسة محمود باشا باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة الخاصكية بقسطنطينية المحمية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد ابن السلطان سليمان ثم قلد قضاء دمشق الشام ثم نقل الى مصر ذات الاهرام ثم قلد قضاء مكة شرفها الله تعالى ثم عزل فاعيد الى مصر ثانيا ثم عزل ثم قلد قضاء قسطنطينية ثم نقل عنها الى قضاء العساكر المنصورة بولاية اناطولي المعمورة ثم عزل ثم أعيد الى قضاء قسطنطينية مرة أخرى ثم تقاعد بوظيفة مثله (الى أن مات في صفر المظفر سنة خمس وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله مشاركا في العلوم مائلا الى صحبة أرباب الحجا والفهوم حسن الاخلاق لا يضمر السوء لاحد ولو أساء عليه فوق الحد جمع النفائس من الكتب والامتعة والاسباب الى ان فرق شمله مفرق الاملاك عن الارباب

٣ كانت وفاة البياسي الانصاري المذكور سنة ثلاث وخمسين وستمائة اهـ من كشف الظنون

فتشر منها امامه كالتل العظيم ثم كتب ابن عباد الى ولده الرشيد كتابا وأطار به الحمام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر وقد روى أيضا ان أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده فوصل كتابه الى المرية في هذا المعنى وذكر فيه ان جماعة أفتوه بجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أهل المرية لقاضي بلدهم وهو أبو عبد الله بن الفراء أن يكتب جوابه وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي فكتب اليه أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وان أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس افتوا بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس أمير المؤمنين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا من لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم واحد في بيت المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم وتحلف ان ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام ولما قضى أمير المسلمين من هذه الوقعة ما قضى أمر عسا كره بالمقام وان تشن الغارات على بلاد الفرنج وأمر عليهم سير بن أبي بكر وطلب الرجوع في طريقه فتكرم به ابن عباد فعرج به الى بلاده وسأله ان ينزل عنده فأجابه يوسف الى ذلك فلما انتهى يوسف الى اشبيلية مدينة المعتمد وكانت من أجل المدن منظرا ونظر الى موضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة اليه في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا الموضع هو المسمى شرف اشبيلية وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على تأمل تلك الحال وما هو عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان يوسف بن تاشفين مقتصدا في أموره غير متطاول ولا مبذر متنوق في صنوف الملاذ بالاطعمة وغيرها وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شظف العيش فأنكر على مغريه بذلك الاسراف وقال الذي يلوح من أمر هذا الرجل يعني المعتمد أنه مضيع لما في يديه من الملك لان هذه الاموال التي تعينه على هذه الاحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم وأخرجه في هذه الترهات وهذا من أفحش الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى تستجد همته في حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته هل تختلف فتنتقص عما هي عليه في بعض الاوقات فقيل له لا بل كل زمانه على هذا قال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك قالوا لا فقال كيف ترون رضاهم عنه قالوا لا رضا لهم عنه فأطرق يوسف وسكت فأقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياما وفي بعض تلك الايام استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما دخل عليه قال له أصلحك الله أيها الملك من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح واني رجل من رعيتك حالي في دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال لكنني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه الملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع في اذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته قال له المعتمد قله قال رأيت ان هذا الرجل الذي اطلعته على ملكك رجل مستأسد على الملوك قد حطم بر العدوة وأخذ الملك من ايديهم ولم يبق على أحد منهم ولا يؤمن ان يطمح الى الطماعية في ملكك بل في هذه الجزيرة الاندلس كلها عاقدا عاينه من باهية عيشك وانه متخيل

(ومن الفروع الاماجد المولى حامد)

كان ابوه من أرباب الزوايا فنكم في الزوايا من الخبايا والدرحمه الله ببلدة قونيه وسلك مسالك الطلب ودخل مدخل العلم والادب بعد ما عري منشر به عن كدر الشباب وصفا وبلغ من السن مبلغا وقرأ على عدة من الافاضل الفحول وتميز عندهم بلطف الالتفات وحسن القبول منهم المولى سعدي محشي تفسير البيضاوي وصار ملازما من المولى القادري خدمة التذكرة ايام قضائه بالعسكر في شهر صفر المظفر سنة ٩٢٠ وقلد في الشهر المزبور مدرسة المولى خسرو بمدينة بروسه بعشرين ثم الواحدية بكوتاهية بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابن ولي الدين ببروسة المحروسة بثلاثين ثم مدرسة داود باشا بقسطنطينية المحمية بأربعين وذلك سنة ٩٤٨ حامدا لله ومصليا هكذا بخطه رحمه الله ثم قلد مدرسة مصطفى باشا بگكبوزه بخمسين ثم نقل الى مدرسة والدة السلطان سليمان ببلدة مغنيسا فدام فيها على الدرس والافتاء الى أن نقل الى مدرسة السلطان محمد خان ابن السلطان سليمان خان بستين وذلك بتربية صهره المرحوم الشيخ محمد المعروف بجوي

في مثل حالك سائر ملوك الاندلس وانه من الولد والاقارب بمعزل يؤثر مسراتهم من ودها الملوك بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أودى الاذفونش وجيشه واستأصل شأفتهم وأعدمك منه أقوى ناصر عليهم لو احتجت اليه فقد كان المانع أقوى عضد وأوفى مجن وبعد ان فات الامر في الاذفونش لا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم قال ان تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من هو بجزيرة الاندلس من عسكره ان يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه بعزائه ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الايمان ان لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما التمس منه فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعدما استرحت من الاذفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الاندلس وأهل الجزيرة ويتسع ملكك وتنسب هذا الاتفاق الى سعادتك وحزمك وتهابك الملوك ثم اعلم بعد هذا ما يقتضيه محلك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استحسنه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال له الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة وانصرف واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين فأصبح غاديا فتقدم له المعتمد بالهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضراء الى سبتة قلت وهو المكان المعروف بزقاق سبتة تعدي الناس فيه من أحد البرين الى الآخر أعني بر الاندلس وبر العدوة وقد تقدم الكلام على هذا المكان قال ولما عبر يوسف الى بر العدوة أقام عسكره بجزيرة الاندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الاذفونش فتوغل في بلاده ولما رجع الاذفونش الى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وأبطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتلوا ولم يسمع الا نواح الثكالى عليهم فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغما ولم يخلف الا بنتا جعل الامر اليها فتحصنت بمدينة طليطلة وأما عسكر ابن تاشفين فانهم في غارتهم هذه كسبوا من الغنائم ما لا يعد ولا يوصف وأنفذوا ذلك الى بر العدوة واستأذنوا أميرهم سير ابن أبي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الاندلس وأعلموه انه قد افتتح معاقل في الثغر ورتب فيها مستحفظين ورجالا يعنون فيها وانه لا يستقيم لهذه الجيوش ان تقيم بالثغور في ضنك من العيش تصادم العدو وتقاسيه وتحظى ملوك الاندلس من الارزاق برغد العيش فكتب اليه ابن تاشفين يأمره باخراج ملوك الاندلس من بلادهم والحاقهم بالعدوة فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفس عنه حتى يخرجه وليبدأ منهم بمجاوري الثغور ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ثم يولي تلك البلاد أمراء عسكره وأكابرهم فابتدأ سير بن أبي بكر بملوك بني هود من ملوك الاندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روطة (قلت) هي بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء قلعة منيعة من عاصمات الذرا ماؤها ينبع في أعلاها وكانت لهم من الاقوات والذخائر اختلافات ما لا تفنيه الازمان فلم يقدر عليها فرحل عنها ثم جند أجنادا على صورة الفرنج وأمرهم ان يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها ففعلوا ذلك فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل في طلبهم فخرج سير بن أبي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة ثم نازل بني طاهر بشرق الاندلس فسلموا اليه ولحقوا بالعدوة ثم نازل بني صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة الا انهم لم يكن عندهم استعداد ولا اتخاذ من الرجال فزحفوا عليهم فغلبوهم فلما علم المعتصم بن صمادح انه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف قضى عليه فمات من ليلته فاشتغل أهله به فسلموا المدينة ثم نازلوا المتوكل عمر بن الافطس ببطليوس وكان رجلا شجاعا عظيم القدر كبير البيت كان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن سلمة التجيبي من فحول

زاده عند السلطان وهو دارج في ذلك الزمان الى رحمة الله وبه المستعان ثم قلد قضاء دمشق الشام فلم يمكث فيه سنة الا ونقل الى قضاء مصر بلد الاسلام فقبل ما أتم فيه ثلاث سنين عزل ثم قلد تدريس المدرسة المجاورة لجامع أيا صوفية ثم قلد قضاء بروسة المحروسة ثم نقل الى قسطنطينية المحمية ثم الى قضاء العساكر المنصورة في ولاية روم أيلي المعمورة فباشر أمره عادلا عن السآمة مظهر الكمال السداد والاستقامة فحظي عند السلطان بغاية القدرة والتمكين ودام عليه مدة تسع سنين وقد قصد السلطان المزبور لكثرة اعتماده عليه الى توجيه الوزارة العظمى اليه ولما انتقل السلطان الى جوار الرحمن عزل المولى المزبور فبقي على الوجه المذكور الى ان ذهب المولى أبو السعود الى دار الخلود فأعطي المرحوم مقامه وسلم الختم الشريف اليه بالزامه فدام عليه بقدرة وتمكين (الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى بعد عدة سنين وذلك في أوائل شعبان سنة خمس وثمانين وتسعمائة) وحضر جنازته الوزراء والامراء وعامة الاشراف والعلماء وصلى عليه بجامع السلطان محمد خان ودعي له بالرحمة والرضوان ودفن بجوار أبي أيوب الانصاري

العلماء وكان ملكا له تصانيف أعظمها وأشهرها الكتاب المنسوب اليه وهو المظفري في التاريخ وكانت مدينته بطليوس من أجل البلاد ولم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال الى ان خامر عليه أصحابه فقبض عليه باليد وعلى ولدين له فقتلوا صبرا وحمل أولاده الاصاغر الى مراكش وسائر ملوك الجزيرة سلبوا وتحولوا الى بر العدوة الا ما كان من المعتمد بن عباد فان سير بن أبي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة كتب الى يوسف بن تاشفين انه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد فارسم في أمره بما تراه فامره بتقصده وان يعرض عليه التحول الى بر العدوة باهله وماله فان فعل فيها ونعمت وان أبى فنازله فلما عرض عليه سير بن أبي بكر ذلك لم يعطه جوابا فنازله وحاصره أشهرا ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره قسرا فحمل الى العدوة مقيدا فانزل باغمات وأقام بها الى ان مات ولم يتعقل من ملوك الاندلس غيره وتسلم سير بن أبي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها فاتت يوسف بن تاشفين في التاريخ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وأفضى الملك الى ولده أبي الحسن علي بن يوسف وكان رجلا حليما وقورا صالحا عادلا منقادا الى الحق والعلماء يجبي اليه الاموال من البلاد ولم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه (قلت) وقد تقدم في ترجمة أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله ابن خاقان القيسي صاحب قلائد العقيان انه جمع الكتاب المذكور باسم ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وان الذي أشار بقتل الفتح المذكور هو علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف وعلى يده انقرض ملكهم وسيأتي شرح ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى وقد تقدم في أوائل هذه الترجمة ان يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب ان مراكش مدينة عظيمة بناها الامير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش (معناه امش مسرعا بلغة المصامدة) كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة فعرف الموضع بها وقال غير مؤلف هذا الكتاب بنى ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة خمس وستين وأربعمائة قاله أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه النبراس في خلافة القائم بأمر الله قال وكانت ارضها لاهل نفيس فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من الصحراء ونفيس بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها جبل مطل على مراكش (قلت) وهو بنواحي اغمات في المغرب الاقصى وذلك انه لما وطنت نفسه على الملك وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفهم لتونة سمت همته الى بناء هذه المدينة وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها وشيد بها القصور والمساكن الانيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها وفي سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس وكانت اذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام وضيق على أهلها ثم أخذها فافقر العامة بها وقتل البربر والجند بعد ان حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوي شأنه وتمكن بالمغرب الاقصى والادنى سلطانه مع ما صار بيده من بلاد جزيرة الاندلس كما شرحناه وكان حازما سائسا للامور ضابطا لمصالح مملكته مؤثرا لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم وبلغني ان الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالي تغمده الله تعالى برحمته لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى أهل العلم عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك العزم وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت من اين وجدته وكان يوسف معتدل القامة اسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو أول من تسمى بامير المسلمين ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير ما مثاله سنة خمسمائة فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل العلم والدين يكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة

عليه رحمة ربه الباري وكان المرحوم من أعيان علماء الروم محفوظا بكثرة المحفوظ معروفا بسعة الباع وكثرة الاطلاع خصوصا في علم الفقه وبابه فانه من أكبر أربابه وكان رحمه الله عظيم النفس شديد البأس مهيبا في أعين الناس بعيد المطالب صعب المقصد والمذهب فلما يجاريه في ميدانه أحد عليه رحمة العزيز الصمد

(ومنهم المولى محمد بن عبد اللطيف الشهير ببخاري زاده)

كان أبوه المزبور قاعدا في مسند الارشاد بزاوية الشيخ محمود البخاري داخل قسطنطينية المحمية على ما مر ذكره في هذه الجريدة قرأ رحمه الله على علماء عصره وصار ملازما من المولى عبد الرحمن المار ذكره فيها ثم تزوج ابنته ودرس بمدرسة عبد السلام بالموضع المعروف بكوجك محكمه باربعين ثم صار قاضيا ببعض القصبات فلما تولى صهره المزبور قضاء العسكر ثانيا أتى به الى قسطنطينية وجد واجتهد ببذل عرضه وماله الى أن جعله مدرسا بسلطانية بروسه ثم نقل الى احدى المدارس الثمان فعن قريب ذاق من كأس الحمام وقرأ على الدنيا السلام فجعل المرحوم قاضيا بطرابلس الشام

نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين وتمنى الآخر زوجته
وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار
واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ثم أرسله إلى زوجته
فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت في هذه الأيام
قال طعاما واحدا فقالت له كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته وأما ولده علي المذكور فإنه
توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ومولده في حادي عشر رجب سنة ست وتسعين
وأربعمائة وقد سبق ذكر طرف من حديثه في ترجمة محمد بن تومرت المهدي فيكشف منه ولما خرج عبد
المؤمن بن علي المقدم ذكره قاصدا جهة البلاد المغربية ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور
وكان مسيره على طريق الجبال فسير علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون في قبالة عبد المؤمن ومعه جيش
فساروا في السهل وأقاموا على هذا مدة فتوفي علي بن يوسف في أثنائها في التاريخ المذكور فتقدم أصحابه ولده
إسحق بن علي وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراكش وكان صبيا وظهر أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال
وفيها غمارة وتادلة والمصامدة وهم أمم لا تحصى فخاف تاشفين بن علي واستشعر القهر وتيقن أن دولتهم
ستزول فأتى مدينة وهران وهي على البحر وقصد أن يجعلها مقره فإن غلب على الأمر ركب منها في البحر وسار
إلى الأندلس يقيم بها كما أقامت بنو أمية بالأندلس عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد وفي ظاهر
وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين
من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من
خواصه وكان عبد المؤمن بجمعه في تاجرة وهي وطنه كما ذكرته في ترجمته واتفق أنه أرسل منسرا إلى
وهران فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى
صاحب المهدي فكمنوا عشية وأعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط فقصدوه وأحاطوا به وأحرقوا بابه فأيقن
الذين فيه بالهلاك فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو فتردى الفرس
نازلا لا يملكه اللجام حتى تردى من جرف هنالك بجهة البحر على حجارة في وعر فتكسر الفرس
وهلك تاشفين في الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في
الليل وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن فوصل إلى وهران وسمي ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح
ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل ثم توجه إلى تلمسان وهي مدينتان قديمة وحديثة
بينهما شوط فرس ثم توجه إلى فاس فحاصرها وأخذها في سنة أربع وخمسمائة ثم قصد مراكش في سنة
إحدى وأربعين فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها إسحق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم قدموه بعد
موت أبيه علي بن يوسف بن تاشفين نائبا عن أخيه تاشفين فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد
وأخرج إليه إسحق بن علي ومعه سير بن الحاج وكان من الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين
وإسحق دون البلوغ فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن إسحق لصغر سنه فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم
فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن في القصر وذلك في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة
وانقرضت دولة بني تاشفين (قلت) وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى الأندلس
في العام الثاني من وقعة الزلاقة وذكرت ههنا ما يدل على أنه ما عاد إليها وإنما نوابه هم الذين أخذوا بلاد
الأندلس له فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب أن هذا تناقض والعذر في هذا أني وجدته في ترجمة ابن
عباد على تلك الصورة ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة والله أعلم بالصواب ثم رأيت في كتاب
تذكير العاقل تأليف أبي الحجاج يوسف البياسي أن ابن تاشفين لما جاز البحر قصد إشبيلية فخرج ابن عباد إلى
لقائه ومعه الضيافة والإقامة ثم خرج من إشبيلية بقصد بطليوس وجرت الوقعة المذكورة ثم
عاد ابن تاشفين إلى بلاده وإن ابن عباد جاز البحر ومضى إليه في سنة إحدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من

وهو أول قاض بها من زمرة
الموالي (وتوفي قاضيا بها سنة
ست وثمانين وتسعمائة)
كان المرحوم مع قلة حظه
من العلوم حليم النفس
مطرح التكلف مأمون
الغائلة مبذول النعمة
مائلا إلى صحبة الاخوان
وملاطفة الخلان عليه رحمة
ربه المنان
*(ومن أفاضل العصر
والاوان ونوادر الدهر
والزمان المولى يوسف
المشتهر بالمولى سنان)*
ولد رحمه الله بقصبة سونيسه
وجد في الطلاب وقلقل
الركاب وتحمل المتاعب
وركب المتاعب واجتمع
بأفاضل عصره واستفاد
حتى دخل في سلك أرباب
الاستعداد وتحرك على
الوجه المعهود والسنن
المعتاد قرأ رحمه الله على
المولى محيي الدين الفناري
ثم على المولى علاء الدين
الجمالي وصار ملازما من
المولى خير الدين معلم
السلطان سليمان ثم درس
بمدرسة تساروجه باشا
بقصبة كيبولي بخمسة
وعشرين ثم بالمدرسة
الحجرية بادرنه بثلاثين ثم
بمدرسة داود باشا بقسطنطينية
بأربعين ثم بمدرسة مصطفى
باشا بكبوزه بخمسين
ثم نقل إلى دار الحديث
بادرنه ثم إلى إحدى المدارس
الثمان ثم إلى مدرسة
السلطان بايزيد خان بادرنه
بستين ثم قلد قضاء حلب

بلاد العدو فأكرمه يوسف بن تاشفين وأجابه الى انجاده ثم عاد ابن عباد الى بلاده واستعد العدو ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة احدى وثمانين ثم خرج الاذفونش في جيش كثيف وكان ملوك الاندلس قد اجتمعوا عند ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه وأوهمه خواصه أن ملوك الاندلس يفرون عنه ويخافون بينه وبين الاذفونش فاصغى الى كلامهم وعمل في نفسه قولهم فأخذ في الحركة الى البرية وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائدا الى بلاده وقد وغر صدره على ملوك الاندلس وتبين لهم تغيره عليهم فخافوه فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الاقوات وارسل بعضهم الى الاذفونش ليكون عونا له تخوفا من ابن تاشفين فأجابه الاذفونش بالاعانة والمساعدة وكان قد سيرله هدايا وألطافا كثيرة فقبلها منه وحلف له على جميع ما التمسه منه واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظا ثم ان ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهي لابن عباد فوصلها في جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وقد سبقه اليها ابن عباد فخرج اليه بالضيافة وجرى معه على عادته ثم ان ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس وحبسه فطمع ابن عباد في غرناطة وان ابن تاشفين يعطيها اياه فعرض له بذلك فأعرض عنه ابن تاشفين وخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عنه فقال له انه جاءته كتب من اشبيلية وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه في العود اليها فأذن له فعاد ثم رجع ابن تاشفين الى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وأقام ببلاده الى ان دخلت سنة أربع وثمانين ثم عزم على العبور الى الاندلس لمنازلة ابن عباد وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ في التأهب والاستعداد ووصل ابن تاشفين الى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن أبي بكر فجازوا البحر وضايقوا ابن عباد فاستصرخ بالاذفونش فلم يلتفت اليه وكان ما ذكرته والله أعلم * وفي هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج الى الكلام عليه والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا وهم أصحاب خيل وابل وشاء يسكنون الصحارى الجنوبية وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطمعهم في تملك البلاد عبد الله ابن تاشفين الفقيه وقتل في حرب جرت مع برغواطة وقام مقامه أبو بكر بن عمر الصنهاجي الصحراوي المقدم ذكره ومات في حرب السودان وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه وهو الذي سمى أصحابه المرابطين وهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم فلذلك سموهم الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم وقيل كان سببه أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء فاذا أتاهم العدو وظنوهم النساء فيخرجون عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير ما مثاله وقيل ان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو أمروا النساء أن تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبيناهم في جمع النعم من المراعي اذ أقبل الرجال الى الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خلقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا (ومما قيل في اللثام)

قوم لهم درك العلا من حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هموا
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفي أثنائه أرسل الى بغداد لتفتيش حادثة ظهرت هناك ثم عزل وقبل الوصول الى قسطنطينية بشر بقضاء دمشق ثم نقل الى قضاء أدرنه ثم الى قضاء قسطنطينية وقبل الوصول اليها بشر بقضاء العساكر المنصورة في ولاية اناطولي المعموره وجلس للتدريس العام وحضر عنده القادم من الاجلة الكرام فكم من مشكل انقلب بصالح ذكره عنده سهلا ومعضل عاد بصائب فكره منحلا ودام في هذا المقام مدة خمسة أعوام ثم تحرك عليه بعض أرباب الغرض من الذين في قلوبهم مرض فابتلي بالعزل والهوان والتفتيش في جامع السلطان محمد خان مع شريكه المولى مصلح الدين الشهير ببستان ولما ظهر براءة ذمته وحسن حاله شرف بتعيين وظيفة أمثاله ثم قلد التدريس بدار الحديث التي بناها السلطان سليمان بقرب الجامع المعروف بالدى القاضى والدانوز يعطى من سوره ثلاثون ثم زيد أربعون فدام فيها على الدرس والافادة في الايام المعتادة في الحديث والتفسير بلطف التقرير وحسن التحرير الى ان استولى عليه سلطان الهرم بطلائع الضعف والالم فاستغنى عن المدرسة المزبورة فبقي معه الوظيفة المذكورة (وقد انتقل

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر بن عمر الصنهاجي وخرج من سجلماسة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة وكان أبو بكر بن عمر قد أتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها وقاتل أهلها أشد قتال وأخذها ثم وثب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان والله أعلم

(أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب)

وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن في حرف العين وذكر ولده يعقوب قبل هذا ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف بالملك وكان ولي العهد قبله أخوه محمد بن عبد المؤمن ونقش على الدنانير اسمه وكان ذلك باستخلاف أبيه وتحليفه الجند له فظهر منه اشتغال بالراحة وانهماك في البطالة فخلعه يوسف وكان له أخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاه جزيرة الاندلس وكان يوسف المذكور فقيها حافظا متقنا لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف فنشأ في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء وكان ميله الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم وكان حازما عاضا بالخراج على ملكته عارفا بسياسة رعيته وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الامور اليهم لما علم من صلاحهم لذلك والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه فلما تمهدت له الامور واستقرت قواعد مملكته رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها وحمل على قلبه فمرض مرضا شديدا ومات وقيل ان أمه سقته سما لانه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه فعملت عليه فقتلته بالسم وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية ومولده في سنة ثمان عشرة وخمسمائة في قلعة من أعمال طرطوشة يقال لها ابنشكلة وهي من الحصون المنيعة ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده وقيل اخوته الى الامير يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لابيهم وقيل لاخيهم فأحسن اليهم الامير يوسف وتزوج أختهم وأصبحوا عنده في أعز مكان ثم ان الامير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج وكانوا قد استولوا عليها فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تصل مغيرة الى باب طليطلة وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم ثم انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء في عسكره فرجع عنها وعاد الى مراكش وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة ثم دخل جزيرة الاندلس في سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربي بلادها فحاصر مدينة شنترين شهرا فأصابه مرض فمات منه في شهر ربيع الاول سنة ثمانين وخمسمائة وحمل في تابوت الى اشبيلية رحمه الله تعالى وكان قد استخلف ولده أبا يوسف يعقوب بن يوسف المتقدم ذكره وذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه ان يوسف مات من غير وصية بالملك لاحد من أولاده فاتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده يعقوب فملكوه في الوقت الذي مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من بلاد العدو وكان خلع أخيه أبي عبد الله محمد ابن عبد المؤمن في شعبان سنة ثمان وخمسين واستبد يوسف حينئذ بالامر واجتمع كل أصحابه على خلعه وتولية الامير يوسف وقد روي له شعر لكنه ليس بالجيد فلم أذكر منه شيئا وأما محمد بن سعد بن مردنيش المذكور فيروى له

وحقها انما الجفون ✽ تسل من خلفها المنون ✽ لا صرمتها ولا علمها

الموت من دونها يهون ✽ لا أركبن الهوى اليها ✽ يكون في ذاك ما يكون

قلت ثم وجدت هذه الابيات في كتاب الملح لابن القطاع وقد نسبها الى أبي جعفر أحمد بن صمادح البني والله أعلم وقال البياسي في حماسته هو أبو جعفر أحمد بن الحسين بن خلف بن البني اليعمري الابذي والله أعلم الا انه لم يذكر هذه الابيات ثم أورد البياسي لابي جعفر المذكور

رحمه الله في شهر صفر من شهور سنة ست وثمانين وتسعمائة وقد ناف عمره على تسعين سنة كان المرحوم من أجلة أفاضل الروم شهد بفضيلته عامة الخاصة والعامة واعترفوا برسوخ قدمه في الفنون وثبات قدمه في علم الفروض والمسنون طالما شيد مدارس من تبيان الدروس وزين برشحات أقلامه وجوه عرائس الطروس وسار مسير البدر في سماء التحقيق وتعلق بطائر همته حتى علا ذروة التدقيق وكان رحمه الله شيخا جميل الصورة حسن السير مبارك النفس كريم الاخلاق متواضعا طيب الاعراق مشهورا بالخصال الحميدة معروفا بالخلال الاكيدة متدرعا بالديانة متعمما بالصلاح والصيانة وقد كتب رحمه الله حواشي على تفسير البيضاوي أظهر فيها اليد البيضاء والحجة الزهراء وكتب شرحا لكتاب الكراهة وكتاب الوصايا من الهداية تحفة لارباب الدراية من الكفاية وقد اتفق لي أيام اشتغالي بدرس المطول أني قد اجتمعت في عالم الرؤيا برفقة من فرقة العلماء فانجر كلامنا الى ذكر المولى حسن چلبي محشي الكتاب المزبور فقال واحد منهم من أحب ان يرى مثله و ينظر عدله

صدّنى عن حلاوة التشييع * اجتنابى مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وله فى صفة قنديل

وقنديل كأن الضوء فيه * محاسن من أحب وقد تجلى
أشار الى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقا وولى

ولما مات أبو يعقوب يوسف المذكور رثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجبر الشاعر المقدم ذكره فى ترجمة يعقوب ابن يوسف بهذا بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

جل الاسى فاسل دم الاجفان * ماذى الشؤون لغير هذا الشان

ومردنيش بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها شين معجمة وهو بلغة الفرنج اسم العذرة وبنشكلة بضم الباء الموحدة والنون وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وفتح اللام وبعدها هاء والباقى معروف لا حاجة الى ضبطه والبنى فى نسب الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة وتشديد النون والابذى بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى بلدة بالاندلس من كورة جيان بناها عبد الرحمن بن الحكم وجددها ابنه محمد (قلت) ولما فرغت من ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب هذه الترجمة وجدت مجموعا بخط العماد بن جبريل أخى العلم المصرى ناظر بيت المال بالديار المصرية وقد تقدم ذكره فى ترجمة أبى اسحق العراقى الفقيه المذكور فى أوائل هذا الكتاب فيه فوائد من أخبار المغاربة وغيرهم فنقلت منه ما يضاف الى هذه الترجمة وهو ان عبد المؤمن كان فى حياته قد عهد الى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس وكتب ببيعته الى البلاد فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر لانه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من ادمان شرب الخمر واختلال الرأى وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما وذلك فى شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان الذى سعى فى خلعه أخويه يوسف وعمر ابنى عبد المؤمن ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر عنها أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيه يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة وكان أبيض تعلوه حمرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين الى الطول ما هو فى صوته جهارة رقيق حواشى اللسان حلو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لايامها فى الجاهلية والاسلام صرف عنايته الى ذلك ولقى فضلاء اشبيلية ايام ولايته ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخيا جوادا استغنى الناس فى أيامه وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة من الفقه ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيأ كثيرا وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشان أبو بكر محمد بن الطفيل كان متحققا بجميع اجزاء الحكمة قرأ على جماعة من اهلها منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة وكان حريصا على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان متفننا ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الاندلسى ولما استوثق ليوسف الامر وملك بلاد مردنيش من الاندلس خرج من اشبيلية قاصدا بلاد الاذفونش من الاندلس أيضا فنزل على مدينة له تسمى وبذة فاقام محاصرا لها شهورا الى ان اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه فى تسليم المدينة وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم فى بعض الليالى لغط عظيم واصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا باسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين وكان يرتفع اليه فى كل سنة من خراج اشبيلية وقرماتة وخمسين بغلا غارجا عما يرتفع اليه من خراج بقية البلاد فى بر العدوة وفى بر الاندلس وفى سنة تسع وسبعين تجهز للغزو فى جيش عظيم وعبر الى جزيرة الاندلس ونزل اشبيلية

كعادتهم

فلينظر الى المولى سنان
من علماء الزمان فانه بوازيه
فى الفضيلة ويحق لان يعد
عديله
*(ومنهم العالم الامجد
المولى أحمد بن محمد الشهير
بنشانجى زاده)*
كان أبوه موقعا فى الديوان
العالى فى دولة السلطان
سليمان مشتهرا بابن
رمضان وهو الذى كتب
مختصر الطبقة فى أسلوب
ظريف يشتمل على حوادث
الايام وتواريخ الانام من
بدء الدنيا الى أواخر الدولة
المزبورة وقد ولد المرحوم
بمدينة قسطنطينية سنة
٣ فلما نشأ أودب وحصل
طرفا من العلم والادب وقرأ
على الشيخ المرزوقى ميدان
الافادة المولى المعروف بشيخ
زاده شارح تفسير البيضاوى
وعلى العالم الامجد المولى
الشهير بعبد الكريم زاده
وعلى صاحب التحقيق
والتحبير المولى عبد الله
المعروف بيرزوصار
ملازما من المولى سنان
المار ذكره الآن ثم
درس أولا بمدرسة الحاجى
حسن بثلاثين ثم بمدرسة
ابراهيم باشا بأربعين
كلتاهما بقسطنطينية ثم
مدرسة قاسم باشا بخمسين
ثم نقل الى المدرسة المعروفة
بخانقاه ثم الى المدرسة
الخاصكية ثم اتفق أن مات

٣ كذا بياض بالاصل

بياض

كعادتهم فى اصلاح شأنهم ثم رحل الى شنترين وهى بليدة فى غرب الاندلس وهى فى غاية المنعة والحصانة فحاصرها وضيق عليها فلم يقدر عليها وهجم الشتاء وخاف المسلمون من البرد وزيادة مد النهر فلا يقدرون على العبور وتنقطع عنهم المادة فاشاروا عليه بالرجوع الى اشبيلية فاذا طاب الزمان عادوا اليها فقبل ذلك منهم وقال نحن راحلون غدا ان شاء الله تعالى ولم ينتشر هذا الحديث لانه قال فى مجلس الخاصة فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب المالقى وكان من أهل العلم والفضل فلما رآه الناس قد قوض خباءه قوضوا أيضا ثقة به لمكانه من الدولة ومعرفته باسرارها فعبرت الليلة أكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلبا لجيد المنازل ولم يبق الا من كان بقرب خباء الامير يوسف بن عبد المؤمن ولا عمل له بذلك فلما رأى الروم عبور العساكر وبلغهم من جواسيسهم ما عزم عليه الامير يوسف واصحابه خرجوا منتهزين الفرصة وحملوا حتى انتهوا الى جهة الامير يوسف فقتل على بابه خلق كثير من أعيان الجند وخلصوا الى الامير يوسف فطعنوه تحت سرته طعنة كانت سبب منيته وتداركهم الناس فانهزم الروم وحمل الامير يوسف فى محفة وعبر به النهر ولم يسر به سوى ليلتين ومات فى الثالثة فلما وصلوا به الى اشبيلية صبر وصير في تابوت وحملوه الى تينمل ودفن هنالك عند أبيه عبد المؤمن والمهدى محمد بن تومرت وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة وكان قبل موته باشهر ينشد هذا البيت ويردده فى أوقات كثيرة

طوى الجديدان ما قد كنت انشره * وأنكرتنى ذوات الاعين النجل

وقام بعده بالامر ولده أبو يوسف يعقوب وبويع فى حياة أبيه وقيل ان أشياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة أبيه والله أعلم وكان الاديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورانى وكوران قبيلة من البربر منازلهم بضواحى مدينة فاس وقيل ان هذه القبيلة انما يقال لها جراوة بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافا فيقال لها كراوة والنسبة اليها جراوى وكراوى وكان هذا الاديب آية فى حفظ الاشعار القديمة والمحدثة وتقدم فى هذا الشان وجالس به عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب وجمع كتابا يحتوى على فنون الشعر على وضع الحماسة لابى تمام الطائى وسماه صفوة الادب وديوان العرب وهو كثير الوجود بايدى الناس وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق والمقصود من ذكر هذا الاديب انه كانت له نوادر وملح مستظرفة عند أهل الادب * فمن ذلك انه حضر يوما الى باب دار الامير يوسف المذكور وهناك الطبيب سعيد الغمارى وغمارة بضم الغين المعجمة قبيلة من البربر أيضا فقال الامير يوسف لبعض خدمه انظر من بالباب من الاصحاب فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال أحمد الكورانى وسعيد الغمارى فقال الامير يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الكورانى فقال وضرب الامثال واسمى خلقنا أعجب منهما والله خليفة من كومية فقال ان الامير يوسف لما بلغه ذلك قال اعاقبه بالحلم عنه والعفو فيه تكذيب

* ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الامير يوسف المذكور وهو بديع غريب

ان الامام هو الطبيب وقد شفى * علل البرايا ظاهرا ودخيلا
حمل البسيطة وهى تحمل شخصه * كالروح توجد حاملا محمولا

ومن شعره أيضا فى ذم أهل فاس وهى مدينة بالمغرب فيما بين سبتة ومراكش

مشى اللؤم فى الدنيا طريدا مشردا * يجوب بلاد الله شرقا ومغربا
فلما أتى فاسا تلقاه أهلها * وقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا

وله كل شعر مليح وكان شيخا مسنا طوالا وثمانين سنة وتوفى فى آخر أيام الامير يعقوب ابن الامير يوسف وقد ذكرت وفاة الامير يعقوب فى ترجمته فليكشف منها وله مديح فى الامير عبد المؤمن بن على وأولاده الى آخر زمنه رحمه الله تعالى وأما شنترين بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون فهى مدينة فى غرب الاندلس وذكر ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك ان شنترين على البحر المحيط وبها يقع العنبر ولا يعلم ببلاد الروم والمحيط عنبر يقع فى غير هذا الموضع

عدة نفر من أولاده فعرض له ما عرض من النفرة عن تصاريف الدنيا فترك التدريس واختار الانزواء وبعد برهة من الزمان رجع عما عليه وصار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء مكة شرفها الله ثم عزل ثم قلد قضاء مصر القاهرة ثم عزل ثم قلد قضاء المدينة المنورة وقبل أن يتوجه اليها رفع بيد بعض حواشيه مكتوبا الى السلطان تتغير عليه خاطر السلطان العظيم الشان فعزله وأمره بالخروج عن البلدة فخرج متوجها الى الحج فلما حج وعاد مات بقرب دمشق فاتى به اليها (ودفن فيها سنة ست وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله من جملة من تبحر من عيون الفنون وتمهر فى علم الفروض والسنون وشارك الفحول فى علم الفروع والاصول طويل الباع فى العلوم العربية كثير الاطلاع فى الحديث والتفسير والفنون الادبية مع جراءة الجنان وطلاقة اللسان والمحاورات مع الاقران وكان رحمه الله مائلا الى الصلاح ومتصلا بارباب الزهد والفلاح مكبا على الاشتغال مجانبا عن القيل والقال بدأ باعراب القرآن المبين مقتفيا لآثار السفاقسى والسمين وصل به الى سورة الاعراف وشرح الجزء الاخير الى

وشئ يقع بالشام و يقع بشنترين في وقت من السنة دابة تحك الحجارة في وسط البحر فيقع منها وبر في لين الخز ولونه لون الذهب فيجمع منه ما يغزل و ينسج ثيابا و يتلون الثوب ألوانا و تحجر عليه ملوك بني أمية بالاندلس فلا ينقل ولا يشترى فيزيد الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه والله أعلم (قلت) وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الاندلس انه رأى قطعة من هذه الثياب هناك وأراد ان يصفها لي فما قدر ان يعبر عنها ثم قال لكنها أرفع وانعم من نسج العنكبوت فتعالى الله ما أجل قدرته وألطف حكمته وأحسن صبغته وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ولله در أبي نواس حيث قال

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والعراقية واليمنية)

قد تقدم في هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه وأخيه الملك العادل أبي بكر محمد وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته وصلاح الدين كان واسطة العقد وشهرته أكثر من أن يحتاج الى التنبيه عليه اتفق أهل التاريخ على ان أباه وأهله من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها و بعدها نون وهي بلدة في آخر عمل اذربيجان من جهة أران و بلاد الكرج وانهم أكراد روادية بفتح الراء والواو و بعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة و بعدها هاء والروادية بطن من الهذانية بفتح الهاء والذال المعجمة و بعد الالف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها و بعدها هاء وهي قبيلة كبيرة من الاكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها أجدانقان بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة و بعد الالف نون مفتوحة وقاف و بعد الالف الثانية نون أخرى وجميع أهلها أكراد روادية ومولد أيوب والد صلاح الدين بها وشادي أخذ ولديه منها أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما الى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شادي بها وعلى قبره قبة داخل البلد ولقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم أجد أحدا ذكر بعد شادي أبا آخر حتى اني وقفت على كتب كثيرة باوقاف واملاك باسم شيركوه وأيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شادي وأيوب ابن شادي لا غير وقال لي بعض كبراء بيتهم هو شادي بن مروان وقد ذكرت ذلك في ترجمة أيوب وشيركوه ورأيت مدرجا رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحرسي يتضمن ان أيوب بن شادي بن مروان بن أبي علي بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن اسامة بن نهيش بن الحارثة صاحب الحمالة ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ثم رفع بعد هذا في النسب حتى انتهى الى آدم عليه السلام ثم ذكر بعد ذلك ان علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز يقال انه ممدوح المتنبي و يعرف بالخراساني وفيه يقول من جملة قصيدته

شرف الخؤ بالغبار اذا سا * ر علي بن أحمد القمقام

واما حارثة بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحمالة فهو الذي حمل الدماء بين عبس وذبيان وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن سنان وفيهما قال زهير بن أبي سلمى المزني قصائد منها قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

هذا آخر ما ذكر في المدرج وكان قد قدمه الى الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة والله أعلم انتهى ما نقلته من المدرج ورأيت في تاريخ حلب الذي جمعه القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي بعد ان ذكر الاختلاف

في

الامام الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي أوله اللهم يا من ولع لسان الصبح وعلق حواشي على مواضع من تفسير البيضاوي والهداية وشرح المواقف والمفتاح وله رسائل بقيت أكثرها في المسودة وكان له يد في الشعر والانشاء والتحرير والاملاء (وله هذا الكلام) في الحنين الى الشام (شعر)

نسيم الصبح ان سافرت شاما
فبلغ أرضها مني السلاما
عن القلب مذ فارقت عنها
وكان الطيب قد وصل الشاما
لعل الله يلطف لي بفضل
و ييسر دورة ذاك المقاما

(ومن النوادر ما قال في مدح الطائف)

ولطائف تحوي لطائف جمة
من غرف ماء مع لطيف هواء
أرض تساوي روضة بمحاسن
ماء صفا كالكوثر بصفاء
ونسيمها بلطافة يحيي النسم
وفواكه متجاوز الاحصاء

(وله شعر)

بفضل الله اني لا أبالي
وان كان العدو رمى بحوله
وليس يضرنا الحساد شيأ
فسوء المكر ملتحق باهله

(ومنهم المولى محمد المعروف بمشيره زاده)

كان أبوه من قضاة القصبات وأمه أخت المولى محمد الشهير بقطب الدين زاده أحد الصدور في الدولة السليمانية وهو السبب لشهرته بالنسبة المزبورة

في نسبهم فقال وقد كان المعز اسمعيل بن سيف الاسلام ابن أيوب ملك اليمن ادعى نسبا في بني أمية وادعى الخلافة وسمعت شيخنا القاضي بهاء الدين عرف بابن شداد يحكي عن السلطان صلاح الدين انه أنكر ذلك وقال ليس لهذا أصل أصلا (قلت) ذكر شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري صاحب التاريخ الكبير في تاريخه الصغير الذي صنفه للدولة الاتابكية ملوك الموصل في فصل يتعلق باسد الدين شيركوه ومسيره الى الديار المصرية فقال كان أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وهو الاكبر ابنا شاذي من بلد دوين وأصلهما من الاكراد الروادية فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي شحنة العراق (قلت) وهذا مجاهد الدين كان خادما روميا أبيض اللون تولى شحنة العراق من جهة السلطان مسعود بن غياث الدين محمد ابن ملكشاه السلجوقي المتقدم ذكره وذكر والده وجماعة من أهل بيته وكان صاحب همة في عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد واسع الصدر والصبر في البذل والانفاقات والمطاولة والمراجعة اذا امتنع عليه الغرض وكانت تكريت اقطاعاله وكان تأمر السلطان محمد والد مسعود المذكور وبنى في بغداد رباطا وقف عليه وقفا جيدا ومات يوم الاربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة أربعين وخمسمائة (وبهروز بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو وبعدها زاي وهو لفظ عجمي معناه يوم جيد على التقديم والتأخير على عادة كلام العجم) قال شيخنا ابن الاثير فرأى مجاهد الدين في نجم الدين أيوب عقلا ورأيا حسنا وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت اذهي له (قلت) دزدار بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الالف راء وهو لفظ عجمي (معناه حافظ القلعة وهو الوالي ودز بالعجمي القلعة ودار الحافظ) فسار اليها ومعه أخوه أسد الدين شيركوه فلما انهزم اتابك الشهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا (قلت) وهي قلعة مشهورة وخلاصته ان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي المتقدم ذكره وعماد الدين زنكي صاحب الموصل قصدا حصار بغداد في أيام الامام المسترشد فأرسل الى قراجا الساقي واسمه برس صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجده فأتاه وكبس عسكرهما وانهزم ما بين يديه وانكسروا وذكر في تاريخ الدولة السلجوقية انها كانت في شهر ربيع الآخر يوم الخميس ثاني عشر الشهر المذكور من سنة ست وعشرين وخمسمائة على تكريت وقال أسامة بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه انه حضر هذه الوقعة مع زنكي في التاريخ المذكور وذكر ذلك في موضعين أحدهما في ترجمة اربل والثاني في ترجمة تكريت (رجعنا الى ما كنا فيه) فوصل زنكي الى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن فعبر دجلة هنالك وتبعه أصحابه فأحسن نجم الدين اليهم وسيرهم وبلغ ذلك بهروز فسير اليه وأنكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدو فأحسنت اليه وأطلقته ثم ان أسد الدين شيركوه قتل انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما فأرسل مجاهد الدين اليهما فأخرجهما من تكريت فقصدا عماد الدين زنكي (قلت) وكان اذ ذاك صاحب الموصل قال فأحسن عماد الدين اليهما وعرف لهما خدمتهما وأقطع لهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة جنده فلما فتح عماد الدين زنكي بعلبك جعل نجم الدين دزدارها فلما قتل زنكي (قلت) وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته قال حصر عسكر دمشق (قلت) وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين ابق بن محمد بن بوري ابن الاتابك ظهير الدين طغتكين وهو الذي حاصره نور الدين محمود بن زنكي في دمشق وأخذها منه قال شيخنا ابن الاثير فأرسل نجم الدين أيوب الى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهي اليه الحال ويطلب منه عسكرا ليرحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه وهو مشغول باصلاح ملوك الاطراف المجاورين له فلم يتفرغ له وضاق الامر على من في بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف أن تؤخذ قهرا أرسل في تسليم القلعة وطلب اقطاعا ذكره فأجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم له القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من أكابر الامراء واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكي (قلت) هو نور الدين محمود بن

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره وتحول على الوجه المعتاد واشتغل مدة على المولى مصلح الدين المشتهر بيستان ثم صار ملازما مع شاه المسفور ودرس أولا بقسطنطينية في المدرسة الطاقوية بعشرين ثم مدرسة الامير بخمسة وعشرين ثم مدرسة بنت السلطان بايزيد خان المعروف بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان عليه الرحمة والغفران بأربعين الكل في مدينة بروسه ثم مدرسة علي باشا الجديدة ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان العتيقة ثم الى مدرسة السلطان سليم خان الجديدة (توفي مدرسا بها في أول الربيع الآخر سنة تسع وثمانين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا في العلوم حديد الذهن قوي

زنكي صاحب حلب وكان يخدمه في أيام والده فقربه نور الدين وأقطعه وكان يرى منه في الحروب آثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجراءته فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره (قلت) ثم خرج شيخنا ابن الاثير بعد هذا الى حديث سفر أسد الدين الى الديار المصرية وما تجدد لهم هنالك وليس هذا موضع هذا الفصل بل نتم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدأ أمره حتى نصير الى آخره ان شاء الله تعالى ويندرج فيه حديث المملكة وما صار وا اليه وان كان قد سبق في ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من أخبارهم لكن ما استوفيته هنالك اعتمادا على استيفائه ههنا ان شاء الله تعالى (قلت) اتفق أرباب التواريخ أن صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه بها والظاهر انهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين الا مدة يسيرة لانه قد سبق القول أن نجم الدين وأسد الدين لما خرجا من تكريت كما شرحناه وصلا الى عماد الدين زنكي فأكرمهما وأقبل عليهما ثم ان عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم تحصل له فرجع الى بعلبك فحاصرها أشهرا وملكها في رابع عشر صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة كذا ذكر أسامة بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها وذكر أبو يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلا على تاريخ أبي الحسين هلال ابن الصابي أن عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم ذكر في مستهل سنة أربع وثلاثين ومائة ورود الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها والله أعلم واذا كان كذلك فيكونون قد خرجوا من تكريت في بقية سنة اثنتين وثلاثين التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لانهما أقاما عند عماد الدين بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين كما شرحته فتعين أن يكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة تقريبا والله أعلم (قلت) ثم أخبرني بعض أهل بيتهم وقد سألته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من أهلنا يقولون انهم خرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال والله أعلم ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية كما سنشرحه ان شاء الله تعالى ووجدت في بعض تواريخ المصريين ان شاور المقدم ذكره هرب من الديار المصرية من الملك المنصور أبي الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الديار المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة لعادتهم في ذلك وقتل ولده الاكبر طي بن شاور فتوجه شاور الى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن زنكي وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودخل دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة فوجه معه نور الدين الامير أسد الدين شيركوه ابن شادي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين في ارسال هذا الجيش غرضان أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا والثاني انه أراد استعلام أحوال مصر فانه كان يبلغه انها ضعيفة في جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الامر في رجب من السنة وقال شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد المقدم ذكره في كتابه الذي وسمه بسيرة صلاح الدين انهم دخلوا مصر في ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة والقول الاول أصح لان الحافظ أبا طاهر السلفي ذكر

الناظر فواسع القدر كثير التلطف عاريا عن التكلف في الطعام واللباس ومعاملة الناس محبا للصلحاء مترددا الى مجالسهم اللطيفة ومستمدا من أنفاسهم الشريفة غير أنه كثير الاقتحام في مصالح القتام بلا عرضة الخطر في الامر الحقير عامله الله بلطفه الكثير (ومن الخنادم الاعيان وخلاص أبناء العصر والاوان محمد بن المولى عثمان) ولد رحمه الله وآثار النجابة في مطالع شمائله ظاهرة وأنوار الحمد والشرف في طوالع مخايله باهرة نشأ في روضة المعارف مقتطفا من أزهارها ودوحة العلوم واللطائف مجتنيا من ثمارها حتى أسعد أهل الحضور في مجالس الفحول والصدور فترامة على أبيه وحصل عنده ما يعنيه ثم عكف على

في معجم الشعراء ان الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع وخمسين وخمسمائة وزاد غيره فقال يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها فيما بين القاهرة ومصر واحتز رأسه وطيف به على رمح وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه قبة (قلت) والقبة باقية الى الآن في موضعها تحت الكبش المستجد بناؤه ورأيت فيها جماعة من الفقراء الجوالقية مقيمين بها وقد قيل ان الضرغام قتل في رجب سنة تسع وخمسين وقد اتفقوا ان الضرغام انما قتل عند وصول أسد الدين شيركوه وشاور الى مصر فما يمكن أن يكون دخولهم في سنة ثمان وخمسين لان الضرغام لا خلاف في قتله سنة تسع وخمسين وانه كان في أول وصولهم والحافظ السلفي أخبر بذلك لانه كان مقيما بالبلاد أول وصولهم وهو أضبط لهذه الامور من غيره لان هذا فنه وهو من أعمد الناس به ولما وصل أسد الدين شيركوه وشاور الى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل لشاور مقصوده وعاد الى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنج عليه فحصروه في بلبيس وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها وانها مملكة بغير رجال تمشي الامور فيها بمجرد الايهام والمحال فطمع فيها وعاد الى الشام في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وقال شيخنا ابن شداد في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين بناء على ما قرره أولا ان دخولهم البلاد كان في سنة ثمان وخمسين وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكرا في تدبير عوده الى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين الى سنة اثنتين وستين وخمسمائة وبلغ شاور وحديثه وطمعه في البلاد فخاف عليها وعلم أن أسد الدين لا بد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر معهم أنهم يجيئون الى البلاد ويمكنهم منها تمكينا كليا ويعينوه على استئصال أعدائه وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبة شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافا على الديار المصرية أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز أسد الدين وأنفذ نور الدين معه العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين شيركوه وكان توجههم من الشام في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وخمسمائة وكان وصول أسد الدين الى البلاد مقارنا لوصول الفرنج اليها واتفق شاور والمصريون بأسرهم والفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن البلاد وانفصل أسد الدين راجعا الى الشام وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين جرد العساكر الى بلادهم وأخذ المنيطرة منهم في رجب من هذه السنة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا اليها وكان سبب عود أسد الدين الى الشام ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين وما عانوه من الشدائد وعاينوه من الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد الى الشام في بقية السنة وقد انضاف الى قوة الطمع في الديار المصرية شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بأنهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها فأقام بالشام على مضض وقلبه قلق والقضاء يقوده الى شيء قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك وكان عوده في ذي القعدة من السنة المذكورة الى الشام وقيل انه عاد في ثامن عشر شوال من السنة والله أعلم ورأيت في بعض المسودات التي بخطي ولا أعلم من أين نقلته أن أسد الدين لما طمع في الديار المصرية توجه اليها في سنة اثنتين وستين وسلك طريق وادي الغزلان وخرج عند اطفيح فكانت فيها وقعة البابين عند الاشمونين وتوجه صلاح الدين الى الاسكندرية فاحتمى بها وحاصره شاور في جمادى الآخرة من السنة ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد الى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا الى الشام ثم ان أسد الدين عاد الى مصر مرة ثالثة قال شيخنا ابن شداد وكان سبب ذلك ان الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون ان سارعا الى قصد البلاد وأما نور الدين فبالمال والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الفرنج ولانه كان قد حدث له تطلع الى جانب الموصل بسبب وفاة علي بن بكتكين (قلت) هو زين الدين والد السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل وقد تقدم ذكره في

التحصيل والاستفادة من المولى أحمد المعروف بقاري زاده وبعد مدة من الزمان صار ملازما من المولى مصلح الدين الشهير ببستان ثم درس بمدرسة داود باشا بأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة المعروفة بأغا ثم الى المدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان خان ثم الى احدى المدارس السليمانية (ومات فيها في أواخر ربيعين سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عظيم الشأن باهر البرهان من حدة ذهنه وصفاء فطنته ووفور ذكائه ونقاء قريحته وقوة فطنته وحسن تقريره وتحرير المعضل وتحرير مع الاتساع وطول الباع في العلوم المتداولة كتب

ترجمة ولده كوكبوري قال فانه توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة وسلم ما كان في يده من الحصون لقطب الدين اتابك صاحب اربل فانها كانت له من اتابك زنكي وأما أسد الدين فسار بنفسه وماله واخوته وأهله ورجاله ولقد قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت أكره الناس للخروج في هذه الوقعة وما خرجت مع عمي باختياري وهذا معنى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وكان شاور لما أحس بخروج الفرنج الى مصر على تلك القاعدة سير الى أسد الدين شيركوه يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله الى مصر في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين الى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد اليه شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيئاً وعلقت مخالب أسد الدين في البلاد وعلم أنه متى وجد الفرنج فرصة أخذوا البلاد وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج أخرى وملاكها فقد كانوا على البدعة المشهورة وتحقق أسد الدين أنه لا سبيل لاستيلائه على البلاد مع بقاء شاور فاجمع رأيه على القبض عليه اذا خرج اليه وكان الامراء الواصلون مع أسد الدين يترددون الى خدمة شاور وهو يخرج في بعض الاحيان الى أسد الدين يجتمع به وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم فلم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة الا السلطان بنفسه وذلك انه لما سار اليه تلقاه راكبا وسار الى جنبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بان يقصدوا أصحابه ففروا ونهبهم العسكر فانزل شاور الى خيمة مفردة وفي الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول لا بد من رأسه جريا على عادتهم في وزرائهم فحز رأسه وأرسل اليهم وسير الى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزيرا وذلك في سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ودام آمرا وناهيا والسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى يباشر الامور ومقرر لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته الى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة فمات أسد الدين (قلت) وقد تقدم حديث أسد الدين وصورة موته فلا حاجة الى شرحها ههنا وكذلك وفاة شاور وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد في سيرة صلاح الدين لكنني أتيت منه بالمقصود وحذفت الباقي ورأيت بخطي في مسوداتي ان أسد الدين دخل القاهرة يوم الاربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة وخرج اليه العاضد عبد الله العبيدي آخر ملوك مصر المقدم ذكره وتلقاه وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر الى الايوان وجلس الى جانب العاضد وخلع عليه وأظهر له شاور ودا كثيرا فطالبه أسد الدين بمال ينفقه في عسكره فدافعه فأرسل اليه ان الجند تغيرت قلوبهم عليك بسبب عدم النفقة فاذا خرجت فكن على حذر منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم على أن يعمل دعوة يستدعي اليها أسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم فاحس أسد الدين بذلك فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النوري وغيرهما على قتل شاور وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه وخرج شاور الى أسد الدين وكانت خيامهم على شاطئ النيل بالمقس فلم يجده في خيمته وكان قد راح الى زيارة قبر الامام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة فقال شاور نمضي اليه فاتفقوا وساروا جميعا فاكتنفه صلاح الدين وجورديك فأنزلاه عن فرسه وكتفوه فهرب أصحابه فأخذوه أسيرا ولم يمكنهم قتله بغير اذن وجعلوه في خيمة ووكلوا عليه جماعة فارسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه وسيروا رأسه على رمح الى العاضد وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وقيل ان أسد الدين لم يحضر ذلك بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر فسلم بعضهم على بعض وساروا ثم فعلا به هذه الفعلة والله أعلم ثم ان العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور وكان في الخيم فدخل القاهرة فرأى جمعا كثيرا من العامة فخافهم فقال لهم ان مولانا العاضد أمركم بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا لنهبها ودخل على العاضد فتلقاه وأفاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش ثم انه مات يوم الاحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق وقيل انه سم في حال

رحمه الله حواشي على الشرح الشريف للمفتاح وعلى بعض المواضع من الهداية وله لطائف أخر وبالجملة كان رحمه الله من بدائع الزمان ونوادر العصر والاوان ولو عاش مدة لكان له شان عليه الرحمة والغفران

(ومنهم المولى أحمد المشتهر بالكامي)

ولد رحمه الله تعالى ببلدة أدرنه وقرأ على علماء عصره وحصل طرفا من العلوم والمعارف وتحرك بحسب العادة حتى وصل الى مجلس المولى المعظم أبي السعود ثم صار ملازما من المولى القادري ثم درس بمدرسة محمود باشا بالقرية القريبة من أدرنه المعروفة بخاص كوي بعشرين ثم مدرسة الحلواجية بمدينة أدرنه بخمسة وعشرين ثم مدرسة سنان الكيكجي بثلاثين ثم مدرسة بلستر مخان

الوزارة لما خلع عليه وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ثم نقل الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام وقيل ان أسد الدين دخل على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة والله أعلم (قلت) قد تقدم في ترجمة كل واحد من شاور وأسد الدين ذكر شئ من هذه الامور والتي ذكرتها ههنا وانما أعدت الكلام فيها لاني استوفيتها ههنا أكثر من هنالك وأيضا فان المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من أول أمره الى آخره فأحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كي لا ينقطع الكلام فيبقى أبتر فأقول ذكر المؤرخون ان أسد الدين لما مات استقرت الامور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الاوضاع وبذل الاموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه الى الله تعالى الى أن مات قال شيخنا ابن شداد سمعته يقول رحمه الله تعالى لما يسر الله تعالى لي الديار المصرية علمت انه أراد فتح الساحل لانه أوقع ذلك في نفسي ومن حين استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج الى الكرك والشوبك وغيرهما من البلاد وغشي الناس من سحائب الافضال والانعام ما لم يؤرخ من غير تلك الايام وهذا كله وهو وزير متابع القوم لكنه يقول بمذهب أهل السنة غارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا الى سنة خمس وستين وخمسمائة ولما عرف نور الدين استقرار السلطان صلاح الدين بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين شيركوه وذلك في رجب سنة أربع وستين ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الامر بالديار المصرية علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الفرنج والروم جميعا وقصدوا الديار المصرية فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون اليه من العدد ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكا من المسلمين وأسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يقال له خطلخ العلمدار وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها في شعبان من السنة المذكورة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين فاشتغل قلبه لانه كان صاحب أمره وعاد يطلب الشام فبلغه أمر الزلازل بحلب التي اخربت كثيرا من البلاد وكانت في ثاني عشر شوال منها فسار يطلب حلب فبلغه خبر موت أخيه قطب الدين بالموصل (قلت) وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودود قال ولما بلغه الخبر وهو بتل باشر سار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما بلغ صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات اليها ووعدهم بالامداد بالرجال ان نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره في شئ ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو رحمه الله تعالى يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تدبيره فرحلوا عنها خائبين فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم خلق كثير واستقرت قواعد صلاح الدين وسير يطلب والده نجم الدين أيوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام فوصل والده اليه في جمادى الآخرة من سنة خمس وستين (قلت) هكذا ذكر ابن شداد في تاريخ وصوله الى مصر والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته وسلك معه من الادب ما جرت به عادته وألبسه الامر كله فأبى أن يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر الا وأنت كفؤه ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة فحكمه في الخزائن كلها ولم يزل وزيرا حتى مات العاضد في التاريخ المقدم ذكره (قلت) أكثر ما ذكرته في هذا الفصل منقول من كلام شيخنا ابن شداد في سيرة صلاح الدين وغيره ونبذ من غيرها والذي ذكره شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير

بمدرسة بروسه بأربعين ثم بمدرسة مصطفى باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد خان بجوار مرقد أبي أيوب الانصاري قدس الله سره ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى مدارس السلطان سليمان ثم قلد قضاء أدرنه كل ذلك بتربية بعض الحواشي السلطانية وتقربه الى السلطان المزبور بالمعارف الجزئية كالشعر والانشاء ولما انتقل السلطان الى جوار الرحمة رمي المرحوم بسهام العزل والهوان ولما انفتحت حرزة قبرس في دولة السلطان سليم خان قلده بطلبه قضاء الجزيرة المرقومة وسلم اليه زمام الحكومة في جميع قلاعها وبلادها وتلالها ووهادها فبين كمال التفرق والتشتت لم يمكن له نظام أمورها في سلك الاعتدال له

المذكور وقيل هذا في تاريخه الاتابكي ان كيفية ولاية صلاح الدين ان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة يعني بعد موت أسد الدين منهم الامير عين الدولة الياروقي وقطب الدين خسرو بن بليل وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهذباني الذي كان صاحب اربل قلت وهو صاحب المدرسة القطبية التي بالقاهرة ومنهم سيف الدين علي بن أحمد الهكاري جده كان صاحب القلاع الهكارية (قلت) هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب وتقدم ذكره في ترجمة مستقلة قال ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسه وقد جمعها ليغالب عليها فأرسل العاضد صاحب مصر الى صلاح الدين وأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويوليه الامر بعد عمه وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن انه اذا ولى صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة وانه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم اليه فاذا صار معه البعض أخرج الباقين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين والقصة مشهورة أردت عمرا وأراد الله خارجة (قلت) هذا المثل مشهور بين العلماء وسيأتي الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمة ان شاء الله تعالى (عدنا الى تمام الكلام الاول) فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه وأخذه كارها ان الله تعالى ليعجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فلما حضر في القصر خلع عليه خلع الوزارة الجبة والعمامة وغيرهما ولقب الملك الناصر وعاد الى دار أسد الدين فأقام بها ولم يلتفت اليه أحد من أولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا يخدمونه وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري معه (قلت) وقد سبق ذكره في ترجمة مفردة وقال ابن الاثير فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله اليه وقال له ان الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل فمال الى صلاح الدين ثم قصد شهاب الدين الحارمي وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن أختك وملكه لك وقد استقام الامر له فلا تكن أول من يسعى في اخراجه عنه ولم يصل اليك فلم يزل به حتى أحضره أيضا عنده وحلفه ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق غيرك وغير الياروقي وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الاكراد فلا تخرج الامر عنه الى الاتراك ووعده وزاد في اقطاعه فأطاع صلاح الدين وعدل أيضا الى عين الدولة الياروقي وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعا فلم ينفعه رقاه ولا نفذ فيه سحره وقال أنا لا أخدم يوسف أبدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فأنكر عليهم فراقه وقد فات الامر ليقضي الله أمرا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن أمره وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته في الكتب تعظيما أن يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال مما كان أسد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيأ يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس اليه وأحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف أمر العاضد فكان كالباحث عن حتفه بظلفه * قال ابن الاثير في تاريخه الكبير قد اعتبرت التواريخ ورأيت كثيرا من التواريخ الاسلامية فرأيت كثيرا ممن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض أهله وأقاربه منهم في أول الاسلام معاوية بن أبي سفيان أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك عن اعقابه الى بني مروان من بني عمه ثم من بعده السفاح أول من ملك من بني العباس انتقل الملك عن اعقابه الى أخيه المنصور ثم السامانية أول من استبد فيهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه الى أخيه اسمعيل بن أحمد واعقابه ثم يعقوب الصفار وهو أول من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه الى أخيه عمرو وأعقابه ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك من أهل بيته ثم انتقل الملك عنه الى اخويه معز الدولة وركن الدولة ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرلبك ثم انتقل الملك الى أولاد أخيه داود ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى ولد أخيه نجم الدين أيوب ولولا خوف الاطالة

فاستعفى عن المنصب ورضي بالانفصال فعزل وعاد الى قسطنطينية مرة أخرى وتقاعد بوظيفته الاولى ثم اتفق السلطان سليم خان رغبة في صحبته بتعريف بعض الحواشي وتزيينه فطلبه وهو على الصيد في بعض البقاع فتيسر له التشرف بالدخول والاجتماع ثم اتى المفتو وأحسن من السلطان المزبور وكال التوجه اليه تقيا من تقدمه عليه وتم ذلك التقدم على ما فعل فاعمل أسباب المكر والحيل ولم يقصر في السعي والاجتهاد حتى قدر على التفريق والابعاد (وقد توفي رحمه الله تعالى في أوائل رجب المرجب سنة تسع وثمانين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا في بعض العلوم ذا حظ وافر من الشعر والانشاء ويد طاهرة في الاملاء

اذكرنا

لنا كونا أكثر من هذا والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولته يكثر القتل في أخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرم الله أعقابه ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة له (نعود إلى ذكر صلاح الدين) وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه اخوته فلم يجبه إلى ذلك وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد ثم إن الفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب (قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة) قال وهو أكبر من صلاح الدين فلما أراد أن يسير قال له نور الدين إن كنت تسير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد فلا تسر فإنك تفسد البلاد وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه وإن كنت تنظر إليه أنه صاحب مصر وقائم مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر إليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصدده فقال أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل بلغك إن شاء الله تعالى فكان معه كما قال ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا بأوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية وإقامة الدولة العباسية بها في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين وكان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه في مصر وأزال المخالفين له وضعف أمر العاضد ولم يبق من العساكر المصرية أحد كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى دولة المصريين فلم يصغ نور الدين إلى قوله وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاما لا فسحة له فيه واتفق أن العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة فاستشار أمراءه كيف الابتداء بالخطبة العباسية فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك إلا أنه لم يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين وكان قد دخل إلى مصر رجل أعجمي يعرف بالأمير العالم وقد رأيناه بالموصل كثيرا فلما رأى ما هم فيه من الإحجام قال أنا أبتدئ بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء بأمر الله تعالى فلم ينكر أحد ذلك فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك إلى سائر الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك وقالوا إن سلم فهو يعلم وإن توفي فلا ينبغي أن تنغص عليه هذه الأيام التي بقيت من أجله فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة أيضا قال وجعله كالأستاذ دار للعاضد فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم في إيوان بالقصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان فيه من العبيد والإماء فأعتق البعض ووهب البعض وباع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره مر الأيام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد أرسل يستدعي صلاح الدين فظن أن ذلك خديعة فلم يمض إليه فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان ابتداء الدولة العبيدية بإفريقية والمغرب في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين وأول من ظهر منهم المهدي أبو محمد عبيد الله وبنى المهدية وملك إفريقية كلها (قلت هكذا ذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخ استيلاء المهدي عبيد الله على إفريقية والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته فكشف منه) ثم إنه قال ولما مات المهدي عبيد الله قام بالأمر بعده ولده القائم أبو القاسم محمد ثم ذكرهم واحدا واحدا حتى انتهى إلى العاضد المذكور فقال وانقرضت دولتهم فكانت مدة دولتهم مائتي سنة وستا وستين سنة وكانت مدة ملكهم بمصر مائتي سنة وثماني سنين وملك منهم أربعة عشر وهم المهدي والقائم والمنصور والمعز ويزيد ذكر والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد آخرهم (قلت) وقد ذكرت كل واحد من هؤلاء في ترجمة مستقلة في هذا الكتاب فمن اختار الوقوف على أحوالهم فليطلبه في اسمه ولا حاجة إلى ذكره هنا

والإملاء بترجمة كيمياء السعادة للإمام على أحسن النظام إلا أنه لم يتيسر له الإتمام وله مكاتيب على أساليب مرغوبة وأفانين مطلوبة فتارة يختار فيها الحروف العارية عن النقط وتارة يلتزم في كل حرف واحد نقطا وهو الذي ما سلف

(ومن الخادمين السادة محمود المشتهر بعلم زاده)
كان أبو الزبور من جملة الصدور في الدولة السليمية والمرحوم الله تعالى في روضة المجد والإجلال ونشأ في دوحة العز والإقبال مجتنيا من ثمار اللطائف ومقتطفا من أزهار المعارف وقرأ على أبيه وأكثر من الاستفادة ثم صار ملازما من المولى أبي السعود بطريق الإعادة ودرس أولا بمدرسة سراداباشا بثلاثين ثم مدرسة داود باشا بأربعين ثم مدرسة

قال شيخنا ابن الاثير وقد أتينا على ذكر ما أجملناه مستقصى في التاريخ الكبير يعني كتابه الذي سماه الكامل وهو مشهور ومن أنفع الكتب في بابه قال ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب أهله ما أراد وباع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والاعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله نحو قبضة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد ولما خطب للمستضيء بأمر الله بمصر أرسل نور الدين اليه يعرفه ذلك فحل عنده أعظم محل وسير اليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي اكراما له لان عماد الدين كان كبير المحل في الدولة العباسية وكذلك أيضا سير خلعا لصلاح الدين الا انها أقل من خلع نور الدين وسيرت الاعلام السود لتنصب على المنابر وكانت هذه أول أهبة عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العبيديين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الاثير (قلت) ولما وصل الخبر الى الامام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن ابن الامام المستنجد وهو والد الامام الناصر لدين الله بما تجدد من أمر مصر وعود الخطبة والسكة باسمه بعد انقطاعها عنها هذه المدة الطويلة نظم أبو الفتح محمد سبط ابن التعاويذي المقدم ذكره قصيدة طنانة مدح بها الامام المستضيء وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد اليمن أيضا وهلاك الخارجي بها الذي سمى نفسه المهدي وذلك في سنة احدى وسبعين وخمسمائة وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر واسلاب المصريين شيئا كثيرا وأولها

قل للسحاب اذا حدته * يد الجنائب فارجحن — عج باللوى فاسحج به * عثانك المعاهد والدمن
يا منزل الانس الجميـ * ـع وملعب الحي الاغن — سكنت بك الآرام من * بعد الاحبة والسكن
أين استقلت بالحبيـ * ـب ركابه ومتى ظعن — شوقي الى زمن الحمى * سقي الغوادي من زمن
شوق الغريب شردته * يد البعاد عن الوطن — ولا عهدت تلك الزما * ن بشملنا بك ما فتن
وتروك ما عمرت مسا * رحه وما أولاك ما أحن — وظباؤك الاتراب لي * وطر وتربك لي وطن
لام العذول وما درى * وجدي وبلبالي بمن — وجدي بمن فضح القضيـ * ـب وأخجل الرشأ الاغن
ساهرت من هو فتنتي * لو كان يرحم ما فتن — دمعي طليق في محبـ * ـته وقلبي مرتهن
يا محنتي أودى الصدو * د بعاشق بك ممتحن — غادرته وقفا على الـ * ـعبرات ودلك والحزن
كان الفؤاد معذبا * بين الاقامة والظعن — عطفا على قرح الجفو * ن بعيد عهد بالوسن
لا تعذلي فالعذل يا * هيجة الوجد الحسن — ولرب ليل بت فيـ * ـه صريع باطية ودن
انثال من مرح وأسـ * ـحب فضل ذيلي والردن — مع خطفة الدن القوا * م اذا انثنى يرقص البدن
لكنني كفرت لشـ * ـيبي زرته عني وعن — عدائي للمستضي * ء أبي محمد الحسن
المستقر من العلا * في الشواهق والقنن — يا جاريا في العدل من * سنن النبي على سنن
يا جامعا شمل التقى * ة والخلافة في قرن — دانت لهيبتك المما * لك والمعاقل والمدن
بالمشرفيات الصوا * رم والمثقفة اللدن — وأتتك أسلاب الملو * ك من الصعيد الى عدن
سلب الدعي بأرض مصـ * ـر والمضلل في اليمن — مما اقتناه ذو رعيـ * ـن في القديم وذو يزن
وشفيت منهم بالظبا * تلك الضغائن والاحن — لم تغن عنهم حين رعـ * ـتهم الحصون ولا الجنن
أمست سباياهم تقا * د أذلة قود البدن — غادرت عرض بلادهم * عرض النوائب والمحن
في كل يوم من جنو * دك غارة فيها تشن — وأعدت سر الاوليا * ء المؤمنين بها علن
ورفضت ما ابتدعا * ثار الخوارج من دون — فكان دعوتهم على * تلك المنابر لم تكن

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه أيضا بقصيدة أخرى أشار فيها الى هذا المعنى وليس على خاطري من هذه القصيدة سوى غزلها فأحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة وهو قوله

أهلا بطالعة غادة * فضح الدجى بضيائها — سمح الزمان بوصلها * فدنت على عدوائها

وسم باشا خمسين الكل في قسطنطينية المحمية ثم نقل الى مدرسة السلطان سليمان خان باسكدار ثم الى احدى المدارس الثمان ثم بدل مباعا عظيما بباب بعض الاعالي حتى صار موقعا في الديوان العالي فخدم فيه الى ان وجد بعض أرباب الحسد سبيلا الى نقص شأنه ونقض بنيانه فنفي بالعزل والهوان برهة من الزمان ثم لم يتيسر له ما يحبه ويرضى حتى جعله الدهر لسهام المنية غرضا (وذلك في أواسط جمادى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا في العلوم ذا حظ وافر من المعارف والمفاخر ساعيا في اقتناء الكتب النفيسة بالخطوط الظريفة وكان رحمه الله شابا جميلا وخدوما جليلا اخلاقا ذا

باتت

باتت تعاطيني المدا * م وكنت من أكفائها ... فسكرت من ألحاظها * وغنيت عن صهبائها
بيضاء قتلى دأبها * في نأيها وثوائها ... فاذا رنت بجفونها * واذا نأت بجفائها
لا تلتقي أبدا هوا * عدها بيوم وفائها ... الشمس من ضراتها * والبدر من رقبائها
والصبح فوق لثامها * والليل تحت ردائها ... مضرية تمسي اذا انـ * ـتسبت الى حمرائها
يا من رأوا أطراف الرما * ح تجول حول خبائها ... فالموت دون فراقها * والموت دون لقائها
ولقد مررت بربعها * بعد النوى وفنائها ... والعين في الأطلال سا * كبة على أطلالها
فوقفت أنشد قطا * لعهدها ورعائها ... وبكيت حتى كدت أعـ * ـشق باقي حرائها
يا وحش العين التي * أنست بطول بكائها ... غادرت بين جوانحي * نفسا تموت بدائها
تشتاق عيني أن ترا * ك وأنت من سودائها ... واذا غفلت بنظرة * سمحت بجمة مائها
فكأنها كف الخليـ * ـفة أسمحت بعطائها

ويعجبني هذا الشعر في المديح وأبدع فيها جميعها وسأذكر بعد هذا عند أواخر هذه الترجمة شيئا من مدائحه في صلاح الدين ان شاء الله تعالى فقد كان يسير قصائد المديح من بغداد فتصل أولا الى القاضي الفاضل ومعها مديح للفاضل وهو الذي يعرض قصائده على صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شيخنا ابن الأثير بعد هذا فصلا يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا قال وفي سنة سبع وستين أيضا حدث ما أوجب نفرة نور الدين عن صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين أرسل الى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع أيضا هو عساكره ويسير اليه ويجتمعان هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازما على قصد الكرك فوصل اليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فأتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد المصرية لأمور بلغته عن بعض شيعة العلويين وأنهم عازمون على الوثوب بها وانه يخاف عليها مع البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلف بها فلم يقبل نور الدين هذا الاعتذار منه وتغير عليه وكان سبب تقاعده ان أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع أهله ومنهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الأمراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء فقام تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين (قلت وقد تقدم ذكره أيضا في ترجمة مستقلة) وقال اذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه وكان ذا رأي ومكر وعقل وقال لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن ان في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت أنا وخالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا وكل من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الأرض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها وان أراد عزلك سمعنا وأطعنا والرأي أن تكتب اليه كتابا وتقول بلغني انك تريد الحركة لأجل البلاد فأي حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا ويأخذني اليك فما ههنا من يمتنع عليك وقال للجماعة كلهم قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب أكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على سرك وما في نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الأمور اليه وأولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك أحدا

دعابة عارفا بالشعر والكتابة عامله الله بلطفه انه خبير بعباده خبير بصير

(ومنهم المولى محمود المشتهر بباجلي)

والده رحمه الله بقصبة قليه ونشأ على طلب المعارف واللطائف وقرأ على علماء أوانه واجتمع بفضلاء زمانه حتى وصل الى خدمة المولى القادري ثم ذهب مذهب الصلاح واتصل ببعض أرباب الزهد والفلاح الى ان اشتهر بالتقوى والديانة والزهد والصيانة فجعل من خواص الحرم وخدام المجلس المحترم ونصب لتعليم بنت السلطان سليمان خان صاحبة الخيرات الحسان فلما زوجت بالوزير الكبير رستم باشا أكرمه غاية الاكرام وأنزله منزلة أبيه في الاعزاز والاحترام فبهذه الملابسة اشتهر بالاسم المزبور واليه أشار المولى

من هذا العسكر وكانوا أملوك اليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولى وتكتب أنت اليه وترسل اليه فى المعنى وتقول أى حاجة الى قصدى يجيء نجاب يأخذنى بحبل يضعه فى عنقى فهو اذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده والايام تندرج والله كل وقت فى شأن والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل ففعل صلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين الامر هكذا عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين أيوب وتوفى نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها انتهى ما ذكره ابن الاثير وقال شيخنا ابن شداد فى السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الاحسان وافاضة الانعام على الناس الى سنة ثمان وستين وخمسمائة فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وانما بدأ بهما لانها كانت أقرب اليه وكانت فى الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فأراد توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها فى هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد ولم يظفر منها بشيء فلما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصوله اليه (قلت وقد ذكرت تاريخ وفاته فى ترجمته) قال ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده وكان بلغه أن باليمن انسانا استولى عليها وملك حصونها يسمى عبد النبى بن مهدى فسير أخاه توران شاه اليه فقتله وأخذ البلاد منه وقد بسطت القول فى ذلك فى ترجمته ثم توفى نور الدين فى سنة تسع وستين حسبما شرحته فى ترجمته فلا حاجة الى اعادته وبلغ صلاح الدين ان انسانا يقال له الكنز جمع باسوان خلقا كثيرا من السودان وزعم انه يعيد الدولة المصرية وكان أهل مصر يؤثرون عودهم فانضافوا الى الكنز المذكور فجهز صلاح الدين اليه جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل وسار والتقوا وكسروهم وذلك فى السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة واستقرت له قواعد الملك وكان نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح اسمعيل المذكور فى ترجمة أبيه وكان بدمشق عند وفاة أبيه وكان بقلعة حلب شمس الدين على بن الداية وشاذبخت وكان ابن الداية قد حدثته نفسه بامور فسار الملك الصالح من دمشق الى حلب فوصل الى ظاهرها فى المحرم من سنة سبعين ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين حسن بن الداية فقبض على سابق الدين ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة فى السجن وفى ذلك اليوم قتل أبو الفضل ابن الخشاب لفتنة جرت بحلب وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم لانهم تولوا تدبير ذلك ثم ان صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم ان ولده الملك الصالح صبى لا يستقل بالامر ولا ينهض باعباء الملك واختلت الاحوال بالشام وكاتب شمس الدين المقدم ذكره صلاح الدين فتجهز من مصر فى جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرا انه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها بالتسليم فى يوم الثلاثاء سلخ ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها وكان أول دخوله دار أبيه (قلت وهى الدار المعروفة بالشريف العقيقى) وهى اليوم فى قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك بالعقيقى قال واجتمع الناس اليه وفرحوا به وأنفق فى ذلك اليوم مالا جزيلا وأظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة وسار الى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها فى جمادى الاولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها وتوجه الى حلب ونازلها فى يوم الجمعة سلخ جمادى الاولى من السنة وهى الوقعة الاولى ثم ان سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم ان الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه وخاف ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه فى الملك وتعدى الامر اليه فانفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب فى مستهل رجب من السنة عائدا الى حماة ورجع الى حمص فأخذ قلعتها ووصل عز الدين مسعود الى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ وخرجوا فى جمع عظيم فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه

عسلى بن عبد العزيز المعروف بام الولد زاده بقوله فى الرسالة القلمية
(شعر)
ملاذ الخلق فى الاحوال طرا
ومن يبغى له المكروه خابا
وبيت العلم عمر وزمنيح
له قد كان ذاك الحبر بابا
ففاز من الرياسة بالحظ الوافر وأصبح بابه ملجأ الاصاغر والاكابر وقصده العلماء والشعراء بالرسائل الشريفة والاشعار اللطيفة وتوجه اليه أرباب الحاجات بالتحف السنية والهدايا السمية فاجتمع عنده من نفائس الكتب والتحف والاموال مالم يتفق لغيره من الامثال الى ان انتقل بتاقيسه الكرام الى دار السلام فقابله الدهر بالانقباض ونظر اليه بعين الاعراض وأزل قدره ونقص قدره وهكذا الدهر

ورأوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم والقضاء يجر الى أمور وهم بها لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى أن انكسروا بين يديه وأسر جماعة منهم فمنّ عليهم وذلك في تاسع شهر رمضان من السنة عند قرون حماة ثم سار عقيب كسرتهم ونزل على حلب وهي الوقعة الثانية فصالحوه على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ولما جرت هذه الوقعة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزم على أخذها منه لانه كان قد انتمى الى صلاح الدين وكان قد قارب أخذها فلما بلغه الخبر ان عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه فراسله وصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار الى البيرة وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وأرسل الى ابن عمه الصالح نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل عليها ثم انه وصل الى حلب وخرج الملك الصالح الى لقائه وأقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ثم نزل وسار الى تل السلطان (قلت وهي منزلة بين حماة وحلب) قال ومعه جمع كبير وراسل صلاح الدين الى مصر يطلب عسكرها فوصل اليه وسار به حتى نزل الى قرون حماة ثم تصافوا بكرة الخميس العاشر من شوال سنة احدى وسبعين وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين (قلت هو صاحب اربل المقدم ذكره) قال فانه كان على ميمنة سيف الدين فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم وأسر منهم جماعة من كبار الامراء فمنّ عليهم وأطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ونزل في بقية ذلك اليوم في خيامهم فانهم تركوا أثقالهم وانهزموا ففرق صلاح الدين الاصطبلات ووهب الخزائن وأعطى خيمة سيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاه (قلت هو ابن شاهان شاه بن أيوب وهو أخو تقي الدين عمر صاحب حماة وفرخشاه صاحب بعلبك وهو والد الملك الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك) قال وسار الى منبج فتسلمها ثم سار الى قلعة عزاز يحاصرها وذلك في رابع ذي القعدة من سنة احدى وسبعين وفيها وثب جماعة من الاسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله سبحانه منهم وظفر بهم وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ثم سار حتى نزل على حلب في سادس عشر الشهر المذكور وأقام عليها مدة ثم رحل عنها وكانوا قد أخرجوا اليه ابنة صغيرة لنور الدين سألته عزاز فوهبها لها ثم عاد صلاح الدين الى مصر ليتفقد أحوالها وكان مسيره اليها في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل اليه من اليمن فاستخلفه بدمشق ثم تأهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم (قلت وذلك الامر يطول شرحه) قال فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون اليه فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهنا عظيما جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة وأما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط أمره وقبض على كمشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعا فيها وذلك في جمادى الاخرى من السنة فلما رأى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاخير من شهر رمضان من السنة ثم رحل الفرنج عنها وأقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثها وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود اليه واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج أرسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الارمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون (قلت وهي بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل) قال لينصر قليج أرسلان عليه فتوجه اليه واستدعى عسكر حلب لانه كان في الصلح انه متى استدعاه حضر اليه ودخل بلاد ابن لاون وأخذ في طريقه حصنا وأخربه ورغبوا اليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجاب الى ذلك وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل في الصلح قليج أرسلان والمواصلة وعاد بعد تمام الصلح الى دمشق ثم منها الى مصر ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمة والده وكان قد استحلف أمراء حلب وأجنادها لابن عمه

يرفع ويستنزل وينصب ويعزل (بيت)

أرى الدهر الا منجنونا باهله
وما صاحب الحاجات الا معذبا

(توفي رحمه الله تعالى في أواسط رجب سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عارفا محبا للعلم وأهله ساعيا في اقتناء الكتب النفيسة ضنا بها ضنة المحب بالمحبوب ولم يزل مجدا في تحصيلها حتى كتب في آخر عمره تفسير المفتي أبي السعود وتقيد بالتجرد والانفراد ولم يترك من يقوم مقامه من الاقارب والاولاد فتفرق نفائس كتبه أيدي سبا فزعزعته الدبور * وزعزعته الصبا * (ومن أرباب المجد والافادة المعروف بالاحسان والاجادة المولى شمس الدين أحمد بن المولى بدر الدين الشهير بقاضي زاده)

عز الدين مسعود صاحب الموصل (قلت وقد تقدم ذكره وهو ابن عم قطب الدين مودود) فلما مات سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته قام مقامه أخوه عز الدين مسعود المذكور قال فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وأنه أوصى له بحلب بادر الى التوجه اليها خوفا أن يسبقه صلاح الدين فيأخذها وكان أول قادم اليها مظفر الدين ابن زين الدين (قلت هو صاحب اربل وكان اذ ذاك صاحب حران وهو مضاف الى المواصلة لان تلك البلاد كانت لهم) قال فوصلها مظفر الدين في ثالث شعبان سنة سبع وسبعين وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد الى القلعة فاستولى على ما فيها من الحواصل وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة (قلت) ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أمورا ذكرتها في ترجمة عز الدين مسعود بن مودود وترجمة أخيه عماد الدين زنكي وترجمة تاج الملوك بوري أخي صلاح الدين فلا حاجة الى اعادتها ههنا فمن أراد الوقوف عليها يكشفها في هذه التراجم (قلت) وحاصل الامر ان عز الدين مسعود قايض أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار عن حلب بسنجار وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكي فجاءه صلاح الدين وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة وقال ابن شداد نزل عليها في سادس عشر المحرم والله أعلم فتحدث عماد الدين زنكي مع الامير حسام الدين طمان بن غازي في السر عما يفعله فاشار عليه بان يطلب منه بلادا وينزل له عن حلب بشرط ان يكون له جميع ما في القلعة من الاموال فقال له عماد الدين وهذا كان في نفسي ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين في السر على تقرير القاعدة في ذلك فاجابه صلاح الدين الى ما طلب ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر صفر من السنة وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار وأخذها في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقي الدين عمر فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاها عماد الدين وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد اليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وجعل فيها ولده الملك الظاهر المتقدم ذكره في ترجمة مستقلة وكان صبيا وولى القلعة سيف الدين يازكوج الاسدي وجعله يرتب مصالح ولده ثم سار صلاح الدين الى دمشق في التاريخ المذكور وقال ابن شداد وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة المذكورة وسير الى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك فسار اليه بجمع كثير وجيش عظيم واجتمع به على الكرك في رابع شعبان من السنة فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا واحتشدوا كثيرا وطلبوا الى الكرك ليكونوا في قبالة عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على الديار المصرية فسير اليها ابن أخيه تقي الدين عمر ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة واستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة وأعطاه حلب ودخلها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة وخرج الملك الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق في يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنة وكان الملك الظاهر احب أولاده اليه لما فيه من الخلال الحميدة ولم يأخذ منه حلب الا لمصلحة رآها في ذلك الوقت وقيل ان العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد والله أعلم ثم ان صلاح الدين رأى عود الملك العادل الى مصر وعود الملك الظاهر الى حلب أصلح قيل كان سبب ذلك ان الامير علم الدين سليمان بن جندر قال لصلاح الدين وكان بينهما موانسة قبل ان يملك البلاد وقد سايره يوما وكان من أمراء حلب والملك العادل لا ينصفه ويقدم عليه غيره وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل وحمل الى حران وأشفي على الهلاك فلما عوفي رجع الى الشام واجتمعا في المسير فقال له وكان صلاح الدين قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد بأي رأي كنت تظن ان وصيتك تمضي كأنك كنت خارجا الى الصيد وتعود فلا يخالفونك أما تستحي أن يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا أراد الطائر أن يعمل عشا للفراخ قصد

كان أبو السرور من عتقاء الوزير علي باشا العتيق وقد تصرف في عدة من المدارس والمناصب الى أن صار قاضيا بمدينة أدرنه في دولة السلطان بايزيد خان وفي دولة المرحوم وأنوار العز والشرف من طوالع شموسه شارقة وآثار المجد والشرف في مطالع بدوره بارقة فعن قريب حقق ما تفرس فيه النظار من الظهور والشهرة كالشمس في وسط النهار قرأ رحمه الله على علماء عصره وأفاضل دهره منهم المولى محمد المعروف بجوي زاده والمولى سعدي محشي البيضاوي وصار ملازما من المولى القادري ودرس أولا بالقسرهادية بخمسين وعشرين ثم بمدرسة ابن ولي الدين بثلاثين ثم بمدرسة بلدرمخان بأربعين الكل بمدينة بروسه ثم بمدرسة علي باشا

أعالي الشجر لحمى فراخه وأنت سلمت الحصون الى أهلك وجعلت أولادك على الأرض هذه حلب وهي أم البلاد بيد أخيك وحماة بيد ابن أخيك وحمص بيد ابن أسد الدين وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرجه متى شاء وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد فقال له صدقت فاكتم هذا الأمر ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاها ولده الملك الظاهر وأعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفر الشام على أولاده فكان ما كان (قلت) وقد تقدم في ترجمة عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرات ولم يقدر عليها قال شيخنا ابن الأثير في تاريخه انه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء وعزم على المقام واقطاع جميع الموصل وكان نزوله في شعبان من سنة احدى وثمانين وخمسمائة فأقام شعبان وشهر رمضان وترددت الرسل بينه وبين صاحبها فبينما هو كذلك مرض صلاح الدين فعاد الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى ما طلب وتم الصلح على أن يسلم اليه صاحب الموصل شهرزور وأعمالها وولاية القرابلي وما وراء الزاب من الأعمال وأن يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة فلما حلف أرسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها وطال المرض على صلاح الدين بحران واشتد به حتى يئسوا منه فحلف الناس لأولاده وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمان وأخوه العادل جاءه من حلب وهو يملكها [illegible] وجعل لكل واحد شيئاً من البلاد وجعل الملك العادل وصياً على الجميع ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم من سنة اثنتين وثمانين ولما كان مريضاً بحران كان عنده ناصر الدين محمد ابن عمه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص واجتاز بحلب وأحضر جماعة من الأحداث ووعدهم وأعطاهم مالاً على تسليم دمشق اليه اذا مات صلاح الدين فعوفي فلم يمض الا قليل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد النحر من السنة فانه شرب الخمر فأكثر منه فأصبح ميتاً وقيل ان صلاح الدين وضع عليه انساناً فحضر عنده ونادمه وسقاه سماً فلما أصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص وكان يقال له الناصح بن العميد فسألوا عنه فقالوا انه سار من ليلته وكان هذا مما قوى الظن والله أعلم فلما توفي أعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف من الأموال والدواب والآلات شيئاً كثيراً فحضر صلاح الدين الى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه ثم قال شيخنا بعد هذا الكلام وبلغني ان شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له الى أين بلغت في القرآن فقال له الى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً فعجب الجماعة وصلاح الدين من ذكائه والله أعلم بصحة ذلك قال ابن شداد ولما وصل صلاح الدين الى دمشق عقيب مرضه وابلاله منه طلب أخاه الملك العادل فخرج من حلب جريدة يوم السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين ومضى الى دمشق فأقام في خدمة السلطان صلاح الدين وجرت بينهما أحاديث ومراجعات وقواعد تقرر الى جمادى الآخرة من السنة فاستقر الأمر على عود الملك العادل الى مصر وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر اليها ودخل قلعتها يوم السبت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر انه دخل حلب مالكاً لها في مثل يوم وفاته وعينت هناك التاريخ واسم اليوم هكذا وجدته وما أدري من أين نقلته وسلم السلطان ولده الملك العزيز الى العادل وجعله أتابكه قال ابن شداد قال لي الملك العادل لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للملك العزيز اعلم يا مولانا ان السلطان أمرني ان أسير في خدمتك الى مصر وأنا أعلم ان المفسدين كثير وما يخلو أن يقال عني ما لا يجوز ويخوفونك مني فان كان لك عزم أن تسمع منهم فقل لي حتى لا أجيء فقال كيف يتهيأ لي ان أسمع منهم أو ارجع الى رأيهم ثم التفت الى الملك الظاهر وقلت له أنا أعرف ان أخاك ربما سمع في أقوال المفسدين وأنا فما لي الا أنت وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدري من جانبه فقال مبارك وذكر كل خير وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل ودخل بها يوم الأربعاء السادس والعشرين من رمضان من السنة ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين قال وكانت في يوم

بسلطانية بتسعين بواسطة كونها مشروطة لعتقاء الوزير المرحوم وأولادهم ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى مدارس السلطان سليمان وهو أول مدرس بها على ما سبق ذكره مرة ثم قلد قضاء حلب بعدما قاسى من آلام النكث والتعب وبعد عدة سنين رفع عن القضا ووقع منه في غاية الحزن والأسى الى ان ساعده بعض الأهالي بالهمم السنية فنصب قاضياً بسلطانية المحمية ثم نقل الى قضاء العساكر المنصورة في ولاية روم ايلي المحروسة فبعد سبعة أشهر اختل أمره وأزعج سعره فقرع طائر عزه وطار قبل ان يقضي الأوطار وذلك

السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة وكان كثيرا ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الاسلامية وكانت عدة تجوز العد والحصر على تعبية حسنة وهيئة جميلة وكان قد بلغه عن العدو انه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الاسلامية فسار ونزل على بحيرة طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له اذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولم يخرجوا من منازلهم وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر فلما رآهم لا يتحركون عن منزلهم نزل جريدة على طبرية وترك الاطلاب على حالها قبالة العدو ونازل طبرية وهجمها واخذها في ساعة واحدة وانتهب الناس ما بها واخذوا في القتل والسبي والحريق وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصرها ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها وذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر وحال الليل بين العسكرين فباتا على مصاف الى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين فركب العسكران وتصادما والتحم القتال واشتد الامر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون الى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق الا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين بمقامه وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وانهم لا ينجيهم الا الاجتهاد في القتال فحملت أطلاب المسلمين من كل جانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد الله أكبر فألقى الله تعالى الرعب في قلوب الكافرين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولما أحس القومص بالخذلان هرب منهم في أوائل الامر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب وأطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش وضاق بهم الامر حتى كادوا يستسلمون للاسر خوفا من القتل فأسر مقدموهم وقتل الباقون وكان ممن أسر من مقدميهم الملك جفري وأخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك وابن الهنفري وابن صاحب طبرية ومقدم الداوية وصاحب جبيل ومقدم الاسبتار قال ابن شداد ولقد حكى لي من أثق به انه رأى بحوران شخصا واحدا معه نيف وثلاثون أسيرا قد ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان ثم ان القومص الذي هرب في أول الامر وصل الى طرابلس فأصابه ذات الجنب فهلك منها وأما مقدما الاسبتارية والداوية فان السلطان قتلهما وقتل من بقي من صنفهما احياء وأما البرنس ارناط فان السلطان كان قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك لانه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك السلطان فحملته حميته ودينه على ان يهدر دمه ولما فتح الله عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة لانها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسارى وصار الناس يتقربون اليه بمن في أيديهم منهم وهو فرح بما فتح الله تعالى على يديه للمسلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما أنعم به عليه واستحضر الملك جفري وأخاه والبرنس ارناط وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها البرنس وقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سقيته وأما أنا فما سقيته وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم أمر بمسيرهم الى موضع عينه لهم فمضوا بهم اليه فأكلوا شيئا ثم عادوا بهم ولم يبق عنده سوى بعض الخدم

فاستحضرهم

بالوحشة الواقعة بينه وبين المولى عطاء الله معلم السلطان سليم خان فتقاعد بوظيفة مثله ثم قلد تدريس دار الحديث بمدينة أدرنه وعين له كل يوم مائتا درهم ثم ترك وعاد الى قسطنطينية وفي أثنائه جلس السلطان مراد خان على سرير السلطنة فأعاد المرحوم الى قضاء العسكر بالولاية المزبورة لما سمع منه من الفضيلة الباهرة والصلابة الدينية الظاهرة فعاش مدة في كنف العز والسلطان شامخ الانف ماضي الحكم نافذ القول في الجليل والحقير جاري الحكم في الكبير والصغير الى أن قلد الفتوى بدار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية فداوم على الافتاء والدرس الى أن أفضت به المنية الى الرمس (وذلك في اواخر الربيعين سنة ثمان

فاستحضرهم وأقعد الملك في دهليز الخيمة واستحضر البرنس ارناط وأوقفه بين يديه وقال له ها أنا أنتصر لمحمد
منك ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل فسل النمشاة فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر وأخرجت جثته
ورميت على باب الخيمة فلما رآه الملك على تلك الحالة لم يشك في أنه يلحقه به فاستحضره وطيب قلبه
وقال له لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فقد تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء وبات الناس في تلك
الليلة على أتم سرور ترتفع أصواتهم بحمد الله تعالى وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل
السلطان على طبرية يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام
عليها الى يوم الثلاثاء ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعاء سلخ ربيع الآخر وقاتلها بكرة يوم
الخميس مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين فأخذها واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين وكانوا
أكثر من أربعة آلاف أسير واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر والبضائع لانها كانت مظنة التجار
وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعة فأخذوا نابلس وحيفا
وقيسارية وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوها من الرجال لان القتل والاسر أفنى كثيرا منهم ولما
استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأساراها سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الاحد حادي عشر جمادى
الاولى وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها وكان فيها أبطال معدودون
في دينهم متشددون فقاتلوا قتالا شديدا ونصره الله سبحانه وتعالى عليهم فتسلمها منهم يوم الاحد ثامن عشره
عنوة وأسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد نزوله عليها وهو يوم الاربعاء
الحادي والعشرين من جمادى الاولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى بيروت فنزل عليها ليلة
الخميس الثاني والعشرين من جمادى الاولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في
يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور وتسلم أصحابه جبيل وهو على بيروت ولما فرغ باله من
هذا الجانب رأى قصده عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها ثم رأى أن العسكر تفرق في الساحل
وذهب كل واحد يحصل لنفسه وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب والنزال وكان قد اجتمع في
صور من بقي في الساحل من الفرنج فرأى أن قصده عسقلان أولى لانها أيسر من صور فأتى عسقلان ونزل
عليها يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة وتسلم في طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة
والداروم وأقام على عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من
السنة وأقام عليها الى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون من غير قتال وكان بين فتح عسقلان
وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فانهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من
جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في السيرة وذكر الشهاب
ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا انهم أخذوها من المسلمين في رابع عشر
جمادى الآخرة من السنة قال ابن شداد ولما تسلم عسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد
والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه
معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره اليه منتهزا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى
الله عليه وسلم من فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه يوم الاحد الخامس عشر
من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان نزوله بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة
والرجالة وحزر أهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يربون على ستين ألفا خارجا عن
النساء والصبيان ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق
وضايق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم
من الامر الذي لا مدفع له عنهم وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم
لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والاسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم وتحققوا أنهم

وثمانين وتسعمائة) ودفن
بالمكان الذي عينه داخل
البلدة قريبا من جامع
السلطان محمد خان رحمه الله
تعالى بأستار الرحمة
والغفران كان المرحوم
من الجهابذة القروم
طالما جال في ميدان
الفضائل فبرز وأحرز من
قصبات السبق في مضماره
ما أحرز أقلام من عارضه
بشقاشقه الهادرة وأرغم
من عاداه بحقائقه النادرة
كثير الاعتناء بدرسه دائم
الاشتغال في يومه وأمسه
رفيع القدر شديد الباس
عزيز النفس مهابه الناس
له شرح الهداية من أول
كتاب الوكالة الى آخر الكتاب
وحاشية على الشرح
الشريف للمفتاح من
أوله الى آخر الفن الثاني
وحاشية على أول صدر
الشريعة وحاشية التجريد
من بحث الماهية ورسائل

انهم صائرون الى ماصار أولئك اليه فاستكانوا وأخذوا فى طلب الامان واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين وكان تسليمه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم فانظر الى هذا الاتفاق الغريب العجيب كيف يسر الله تعالى عوده الى المسلمين فى مثل زمن الاسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من أهل العلم خلق ومن أرباب الحرف والزهد عالم وذلك ان الناس لما بلغهم مايسره الله تعالى على يده من فتح الساحل وقصد القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الاصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصليت فيها الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب (قلت) وقد تقدم فى ترجمة القاضى محيى الدين محمد بن على المعروف بابن الزكى ذكر الخطبة التى خطب بها ذلك اليوم فيكشف منه ورأيت فى رسالة القاضى الفاضل المعروفة بالقدسية ان الخطبة أقيمت يوم الجمعة رابع شعبان واذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد تقدم ذكر الخطبة التى خطب يوم الجمعة بها يليق أن نذكر الرسالة التى كتبها القاضى الفاضل الى الامام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد ابن الامام المستضىء بأمر الله تتضمن الفتوح فانها بديعة بليغة فى بابها ولم أذكرها بكمالها بل اخترت منها أحسنها وتركت الباقى لانها طويلة وهى أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوى ولازال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن رأى كل زائد موقوف المساعى عن اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ النصر والنصل فى جفنه راقد وارد الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعى الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ماضى حكم العدل بعزم لا يمضى الا بنبل غوى ورئيس راشد لازالت غيوث فضله الى الاولياء أنواء الى المراتع وأنوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراتب قد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ماصدر عنه مما كان يجرى مجرى التباشير لصبح هذه العزمه والعنوان لكتاب وصف النعمه فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل ولطف تحمل الشكر فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر فى شرحها مآرب ويسرى الاسرار فى اظهارها مشارب ولله تعالى فى اعادة شكرها رضا وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ولقد صارت أمور الاسلام الى أحسن مصايرها وقد استتبت عقائد أهله على أبين بصائرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الآن فى وطنه والفوز معروضا قد بذلت الانفس فى ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفا وأهل ربعه وكان قد عفى حين عفا وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمه وأدلجت السيوف الى الآجال وهى نائمة وصدق وعد الله فى اظهار دينه على كل دين واستطارت له أنوار أبانت ان الصباح عندها حيان الجبين واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النأى طارقا واستقرت على الاعلى أقدامهم وخفقت على الاقصى أعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وان كانت صخرة قلوبهم كما يشفى الماء غليلهم ولما قدم الدين عليها عرف منها سويداء قلبه وهنأ كفؤها الحجر الاسود ببت عصمتها من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه الا لهذه العظمى ولا يقاسى تلك البؤسى الا رجاء هذه النعمى ولا يناجز من يستملكه فى حربه ولا يعاتب بأطراف القنا من يتمادى فى عتبه الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هى العليا وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاحتقار وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر ومن سما لأن يجلى غمرة غامر والآفات العقود تلين تحت نيوب الاعداء العاجم فيعضها ويضعف فى أيديها مهز القوائم فيقضها هذا الى كون القعود لا يقضى به فرض الجهاد ولا يراعى به حق العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذى طوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وكانوا يعدلون وخلفا كانوا فى مثل هذا اليوم يتساءلون لا جرم أنهم أورثوا سرهم وسريرهم خلفهم الاطهر ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفة وطليعتهم

على مواضع أخر وقد كان رحمه الله أيام قضائه بالعسكر ثانيا سن سنة جميلة حسنة جليلة وهو تقديم قضاة العسكر على غير الوزراء وأمير الامراء فى الولايتين فقط وكان قبل ذلك يتقدم عليهم كل من كان أمير الامراء فى الممالك وبالجملة كان رحمه الله عين الاعيان وقدوة الزمان وفارس الميدان غير ان فيه من التهور المفرط والحدة مازاد على المعتاد ستره الله تعالى بفضله يوم التناد

(ومنهم العالم الامجد مولانا أحمد المشهور بقطاوم مالك)

كان رحمه الله من ملازمى المولى جعفر من جملة الصدور فى الدولة السلمانية ودرس أولا بمدرسة ابراهيم باشا بعشرين ثم بمدرسة ابن باباس بخمسة وعشرين وكلتاهما بقسطنطينية ثم

المنيفة وصلوات صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم و بياض الصحيفة فما غابوا الحاضر ولا غضوا الناظر
بل وصلهم الاجر لما كان به موصولا وشاطروا العمل لما كان عنه مسئولا ومنه مقبولا وتخاص الهمم
الى المضاجع فاطمأنت به جنوبها والى الصحائف ما عبقت به جيوبها وفاز منها بذكر لا يزال الليل به
سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهتدي بانواره بل ان بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأن واره فانه نور
لا تكنه اغساق السدف وذكر لا تواريه أوراق الصحف وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو
الذي تشظت قناته وطارت من فرقه فرقا وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الاكثر عددا
وحصا وكلت حملاته وكان قدرا يضرب فيه العنان بالعنان وعقوبة من الله ليس لصاحب بها يدان
وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفة وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ونام جفن
سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون وجدعت انوفه رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى
أو راعفة بالمنون وأضحت الارض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم
الثالث بيوت الكفر مهدومه ونيوب الشرك مهتومه وطوائفه المحامية مجمعة على تسليم القلاع
الحامية وشجعانه المتوافية مذعنة لبذل القطائع الوافية لا يرون في ماء الحديد لهم عصره ولا في نار
الالفة لهم نصره قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ونقل بيت عبادته من
أيدي أصحاب المشأمة الى أيدي أصحاب الميمنة وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الاولى فامده الله بتداركه
وأنجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر وأسر
منهم من أسرت به السلاسل وقتل منهم من فتكت به المناصل وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح
والكفار وعن اصناف بخيل فالة فتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار فنيلوا بثار من السلاح ونالوا
أيضا بثار فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كالعراجين وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى
صارت كالمطاعين وكم فارسة تركض عليها فارسها الشهم الى أجل فاختلسه وفغرت اليه القوس فاها
فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة وافترسه فكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا وكان
الضلال صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا وأسر الملك وبيده أوثق
وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو صليب الصلبوت وقائد أهل الجبروت ما دهموا قط بأمر
الا وقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه لا جرم انهم يتهافتون على ناره
فراشهم ويجتمع في ظل ظلاله خشاشهم ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقه ويرونه
ميثاقا يبنون عليه أشد عهد وأوثقه ويعدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه وفي هذا اليوم أسرت
سراتهم وذهبت دهاتهم ولم يفلت منهم معروف الا القومص وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال
مليا يوم الخذلان بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار خوفا من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف
ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده وأهلكه لموعده فكان لعدتهم فذالك وانتقل من مالك الموت الى مالك
وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا البيضاء صنعا
الخافقة هي وقلوب أعدائها الغالبة هي وعزائم أوليائها المستضاء بأنوارها اذا فتح عينها النصر وأشارت
بأنامل العذبات الى وجه النصر فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها أمصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا
وهي مزارع وفدن كل هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزائر وجوامع ومنابر وجموع وعساكر
يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ويحصد منها كفرا ويزرع ايمانا
ويحط من جوامعها صلبانا ويرفع أذانا ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ويبوئ أهل القرآن
بعد أهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد ويقر عينه وعيون أهل الاسلام أن تعلق النصر منه ومن
عسكره بجار ومجرور وأن يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزلزال به عسرا الى يوم النفخ في الصور
ولما لم يبق الا القدس وقد اجتمع اليه كل شريد منهم وطريد واعتصم بمنعته كل قريب منهم وبعيد وظنوا

مدرسة أمير سلطان في بروسه بثلاثين ثم مدرسة والدة الامير عثمان شاه كلتاهما بقسطنطينية ثم أصبح معلما لابناء السلطان سليم خان في الدار العامرة فلما جلس السلطان مراد خان على سرير السلطنة وقتل اخوته على ما هو العادة السلطانية من زمن السلطان محمد خان فاتح قسطنطينية المحمية بقي المرحوم برهة من الزمان في الذل والهوان مبتلى بالهموم والاحزان ثم قلد قضاء بيت القدس ثم نقل الى قضاء المدينة المنورة ثم الى قضاء مكة المشرفة ثم عزل عنه وجاء الى قسطنطينية فلم يلبث في

أنها من الله مانعتهم وأن كنيستها الى الله سبحانه شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد وجمعا كيوم
التناد وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته
فزاول البلد من جانب فاذا أودية عميقة ولجج وعرة غريقة وسور قد انعطف عطف السوار وأبرجة قد
نزلت مكان الواسطة من عقد الدار فعدل الى جهة أخرى كان للمطامع عليها معرج وللخيل فيها متفرج
فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ويزاحمه السور بأكتافه
وقابلها ثم قاتلها ونزلها ثم نازلها وحاجزها ثم ناجزها وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فاذاهم
لا يصبرون على عبودية الحد عن عتق الصفح فراسلوا ببذل قطيعة الى مده وقصدوا نظرة من شدة وانتظار
النجده فعرفهم الخادم في لحن القول وأجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات
الحصون عصيها وحبالها وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها
فصافحت السور فاذا سهمها في ثنايا شرفاته سواك وقدم النصر نسرا من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض
ويعلو علوه الى السماك فشج مرادع أبراجها وأسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ورفع مثار عجاجها فأخلى
السور من السيارة والحرب من النظارة وأمكن النقاب أن يسفر للحرب النقاب وأن يعيد الحجر الى سيرته
الاولى من التراب فتقدم الى الصخر فمضغ سرده بأنياب معوله وحل عقده بضربه الاخرق الدال على لطافة
الانملة وأسمع الصخرة الشريفة أنينه باستغاثته الى أن كادت ترق لمقلبه وتبرأ بعض الحجارة من بعض وأخذ
الخراب عليها موثقا فلن يبرح الارض وفتح من السور بابا سد من نجاتهم أبوابا وأخذ ينقب في حجره فقال
عنده الكافر يا ليتني كنت ترابا فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور
وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفي الحال خرج طاغية كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا
أن يؤخذ البلد بالسلام لا بالعنوه وبالامان لا بالسطوه وألقى بيده الى التهلكه وعلاه ذل الهلكة
بعد عز المملكه وطرح جبينه على التراب وكان جبلا لا يتخطاه طارح وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح
اليه أمل طامح وقال هونا أسارى مسلمون يتجاوزون الالوف وقد تعاقد الفرنج على أنهم ان هجمت
عليهم الدار وحملت الحرب على ظهورهم الاوزار بدأوا بهم فعجلوا وثنوا بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوهم
ثم استقتلوا فلا يقتل خصم الا بعد أن يتصف ولا يسلب سيف من يد الا بعد أن تقطع أو ينقصف فأشار الامراء
بأخذ الميسور من البلد المأسور فانه لو أخذ حربا فلا بد أن يقتحم الرجال الانجاد ويبذلون نفوسها في آخر أمر
قد نيل من أوله المراد وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات وأثقل الحركات
فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون وملك الاسلام
خطة كان عهده بها دمنة سكان فخدمها الكفر الى أن صارت روضة جنان لا جرم أن الله تعالى أخرجهم
منها وأهبطهم وأرضى أهل الحق وأسخطهم فانهم خذلهم الله حموها بالاسل والصفاح وبنوها بالعمد
والصفاح وأودعوا الكنائس بها وبيوت الداوية والاسبتارية منها كل غريبة من الرخام الذي لا يطرد ماؤه
ولا يتطرد لألاؤه قد لطف الحديد في تجزيعه وتفنن في توشيعه الى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد
كالذهب الذي فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمدا كالاشجار
لها من التنبيت أوراق وأوعز الخادم برد الاقصى الى عهده المعهود وأقام له من الائمة من يوفيه ورده
المورود وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات يتفطرن للنجوم لا للوجوم والكواكب
منها تنتثر للطرب لا للرجوم ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة وظهرت قبور الانبياء
وكانت بالنجاسات مكدودة وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها وجهرت الالسنة بالله أكبر وكان سحر
الكفر يعقدها وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الاشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر بمن بر وخفق
علماه في حفافيه فلو طار سرورا لطار بجناحيه وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح بقية الثغور واستشراح
ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها وأيام الشتاء قد أوردت

هذه الحظيرة الامينة بسيرة
وانتقل الى رحمته وبره
الكثيرة (وذلك سنة تسع
وثمانين وتسعمائة) كان
رحمه الله عالما عاملا نصيحا
ذا محامد العقيدة صاحب
الاخلاق الحميدة مع كمال
السكينة والوقار والاعتبار
والاعتبار عامله الله تعالى
بلطفه في دار القرار
*(ومن سلالة أرباب المجد
والجدود عبد الواسع بن
محمد بن المولى أبي السعود)*
نشأ رحمه الله منظور
أنظار جده العالية فظفر
من المعالي بما لا يمكن تحصيله
بالاثمان الغالية ودرس
أولا بمدرسة محمود باشا
لا بسعيه وجده بل تشريفا
لجانب جده ثم نقل الى

مواردها

سوارها والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها فهي بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الاساطيل لبحرها وتقام المرابط بساحلها ويدأب في عمارة أسوارها ومرمات معاقلها وكل مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة واطماع الفرنج بعد ذلك غير منحسمة ولا معتزلة فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله ان لا تسمع ولن يمكنوا أيديهم من أطراف البلاد حتى تقطع وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الالسنة تتشخص ولا بما سوى المشافهة تتخلص فلذلك نفذ الخادم لسانا شارحا ومبشرا صادحا يطالع بالخبر على سياقته ويعرض جيش المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان والله الموفق * هذا آخر الرسالة الفاضلة وكان في عزمي اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي عسى ان يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها فاكملتها ورجعت عن الرأي الاول وهي قليلة الوجود في أيدي الناس وكانت النسخة التي نقلتها سقيمة ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صحت هذه الصورة حسب الامكان ووقفت على عماد الدين الاصبهاني الكاتب رسالة في فتح القدس أيضا فآثرت التطويل بكتابتها فتركتها وجمع كتابا سماه الفتح القسي في الفتح القدسي وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة ورأيت منذ زمان رسالة مليحة انشأها ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزري رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف النون تتضمن فتح القدس أيضا وكل واحد من أرباب صناعة الانشاء كان يريد أن يتضمن خاطره عملا يعمل في ذلك والقاضي الفاضل رئيس هذا الفن واذا شرع في شيء من هذا الباب لا يستطيع أحد أن يجاريه ولا يباريه فلهذا أثبت رسالته ورفضت غيرها خوف الاطالة وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور هذا الفتح فانشد السلطان صلاح الدين قصيدته المشهورة التي أولها

م هذا الذي كانت الايام تنتظر * فليوف لله أقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت يمدحه ويهنيه بالفتح واذ قد تعين المطلوب من هذا الامر فلنرجع الى تتمة ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد في السيرة الصلاحية قال ونكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلا عظيما ونصر الله الاسلام على يده نصرا عزيزا قلت وقد تقدم في ترجمة أرتق طرف من أخبار القدس وان الافضل أمير الجيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان وايلغازي ثم ان الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقيل في ثاني شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه صلاح الدين في التاريخ المذكور (نعود الى كلام ابن شداد) وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية وعن كل ذكر صغير أو أنثى دينارا واحدا فمن احضر قطيعته نجا بنفسه والا أخذ أسيرا وافرج عمن كان بالقدس من اسارى المسلمين وكانوا خلقا عظيما وأقام به يجمع الاموال ويفرقها على الامراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم بايصال من أقام بقطيعته الى مأمنه وهي مدينة صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جبي له شيء وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس حسن عنده فتح صور وعلم انه ان أخر أمرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ثم رحل عنها متوجها الى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة فنزل قريبا منها وأرسل لاحضار آلات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور وقاتلها وضايقها قتالا عظيما واستدعى اسطول مصر فكان يقاتلها في البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السنة ثم خرج أسطول صور في الليل فكبس أسطول المسلمين وأخذوا المقدم والرئيس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المسلمين وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الامطار واستشارهم فيما

مدرسة السلطان محمد خان بجوار أبي أيوب الانصاري ثم بمدرسة الملا الفناري ثم احدى المدارس الثمان ثم مدرسة السلطان سليم خان بقسطنطينية المحمية ثم الى احدى المدارس السليمانية ثم الى مدرسة السلطان سليم خان بمدينة أدرنه (توفي بها سنة تسعين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا في العلوم ذا عقل سليم وذهن مستقيم حسن الاخلاق طيب الاعراق كثير التلطف مطروح التكلف كتب الخط الحسن النادر الجميل عامله الله تعالى بلطفه الجزيل

*(ومن خاض في تمار عبابه الخ فائق على غيره)

م قوله الايام في نسخة الآمال اه

يفعلون فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر وكان رحيله يوم الاحد ثاني ذي القعدة من السنة وتفرقت العساكر وأعطى كل طائفة منها دستورا وسار كل قوم الى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه عدينة عكا الى ان دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم نزلوا على كوكب في أوائل المحرم من السنة ولم يبق معه من العسكر الا القليل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والاقوات فعلم انه لا يؤخذ الا بقتال شديد فرجع الى دمشق ودخلها في سادس عشر ربيع الاول من السنة قال ابن شداد ولما كان على كوكب وصلت الى خدمته ثم فارقته ومضيت الى زيارة القدس والخليل عليه السلام ودخلت دمشق يوم دخول السلطان اليها (قلت وقد ذكرت هذا في ترجمته) وأقام بدمشق خمسة أيام ثم بلغه ان الفرنج قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعا وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج خروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل الى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه فسار نحو حصن الاكراد قال ابن شداد في السيرة انه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى الاولى من سنة أربع وثمانين وجميع ما ذكرته روايتي عمن أثق به ومن ههنا ما اسطره الا ما شاهدته أو اخبرني به من اثق به خبرا يقارب العيان قال لما كان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الاطلاب وسارت الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الاخير ومقدمها مظفر الدين فوصل الى انطرسوس ضاحي نهار الاحد سادس جمادى الاولى فوقف قبالتها ينظر اليها لانه قصده كان جبلة فاستهان أمرها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الآخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر الى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع ما فيها وما بها وأحرق البلد وأقام عليها الى رابع عشر جمادى الاولى وسلم أحد البرجين الى مظفر الدين فما زال يحار به حتى أخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لانه كان قد طلبه فجاء في عسكر عظيم ثم سار يريد جبلة وكان وصوله اليها في ثاني عشر جمادى الاولى فما استتم نزول العسكر حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالا شديدا ثم سلمت بالامان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الاولى من السنة وأقام عليها الى الثالث والعشرين منه ثم سار عنها الى اللاذقية وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الاولى وهو بلد خفيف على القلب غير مسور وله مينا مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال الى آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لانه كان بلد التجار وجدوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعا وعرضه أربعة أذرع فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا يطلبون الامان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب فاجابهم الى ذلك ورفع العلم الاسلامي عليها يوم السبت وأقام عليها الى يوم الاحد السابع والعشرين من الشهر فرحل عنها الى صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرى ثم تقدموا الى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا الامان فأجابهم اليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران الذكر والانثى سواء وأقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الاخرى وقاتلوها قتالا شديدا الى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله فتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأسر الباقون وغنم المسلمون

خصائص الدقائق المولى محمد بن نور الله المشهر باخي زاده)*
كان أبوه المزبور من القضاة الحاكمين في القصبات والنسبة المزبورة الى جده من جهة أمه المولى أخي يوسف التوقاتي محشي صدر الشريعة نشأ رحمه الله مشيد الاركان حقائق المعاني ومعمر البنيان دقائق المباني الى أن تدرج مراقي المعالي والمآثر وتطلع الى ذرا الفضائل والمفاخر وصاحب الاخيار ولازم الكبار الى أن سحب اذيال الحسد والفخار قرأ مدة على المولى شمس الدين المعروف بعرب جلبي فحصل عنده ما حصل وبلغ مبلغ الكمال ثم تحول على

جميع ما كان فيها وأولها قلعة تسمى الشقراء وهي في غاية المنعة يعسر الوصول اليها لا يعسر وليس عليها طريق فسلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأمهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر ثم سار الى برزية وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة تضرب بها المثل في بلاد الفرنج يحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعا وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه ثم سار الى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالا شديدا ورفع العلم الاسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وأعطاها الامير علم الدين سليمان بن جندر وسار عنها بكرة السبت الثالث والعشرين من الشهر ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة بالقرب من انطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصعد العلم الاسلامي عليها في ثاني شعبان وراسله أهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر من الاستكثار وكان الصلح معهم لا غير على ان يطلقوا كل أسير عندهم والصلح الى سبعة أشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد ثم رحل السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فأجابه الى ذلك فوصل حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حق القيام وسار من حلب فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه واصعده الى قلعة حماة وصنع له طعاما وأحضر له سماعا من جنس ما تعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة وأعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالامان في رابع عشر شوال وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك تسلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك فانه كان أسيرا من نوبة حطين (قلت هكذا ذكره وهذا لا يتعلق مع ما قبله فقد تقدم قبل هذا ان البرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك أسر وقتل صبرا ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن هذا في مكان آخر يحقق) قال ثم سار الى كوكب وقاتلوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والامطار متواترة والوحول والرياح عاصفة والعدو متسلط لعلو مكانه فلما تيقنوا انهم مأخوذون طلبوا الامان فأجابهم اليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة ثم نزل الغور وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا وسار مع أخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لانه كان متوجها الى مصر ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد وتوجه في حادي عشر ذي الحجة الى عسقلان لينظر الى أمورها وأخذها من أخيه العادل وعوضه عنها الكرك ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ثم دخل عكا فأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين وأصلح أمورها ورتب بها الامير بهاء الدين قراقوش واليا وأمره بعمارة سورها وسار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنة وأقام بها الى شهر ربيع الاول من السنة ثم خرج الى شقيف أرنون وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشر شهر ربيع الاول وأقام أياما يباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف انه لا طاقة له به نزل اليه بنفسه فلم يشعر به الا وهو قائم على باب خيمته فأذن له في دخوله اليه وأكرمه واحترمه وكان من أكابر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والاحاديث وكان حسن التأني لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم اليه المكان من غير تعب واشترط أن يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا يقوم به وبأهله وشروطا غير ذلك فأجابه الى ذلك وفي أثناء شهر ربيع الاول وصله الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد أقام عليها جمعا يحاصرونه مدة سنة كاملة الى أن نفد زاد من كان فيه فسلموه بالامان ثم ظهر للسلطان بعد ذلك ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم ظهر له ان الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة وأتى عكا ودخلها بغتة ليقوي قلوب من بها وسير

الوجه المعهود والسنن الموجود ثم قرأ على المولى عبد الباقي وهو في احدى المدارس الثمان ثم على المولى ... أحد صدور هذا الزمان ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس بمدرسة مري باشا بالوري بخمسة وعشرين ثم بمدرسة الجامع العتيق بمدينة أدرنه بثلاثين ولما دعي الوزير الكبير رستم باشا مدرسته الكائنة بقصبة ... نقل المرحوم اليها بأربعين لاستبازه

قوله ثم على المولى أحمد الخ سقط اسمه من الاصل الذي بأيدينا

استدعى العساكر من كل ناحية فأتته وكان العدو بمقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ثم تكاثر
الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل اليها ويخرج وذلك يوم الخميس سلخ رجب فضاق
صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق اليها التستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الامراء فاتفقوا على
مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فأشرف
على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام وتأخر الناس الى تل العياضية وهو مشرف على عكا
وفي هذه المنزلة توفي الامير حسام الدين طمان المقدم ذكره في هذه الترجمة وذلك ليلة نصف شعبان سنة خمس
وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في
ذكرها وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها اذ ليس الغرض سوى المقاصد لا غير واغا ذكرت
فتوحات هذه الحصون لان الحاجة قد تدعو الى الوقوف على تواريخها مع أني لم أذكر الا ما يكثر التطلع الى
الوقوف عليه وأضربت عن الباقي قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له ان الوخم قد عظم بمرج
عكا وان الموت قد فشا في الطائفتين

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

يريد بذلك انه قد رضي أن يتلف اذا أتلف الله أعداءه (قلت) وهذا البيت له سبب يحتاج الى شرح وذلك ان
مالك بن الحرث المعروف بالاشتر النخعي كان من الابطال المشهورة وهو من خواص أصحاب علي بن أبي طالب
رضي الله عنه تماسك في يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان أيضا من الابطال وابن
الزبير هو مع خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وطلحة والزبير رضي الله عنهم وكانوا يحاربون عليا
رضي الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب صدره وفعلا ذلك
مرارا وابن الزبير ينشد

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

يريد الاشتر النخعي هذه خلاصة القول في ذلك وان كانت القصة طويلة وهي في التواريخ مبسوطة وقال
عبد الله بن الزبير لاقيت الاشتر النخعي يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني ستا أو سبعا ثم أخذ برجلي
وألقاني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى عضو أبدا
وقال أبو بكر بن أبي شيبة أعطت عائشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر النخعي
عشرة آلاف درهم وقيل أيضا ان الاشتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا اشتر أنت
الذي أردت قتل ابن أختي يوم الوقعة فأنشدها

أعائش لولا انني كنت طاويا * ثلاثا لالفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه * بآخر صوت اقتلوني ومالكا
فنجاه مني أكله وشبابه * وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زهير بن قيس دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فاذا في رأسه ضربة لو صب فيها قارورة دهن لاستقر
فقال لي أتدري من ضربني هذه الضربة قلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعي (رجعنا الى ما كنا فيه) قال ابن
شداد ثم ان الفرنج جاءهم الامداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الاسلامية بعكا وكان فيهم الامير
سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري والامير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي
وضايقوهم أشد المضايقة الى ان غلبوا على حفظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرى من
سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه
وانهم قد تيقنوا الهلاك ومتى أخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وانهم صالحوا على ان يسلموا البلد وجميع
ما فيه من الآلات والاسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من
جهتهم وصليب الصلبوت على ان يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم
وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لانه كان الواسطة في هذا الامر أربعة آلاف دينار ولما وقف
السلطان على الكتب المشار اليها أنكر ذلك انكارا عظيما وعظم عليه هذا الامر وجمع أهل الرأي من

أكابر

بفضيلته التامة عند الخاصة والعامة ثم قلد مدرسة خير الدين باشا بظاهر قسطنطينية المحمية في الموضع المعروف بيشك طاش بخمسين ثم عزل ثم قلد مدرسة سليمان باشا بازنيق ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان خان ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء بروسه ثم الى قضاء أدرنه ثم صار قاضيا بالعساكر المنصورة بولاية اناطولي المعمورة ثم تقاعد عنه بوظيفة مثله ثم قلد تدريس دار الحديث السليمانية وزيد على وظيفته ستون درهما ثم دام فيها على

أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على أن يكتب في تلك
الليلة مع العوام و يسكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو يتردد في هذا اذ شعر الا وقد ارتفعت اعلام
العدو وصلبانه وناره وشعاره على أسوار البلد وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من
السنة وصاح الفرنج صيحة عظيمة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد أسفهم وحزنهم ووقع فيهم
الصياح والعويل والبكاء والنحيب ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان
ليأخذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره قبالتهم الى أن وصلوا الى أرسوف وكان بينهما قتال
عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من مسيرهم من عكا وأتى السلطان
الرملة وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات فأحضر السلطان
أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم ابقاؤها فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك
العادل قبالة العدو و يتوجه السلطان بنفسه ويخربها خوفا من ان يصل العدو اليها ويستولي عليها وهي
عامرة ويأخذ بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وقالوا ان جرى على المسلمين
بعكا ورأوا ان حفظ القدس أولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر
شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة فسار الى عسقلان يوم الاربعاء ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معي في
معنى خرابها بعد ان تحدث مع ولده الملك الافضل في أمرها أيضا ثم قال لأن أفقد ولدي جميعهم أحب الي من
أن أهدم منها حجرا ولكن اذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك قال ولما اتفق
الرأي على خرابها أوقع الله تعالى في نفسه ذلك وان المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع في خرابها سحرة
يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم السور على المسلمين وجعل لكل أمير من العسكر بدنة
معلومة وبرجا معينا يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء وكان بلدا خفيفا على القلب محكم
الاسوار عظيم البناء مرغوبا في سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم وعظم عويل أهل البلد عليه لفراقهم
أوطانهم وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة آلاف بدرهم وباعوا اثني عشر
طير دجاج بدرهم واحد واختبط البلد وخرج الناس بأهلهم وأولادهم الى المخيم وتشتتوا فذهب قوم منهم الى
مصر وقوم الى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة واجتهد السلطان وأولاده في خرابها كي لا يسمع العدو فيسرع
اليه ولا يمكن من خرابها وبات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها وفي تلك الليلة وصل من
جانب الملك العادل من أخبر ان الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان
ان في ذلك مصلحة لما علم من نفوس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب اليه بالاذن له
في ذلك وفوض الامر الى رأيه وأصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على الخراب واستعمل الناس
عليه وحثهم على العجلة فيه وأباحهم ما في الهري الذي كان على البر لتعذر وخوفا من هجوم الفرنج والعجز
عن نقله وأمر باحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته وكان سورها عظيما ولم يزل الخراب يعمل في البلد الى
سلخ شعبان من السنة وأصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الافضل ان يباشر ذلك بنفسه
وخواصه ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لأجل الاحراق وفي يوم الاربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم
خرج الى اللد وأشرف عليها وأمر بخرابها وخراب قلعة الرملة ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخر
السلطان بالعسكر الى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لاحضار ما يحتاجون اليه ودار السلطان
حول النطرون وهي قلعة منيعة فأمر بخرابها وشرع الناس في ذلك ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الانكتار
وهو من أكابر ملوك الافرنج سير رسوله الى الملك العادل يطلب الاجتماع به فأجابه الى ذلك واجتمعا يوم
الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتحادثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة أكيدة والتمس الانكتار من
العادل ان يسأل السلطان ان يجتمع به فذكر ذلك العادل للسلطان فاستشار أكابر دولته في ذلك ووقع
الاتفاق على انه اذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم وصل رسول الانكتار وقال ان الملك يقول اني

الدرس والافادة في الازمنة
المعهودة والايام المعتادة
(الى ان درج الى رحمة الله
تعالى في آخر ذي القعدة
سنة تسعين وتسعمائة)
كان المرحوم بحرا من بحار
العلوم يقذف للقريب من
جواهر معارفه عجائبا
ويبعث للغريب من
طماطم فضائله سحائبا
فتح مغالق الانظار الدقيقة
مشاكل المعضلات وحل
بخاطره اليقظان وفكره
العجيب الشأن عقد
المشكلات وكان رحمه الله
سديد النظر في سرعة
الانتقاد وحسن التقرير
صاحب ذهن متقد كشعلة
نار وانيا على الخصوم
لطالب ثار مسح كالأدب

أحسب صداقتك ومودتك وأنت تذكر أنك أعطيت هذه البلاد الساحلية لأخيك فاريد ان تكون حكما بيني وبينه ولابد أن يكون لنا علقة بالقدس وأطال الحديث في ذلك فاجابه السلطان بوعد جميل وأذن له في العود في الحال وتأثر لذلك تأثرا عظيما قال ابن شداد وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان متى صالحناهم لم نأمن غائلتهم ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر وتقوى الفرنج والمصلحة ان لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت هذا كان رأيه وانما غلب على الصلح قال ابن شداد ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح وأطال القول في ذلك فتركته اذلا حاجة اليه وجرت بعد ذلك وقعات أضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها وحاصل الامر انه تم الصلح بينهم وكان الانجاز يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ونادى المنادي بانتظام الصلح وان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة في الامن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة ان يتردد الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى وقد علم الله تعالى ان الصلح لم يكن عن مرضاته وايثاره لكنه رأى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته بعد الصلح فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الاسلام على خطر ثم أعطى العساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دستورا فساروا عنه وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة وتردد المسلمون الى بلادهم وجاؤا هم الى بلاد المسلمين وحملت البضائع والمتاجر الى البلاد وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس وتوجه السلطان الى القدس ليتفقد أحوالها وأخوه الملك العادل الى الكرك وابنه الملك الظاهر الى حلب وابنه الافضل الى دمشق وأقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستورا ويتأهب للمسير الى الديار المصرية وانقطع شوقه عن الحج ولم يزل كذلك الى أن صح عنده مسير مركب الانكتار متوجها الى بلاده في مستهل شوال فعند ذلك قوي عزمه على ان يدخل الساحل جريدة يتفقد القلاع البحرية الى بانياس ويدخل دمشق ويقيم بها أياما قلائل ويعود الى القدس ومنه الى الديار المصرية قال شيخنا ابن شداد وأمرني بالمقام في القدس الى حين عوده لعمارة مارستان أنشأه به وتكميل المدرسة التي أنشأها فيه وسار منه ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما فرغ من افتقاد أحوال القلاع وازاحة خللها دخل دمشق بكرة الاربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده الملك الافضل والملك الظاهر والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر وأولاده الصغار وكان يحب البلد ويؤثر الاقامة فيه على سائر البلاد وجلس للناس بكرة يوم الخميس السابع عشر منه وحضروا عنده وبلوا شوقهم منه وأنشده الشعراء ولم يتخلف أحد منهم عنه من الخاص والعام وأقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الافضل دعوة للملك الظاهر لانه لما وصل الى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليتملى بالنظر اليه ثانيا وكأن نفسه كانت قد أحست بدنو أجله فودعه في تلك الدفعة مرارا متعددة ولما عمل الملك الافضل الدعوة أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهمته وكأنه أراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل الى بلده وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة وسأل السلطان الحضور فحضر جبرا لقلبه وكان يوما مشهودا على ما بلغني ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك وأصلح ما قصد اصلاحه سار قاصدا الى البلاد الفراتية فوصل الى دمشق يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان الى لقائه وأقام يتصيد حوالي غباغب الى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعا يتصيدان وكان دخولهما الى دمشق آخر نهار الاحد حادي عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه وأولاده ويتفرجون في أراضي دمشق ومواطن الظباء وكأنه وجد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل وكان ذلك كالوداع لاولاده ونسي عزمه الى مصر وعرضت له أمور أخر وعزمات غير ما تقدم قال ابن شداد ووصلني كتابه الى القدس يستدعيني لخدمته وكان شتاء عظيما ووحلا شديدا فخرجت من القدس في يوم

وسكينة ووقار وكان رحمه الله محبا للعلماء ومحبا للمشايخ والصلحاء الذين الصحبة حلو المفاوضة حسن السمت لطيف المحاورة وبالجملة كان رحمه الله أنظر أهل زمانه وفارس ميدانه والمقدم على أقرانه عامله الله عز وجل باحسانه *(وممن ارتقى بعض المدارج العليا ونزل عنها قبل وصوله الى الغاية القصوى المولى شمس الدين أحمد الشهير بالعزمي)* كان أبوه من جملة من يخدم الاموال الاميرية ويضبط المقاطعات السلطانية وقد ولد رحمه الله في دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية ونشأ في حجر الاكابر

الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول الى دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة وركب السلطان لملتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر وكان ذلك آخر ركوبه فلما كان ليلة السبت وجد كسلا عظيما وما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت في باطنه أكثر منها في ظاهره وأصبح يوم السبت متكسلا عليه أثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والقاضي الفاضل فدخل ولده الملك الافضل وطال جلوسنا عنده وأخذ يشكو قلقه في الليل وطاب له الحديث الى قريب الظهر ثم انصرفنا وقلوبنا عنده فتقدم الينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الملك الافضل ولم يكن للقاضي الفاضل في ذلك عادة فانصرف ودخلت الى الايوان القبلي وقد مد السماط وابنه الملك الافضل قد جلس في موضعه فانصرفت وما كانت لي قوة في الجلوس استيحاشا له وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلا بجلوس ولده في موضعه ثم أخذ المرض يتزايد من حينئذ ونحن نلازم التردد طرفي النهار وندخل أنا والقاضي الفاضل في النهار مرارا وكان مرضه في رأسه وكان من امارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان قد عرف مزاجه سفرا وحضرا ورأى الاطباء فصده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه اليبس ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى الى غاية الضعف واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل المرض يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلد وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الاسواق وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته ولما كان العاشر من مرضه حقن دفعتين وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ثم اشتد مرضه وأيس منه الاطباء ثم شرع الملك الافضل في تحليف الناس ثم انه توفي بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان يوم موته يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها الا الله تعالى وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص الى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفدى لفدي بالانفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزاء وغسله الدولعي (قلت) الدولعي المذكور هو ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك ابن زيد بن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل الثعلبي الارقمي الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق توفي في ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسئل عن مولده فقال في سنة سبع وخمسمائة هكذا ذكر غيره والله أعلم ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير قال وأخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله تعالى في تابوت مسجى بثوب فوطة فارتفعت الاصوات عند مشاهدته وأخذ الناس في البكاء والعويل وصلوا عليه أرسالا ثم أعيد الى الدار التي في البستان وهي التي كان متمرضا بها ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله في حفرته قريبا من صلاة العصر ثم أطال ابن شداد القول في ذلك فتركته خوفا من الملالة وأنشد في آخر السيرة بيت أبي تمام الطائي وهو

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها وذكر سبط ابن الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة أنه في خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البركة قاصدا الشام وخرج أعيان الدولة لوداعه وأنشده الشعراء أبياتا في الوداع فسمع قائلا يقول في ظاهر الخيمة

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فطلب القائل فلم يوجد فوجم السلطان وتطير الحاضرون فكان كما قال فانه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج ولم يعد بعدها الى مصر (قلت) وهذا البيت من جملة أبيات في الحماسة في باب النسيب وذكر شيخنا عز الدين ابن الاثير في تاريخه الكبير هذه القصة على صورة أخرى فقال ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز من القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب الآداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل واحد منهم يقول شيأ في الوداع والفراق وفي الحاضرين معلم لبعض أولاده فأخرج رأسه من

العظام وجلس الافاضل الفخام غائصا في بحار فضائلهم الذاخرة وملتقطا من درر معارفهم الفاخرة فبعد ما تحرك في ميدان الاستفادة صار ملازما من المولى علاء الدين الحناوي بطريق الاعادة ودرس أولا بمدرسة قاسم باشا ببلدة بروسه بخمسة وعشرين

بين الحاضرين وأنشد هذا البيت فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه وتنكر المجلس على الحاضرين
فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة وذكر ابن شداد أيضا في أوائل السيرة انه مات ولم يخلف في خزائنه من
الذهب والفضة الا سبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا ولم يخلف ملكا لا دارا ولا عقارا
ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل الى ولده الملك الظاهر صاحب حلب
بطاقة مضمونها لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ان زلزلة الساعة شيء عظيم كتبت الى مولانا السلطان
الملك الظاهر أحسن الله عزاه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا
شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت أباك ومخدومي وداعا لا تلاقي بعده
وقد قبلت وجهه عني وعنك وأسلمته الى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله عز وجل ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبالباب من الجنود المجندة والاسلحة المغمدة ما لا يدفع البلاء ولا ملك يرد
القضاء وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا عليك يا يوسف لمحزونون وأما الوصايا فما
يحتاج اليها والآراء فقد شغلني المصاب عنها وأما لائح الامر فانه ان وقع اتفاق فما عدمتم الا شخصه الكريم
وان كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم والسلام قلت لله دره فلقد أبدع في هذه
الرسالة الوجيزة مع ما تضمنته من المقاصد السديدة في مثل تلك الحالة التي يذهل فيها الانسان عن نفسه (قلت)
وقد ذكرت كل واحد من أولاده المذكورين وهم الافضل والظاهر والعزيز في ترجمة مستقلة وعينت تاريخ
مولده وموته سوى الملك الظافر المشهور بالمشمر فاني لم أذكر له ترجمة مستقلة وقد ذكرته ههنا فيحتاج الى
ذكر شيء من أحواله فأقول هو لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام وأبو العباس الخضر وانما قيل له المشمر
لان أباه رحمه الله تعالى لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال وأنا مشمر فغلب عليه هذا اللقب وكان مولده
بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسمائة في خامس شعبان وهو شقيق الملك الافضل وتوفي في جمادى الاولى
سنة سبع وعشرين وستمائة بحران عند ابن عمه الملك الاشرف ابن الملك العادل ولم يكن الاشرف يومئذ ملكا
وانما كان مجتازا بها عند دخوله بلاد الروم لاجل الخوارزمية قال غير ابن شداد ثم ان السلطان صلاح الدين
رحمه الله تعالى بقي مدفونا بقلعة دمشق الى ان بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ولها
بابان أحدهما الى الكلاسة والآخر في زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرسة العزيزية (قلت ولقد دخلت هذه
القبة من الباب الذي في الكلاسة وقرأت عنده وترحمت عليه وأحضر لي القيم ومتولي القبة بقجة فيها
ملبوس بدنه وكان في جملته قباء أصفر قصير وأسفل كميه اسود قد تشعث) قال ثم نقل من مدفنه بالقلعة الى
هذه القبة في يوم عاشوراء وكان الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ورتب عنده القراء ومن يخدم
المكان ثم ان ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان المقدم ذكره لما أخذ دمشق من أخيه الملك الافضل بنى الى
جانب هذه القبة المدرسة العزيزية ووقف عليها وقفا جيدا والقبة المذكورة شباكها الى هذه المدرسة وهي من
أعيان مدارس دمشق وزرت قبره في أول ساعة من رمضان سنة ثمانين وستمائة وقرأت على صندوق قبره
بعد تاريخ وفاته ما مثاله اللهم فارض عن تلك الروح وافتح له أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح
وذكر قيم المكان ان هذا من كلام القاضي الفاضل (قلت) ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية
لم يكن بها شيء من المدارس فان الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الامامية فلم يكونوا يقولون بهذه الاشياء
فعمر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد تقدم ذكرها في ترجمة
نجم الدين الخبوشاني وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما
وجعل عليها وقفا كبيرا وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا طائلا وجعل
دار عباس المذكور في ترجمة الظافر العبيدي والعادل ابن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد كبير
أيضا والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفها على الشافعية ووقفها جيد أيضا وبنى بالقاهرة داخل القصر
مارستانا وله وقف جيد وله مدرسة بالقدس أيضا ووقفها كثير وخانقاه بها أيضا وله بمصر مدرسة المالكية

ثم صار وظيفته فيها الاثني
ثم بالمدرسة الافضلية
بقسطنطينية المحمية بار بعين
ثم مدرسة سنان باشا بشك
طاش بخمسين ثم نقل الى
احدى المدرستين
المتجاورتين بادرنه ثم الى
احدى المدارس الثمان
ومنها أرسل الى تفتيش
جزيرة قبرس فلما عاد منها

ترجمة الملك الظافر الملقب
مظفر الدين ابن السلطان
صلاح الدين

وله

ولقد أفكرت في نفسي في أمور هذا الرجل وقلت إنه سعيد في الدنيا والآخرة فإنه فعل في الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها ورتب هذه الأوقاف العظيمة وليس فيها شيء منسوب إليه في الظاهر فإن المدرسة التي بالقرافة ما يسميها الناس إلا بالشافعي والمجاورة للمشهد لا يقولون أيضا إلا المشهد والخانقاه لا يقولون إلا الخانقاه سعيد السعداء والمدرسة الحنفية لا يقولون أيضا إلا المدرسة السيوفية والتي بمصر لا يقولون إلا المدرسة زين التجار والتي بمصر أيضا لا يقولون إلا المدرسة المالكية وهذه صدقة السر على الحقيقة والعجب أن له بدمشق في جوار البيمارستان النوري مدرسة يقال لها أيضا الصلاحية فهي منسوبة إليه وليس لها وقف وله بها مدرسة المالكية أيضا ولا تعرف به وهذه النعم من ألطاف الله تعالى به وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة وكان يحب العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجالسه حتى قيل إنه كان كثيرا ما ينشد قول أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحق الحميري وقيل إنها لأبي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري كان أميرا بالمرية من بلاد الأندلس وكان جده خيران من بني المنصور بن أبي عامر فنسب إليه والله أعلم وهي هذه

وزارني طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وقيل إنه كان أيضا يعجبه قول نشو الملك أبي الحسن علي بن مفرج المعروف بابن المنجم المعري الأصل المصري الدار والوفاة وهو في خضاب الشيب ولقد أحسن فيه وهو

وما خضب الناس البياض لقبحه * وأقبح منه حين يظهر ناصله

ولكنه مات الشباب فسودت * على الرسم من حزن عليه منازله

قالوا فكان إذا قال مات الشباب يمسك كريمته وينظر إليها ويقول أي والله مات الشباب وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة أن السلطان صلاح الدين في أول ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق هذين البيتين

أيها الغائبون عنا وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا

إنني مذ فقدتكم لأراكم * بعيون الضمير عندي عيانا

وأما القصيدتان اللتان ذكرت أن سبط ابن التعاويذي أنفذهما إليه من بغداد فإن إحداهما وازن بها قصيدة صدر الدين المقدم ذكره وقد ذكرت منها أبياتا في ترجمة الوزير الكندي وأولها * أكذا يجازى ود كل قرين * وقصيدة سبط ابن التعاويذي أولها

إن كان دينك في الصبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين * والثم ثرى لو شارفت بي هضبه
أيدي المطي لثمته بجفوني * وانشد فؤادي في الظباء معرضا * فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وإنما * غالطت عنها بالظباء العين * لولا العدا لم أكن عن ألحاظها
وقدودها بجآذر وغصون * لله ما اشتملت عليه قبابهم * يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على أترابها * في الحسن غانية عن التحسين * خود ترى قمر السماء إذا بدت
ما بين سالفة لها وجبين * عاذين ما لمعت بروق ثغورهم * إلا استهلت بالدموع شؤوني
إن تنكروا نفس الصبا فلأنها * مرت بزفرة قلبي المحزون * وإذا الركائب في الجبال تلفتت
فبها لتلفتي وحنيني * يا سلم إن ضاعت عهودي عندكم * فأنا الذي استودعت غير أمين

أو عدت مغبونا فما أنا في الهوى * لكم بأول عاشق مغبون

رفقا فقسمه عسف الفراق وطالق الـ * ـعبرات في أسر الغرام رهين

مالي ووصل الغانيات أرومه * ولقد بخلن علي بالماعون

نقل إلى إحدى المدارس السليمانية فلما توفي معلم السلطان محمد ابن السلطان مراد خان نصب مكانه فقدم منه في الدار العامرة بالنعم الجليلة والحشمة الوافرة وفاز منه رفع السور المبارك الميمون وشرف بخدمته سنة الرسول الأمين المأمون فبلغ مبلغ الإجلال

وعلام أشكو والدماء مطلة * بلحاظهن إذا لوين ديوني * هيهات ما للبيض في ود امرئ
أرب وقد أربى على الخمسين * ومن البلية أن تكون مطالبي * جدوى بخيل أو وفاء ضنين
ليت الضنين على المحب بوصله * لقن السماحة من صلاح الدين

وأما القصيدة الثانية فهي قوله

حتام أرضى في هواك وتغضب * وإلى متى تجني علي وتعتب
ما كان لي لولا ملالك زلة * لما ملكت زعمت أني مذنب
خذ في أفانين الصدود فإن لي * قلبا على العلات لا يتقلب
أتظنني أضمرت بعدك سلوة * هيهات عطفك من سلوي أقرب
لي فيك نار جوانح ما تنطفي * حرقا وماء مدامع ما ينضب
أنسيت أياما لنا ولياليا * للهو فيها والبطالة ملعب
أيام لا الواشي يعد ضلالة * ولهي عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفني المودة راكبا * في الحب من أخطاره ما أركب
والسوم أقنع أن يمر بخاطري * في النوم طيف خيالك المتأوب
ما خلت أن يبيد أيام الصبا * يبلى ولا أثواب الشبيبة تسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى * ساري الدجى وانجاب ذاك الغيهب
ونشأن البيض الحسان فأعرضت * عني سعاد وأنكرتني زينب
قالت وريعت من بياض مفارقي * ونحول جسمي بان منك الأطيب
إن تنقمي سقمي فخصرك ناحل * أو تنكري شيبي فثغرك أشنب

(قلت) لله دره فلقد أجاد في هذه القصيدة كل الإجادة غير أنه قد ظن أن الشنب بياض الثغر وعليه بنى هذا المعنى حتى كأنه مقصود فإن الشاعرة لما عيرته بالسقم قابلها بنحول الخصر فقال لها إن كنت ناحلا فخصرك أيضا ناحل فلما أنكرت شيبه قابلها بأن ثغرها أشنب فكأنه قال لها بياض شيبي في مقابلة ثغرك الأشنب وليس الأمر كما ظن فإن الشنب في اللغة ليس هو البياض وإنما هو حدة الأسنان ويقال بردها وعذوبتها والصحيح أنه حدتها وهو دليل على الحداثة لأن الأسنان في أول طلوعها تكون حادة فإذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتها وهذا المعنى يشار إلى قول النابغة الذبياني في جملة قصيدته المشهورة وهو

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك ومثله أيضا ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المتقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو قوله ما فيه من عيب سوى * فتور عينيه فقط وقوله

يا طالبا بعد المشيب غضارة * من عيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الأربعين وعدها * وصل الدمى هيهات عز المطلب
لولا الهوى العذري يا دار الهوى * ما هاج لي طربا وميض خلب
كلا ولا استعذبت أخلاق الحيا * وندى صلاح الدين هام صيب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وأنجعوه من البلاد فمنهم العلم الشاتاني وامتدحه الحسن وقد تقدم ذكر مدحه بقصيدته الرائية التي أولها

أرى النصر معقودا برايتك الصفرا * فسر واملك الدنيا فأنت بها أحرى

ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن الشحنة الموصلي الشاعر المشهور بقصيدته التي أولها سلام مشوق قد براه التشوق * على جيرة الحي الذين تفرقوا
وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتا وفيها البيتان السائران أحدهما

والإكرام وتدرج مدارج التعظيم والاحترام وفي أثنائه ألم بساحته المنون وتوفي بمرض الطاعون (سنة تسعين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا في بعض العلوم ذا حظ من المعارف ويدري اللطائف حليم النفس حسن المحاورة سليم الطبع حلو المحاورة



وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد أخذه من قول بشار بن برد المقدم ذكره وهو

ياقوم اذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

والبيت الثانى من قصيدة ابن الشحنة قوله

وقالت لى الآمال ان كنت لاحقا * بأبناء أيوب فأنت الموفق

ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق

الله أكبر جاء القوس باريها * ورام أسهم دين الله راميها

فكم لمصر على الامصار من شرف * باليوسفين فهل أرض تدانيها

فيا بن يعقوب هزت جيدها طربا * ويا بن أيوب هزت عطفها تيها

قل للملوك تخلى عن ممالكها * فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

فلما أنشدها اياه أعطاه ألف دينار ومدحه ابن قلاقس وابن الذروى وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتى وابن البحرانى الاربلى وابن دهن الحصى الموصلى ومحمد بن اسمعيل بن حمدان الحبرانى وغير هؤلاء وقد ذكرت أكثر هؤلاء الجماعة فى هذا التاريخ وعذرى فى تطويل هذه الترجمة قول المتنبى

وقد أطال ثنائى طول لابسه * ان الثناء على التنبال تنبال

التنبال الرجل القصير وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ساكنة وباء موحدة وبعد الالف لام (قلت) وقد تقدم فى هذه الترجمة عند ذكر ارسال العاضد الى صلاح الدين وطلبه اياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور وهو أردت عمرا وأراد الله خارجة وقد يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ولا المراد منه فاحببت أن أشرحه كيلا يحتاج من يقف عليه الى كشفه من مكان آخر فأقول عمرو المذكور هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى كنيته أبو عبد الله وقيل أبو محمد أحد الصحابة رضى الله عنهم أسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة وكان فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان من هذه السنة وقيل بل أسلم بين الحديبية وخيبر والاول أصح وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومى وعثمان بن طلحة القرشى العبدرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مسلمين فلما دخلوا عليه ونظر اليهم قال للصحابة قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها وقال الواقدى قدم عمرو بن العاص مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلم عند النجاشى ملك الحبشة وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد فقدموا المدينة فى صفر سنة ثمان من الهجرة وقيل انه لم يأت من أرض الحبشة الا معتقدا الاسلام وذلك أن النجاشى قال له يا عمرو وكيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال أتحقق ذلك قال اى والله فأطعنى فخرج من عنده مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية الى الشام يدعو أخوال أبيه الى الاسلام فبلغ السلاسل من بلاد قضاعة وهو ماء بأرض جذام وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل وكان معه ثلثمائة رجل فخاف عمرو فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فأمده بجيش مائتى فارس من المهاجرين والانصار وأهل الشرف منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فلما قدموا على عمرو بن العاص قال أنا أميركم وانما أنتم مددى فقال أبو عبيدة بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معى فأبى عمرو فقال أبو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى اذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتنى أطعتك قال عمرو فانى أخالفك فسلم اليه أبو عبيدة وصلى خلفه فى الجيش كله وكانوا خمسمائة وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على عمان وفى سنة اثنى عشر بعث أبو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان الاموى وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة الى الشام وسار اليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق وأول شئ فتح من الشام بصرى

مائلا الى صحبة الخلان ومعاشرة الاخوان من ذوى العرفان وله كتاب تركى يشتمل على نكات لطيفة وأشعار تركية مقبولة عند أهاليها *(ومن انتظم فى سلك هؤلاء السادة المولى محمد ابن المعروف بساز ذكر اوغلى زاده) *

صلحا وتوفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه أبا عبيدة فولي الجيش وفتح الله تعالى عليه الشام وولي يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وهي كور وقصبتها الرملة ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان وكتب اليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان عليه أخوه يزيد وكان موت هؤلاء كلهم في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة من الهجرة وعمواس بفتح العين المهملة والميم وفي آخرها سين مهملة وهي قرية بالشام بين نابلس والرملة وكان الطاعون بها في العام المذكور وقيل بل مات يزيد بن أبي سفيان في ذي الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق والله أعلم وذلك بعد فتح قيسارية وكان عمر رضي الله عنه قد ولي عمرو بن العاص بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والاردن وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء وولى سعيد بن عامر حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية وكتب الى عمرو فسار الى مصر فافتتحها في سنة عشرين من الهجرة فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر رضي الله عنه فأقره عثمان رضي الله عنه أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح العامري وكان أخا عثمان من الرضاعة فاعتزل عمرو بن العاص في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحيانا فلما قتل عثمان رضي الله عنه سار الى معاوية باستجلاب معاوية اياه وشهد صفين مع معاوية وكان منه في صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن وكان قد طلب من معاوية أنه اذا تم له الامر وليه مصر وكتب اليه في بعض الايام يطلب من معاوية

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فاربح بصفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

ثم ولاه معاوية مصر ولم يزل بها أميرا الى أن مات يوم عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين للهجرة وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين والاول أصح وعمره تسعون سنة ودفن بسفح المقطم وصلى عليه ابنه عبد الله ولما رجع صلى بالناس العيد ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية وكان من الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي وكان عمر رضي الله عنه اذا استضعف رجلا في رأيه قال أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد يريد الاضداد وذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل ان عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال له يا أبا عبد الله كنت أسمعك كثيرا تقول وددت لو رأيت رجلا عاقلا حضرته الوفاة حتى أسأله عما يجد فكيف تجد فقال أجد كأن السماء مطبقة على الارض وكأني بينهما وكأنما أتنفس من خرم ابرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى فدخل عليه ولده عبد الله فقال له يا ولدي خذ ذلك الصندوق قال لا حاجة لي به فقال انه مملوء مالا فقال لا حاجة لي به فقال ليته مملوء بعرا ثم رفع يديه وقال اللهم انك أمرت فعصينا ونهيت فارتكبنا فلا بريء فاعتذر ولا قوي فانتصر ولكن لا اله الا أنت ثم فاض (قلت) يقال فاض وفاظ بالضاد والظاء أي مات قال الشاعر * لا يدفنون منهم من فاظا * فأما خارجة المذكور في هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد الذين أمدهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر واختط بمصر وكان على شرطة مصر في امرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان الاموي قتله خارجي بمصر سنة أربعين للهجرة وهو يحسب انه عمرو بن العاص هكذا قاله ابن يونس في تاريخ مصر وذكر في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وساق نسبه على هذه الصورة ثم قال يقال انه كان يعدل بألف فارس ثم ذكر بعض أهل النسب والاخبار ان عمرو بن العاص كتب الى عمر رضي الله تعالى عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندي وشهد خارجة فتح مصر وقيل انه كان قاضيا لعمرو بن العاص بها وقيل انه كان على شرطة عمرو بن العاص ولم يزل بها الى ان قتل قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا

كان أبوه من القضاة في القصبات والنسبة المزبورة الى جده من جهة أبيه أيضا ونشأ رحمه الله في مجالس الافاضل الاكارم ومحافل الاماثل الاعاظم مغترفا من حياض معارفهم ومقتطفا من رياض لطائفهم ولما صار ملازما من المولى أبي السعود درس بمدرسة محي چلبي

لقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فأراد الخارجي قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمرا وذلك انه كان قد استخلفه عمرو بن العاص على صلاة الصبح ذلك اليوم فلما قتله اخذ وادخل على عمرو بن العاص فقال من هذا الذي ادخلتموني عليه فقالوا عمرو بن العاص فقال فمن قتلت قالوا خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة وقيل ان الخارجي الذي قتله لما ادخل على عمرو وقال له عمرو أردت عمرا وأراد الله خارجة والله أعلم بمن قال ذلك منهما والذي قتل خارجة هذا هو رجل من بني العنبر ابن عمرو بن تميم يقال له داذويه وقيل انه مولى لبني العنبر وقد قيل ان خارجة الذي قتله الخارجي ظنا على انه عمرو بن العاص رجل يسمى خارجة من بني سهم رهط عمرو بن العاص وليس بشيء انتهى ما قاله صاحب الاستيعاب وقال غيره ان عمرو بن العاص أصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله تلك الليلة وكان خارجة يصلي بالناس فضربه الخارجي فقتله وكان عمرو يقول ما نفعني بطني قط الا تلك الليلة (قلت) فهذا أصل المثل في قولهم أردت عمرا وأراد الله خارجة والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الاندلسي في قصيدته التي رثى بها بني الافطس ملوك بطليوس التي أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر *

بقوله وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وهي من غرر القصائد جمعت تاريخا كبيرا وشرحها الاديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي الشلبي شرحا مستوفيا وهذا البيت يحتاج الى شرح أيضا وهو من تتمة الكلام على المثل المذكور لكنني أذكر مختصرا فانه طويل ذكر أهل التاريخ ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج عليه من قاتله في وقعة الجمل وقد ذكرت طرفا من هذه الوقعة في ترجمة [illegible] بن الزبير وساقها الكلام هنالك فقد ذكرت القصة ثم كانت وقعة صفين عند خروج معاوية بن أبي سفيان الاموي وعمرو بن العاص على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فتوجه اليهم من العراق وجاؤا من الشام والتقوا على صفين وهو موضع على شاطئ الفرات بالقرب من الرقة وهي وقعة مشهورة وكانت في سنة سبع وثلاثين من الهجرة ولما غلب أهل الشام طلبوا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه التحكيم فأجابهم بعد معاودات كثيرة فخرج على علي جماعة من أصحابه وقالوا احكمت في دين الله ولا حكم الا لله وحلوا الى النهروان فمضى اليهم وقاتلهم واستأصلهم الا اليسير منهم وهي أيضا وقعة مشهورة بقتال الخوارج ولما طال الامر فيه ذلك اجتمعوا وقالوا ان عليا ومعاوية وعمرو بن العاص قد أفسدوا أمر هذه الامة فلو قتلناهم لعاد الامر الى حقه فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي أنا أقتل عليا فقالوا فكيف لك بذلك قال أغتاله وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي أنا أقتل معاوية ويعرف هذا الصريمي بالبرك وقال داذويه وقيل زاذويه وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على خارجة بن حذافة أنا أقتل عمرا واجمعوا أمرهم على أن يكون ذلك في ليلة واحدة فدخل ابن ملجم الكوفة وعلي رضي الله عنه بها واشترى سيفا بألف درهم وسقاه السم حتى لفظه فلما خرج علي الى الصلاة الصبح كان ابن ملجم قد كمن له فضربه به على رأسه وقال الحكم لله يا علي لا لك وقيل انه ضربه في صلاة الصبح وذلك في صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان في سنة أربعين من الهجرة وقيل غير هذا التاريخ وقدم البرك الصريمي على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته وهو في الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل فما أحبل بعدها وأما عمرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار والله أعلم

* (يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الانشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العبيدي المقدم ذكره ومن بعده) *

قال عماد الدين الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة في حقه هو ناظر مصر وانسان ناظرها وجامع مفاخرها وكان اليه الانشاء وله قوة على الترسل يكتب كما يشاء ولقن كثيرا وعطل في آخر عمره واضر ولزم بيته الى أن تعوض منه القبر وتوفي بعد قتل الظافر صاحب مصر بثلاث أو أربع سنين وذكره عدة مقاطيع من الشعر

بالموضع المنسوب اليه من
نواحي قسطنطينية العظمى ثم
مدرسة شاهين اغا ذوقون خمسة
وعشرين ثم مدرسة عبد
السلام بالموضع المعروف
بكوجك بحكمه بثلاثين
ثم المدرسة المعروفة بقلوجه
باربعين في بروسه ثم مدرسة
داود باشا بقسطنطينية
بخمسين ثم نقل منها الى

نورد شيأ منها بعد هذا ان شاء الله تعالى وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري الموصلي المقدم ذكره في الفصل الاوّل من كتابه الذي سماه الوشي المرقوم في حل المنظوم فقال حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله تعالى بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضا طريا وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكانا وبيانا ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا وكان من العادات ان كلا من أرباب الدواوين اذا نشأ له ولد وشدا شيأ من علم الادب أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع أشياء من علم الادب قال فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائها وأمرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذي ترأس به في تلك الايام رجل يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتي رحب وسهل ثم قال لي ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شيء سوى اني أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت بين يديه أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوّله الى آخره ثم أمرني ان أحله مرة ثانية فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير (قلت) وبعد ان نقلت ما قاله ضياء الدين بن الاثير على هذه الصورة اجتمع بي من له عناية بالادب خصوصا بهذا الفن وهو من أعرف الناس بأحوال القاضي الفاضل وقال لي هذا الذي ذكره ابن الاثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل فان القاضي الفاضل لم يدخل الديار المصرية الا في أيام الظافر ابن الحافظ وكان وصوله اليها مع أبيه في أمر يختص بهم ثم اني وجدت في بعض تعاليق بخطي وما أدري من أين نقلته أن القاضي الاشرف والد القاضي الفاضل كان من أهل عسقلان وكان يتولى الحكم والنظر بمدينة بيسان فدخل الى مصر في زمان الظافر ابن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي الناحية من أجل كنز كبير كان عندهم له قيمة كثيرة فادعى الوالي في حقه وأطلقه فاستدعى الوالي الى مصر لذلك وطولب بمال طائل فاحتمى ببعض أمراء الدولة وجعلوا الانكار بل في حق القاضي الاشرف فاستدعى وصودر الى ان لم يبق له شيء ولم يكن معه من الاولاد سوى القاضي الفاضل فحمل على قلبه وتوفي بالقاهرة ليلة الاحد حادي عشر شهر ربيع الاوّل من سنة ست وأربعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم ثم توجه القاضي الفاضل الى ثغر الاسكندرية وحضر عند ابن حديد قاضي البلد وناظره فعرفه والده فعرفه بالصنعة واستكتبه وأخذ الفرج عسقلان فضر لخروجه اليه وكانت مكاتبات ابن حديد ترد الى مصر بخطه وهي في غاية البلاغة فحسده كتاب الانشاء على فضله وخافوا من تقدمه عليهم فسعوا الى الظافر به وقالوا انه قصر في المكاتبة وكان صاحب ديوان الانشاء القاضي ابن الزبير فقال يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير وانما حسده هؤلاء الكتاب وسعوا به ليؤذيه مولانا الظافر فقال الظافر فكتب الى ابن حديد ليرسله الينا يكتب لنا قال ابن نباتة وكنت بعد ذلك في مجلس الظافر فرأيت القاضي الفاضل قد حضر وهو قائم بين يديه ثم استخدمه والله تعالى أعلم وقال ابن العماد في الخريدة أنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ قال أنشدني الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة

عذبت ليالي بالعذيب خوالي * وحلت مواقف بالوصال حوالي
ومضت لذاذات تقضي ذكرها * تصبي الحليم وتستهيم السالي
وجلت مورّدة الخدود وفاوقفت * في الصبوة الحالي بحسن الخال
قالوا أساقني هلال أصلها * صدقوا كذلك البدر فرع هلال

قال العماد في الخريدة أيضا ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الاذهان (قلت وهو تاليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره) من شعر ابن الخلال قوله

وأغن سيف لحاظه * يفري الحسام بحده
فضح الصوارم والقنا * ببقده وبقده
عجبا له ورى الاسي * شبت وقد منيت بعده
وبقاء جسمي ناحلا * يبلى بوقدة صده
كبقاء عنبر خاله * في نار صفحة خده

احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان قبل ان يدرس بها نقل الى مدرسة السلطان محمد ابن السلطان سليمان خان بسنتين ثم نقل الى احدى مدارس المرحوم السلطان سليمان خان ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان

وقوله
أما اللسان فقد أخفى وقد كتما * لو أمكن الجفن كف الدمع حين همى
أصبحت بسهام الغنج مهجته * فهل يلام اذا أجرى الدموع دما
قد صار بالسقم من تعذيبكم علما * ولم يبح بالذى من وجده علما
فاعلى صامت أيدى لصدكم * فى كل جارحة منه السقام فما

وأورد له فى الشمعة
وشمعة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

وذكر أيضا العماد فى الخريدة فى ترجمة القاضى أبى المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الحباب أبياتا كتبها ابن الحباب المذكور الى الرشيد بن الزبير فى نكبة جرت للموفق بن الخلال المذكور وقال العماد كان خاله ولم يذكر أيهما خال الآخر وكان ابن الحباب قد حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع والابيات المشار اليها هذه
تسمع مقالى يا ابن الزبير * فأنت خليق بأن تسمعه
بلينا بذى نسب شابك * قليل الجدا فى زمان الدعه
اذا ناله الخير لم نرجه * وان صفعوه صفعنا معه

وهذا من قول حسين بن حنظلة السعدى الخارجى يخاطب قطرى بن الفجاءة رئيس الخوارج
وأنت الذى لا نستطيع فراقه * حياتك لا نفع وموتك فاجع

ثم انى كشفت عن قول العماد كان خاله ولم يبينه فوجدت ابن الخلال المذكور خال ابن الحباب المذكور
وذكر العماد أيضا فى كتاب السيل والذيل الذى جعله ذيلا على كتاب الخريدة لابن الخلال أيضا وأورد له قوله
وغزال نار وجنته * أذكت النيران فى كبدى * وله طرف اذا احتلاه
نصرت شوقى على جلدى * فسدت عينى سوالفه * وتوارت منه بالزرد

والبيت الاخير مأخوذ من قول أبى محمد الحسن بن محمد بن حكينا البغدادى الشاعر المشهور
طرفك يرمى قلبى بأسهمه * فالخد بك تلبس الزردا

وقد روى لغيره أيضا والله أعلم ثم وجدت فى كتاب خريدة القصر تأليف عماد الدين الكاتب الاصفهانى لعبد السلام بن الحسكر المعروف بابن الصواف الواسطى قوله
لو كان أمرى الى أو بيدى * أعددت لى قبل بينك العددا * طرفك يرمى قلبى بأسهمه
فالخد بك تلبس الزردا * وبقيه الشهود والدليل على * ذا القتل عذره مسعدا

وذكر أبو الحسن على بن الظافر الازدى المصرى فى كتاب بدائع البداية ان أبا القاسم بن هانئ الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور وبلغه هجوه فأضمر له حقدا واتفق فى بعض المواسم التى جرت عادة ملوك مصر بالحضور فيها لاستماع المدائح فجلس الحافظ أبو الميمون عبد المجيد صاحب مصر اذ ذاك فأنشده الشعراء وانتهت النوبة الى ابن هانئ المذكور فأنشد وأجاد فيما قاله فقال الحافظ للموفق المذكور كيف تسمع وأثنى عليه واستجاد شعره وبالغ فى وصفه ثم قال له ولو لم يكن له ما يعتد به الا انتسابه الى أبى القاسم بن هانئ شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها لأنه أظهر منها الشعر عند دخوله هذه البلاد فقال له الحافظ ما هو فتحرج من انشاده فأبى الحافظ الا أن ينشده وفى أثناء ذلك تصحيح بينادره وهو
تبا لمصر فقد صارت خلافتها * علما تنقل من كلب الى كلب

فعظم ذلك على الحافظ وقطع صلته وكاد يفرط فى عقوبته والله أعلم ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى أن طعن فى السن وعجز عن الحركة فانقطع فى بيته وكان القاضى الفاضل كان يرى له حق الصحبة والتعليم فكان يجرى عليه كل ما يحتاج اليه الى أن مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى

الجديدة بسبعين ثم تقلد قضاء المدينة المنورة فتعالل القبول والذهاب وتشبث بذيل الاسباب ولم يقصر فى السعى والاهتمام راجيا من مضمون قولهم الابرام يحصل المرام فبعد بذل وتعب بذله بقضاء حلب الآن ذلك لم يبارك له فلم يقر التعب الا التعب فبعد

(أبو عمر يوسف بن هرون الكندي المعروف بالرمادي الشاعر المشهور)

ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس فقال أظن أحد أجداده كان من أهل الرمادة موضع بالمغرب وهو شاعر قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هناك لسلوكه في فنون من المنظوم مسالك تتفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هرون وكانا متعاصرين واستدلت على ذلك بمدحه أبا علي اسمعيل بن القاسم القالي عند دخوله الاندلس بالقصيدة التي أولها

من حاكم بيني وبين عذولي * الشجو شجوي والعويل عويلي

وكان وصول أبي علي القالي الى الاندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة (قلت وقد سبق ذلك في ترجمته) ثم ذكر له الحميدي وقائع وعدة مقاطيع من الشعر وانه ألف كتابا في الطير وسجن مدة (قلت) وقد ذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر الابيات التي مدح بها يوسف بن هرون أبا علي القالي وأورد له بعد البيت المذكور قوله

في أي جارحة أصون معذبي * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في بصري فثم مدامعي * أو قلت في كبدي فثم غليلي * وثلاث شيبات نزلن بمفرقي
فعلمت ان نزولهن رحيلي * طلعت ثلاثا في نزول ثلاثة * واش ووجه مراقب وثقيل
فعزلنني عن صبوتي فلئن ذالست لقد سميت بذاك المعزول

(قلت) ثم خرج بعد هذا الى المدح وكان قد وصف الصيد والروض فقال

وروض تعاهده السحاب كأنه * متعاهد من عهد اسمعيل * قسه الى الاعراب تعلم انه
أولى من الاعراب بالتفضيل * حازت قبائلهم لغات فرقت * فيه وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما * نزل الخراب بربعه المأهول * وكأنه شمس بدت في غربنا
وتغيبت عن شرقهم بأفول * يا سيدي هذا ثنائي لم أقل * زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ * لم أرج غير القرب في تأميلي

وله في غلام ألثغ من جملة أبيات

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها في راحتي * وبكيت منتحبا أنا والراء

وله فيه أيضا أعد لثغة في الراء لو أن واصلا * تسمعها ما أسقط الراء واصل

(قلت) وهذا واصل هو واصل بن عطاء المتقدم ذكره في حرف الواو (قلت) وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة فقال يوسف بن هرون الرمادي الشاعر من أهل قرطبة يكنى أبا عمر كان شاعر أهل الاندلس المشهور المقدم ذكره على الشعراء روى عن أبي علي البغدادي يعني القالي كتاب النوادر من تأليفه وقد أخذ عنه أبو عمر بن عبد البر قطعة من شعره ورواها عنه وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصرة فقيرا معدما ودفن بمقبرة كلع انتهى كلامه (قلت) يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الاندلس والعنصرة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة والراء وفي آخرها هاء وهو موسم للنصارى كالميلاد وغيره وهو اليوم ٣ الرابع والعشرون من حزيران فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وفي آخر هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون عليه السلام حين بعثه موسى عليه السلام وكان يوشع ابن أخته الى أريحا لقتال الجبابرة فقاتلهم وبقيت منهم بقية فخشي ان يحول الليل بينه وبينهم فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ فحبسها بدعائه وقد ذكر الشعراء ذلك في أشعارهم كثيرا فقال أبو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع

عدة أشهر من مباشرته القضاء نزل عليه القضاء (وذلك سنة تسع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عاملا فاضلا كاملا حليما سليما لطيفا نظيفا وقورا صبورا مهتما بدرسه مشتغلا بنفسه له تعليق على كتاب الصوم من الهداية وحواش على المفتاح

٣ قوله الرابع والعشرون الخ هو آخر بؤنه من شهور القبط وحزيران بفتح الحاء وكسر الزاي اه

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

وقال أبو العلاء المعرى من جملة قصيدة طويلة أيضا

ويوشع رد يوحا ببعض يوم * وأنت متى سفرت رددت يوحا

ويوح بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة اسم من اسماء الشمس وكذلك يوح بالياء المثناة من تحتها وأريحا بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة بلدة بين القدس والغور بغور من أرض الشام وهى قريبة من مدائن لوط عليه السلام والرمادى بفتح الراء والميم وبعد الالف دال مهملة وبعدها ياء النسب هذه النسبة الى الرمادة قال ياقوت الحموى فى كتابه الذى سماه المشترك وضعا المختلف صقعا فى باب الرمادة الرمادة عشرة مواضع وعدها ثم قال الثالث رمادة المغرب ينسب اليها يوسف بن هرون الكندى الرمادى الشاعر القرطبى وكلع بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة وهى مقبرة قرطبة والله أعلم وذكر ابن سعيد فى كتاب المغرب فى أشعار أهل المغرب ان الرمادى المذكور انكسب صناعة الادب من شيخه أبى بكر يحيى بن هذيل الكفيف أعلم أدباء الاندلس وهو القائل

لا تلمنى على الوقوف بدار * أهلها صيروا السقام ضجيعى

جعلوا لى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

ثم قال وتوفى يحيى بن هذيل المذكور فى سنة ست أو خمس وثمانين وثلثمائة وهو ابن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى

(يوسف بن درة الشاعر المشهور المعروف بابن السرى الموصلى الاصل)

كان شابا ذكيا ذكره أبو شجاع محمد بن على بن الدهان فى تاريخه وقال انه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زغب وقد ذكره عماد الدين الكاتب الاصبهانى فى كتاب خريدة القصر وذكر أبو المعالى سعد بن على الحظيرى المتقدم ذكره فى كتاب زينة الدهر ومن مشهور شعره قوله فى رجل أرجل وقد أحسن فيه

سود الكعب فاغتدى * الليل عرس وكل عرش لو نظرت عينه الثريا * أخرجها من بنات نعش

وله غير هذا أشياء حسنة قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى فى مختصر كتاب الحافظ أبى سعيد عبد الكريم بن السمعانى الذى عمله فى الانساب ما مثاله (قلت) الزغبى بكسر الزاى وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة نسبة الى زغب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة ابن سليم بطن مشهور من سليم وهذه زغب هى التى أخذت الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة فهلك منهم خلق كثير عظيم قتلا وجوعا وعطشا ثم ان الله تعالى رحى زغبا بالذلة والقلة بعد الى الآن ودرة بضم الدال المهملة والسرى بفتحها وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة

(أبو المحاسن يوسف بن اسمعيل بن على بن احمد بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالشواء الملقب شهاب الدين الكوفى الاصل الحلبى المولد والمنشا والوفاة)

كان أديبا فاضلا متقنا لعلم العروض والقوافى شاعرا يقع له فى النظم معان بديعة فى البيتين والثلاثة وله ديوان شعر كبير يدخل فى أربع مجلدات وكان زيه على زى الحلبيين الاوائل فى اللباس والعمامة المشقوقة وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين أبى القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد بن سعيد بن المقلد المعروف بابن الجبرانى الحلبى النحوى اللغوى الفاضل وأكثر ما أخذ الادب عنه وبصحبته انتفع وعاشر التاج أبا الفتح مسعود بن أبى الفضل النقاش الحلبى الشاعر المشهور زمانا وتخرج عليه فى عمل الشعر وكان بينى وبين الشهاب الشواء مودة أكيدة ومؤانسة كثيرة ولنا اجتماعات فى مجالس نتذاكر فيها الادب وأنشدنى كثيرا من شعره وما زال صاحبى منذ أول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة الى حين وفاته وقبل ذلك كنت أراه قاعدا عند ابن الجبرانى المذكور فى موضع تصدره فى جامع حلب وكان يكثر التمشى فى الجامع أيضا على جارى

من القانون الاول الى آخر بحث الاستعارة وحواش على الهيات شرح المواقف وله رسالة فى وصف القلم أولها (أبيات)
لك الحمد يا من أنطق النون والقلم
فأوضح نهجا عن النقص والعدم
وأفصح من تقرير طرس وسا
ذو صنعه

عادتهم فى ذلك كانوا يعملون فى جامع دمشق ولم يكن بيننا اذ ذاك معرفة وكان حسن المحاورة مليح الايراد مع السكون والتأنى وأول شئ أنشدنى من شعره قوله

هاتيك يا صاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرج معى
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

وأنشدنى لنفسه أيضا

ومهفهف عبق الزمان بخده * فكساه ثوبى ليله ونهاره
لا مهلت عذرى محاسن وجهه * ان غض عندى منه غض عذاره

وأنشدته يوما فى أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبى المحاسن المعروف بابن عنين الدمشقى المتقدم ذكره فى صدر جهان المعروف بابن مازة البخارى وقيل السرخسى

مال ابن مازة دونه لعفاته * خرط القتاد وشال الفرقد
مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

فقال هذا ليس بجيد فقلت له ولم ذاك فقال ليس من شرط المنادى المفرد أن يكون مضموما ولا بد فقد يكون المنادى مفردا ولا يكون مضموما بأن يكون نكرة غير معين كما تقول يا رجلا ولكن انا أعمل فى هذا شيأ ثم انا اجتمعنا بعد ذلك فى الجامع وقال لى قد عملت فى ذلك المعنى شيأ فاسمعه ثم أنشد

انا مليل له خلال * تعرب عن أصله الاخس
أضحت له مثل حيث كيف * وددت لو انها ككأمس

فقلت له هذا أيضا فيه كلام فقال وما هو فقلت حيث فيها لغات فى العرب من يبنيها على الضم ومنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يبنيها على الفتح وفيها لغات أخر غير هذه واما أمس فمنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يقول انها اسم معرب لكنه لا ينصرف وأنشدوا على هذه اللغة

لقد رأيت عجبا مذ امسا * عجائزا مثل السعالى خمسا

هذا اذا كانت أمس معرفة فاما اذا كانت نكرة فانها معربة قولا واحدا فسكت وكان كثيرا ما يستعمل العربية فى شعره فمن ذلك قوله ولا أدرى هل أنشدنيه أم لا فانه أنشدنى شيأ كثيرا من شعره وما ضبطت كل ما أنشدنيه وكذلك كل شئ أذكره بعد هذا لا أتحقق الحال فيه ما سمعته منه شفاها أو وجدته مهملا فمن ذلك قوله

وكأنس عشرة فى الشآم * على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تربنا وأضحى * حبيبى لا تفارقنا الاضافه

وله أيضا فى غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر

أرسل صدغا ولوى قاتلى * صدغا فاعيا بهما واصفه
فخلت ذا فى خده حية * تسعى وذا عقربا واقفه
ذا ألف ليست لوصل وذا * واو ولكن ليست العاطفه

ومن هذا النمط ما أنشدنيه بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المتقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو

عسى عطفة للوصل يا واو صدغه * على فانى أعرف الواو تعطف

ولابى المحاسن الشواء أيضا قوله

نادمت وهو الشمس فى شهرة * والجسم للخفية كالفئ
يا زاهيا أعرف من مضمر * صل واهيا أنكر من لا شئ

وله فى المديح

فتى فاق الورى كرما وباسا * عزيز الجار مخضر الجناب
ترى فى السلم منه غيث جود * وفى يوم الكريهة ليث غاب
اذا ما سل صارمه لحرب * أراك البرق فى كف السحاب

وله أيضا فى شخص لا يكتم السر

لى صديق غدا وان كان لا ينطق الا بغيبة أو محال
أشبه الناس بالصدى أن تحدثه حديثا أعاده فى الحال

وأنشدنى ايضا من البلاغة السقيم
صلاة وتسليم على الروضة التى
تعطر من أنفاسها المسك والشمم
لقد أنبت الاقلام شوقا بنانه
على أيدى كتاب من العرب والعجم

وله أيضا
قالوا حبيبك قد تضوع نشره * حتى غدا منه الفضاء معطرا
فأجبتهم والخال يعلو خده * أوما ترون النار تحرق عنبرا

(قلت) وقد تقدم في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي عدة مقاطيع من شعر العماد الجبلي وغيره وفيها الالمام بهذا المعنى ولأبي المحاسن أيضا قوله

هو الثاني وله انتقال * مالي على مثلها احتمال * قسمة أفعاله لطرفي
ثلاثة مالها انتقال * وعده مستقبل وصبري * ماض وشوقي إليه حال

وله أيضا
ان كان قد عبر معي غيره * منهم عليه فقد قنعت بذكره
كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه * فأغنى نشره عن نشره

وله أيضا
قد بت منتشيا راس عيني من فيها * وبيض السواقي حولها زرق مائها
اذا راقني منها جواري عيونها * أراق دمي منها عيون جواريها

وله في غلام قد ختن

هناك من أهواه عند ختانه * فرحا وقلبي قد عراه وجوم * يفديك من ألم ألم بك امرؤ
يخشى عليك اذا ثناك نسيم * أمعذبي كيف استطعت على الأذى * جلدا وأجزع ما يكون الريم
لو لم تكن هذي الطهارة سنة * قد سنها من قبل ابراهيم
لفتكت جهدي بالمزين اذ غدا * في كفه موسى وأنت كليم

ومعظم شعره على هذا الاسلوب وقد أوردت منه ما فيه كفاية وكان من المغالين في التشيع وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه الا بالمحاسن الشواء والصواب فيه هو الذي ذكرته هنا وان اسمه يوسف وكنيته أبو المحاسن ورأيت بعد هذا في كتاب عقود الجمان الذي وضعه صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلي وقد بنى ترجمة المذكور على يوسف وكنيته أبو المحاسن وكان صاحبه وأخذ عنه كثيرا من شعره وهو من أخبر الناس بحاله وأعلم بذلك في وقته وكان مولده تقريبا في سنة اثنتين وستين وخمسمائة فانه كان لا يحقق مولده وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بظاهرها بمقبرة باب انطاكية غربي البلد ولم أحضر الصلاة عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت رحمه الله تعالى فلقد كان نعم الصاحب وأما شعاع الجبراني المذكور فهو طائي بحتري وكان من قرية من أعمال عزاز يقال لها جبرين فورسطا بانتسابه اليها هكذا أخبر عن نفسه وكان متضلعا من علم الادب خصوصا اللغة فانها كانت الغالبة عليه وكان متصدرا في جامع حلب في المقصورة الشرقية المشرفة على صحن الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قضاة حلب يوم الجمعة ولقد كنت يوما قاعدا في هذه المقصورة عند الدرابزين الذي الى جهة الصحن واذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشواء المذكور وجلس في المحراب الصغير الذي في هذه المقصورة وهو موضع تصدره فعلمت بالحسن كلامه وأنا في ذلك الوقت مشتغل بالادب فسمعته يتكلم في قاعدة الافعال الثلاثية التي أولها واو وهي على فعل بكسر العين مثل وجل ونحوه وان مضارعه فيه أربع لغات يوجل وييجل وياجل وبيجل الا ما شذ من الافعال الثمانية التي هي ورم وورث وورع وورى وومق ووثق ووفق وولي فان مضارعها أيضا بالكسر كما ضبطها وشذ من ذلك قولهم وسع يسع ووطئ يطأ وانما يفتح هذان الفعلان في المضارع لاجل حرف الحلق وأطال الكلام في ذلك بما لم أقدر على حفظه في ذلك الوقت ولم أسمع منه غير هذا الفصل وكان مولده يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة احدى وستين وخمسمائة وتوفي يوم الاثنين سابع رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب ودفن في سفح جبل جوشن رحمه الله تعالى

(أبو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري البياسي أحد فضلاء الاندلس وحفاظها المتقنين)

كان أديبا بارعا فاضلا مطلعا على أقسام كلام العرب من النظم والنثر وراويا لوقائعها وحروبها وأيامها بلغني

وقال في أثناء الترجمة الأولى وهو من عجائب الآفاق وغرائب الاتفاق التي قلما توجد في بطون الأوراق وهو شاب حسن ذو بلاغة وفن له قد كامل وأطلعة شامل فكان يشار اليه بالأنامل صبيح الجبهة أفصح اللهجة جميل الحديث حسنه غار جيد من المحاسن على

انه كان يحفظ كلام الحماسة تأليف أبي تمام المذكور وديوان أبي الطيب المتنبي وسقط الزند ديوان أبي العلاء المعري الى غير ذلك من الاشعار من شعر الجاهلية والاسلام وتنقل في بلاد الاندلس وطاف بأكثرها ولما قدم من جزيرة الاندلس الى مدينة تونس جمع للامير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر صاحب افريقية رحمهم الله تعالى أجمعين كتابا سماه الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وختم بخروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضا قبل هذا واستوفيت القصة في الترجمتين ورأيت هذا الكتاب فطالعته وهو في مجلدين أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن ورأيت له أيضا كتاب الحماسة في مجلدين وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة وقال في آخر الكتاب وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله أما بعد فاني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالادب ورغبة في كلام العرب ولم أزل متتبعا لمعانيه ومفتشا عن قواعده ومبانيه الى ان حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح بالناظر في هذا العلم الا أن يكون عنده مثلها وحلتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على ان جمعت ما اخترته واستحسنته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها واسلاميها ومولدها ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والاندلس وغيرهم مما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة ثم اني رأيت ان بقاءها دون ان تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها موذن بذهابها ومؤد الى فسادها فرأيت ان أضم مختارها وأجمع مستحسنها تحت أبواب تقيد نافرها وتضم نادرها فنظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويبا ولا أحسن ترتيبا مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة وحسن الاقتداء به والتوخي بمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة فاتبعت في ذلك مذهبه وزعمت منزعه وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه ونقحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي (قلت) وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا الى ذكره ونقلت منه شيأ من ذلك ما ذكره في باب المراثي قال أبو علي القالي البغدادي أنشدنا أبو بكر بن دريد قال أنشدنا أبو حاتم السجستاني

منابر الاصابيع خطيبا وأطلق لسانه في ميادين الطروس أديبا فكأنه ربي بلبان البيان صغيرا وتلبس بعقود المعاني فسماها لؤلؤا منثورا في كامل الشيم ناسخ كتب الامم آدم تلقى من ربه كلمات وهو لم يخرجه من الظلمات أوذو النون

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور اذا الدنيا دجت أشرقت بهم * وان أجدبت يوما فايديهم القطر
فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم * حياتهم فخر وموتهم ذكر
حياتهم كانت لاعدائهم عمى * وموتهم للفاخرين بهم فخر
أقاموا بظهر الارض فاخضر عودها * وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الاحنف

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقول الواوا الدمشقي هكذا قال وظني انها لابي فراس بن حمدان والله أعلم

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون

تعلقت ليلى وهي ذات صغيرة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

البهم

البهم الصغار من أولاد الضأن الواحدة بهمة بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول به معا بلفظ واحد فان صغيرين انتصب على الحال من التاء في قوله تعلقت وهي فاعلة ومن ليلى وهي مفعولة ومثله قول عنترة العبسي

متى ما تلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا

نصب فردين على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في تلقني ذكره ابن الانباري في كتاب أسرار العربية في باب الحال وقول الوأواء الدمشقي أنشاده كره في حماسة البياسي المذكور أيضا

وزائر راع كل الناس منظره * أحلى من الامن عند الخائف الوجل

ألقى على الليل ليلا من ذوائبه * فهابه الصبح أن يبدو من الخجل

أراد بالقتل هجرى فاستجرت به * فاستل بالوصل روحي من يدى أجلي

فصرت فيه أمير العاشقين فقد * صارت ولاية أهل العشق من قبلي

وقال علي بن عطية البلنسي بن الزقاق

ومرتجة الاعطاف اما قوامها * فلدن واما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر به * يطير وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بانعم ليلة * تعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل * وفي خصرها من ساعدي وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن البناء المصري (قلت) هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب وكان قد أخرجه صاحبه ورفقته سرية في البحر فساروا وهبت عليهم الريح فردتهم فقال

أحبتنا الا لي عتبوا علينا * فأقصونا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل في العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وقال الواثق بالله وليس فيه غناء

ما كنت أعرف ما في البين من حزن * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت على تفديني وترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
فأعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

وأورد في باب القرى والاضياف والفخر والمديح قول أبي الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن الحجاج اللورقي

عجبا لمن طلب المحامد وهو يمنع ماله * ولما سعط آماله * للمجد لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * ارتاح من طرب اليه * والضيف يأكل رزقه * عندي ويحمدني عليه

ومما نسب الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال حين كف بصره

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لابي العالية أحمد بن مالك الشامي

أذم بغداد والمقام بها * من بعد ما خبرة وتجريب
ما عند سكانها لمكتسب * رفد ولا فرج لمكروب
خلوا سبيل العلى لغيرهم * ونازعوا في الفسوق والحوب
يحتاج راجي النجاح عندهم * الى ثلاث من بعد تقريب
كنوز قارون أن تكون له * وعمر نوح وصبر أيوب

وأنشدني أبو بكر محمد بن يحيى الصوفي لابي العطاف الكوفي صالح بن عبد الرحمن بن نشيط

يا ابن الوليد أجبتنا * ان البيان له حدود * مالي أراك مسيبا * أين السلاسل والقيود

الشمعة سعت فيه شفتي قبيلها العراق فهو يستقيم أن أبو بـ يسير على الدود وهو مجروح مع انه على نسخة بأربه مقيم أو يوسف أرسل مع أخويه يرتع ويلعب وقد ألقى في غيابة الجب فيا له من عجب غصن يقدر على النحو ويستدل كامل في التعبير أشبه بحسده كما الله

أغلا الحديد بأرضكم * أم ليس يصطك الحديد

(قلت) الى ههنا نقلت من كتاب الحماسة المذكور وفيه كفاية اذ كان الغرض ايراد شيء من اخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته في الشعر وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ... وسبعين وخمسمائة وتوفي يوم الاحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة بمدينة تونس رحمه الله تعالى والبياسي بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها هذه النسبة الى بياسة وهي مدينة بالاندلس معدودة في كورة جيان هكذا قاله ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعا

(أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي)

قال أبو عبد الله المرزباني في كتابه المقتبس في اخبار النحويين هو مولى ضبة وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة وهو من أهل جبل ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان يقول أذكر موت الحجاج وقيل مولده سنة ثمانين وقيل انه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وسنتين وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة وقال غير المرزباني أخذ يونس الادب عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وكان النحو أغلب عليه وسمع من العرب وروى سيبويه عنه كثيرا وسمع منه الكسائي والفراء وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها وكان من الطبقة الخامسة في الادب وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الادباء وفصحاء العرب وأهل البادية قال أبو عبيدة معمر بن المثنى اختلفت الى يونس أربعين سنة املأ كل يوم الواحي من حفظه وقال أبو زيد الانصاري النحوي جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس اليه قبلي خلف الاحمر عشرين سنة وقال يونس قال لي رؤبة بن العجاج حتام تسألني عن هذه البواطل وأزخرفها لك أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك وليونس من الكتب التي صنفها كتاب معاني القرآن الكريم وكتاب اللغات وكتاب الامثال وكتاب النوادر الصغير وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي عاش يونس ثمانيا وثمانين سنة لم يتزوج ولم يتسر ولم تكن له همة الا طلب العلم ومحادثة الرجال وقال يونس لو تمنيت ان أقول الشعر لما تمنيت ان أقول الا مثل قول عدي بن زيد العبادي

أيها الشامت المعير بالدهر * أأنت المبرأ الموفور

(قلت) وهذا البيت من جملة ابيات سائرة بين الادباء فيها مواعظ وعبر وبعد هذا البيت

أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان * أم أين قبله سابور

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجلة * تجبى اليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلسا * فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك * عنه فبابه مهجور

وتفكر رب الخورنق اذ أشرف * يوما وللهدى تفكير

سره ماله وكثرة ما يملك * والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه فقال وما غبطة * حي الى الممات يصير

ثم بعد الفلاح والملك والامة * وارتهم هناك القبور

ثم صاروا كأنهم ورق جف * فألوت به الصبا والدبور

قلت وهذه الابيات تحتاج الى تفسير طويل ولو شرعت فيه لطال الكلام وخرجنا عن المقصود فان اكثرها يتعلق بالتاريخ وفيها شيء يتعلق بالادب فاقتصرت على الاتيان بالغرض وتركت الباقي خوفا من الاطالة فلعل الشرح يدخل في أربع خمس كراريس وليس هذا موضعه وروى محمد بن سلام الجمحي عن يونس

من ناصر وأفنى عمره في خدمة البارى والى أمره راض *(وممن انقطع في الطريق عن القرين والرفيق الوفي حضرة ابن عبد الكريم القاضي)* كان أبوه رحمه الله ملا في المسطور في الشقائق النعمانية والمدرسة الله بقسطنطينية المحمية ونشأ في

انه قال ما بكت العرب على شيء في أشعارها كبكائها على الشباب وما بلغت كنهه فاتبع هذا الكلام منصور
النمري فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هرون بيتا وهو

قوله بعشه — ما كنت أوفي شبابي كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

يعني تقول العرب بفرقة الاحباب سقم الالباب وأنشد

نصب — شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب

باب — لم يبلغا المعشار من حقيهما * شرخ الشباب وفرقة الاحباب

وقال يونس لم يقل لبيد في الاسلام سوى بيت واحد وهو

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي * حتى لبست من الاسلام سربالا

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى قدم جعفر بن سليمان العباسي من عند المهدي الخليفة فبعث الى يونس بن حبيب فقال اني وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فما الليل والنهار فقال يونس الليل الليل الذي تعرف والنهار النهار الذي تعرف فقال زعم المهدي ان الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى فقال أبو عبيدة القول في البيت ما قاله يونس والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة وقال يونس كان جبلة بن عبد الرحمن يخرج الى طباخه الرقاع يستدعي بها الطعام وفيها الالفاظ الغريبة الوحشية فلا يدري الطباخ ما فيها حتى يمضي بها الى ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الالفاظ فاذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه فقال له يوما جعلت فداك أصوم معك فقال له الطباخ سهل كلامك حتى يسهل طعامك فيقول يا ابن اللخناء أقادع عن بني لعيك وكان يونس من أهل جبل وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط وكان لا يؤثر أن ينسب اليها فقيل لرجل من بني أبي عمرو فقال له يا أبا عبد الرحمن ما تقول في جبل أتنصرف أم لا فشتمه يونس فالتفت العمري فلم ير أحدا يشهد عليه حتى اذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العمري فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول في جبل أتنصرف أم لا فقال له يونس الجواب ما قلت لك أمس وجبل بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة كذا قاله الحافظ ابن السمعاني في كتاب الانساب وهذه جبل منها ٣ أبو الخطاب الجبلي الشاعر المشهور ومن شعره قوله

كم جبت نحوك مهمها لم يجن * سوق عليه لما قدرت أجوبه

وركبت أخطارا اليك مخوفة * وحسبت أخطار الملوك ركوبه

قال السمعاني وتوفي أبو الخطاب المذكور في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة وكتب اليه أبو العلاء قصيدته التي أولها ٤ * غير مجد في ملتي واعتقادي * (قلت) وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعري الى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي منبج كان وقد ذكر ذلك الفقيه القاضي كمال الدين عرف بابن العديم الحلبي وحبيب اسم أمه ولهذا لا يصرف فانه لا يعرف له أب وقيل انه ولد ملاعنة وقيل انه اسم أبيه فينصرف والله أعلم وكذلك محمد بن حبيب النسابة أيضا ودخل يونس المسجد يوما وهو يتهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان يتهمه في مودته بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن فقال هو الذي ترى فلا بلغته فأخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شيء الا بعسر فاذا دخله لم يخرج منه يعني انه لا ينسى شيأ وقد ذكرت تاريخ مولده وموته في أول الترجمة وقيل انه توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل خمس وثمانين وقال عبد الباقي بن قانع سنة أربع وثمانين ومائة والله أعلم وقيل انه عاش ثمانيا وتسعين سنة رحمه الله تعالى

(أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي المصري الفقيه الشافعي)*

أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له وكان كبيرا ورعا متين الدين وكان

خدمة الافاضل الاكارم وصحبة الاماجد الافاخم وقرأ على فضلاء عصره وأوانه وعلماء دهره وزمانه وتشرف منهم بالاستفادة حتى صار ملازما من الموالي أحد المشتهرين بعلم زاده

٣ ترجمة أبي الخطاب زياد ابن يحيى الجبلي الشاعر

٤ قوله غير مجد الخ قالها المعري يرثي بها فقيها حنفيا وذكرها في معاهد التنصيص ا ه بيانا صفحة ٦٥

علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم لم يشاركه في زمانه في هذا أحد وقد سبق في هذا الكتاب ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس وهو المنجم المشهور صاحب الزيج وكل واحد منهما إمام في فنه وأخذ يونس القراءة عرضا عن ورش وسقلاب بن شينة ويعلى بن دحية عن نافع وعن علي بن أبي كيسة عن سليم عن حمزة بن حبيب الزيات وسمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري وروى القراءة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع وأسامة بن أحمد ومحمد بن إسحق بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم وكان حافظا جليلا وذكره أبو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر فقال كان من أفضل أهل زمانه وكان من العقلاء يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال ما رأيت بمصر أعقل من يونس ابن عبد الأعلى وصحب الشافعي وأخذ عنه الحديث والفقه وحدث بهما عنه جماعة وله حبس في ديوان الحكم وعقب وله دار مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين وكان أحد الشهود بمصر أقام شاهدا ستين سنة وذكر غير القضاعي أن يونس بن عبد الأعلى روى عنه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله بن ماجه وغيرهم وقال أبو الحسين بن زولاق في كتاب أخبار قضاة مصر إن القاضي بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه إليها من بغداد لقي في طريقه محمد بن الليث قاضي مصر كان قبله بالجفار خارجا من مصر إلى العراق مصروفا فقال له بكار أنا رجل غريب وأنت قد عرفت البلد فدلني على من أشاوره وأسكن إليه فقال له عليك برجلين أحدهما عاقل وهو يونس بن عبد الأعلى فإني سعيت في دمه فقدر وعفى والآخر أبو هرون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فإنه رجل زاهد فقال له بكار صف لي الرجلين فقال له أما يونس فرجل طوال أبيض ووصفه ووصف موسى فلما دخل بكار مصر ودخل الناس إليه دخل شيخ فيه صفة يونس فرفعه بكار وأقبل يحدثه ويقول يا أبا موسى في كل حديثه فبينا بكار كذلك إذ قيل له قد جاء يونس فأقبل على الرجل وقال له يا هذا من أنت وما سكوتك كذا لو أفشيت إليك سري ثم دخل يونس فأكرمه ورفعه وأتاه موسى بن عبد الرحمن فاختص بهما وأخذ رأيهما وقيل إن موسى المذكور اختص به القاضي بكار وكان يتبرك به لزهده فقال له يوما يا أبا هرون من أين المعيشة قال من وقف وقفه أبي فقال له بكار أيكفيك قال قد تكفيت به وقد سألني القاضي فأريد أن أسأله قال سل قال هل ركب القاضي دين بالبصرة حتى تولى بسببه القضاء قال لا قال فهل رزق ولدا أحوجه إلى ذلك قال لا ما نكحت قط قال فهل لك عيال كثيرة قال لا قال فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك قال لا قال فضربت آباط الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة لله علي لا دخلت عليك أبدا فقال يا أبا هرون أقلني قال أنت بدأت بالمسألة ولو سكت لسكت ثم انصرف عنه ولم يعد إليه بعدها وقال يونس رأيت في المنام قائلا يقول لي إن اسم الله الأكبر لا إله إلا الله ونقلت من كتاب المنتظم في أخبار من سكن المقطم قال في ترجمة يونس المذكور ومن حكاياته التي حكاها عن غيره أن رجلا جاء إلى نخاس فقال أسلفني ألف دينار إلى أجل فقال له النخاس من يضمن المبلغ قال الله تعالى فأعطاه ألف دينار فسافر بها الرجل يتجر فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسه عدم الريح فعمل تابوتا وجعل فيه ألف دينار وأغلقه وسمره وألقاه في البحر فقال اللهم هذا الذي ضمنته لي فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال فرأى سوادا في البحر فقال ائتوني بهذا فأتي بالتابوت ففتحه فإذا فيه دينار ثم إن الرجل جمع ألفا بعد ذلك وطابت الريح فجاء إلى النخاس وسلم عليه فقال له النخاس من فقال أنا صاحب الألف هذه الألف فقال النخاس لا أقبلها منك حتى تخبرني ما صنعت بها فأخبره بالذي وأن الريح لم تطب فقال له النخاس قد أدى الله عز وجل عنك الألف ووصلت وله أخبار كثيرة وروايات

وكان يونس يروي للشافعي رضي الله عنه

ما حك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

وقال يونس قال لي الشافعي رضي الله عنه يا يونس دخلت بغداد فقلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت

ودرس أولا بمدرسة تجاه المفتي أحمد باشا بمحروسة بروسة بعشرين ثم صار وظيفته فيها بخمسة عشر من ثم بها ثانيا بثلاثين ثم بمدرسة سلطان خاتون بقسطنطينية المحمية بأربعين

وقال يونس سمعت من الشافعي كلاما لا تسمع الا من مثله وهي رضا الناس غاية لا تدرك فانظر ما فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فالزمه وقال علي بن قديد كان يونس بن عبد الاعلى يحفظ الحديث ويقوم به وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ٤ النسوي فقال هو ثقة وقال غيره ولد يونس في ذي الحجة سنة سبعين ومائة وتوفي يوم الثلاثاء وعلى يومين بقيا من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين وهي السنة التي مات فيها المزني رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر ودفن في مقابر الصدف وقبره مشهور بالقرافة وأما أبوه عبد الاعلى فانه يكنى أبا سلمة وكان رجلا صالحا ومن كلامه من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه وقال ولده يونس والامر عندي كما قال وتوفي عبد الاعلى المذكور في المحرم سنة احدى ومائتين ومولده سنة احدى وعشرين ومائة وأما ابنه أبو الحسن أحمد بن يونس والد أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد صاحب تاريخ مصر فان ابنه أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر في تاريخه انه ولد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين وتوفي يوم الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلثمائة وقال هو عديد الصدف وليس من أنفس الصدف ولا من مواليهم والصدفي بفتح الصاد والدال المهملتين وبعدهما فاء هذه النسبة الى الصدف بكسر الدال وذكر السهيلي انه بكسر الدال وفتحها وانما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في غير النسب كي لا يتوالى بين كسرتين قبل ياء النسب كما قالوا في النسبة الى النمر نمري وغير ذلك واختلفوا في اسم الصدف فقيل هو مالك بن سهيل بن عمرو بن قيس هكذا قاله القضاعي في كتاب الخطط وزاد السمعاني في كتاب الانساب على هذا النسب فقال الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبا وقال الدارقطني واسم الصدف شهال بن دعمي بن زياد بن حضرموت وقال الحازمي في كتاب العجالة في النسب هو عمرو بن مالك والله أعلم وقال القضاعي دعوتهم مع كندة وانما سمي الصدف لانه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم فأجمعوا على ردهم فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف وقيل انما سمي الصدف لانه كان رجلا شجاعا لا يذعن لاحد من العرب فبعث اليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه فعدا على الرسول فقتله وخرج هاربا فبعث الملك اليه رجلا في خيل عظيمة فكان كلما سأل عنه أحياء العرب سألهم عن الصدف فيقولون صدف عنا وما رأيناه وجهنا فسمي الصدف من يومئذ ثم لحق بكندة فنزل فيهم قال أرباب علم النسب أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب والله أعلم (قلت) قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو من فائدة

(يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس الملقب رضي الدين الاربلي والد الشيخين عماد الدين أبي حامد محمد وكمال الدين أبي الفتح موسى)

وقد تقدم ذكرهما (قلت) هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ولم أعلم من أين له هذه الزيادة والذي أعرفه من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولديه والله أعلم كان الشيخ يونس المذكور من أهل اربل لا يعرف بها وقدم الموصل فتفقه بها على تاج الاسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي أيضا المتقدم ذكره وسمع عليه كثيرا من كتبه ومسموعاته ثم انحدر الى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ثم أصعد الى الموصل وتديرها وصادف بها حظا تاما عند المتولي بها الامير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المتقدم ذكره في حرف الكاف وفوض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره اليه فكان يدرس فيها ويناظر وتقصده الطلبة للاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة الى أن توفي بالموصل يوم الاثنين سادس المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة ورأيت بخط بعض أصحابهم بقوله توفي سنة خمس وسبعين وأما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول انه توفي سنة ست وسبعين وهو أعلم بذلك ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمه الله تعالى وكان عمره ثمانيا وستين سنة وقد تقدم ذكر حفيده أيضا شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس

ثم مدرستان ٣ بالمدينة المزبورة بخمسين ثم عزل عنها وقلد المدرسة المعروفة

٣ قوله بمدرستان هكذا بالاصل ولعل اسمه ساقط فليحرر

٤ قوله النسوي هو النسائي اه

المذكور رحمهم الله تعالى وعلى الجملة فانه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء وانتفع بهم أهل تلك البلاد وغيرهم وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها رحمهم الله تعالى أجمعين وله شعر فمن ذلك قوله

لها زورة في كل عام وتارة * تمر شهور والحول لا تجمع
وصال وصد لا الشئ سوى انها * على خلق الدنيا تجود وتمنع

وله غير ذلك والله أعلم

(يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية وهم منسوبون اليه ومعروفون به)

كان رجلا صالحا وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا لم يكن له شيخ بل كان مجذوبا وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب يريدون بذلك انه جذب الى طريق الخير والصلاح ويذكرون له كرامات أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد كان قد رآه وهو صغير وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه فقال كنا مسافرين والشيخ يونس معنا فنزلنا في الطريق على عين بوار وهي التي يجلب منها الملح البواري وهي بين سنجار وعانة قال وكانت الطريق مخوفة فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس فلما انتبه قلت له كيف قدرت تنام فقال لي والله ما نمت حتى جاء اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وتدرك القفل فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس قال وعزمت مرة على دخول نصيبين وكنت عند الشيخ يونس في قريته فقال اذا دخلت البلد فاشتر لام مساعد كفنا قال وكانت في عافية وهي أم ولده فقلت له وما بها حتى نشتري لها كفنا فقال ما يضر فذكر انه لما عاد وجدها قد ماتت وذكر له غير هذا من الاحوال والكرامات وأنشد له مواليا وهو

أنا حميت الحمى وأنا سكنت فيه * وأنا رميت الخلائق في بحار التيه
من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه * وأنا فتى ما أداني من به تشبيه

وذكر لي الشيخ محمد المذكور ان الشيخ يونس توفي سنة تسع عشرة وستمائة ٣ في قريته وهي القنية من أعمال دارا وهي بضم القاف وفتح النون وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها تاء وقبره مشهور بها يزار وكان قد ناهز تسعين سنة من عمره رحمه الله تعالى

(قال المصنف مامثاله)

تم الكتاب الذي سميته ٤ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان بحمد الله ومنه وذلك في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة (يقول) الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان مؤلف هذا الكتاب اني كنت شرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور في أوله على الصورة التي شرحتها هنالك مع استغراق الاوقات في فصل القضايا الشرعية والاحكام الدينية بالقاهرة المحروسة فلما انتهيت فيه الى ترجمة يحيى بن خالد بن برمك حصلت لي حركة الى الشام المحروس في خدمة الركاب العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبي الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه وكان الخروج من القاهرة المحروسة يوم الاحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكورة وقلدني الاحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة فتراكمت الاشغال وكثرت الموانع الصارفة عن اتمام هذا الكتاب فاقتصرت على ما كنت قد أثبته من ذلك وختمت الكتاب واعتذرت في آخره بهذه الشواغل عن اكماله وقلت ان قدر الله تعالى مهلة في الاجل وتسهيلا في العمل استأنف كتابا يكون جامعا لجميع ما تدعو الحاجة اليه في هذا الباب ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع الى الديار المصرية وكانت مدة المقام بدمشق المحروسة عشر سنين كوامل لا تزيد يوما ولا تنقص يوما فاني دخلتها في التاريخ المذكور وخرجت منها بكرة يوم الخميس ثامن ذي القعدة من سنة تسع وستين وستمائة فلما وصلت الى القاهرة صادفت بها كتبا كنت أوثر الوقوف عليها وما كنت

اتفرغ

بمباشر بمحروسة بروسه وتوفي مدرسا بها سنة تسع وثمانين وتسعمائة كان المرحوم من الغائصين في بحار العلوم على غرر درر دقائق الفهوم مكبا على

٣ قوله وستمائة هذا هو الصواب وما في المقريزي من انه سبعمائة خطأ محض اهـ قاله نصر الهوريني

٤ قوله وفيات بفتح الفاء ولا يجوز كسرها اهـ قاله نصر

فرغ لها فلما صرت أفرغ من عام سابا ط بعد أن كنت أشغل من ذات النحيين كما قال في هذين الثلاثين فطالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي ثم قصدت لاتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة وأنا على عزم الشروع في الكتاب الذي وعدت به ان قدر الله تعالى ذلك والله يعين عليه ويسهل الطرق المؤدية اليه فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ورأى فيه شيأ من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فاني توخيت فيه حسب ما ظهر لي مع أنه كما يقال أبى الله أن يصح الا كتابه لكن هذا جهد المقل وبذل الاستطاعة وما يكلف الانسان الا ما تصل قدرته اليه وفوق كل ذي علم عليم وقد تقدم في أول هذا الكتاب الاعتذار عن الدخول في هذا الامر والحامل عليه فأغنى عن الاعادة ههنا والله يستر عيوبنا بكرمه الضافي ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع عطائه الغمر الصافي ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه

(ترجمة مؤلف هذا الكتاب جمعها الفقير نصر الهوريني من عدة كتب)

هو من بيت كبير باربل مدينة بالعراق على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية وذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية فيمن توفي من الاعيان سنة احدى وثمانين وستمائة فقال

ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان الاربلي الشافعي أحد الائمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو أول من جدد في أيامه قضاة القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالاحكام بعدما كانوا يكونون من نوابه وقد عزل بابن الصائغ ثم أعيد الى الحكم بعد سنين ثم أعيد ابن الصائغ كما تقدم بيانه وولي التدريس بعدة مدارس لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر وقته سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى تدريس النجيبية وكانت وفاته بالمدرسة النجيبية المذكورة يوم السبت آخر النهار السادس والعشرين من رجب ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرته في غاية الحسن وله التاريخ المفيد الذي رسمه بوفيات الاعيان من أبدع المصنفات اهـ وقال المؤلف نفسه في ترجمة أم المؤيد النيسابورية ما نصه ولنا منها اجازة كتبتها في بعض شهور سنة عشر وستمائة ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة اربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله وقال أيضا في ترجمة عبد الاول السجزي انه سمع صحيح البخاري سنة احدى وعشرين وستمائة بمدينة اربل على الشيخ الصالح ابن هبة الله الذي ذكر بعد أنه توفي في محرم أول السنة المذكورة وكان والد المؤلف متولي التدريس بمدرسة الملك المعظم المذكورة الى أن توفي سنة عشر وستمائة كما ذكره في ترجمة أحمد بن كمال الدين وخرج المؤلف من بلده اربل سنة ٦٢٦ كما ذكره في ترجمة عيسى بن سنجر ودخل حلب في أواخر السنة المذكورة وأقام فيها سنين وكان في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة مقيما بدمشق وفي سنة ٦٣٧ كان مقيما بمصر كما لا يعرف في ترجمة أحمد بن قطنات الاربلي وذكر أيضا بعض أحواله مع السلطان بيبرس في خاتمة هذا التأليف أثناء فمن تتبع كتابه هذا وتصفحه يعلم أحواله وأطواره وتنقلاته ثم رأيت ابن الكتبي صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى سنة ٧٦٤ ترجمه فقال

أحمد بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الاربلي الشافعي ولي قضاء الشام ثم عزل عنها بابن الصائغ وولي بعد ابن الصائغ بعد سبع سنين به وكان يوما مشهودا وجلس في منصب حكمه وتكلم الشعراء فقال

رشيد الدين الفارقي: أنت في الشام مثل يوسف في مصر * وعندي ان الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السبع عام فيه يغاث الناس

وقال سعد الدين الفارقي: أذقت الشام سبع سنين جدبا * غداة هجرته هجرا جميلا
فلما زرته من أرض مصر * مددت عليه من كفيك نيلا

وقال نور الدين بن مصعب: رأيت أهل الشام طرا * ما فيهم قط غير راضي

الاشتغال غير أنه لا يخلو من التهيل والقال مطلق اللسان في السلف ومن ذلك بشأن الخلفاء مسح نهاية الاعجاب بنفسه عفا الله تعالى عنه بلطفه وكرمه

نالهم الخير بعد شر * فالوقت بسط بلا انقباض * وعوضوا فرحة
مذ أنصف الدهر في التقاضي * وسرهم بعد طول غم * قدوم قاض وعزل قاض تالله البلاد
فكلهم شاكر وشاك * بحال مستقبل وماضي

م وكان له ميل الى بعض أولاد الملوك وله فيه أشعار رائقة يقال انه اول يوم زاره بسط له الطرحة ماعندي أعز من هذه ط أعلها ولما افتشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب فقال ابن خلكان

ياسادتي اني قنعت وحقكم * في حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لاتمنعوا عيني القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم في المركب
لو كنت تعلم ياحبيبي ما الذي * القاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبي
ومن البلية والرزية انني * أقضي وما تدري الذي قد حل بي
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها في الحب أعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهي البارد الـ * ـعذب النمير اللؤلؤي الاشنب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها الـ * ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذلي * خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذياك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

قال القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي كان الذي بهواه القاضي شمس الدين بن خلكان الملك المسعود ابن الملك الظافر صاحب حماة وكان قد تم صحبه وكنت أنا عنده في العادلية فتحدثنا في بعض الليالي الى أن راح الناس من عنده فقال لم أنت ههنا وألقى علي فروة وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان المذكوران هما

أنا والله هالك * آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي * قد أقامت قيامتي

و يقال انه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه فألح عليه فقال يقولون انك تكذب في نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان فقال أما النسب والكذب فيه فاذا كان لا بد منه كنت انتسب الى العباس أو الى علي بن أبي طالب أو الى واحد من الصحابة وأما النسب الى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لانه ألذ وأما محبة الغلمان فالى غد أجيبك عن هذه المسئلة وذكره الصاحب كمال الدين بن العديم ونسبه الى البرامكة ومن

شعره أيضا

وسرب ظباء في غدير تخالهم * بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي * أما لك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى * فقلت له دعهم يخوضوا و يلعبوا

وقال أيضا مضمنا

كم قلت لما أطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الساري العجول تخده * ماقف وقوفك ساعة من باس

وقال أيضا

لما بدا العارض في خده * بشرت قلبي بالسلو المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءني فيه العذاب الاليم

وقال أيضا

وما سر قلبي منذ شطت بك النوى * نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء الا وجدته * سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات الا تكلفا * وأي سرور يقتضيه التكلف

وقال أيضا

احبابنا لو لقيتم في اقامتكم * من الصبابة مالقيت في ظعني

لاصح

وكان له أخ أكبر منه يسمى محمدا ملقبا بزاهد ذكار من ملازمي المولى جعفر المار ذكره في هذه الجريدة انتقل مدرسا بمدرسة خواجه خير الدين بقسطنطينية المحمية

م هذه الواقعة مبسوطة بأوضح مما هنا في الباب الثالث من كتاب تزيين الاسواق للحكيم داود الانطاكي

علم

قوله

لأصبح البحر من انفاسكم يبسا * والبحر من أدمعي يشق بالسفن

وقال أيضا تعللتموني والديار بعيدة * تخيل لي ان الفؤاد لكم مغنى

وتأبا لكم قلبي على البعد والنوى * فاوحشتموا الفاظا وآنستم معنى

...زم الث... أيضا أشار الى عارضه فوقه * حائطه يرسل منها الخنوقه

تعاين الجنة في خده * لكنها تحت ظلال السيوفه

قال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف

ملاح بلدتنا بالحسن أربعة * تحسنهم في جميع الخلق قد شكروا

تملكوا مهج العشاق وافتخروا * بالسيف قالوا ولولا السيف ما ملكوا

وقال أيضا الا يا سائرا في نقص حر * يقاسي في السرى حزنا وسهلا

قطعت نقا المشيب وجزت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال أيضا أي ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زم جماله

زجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله

أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله * وأنخها هنيهة وأرحها

قد براها فرط السرى والكلاله * لا تطل سيرها العنيف فقد * برح بالصب في سراها الاطاله

قد تركتم وراءكم حلف وجد * باديا في محلكم اطلاله * يسأل الربع عن ظباء المصلى

ما على الربع لو أجاب سؤاله * ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيها علاله

هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لا محاله

يا ديار الاحباب لازالت الأ * دمع في ترب ساحتيك منهاله

وتمشي النسيم وهو عليل * في مغانيك ساحبا أذياله * أين عيش مضى لنا فيك ما أسـ

ـرع عنا ذهابه وزواله * حيث وجه الشباب طلق نضير * والتصابي غصونه ميالة

ولنا فيك طيب أوقات أنس * ليتنا في المنام نلقى مثاله * وربا جوك الرحب سرب

كل عين ترام يروي جماله * من فتاة بديعة الحسن ترنو * من جفون لحاظها مقتاله

ورخيم الدلال حلو المعاني * تتثنى أعطافه مختاله * ذو قوام يود كل غصون الـ

ـبان لو أنها اعتدال كاعتداله * وجهه في الظلام بدر تمام * وعذاراه حوله كالهاله

ظبية تبهر العيون جمالا * وغزال تغار منه الغزاله * يا خليلي اذا أتيتم بالجسر

عاينتم روضه وظلاله * قف به ناشدا فؤادي فلي ثم * فؤاد أخشى عليه ضلاله

وباعلى الكثيب بيت أغض الطرف عنه مهابة وجلاله * كل ما جئته لا سأل عنه

أظهر الحي غيرة وتباله * لا أدري به ولكن صونا * أتعامى عنه وأبدي جهاله

منزل حبه على قديم * في زمان الصبا وعصر البطاله * يا عريب الحمى اعذروني فاني

ما تعمدت ارضكم عن ملاله * حاش لله غير اني أخشى * من عدو يسعى فينا المقاله

فتأخرت عنكم قانعا من * طيفكم في المنام يهدي خياله * أتمنى في النوم زور خيال

والاماني أطماعها قتاله * يا أهيل النقا وحق ليالي الـ * ـوصل ما صبوتي عليكم ضلاله

لي مذ غبتم عن العين نار * ليس تخبو وأدمع هطاله * فصلوا ان شئتم أو فصدوا

* لا عدمناكم على كل حاله *

وقال أيضا يا رب ان العبد يخفي عيبه * فاستر بحلمك ما بدا من عيبه

ولقد أتاك وماله من شافع * لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

وقال أيضا أعدمتني بالجوى يا قاتل القلل * فصح وجدي على ما بي من العلل

بخمسة وعشرين وله حواش مقبولة على حاشية التجريد للشريف ورسالة أخرى في علم الفقه أول كتاب العتاق من الهداية ورسالة أخرى في علم المعاني وغيره وكان

وملت الى الواشي فلا عجبا * والغصن مازال مطبوعا على الميل
يا واحد الحسن عدلا وارحم لها * وهاذي ان قوى قد جفاه مقتلي
يا حسرة ياغالى اللطيف من اضم * حيث عن عنا كم في الهوى أملي
وملتم بجميل الصبر عن دنف * أجل ما يمسي سرعة الاجل
تجري عليه متى غيتم مدامعه * وماعسى ينفع الباكي على طلل

وقال أيضا

أيا غادرا خانت مواثيق عهده * لقد جرت في حكم الغرام على الصب
وأقصيته من بعد أنس وصحبة * وما هكذا فعل الاحبة والصحب
فتلك أيام تقضت حميدة * بقربك واللذات في المنزل الرحب
وإذ أنت في عيني ألذ من الكرى * وأشهى الى قلبي من البارد العذب
فليق على ذاك الزمان الذي غدت * عليه دموع العين دائمة السكب
ومذ صرت ترضيني بقول ملفق * وتظهر لي سلما أشد من الحرب
ثنيت عنانى عن هواك زهادة * وان كنت في أعلى المراتب من قلبي
لاني رأيت القلب عندك شانئا * تغطيه كيف اشتهيت بلا ذنب
ولم تحفظ الود الذي هو بيننا * ولم ترع أسباب المودة والحب
ولا أنت في قصد الحب اذا غدا * بقلبه الاشواق شيئا الى جنب
ولا أنت ممن يرعوى لفعاله * فاشفي قلبي بالشكية والعتب
ولازمت منك القرب الا جفوتني * وأبعدتني حتى أيست من القرب
وأصغيت للواشي وصدقت قوله * وضيعت ما بيني وبينك بالكذب
فلم يبق لي والله فيك ارادة * كفاني الذي قاسيته لك من الحب
ولا الى في حبيك ماعشت رغبة * أبي الله أن تنسى فؤادي أو قلبي
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما * تجرعته بالذل من غلظة الصعب
فلا ترج مني بعد ذا حسن صحبة * فقسي سلوا بعض ما فاته حسبي
فلا تعتبني قد قطعت مطامعي * وخففت حتى في الرسائل والكتب

وقال في العي

أيا معرضا عني بغير جناية * أما تستحي من فرط تيهك والعجب
سلوتك فاصنع ما تشاء فانه * محا كثرة التقبيح حبك من قلبي

تم ما تعالت ينمي بحمد الله ثمه من ما علما عاملا فاضلا كاملا أديبا بليغا ناقدا نحريرا في التفسير واشتهرا بالفضيلة التامة مقبولا عند الخاص والعام انتقل رحمه الله تعالى سنة أربع وثمانين وتسعمائة

نحمدك يامن بيده الازمة عينا تم أوائل مضى قسطرت آيات وحدانيته على صفحات العقول حجة وعبرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الآتي بأخبار الاولين عظة واعتبارا وعلى آله وصحبه الكاملين علما واستبصارا (أما بعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لنادرة دهره وعلامة عصره قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن خلكان والى الله عليه هوامع الرحمة والاحسان وقد حليت طرره ووشيت غرره بالشقائق النعمانية ثم بالعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم فجاء ما يتمناه كل شائق لمعاهد تلك الرسوم وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة الفقير لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي ذي العجز والتقصير وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣١٠ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأتم تحية آمين

